

## تفسير ابن كثير

وقوله سيقولون لله أي سيعترفون أن السيد العظيم الذي يجير

واختتمها بالصلاة فدل على أفضليتها كما قال رسول الله استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن . 9  
قال أبو الضحى وعلقة بن قيس وسعيد بن جبير وعكرمة وقال قتادة: على مواقيتها وركوعها وسجودها وقد افتتح الله ذكر هذه الصفات الحميدة بالصلاة  
وفي مستدرک الحاكم قال الصلاة في أول وقتها وقال ابن مسعود ومسروق في قوله والذين هم على صلواتهم يحافظون يعني مواقيت الصلاة وكذا  
الله أي العمل أحب إلى الله ؟ قال الصلاة على وقتها قلت ثم أي ؟ قال بر الوالدين قلت ثم أي ؟ قال الجهاد في سبيل الله أخرجاه في الصحيحين  
وقوله والذين هم على صلواتهم يحافظون أي يواظبون عليها في مواقيتها كما قال ابن مسعود سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول  
الإفك والضلال وإنما يفعلون ذلك اتباعاً لأبائهم وأسلافهم الحيارى الجهال كما قال الله عنهم إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون . 90  
السورة ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون فالمشركون لا يفعلون ذلك عن دليل قاهم إلى ما هم فيه من  
بأنه لا إله إلا الله وأقمنا الأدلة الصحيحة الواضحة القاطعة على ذلك وإنهم لكاذبون أي في عبادتهم مع الله غيره ولا دليل لهم على ذلك كما قال في آخر  
ثم قال تعالى بل أتيناهم بالحق وهو الإعلام

ولهذا قال تعالى ولعلنا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون أي عما يقول الظالمون المعتدون في دعوهم الولد أو الشريك علواً كبيراً. 91  
من فرض التعدد فيكون محالاً فأما إن حصل مراد أحدهما دون الآخر كان الغالب هو الواجب والآخر المغلوب ممكناً لأنه لا يليق بصفة الواجب أن يكون مقهوراً  
جسم والآخر أراد سكونه فإن لم يحصل مراد كل واحد منهما كانا عاجزين والواجب لا يكون عاجزاً ويمتنع اجتماع مراديهما للتضاد وما جاء هذا المحال إلا  
قهر الآخر وخلافه فيعلو بعضهم على بعض والمتكلمون ذكروا هذا المعنى وعبروا عنه بدليل التمانع وهو أنه لو فرض صانعان فصاعداً فأراد واحد تحريك  
أن الوجود منتظم متسق كل من العالم العلوي والسفلي مرتبط بعضه ببعض في غاية الكمال ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ثم لكان كل منهم يطلب  
ولد وما كان معه من إله إذا ذهب كل إله بما خلق ولعلنا بعضهم على بعض أي لو قدر تعدد الآلهة لانفرد كل منهم بما خلق فما كان ينتظم الوجود والمشاهد  
ينزه تعالى نفسه عن أن يكون له ولد أو شريك في الملك والتصرف والعبادة فقال تعالى ما اتخذ الله من

أي يعلم ما يغيب عن المخلوقات وما يشاهدونه فتعالى عما يشركون أي تقدس وتنزه وتعالى وعز وجل عما يقول الظالمون والجاحدون. 92  
عالم الغيب والشهادة

وأنا أشاهد ذلك فلا تجعلني فيهم كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد والترمذي وصححه وإذا أردت بقوم فتنة فتوفني إليك غير مفتون. 93  
يقول تعالى أمراً نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يدعو هذا الدعاء عند حلول النقم رب إما تريني ما يوعدون أي إن عاقبتهم  
وأنا أشاهد ذلك فلا تجعلني فيهم كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد والترمذي وصححه وإذا أردت بقوم فتنة فتوفني إليك غير مفتون. 94  
يقول تعالى أمراً نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يدعو هذا الدعاء عند حلول النقم رب إما تريني ما يوعدون أي إن عاقبتهم  
من يسيء إليه ليستجلب خاطره فتعود عداوته صداقة وبغضه محبة فقال تعالى ادفع بالتي هي أحسن السيئة وهذا كما قال في الآية الأخرى. 95  
ما نعدهم لقادرون أي لو شئنا لأريناك ما نزل بهم من النقم والبلاء والمحن. ثم قال تعالى مرشداً له إلى الترياق النافع في مخالطة الناس وهو الإحسان إلى  
وقوله تعالى وإنا على أن نريك

أو الصفة إلا الذين صبروا أي على أذى الناس فعاملوهم بالجميل مع إسدائهم إليهم القبيح وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم أي في الدنيا والآخرة. 96  
ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا الآية أي وما يلهم هذه الوصية أو هذه الخصلة  
وقد قدمنا عند الاستعاذة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه . 97  
وقوله تعالى وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين أمره الله أن يستعيذ من الشياطين لأنهم لا تنفع معهم الحيل ولا ينقادون بالمعروف  
منهم صغيراً لا يعقل أن يحفظها كتبها له فعلقها في عنقه. ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث محمد بن إسحاق وقال الترمذي حسن غريب. 98  
من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون قال فكان عبدالله بن عمرو يعلمها من بلغ من ولده أن يقولها عند نومه ومن كان  
عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا كلمات يقولهن عند النوم من الفرع بسم الله أعوذ بكلمات الله التامة  
إني أعوذ بك من الهرم وأعوذ بك من الهمد ومن الغرق وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا محمد بن إسحاق  
ابتداء الأمور وذلك لطرد الشيطان عند الأكل والجماع والذبح وغير ذلك من الأمور ولهذا روى أبو داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم  
وقوله تعالى وأعوذ بك رب أن يحضرون أي في شيء من أمري ولهذا أمر بذكر الله في

عذاب غليظ وقوله تعالى إني يوم يبعثون أي يستمر به العذاب إلى يوم البعث كما جاء في الحديث فلا يزال معذباً فيها أي في الأرض. 99  
وفي قوله تعالى ومن ورائهم برزخ تهديد للهؤلاء المحتضرين من الظلمة بعذاب البرزخ كما قال تعالى من ورائهم جهنم وقال تعالى ومن وراءه  
الدنيا يأكلون ويشربون ولا مع أهل الآخرة يجاوزون بأعمالهم. وقال أبو صخر: البرزخ المقابر لا هم في الدنيا ولا هم في الآخرة فهم مقيمون إلى يوم يبعثون.

## تفسير ابن كثير

تعالى ومن ورائهم يعني أمامهم. وقال مجاهد: البرزخ الحاجز ما بين الدنيا والآخرة. وقال محمد بن كعب: البرزخ ما بين الدنيا والآخرة ليسوا مع أهل رجليه يقرصانه حتى يلتقيا في وسطه فذلك العذاب في البرزخ الذي قال الله تعالى ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون. وقال أبو صالح وغيره في قوله بن المسيب عن عائشه رضي الله عنها أنها قالت: ويل لأهل المعاصي من أهل القبور تدخل عليهم في قبورهم حيات سود أو دهم حية عند رأسه وحيه عند كالمهوش ينام ويفزع تهوي إليه هوام الأرض وحياتها وعقاربها. وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا عمر بن علي حدثني سلمة بن تمام حدثنا علي بن زيد عن سعيد الكافر في قبره فيرى مقعده من النار قال فيقول رب ارجعون أتوب وأعمل صالحا قال فيقال قد عمرت ما كنت معمرا قال فيضيق عليه قبره ويلتئم فهو حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن يوسف حدثنا فضيل يعني ابن عياض عن ليث عن طلحة بن مصرف عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: إذا وضع يعني والله ما تمنى إلا أن يرجع فيعمل بطاعة الله فانظروا أمانة الكافر المفرط فاعملوا بها ولا قوة إلا بالله. وعن محمد بن كعب القرظي نحوه. وقال محمد بن أبي إذا جاء أحدهم الموت قال كان العلاء بن زياد يقول: لينزلن أحدكم نفسه أنه قد حضره الموت فاستقال ربه فأقاله فليعمل بطاعة الله تعالى. وقال قتادة: هو قائلها وقال عمر بن عبد الله مولى غفرة: إذا قال الكافر رب ارجعون لعلي أعمل صالحا يقول الله تعالى كاذب وقال قتادة في قوله تعالى حتى إلى النار وقال محمد بن كعب القرظي حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت قال فيقول الجبار كذا إنها كلمة ولا إلى عشيرة ولا بأن يجمع الدنيا ويقضي الشهوات ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله عز وجل فرحم الله امرأ عمل فيما يتمناه الكافر إذا رأى العذاب ولو رد لما عمل صالحا وكان يكذب في مقالته هذه كما قال تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون قال قتادة: والله ما تمنى أن يرجع إلى أهل أي لا بد أن يقولها لا محالة كل محتضر ظالم ويحتمل أن يكون ذلك علة لقوله كذا أي لأنها كلمة أي سؤال الرجوع ليعمل صالحا هو كلام منه وقول لا عمل معه كذا إنها كلمة هو قائلها كذا حرف ردع وزجر أي لا نجيبه إلى ما طلب ولا نقبل منه. وقوله تعالى إنها كلمة هو قائلها قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: أنهم يسألون الرجعة فلا يجابون عند الاحتضار ويوم النشور ووقت العرض على الجبار وحين يعرضون على النار وهم في غمرات عذاب الجحيم. وقوله ههنا يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل أو لم نعمل ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير فذكر تعالى هل إلى مرد من سبيل وقال تعالى قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل والآية بعدها. وقال تعالى وهم ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا إلى قوله وإنهم لكاذبون وقال تعالى وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون فنعمل غير الذي كنا نعمل وقال تعالى ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون وقال تعالى إلى قوله ما لكم من زوال وقال تعالى يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد كما قال تعالى وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت إلى قوله والله خبير بما تعملون وقال تعالى وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب في أمر الله تعالى وقيلهم عند ذلك وسؤالهم الرجعة إلى الدنيا ليصلح ما كان أفسده في مدة حياته ولهذا قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت كذا يخبر تعالى عن حال المحتضر عند الموت من الكافرين أو المفرطين

## سورة 24

والحدود. وقال البخاري: ومن قرأ فرضناها يقول فرضناها عليكم وعلى من بعدكم وأنزلنا فيها آيات بينات أي مفسرات واضحة لتلكم تذكرن. 1 يقول تعالى: هذه سورة أنزلناها فيه تنبيه على الاعتناء بها ولا ينفي ما عداها وفرضناها قال مجاهد وقتادة: أي بينا الحلال والحرام والأمر والنهي فهو لهلال بن أمية فجاءت به جعدا حمش الساقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ما نزل فيهما من كتاب الله لكان لي ولها شأن. 10 رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقال انظروا فإن جاءت به جعدا حمش الساقين فهو لشريك بن سحماء وإن جاءت به أبيض سبطا قصير العينين فيما رماك به من الزنا قال فلما كانت الرابعة أو الخامسة سكتت سكتة حتى ظنوا أنها ستعترف ثم قالت لا أفصح قومي سائر اليوم فمضت على القول ففرق قومي فاشهدي بالله إنه لمن الكاذبين فيما رماك به من الزنا فشهدت بذلك أربع شهادات ثم قال لها في الخامسة وغضب الله عليك إن كان من الصادقين أربع شهادات ثم قال له في الخامسة ولعنه الله عليك إن كنت من الكاذبين فيما رميتها به من الزنا ففعل ثم دعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والذين يرمون أزواجهن إلى آخر الآية قال فدعاها النبي صلى الله عليه وسلم فقال اشهد بالله إنك لمن الصادقين فيما رميتها به من الزنا فشهد بذلك عليه وسلم أربعة شهود وإلا فحد في ظهرك فقال يا رسول الله إن الله يعلم أي لصديق ولينزلن الله عليك ما يبرئذبه ظهري من الجلد فأنزل الله آية اللعان قال: لأول لعان كان في الإسلام أن شريك بن سحماء قذفه هلال بن أمية بامرأته فرفعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلان زيد ابن بتيع مرسلا فآله أعلم وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا مسلم بن أبي مسلم الجرمي حدثنا مخلص بن الحسين عن هشام عن ابن سيرين عن أنس بن مالك أزواجهن ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم ثم قال لا تعلم أحدا أسنده إلا النضر بن شميل عن يونس بن إسحاق ثم رواه من حديث الثوري عن أبي إسحاق عن ما كنت فاعلا؟ قال كنت والله فاعلا به شرا. قال فأنت يا عمر؟ قال كنت والله فاعلا كنت أقول لعن الله الأعجز فإنه خبيث. قال فنزلت والذين يرمون بن شميل حدثنا يونس ابن أبي إسحاق عن أبيه عن زيد بن بتيع عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر لو رأيت مع أم رومان رجلا حملها وكان ابنها يدعي إليها ثم جرت السنة في الميراث أن يرثها وترث منه ما فرض الله لها. وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا إسحاق بن الضيف حدثنا النضر

## تفسير ابن كثير

قد قضى فيك وفي امرأتك قال فتلاعنا وأنا شاهد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ففارقها فكانت سنة أن يفرق بين المتلاعنين وكان حاملا فأنكرت رأيت رجلا رأى مع امرأته رجلا أيقنته فتقتلونه أم كيف يفعل؟ فأنزل الله تعالى فيهما ما ذكر في القرآن من التلاعن فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الزهري به فقال حدثنا سليمان بن داود أبو الربيع حدثنا فليح عن الزهري عن سهل بن سعد أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله به أحيمر كأنه وحرة فلا أراه إلا كاذبا فجاءت به على النعت المكروه. أخرجاه في الصحيحين وبقيّة الجماعة إلا الترمذي ورواه البخاري أيضا من طرق عن فصارت سنة المتلاعنين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبصروها فإن جاءت به أسحم أدعج العينين عظيم الأليتين فلا أراه إلا قد صدق وإن جاءت عليه فيها قال: فدعا بهما ولاعن بينهما قال عويمر: إن انطلقت بها يا رسول الله لقد كذبت عليها قال: ففارقها قبل أن يأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تأتني بخير سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاب المسائل فقال عويمر: والله لآتين رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا سأله فأتاه فوجده قد أنزل يصنع؟ فسأل عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل قال فلقبه عويمر فقال: ما صنعت؟ قال ما صنعت إنك عن سهل بن سعد قال جاء عويمر إلى عاصم بن عدي فقال له: سل رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت رجلا وجد رجلا مع امرأته فقتله أيقنت به أم كيف به. انفرد بإخراجه مسلم فرواه من طرق عن سليمان بن مهران الأعمش به وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا أبو كامل حدثنا إبراهيم بن سعد حدثنا ابن شهاب أصدنا إذا رأى مع امرأته رجلا إن قتله قتلتموه وإن تكلم جلدتموه وإن سكت سكت على غيظ اللهم احكم قال: فنزلت آية اللعان فكان ذلك الرجل أول من ابتلي قتلتموه وإن تكلم جلدتموه وإن سكت سكت على غيظ والله لأن أصبحت صحيحا لأسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فسأله فقال: يا رسول الله إن عوانة عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: كنا جلوسا عشية الجمعة في المسجد فقال رجل من الأنصار: أصدنا إذا رأى مع امرأته رجلا إن قتله من حديث عبد الملك بن أبي سليمان به وأخرجاه في الصحيحين من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن حماد حدثنا أبو ثم ثني بالمرأة فشهدت أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ثم فرق بينهما رواه النسائي في التفسير فقالت المرأة: والذي بعثك بالحق إنه لكاذب. قال فبدأ بالرجل فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فقال: والذي بعثك بالحق ما كذبت ثم ثني بالمرأة فوعظها وذكرها وأخبرها أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة الله تعالى هذه الآيات في سورة النور والذين يرمون أزواجهم حتى بلغ أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين فبدأ بالرجل فوعظه وذكره وأخبره على فاحشة فإن تكلم تكلم بأمر عظيم وإن سكت سكت على مثل ذلك فسكت فلم يجبه فلما كان بعد ذلك أتاه فقال الذي سألتك عنه قد ابتليت به فأنزل عمر فقلت: يا أبا عبد الرحمن المتلاعنان أيفرق بينهما؟ فقال سبحانه الله إن أول من سأل عن ذلك فلان ابن فلان فقال يا رسول الله رأيت الرجل يرى امرأته الملك بن أبي سليمان قال: سمعت سعيد بن جبير قال سئلت عن المتلاعنين أيفرق بينهما في إمارة ابن الزبير فما دريت ما أقول فقممت من مكاني إلى منزل ابن فقال إن جاءت به لكذا وكذا فهو كذا وإن جاءت به لكذا وكذا فهو لكذا فجاءت به يشبه الذي قذفت به. وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا عبد الله عليه إن كان من الصادقين. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما والله لأقضين بينكما قضاء فصلا قال فولدت فما رأيت مولودا بالمدينة أكثر منه عليها فشهدت أربع شهادات بالله إنه من الكاذبين ثم أمر بها فأمسك على فيها فوعظها وقال: ويحك كل شيء أهون من غضب الله ثم أرسلها فقالت: غضب ثم أمر به فأمسك على فيه فوعظه فقال له: كل شيء أهون عليه من لعنة الله ثم أرسله فقال: لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ثم دعاها فقرا فقرا حتى فرغ من الآيتين فأرسل إليهما فدعاها فقال: إن الله تعالى قد أنزل فيكما فدعا الرجل فقرا عليه فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين الله صلى الله عليه وسلم فرمى امرأته برجل فكره ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل يردده حتى أنزل الله تعالى والذين يرمون أزواجهم أحمد بن منصور الزياتي حدثنا يونس بن محمد حدثنا صالح وهو ابن عمر حدثنا عاصم يعني ابن كليب عن أبيه حدثني ابن عباس قال جاء رجل إلى رسول وسلم لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن انفرد به البخاري من هذا الوجه وقد رواه من غير وجه عن ابن عباس وغيره. وقال ابن أبي حاتم حدثنا الله عليه وسلم أبصروها فإن جاءت به أكحل العينين ساغب الأليتين خدلج الساقين فهو لشريك بن سحماء فجاءت به كذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم في الخامسة وقفوها وقالوا: إنها موجبة قال ابن عباس فتلكأت ونكصت حتى ظننا أنها ترجع ثم قالت: لا أفضح قومي سائر اليوم فمضت فقال النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل إليهما فجاء هلال فشهد والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله يعلم أن أحكما كاذب فهل منكما تائب ثم قامت فشهدت فلما كان ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد فنزل جبريل وأنزل عليه: والذين يرمون أزواجهم فقرا حتى بلغ إن كان من الصادقين فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم أصدنا على امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول البينة وإلا حد في ظهرك فقال هلال: والذي بعثك بالحق إنني لصادق أمية قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحماء فقال النبي صلى الله عليه وسلم: البينة أو حد في ظهرك فقال يا رسول الله إذا رأى وغيرها من وجوه كثيرة. فمنها ما قال البخاري: حدثني محمد بن بشار حدثنا ابن أبي عدي عن هشام بن حسان حدثني عكرمة عن ابن عباس أن هلال بن على مصر وكان يدعي لأمه ولا يدعي لأب ورواه أبو داود عن الحسن بن علي عن يزيد بن هارون به نحوه مختصرا ولهذا الحديث شواهد كثيرة في الصحاح به أورد جعدا جماليا خدلج الساقين ساغب الأليتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لولا الأيمان لكان لي ولها شأن قال عكرمة فكان بعد ذلك أميرا وقال: إن جاءت به أصيبه أريش حمش الساقين فهو لهلال وإن جاءت به أورد جعدا جماليا خدلج الساقين ساغب الأليتين فهو الذي رميت به فجاءت ولدها لأب ولا يرمي ولدها ومن رماها أو رمي ولدها فعليه الحد وقضى أن لا بيت لها عليه ولا قوت لها من أجل أنهما يفترقان من غير طلاق ولا متوفى عنها قالت: والله لا أفضح قومي فشهدت في الخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقضى أن لا يدعي

## تفسير ابن كثير

وقيل لها عند الخامسة اتقي الله فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة وإن هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب فتلكأت ساعة وهمت بالاعتراف ثم لا يعذبني الله عليها كما لم يجلدني عليها فشهد في الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ثم قيل للمرأة: اشهدي أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين بالله إنه لمن الصادقين فلما كانت الخامسة قيل له: يا هلال اتق الله فإن عذاب الدنيا أهون من الآخرة وإن هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب فقال: والله فقال هلال: والله يا رسول الله لقد صدقت عليها فقالت: كذب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لاعنوا بينهما فقيل لهلال: اشهد فشهد أربع شهادات الله صلى الله عليه وسلم أرسلوا إليها فتلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما فذكرهما وأخبرهما أن عذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أبشر يا هلال فقد جعل الله لك فرجا ومخرجا فقال هلال: قد كنت أرجو ذلك من ربي عز وجل فقال رسول يعني فأمسكوا عنه حتي فرغ من الوحي فنزلت والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهادة إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله الآية فسري الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يأمر بضربه إذ أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم الوحي وكان إذا أنزل عليه الوحي عرفوا ذلك في ترويد وجهه هلال: والله إنني لأرجو أن يجعل الله لي منها مخرجا. وقال هلال يا رسول الله فإني قد أرى ما اشتد عليك مما جئت به والله يعلم أنني لصادق. فوالله إن رسول واجتمعت عليه الأنصار وقالوا: قد ابتلينا بما قال سعد بن عبادة الآن يضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم هلال بن أمية ويبطل شهادته في الناس فقال فقال: يا رسول الله إنني جئت على أهلي عشاء فوجدت عندها رجلا فرأيت بعيني وسمعت بأذني فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء به واشتد عليه الذين تيب عليهم فجاء من أرضه عشاء فوجد عند أهله رجلا فرأى بعينه وسمع بأذنيه فلم يهيجه حتى أصبح فغدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهيجه ولا أحركه حتى آتي بأربعة شهادة فوالله إنني لا آتي بهم حتى يقضي حاجته قال فما لبثوا إلا يسيرا حتي جاء هلال بن أمية وهو أحد الثلاثة أن يتزوجها من شدة غيرة فقال سعد: والله يا رسول الله إنني لأعلم إنها لحق وإنها من الله ولكني قد تعجبت أنني لو وجدت لكاء قد تفخذها رجل لم يكن لي معشر الأنصار ألا تسمعون ما يقول سيدكم؟ فقالوا يا رسول الله: لا تلمه فإنه رجل غيور والله ما تزوج امرأة قط إلا بكرا وما طلق امرأة قط فاجترأ رجل منا ثمانين جلد ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا قال سعد بن عبادة وهو سيد الأنصار: أهكذا أنزلت يا رسول الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا قال الإمام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا عباد بن منصور عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما نزلت والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهادة فاجلدوهم المغلظة حكيم فيما يشرعه ويأمر به وفيما ينهي عنه وقد وردت الأحاديث بمقتضي العمل بهذه الآية وذكر سبب نزولها وفيمن نزل فيه من الصحابة. أي لحرثم ولشق عليكم كثير من أموركم وأن الله تواب أي على عباده. وإن كان ذلك بعد الحلف والأيمان

قد ذهب بصره وكنع بالسيف؟ تعني الضربة التي ضربه إياها صفوان ابن المعطل السلمي حين بلغه عنه أنه يتلکم في ذلك فعلاه بالسيف وكاد أن يقتله. 11 الدلاء فقيل: يا أم المؤمنين أليس هذا لغوا؟ قالت: لا إنما اللغو ما قيل عند النساء قيل أليس الله يقول والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم قالت: أليس الله في ذاك الجزاء إن أبي ووالده وغرضي لعرض محمد منكم وقاء تشتمه ولسن له بكفاء؟ فشركما لخيركما الفداء ساني صارم لا عيب فيه وبحري لا تكدره أنها قالت ما سمعت بشعر أحسن من شعر حسان ولا تمثلت به إلا رجوت له الجنة قوله لأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب. جوت محمدا فأجبت عنه وعند فقالت أما أنت فلست كذلك وفي رواية: لكنك لست كذلك وقال ابن جرير حدثنا الحسن بن قزعة حدثنا سلمة بن علقمة حدثنا داود عن عامر عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية أنه أنشدها عندما دخل عليها شعر يمتدحها به فقال: صان رزان ما تزن بريبة وتصبح غرني من لحوم الغوافل تولى كبره منهم له عذاب عظيم قالت وأي عذاب أشد من العمي وكان قد ذهب بصره لعل الله أن يجعل ذلك هو العذاب العظيم ثم قالت إنه كان ينفح بن ثابت فأمرت فألقي له وسادة فلما خرج قلت لعائشة ما تصنعين بهذا؟ يعني يدخل عليك وفي رواية قيل لها أتأذنين لهذا يدخل عليك وقد قال الله والذي له رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجهم وجبريل معك وقال الأعمش عن ابن الضحى عن مسروق قال: كنت عند عائشة رضي الله عنها فدخل حسان لإيراده كبير فائدة فإنه من الصحابة الذين لهم فضائل ومناقب ومآثر وأحسن مآثره أنه كان يذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعره وهو الذي قال الحديث وقال ذلك مجاهد وغير واحد وقيل بل المراد به حسان بن ثابت وهو قول غريب ولولا أنه وقع في صحيح البخاري ما قد يدل على إيراد ذلك لما كان ويشيعه له عذاب عظيم أي على ذلك ثم الأكثرون على أن المراد بذلك إنما هو عبدالله بن أبي بن سلول قبحه الله ولعنه وهو الذي تقدم النص عليه في عائشة رضي الله عنها بشيء من الفاحشة نصيب عظيم من العذاب والذي تولى كبره منهم قيل ابتداء به وقيل الذي كان يجمعه ويستوشيه ويذيعه حسبي الله ونعم الوكيل قالت قلت كلمة المؤمنين. وقوله تعالى لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم أي لكل من تكلم في هذه القضية ورمى أم المؤمنين من السماء وقالت عائشة أنا التي نزل عذري في كتاب الله حين حملني صفوان بن المعطل على الراحلة فقالت لها زينب يا عائشة ما قلت حين ركبتيها؟ قالت حدثنا جعفر بن عون عن المعلي بن عرفان عن محمد بن عبدالله ابن جحش قال: تفاخرت عائشة وزينب رضي الله عنهما فقالت زينب أنا التي نزل تزويجي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يحبك ولم يتزوج بكرا غيرك ونزلت براءتك من السماء. وقال ابن جرير في تفسيره حدثني محمد بن عثمان الواسطي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الآية ولهذا لما دخل عليها ابن عباس رضي الله عنه وعنهما وهي في سياق الموت قال لها أبشري فإنك زوجة صدق في الدنيا ورفعة منازل في الآخرة وإظهار شرف لهم باعتناء الله تعالى بعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها حيث أنزل الله براءتها في القرآن العظيم جاءوا بالإفك أي الكذب والبهت والافتراء عصبة أي جماعة منكم لا تحسبوه شرا لكم أي يا آل أبي بكر بل هو خير لكم أي في الدنيا والآخرة لسان وقد رواه البخاري كذلك ولم تظهر له علته كذا قال والله أعلم. ورواه بعضهم عن مسروق بن عبدالله بن مسعود عن أم رومان فوالله أعلم فقله تعالى إن الذين قال الخطيب وقد كان مسروق يرسله فيقول سنلت أم رومان ويسوقه فلعل بعضهم كتب سنلت بألف اعتقد الراوى أنها سألت فظنه متصلا قال الخطيب

## تفسیر ابن کثیر

في سماع مسروق منها وقد أنكر ذلك جماعة من الحفاظ منهم الخطيب البغدادي وذلك لما ذكره أهل التاريخ أنها ماتت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم عن موسى بن إسماعيل عن أبي عوانة وعن محمد بن سلام عن محمد بن فضيل كلاهما عن حصين به وفي لفظ أبي عوانة حدثني أم رومان وهذا صريح فأنزل الله: ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة إلى آخر الآية فقال أبو بكر بلى فوصله. تفرد به البخاري دون مسلم من طريق حصين وقد رواه البخاري فقال لها أبو بكر: تقولين هذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: نعم قالت: وكان فيمن حدث هذا الحديث رجل كان يعوله أبو بكر فحلف أن لا يصله وسلم وأنزل الله عذرها فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر فدخل فقال يا عائشة إن الله تعالى قد أنزل عذرك فقالت: بحمد الله لا بحمدك اعتذرت إليكم لا تعذروني فمئلي ومثلكم كمثلي يعقوب وبنيه حين قال: فصر جميل والله المستعان على ما تصفون قالت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه قلت: يا رسول الله أخذتها حمى بنافض قال فلعله في حديث تحدث به قالت فاستوت عائشة قاعدة فقالت: والله لنن حلفت لكم لا تصدقوني ولنن فخرت عائشة رضي الله عنها مغشياً عليها فما أفاقت إلا وعليها حمى بنافض قالت فقممت فدفرتها قالت فجاء النبي صلى الله عليه وسلم قال: فما شأن هذه؟ إنه كان فيمن حدث الحديث قالت وأي الحديث؟ قالت كذا وكذا قالت وقد بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت نعم قالت وبلغ أبا بكر؟ قالت نعم حصين عن أبي وائل عن مسروق عن أم رومان قالت بينا أنا عند عائشة إذ دخلت علينا امرأة من الأنصار فقالت: فعل الله بآبئها وفعل فقالت عائشة ولم؟ قالت رضي الله عنها في المسانيد والصحاح والسنن وغيرها وقد روي من حديث أمها أم رومان رضي الله عنها فقال الإمام أحمد حدثنا علي بن عاصم أخبرنا وقال الترمذي هذا حديث حسن ووقع عند أبي داود تسميتهما حسان بن ثابت ومسطح بن أثانة وحمنة بنت جحش. فهذه طرق متعددة عن أم المؤمنين عائشة عائشة قالت: لما نزل عذري قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك وتلا القرآن فلما نزل أمر برجلين وامرأة فضربوا حدهم ورواه أهل السنن الأربعة. الله عليه وسلم فأخبرني بذلك فقلت بحمد الله لا بحمدك. وقال الإمام أحمد حدثنا ابن عدي عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن عمرة أيضا عن أسامة ببعضه. وقال الإمام أحمد حدثنا هشيم أخبرنا عمرو بن أبي سلمة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت لما نزل عذري من السماء جاءني النبي صلى أحد الأئمة الثقات. وقد رواه ابن جرير في تفسيره عن سفيان بن وكيع عن أبي أسامة مطولا به مثله أو نحوه ورواه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الأشج عن أبي فقال أبو بكر: بلى والله يا ربنا إنا لنحب أن تغفر لنا وعاد له بما كان يصنع. هكذا رواه البخاري من هذا الوجه معلقا بصيغة الجزم عن أبي أسامة حماد بن أسامة يأتل أولوا الفضل منكم يعني أبا بكر والسعة أن يؤتوا أولى القربي والمساكين يعني مسطحا إلى قوله ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم أبي بن سلول وهو الذي كان يستوشيه ويجمعه وهو الذي تولى كبره منهم هو وحمنة قالت فحلف أبو بكر أن لا ينفع مسطحا بنافعة أبدا فأنزل الله تعالى: ولا فعصمها الله بدينها فلم تقل إلا خيرا وأما أختها حمنة بنت جحش فهلك فيمن هلك وكان الذين يتكلم فيه مسطح وحسان بن ثابت والمنافق عبد الله ابن والله لا أقوم إليه ولا أحمده ولا أحمدهما ولكن أحمد الله الذي أنزل براءتي لقد سمعتموه فما أنكرتموه ولا غيرتموه وكانت عائشة تقول: أما زينب بنت جحش السرور في وجهه وهو يمسح جبينه ويقول: أبشري يا عائشة فقد أنزل الله براءتك قالت وكنت أشد ما كنت غضبا فقال لي أبواي قومي إليه فقلت: لا إلا أبا يوسف حين قال: فصر جميل والله المستعان على ما تصفون وأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم من ساعته فسكتنا فرفع عنه وإني لأتبين وإن قلت لكم إني قد فعلت والله يعلم أني لم أفعل لتقولن قد باءت به على نفسها وإني والله ما أجد لى ولكم مثلا والتمست اسم يعقوب فلم أقدر عليه عليه بما هو أهله ثم قلت: أما بعد فوالله إن قلت لكم إني لم أفعل والله عز وجل يشهد أني لصادقة ما ذاك بنافعي عندكم لقد تكلمت به وأشربته قلوبكم عليه وسلم قال: فماذا أقول؟ فالتفت إلى أمي فقلت: أجيبني رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: ماذا أقول؟ فلما لم يجيبها تشهدت فحمدت الله وأثنيت فهي جالسة بالباب فقلت ألا تستحي من هذه المرأة أن تذكر شيئا فوعظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتفت إلى أبي فقلت له: أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه ثم قال: أما بعد يا عائشة إن كنت قارفت سوءا أو ظلمت فتوبي إلى الله فإن الله يقبل التوبة عن عباده قالت وقد جاءت امرأة من الأنصار أبواي عندي فلم يزالا حتي دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد صلى العصر ثم دخل وقد اكتنفتني أبواي عن يميني وعن شمالي فحمد الله تعالى وبلغ الأمر ذلك الرجل الذي قيل له فقال سبحان الله والله ما كشفت كنف أنثى قط. قالت عائشة رضي الله عنها فقتل شهيدا في سبيل الله قالت وأصبح أصحابه فقال: اصدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسقطوا لها به فقالت: سبحان الله والله ما علمت عليها إلا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر وسلم بيتي فسأل عني خادمتي فقالت: يا رسول الله لا والله ما علمت عليها عيبا إلا أنها كانت ترقد حتي تدخل الشاة فتأكل خميرها أو عجينةا وانتهرها بعض لأمي ما شأنها قالت بلغها الذي ذكر من شأنها ففاضت عيناه فقال أقسمت عليك يا بنية إلا رجعت إلى بيتك فرجعت ولقد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه قلت: ورسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت نعم ورسول الله صلى الله عليه وسلم فاستعبرت وبكيت فسمع أبو بكر صوتي وهو فوق البيت يقرأ فنزل فقال فقالت يا بنية خفي عليك الشأن فإنه والله لقل ما كانت امرأة قط حسناء عند رجل يحبها لها ضائر إلا حسدنها وقيل فيها فقلت وقد علم به أبي؟ قالت: نعم فوجدت أم رومان في السفلى وأبا بكر فوق البيت يقرأ فقالت أم رومان: ما جاء بك يا بنية فأخبرتها وذكرت لها الحديث وإذا هو لم يبلغ منها مثل الذي بلغ مني بيتي كأن الذي خرجت له لا أجد منه قليلا ولا كثيرا ووعكت وقلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أرسلني إلى بيت أبي فأرسل معي الغلام فدخلت الدار فقالت تعس مسطح فانتهرتها فقالت: والله ما أسبه إلا فيك فقلت: في أي شأني؟ قالت: فبقرت لى الحديث فقلت: وقد كان هذا؟ قالت: نعم والله فرجعت إلى فعثرت فقالت: تعس مسطح فقلت لها: أي أم تسبين ابنك؟ فسكتت ثم عثرت الثانية فقالت: تعس مسطح فقلت لها: أي أم تسبين ابنك؟ ثم عثرت الثالثة أن تضرب أعناقهم حتى كاد أن يكون بين الأوس والخزرج شر في المسجد وما علمت فلما كان مساء ذلك اليوم خرجت لبعض حاجتي ومعني أم مسطح رسول الله إذن لنا أن نضرب أعناقهم فقام رجل من الخزرج وكانت أم حسان بن ثابت من رهط ذلك الرجل فقال كذبت أما والله لو كانوا من الأوس ما أحببت

## تفسير ابن كثير

سوء وأبنوهم بمن والله ما علمت عليه من سوء قط ولا يدخل بيتي قط إلا وأنا حاضر ولا غبت في سفر إلا غاب معي فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: يا فتشهد فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أما بعد أشيروا على في أناس أبنوا أهلي وإيم الله ما علمت على أهلي إلا خيرا وما علمت على أهلي من عن هشام بن عروة قال أخبرني أبي عن عائشة رضي الله عنها قالت لما ذكر من شأني الذي ذكر وما علمت به قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطيبا الله عنها وحدثني عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري عن عمرة عن عائشة بنحو ما تقدم والله أعلم. ثم قال البخاري وقال أبو أسامة في صحيحهما من حديث الزهري. وهكذا رواه ابن إسحاق عن الزهري كذلك قال: وحدثني يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير عن أبيه عن عائشة رضي تعالى بالورع وطفقت أختها حمنة بنت جحش تحارب لها فهلكت فيمن هلك. قال ابن شهاب فهذا ما انتهى إلينا من أمر هؤلاء الرهط أخرجه البخاري ومسلم فقالت يا رسول الله: أحمي سمعي وبصري والله ما علمت إلا خيرا قالت عائشة وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فعصمها الله قالت عائشة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم عن أمري فقال: يا زينب ماذا علمت أو رأيت؟ يغفر الله لكم والله غفور رحيم فقال أبو بكر: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه. وقال والله لا أنزعها منه أبدا: والله لا أنفق عليه شيء أبدا بعد الذي قال لعائشة فأنزل الله تعالى ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى إلى قوله ألا تحبون أن جاءوا بالإفك عصبة منكم العشر الآيات كلها فلما أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر رضي الله عنه وكان ينفق على مسطح بن أثانة لقربته منه وفقره: عز وجل فقد برأك قالت فقالت لي أمي: قومي إليه فقلت: والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله عز وجل هو الذي أنزل براءتي وأنزل الله عز وجل إن الذين شات من ثقل القول الذي أنزل عليه. قالت فسري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال أبشري يا عائشة أما الله خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله تعالى على نبيه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق وهو في يوم يتلى ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله بها قالت: فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا حينئذ أني بريئة وأن الله تعالى مبرئي ببراءتي ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحي يتلى ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله في بامر ما أجد لي ولكم مثلا إلا كما قال أبو يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون قالت ثم تحولت فاضطجعت على فراشي قالت وأنا والله أعلم استقر في أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم إني بريئة والله يعلم أني بريئة لا تصدقوني ولئن اعترفت بامر والله يعلم أني منه بريئة لا تصدقوني فوالله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن: والله لقد علمت لقد سمعتم بهذا الحديث حتى لأبي أجب عني رسول الله فقال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لأمي أجيبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: والله إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه وتاب تاب الله عليه قالت فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة فقلت الله عليه وسلم حين جلس ثم قال أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت أئمت بذنب فاستغفري الله وتوبي الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم قالت ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل وقد لبث شهرا لا يوحى إليه في شأني شيء قالت فتشهد رسول الله صلى الفلق كبدي قالت فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي إذ استأذنت علي امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي معي فبينما نحن على ذلك إذ دخل علينا رسول عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم وأبواي يظنان أن البكاء منافق تجادل عن المنافق فتثور الحيان الأوس والخزرج حتي هموا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى الله ولا تقدر على قتله ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عباد: كذبت لعمر الله لنقتلنه فإنك الخزرج أمرتنا ففعلنا بأمرك. قالت فقام سعد بن عباد وهو سيد الخزرج وكان رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد ابن معاذ: كذبت لعمر الله لا تقتله على أهلي إلا معي فقام سعد بن معاذ الأنصاري رضي الله عنه فقال أنا أعذرک منه يا رسول الله إن كان من الأوس ضربنا عنقه وإن كان من إخواننا من يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهلي فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا وما كان يدخل فتأكله. فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبدالله بن أبي بن سلول قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر: من عائشة فقالت له بريرة: والذي بعثك بالحق إن رأيت منها أمرا قط أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن الله عليك والنساء سواها كثير وإن تسأل الجارية تصدقك الخبر قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال: أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك يعلم من براءة أهله وبالله يعلم في نفسه لهم من الود فقال أسامة: يا رسول الله أهلك ولا نعلم إلا خيرا. وأما علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله لم يضيق أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبت الوحي يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله قالت فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي أوقد تحدث الناس بها؟ فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ما يتحدث الناس به؟ فقالت: أي بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها. قالت فقلت: سبحان الله فقلت له: أتأذن لي أن أتى أبوي قالت وأنا حينئذ أريد أن أتيقن الخبر من قبلهما فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت أبوي فقلت لأمي: يا أمتاه قالت فأخبرتني بقول أهل الإفك فازددت مرضا إلي مرضي فلما رجعت إلى بيتي دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم قال: كيف تيكم؟ من شأننا فعترت أم مسطح في مرطها فقالت: تعس مسطح فقلت لها: بنسما قلت تسبين رجلا شهد بدرا؟ فقالت أي هنتاه ألم تسمعي ما قال؟ قلت: وماذا قال؟ مناف وأما ابنة صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أثانة بن عباد بن عبد المطلب فأقبلت أنا وابنة أبي رهم أم مسطح قبل بيتي حين فرغنا

## تفسير ابن كثير

من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الأول في التنزه في البرية وكنا نتأذي بالكنف أن نتخذها في بيوتنا فانطلقت أنا وأم مسطح وهي بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد يريبي ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعدما نقيت وخرجت معي أم مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا ولا نخرج إلا ليلا إلى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي أرى منه حين أشتكي إنما يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم فيسلم. ثم يقول كيف تيكم ؟ فذلك الذي بن أبي بن سلول فقدمنا المدينة فاشتكت حين قدمناها شهرا والناس يفيضون في قول أهل الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك وهو يريبي في وجعي أني لا أرى على يدها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة فهلك من هلك من شأني وكان الذي تولى كبره عبدالله قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمريت وجهي بجلبابي والله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أناخ راحلته فوطى صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني قد عرس من وراء الجيش فأدلى فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فأتاني فعرفني حين رأيته وكان قد رأيته وليس بها داع ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت فيه وظننت أن القوم سيفقدوني فيرجعون إلى قبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عينا فتمت وكان فلم يستنكر القوم خفة اليهود حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجميل وساروا ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم هودجي فرحلوه على بعير الذي كنت أركب وهم يحسبون أني فيه قالت وكان النساء إذا ذك خفافا لم يثقلن ولم يغشهن اللحم إنما يأكلن العلقة من الطعام أقبلت إلى رحلي فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع ظفار فد انقطع فرجعت فالتصمت عقدي فحبسني ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلونني فاحتلموا الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة أذن ليلة بالرحيل فقممت حين أذن بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني غزاها فخرج فيها سهمي وخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعدما نزل الحجاب فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه فسرنا حتى إذا فرغ رسول إذا أراد أن يخرج لسفر أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه قالت عائشة رضي الله عنها فأقرع بيننا في غزوة حدثني عن عائشة وبعض حديثهم يصدق بعضا: ذكروا أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأها الله تعالى وكلهم قد حدثني بطائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت له اقتصاصا وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي بن الزبير وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ابن مسعود عن حديث عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لها أهل الإفك ما قالوا شهر حتى نزل القرآن وبيان ذلك في الأحاديث الصحيحة وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري قال أخبرني سعيد بن المسيب وعروة بن أبي بن سلول رأس المنافقين فإنه كان يجمعه ويستوشيه حتى ذلك في أذهان بعض المسلمين فتكلموا به وجوزه آخرون منهم وبقي الأمر كذلك قريبا من صلى الله عليه وسلم فقال تعالى إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم أي جماعة منكم يعني ما هو واحد ولا اثنان بل جماعة فكان المقدم هذه اللعنة عبدالله من المنافقين بما قالوه من الكذب البحت والفرية التي غار الله عز وجل لها ولنبيه صلوات الله وسلامه عليه فأنزل الله تعالى براءتها صيانه لعرض رسول الله هذه العشر الآيات كلها نزلت في شأن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها حين رماها أهل الإفك والبهتان

خفية مستورا فتعين أن ما جاء به أهل الإفك مما رما به أم المؤمنين هو الكذب البحت والقول الزور والرعونة الفاحشة الفاجرة والصفقة الخاسرة. 12 صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم ولو كان هذا الأمر فيه ريبة لم يكن هذا جهرة ولا كانا يقدمان على مثل ذلك على رؤوس الأشهاد بل كان هذا يكون لو قدر الذي وقع لم يكن ريبة وذلك أن مجيء أم المؤمنين راکبة جهرة على راحلة صفوان بن المعطل في وقت الظهيرة والجيش بكامله يشاهدون ذلك ورسول الله فإن أم المؤمنين أهله وأولى به هذا ما يتعلق بالباطن. وقوله وقالوا أي بالسننهم هذا إفك مبين أي كذب ظاهر على أم المؤمنين رضي الله عنها فإن خيرا وقالوا هذا إفك مبين يعني أبا أيوب حين قال لأم أيوب ما قال ويقال إنما قالها أبي بن كعب وقوله تعالى ظن المؤمنون ألخ أي هلا ظنوا الخير فاعلة ذلك ؟ قالت لا والله قال فعائشة والله خير منك. فلما نزل القرآن وذكر أهل الإفك قال الله عز وجل لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم الحصين عن أبي سفيان عن أفلح مولى أبي أيوب أن أم أيوب قالت لأبن أيوب: ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة ؟ قال بلى وذلك الكذب أفكنت يا أم أيوب ما قالوا ثم قال تعالى لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون الآية أي كما قال أبو أيوب وصاحبه. وقال محمد بن عمر الواقدي حدثني ابن أبي حبيب عن داود بن قال فلما نزل القرآن ذكر الله عز وجل من قال في الفاحشة ما قال من أهل الإفك إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم وذلك حسان وأصحابه الذين قالوا تسمع ما يقول الناس في عائشة رضي الله عنها قال نعم وذلك الكذب أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب ؟ قالت لا والله ما كنت لأفعله قال فعائشة والله خير منك. عنهما كما قال الإمام محمد بن إسحاق بن يسار عن أبيه عن بعض رجال بني النجار أن أبا أيوب خالد بن زيد الأنصاري قالت له امرأته أم أيوب: يا أبا أيوب أما أنفسهم فإن كان لا يليق بهم فأم المؤمنين أولى بالبراءة منه بطريق الأولى والأخرى. وقد قيل إنها نزلت في أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري وامرأته رضي الله يعني هلا إذ سمعتموه أي ذلك الكلام الذي رميت به أم المؤمنين رضي الله عنها ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا أي قاسوا ذلك الكلام على هذا تأديب من الله تعالى للمؤمنين في قصة عائشة رضي الله عنها حين أفاض بعضهم في ذلك الكلام السوء وما ذكر من شأن الإفك فقال تعالى لولا ما قالوه بأربعة شهداء يشهدون على صحة ما جاءوا به فإذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون أي في حكم الله كاذبون فاجرون. 13 قال الله تعالى لولا أي هلا جاءوا عليه أي على

تعالى إذ تلقونه بأسننكم قال مجاهد وسعيد بن جبیر: أي يرويه بعضهم عن بعض يقول هذا سمعته من فلان وقال فلان كذا وذكر بعضهم كذا. 14 هذا ولا ما يعارضه وهكذا شأن ما يرد من الوعيد على فعل معين يكون مطلقا مشروطا بعدم التوبة أو ما يقابله من عمل صالح يوازنه أو يرجح عليه. ثم قال فأما من خاض فيه من المنافقين كعبدالله بن أبي بن سلول وأضرابه فليس أولئك مرادين في هذه الآية لأنه ليس عندهم من الإيمان والعمل الصالح ما يعادل

## تفسير ابن كثير

أفضت فيه من قضية الإفك عذاب عظيم وهذا فيمن عنده إيمان يقبل الله بسببه التوبة كمسطح وحسان وحمئة بنت جحش أخت زينب بنت جحش في الدنيا والآخرة أيها الخائضون في شأن عائشة بأن قبل توبتكم وإنابتكم إليه في الدنيا وعفا عنكم لإيمانكم بالنسبة إلى الدار الآخرة لمعكم فيما يقول تعالى لولا فضل الله عليكم ورحمته

الصحيحين إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يدرى ما تبلغ يهوي بها في النار أبعد مما بين السماء والأرض وفي رواية لا يلقي لها بالا. 15 فكيف يكون هذا في سيدة نساء الأنبياء وزوجه سيد ولد آدم على الإطلاق في الدنيا والآخرة ولهذا قال تعالى وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم وفي يقال في زوجة نبيه ورسوله ما قيل فإن الله سبحانه وتعالى يغار لهذا وهو سبحانه وتعالى لا يقدر على زوجة نبي من الأنبياء ذلك حاشا وكلا ولما لم يكن ذلك ذلك يسيرا سهلا ولو لم تكن زوجة النبي صلى الله عليه وسلم لما كان هينا فكيف وهي زوجة النبي الأمي خاتم الأنبياء وسيد المرسلين فعظيم عند الله أن ما ليس لكم به علم أي تقولون ما لا تعلمون. ثم قال تعالى وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم أي تقولون ما تقولون في شأن أم المؤمنين وتحسبون نافع عن ابن عمر عن عائشة أنها كانت تقرأ إذ تلقونه وتقول هي ولق القول قال ابن أبي مليكة: هي أعلم به من غيرها. وقوله تعالى وتقولون بأفواهكم إذا استمر فيه والقراءة الأولى أشهر وعليها الجمهور ولكن الثانية مروية عن أم المؤمنين عائشة قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن وفي صحيح البخاري عن عائشة أنها كانت تقرأها كذلك وتقول هي من ولق اللسان يعني الكذب الذي يستمر صاحبه عليه تقول العرب ولق فلان في السير وقرأ آخرون إذ تلقونه بألسنتكم

أي ما ينبغي لنا أن نتفوه بهذا الكلام ولا نذكره لأحد سبحانه هذا بهتان عظيم أي سبحانه الله أن يقال هذا الكلام على زوجة رسوله وحليلة خليله. 16 تعالى تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تقل أو تعمل أخرجاه في الصحيحين وقال الله تعالى ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا خيرا. وأن لا يشعر نفسه سوى ذلك ثم إن علق بنفسه شيء من ذلك وسوسة أو خيالا فلا ينبغي أن يتكلم به فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله هذا تأديب آخر بعد الأول الأمر بظن الخير أي إذا ذكر ما لا يليق من القول في شأن الخيرة فأولى ينبغي الظن بهم

ولهذا قال إن كنتم مؤمنين أي إن كنتم تؤمنون بالله وشرعه وتعظمون رسوله صلى الله عليه وسلم فأما من كان متصفا بالكفر فله حكم آخر. 17 ثم قال تعالى يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا أي ينهاكم الله متوعدا أن يقع منكم ما يشبه هذا أبدا أي فيما يستقبل

وبين الله لكم الآيات أي يوضح لكم الأحكام الشرعية والحكم القدرية والله عليم حكيم أي عليم بما يصلح عباده حكيم في شرعه وقدره. 18

ثم قال تعالى

الله عليه وسلم قال لا تؤذوا عباد الله ولا تعيروهم ولا تطلبوا عوراتهم فإنه من طلب عورة أخيه المسلم طلب الله عورته حتى يفضحه في بيته. 19 أي فردوا الأمور إليه ترشدوا وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن بكر حدثنا ميمون بن موسى المرئي حدثنا محمد ابن عباد المخزومي عن ثوبان عن النبي صلى أمنا لهم عذاب أليم أي يختارون ظهور الكلام عنهم بالقبیح لهم عذاب أليم في الدنيا أي بالحد وفي الآخرة بالعذاب الأليم والله يعلم وأنتم لا تعلمون لمن سمع شيئا من الكلام السيئ فقام بذهنه شيء منه وتكلم فلا يكثر منه ولا يشيعه ويذيعه فقد قال تعالى إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين هذا تأديب ثالث

نصر بن علقمة يقول في قوله تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال: ليس ذلك للفضيحة إنما ذلك ليدعى الله تعالى لهما بالتوبة والرحمة. 2 عذابهما طائفة من المؤمنين أي نفر من المسلمين ليكون ذلك موعظة وعبرة ونكالا وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يحيى بن عثمان حدثنا بقية قال سمعت فصاعدا لأنه لا يكفي شهادة في الزنا إلا أربعة شهداء فصاعدا وبه قال الشافعي وقال ربيعة: خمسة وقال الحسن البصري: عشرة وقال قتادة: أمر الله أن يشهد وقال الزهري: ثلاث نفر فصاعدا وقال عبد الرزاق حدثني ابن وهب عن الإمام مالك في قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال: الطائفة أربعة نفر الطائفة تصدق على واحد وقال عطاء بن أبي رباح: اثنان وبه قال إسحاق بن راهوية وكذا قال سعيد بن جبير طائفة من المؤمنين قال: يعني رجل فصاعدا عباس وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين الطائفة الرجل فما فوقه وقال مجاهد: الطائفة الرجل الواحد إلى الألف وكذا قال عكرمة ولهذا قال أحمد: إن وفضيحة إذا كان الناس حضورا. قال الحسن البصري في قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين يعني علانية ثم قال علي بن أبي طلحة عن ابن عذابهما طائفة من المؤمنين هذا فيه تنكيل للزانيين إذا جلدا بحضرة الناس فإن ذلك يكون أبلغ في زجرهما وأنجع في ردعهما فإن في ذلك تقريعا وتوبيخا يصنع مثله بذلك وقد جاء في المسند عن بعض الصحابة أنه قال: يا رسول الله إني لأذبح الشاة وأنا أرحمها فقال ولك في ذلك أجر. وقوله تعالى وليشهد وقوله تعالى إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر أي فافعلوا ذلك وأقيموا الحدود على من زني وشددوا عليه الضرب ولكن ليس مبرحا ليرتدع هو ومن تأخذكم بهما رأفة في دين الله قال: يا بني ورأيتني أخذتني بها رأفة إن الله لم يأمرني أن أقتلها ولا أن أجعل جلدها في رأسها وقد أوجعت حين ضربتها. عن نافع عن ابن عمرو عن ابن أبي مليكة عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر أن جارية لابن عمر زنت فضرب رجلها قال نافع: أراه قال ظهرها قال قلت ولا الله فقلت: هذا في الحكم قال: هذا في الحكم والجلد يعني في إقامة الحد وفي شدة الضرب وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو بن عبد الله الأودي حدثنا وكيع ضرب ليس بالمبرح وقال سعيد بن أبي عروبة عن حماد بن أبي سليمان: يجلد القاذف وعليه ثيابه والزاني تخلع ثيابه ثم تلا ولا تأخذكم بهما رأفة في دين شدة الضرب الزاجر عن المأثم وليس المراد الضرب المبرح. قال عامر الشعبي ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله قال: رحمة في شدة الضرب وقال عطاء:



## تفسير ابن كثير

الآخر: لحد يقام في الأرض خير لأهلها من أن يمتطروا أربعين صباحا وقيل المراد ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله فلا تقيموا الحد كما ينبغي من ولا تعطل وكذا روي عن سعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح وقد جاء في الحديث: تعافوا الحدود فيما بينكم فما بلغني من حد فقد وجب وفي الحديث هي الرأفة التي تحمل الحاكم على ترك الحد فلا يجوز ذلك قال مجاهد: ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله قال: إقامة الحدود إذا رفعت إلي السلطان فتقام وقوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله أي لا تأفوا بهما في شرع الله وليس المنهي عنه الرأفة الطبيعية على ترك الحد وإنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة والرجم. صلى الله عليه وسلم وقد روى الإمام أحمد وأهل السنن الأربعة ومسلم من حديث قتادة عن الحسن بن حطان بن عبد الله الرقاشي عن عباد بن الصامت قال: أبي طالب أنه لما أتى بسراجة وكانت قد زنت وهي محصنة فجلبها يوم الخميس ورجمها يوم الجمعة فقال: جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله رحمة الله وذهب الإمام أحمد رحمه الله إلى أنه يجب أن يجمع على الزاني المحصن بين الجلد للآية والرجم للسنة كما روي عن أمير المؤمنين علي بن المتعاضدة المتعددة الطرق والألفاظ بالاقتصار على رجمهم وليس فيها ذكر الجلد ولهذا كان هذا مذهب جمهور العلماء وإليه ذهب أبو حنيفة ومالك والشافعي الله صلى الله عليه وسلم ماعزا والغامدية وكل هؤلاء لم ينقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه جلدهم قبل الرجم وإنما وردت الأحاديث الصحيحة حكمها معمولا به والله أعلم. وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجم هذه المرأة وهي زوجة الرجل الذي استأجر الأجير لما زنت مع الأجير ورجم رسول قتادة عن يونس بن جبير عن كثير بن الصلت عن زيد بن ثابت به وهذه طرق كلها متعددة متعاضدة ودالة على أن آية الرجم كانت مكتوبة فنسخ تلاوتها وبقي الرجم فقال يا رسول الله اكتب لي آية الرجم قال لا أستطيع الآن هذا أو نحو ذلك. وقد رواه النسائي من حديث محمد بن المثني عن غندر عن شعبة عن قال ذكرنا ذلك وفيما عمر بن الخطاب فقال أنا أشفيكم من ذلك قال قلنا فكيف؟ قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال فذكر كذا وكذا وذكر عن كثير بن الصلت قال كنا عند مروان وفيما زيد فقال زيد بن ثابت كنا نقرأ: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة قال مروان ألا كتبتها في المصحف؟ صحيح وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري حدثنا يزيد بن زريع حدثنا أبو عون عن محمد بن سيرين قال ابن عمر: نبئت أيضا عن يحيى الأنصاري عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم الحديث رواه الترمذي من حديث سعيد بن عمرو وقال عليه وسلم قد رجم ورجمنا بعده ألا إنه سيكون قوم من بعدكم يكذبون بالرجم وبالشفاعة وبعباد القبر ويقوم يخرجون من النار بعدما امتحشوا. وروى أحمد إن عمر زاد في كتاب الله ما ليس فيه لكتبت في ناحية من المصحف وشهد عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف وفلان وفلان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رجم ورجمنا بعده ولولا أن يقول قائلون من حديث عبيد الله بن عبد الله به وقد روى الإمام أحمد أيضا عن هشيم عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال خطب عمر بن الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده ولولا أن يقول قائل أو يتكلم متكلم أن عمر زاد في كتاب الله ما ليس منه لأثبتها كما نزلت به. وأخرجه النسائي ابن عباس حدثني عبد الرحمن بن عوف أن عمر بن الخطاب خطب الناس فسمعتة يقول: ألا وإن ناسا يقولون ما الرجم في كتاب الله وإنما فيه الجلد وقد رجم أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك مطولا وهذه قطعة منه فيها مقصودنا ههنا. وروى الإمام أحمد عن هشيم عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن كتاب الله فيضلوا بترك فريضة قد أنزلها الله فالرجم في كتاب الله حق على من زني إذا أحسن من الرجال ومن النساء إذا قامت البينة أو الحيل أو الاعتراف. عليه آية الرجم فقرأناها ووعيناها ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فأخشي أن يطول بالناس زمان أن يقول قائل لا نجد آية الرجم في أخبره أن عمر قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد أيها الناس فإن الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان فيما أنزل قد وطئ في نكاح صحيح وهو حر بالغ عاقل فإنه يرجم كما قال الإمام مالك حدثني ابن شهاب أخبرنا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن ابن عباس هذا فإن اعترفت فارجمها فغدا عليها فاعترفت فرجمها. وفي هذا دلالة على تغريب الزاني مع جلد مائة إذا كان بكرا لم يتزوج فأما إذا كان محصنا وهو الذي والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله تعالى الوليدة والغنم رد عليك وعلى ابنك مائة جلدة وتغريب عام. واغد يا أنيس لرجل من أسلم إلى امرأة ابني منه بمائة شاة ووليدة فسألت أهل العلم فأخبروني أن على ابني جلد مائة وتغريب عام وأن على امرأه هذا: الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الأعرابيين الذين أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما: يا رسول الله إن ابني هذا كان عسيفا يعني أجيورا على هذا فزني بامرأته فافتديت يغرب وحجة الجمهور في ذلك ما ثبت في الصحيحين من رواية الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني في ويزاد على ذلك أن يغرب عاما عن بلده عند جمهور العلماء خلافا لأبي حنيفة رحمه الله فإن عنده أن التغريب إلى رأي الإمام إن شاء غرب وإن شاء لم يكون بكرا وهو الذي لم يتزوج أو محصنا وهو الذي قد وطئ في نكاح صحيح وهو حر بالغ عاقل فأما إذا كان بكرا لم يتزوج فإن حده مائة جلدة كما في الآية الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة يعني هذه الآية الكريمة فيها حكم الزاني في الحد وللعلماء فيه تفصيل ونزاع فإن الزاني لا يخلو إما أن ثم قال تعالى:

أي لولا هذا لكان أمر آخر ولكنه تعالى رءوف بعباده رحيم بهم فتأب على من تاب إليه من هذه القضية وظهر من طهر منهم بالحد الذي أقيم عليهم. 20

من خلقه ويضل من يشاء ويرديه في مهالك الضلال والغى وقوله والله سميع أي سميع لأقوال عباده عليم بمن يستحق منهم الهدى والضلال. 21 إليه ويزكي النفوس من شركها وفجورها ودينها وما فيها من أخلاق رديئة كل بحسبه لما حصل أحد لنفسه زكاة ولا خيرا ولكن الله يزيكي من يشاء أي وأتيت عاصم بن عمر فقال مثل ذلك. ثم قال تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا أي لولا هو يرزق من يشاء التوبة والرجوع

## تفسير ابن كثير

مملوك لها حر إن لم تطلق امرأتك فأنت عبد الله بن عمر فقال: إنما هذه من نزغات الشيطان وكذلك قالت زينب بنت أم سلمة وهي يومئذ أفقه امرأه بالمدينة حسان بن عبد الله المصري حدثنا السري بن يحيى عن سليمان التيمي عن أبي رافع قال: غضبت على امرأتي فقالت هي يوما يهودية ويوما نصرانية وكل نزعات الشيطان كفر عن يمينك وكل وقال الشعبي في رجل نذر ذبح ولده هذا من نزغات الشيطان وأفتاه أن يذبح كبشا وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا الشيطان وقال أبو مجلز: النذور في المعاصي من خطوات الشيطان وقال مسروق: سألت رجل ابن مسعود فقال: إني حرمت أن أكل طعاما وسماه فقال: هذا من وأبلغها وأوجزها وأحسنها قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس خطوات الشيطان عمله وقال عكرمة: نزغاته وقال قتادة: كل معصية فهي من خطوات خطوات الشيطان يعني طرائقه ومسالكه وما يأمر به ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر هذا تنفير وتحذير من ذلك بأفصح عبارة يصله من النفقة وقال: والله لا أنزعها منه أبدا في مقابلة ما كان قال: والله لا أنفعه بنافعة أبدا. فلهذا كان الصديق هو الصديق رضي الله عنه وعن بنته. 22 فكما تغفر ذنب من أذنب إليك يغفر الله لك وكما تصفح يصفح عنك فعند ذلك قال الصديق: بلى والله إنا نحب أن تغفر لنا يا ربنا ثم رجع إلى مسطح ما كان عنه معروفا بالمعروف له الفضل والأيادي على الأقارب والأجانب فلما نزلت هذه الآية إلى قوله ألا تحبون أن يغفر الله لكم الآية فإن الجزء من جنس العمل مال له إلا ما ينفع عليه أبو بكر رضي الله عنه وكان من المهاجرين في سبيل الله وقد زلق زلقة تاب الله عليه منها وضرب الحد عليها. وكان الصديق رضي الله على من أقيم عليه شرع تبارك وتعالى وله الفضل والمنة يعطف الصديق على قريبه ونسيبه وهو مسطح بن أثانة فإنه كان ابن خاله الصديق وكان مسكينا لا كما تقدم في الحديث فلما أنزل الله براءة أم المؤمنين عائشة وطابت النفوس المؤمنة واستقرت وتاب الله على من كان تكلم من المؤمنين في ذلك وأقيم الحد ولطفه بخلقه مع ظلمهم لأنفسهم وهذه الآية نزلت في الصديق رضي الله عنه حين حلف أن لا ينفع مسطح بن أثانة بنافعة أبدا بعدما قال في عائشة ما قال وهذا في غاية الترفق والعطف على صلة الأرحام ولهذا قال تعالى وليعفوا وليصفحوا أي عما تقدم منهم من الإساءة والأذى. وهذا من حلمه تعالى وكرمه والإحسان والسعة أي الجدة أن يؤثروا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله أي لا تحلفوا أن لا تصلوا قراباتكم المساكين والمهاجرين يقول تعالى ولا يأتل من الألية وهي الحلف أي لا يحلف أولو الفضل منكم أي الطول والصدقة

موسي بن أعين عن ليث عن أبي إسحاق عن صلة بن زفر عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قذف المحصنة يهدم عمل مائة سنة. 23 الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عمر أبي خالد الطائي المحرمي حدثني أبي وحدثنا أبو شعيب الحراني حدثنا جدي أحمد بن أبي شعيب حدثني إلا بالحق. وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات أخرجه في الصحيحين من حديث سليمان بن بلال به وقال هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل وما هن يا رسول الله؟ قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله ويعضد العموم ما رواه ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عبد الرحمن ابن أخي وهب حدثني عمي حدثنا سليمان بن بلال عن ثور بن زيد عن أبي الغيث عن أبي هذا في عائشة ومن صنع مثل هذا أيضا اليوم في المسلمات فله ما قال الله تعالى ولكن عائشة كانت أما في ذلك. وقد اختار ابن جرير عمومها وهو الصحيح من حسن ما فسر به سورة النور فقوله وهي مبهمة أي عامة في تحريم قذف كل محصنة ولعنته في الدنيا والآخرة وهكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم إلى قوله إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا الآية قال فجعل لهؤلاء توبة ولم يجعل لمن قذف أولئك توبة قال فهم بعض القوم أن يقوم إليه فيقبل رأسه الآية قال في شأن عائشة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم وهي مبهمة وليست لهم توبة ثم قرأ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء أخبرنا العوام بن حوشب عن شيخ من بني أسد عن ابن عباس قال فسر سورة النور فلما أتت على هذه الآية إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات شهداء إلى قوله فإن الله غفور رحيم فأنزل الله الجلد والتوبة فالتوبة تقبل والشهادة ترد. وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا هشيم الله لهم اللعنة والغضب وباءوا بسخط من الله فكان ذلك في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ثم نزل بعد ذلك والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة العوفي عن ابن عباس في الآية إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات الآية يعني أزواج النبي صلى الله عليه وسلم رماهن أهل النفاق فأوجب ولعله مراد ابن عباس ومن قال كقوله والله أعلم. وقال الضحاك وأبو الجوزاء وسلمة ابن نبيط: المراد بها أزواج النبي خاصة دون غيرهن من النساء وقال مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم هكذا أورده وليس فيه أن الحكم خاص بها وإنما فيه أنها سبب النزول دون غيرها وإن كان الحكم يعمها كغيرها جالسا يمسح على وجهه وقال يا عائشة أبشري قالت فقلت بحمد الله لا بحمدك فقرا إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات حتى بلغ أولئك فبلغني بعد ذلك قالت فبينما رسول الله جالس عندي إذ أوحى إليه قالت وكان إذا أوحى إليه أخذه كهينة السبات وإنه أوحى إليه وهو جالس عندي ثم استوي عن عائشة فقال حدثنا أحمد بن عمدة الضبي حدثنا أبو عوانة عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: رميت بما رميت به وأنا غافلة عباس في الآية إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات قال نزلت في عائشة خاصة وكذا قال سعيد بن جبير ومقاتل بن حيان. وقد ذكره ابن جرير ذهب بعضهم إلى أنها خاصة بعائشة رضي الله عنها فقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عبد الله بن حراش عن العوام عن سعيد بن جبير عن ابن بقرية أمهات المؤمنين قولان: أحصهما أنهن كهي والله أعلم وقوله تعالى لعنوا في الدنيا والآخرة. الآية كقوله إن الذين يؤذون الله ورسوله الآية. وقد الله عنهما غوقد أجمع العلماء رحمهم الله قاطبة على أن من سبها بعد هذا ورماها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية فإنه كافر لأنه معاند للقرآن وفي المؤمنين خرج مخرج الغالب فأمهات المؤمنين أولى بالدخول في هذا من كل محصنة ولا سيما التي كانت سبب النزول وهي عائشة بنت الصديق رضي هذا وعيد من الله تعالى للذين يرمون المحصنات الغافلات

سرك وعلايتك فإنه لا يخفي عنه خافية والظلمة عنده ضوء والسر عنده علانية فمن استطاع أن يموت وهو بالله حسن الظن فليفعل ولا قوة إلا بالله. 24

## تفسير ابن كثير

عن سفيان الثوري غير الأشجعي وهو حديث غريب والله أعلم هكذا قال وقال قتادة بن آدم: والله إن عليك لشهودا غير متهمة من بذلك فراقهم واتفق الله في وقد رواه مسلم والنسائي جميعا عن أبي بكر ابن أبي النضر عن أبيه عن عبد الله الأشجعي عن سفيان الثوري به ثم قال النسائي لا أعلم أحداً روى هذا الحديث شهيدا وبالكرام عليك شهودا فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقي فتنتطق بعمله ثم يخلي بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنك كنت أناضل ورسوله أعلم قال من مجادلة العبد لربه يقول يا رب ألم تجرني من الظلم؟ فيقول بلى فيقول لا أجيز علي إلا شاهدا من نفسي فيقول كفي بنفسك اليوم عليك بن عمرو الفقيمي عن الشعبي عن أنس بن مالك قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بدت نواجذه ثم قال: أتدرون مم أضحك؟ قلنا الله حدثنا أبو شيبه إبراهيم عن عبد الله بن أبي شيبه الكوفي حدثنا منجاب بن الحارث التميمي حدثنا أبو عامر الأسدي حدثنا سفيان بن عبيد المكتب عن فضيل كذبوا فيقال أهلك وعشيرتك فيقول كذبوا فيقال احلفوا فيحلفون ثم يصمهم الله فتشهد عليه أيديهم وألستهم ثم يدخلهم النار وقال ابن أبي حاتم أيضا عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم ع قال إذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله فيجحد ويخاصم فيقال هؤلاء جيرانك يشهدون عليك فيقول ولا يكتمون الله حديثا وروى ابن أبي حاتم وابن جرير أيضا حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عباس قال: إنهم يعني المشركين إذا رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا أهل الصلاة قالوا تعالوا حتى نجحد فيجحدون فيختم على أفواههم وتشهد أيديهم وأرجلهم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو يحيى الرازي عن عمرو بن أبي قيس عن مطرف عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن

أبي بن كعب: يومئذ يوفيه الله دينهم الحق. وقوله ويعلمون أن الله هو الحق المبين أي وعده ووعدته وحسابه هو العدل الذي لا جوز فيه. 25 حسابهم وكذا قال غير واحد ثم إن قراءة الجمهور بنصب الحق على أنه صفة لدينهم وقرأ مجاهد بالرفع على أنه نعت الجلالة وقرأها بعض السلف في مصحف قال ابن عباس دينهم أي حسابهم وكل ما في القرآن دينهم أي

فقال اجز لي شاة فقال اذهب فخذ بأذن أيها شئت فذهب فأخذ بأذن كلب الغنم وفي الحديث الآخر الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها أخذها. 26 للطيبات الآية ويشبه هذا ما رواه الإمام أحمد في المسند مرفوعا مثل الذي يسمع الحكمة ثم لا يحدث إلا بشر ما سمع كمثل رجل جاء إلى صاحب غنم ما تستقر حتى يلفظها فيسمعها الرجل الذي عنده يتلها فيضمرها إليه ثم قرأ عبد الله الخبيثات والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون الطيبة تتجلجل في صدره ما يستقر حتى يلفظها فيسمعها الرجل عنده يتلها فيضمرها إليه وإن الرجل الفاجر يكون في قلبه الكلمة الخبيثة تتجلجل في صدره بن الجزار قال: جاء أسير بن جابر إلى عبد الله فقال لقد سمعت الوليد بن عقبة تكلم اليوم بكلام أعجبني فقال عبد الله: إن الرجل المؤمن يكون في قلبه الكلمة وسلم في الجنة قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن مسلم حدثنا أبو نعيم حدثنا عبد السلام بن حرب عن يزيد بن عبد الرحمن عن الحكم بإسناده إلى يحيى والعدوان لهم مغفرة أي بسبب ما قيل فيهم من الكذب ورزق كريم أي عند الله في جنات النعيم وفيه وعد بأن تكون زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله من كل طيب من البشر ولو كانت خبيثة لما صلت له لا شرعا ولا قدرا ولهذا قال تعالى أولئك مبرءون مما يقولون أي هم بعداء عما يقوله أهل الإفك للطيبات من النساء وهذا أيضا يرجع إلى ما قاله أولئك باللازم أي ما كان الله ليجعل عائشة زوجة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا وهي طيبة لأنه أطيّب بن أسلم: الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء والطيبات من النساء للطيبين من الرجال والطيّبون من الرجال فما نسب أهل النفاق إلى عائشة من كلام هم أولى به وهي أولى بالبراءة والنزاهة منهم ولهذا قال تعالى أولئك مبرءون مما يقولون وقال عبد الرحمن بن زيد البصري وحبيب بن أبي ثابت والضحاك واختاره ابن جرير ووجهه بأن الكلام القبيح أولى بأهل القبح من الناس والكلام الطيب أولى بالطيبين من الناس من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من القول قال ونزلت في عائشة وأهل الإفك وهكذا روي عن مجاهد وعطاء وسعيد بن جبير والشعبي والحسن قال ابن عباس: الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول. والطيبات من القول للطيبين

قاله مقاتل حسن ولهذا قال تعالى ذلكم خير لكم يعني الاستئذان خير لكم بمعنى هو خير من الطرفين للمستأذن ولأهل البيت لعلكم تذكرون. 27 وجعله نقيًا نزهًا من الدنس والقذر والدرن فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها الآية وهذا الذي أحدهم ينطلق إلى صاحبه فلا يستأذن حتى يقتحم ويقول قد دخلت ونحو ذلك فيشق ذلك على الرجل ولعله يكون مع أهله فغير الله ذلك كله في ستر وعفة تستأنسوا وتسلموا على أهلها كان الرجل في الجاهلية إذا لقي صاحبه لا يسلم عليه ويقول حييت صباحا وحييت مساء وكان ذلك تحية القوم بينهم وكان قوم ردوك عن بابهم فإن للناس حاجات ولهم أشغال والله أولى بالعدر. وقال مقاتل بن حيان في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى ثلاثا فمن لم يؤذن له منهم فليرجع أما الأولى فليسمع الحي وأما الثانية فليأخذوا حذرهم وأما الثالثة فإن شاءوا أذنوا وإن شاءوا ردوا ولا تقفن على باب ؟ قال: يتكلم الرجل بتسبيحة أو تكبيرة أو تحميدة ويتنحج فيؤذن أهل البيت هذا حديث غريب وقال قتادة في قوله: حتى تستأنسوا هو الاستئذان شيبه حدثنا عبد الرحمن بن سليمان عن واصل بن السائب حدثني أبو ثورة ابن أخي أبي أيوب عن أبي أيوب قال: قلت يا رسول الله هذا السلام فما الاستئناس بظاهرها وقال انتظروا حتى ندخل عشاء يعني آخر النهار حتى تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو بكر بن أبي الله عليه وسلم أنه نهي أن يطرق الرجل أهله طروقا وفي رواية ليلًا يتخونهم وفي الحديث الآخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة نهارا فأناب تنخموا. وعن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أنه قال: إذا دخل الرجل بيته استحب له أن يتنحج أو يحرك نعليه ولهذا جاء في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة قال كان عبد الله إذا دخل الدار استأنس تكلم ورفع صوته وقال مجاهد: حتى تستأنسوا قال: تنحنوا أو فانتهى إلى الباب تنحج وبزق كراهة أن يهجم منا علي أمر يكرهه إسناده صحيح. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا عبد الله بن نمير

## تفسير ابن كثير

عن عمرو بن مرة عن يحيى بن اجزار عن ابن أخي زينب امرأة عبدالله بن مسعود عن زينب رضي الله عنها قالت: كان عبدالله إذا جاء من حاجة ولا يفاجئها به لاحتمال أن تكون على هيئة لا تحب أن يراها عليها. وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا محمد بحازم بن الأعمش يقول عليكم الإذن علي أمهاتكم وقال ابن جريج قلت لعطاء أستاذ الرجل على امرأته قال لا وهذا محمول علي عدم الوجوب وإلا فالأولى أن يعلمها بدخوله أكره إلى أن أرى عورتها من ذات محرم قال: وكان يشدد في ذلك وقال ابن جريج عن الزهري سمعت هزيل بن شرحبيل الأودي الأعمي أنه سمع ابن مسعود قال: فاستأذن قال فراجعته أيضا فقال: أتحب أن تطيع الله؟ قال قلت نعم قال فاستأذن. قال ابن جريج وأخبرني ابن. طائوس عن أبيه قال: ما من امرأة الناس قال قلت: أستاذ علي أخواتي أيتام في حجرني معي في بيت واحد؟ قال: نعم فرددت عليه ليرخص لي فأبى فقال: تحب أن تراها عريانه؟ قلت عنه قال: ثلاث آيات جردهن الناس. قال الله تعالى: إن أكرمكم عند الله أتقاكم قال ويقولون: إن أكرمهم عند الله أعظمهم بيتا قال: والأدب كله قد جرده من أهلي وأنا علي تلك الحال. قال فنزلت يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا الآية وقال ابن جريج سمعت عطاء بن أبي رباح يخبر عن ابن عباس رضي الله عنهما عن امرأة من الأنصار قالت: يا رسول الله إني أكون في منزلي على الحال التي لا أحب أن يراني أحد عليها لا والد ولا ولد وإنه لا يزال يدخل علي رجل على أهلها الآية. وقال هشيم أخبرنا أشعث بن سوار عن كردوس عن ابن مسعود قال: عليكم أن تستأذنوا على أمهاتكم وأخواتكم وقال أشعث عن عدي فقالت لا قلن لصاحبتكن تستأذن فقالت السلام عليكم أئدخ؟ قالت: ادخلوا ثم قالت: يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتي تستأذنوا وتسلموا حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو نعيم الأحول حدثني خالد بن إياس حدثني جدتي أم إياس قالت: كنت في أربع نسوة تستأذن على عائشة فقلن ندخل؟ فسطاط امرأة من قريش فقال السلام عليكم أئدخ؟ قالت: ادخل بسلام فأعاد فأعادت وهو يراوح بين قدميه قال قولي ادخل قالت ادخل فدخل. ولابن أبي عنبسة ضعيف الحديث ذاهب ومحمد بن زاذان في إسناده نكارة وضعف وقال هشيم قال مغيرة قال مجاهد جاء ابن عمر من حاجة وقد أذاه الرضاء فأتي بن عبد الرحمن عن محمد بن زاذان عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام قبل الكلام ثم قال الترمذي: السلام عليكم أئدخ؟ فسمعه الرجل فقال: السلام عليكم أئدخ؟ فقال ادخل. وقال الترمذي حدثنا الفضل بن الصباح حدثنا سعيد بن زكريا عن عنبسة الله عليه وسلم فقال أئج أو أئلج؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأمة له يقال لها روضة قومي إلى هذا فعلميه فإنه لا يحسن يستأذن فقول له يقول صلى الله عليه وسلم فدخل. وقال هشيم أخبرنا منصور عن ابن سيرين وأخبرنا يونس بن عبيد عن عمرو بن سعيد الثقفي أن رجلا استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم لخادمه أخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان فقل له: قل السلام عليكم أئدخ؟ فسمعه الرجل فقال: السلام عليكم أئدخ؟ فأذن له النبي شعبة حدثنا أبو الأحوص عن منصور عن ربعي قال أتني رجل من بني عامر استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيته فقال أئج؟ فقال النبي صفوان ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث ابن جريج به وقال الترمذي حسن غريب لا نعرفه إلا من حديثه وروى أبو داود حدثنا أبو بكر بن أبي الوادي قال فدخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ولم أسلم ولم أسأذن. فقال صلى الله عليه وسلم ارجع فقل السلام عليكم أئدخ وذلك بعدما أسلم سفيان أن عمرو بن أبي صفوان أخبره أن كعدة بن الحنبل أخبره أن صفوان بن أمية بعثه في الفتح بلبا وجدة وضغابيس والنبي صلى الله عليه وسلم بأعلى تسلموا على أهلها وتستأذنوا وهذا أيضا رواية عن ابن عباس وهو اختيار ابن جرير وقد قال الإمام أحمد حدثنا روح حدثنا ابن جريج أخبرني عمرو بن أبي وكان يقرأ على قراءة أبي بن كعب رضي الله عنه. وهذا غريب جدا عن ابن عباس وقال هشيم أخبرنا مغيرة عن إبراهيم قال في مصحف ابن مسعود حتى تستأذنوا وتسلموا وهكذا رواه هشيم عن أبي بشر وهو جعفر بن إياس عن سعيد عن ابن عباس بمثله وزاد وكان ابن عباس يقرأ حتى تستأذنوا وتسلموا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في هذه الآية لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتي تستأذنوا وتسلموا قال إنما هي خطأ من الكتاب حتى المأمور به في الآية وقال العوفي عن ابن عباس الاستئناس الاستئذان وكذا قال غير واحد وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا لا يعرف صاحبها حتى يفصح باسمه أو كنيته التي هو مشهور بها وإلا فكل أحد يعبر عن نفسه بأنما فلا يحصل بها المقصود من الاستئذان الذي هو الاستئناس قال أنيت النبي صلى الله عليه وسلم في دين كان على أبي فدقت الباب فقال من ذا؟ فقلت أنا قال أنا أنا؟ كأنه كرهه وإنما كره ذلك لأن هذه اللفظة قال لو أن امرأ أطلع عليك بغير إذن فخذه بحصاة ففقت عينه ما كان عليك من جناح وأخرج الجماعة من حديث شعبة عن محمد بن المنكدر عن جابر عن طلحة بن مصرف عن رجل عن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم رواه أبو داود من حديثه وفي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه الباب فقال له النبي صلى الله عليه وسلم هكذا عنك أو هكذا فإنما الاستئذان من النظر وقد رواه أبو داود الطيالسي عن سفيان الثوري عن الأعمش عن الأعمش عن طلحة عن هزيل قال جاء رجل قال عثمان: سعد فوقف على باب النبي صلى الله عليه وسلم يستأذن فقام على الباب قال عثمان مستقبل عليها يومئذ ستور انفرد به أبو داود. وقال أبو داود أيضا حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير حينئذ قال أبو داود حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا حفص عليه وسلم إذا أتني باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر ويقول السلام عليكم السلام عليكم وذلك أن الدور لم يكن لما رواه أبو داود: حدثنا مؤمل بن الفضل الحراني في آخرين قالوا حدثنا بقية حدثنا محمد بن عبد الرحمن عن عبدالله بن بشر قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر فهو حديث جيد قوي والله أعلم. ثم ليعلم أنه ينبغي للمستأذن على أهل المنزل أن لا يقف لتقاء الباب بوجهه ولكن ليكن الباب عن يمينه أو يساره الله عليه وسلم قال قيس: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب فأبيت فقال إما أن تركب وإما أن تنصرف قال فانصرفت وقد روي هذا من الطعام فلما أراد الانصراف قرب إليه سعد حمارا قد وطئ عليه بقطيفة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سعد: يا قيس اصحب رسول الله صلى رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وهو يقول: اللهم اجعل صلاتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة قال ثم أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

## تفسير ابن كثير

علينا من السلام قال فانصرف معه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر له سعد بغسل فاغتسل ثم ناوله خميصة مصبوغة بزعفران أو ورس فاشتمل بها ثم السلام عليكم ورحمة الله ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعه سعد فقال: يا رسول الله إني كنت أسمع تسليماً وأرد عليك رداً خفياً لتكثر دعه يكثر علينا من السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليكم ورحمة الله فرد سعد رداً خفياً ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله صلى الله عليه وسلم في منزلنا فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد سعد رداً خفياً قال قيس: فقلت ألا تأذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال حديث أبي عمرو الأوزاعي سمعت يحيى بن أبي كثير يقول: حدثني محمد بن عبد الرحمن ابن سعد بن زرارة عن قيس بن سعد هو ابن عبادة قال: زارنا رسول البيت فقرب إليه زبيب فأكل نبي الله فلما فرغ قال أكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة وأفطر عندكم الصائمون وقد روى أبو داود والنسائي من سعد فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما سلمت تسليمة إلا وهى بأذني ولقد رددت عليك ولم أسمعك وأردت أن أستكثر من سلامك ومن البركة ثم أدخله سعد: وعليك السلام ورحمة الله ولم يسمع النبي صلى الله عليه وسلم حتى سلم ثلاثاً ورد عليه سعد ثلاثاً ولم يسمعه فرجع النبي صلى الله عليه وسلم فاتبعه أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا عمر عن ثابت عن أنس أو غيره أن النبي صلى الله عليه وسلم استأذن على سعد بن عبادة فقال السلام عليكم ورحمة الله فقال ما من الأنصار فذكر لهم ما قال عمر فقالوا: لا يشهد لك إلا أصغرنا فقام معه أبو سعيد الخدري فأخبر عمر بذلك فقال: ألهاني عنه الصفق بالسواق. وقال الإمام سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليصرف فقال عمر: لتأتيني على هذا بينة وإلا أوجعتك صرباً فذهب إلى ألم أسمع صوت عبد الله ابن قيس يستأذن؟ أئذنوا له فطلبوه فوجودة قد ذهب فلما جاء بعد ذلك قال: ما أرجعك؟ قال: إني استأذنت ثلاثاً فلم يؤذن لي وإني بعده وينبغي أن يستأذن ثلاث مرات فإن أذن له وإلا انصرف كما ثبت في الصحيح أن أبا موسى حين استأذن على عمر ثلاثاً فلم يؤذن له انصرف ثم قال عمر: هذه آداب شرعية أدب الله بها عباده المؤمنين وذلك في استئذان أمرهم أن لا يدخلوا بيوتا غير بيوتهم حتى يستأنسوا أي يستأذنوا قبل الدخول ويسلموا فأرجع وأنا مغتبط وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أذكى لكم والله بما تعملون عليم وقال سعيد بن جبير في الآية: أى لا تقفوا على أبواب الناس. 28 وأظهر والله بما تعلمون عليم وقال قتادة: قال بعض المهاجرين لقد طلبت عمري كله هذه الآية فما أدركتها أن استأذن على بعض إخواني فيقول لي ارجع وإن شاء لم يأذن وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أذكى لكم أي إذا ردوكم من الباب قبل الإذن أو بعده فارجعوا هو أذكى لكم أي رجوعكم أذكى لكم وذلك لما فيه من التصرف في ملك الغير بغير إذنه فإن شاء أذن

ومنازل الأسفار وبيوت مكة وغير ذلك واختار ذلك ابن جرير وحكاه عن جماعة والأول أظهر والله أعلم وقال مالك عن زيد بن أسلم هي بيوت الشعر. 29 فقال تعالى ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونه فيها متاع لكم وكذا روي عن عكرمة والحسن البصري وقال آخرون: هي بيوت التجار كالخانات كان له متاع فيها بغير إذن كالبيت المعد للضيف إذا أذن له فيه أول مرة كفى. قال ابن جريج قال ابن عباس: لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم ثم نسخ واستثنى الآية الكريمة أخص من التي قبلها وذلك أنها تقتضي جواز الدخول إلى البيوت التي ليس فيها أحد إذا

رواه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الناسخ والمنسوخ له عن سعيد بن المسيب ونص على ذلك أيضاً الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي. 3 زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك قال كان يقال نسختها التي بعدها وأنكحوا الأياامي منكم قال كان يقال الأياامي من المسلمين وهكذا أن هذه الآية منسوخة قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال ذكر عنده الزاني لا ينكح إلا أتزوجها فقال أناس: إن الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة. فقال ابن عباس ليس هذا في هذا أنكحها فما كان من إثم فعلي. وقد ادعى طائفة آخرون من العلماء رضي الله عنه قال سمعت ابن عباس وسأله رجل فقال له إني كنت ألم بامرأة آتت منها ما حرم الله عز وجل علي فزرقت الله عز وجل من ذلك توبة فأردت أن فإنه يحل التزويج كما قال الإمام أبو محمد بن أبي حاتم رحمه الله حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد عن ابن أبي ذئب قال سمعت شعبة مولى ابن عباس البقاء معها لأن محبته لها محقة ووقوع الفاحشة منها متوهم فلا يصار إلى الضرر العاجل لتوهم الآجل والله سبحانه وتعالى أعلم قالوا فأما إذا حصلت توبة ذلك ولكن لما كانت سجيته هكذا ليس فيها ممانعة ولا مخالفة لمن أرادها لو خلا بها أحد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بفراقها فلما ذكر أنه يحبها أباح له منها وأنها تفعل الفاحشة فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأذن في مصاحبة من هذه صفتها فإن زوجها والحالة هذه يكون ديوتاً وقد تقدم الوعيد على سننه عن بعضهم فقال: وقيل سخية تعطي ورد هذا بأنه لو كان المراد لقال لا ترد يد ملتصق وقيل: المراد إن سجيته لا ترد يد لأمس لا أن المراد أن هذا واقع ما بين مضعف له كما تقدم عن النسائي ومنكر كما قال الإمام أحمد: هو حديث منكر وقال ابن قتيبة: إنما أراد أنها سخية لا تمتنع سائلاً وحكاه النسائي في بن واقد عن عمارة بن أبي حفصة عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره وهذا الإسناد جيد. وقد اختلف الناس في هذا الحديث هذا خطأ والصواب مرسل. ورواه غير النضر على الصواب وقد رواه النسائي أيضاً وأبو داود عن الحسين بن حريث أخبرنا الفضل بن موسى أخبرنا الحسين بن سلمة عن هارون بن رباب عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن ابن عباس مسنداً فذكره بهذا الإسناد فرجاله على شرط مسلم إلا أن النسائي بعد روايته له قال: تابعي ثقة من رجال مسلم فحديثه المرسل أولى كما قال النسائي لكن قد رواه النسائي في كتاب الطلاق عن إسحاق بن راهوية عن النضر بن شميل عن حماد وهو ثقة وحديثه أولى بالصواب من حديث عبد الكريم قلت وهو ابن أبي المخارق البصري المؤدب تابعي ضعيف الحديث وقد خالفه هارون بن رباب وهو قال: طلقها قال: لا صبر لي عنها قال استمتع بها ثم قال النسائي هذا الحديث غير ثابت وعبد الكريم ليس بالقوي وهارون أثبت منه وقد أرسل الحديث رفعه إلى ابن عباس وهارون لم يرفعه قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن عندي امرأة من أحب الناس إلي وهي لا تمتنع يد لأمس ابن هارون عن حماد بن سلمة وغيره عن هارون بن رباب عن عبد الله بن عبيد بن عمير وعبد الكريم عن عبد الله ابن عبيد بن عمير عن ابن عباس عبد الكريم

## تفسير ابن كثير

القنزع وهو الذي لا غيره له فأما الحديث الذي رواه الإمام أبو عبد الرحمن النسائي في كتاب النكاح من سننه: أخبرنا محمد بن إسماعيل بن علية عن يزيد أن يلقى الله وهو طاهر متطهر فليتزوج الحرائر في إسناده ضعف. وقال الإمام أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري في كتابه الصحاح في اللغة: الديوث بن عمار حدثنا سلام بن سوار حدثنا كثير بن سليم عن الضحاك بن مزاحم سمعت أنس بن مالك يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من أراد بن عمار عن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يدخل الجنة ديوث يستشهد به لما قبله من الأحاديث وقال ابن ماجه حدثنا هشام مدمن الخمر والعاق لوالديه والذي يقر في أهله الخبث وقال أبو داود الطيالسي في مسنده حدثني شعبة حدثني رجل من آل سهل بن حنيف عن محمد عويمر بن الأجدع عن حدثنا عن سالم بن عبد الله بن عمر قال حدثني عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ثلاثة حرم الله عليهم الجنة يزيد بن زريع عن عمر بن محمد العمري عن عبد الله بن يسار به. وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا يعقوب حدثنا أبي حدثنا الوليد بن كثير عن قطن ابن وهب عن المتشبهة بالرجال والديوث. وثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه ومدمن الخمر والمنان بما أعطى ورواه النسائي عن عمرو بن علي الفلاس عن لسمعت سالما يقول: قال عبد الله: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يدخلون الجنة ولا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه والمرأة المترجلة الإمام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا عاصم بن محمد بن زيد ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن أخيه عمر بن محمد عن عبد الله بن يسار مولى ابن عمر قال: أشهد عليه وسلم لا ينكح الزاني المجلود إلا مثله وهكذا أخرجه أبو داود في سننه عن مسدد وأبي معمر عن عبد الله بن عمرو كلاهما عن عبد الوارث به. وقال مسدد أبو الحسن حدثنا عبد الوارث عن حبيب المعلم حدثني عمرو بن شعيب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نعرفه إلا من هذا الوجه وقد رواه أبو داود والنسائي في كتاب النكاح من سننهما من حديث عبيد الله بن الأحنس به وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي ذلك على المؤمنين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا مرثد: الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة فلا تنكحها ثم قال الترمذي هذا حديث حسن غريب مرتين؟ فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد علي شيئا حتى نزلت الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرمت إلى الإذخر ففككت عنه أحبله فجعلت أحمله ويعينني حتى أتيت به المدينة فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أنكح عناقا أنكح عناقا فيه فجاءوا حتى قاموا على رأسي فبالوا فظل بولهم على رأسي فأعماهم الله عني قال ثم رجعوا فرجعت إلى صاحبي فحملته وكان رجلا ثقيلا حتى انتهت الليلة. قال فقلت يا عناق حرم الله الزنا فقالت: يا أهل الخيام هذا الرجل يحمل أسراكم قال: فتبعتني ثمانية ودخلت الحديقة فانتهيت إلى غار أو كهف فدخلت في ليلة مقمرة قال: فجاءت عناق فأبصرت سواد ظل تحت الحائط فلما انتهيت إلى عرفتي فقالت: مرثد؟ فقلت: مرثد فقالت: مرحبا وأهلا هلم فبت عندنا قال وكانت امرأة بغية بمكة يقال لها عناق وكانت صديقة له وأنه واعد رجلا من أسارى مكة يحمله قال فجئت حتى انتهيت إلى ظل حائط من حوئط مكة بن الأحنس أخبرني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كان رجل يقال له مرثد بن أبي مرثد وكان رجلا يحمل الأسرى من مكة حتى يأتي بهم المدينة لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرمت ذلك على المؤمنين. قال الترمذي حدثنا عبد بن حميد حدثنا روح بن عباد عن عبيد الله ابن عمرو قال: كانت امرأة يقال لها أم مهزول وكانت تسافح فأراد رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوجها فأنزل الله عز وجل الزاني أو مشرك وحرمت ذلك على المؤمنين وقال النسائي أخبرنا عمرو بن عدي حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن الحضرمي عن القاسم بن محمد عن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ذكر له أمرها قال فقرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان بن عمرو أن رجلا من المؤمنين استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأة يقال لها أم مهزول كانت تسافح وتشتترط له أن تنفق عليه قال فاستأذن تعالى وحرمت ذلك على المؤمنين وقال الإمام أحمد حدثنا عارم حدثنا معتمر بن سليمان قال: قال أبي حدثنا الحضرمي عن القاسم بن محمد عن عبد الله كذلك حتى تستتاب فإن تابت صح العقد عليها وإلا فلا وكذلك لا يصح تزويج المرأة الحرة العفيفة بالرجل الفاجر المسافح حتى يتوب توبة صحيحة لقوله غير مسافحين ولا متخذي أخدان الآية ومن ههنا ذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله إلى أنه لا يصح العقد من الرجل العفيف على المرأة البغية ما دامت نكاح البغايا وتقدم ذلك فقال وحرمت ذلك على المؤمنين وهذه الآية كقوله تعالى محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان وقوله محصنين حصين عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس وحرمت ذلك على المؤمنين قال: حرم الله الزنا على المؤمنين وقال قتادة ومقاتل بن حيان: حرم الله على المؤمنين ذلك. وقوله تعالى وحرمت ذلك على المؤمنين أي تعاطيه والتزويج بالبغايا أو تزويج العفائف بالرجال الفجار. وقال أبو داود الطيالسي حدثنا قيس عن أبي عنه وقد روي عنه من غير وجه أيضا وقد روي عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة وعروة بن الزبير والضحاك ومكحول ومقاتل بن حيان وغير واحد نحو عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس: الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة قال ليس هذا بالنكاح إنما هو الجماع لا يزني بها إلا زان أو مشرك وهذا إسناد صحيح أو مشركة لا ترى حرمة ذلك وكذلك الزانية لا ينكحها إلا زان أي عاص بزناه أو مشرك لا يعتقد تحريره قال سفيان الثوري عن حبيب ابن أبي عمرة هذا خبر من الله تعالى بأن الزاني لا يبطأ إلا زانية أو مشركة أي لا يطاوعه على مراده من الزنا إلا زانية عاصية

كل عين باكية يوم القيامة إلا عينا غضت عن محارم الله وعينا سهرت في سبيل الله وعينا يخرج منها رأس الذباب من خشية الله عز وجل. 30 حدثنا عمر بن سهل المازني حدثني عمر بن محمد بن صهبان عن صفوان بن سليم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كثير من أئمة الصوفية في ذلك وحرمة طائفة من أهل العلم لما فيه من الافتتان وشدة آخرون في ذلك كثيرا جدا. وقال ابن أبي الدنيا حدثنا أبو سعيد المدني أو يكذبه رواه البخاري تعليقا ومسلم مسندا من وجه آخر بنحو ما ذكر. وقد قال كثير من السلف إنهم كانوا ينهاون أن يحد الرجل نظره إلى الأمرد وقد شدد ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق وزنا الأذنين الاستماع وزنا اليدين البطش وزنا الرجلين الخطى والنفس تمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك

## تفسیر ابن کثیر

الأعين وما تخفي الصدور وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كتب على ابن آدم حفظه من الزنا أدرك سهم من سهام إبليس مسموم من تركها مخافتي أبدلتها إيمانا يجد حلاوتها في قلبه وقوله تعالى إن الله خبير بما يصنعون كما قال تعالى يعلم خائنة هريم بن سفيان عن عبدالرحمن بن إسحاق عن القاسم بن عبدالرحمن عن أبيه عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن النظر أو لتكسفن وجوهكم وقال الطبراني: حدثنا أحمد بن زهير التستري قال: قرأنا على محمد بن حفص بن عمر الضرير المقرئ حدثنا يحيى بن أبي بكير حدثنا فيه وفي الطبراني من طريق عبيد الله بن يزيد عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة مرفوعا لتغضن أبصاركم ولتحفظن فروجكم ولتقيمن وجوهكم الله له عبادة يجد حلاوتها وروي هذا مرفوعا عن ابن عمر وحذيفة وعائشة رضي الله عنهم ولكن في أسانيدھا ضعف إلا أنها في الترغيب ومثله يتسامح الله بن زحر عن علي بن زيد عن القاسم عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة ثم يغض بصره إلا أخلف كما قيل من حفظ بصره أورثه الله نورا في بصيرته ويروى في قلبه. وروى الإمام أحمد حدثنا عتاب حدثنا عبدالله بن المبارك أخبرنا يحيى بن أيوب عن عبيد النظر إليه كما جاء في الحديث في مسند أحمد والسنن احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك ذلك أزكى لهم أي أظهر لقلوبهم واتقى لدينهم يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم وحفظ الفرج تارة يكون بمنعه من الزنا كما قال تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الآية وتارة يكون بحفظه من كما قال بعض السلف: النظر سهم سم إلى القلب. ولذلك أمر الله بحفظ الفروج كما أمر بحفظ الأبصار التي هي بواعث إلى ذلك فقال تعالي قل للمؤمنين ابن سيرين عن عبيدة قال: كل ما عصي الله به فهو كبيرة وقد ذكر الطرفين فقال قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ولما كان النظر داعية إلى فساد القلب أيديكم واحفظوا فروجكم. وفي صحيح البخاري من يكفل لي ما بين لحييه وما بين رجليه أكفل له الجنة وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن أيوب عن الله صلى الله عليه وسلم يقول: اكفوا لي بست أكفل لكم بالجنة إذا حدث أحدكم فلا يكذب وإذا أؤتمن فلا يخن وإذا وعد فلا يخلف وغضوا أبصاركم وكفوا ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال أبو القاسم البغوي حدثنا طالوت بن عباد حدثنا فضيل بن حسين سمعت أبا أمامة يقول سمعت رسول نتحدث فيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أبيتم فأعطوا الطريق حقه. قالوا وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: غض البصر وكف الأذى من حديثه وفي الصحيح عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إياكم والجلوس على الطرقات قالوا يا رسول الله لا بد لنا من مجالسنا الله صلى الله عليه وسلم لعلى يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليس لك الآخرة ورواه الترمذي من حديث شريك وقال: غريب لا نعرفه إلا جهة أخرى والله أعلم. وقال أبو داود حدثنا إسماعيل بن موسى الفزاري حدثنا شريك عن أبي ربيعة الأيادي عن عبدالله بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول من حديثه أيضا وقال الترمذي حسن صحيح وفي رواية لبعضهم فقال أطرق بصرک یعنی انظر إلى الأرض والصرف أعم فإنه قد يكون إلى الأرض وإلى صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجأة فأمرني أن أصرف بصري. وكذا رواه الامام أحمد عن هشيم عن يونس بن عبيد به ورواه أبو داود والترمذي والنسائي في صحيحه من حديث يونس بن عبيد عن عمرو بن سعيد عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن جده جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه قال: سألت النبي إلا إلى ما أباح لهم النظر إليه وأن يغضوا أبصارهم عن المحارم فإن اتفق أن وقع البصر على محرّم من غير قصد فليصرف بصره عنه سرّيعا كما رواه مسلم هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم عما حرم عليهم فلا ينظروا

كان عليه أهل الجاهلية من الأخلاق والصفات الرذيلة فإن الفلاح كل الفلاح في فعل ما أمر الله به ورسوله وترك ما نهى عنه والله تعالى هو المستعان. 31

لصوقها به. وقوله تعالى وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون أي افعلوا ما أمركم به من هذه الصفات الجميلة والأخلاق الجليلة واتركوا ما فقال رسول الله للنساء استأخرن فإنه ليس لكن أن تحتضن الطريق عليكن بحافات الطريق فكانت المرأة تلصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من حماس عن أبيه عن حمزة بن أبي أسيد الأنصاري عن أبيه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو خارج من المسجد وقد اختلط الرجل مع النساء في الطريق عن المشي في وسط الطريق لما فيه من التبرج. قال أبو داود حدثنا الثعلبي حدثنا عبد العزيز يعني ابن محمد عن ابن أبي اليمان عن شداد بن أبي عمرو بن عن ميمونه بنت سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الرافلة في الزينة في غير أهلها كمثل ظلمة يوم القيامة لا نور لها ومن ذلك أيضا أنهم ينهاين غسلها من الجنابة ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن سفیان هو ابن عيينة به. وروى الترمذي أيضا من حديث موسى بن عبيدة عن أيوب بن خالد نعم قال لها: تطيبيت؟ قالت نعم قال: إني سمعت حبي أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول لا يقبل الله صلاة امرأة طيبت لهذا المسجد حتى ترجع فتغسل الله عن عبيد مولى أبي رهم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لقيته امرأة شم منها ريح الطيب ولذيلها إعصار فقال يا أمية الجبار جئت من المسجد؟ قالت أبي هريرة وهذا حسن صحيح ورواه أبو داود والنسائي من حديث ثابت بن عماره به. وقال أبو داود حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان عن عاصم بن عبيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: كل عين زانية والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا يعني زانية وفي الباب عن الرجال طيبها فقد قال أبو عيسى الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا يحيى بن سعيد القطان عن ثابت بن عماره الحنفي عن غنيم بن قيس عن أبي موسى لتظهر ما هو خفي دخل في هذا النهي لقوله تعالى ولا يضرين بأرجلهن إلى آخره. ومن ذلك أنها تنتهي عن التعطر والتطيب عند خروجها من بيتها فيشم صامت لا يعلم صوته ضربت برجلها الأرض فيسمع الرجال طنينه فهي الله المؤمنات عن مثل ذلك وكذلك إذا كان شيء من زينتها مستورا فتحركت بحركة الله أفرأيت الحمو؟ قال: الحمو الموت وقوله تعالى ولا يضرين بأرجلهن الآية كانت المرأة في الجاهلية إذا كانت تمشي في الطريق وفي رجلها خلخال فلا يمكن من الدخول على النساء وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: إياكم والدخول على النساء قيل يا رسول فإذا كان الطفل صغيرا لا يفهم ذلك فلا بأس بدخوله على النساء فأما إن كان مراهاقا أو قريبا منه بحيث يعرف ذلك ويدريه ويفرق بين الشواء والحساء

## تفسير ابن كثير

الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء يعني لصغرهم لا يفهمون أحوال النساء وعوراتهن من كلامهم الرحيم وتعطفهن في المشية وحركاتهن وسكناتهن عليه وسلم ألا أرى هذا يعلم ما ههنا لا يدخلن عليكم هذا فحجبوه ورواه مسلم وأبو داود والنسائي من طريق عبد الرزاق به عن أم سلمة وقوله تعالى أو الإربة فدخل النبي صلى الله عليه وسلم وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امرأة فقال إنها إذا أقبلت أقبلت بأربع وإذا أدبرت أدبرت بثمان فقال النبي صلى الله عن الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رجل يدخل على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مخنث وكانوا يعدونه من غير أولي الله عليه وسلم فقال لأم سلمة: لا يدخلن هذا عليك أخرجاه في الصحيحين من حديث هشام ابن عروة. وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر أبي أمية يعني أخاها والمخنث يقول: يا عبدالله إن فتح الله عليكم الطائف غدا فعليك بابنة غيلان فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان قال فسمعه رسول الله صلى حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن زينب بنت أبي سلمه عن أم سلمة أنها قالت: دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندها مخنث وعندها عبد الله بن صلى الله عليه وسلم ألا أرى هذا يعلم ما ههنا لا يدخلن عليكم فأخرجه فكان بالبيداء يدخل يوم كل جمعة ليستطعم. وروى الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية يعدونه من غير أولي الإربة فدخل النبي صلى الله عليه وسلم وهو ينعت امرأة يقول إنها إذا أقبلت أقبلت بأربع وإذا أدبرت أدبرت بثمان فقال رسول الله وكذلك قال غير واحد من السلف وفي الصحيح من حديث الزهري عن عروة عن عائشة أن مخنثا كان يدخل على أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا وحوب ولا همة لهم إلى النساء ولا يشتهونهن. قال ابن عباس: هو المغفل الذي لا شهوة له. وقال مجاهد: هو الأبله وقال عكرمة: هو المخنث الذي لا يقوم ذكره داود عن مسدد عن سفيان به وقوله تعالى أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال يعني كالأجراء والأتباع الذين ليسوا بأكفاء وهم مع ذلك في عقولهم وله عيينة عن الزهري عن نبهان عن أم سلمة ذكرت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا كان لإحداكن مكاتب وكان له ما يؤدي فلتحتجب منه ورواه أبو ثم أعتقته ثم قد كان بعد ذلك كله برز مع معاوية أيام صفين وكان من أشد الناس على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وروى الإمام أحمد حدثنا سفيان بن ترجمة خديج الحمصي مولى معاوية أن عبدالله بن مسعدة الفزاري كان أسود شديد الأدمة وأنه قد كان النبي صلى الله عليه وسلم وهبه لابنته فاطمة فريته لم يبلغ رأسها فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ما تلقى قال: إنه ليس عليك بأس إنما هو أبوك وغلارك. وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في تاريخه في عن ثابت عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى فاطمة بعبد قد وهبه لها قال وعلى فاطمة ثوب إذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجلها وإذا غطت به رجلها وقال الأكثرون: بل يجوز لها أن تظهر على رقيقها من الرجال والنساء واستدلوا بالحديث الذي رواه أبو داود ثنا محمد بن عيسى حدثنا أبو جميع سالم بن دينار تعالى: أو ما ملكت أيمانهم قال ابن جرير: يعني من نساء المشركين فيجوز لها أن تظهر زينتها لها وإن كانت مشركة لأنها أمتها وإليه ذهب سعيد بن المسيب نسائهن اليهوديات والنصرانيات فهذا إن صح فمحمول على حال الضرورة أو أن ذلك من باب الامتهان ثم إنه ليس فيه كشف عورة ولا بد والله أعلم. وقوله علي بن الحسين حدثنا أبو عمير حدثنا ضمرة قال: قال ابن عطاء عن أبيه قال: لما قدم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المقدس كان قوابل أو نسائهن فليست من نسائهن وعن مكحول وعبادة بن نسي أنها كرها أن تقبل النصرانية واليهودية والمجوسية المسلمة فأما ما رواه ابن أبي حاتم حدثنا والقرط والوشاح وما لا يحل أن يراه إلا محرم وروى سعيد حدثنا جرير عن ليث عن مجاهد قال: لا تضع المسلمة خمارها عند مشركة لأن الله تعالى يقول بين يدي مشركة وروى عبدالله في تفسيره عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أو نسائهن قال: هن المسلمات لا تبديه لليهودية ولا نصرانية وهو النحر أن ينظر إلي عورتها إلا أهل ملتها. وقال مجاهد في قوله أو نسائهن قال: نساؤهن المسلمات ليس المشركات من نسائهن وليس للمرأة المسلمة أن تنكشف إلى أبي عبيدة: أما بعد فإنه بلغني أن نساء من نساء المسلمين يدخلن الحمامات مع نساء أهل الشرك فإنه من قبلك فلا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر وروي سعيد بن منصور في سننه حدثنا إسماعيل بن عياش عن هشام بن الغازي عن عبادة بن نسي عن أبيه عن الحارث بن قيس أن عمر بن الخطاب كتب حرام فتنزع عنه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تباشر المرأة المرأة تنعت لزوجها كأنه ينظر إليها أخرجاه في الصحيحين عن ابن مسعود لثلاث تصفهن لرجالهن وذلك وإن كان محذورا في جميع النساء إلا أنه في نساء أهل الذمة أشد فإنهن لا يمتنعن من ذلك مانع فأما المسلمة فإنها تعلم أن ذلك فأما الزوج فإنما ذلك كله من أجله فتتصنع له بما لا يكون بحضرة غيره. وقوله أو نسائهن يعني تظهر بزینتها أيضا للنساء المسلمات دون نساء أهل الذمة يبيدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو أباؤهن حتى فرغ منها وقال لم يذكر العم ولا الخال لأنهما يعتنان لأبنائهما ولا تضع خمارها عند العم والخال المنذر حدثنا موسى يعني ابن هارون حدثنا أبو بكر يعني ابن أبي شيبة حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا داود عن الشعبي وعكرمة في هذه الآية ولا أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن كل هؤلاء محارم للمرأة يجوز لها أن تظهر عليهم بزینتها ولكن من غير تبرج وقد روى ابن مروطن فاختمرن بها. ورواه أبو داود من حديث ابن وهب به وقوله تعالى ولا يبيدين زينتهن إلا لبعولتهن أي أزواجهن أو آبائهن أو أباؤهن أو أبناءهن عبد الرحمن أخبره عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة قالت: يرحم الله النساء المهاجرات الأول لما أنزل الله وليضربن بخمرهن على جيوبهن شققن أكتف عليه وسلم معتجرات كأن على رؤوسهن الغربان. ورواه أبو داود من غير وجه عن صفية بن شيبة به قال ابن جرير حدثنا يونس أخبرنا ابن وهب أن قره بن وأخته وعلى كل ذي قرابته فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها المرحل فاعتجرت به تصديقا وإيمانا بما أنزل الله من كتابه فأصبحن وراء رسول الله صلى الله بالتنزيل لقد أنزلت سورة النور وليضربن بخمرهن على جيوبهن انقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل الله إليهم فيها ويتلو الرجل على امرأته وابنته فذكرن نساء قريش وفضلهن فقالت عائشة رضي الله عنها إن لنساء قريش لفضلا وإني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشد تصديقا لكتاب الله ولا إيمانا حدثنا أبي حدثنا أحمد بن عبدالله بن يونس حدثني الزنجي بن خالد حدثنا عبدالله بن عثمان بن خثيم عن صفية بنت شيبة قالت: بينا نحن عند عائشة قالت رضي الله عنها كانت تقول: لما نزلت هذه الآية وليضربن بخمرهن على جيوبهن أخذن أزهرن فشققنها من قبل الحواشي فاختمرن بها وقال ابن أبي حاتم



## تفسير ابن كثير

بخمرهن علي جيوبهن شققن مروطن فاختمرن بها. وقال أيضا حدثنا أبو نعيم حدثنا إبراهيم بن نافع عن الحسن بن مسلم عن صفية بنت شيبة أن عائشة حدثنا أحمد بن شبيب حدثنا أبي عن يونس عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: يرحم الله نساء المهاجرات الأول لما أنزل الله وليضربن التي تسميها الناس المقانع. قال سعيد بن جبيرة وليضربن وليشدن بخمرهن على جيوبهن يعني على النحر والصدر فلا يرى منه شيء وقال البخاري ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وقال في هذه الآية الكريمة وليضربن بخمرهن على جيوبهن والخمر جمع خمار وهو ما يخمر به أي يغطي به الرأس وهي آذانها فأمر الله المؤمنات أن يستترن في هيئاتهن وأحوالهن كما قال تعالى يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن نساء أهل الجاهلية فإنهن لم يكن يفعلن ذلك بل كانت المرأة منهم تمر بين الرجال مسفحة بصدورها لا يواريه شيء وربما أظهرت عنقها وذوائب شعرها وأقرطة وقوله تعالى وليضربن بخمرهن على جيوبهن يعني المقانع يعمل لها صفات ضاربات على صدورهن لتواري ما تحتها من صدرها وتراثيها ليخالفن شعار أن يرى منها إلا هذا وأشار إلى وجهه وكفيه لكن قال أبو داود وأبو حاتم الرازي هو مرسل. خالد بن دريك لم يسمع من عائشة رضي الله عنها والله أعلم. الله عنها أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وقال: يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح داود في سننه حدثنا يعقوب بن كعب الأنطاكي ومؤمل بن الفضل الحراني قال: حدثنا الوليد عن سعيد بن بشير عن قتادة عن خالد بن دريك عن عائشة رضي والخلخال ويحتمل أن ابن عباس ومن تابعه أرادوا تفسير ما ظهر منها بالوجه والكفين وهذا هو المشهور عند الجمهور ويستأنس له بالحديث الذي رواه أبو الله ممن لا يحل له إلا الأسورة والأخمرة والأقرطة من غير حسر وأما عامة الناس فلا يبدو منها إلا الخواتم وقال مالك عن الزهري إلا ما ظهر منها: الخاتم بهذا الإسناد قال: الزينة زينتان فزينة لا يراها إلا الزوج: الخاتم والسوار وزينة يراها الأجانب وهي الظاهر من الثياب وقال الزهري: لا يبدن لهؤلاء الذين سمى كما قال أبو إسحاق السبيعي عن أبي الأحوص عن عبد الله قال في قوله ولا يبدن زينتهن الزينة القروط والدملوج والخلخال والقلادة وفي رواية عنه ابن عمر وعطاء وعكرمة وسعيد بن جبيرة وأبي الشعثاء والضحاك وإبراهيم النخعي وغيره نحو ذلك وهذا يحتمل أن يكون تفسيراً للزينة التي نهين عن إبدائها وإبراهيم النخعي وغيرهم وقال الأعمش عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس: ولا يبدن زينتهن إلا ما ظهر منها قال: وجهها وكفيها والخاتم. وروى عن عليها فيه لأن هذا لا يمكنها إخفاؤه ونظيره في زي النساء ما يظهر من إزارها وما لا يمكن إخفاؤه وقال بقول ابن مسعود الحسن وابن سيرين وأبو الجوزاء إلا ما لا يمكن إخفاؤه قال ابن مسعود: كالرداء والثياب يعني على ما كان يتعاطاه نساء العرب من المقنعة التي تجل ثيابها وما يبدو من أسافل الثياب فلا حرج فهو من الزنا إلا هذه الآية ويحفظن فروجهن أن لا يراها أحد وقوله تعالى ولا يبدن زينتهن إلا ما ظهر منها أي لا يظهرن شيئا من الزينة للأجانب قال سعيد بن جبيرة: عن الفواحش وقال قتادة وسفيان: عما لا يحل لهن وقال مقاتل: عن الزنا وقال أبو العالية: كل آية نزلت في القرآن يذكر فيها حفظ الفروج وهم يلعبون بحرابهم يوم العيد في المسجد وعائشة أم المؤمنين تنظر إليهم من ورائه وهو يستترها منهم حتى ملت ورجعت وقوله ويحفظن فروجهن صحيح وذهب آخرون من العلماء إلى جواز نظرهن إلى الأجانب بغير شهوة كما ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل ينظر إلى الحبشة الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أوعميأوان أئتما؟ أو أئتما تبصرانه؟ ثم قال الترمذي هذا حديث حسن الله عليه وسلم وميمونه قالت: فبينما نحن عنده أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعدما أمرنا بالحجاب فقال رسول الله احتجبا منه فقلت يا رسول أصلا واحتج كثير منهم بما رواه أبو داود والترمذي من حديث الزهري عن نهان مولى أم سلمة أنه حدثه أن أم سلمة حدثته أنها كانت عند رسول الله صلى أي عما حرم الله عليهن من النظر إلى غير أزواجهن ولهذا ذهب كثير من العلماء إلى أنه لا يجوز للمرأة النظر إلى الرجال الأجانب بشهوة ولا بغير شهوة وذوائبهن فقالت أسماء: ما أقبح هذا فأنزل الله تعالى وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن الآية فقله تعالى وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن حدث أن أسماء بنت مرثد كان في محل لها في بنى حارثة فجعل النساء يدخلن عليها غير متزورات فيبدو ما في أرجلهن من الخلاخل وتبدو صدورهن وتمييز لهن عن صفة نساء الجاهلية وفعال المشركات. وكان سبب نزول هذه الآية ما ذكره مقاتل بن حيان قال: بلغنا والله أعلم أن جابر بن عبد الله الأنصاري هذا أمر من الله تعالى للنساء المؤمنات وغيره منه لأزواجهن عباد المؤمنين

فقراء يغنكم الله فلا أصل له ولم أره بإسناد قوي ولا ضعيف إلى الآن وفي القرآن غنية عنه وكذا هذه الأحاديث التي أوردناها ولله الحمد والمنة. 32 عليه أن يعلمها ما معه من القرآن. والمعهود من كرم الله تعالى ولطفه أن يرزقه ما فيه كفاية لها وله وأما ما يورده كثير من الناس على أنه حديث تزوجوا ما به وقد زوج النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الذي لم يجد عليه إلا إزاره ولم يقدر على خاتم من حديد ومع هذا فزوجه بتلك المرأة وجعل صداقها صلى الله عليه وسلم ثلاثة حق على الله عونهم الناكح يريد العفاف والمكاتب يريد الأداء والغايزي في سبيل الله رواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن من فضله رواه ابن جرير وذكر البغوي عن عمر نحوه. وعن الليث عن محمد بن عجلان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله وعدكم من الغنى قال تعالى: إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وعن ابن مسعود التمسوا الغنى في النكاح. يقول الله تعالى إن يكونوا فقراء يغنهم الله عمر بن عبد الواحد عن سعيد يعني ابن عبد العزيز قال بلغني أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح ينجز لكم ما وأمر به الأحرار والعبيد ووعدهم عليه الغنى فقال: إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمود بن خالد الأزرق حدثنا أهل اللغة يقال رجل أيم وامرأة أيم. وقوله تعالى إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله الآية قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رغبنهم الله في التزويج الأيامي جمع أيم ويقال ذلك للمرأة التي لا زوج لها وللرجل الذي لا زوجة له وسواء كان قد تزوج ثم فارق أو لم يتزوج واحد منهما حكاه الجوهري عن جاء في السنن من غير وجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: تزوجوا الولود تناسلوا فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة وفي رواية حتى بالسقط

## تفسير ابن كثير

منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء أخرجاه في الصحيحين من حديث ابن مسعود وقد إلى آخره هذا أمر بالتزويج. وقد ذهب طائفة من العلماء إلى وجوبه على كل من قدر عليه واحتجوا بظاهر قوله عليه السلام يا معشر الشباب من استطاع اشتملت هذه الآيات الكريمات المبينة على جمل من الأحكام المحكمة والأوامر المبرمة فقوله تعالى وأنكحوا الأيامي منكم وإئمنهن على من أكرههن وفي الحديث المرفوع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه. 33 حدثنا يحيى ابن عبد الله حدثني ابن لهيعة حدثني عطاء عن سعيد بن جببر قال في قراءة عبد الله بن مسعود فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم لهن الزهري قال غفور لهن ما أكرهن عليه وعن زيد بن أسلم قال غفور رحيم للمكرهات حكاهن ابن المنذر في تفسيره بأسانيده وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة وقتادة وقال أبو عبيد حدثني إسحاق الأزرق عن عوف عن الحسن في هذه الآية فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم قال لهن والله لهن والله: وعن عن جابر وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس فإن فعلتم فإن الله لهن غفور رحيم وإئمنهن على من أكرههن وكذا قال مجاهد وعطاء الخراساني والأعمش البغي خبيث وكسب الحجام خبيث وثن الكلب خبيث وقوله تعالى: ومن يكرهن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم أي لهن كما تقدم في الحديث الحياة الدنيا أي من خراجهن ومهورهن وأولادهن وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كسب الحجام ومهر البغي وحلوان الكاهن وفي رواية مەر الله في ذلك ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء يعنى الزنا وقوله تعالى: إن أردن تحصنا هذا خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له وقوله تعالى: لتبتغوا عرض وكانت للأنصار وكانت أميمة أم مسيكة لعبد الله بن أبي وكانت معاذة وأروى بتلك المنزلة فأتت مسيكة وأمها النبي صلى الله عليه وسلم فذكرنا ذلك له فأنزل يغلبنا على مملوكتنا فأنزل الله فيه هذا وقال مقاتل بن حيان بلغني والله أعلم أن هذه الآية نزلت في رجلين كانا يكرهان أمتين لهما إحداهما اسمها مسيكة له فأقبلت الجارية إلى أبي بكر رضي الله عنه فشكت إليه فذكره أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم فأمره بقبضها فصاح عبد الله بن أبي من يعذرنا من محمد الآية الكريمة في عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين وكانت له جارية تدعى معاذة وكان إذا نزل به ضيف أرسلها إليه ليواقعها إرادة الثواب منه والكرامة ذلك ويضربها رجاء أن تحمل من القرشي فيطلب فداء ولده فقال تبارك وتعالى: ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا. وقال السدي أنزلت هذه لعبد الله بن أبي جارية يقال لها معاذة وكان القرشي الأسير يريد لها على نفسها وكانت مسلمة وكانت تمتنع منه لإسلامها وكان عبد الله بن أبي يكرهها على فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري أن رجلا من قريش أسر يوم بدر وكان عند عبد الله بن أبي أسيرا وكانت جارية لعبد الله بن أبي يقال لها معاذة يكرهها على الزنا فلما جاء الإسلام نزلت ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا إلى قوله ومن يكرهن أيضا حدثنا أحمد بن داود الواسطي حدثنا أبو عمرو اللخمي يعني محمد بن الحجاج حدثنا محمد بن إسحاق عن الزهري عن أنس رضي الله عنه قال: كانت في الجاهلية فولدت أولادا من الزنا فقال لها مالك: لا تزني قالت: والله لا أزني فضربها فأنزل الله عز وجل: ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء. وروى البزار يسمع منه إنما هو صحيفة حكاه البزار وروى أبو داود الطيالسي عن سليمان بن معاذ عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس أن جارية لعبد الله بن أبي كانت تزني إلى قوله ومن يكرهن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم صرح الأعمش بالسمع من أبي سفيان بن طلحة بن نافع فدل على بطلان قول من قال لم حدثني أبو سفيان عن جابر قال كان لعبد الله بن أبي بن سلول جارية يقال لها مسيكة وكان يكرهها على البغاء فأنزل الله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء رحيم وروى النسائي من حديث ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر نحوه وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا علي بن سعيد حدثنا الأعمش يكرهها على الفجور وكانت لا بأس بها فتأبى فأنزل الله هذه الآية ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إلى قوله ومن يكرهن فإن الله من بعد إكراههن غفور ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء الآية وقال الأعمش عن أبي سفيان عن جابر في هذه الآية قال نزلت في أمة لعبد الله بن أبي بن سلول يقال لها مسيكة كان يعني محمد بن الحجاج حدثنا محمد بن إسحاق عن الزهري قال كانت جارية لعبد الله بن أبي ابن سلول يقال لها معاذة يكرهها على الزنا فلما جاء الإسلام نزلت الآثار الواردة في ذلك: قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار رحمه الله في مسنده حدثنا أحمد بن داود الواسطي حدثنا أبو عمرو اللخمي من السلف والخلف في شأن عبد الله بن أبي بن سلول فانه كان له إماء فكان يكرهن علي البغاء طلبا لخراجهن ورغبة في أولادهن ورياسة منه فيما يزعم. ذكر وجعل عليها ضريبة يأخذها منها كل وقت فلما جاء الإسلام نهى الله المؤمنين عن ذلك وكان سبب نزول هذه الآية الكريمة فيما ذكر غير واحد من المفسرين عنه كما رواه عنه أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله. وقوله تعالى: ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء الآية كان أهل الجاهلية إذا كان لأحدهم أمة أرسلها تزني بن جندب أخبره عن علي 1 عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ربع الكتابة وهذا حديث غريب ورفعه منكر والأشبه أنه موقوف على علي رضي الله وقال ابن أبي حاتم أخبرنا الفضل بن شاذان المقرئ أخبرنا إبراهيم بن موسى أخبرنا هشام بن يوسف عن ابن جريج أخبرني عطاء بن السائب أن عبد الله وعطاء والقاسم بن أبي بزة وعبد الكريم بن مالك الجزري والسدي وقال محمد بن سيرين في الآية كان يعجبهم أن يدع الرجل لمكاتبه طائفة من مكاتبته مكاتبته وضع عنه ما أحب وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قال: ضعوا عنهم من مكاتبتهم وكذا قال مجاهد الأطس عن سعيد بن جببر قال: كان ابن عمر إذا كاتب مكاتب لم يضع عنه شيئا من أول نجومه مخافة أن يعجز فترجع إليه صدقته ولكنه إذا كان في آخر وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قال عكرمة فكان أول نجم أدي في الإسلام. وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا هارون بن المغيرة عن عنبسة عن سالم اذهب فاستعن به في مكاتبك فقال يا أمير المؤمنين لو تركته حتى يكون من آخر نجم؟ قال أخاف أن لا أدرك ذلك ثم قرأ فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا وكيع عن ابن شبيب عن عكرمة عن ابن عباس عن عمر أنه كاتب عبدا له يكنى أبا أمية فجاء بنجمله حين حل فقال: يا أبا أمية تقدم في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ثلاثة حق علي الله عونهم فذكر منهم المكاتب يريد الأداء والقول الأول أشهر وقال ابن أبي حاتم

## تفسير ابن كثير

الله الذي آتاكم قال: حث الناس عليه مولاه وغيره وكذا قال بريدة بن الحبيب الأسلمي قتادة وقال ابن عباس: أمر الله المؤمنين أن يعينوا في الرقاب وقد من أموال الزكاة وهذا قول الحسن وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وأبيه ومقاتل بن حيان واختاره ابن جرير وقال إبراهيم النخعي في قوله وآتوهم من مال الثلث وقيل: النصف وقيل: جزء من الكتابة من غير حد وقال آخرون: بل المراد من قوله وآتوهم من مال الله الذي آتاكم هو النصيب الذي فرض الله لهم وقوله تعالى: وآتوهم من مال الله الذي آتاكم اختلف المفسرون فيه: فقال بعضهم: معناه اطرحوا لهم من الكتابة بعضها ثم قال بعضهم: مقدار الربع وقيل: عن يحيى بن أبي كثير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا قال: إن علمتم لم حرفة ولا ترسلوهم كلا على الناس. الآية وقوله تعالى إن علمتم فيهم خيرا قال بعضهم: أمانه وقال بعضهم: صدقا وقال بعضهم: حيلة وكسبا وروى أبو داود في المراسيل أمر من الله تعالى وإذن منه للناس وليس بواجب وكذا قال الثوري وأبو حنيفة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم واختار ابن جرير قول الوجوب لظاهر ابن وهب قال مالك: الأمر عندنا أنه ليس على سيد العبد أن يكتبه إذا سأله ذلك ولم أسمع أحدا من الأئمة أكره أحدا على أن يكتب عبده قال مالك وإنما ذلك هي عزمة وهذا هو القول القديم من قول الشافعي وذهب في الجديد إلى أنه لا يجب لقوله عليه السلام لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس وقال عن أنس بن مالك أن سيرين أراد أن يكتبه فتلأ عليه فقال له عمر: لتكتبنه إسناده صحيح وروى سعيد بن منصور حدثنا هشيم بن جوير عن الضحاك قال: قال قلت لعطاء: أوجب علي إذا علمت له مالا أن أكتبه؟ قال ما أراه إلا واجبا. وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن بكر حدثنا سعيد عن قتادة كاتبه فأبى فضربه بالدرة وبتلو عمر رضي الله عنه فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا فكاتبه هكذا ذكره البخاري معلقا ورواه عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج لعطاء أتأثره عن أحد؟ قال لا ثم أخبرني أن موسى ابن أنس أخبره أن سيرين سأل أنسا المكاتبه وكان كثير المال فأبى فانطلق إلى عمر رضي الله عنه فقال: بظاهر هذا الأمر. وقال البخاري وقال روح عن ابن جريج قلت لعطاء أوجب علي إذا علمت له مالا أن أكتبه؟ قال ما أراه إلا واجبا وقال عمرو بن دينار قلت وإن يشأ لم يكتبه وكذا قال مقاتل ابن حيان والحسن البصري وذهب آخرون إلى أنه يجب على السيد إذا طلب منه عبده ذلك أن يجيبه إلى ما طلب أخذاً قال الثوري عن جابر عن الشعبي إن شاء كاتبه وإن شاء لم يكتبه وكذا روى ابن وهب عن إسماعيل بن عياش عن رجل عن عطاء بن أبي رباح إن يشأ كاتبه ذهب كثير من العلماء إلى أن هذا الأمر أمر إرشاد واستحباب لا أمر تحتم وإيجاب بل السيد مخير إذا طلب منه عبده الكتابة إن شاء كاتبه وإن شاء لم يكتبه هذا أمر من الله تعالى للسادة إذا طلب عبيدهم منهم الكتابة أن يكتبوهم بشرط أن يكون للعبد حيلة وكسب يؤدي إلى سيده المال الذي شارطه على أدائه وقد يكن له امرأة فلينظر في ملكوت السموات والأرض حتى يغنيه الله. وقوله تعالى والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا عكرمة في قوله وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا قال: هو الرجل يرى المرأة فكأنه يشتهي فإن كانت له امرأة فليذهب إليها وليقض حاجته منها وإن لم منكم طولاً أن ينكح المحصنات إلى قوله وأن تصبروا خير لكم أي صبركم عن تزوج الإماء خير لكم لأن الولد يجيء رقيقا والله غفور رحيم قال للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء الحديث وهذه الآية مطلقة والتي في سورة النساء أخص منها وهي قوله ومن لم يستطع هذا أمر من الله تعالى لمن لا يجد تزويجا بالتعفف عن الحرام كما قال صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض القرآن: فيه حكم ما بينكم وخبر ما قبلكم ونبا ما بعدكم وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله. 34 سلفا ومثلا للآخرين أي زاجرا عن ارتكاب المآثم والمحارم وموعظة للمتقين أي لمن اتقى الله وخافه. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في صفة آيات واضحات مفسرات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم أي خبرا عن الأمم الماضية وما حل بهم في مخالفتهم أوامر الله تعالى كما قال تعالى: فجعلناهم ولما فصل تبارك وتعالى هذه الأحكام وبينها قال تعالى: ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات يعني القرآن في

البقرة يمدّها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدّها الدم والقيح. فأى المدتين غلبت على لأخرى غلبت عليه إسناده جيد ولم يخرجوه. 35 فيه نوره وأما القلب الأغلف فقلب الكافر وأما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق ومثل الإيمان فيه كمثل وسلم القلوب أربعة: قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر وقلب أغلف مربوط على غلافه وقلب منكوس وقلب مصفح فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن سراجة أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا أبو معاوية حدثنا شيبان عن ليث عن عمرو بن مرة عن أبي البحتري عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه هده في قلب المؤمن ختم الآية بقوله ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم أي هو أعلم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الإضلال. قال الإمام ورواه البزار عن عبد الله بن عمرو من طريق آخر بلفظه وحروفه. وقوله تعالى ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم لما ذكر تعالى هذا مثلا لنور سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله خلق خلقه ف ظلمة فألقى عليهم نورا من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل أقول جف القلم على علم الله عز وجل طريق أخرى عنه قال البزار حدثنا أيوب عن سويد عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه عن عبد الله بن عمرو الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله تعالى خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره يومئذ فمن أصاب من نوره يومئذ اهتدى ومن أخطأه ضل فلذلك أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا إبراهيم بن محمد الفزاري حدثنا الأوزاعي حدثني ربيعة بن زيد عن عبد الله الديلمي عن عبد الله بن عمرو سمعت رسول فلا يكون واحد منهما إلا بصاحبه. وقوله تعالى: يهدي الله لنوره من يشاء أي يرشد الله إلى هدايته من يختاره كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام وقال السدي في قوله نور على نور قال: نور النار ونور الزيت حين اجتماعا أضواء ولا يضيء واحد بغير صاحبه كذلك نور القرآن ونور الإيمان حين اجتماعا قول الله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار قال يكاد محمد صلى الله عليه وسلم يبين للناس ولو لم نتكلم أنه نبي كما يكاد ذلك الزيت أنه يضيء. فكلامه نور وعمله نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره إلى نور يوم القيامة إلى الجنة وقال شمر بن عطية جاء ابن عباس إلي كعب الأحبار فقال حدثني عن

## تفسير ابن كثير

ابن عباس يعني بذلك إيمان العبد وعمله وقال مجاهد والسدي يعني نور النار ونور الزيت وقال أبي بن كعب نور على نور فهو يتقلب في خمسة من النور قال تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم يعني كضوء إشراق الزيت وقوله تعالى نور على نور قال العوفي عن مستوي من الأرض في مكان فسيح باد ظاهر ضاح للشمس تفرعه من أول النهار إلى آخره ليكون ذلك أصفى لزيتها وألطف كما قال غير واحد ممن تقدم ولهذا ابن عباس توقف من شجرة مباركة قال: رجل صالح زيتونة لا شرقية ولا غربية قال لا يهودي ولا نصراني وأولى هذه الأقوال القول الأول وهو أنها في ولا غربية قال الشام وقال الحسن البصري لو كانت هذه الشجرة في الأرض لكانت شرقية أو غربية ولكنه مثل ضربه الله تعالى لنوره وقال الضحاك عن فيها غرب ولا غربية ليس فيها شرق ولكنها شرقية غربية وقال محمد بن كعب القرظي لا شرقية ولا غربية قال: هي القبلية وقال زيد بن أسلم: لا شرقية الدشتكي حدثنا عمرو بن أبي قيس عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى لا شرقية ولا غربية ليست شرقية ليس في موضع من الشجر يرى ظل ثمرها في ورقها وهذه من الشجر لا تطلع عليها الشمس ولا تغرب وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار حدثنا عبدالرحمن في قوله زيتونة لا شرقية ولا غربية قال: هي وسط الشجر لا تصيبها الشمس شرقا ولا غربا وقال عطية العوفي لا شرقية ولا غربية قال: هي شجرة سائر الناس كالرجل الحي يمشي في قبور الأموات قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا مسدد قال حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد ابن جبير قد أجبر من أن يصيبه شيء من الفتن وقد يبتلى بها فيثبته الله فيها فهو بين أربع خلال إن قال صدق وإن حكم عدل وإن ابتلي صبر وإن أعطي شكر فهو في قول الله تعالى زيتونة لا شرقية ولا غربية قال: هي خضراء ناعمة لا تصيبها الشمس على أي حال كانت لا إذا طلعت ولا إذا غربت قال فذلك هذا المؤمن لا شرقية ولا غربية أنها في وسط الشجر ليست بادية للمشرق ولا للمغرب وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب في بشرقية يحوزها المشرق ولا غربية يحوزها المغرب دون المشرق ولكنها على رأس جبل أو في صحراء تصيبها الشمس النهار كله. وقيل المراد بقوله تعالى في الغروب أصابتها الشمس فالشمس تصيبها بالغداة والعشي فتلك لا تعد شرقية ولا غربية. وقال السدي قوله زيتونة لا شرقية ولا غربية يقول: ليست سعيد بن جبير في قوله زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء قال: هو أجود الزيت قال إذا طلعت الشمس أصابتها من صوب المشرق فإذا أخذت ولا غربية قال: ليست بشرقية لا تصيبها الشمس إذا غربت ولا غربية لا تصيبها الشمس إذا طلعت ولكنها شرقية وغربية تصيبها إذا طلعت وإذا غربت. وعن تلك زيتونة بأرض فلاة إذا أشرقت الشمس أشرقت عليها فإذا غربت غربت عليها فذلك أصفى ما يكون من الزيت. وقال مجاهد في قوله تعالى لا شرقية ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم حدثنا عمرو بن فروخ عن حبيب ابن الزبير عن عكرمة وسأله رجل عن قوله تعالى زيتونة لا شرقية ولا غربية قال: أجود لزيتها وقال يحيى بن سعيد القطان عن عمران بن حدير عن عكرمة في قوله تعالى لا شرقية ولا غربية قال: هي بصحراء ذلك أصفى لزيتها وقال بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس في قوله زيتونة لا شرقية ولا غربية قال: هي شجرة بالصحراء لا يظللها شجر ولا جبل ولا كهف ولا يواربها شيء وهو فيجيء زيتها صافيا معتدلا مشرقا وروى ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار قال حدثنا عبدالرحمن ابن عبدالله بن سعد أخبرنا عمرو بن أبي قيس عن سماك بفتحها فلا تصل إليها الشمس من أول النهار ولا في غربها فيقلص عنها الفء قبل الغروب بل هي في مكان وسط تعصرها الشمس من أول النهار إلى آخره مبين ضخم يوقد من شجرة مباركة أي يستمد من زيت زيتون شجرة مباركة زيتونه بدل أو عطف بيان لا شرقية ولا غربية أي ليست في شرقي أن النجم إذا رمي به يكون أشد استنارة من سائر الأحوال والعرب تسمي ما لا يعرف من الكواكب دراري وقال أبي بن كعب: كوكب مضيء وقال قتادة: مضيء دري قرأ بعضهم بضم الدال من غير همزة من الدر أي كأنها كوكب من در. وقرأ آخرون دريء ودريء بكسر الدال وضمها مع الهمزة من الدرء وهو الدفع وذلك هو السراج المصباح في زجاجة أي هذا الضوء مشرق في زجاجة صافية وقال أبي بن كعب وغير واحد: وهي نظير قلب المؤمن الزجاجة كأنها كوكب من القنديل ولهذا قال فيها مصباح وهو النور الذي في الزبالة قال أبي بن كعب: المصباح النور وهو القرآن والإيمان الذي في صدره وقال السدي: وزاد بعضهم فقال: المشكاة الكوة التي لا منفذ لها وعن مجاهد: المشكاة الحدائد التي يعلق بها القنديل والقول الأول أولى وهو: أن المشكاة هو موضع الفتيلة والمشكاة كوة في البيت قال وهو مثل ضربه الله لطاعته فسمى الله طاعته نورا ثم سماها أنواعا شتى وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد هي الكوة بلغة الحبشة لمحمد صلى الله عليه وسلم كيف يخلص نور الله من دون السماء؟ فضرب الله مثل ذلك لنوره فقال تعالى: الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح وهو الزبالة التي تضيء. وقال العوفي عن ابن عباس قوله الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح وهذا هو المشهور ولهذا قال بعده لا كدر فيه ولا انحراف فقوله كمشكاة قال ابن عباس ومجاهد ومحمد بن كعب وغير واحد: هو موضع الفتيلة من القنديل هذا هو المشهور ولهذا قال بعده فشبّه قلب المؤمن في صفائه في نفسه بالقنديل من الزجاج الشفاف الجوهري وما يستمد به من القرآن والشرع بالزيت الجيد الصافي المشرق المعتدل الذي قلب المؤمن وما هو مفطور عليه من الهدى وما يتلقاه من القرآن المطابق لما هو مفطور عليه كما قال تعالى: أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه المؤمن قاله ابن عباس كمشكاة والثاني أن الضمير عائد إلى المؤمن الذي دل عليه سياق الكلام تقديره مثل نور المؤمن الذي في قلبه كمشكاة فشبّه عنده ليل ولا نهار نور العرش من نور وجهه وقوله تعالى مثل نوره في هذا الضمير قولان: أحدهما أنه عائد إلى الله عز وجل أي مثل هداه في قلب اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن الحديث وعن ابن مسعود قال: إن ربكم ليس حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يقول: في دعائه يوم آذاه أهل الطائف أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل بي غضبك أو ينزل بي سخطك لك العتبي نور السموات والأرض فبنوره أضاءت السموات والأرض وفي الحديث الذي رواه محمد بن إسحاق في السيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال

## تفسير ابن كثير

قرأها كذلك مثل نور من آمن بالله وقرأ بعضهم الله منور السموات والأرض وقال الضحاك الله نور السموات والأرض وقال السدي في قوله الله فكان أبي بن كعب يقرأها مثل نور من آمن به فهو المؤمن جعل الإيمان والقرآن في صدره وهكذا رواه سعيد بن جبيرة وقيس بن سعد عن ابن عباس أنه جعل الله الإيمان والقرآن في صدره فضرب الله مثله فقال الله نور السموات والأرض فبدأ بنور نفسه ثم ذكر نور المؤمن فقال مثل نور من آمن به قال جرير وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب في قوله تعالى: الله نور السموات والأرض مثل نوره قال: هو المؤمن الذي وقال ابن جرير حدثنا سليمان بن عمر بن خالد الرقي حدثنا وهب بن راشد عن فرقد أن أنس بن مالك قال: إن الله يقول نوري هدى واختار هذا القول ابن هادي أهل السموات والأرض. قال ابن جرير قال مجاهد وابن عباس في قوله: الله نور السموات والأرض يدبر الأمر فيهما نجومهما وشمسهما وقمرهما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الله نور السموات والأرض يقول:

ومن قرأ من القرآن يسبح له فيها بالغدو والآصال فتح الباء من يسبح على أنه مبني لما لم يسم فاعله وقف على قوله والآصال وقفا تاما. 36  
العصر وهما أول ما افترض الله من الصلاة فأحب أن يذكرهما وأن يذكر بهما عبادة. وكذا قال الحسن والضحاك يسبح له فيها بالغدو والآصال يعني الصلاة وقال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس: كل تسبيح في القرآن هو الصلاة وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: يعني بالغدو صلاة الغداة ويعني بالآصال صلاة فيها اسمه قال ابن عباس يعني يتلى كتابه وقوله تعالى يسبح له فيها بالغدو والآصال أي في البكرات والعشيات. والآصال جمع أصيل وهو آخر النهار. خذوا زينتكم عند كل مسجد وقوله وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين وقوله وأن المساجد لله الآية. وقوله تعالى ويذكر الأحاديث الواردة في ذلك كله محاذرة الطول داخل في قوله تعالى في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه أي اسم الله كقوله يا بني آدم وابن ماجه وقال الترمذي هذا حديث حسن وإسناده ليس بمتصل لأن فاطمة بنت حسين الصغرى لم تدرك فاطمة الكبرى فهذا الذي ذكرناه مع ما تركناه من اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وإذا خرج خرج صلي على محمد وسلم ثم قال اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك ورواه الترمذي عن جدتها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد صلي على محمد وسلم ثم قال اللهم خزيمة وابن حبان في صحيحهما وقال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنا ليث بن أبي سليم عن عبد الله بن حسين عن أمه فاطمة بنت حسين وليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك وإذا خرج فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل: اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم ورواه ابن ماجه وابن الله عليه وسلم وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وسلم إذا دخل أحدكم المسجد فليقل: اللهم افتح لي أبواب فضلك ورواه النسائي عنهما عن النبي صلى الشيطان الرجيم قال فإذا قال ذلك قال الشيطان حفظ مني سائر اليوم. وروى مسلم بسنده عن أبي حميد أو أبي أسيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه عليه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا دخل المسجد يقول أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من السنن بشر المشائين إلى المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيامة ويستحب لمن دخل المسجد أن يبدأ برجله اليمني وأن يقول كما ثبت في أبي داود عن ما دام في مصلاه: اللهم صل عليه اللهم ارحمه. ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة. وعند الدارقطني مرفوعا لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد وفي فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرج إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفع له بها درجة وحط عنه بها خطيئة فإذا صلي لم تزل الملائكة تصلي عليه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمسا وعشرين ضعفا وذلك أنه إذا توضأ بن عمر عن نافع عن ابن عمر أن عمر كان يجمر مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم كل جمعة إسناده حسن لا بأس به والله أعلم. وقد ثبت في الصحيحين الجمع يعني بخروها في أيام الجمع لكثرة اجتماع الناس يومئذ وقد قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا عبيد الله حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن عبد الله الحاجة. وقد كانت قريبا من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أباريق يستقون منها فيشربون ويتطهرون ويتوضئون وغير ذلك. وقوله وجمروها في أيضا صحيح وقوله: وإقامة حدودكم وسل سيوفكم تقدما وقوله واتخذوا على أبوابها المطاهر يعني المراحيض التي يستعان بها على الوضوء وقضاء عبد الله بن المبارك عن شعبة عن سعد بن إبراهيم عن أبيه إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال: سمع عمر صوت رجل في المسجد فقال أتدري أين أنت؟ وهذا من أهل الطائف. قال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال النسائي: حدثنا سويد بن نصر عن الكندي قال: كنت قائما في المسجد فحصبني رجل فنظرت فإذا عمر بن الخطاب فقال: اذهب فائتني بهذين فجئته بهما فقال من أنتما؟ أو من أين أنتما؟ قالا ورفع أصواتكم. وقال البخاري: حدثنا علي بن عبد الله حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا الجعد بن عبد الرحمن قال: حدثني يزيد بن حفصة عن السائب بن يزيد على أن الحاكم لا ينتصب لفصل الأفضية في المسجد بل يكون في موضع غيره لما فيه من كثرة الحكومات والتشاجر والألفاظ التي لا تناسبه ولهذا قال بعده للعب فيها ولما يخشي من تقذيرهم المسجد ونحو ذلك وبيعكم وشراءكم كما تقدم وخصوصا تمكيني يعني التحاكم والحكم فيه ولهذا نص كثير من العلماء ضربهم بالمخفقة وهي الدرة وكان يفتش المسجد بعد العشاء فلا يترك فيه أحدا ومجانينكم يعني لأجل ضعف عقولهم وسخر الناس بهم فيؤدي إلى بوله وفي الحديث الثاني جنبوا مساجدكم صبيانكم وذلك لأنهم يلعبون فيه ولا يناسبهم. وقد كان عمر بن الخطاب إذا رأى صبيانا يلعبون في المسجد الله عليه وسلم لذلك الأعرابي الذي بال في طائفة المسجد إن المساجد لم تبن لهذا إنما بنيت لذكر الله والصلاة فيها ثم أمر بسجل من ماء فأهريق على فيه من المضروب أو المقطوع وأما أنه لا يتخذ سوقا فلما تقدم من النهي عن البيع والشراء فيه فإنه إنما بني لذكر الله والصلاة فيه كما قال النبي صلى فلما يخشي من تقاطر الدم منه كما نهيت الحائض عن المرور فيه إذا خافت التلويت وأما أنه لا يضرب فيه حد ولا يقتص منه فلما يخشي من إيجاد النجاسة

## تفسير ابن كثير

رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مر رجل بسهام أن يقبض على نصالها لئلا يؤذي أحدا كما ثبت ذلك في الصحيح. وأما النهي عن المرور باللحم النيء فيه بالمسجد لا يصلي فيه وأما أنه لا يشهر فيه السلاح ولا ينبض فيه بقوس ولا ينثر فيه نبل فلما يخشى من إصابة بعض الناس به لكثرة المصلين فيه ولهذا أمر وفي إسنادهما ضعف أما أنه لا يتخذ طريقا فقد كره بعض العلماء المرور فيه إلا لحاجة إذا وجد مندوحة عنه وفي الأثر إن الملائكة لتتعجب من الرجل يمر وشراءكم وبيعكم وخصوماتكم ورفع أصواتكم وإقامة حدودكم وسل سيفكم واتخذوا على أبوابها المطاهر وجمروها في الجمع ورواه ابن ماجه أيضا ولا يضرب فيه حد ولا يقتص فيه أحد ولا يتخذ سوقا وعن وائلة بن الأسقع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنبوا المساجد صبيانكم ومجانينكم حديث ابن عمر مرفوعا قال: خصال لا تنبغي في المسجد: ولا يتخذ طريقا ولا يشهر فيه سلاح ولا ينبض فيه بقوس ولا ينثر فيه نبل ولا يمر فيه بلحم نيء فقولوا لا أريح الله تجارتك وإذا رأيتم من ينشد ضالة في المسجد فقولوا لا ردها الله عليك رواه الترمذي وقال حسن غريب وقد روى ابن ماجه وغيره من رواه أحمد وأهل السنن وقال الترمذي حسن. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد بنيت له رواه مسلم. وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البيع والابتاع وعن تناشد الأشعار في المساجد. السنن إلا الترمذي. وعن بريدة أن رجلا أنشد في المسجد فقال من دعا إلى الجمل الأحمر فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا وجدت إنما بنيت المساجد لما اليهود والنصارى. وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد رواه أحمد وأهل إسناده ضعف. وروى أبو داود عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمرت بتشديد المساجد قال ابن عباس أزعفها كما زخرفت ما يمكنهم وإياك أن تحمر أو تصفر فتفتن الناس وروى ابن ماجه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ساء عمل قوم قط إلا زخرفوا مساجدهم وفي المساجد في الدور وأن تنظف وتطيب. رواه أحمد وأهل السنن إلا النسائي وأحمد وأبي داود عن سمرة بن جندب نحوه وقال البخاري قال عمر: ابن للناس بيتا في الجنة وللنسائي عن عمر بن عنبسة مثله والأحاديث في هذا كثيرة جدا وعن عائشة رضي الله عنها قالت: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء في الصحيحين وروى ابن ماجه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى مسجدا يذكر فيه اسم الله بني الله له عثمان بن عفان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بنى مسجدا يبتغي به وجه الله بني الله له مثله في الجنة أخرجه كتب في ذلك جزءا علي حدة ولله الحمد والمنة. ونحن بعون الله تعالى نذكر هنا طرفا من ذلك إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان فعن أمير المؤمنين عبد الرحمن ابن أبي حاتم في تفسيره. وقد وردت أحاديث كثيرة في بناء المساجد واحترامها وتوقيرها وتطيبها وتبخيرها وذلك له محل مفرد يذكر فيه وقد كان يقول: مكتوب في التوراة إن بيوتي في الأرض المساجد وإنه من توضع فأحسن وضوءه ثم زارني في بيتي أكرمته وحق على المزور كرامة الزائر. رواه وسفيان بن حسين وغيرهم من العلماء المفسرين. وقال قتادة هي هذه المساجد أمر الله سبحانه وتعالى ببنائها وعمارتها ورفعها وتطهيرها. وقد ذكر لنا أن كعبا في بيوت أذن الله أن ترفع قال نهى الله سبحانه عن اللغو فيها وكذا قال عكرمة وأبو صالح والضحاك ونافع بن جبير وأبو بكر بن سليمان بن أبي خيثمة أي أمر الله تعالى بتعاهدها وتطهيرها من الدنس واللغو والأقوال والأفعال التي لا تليق فيها كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية الكريمة مثلا ذكر محلها وهي المساجد التي هي أحب البقاع إلى الله تعالى من الأرض وهي بيوته التي يعبد فيها ويوحده فقال تعالى في بيوت أذن الله أن ترفع لما ضرب الله تعالى مثل قلب المؤمن وما فيه من الهدى والعلم بالمصباح في الزجاجة الصافية المتوقد من زيت طيب وذلك كالقنديل

نريد منكم جزاء ولا شكورا إنا نخاف من ربنا يوم عبوسا قمطريرا فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا. 37 يوم الآزفة الآية وقوله إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار وقال تعالى ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا إنما نطعمكم لوجه الله لا تعالى يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار أي يوم القيامة الذي تتقلب فيه القلوب والأبصار أي من شدة الفزع وعظمة الأهوال كقوله وأنذرهم في جماعة. وقال مقاتل بن حيان لا تلهيهم ذلك عن حضور الصلاة وأن يقيموها كما أمرهم الله وأن يحافظوا على مواقيتها وما استحضفهم الله فيها. وقوله أبي طلحة عن ابن عباس لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله يقول عن الصلاة المكتوبة وكذا قال مقاتل بن حيان والربيع بن أنس وقال السدي عن الصلاة أن يأتوا الصلاة في وقتها. وقال مطر الوراق كانوا يبيعون ويشترون ولكن كان أحدهم إذا سمع النداء وميزانه في يده خفضه وأقبل إلى الصلاة وقال علي بن أحد فتلا سالم هذه الآية رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ثم قال هم هؤلاء وكذا قال سعيد بن أبي الحسن والضحاك لا تلهيهم التجارة والبيع بن دينار الأعور كنت مع سالم بن عبد الله ونحن نريد المسجد فمرنا بسوق المدينة وقد قاموا إلى الصلاة وخمروا متاعهم فنظر سالم إلى أمتعتهم ليس معها يوم في المسجد أما إنى لا أقول إن ذلك ليس بحلال ولكني أحب أن أكون من الذين قال الله فيهم رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله. وقال عمرو عبد الله بن جبير حدثنا أبو عبد ربه قال: قال أبو الدرداء رضي الله عنه إنى قمت على هذا الدرج أبايع عليه أريح كل يوم ثلثمائة دينار أشهد الصلاة في كل عن ذكر الله رواه ابن أبي حاتم وابن جرير. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن عبد الله بن بكير الصنعاني حدثنا أبو سعيد مولى بن هاشم حدثنا عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه كان في السوق فأقيمت الصلاة فأغلقت حوانيتهم ودخلوا المسجد فقال ابن عمر فيهم نزلت رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عبد الله بن مسعود هؤلاء من الذين ذكر الله في كتابه رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الآية وهكذا روى عمرو بن دينار القهرماني عن سالم عن ومحبتهم قال هشيم عن شيبان قال حدثت عن ابن مسعود أنه رأى قوما من أهل السوق حيث نودي للصلاة المكتوبة تركوا بياعتهم ونهضوا إلى الصلاة فقال ينفذ وما عند الله باق ولهذا قال تعالى لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة أي: يقدمون طاعته ومراده ومحبته على مرادهم الدنيا وزخرفها وزينتها وملاد بيعها وربحها عن ذكر ربهم الذي هو خالقهم ورازقهم والذين يعلمون أن الذي عنده هو خير لهم وأنفع مما بأيديهم لأن ما عندهم

## تفسير ابن كثير

أولادكم عن ذكر الله الآية وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع الآية يقول تعالى لا تشغلهم من المساجد كما منعت نساء بني إسرائيل. وقوله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله كقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تلهيكم أموالكم ولا ثم يرجعن متلفعات بمروطهن ما يعرفن من الغلس وفي الصحيحين عنها أيضا أنها قالت: لو أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء لمنعهن إحداكن المسجد فلا تمس طيبا وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان نساء المؤمنين يشهدن الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن تفلت أي لا ريح لهن. وقد ثبت في صحيح مسلم عن زينب امرأة عبدالله بن مسعود قالت: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا شهدت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا إماء الله مساجد الله رواه البخاري ومسلم ولأحمد وأبي داود وبيوتهن خير لهن وفي رواية وليخرجن يخرجه. هذا ويجوز لها شهود جماعة الرجال بشرط أن لا تؤذي أحدا من الرجال بظهور زينة ولا ريح طيب كما ثبت في الصحيح عن عبدالله بن عمر أنه قال: في مسجد قومك خير من صلاتك في مسجدي قال فأمرت فبني لها مسجد في أقصى بيت من بيوتها فكانت والله تصلي فيه حتى لقيت الله تعالى لم صلاتك في بيتك خير من صلاتك في حجرتك وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك وصلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك وصلاتك حميد امرأة أبي حميد الساعدي أنها جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إني أحب الصلاة معك. قال: قد علمت أنك تحبين الصلاة معي خير مساجد النساء قعر بيوتهن وقال أحمد أيضا: حدثنا هارون أخبرني عبدالله بن وهب حدثنا داود بن قيس عن عبدالله بن سويد الأنصاري عن عمته أم وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن غيلان حدثنا رشدين حدثني عمرو عن أبي السمع عن السائب مولى أم سلمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها. كما قال تعالى: من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية وأما النساء فصلاتهن في بيوتهن أفضل لهن لما رواه أبو داود عن عبدالله بن مسعود فيه إشعار بهمهم السامية ونياتهم وعزائمهم العالية التي بها صاروا عمارا للمساجد التي هي بيوت الله في أرضه ومواطن عبادته وشكره وتوحيده وتنزيهه قال رجال. وأما على قراءة من قرأ يسبح بكسر الباء فجعله فعلا وفاعله رجال فلا يحسن الوقف إلا على الفاعل لأنه تمام الكلام فقوله تعالى رجال للفاعل المحذوف كما قال الشاعر: يبك يزيد ضارع لخصومة ومختبئ مما تطيح الطوائح كأنه قال: من يبكيه قال هذا يبكيه وكأنه قيل من يسبح له فيها؟ وابتدأ بقوله رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وكأنه مفسر

أجورهم ويزيدهم من فضله قال أجورهم يدخلهم الجنة ويزيدهم من فضله الشفاعة لمن وجبت له الشفاعة لمن صنع لهم المعروف في الدنيا. 38 وروى الطبراني من حديث بقية عن اسماعيل بن عبدالله الكندي عن الأعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ليوفيههم فنادى بصوت يسمع الخلائق سيعلم أهل الجمع من أولي الكرم ليقم الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فيقومون وهم قليل ثم يحاسب سائر الخلائق إسحاق عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة جاء مناد النسائي وابن أبي حاتم من حديث الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عنه. وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا سويد بن سعيد حدثنا علي بن مسهر عن عبدالرحمن بن جلسائه واحدا واحدا فكلهم لم يشربه لأنه كان صائما فتناوله ابن مسعود فشربه لأنه كان مفطرا ثم تلا قوله يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار رواه يقرض الله قرضا حسنا الآية وقال والله يضاعف لمن يشاء وقال ههنا والله يرزق من يشاء بغير حساب وعن ابن مسعود أنه جاء بلبن فعرضه على يتقبل منهم الحسن ويضاعفه لهم كما قال تعالى إن الله لا يظلم مثقال ذرة الآية وقال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها الآية وقال من ذا الذي أي هؤلاء من الذين يتقبل حسناتهم ويتجاوز عن سيئاتهم وقوله ويزيدهم من فضله أي

وهذا المثال مثال لذوي الجهل المركب فأما أصحاب الجهل البسيط وهم الطماطم الأغشام المقلدون لأئمة الكفر الصم البكم الذي لا يعقلون فمثلهم. 39 ما اتخذ الله من ولد ماذا تبغون؟ فيقولون يا رب عطشنا فاسقنا فيقال ألا ترون؟ فتمثل لهم النار كأنها سرب يحطم بعضها بعضا فينطلقون فيتهافتون فيها بن كعب وابن عباس ومجاهد وقتادة وغير واحد. وفي الصحيحين أنه يقال يوم القيامة لليهود ما كنتم تعبدون؟ فيقولون كنا نعبد عزير ابن الله. فيقال كذبتم كما قال تعالى: وقدما إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقال ههنا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب وهكذا روي عن أبي عملا وأنه قد حصل شيئا فإذا وافى الله يوم القيامة وحاسبه عليها ونوقش على أفعاله لم يجد له شيئا بالكلية قد قبل إما لعدم الإخلاص أو لعدم سلوك الشرع السماء والأرض فإذا رأى السراب من هو محتاج إلى الماء يحسبه ماء قصده ليشرب منه فلما انتهى إليه لم يجده شيئا فكذلك الكافر يحسب أنه قد عمل جار وجيران وهي الأرض المستوية المتسعة المنبسطة وفيه يكون السراب وإنما يكون ذلك بعد نصف النهار وأما الال فإنما يكون أول النهار يرى كأنه ماء بن على شيء فمثلهم في ذلك كالسراب الذي يرى في القيعان من الأرض عن بعد كأنه بحر طام والقيعة جمع قاع كجار وجيرة والقاع أيضا واحد القيعان كما يقال ولله الحمد والمنة. فأما الأول من هذين المثليين فهو للكفار الدعاة إلى كفرهم الذين يحسبون أنهم علي شيء من الأعمال والاعتقادات وليسوا في نفس الأمر ناريا ومائيا وكما ضرب لما يقر في القلوب من الهدى والعلم في سورة الرعد مثليين مائيا وناريا وقد تكلمنا على كل منهما في موضعه بما أغنى عن إعادته هذان مثلان ضربهما الله تعالى لنوعي الكفار كما ضرب للمنافقين في أول البقرة مثليين

صحة ما قال ثلاثة أحكام أحدها أن يجلد ثمانين جلدة الثاني أنه ترد شهادته أبدا الثالث أن يكون فاسقا ليس بعدل لا عند الله ولا عند الناس. 4 ولهذا قال تعالى ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون فأوجب على القاذف إذا لم يقيم البينة على وهي الحرة البالغة العفيفة فإذا كان المقدوف رجلا فكذلك يجلد قاذفه أيضا وليس فيه نزاع بين العلماء فإن أقام القاذف بينة على صحة ما قاله درأ عنه الحد

هذه الآية الكريمة فيها بيان حكم جلد القاذف للمحصنة

قال في مثل المؤمنين يهدي الله لنوره من يشاء فنسأل الله العظيم أن يجعل في قلوبنا نورا وعن أيماننا نورا وعن شمائلنا نورا وأن يعظم لنا نورا. 40 تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور أي من لم يهده الله فهو هالك جاهل حائر بائر كافر كقوله من يضل الله فلا هادي له وهذا في مقابلة ما الظلم فكلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره يوم القيامة إلى الظلمات إلى النار وقال السدي والربيع بن أنس نحو ذلك أيضا وقوله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة الآية وقال أبي بن كعب في قوله تعالى ظلمات بعضها فوق بعض فهو يتقلب في خمسة من التي على القلب والسمع والبصر وهي كقوله ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم الآية وكقوله أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله للجاهل أين تذهب؟ قال معهم قيل: فإلى أين يذهبون؟ قال: لا أدري؟ وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنه يغشاه موج الآية يعني بذلك الغشاوة أي لم يقارب رؤيتها من شدة الظلام فهذا مثل قلب الكافر الجاهل البسيط المقلد الذي لا يعرف حال من يقوده ولا يدري أين يذهب بل كما يقال في المثل قال قتادة: لحي هو العميق يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها

والله عليم بما يفعلون ثم أخبر تعالى أن له ملك السموات والأرض فهو الحاكم المتصرف الإله المعبود الذي لا تنبغي العبادة إلا له ولا معقب لحكمه. 41 صلاته وتسبيحه أي كل قد أرشده إلى طريقته ومسلكه في عبادة الله عز وجل. ثم أخبر أنه عالم بجميع ذلك لا يخفى عليه من ذلك شيء ولهذا قال تعالى الآية وقوله تعالى والطير صافات أي في حال طيرانها تسبح ربها وتعبد بتسبيح ألهمها وأرشدها إليه وهو يعلم ما هي فاعلة ولهذا قال تعالى كل قد علم أنه يسبح له من في السموات والأرض أي من الملائكة والأناسي والجان والحيوان حتى الجماد كما قال تعالى تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن يخبر تعالى

القيامة فيحكم فيه بما يشاء ليحزي الذين أساءوا بما عملوا الآية فهو الخالق المالك الإله الحكم في الدنيا والآخرة وله الحمد في الأولى والآخرة. 42 وإلى الله المصير أي يوم

وأشجارهم ويصرفه عن يشاء رحمة بهم وقوله يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار أي يكاد ضوء برقه من شدته يخطف الأبصار إذا أتبعته وتراءته. 43 عن يشاء أي يؤخر عنهم الغيب ويحتمل أن يكون المراد بقوله فيصيب به أي بالبرد نقمة على من يشاء لما فيه من نثر ثمارهم وإتلاف زروعهم يشاء يحتمل أن يكون المراد بقوله فيصيب به أي بما ينزل من السماء من نوعي المطر والبرد فيكون قوله فيصيب به من يشاء رحمة لهم ويصرفه الجبال ههنا كناية عن السحاب فإن من الثانية عند هذا لابتداء الغاية أيضا لكنها بدل من الأولى والله أعلم وقوله تعالى فيصيب به من يشاء ويصرفه عن وهذا إنما يجيء على قول من ذهب من المفسرين إلى أن قوله من جبال فيها من برد معنا أن في السماء جبال برد ينزل الله منها البرد وأما من جعل جرير رحمهما الله وقوله وينزل من السماء من جبال فيما من برد قال بعض النحاة من الأولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض والثالثة لبيان الجنس المثيرة فتقسم الأرض كما ثم يبعث الله الناشئة فتتنشئ السحاب ثم يبعث الله المؤلفة فتؤلف بينه ثم يبعث الله اللواحق فتلقح السحاب رواه ابن أبي حاتم وابن متراكما أي يركب بعضه بعضا فترى الودق أي المطر يخرج من خلاله أي من خلله وكذا قرأها ابن عباس والضحاك قال عبيد بن عمير الليثي يبعث الله يذكر تعالى أنه يسوق السحاب بقدرته أول ما ينشئها وهي ضعيفة وهو الإجزاء ثم يؤلف بينه أي يجمعه بعد تفرقه ثم يجعله ركاما أي

لدليلا على عظمته تعالى كما قال تعالى إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبصار وما بعدها من الآيات الكريمات. 44 من هذا في هذا فيطول الذي كان قصيرا ويقصر الذي كان طويلا والله هو المتصرف في ذلك بأمره وقهره وعزته وعلمه إن في ذلك لعلبة لأولي الأبصار أي أي يتصرف فهما فيأخذ من طول هذا في قصر هذا حتى يعتدلا ثم يأخذ

كالأنعام وسائر الحيوانات ولهذا قال يخلق الله ما يشاء أي بقدرته لأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولهذا قال إن الله على كل شيء قدير. 45 وسكناتها من ماء واحد فمنهم من يمشي على بطنه كالحية وما شاكلها ومنهم من يمشي على رجلين كالإنسان والطير ومنهم من يمشي على أربع يذكر تعالى قدرته التامة وسلطانه العظيم في خلقه أنواع المخلوقات على اختلاف أشكالها وألوانها وحركاتها

والأمثال البينة المحكمة كثيرا جدا وأنه يرشد إلى تفهمها وتعقلها أولي الأبصار والنهي ولهذا قال والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. 46 يقرر تعالى أنه أنزل في هذا القرآن من الحكم والحكم

وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك أي يخالفون أقوالهم بأفعالهم فيقولون ما لا يفعلون ولهذا قال تعالى: وما أولئك بالمؤمنين. 47 يخبر تعالى عن صفات المنافقين الذين يظهرون خلافا ما يبطنون يقولون قولاً بألسنتهم آمنا بالله

وفي الطبراني من حديث روح بن عطاء عن أبي ميمونة عن أبيه عن الحسن عن سمرة مرفوعا من دعي إلى سلطان فلم يجب فهو ظالم لا حق له. 48 عن أتباعه وهذه كقوله تعالى ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك إلى قوله رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا أي إذا طلبوا إلى اتباع الهدى فيما أنزل الله على رسوله أعرضوا عنه واستكبروا في أنفسهم

عليه وسلم ليروج باطله ثم فإذعانه أولا لم يكن عن اعتقاد منه أن ذلك هو الحق بل لأنه موافق لهواه ولهذا لما خالف الحق قصده عدل عنه إلى غيره. 49 لا عليهم جاءوا سامعين مطيعين وهو معنى قوله مذعنين وإذا كانت الحكومة عليه أعرض ودعا إلى غير الحق وأحب أن يتحاكم إلى غير النبي صلى الله



بن زيد بن جابر. وقال الشعبي والضحاك لا تقبل شهادته وإن تاب إلا أن يعترف على نفسه أنه قد قال البهتان فحينئذ تقبل شهادته والله أعلم. 5  
فقط فيرتفع الفسق بالتوبة ويبقى مردود الشهادة أبداً وممن ذهب إليه من السلف القاضي شريح وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبير ومكحول وعبد الرحمن وارتفع عنه حكم الفسق ونص عليه سعيد بن المسيب سيد التابعين وجماعة من السلف أيضاً وقال الإمام أبو حنيفة إنما يعود الاستثناء إلى الجملة الأخيرة الثانية والثالثة؟ وأما الجدل فقد ذهب وانقضي سواء تاب أو أصر وإلا حكم له بعد ذلك بلا خلاف فذهب الإمام مالك وأحمد والشافعي إلى أنه إذا قبلت شهادته واختلف العلماء في هذا الاستثناء هل يعود إلى الجملة الأخيرة فقط فترفع التوبة الفسق فقط ويبقى مردود الشهادة دائماً وإن تاب أو يعود إلى الجملتين حق له وهذا حديث غريب وهو مرسل ثم أخبر تعالى عن صفة المؤمنين المستجيبين لله ولرسوله الذين لا يبغون ديناً سوى كتاب الله وسنة رسوله. 50  
فلان فأنزل الله هذه الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم: من كان بينه وبين أخيه شيء فدعي إلى حكم من أحكام المسلمين فأبي أن يجيب فهو ظالم لا وسلم وهو محق أذعن وعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم سيقضي له بالحق وإذا أراد أن يظلم فدعي إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأعرض وقال أنطلق إلى قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا مبارك حدثنا الحسن قال: كان الرجل إذا كان بينه وبين الرجل منازعة فدعي إلى النبي صلى الله عليه وسلم تعالى بل أولئك هم الظالمون أي بل هم الظالمون الفاجرون والله ورسوله مبرآن مما يظنون ومتوهمون من الحيف والجور تعالى الله ورسوله عن ذلك شك في الدين أو يخافون أن يجور الله ورسوله عليهم في الحكم وأياما كان فهو كفر محض والله عليم بكل منهم وما هو منطوق عليه من هذه الصفات وقوله يعني لا يخرج أمرهم عن أن يكون في القلوب مرض لازم لها أو قد لها

حاتم والأحاديث والآثار في وجوب الطاعة لكتاب الله وسنة رسوله وللخلفاء الراشدين والأئمة إذا أمروا بطاعة الله أكثر من أن تحصر في هذا المكان. 51  
أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول: عروة الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والطاعة لمن ولاة الله أمر المسلمين. رواه ابن أبي الله. وقال قتادة: ذكر لنا أن أبا الدرداء قال: لا إسلام إلا بطاعة الله ولا خير إلا في جماعة والنصيحة لله ولرسوله وللخليفة وللمؤمنين عامة قال وقد ذكر لنا ومكرهه وأثرة عليك وعليك أن تقيم لسانك بالعدل وأن لا تنازع الأمر أهله إلا أن يأمرك بمعصية الله بواحا فما أمرت به من شيء يخالف كتاب الله فاتبع كتاب أنه لما حضره الموت قال لابن أخيه جنادة بن أبي أمية: ألا أنبئك بماذا عليك وبماذا لك؟ قال: بلى قال: فإن عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك فقال تعالى وأولئك هم المفلحون وقال قتادة في هذه الآية أن يقولوا سمعنا وأطعنا ذكر لنا أن عبادة بن الصامت وكان عقيباً بدرياً أحد نقباء الأنصار أي سمعاً وطاعة ولهذا وصفهم تعالى بالفلاح وهو نيل المطلوب والسلامة من المرهوب

ويخشى الله فيما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل وقوله فأولئك هم الفائزون يعني الذين فازوا بكل خير وأمنوا من كل شر في الدنيا والآخرة. 52  
قال قتادة: يطع الله ورسوله فيما أمراه به وترك ما نهياه عنه

بخلافه وإن راج على المخلوق فالخالق تعالى يعلم السر وأخفى لا يروج عليه شيء من التدليس بل هو خير بضائر عبادته وإن أظهرها خلافها. 53  
المؤمنون بغير حلف ولا أقسام فكونوا أنتم مثلهم إن الله خير بما تعلمون أي هو خير بكم وبمن يطيع ممن يعصي فالحلف وإظهار الطاعة والباطن الأدبار ثم لا ينصرون وقيل المعنى في قوله طاعة معروفة أي ليكن أمركم طاعة معروفة أي بالمعروف من غير حلف ولا أقسام كما يطيع الله ورسوله معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبداً وإن قوتلتهم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون لنن أخرجوا لا يخرجون معهم ولنن قوتلوا لا ينصرونهم ولنن نصروهم ليولن الآية فهم من سجيته الكذب حتى فيما يختارونه كما قال تعالى ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لنن أخرجهم لنخرجن أي قد علم طاعتكم إنما هي قول لا فعل معه وكلما حلفتكم كذبتكم كما قال تعالى: يحلفون لكم لترضوا عنهم الآية وقال تعالى: اتخذوا أيمانهم جنة عليه وسلم لنن أمرتهم بالخروج في الغزو ليخرجن قال الله تعالى: قل لا تقسموا أي لا تحلفوا وقوله: طاعة معروفة قيل: معناه طاعتكم طاعة معروفة يقول تعالى مخبراً عن أهل النفاق الذين كانوا يحلفون للرسول صلى الله

أتمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر موحدون مؤمنين مخلصين مصدقين بما جاءت به الرسل رواه ابن أبي حاتم. 54  
القلة وأغني به بعد العيلة وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف به بين أمة متفرقة وقلوب مختلفة وأهواء مشتتة وأستنفذ به فناما من الناس عظيماً من الهلكة وأجعل والعدل سيرته والهدى إمامه والإسلام ملته وأحمد اسمه أهدي به بعد الضلالة وأعلم به من الجهالة وأرفع به بعد الخمالة وأعرف به بعد النكرة وأكثر به بعد وأهب له كل خلق كريم وأجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة منطقته والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والحق شريعته يمشي على القصب واليابس لم يسمع من تحت قدميه أبغته بشيراً ونذيراً لا يقول الخنى أفتح به أعينا عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً وأسده بكل أمر جميل في الفقراء والملك في الرعاة ويريد أن يبعث أمياً من الأميين ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق لو يمر على السراج لم يطفئه من سكينته ولو ويا أرض انصتي فإن الله يريد أن يقضي شأننا ويدبر أمراً هو منفذه إنه يريد أن يحول الريف إلى الفلاة والآجام في الغيطان والأنهار في الصحاري والنعمة قال وهب بن منبه أوحى الله إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له شعيا أن قم في بني إسرائيل فإني سأطلق لسانك بوحى فقام فقال: يا سماء اسمعي وقوله تعالى: وما على الرسول إلا البلاغ المبين كقوله تعالى: فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقوله: فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر بقبول ذلك وتعظيمه والقيام بمقتضاه وإن تطيعوه تهتدوا وذلك لأنه يدعو إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض الآية

## تفسير ابن كثير

الله وسنة رسوله وقوله تعالى: فإن تولوا أي تتولوا عنه وتتركوا ما جاءكم به فإنما عليه ما حمل أي إبلاغ الرسالة وأداء الأمانة وعليكم ما حملتم أي أي اتبعوا كتاب

ذلك وفي رواية حتى يقاتلون الدجال وفي رواية حتى ينزل عيسى ابن مريم وهم ظاهرون. وكل هذه الروايات صحيحة ولا تعارض بينها. 55 وسلم أنه قال: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى يوم القيامة وفي رواية حتى يأتي أمر الله وهم على العباد والبلاد ولما قصر الناس بعدهم في بعض الأوامر نقص ظهورهم بحسبهم ولكن قد ثبت في الصحيحين من غير وجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى يوم القيامة وفي رواية حتى يأتي أمر الله وهم على العباد والبلاد ولما قصر الناس بعدهم في بعض الأوامر نقص ظهورهم بحسبهم أظهروا كلمة الله في المشارق والمغارب وأيدهم تأييدا عظيما وحكموا في سائر هم الفاسقون أي فمن خرج عن طاعتي بعد ذلك فقد خرج عن أمر ربه وكفى بذلك ذنبا عظيما فالصحابه رضي الله عنهم لما كانوا أقوم الناس بعد النبي قال قلت: الله ورسوله أعلم قال: فإن حق العباد على الله أن لا يعذبهم. أخرجه في الصحيحين من حديث قتادة. وقوله تعالى: ومن كفر بعد ذلك فأولئك يعبدوه ولا يشركوا به شيئا قال ثم سار ساعة ثم قال: يا معاذ بن جبل قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك قال: فهل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ سار ساعة ثم قال: يا معاذ بن جبل قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك قال: هل تدري ما حق الله على العباد؟ قلت الله ورسوله أعلم قال: حق الله على العباد أن يبنوني وبينه إلا آخره الرحل قال: يا معاذ قلت لبيك يا رسول الله وسعديك قال: ثم سار ساعة ثم قال: يا معاذ بن جبل قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك ثم بي شيئا قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا همام حدثنا قتادة عن أنس أن معاذ بن جبل حدثه قال: بينا أنا رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار ليس الأمة بالسنا والرفعة والدين والنصر والتمكين في الأرض فمن عمل منهم عمل الآخرة الدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب وقوله تعالى: يعبدونني لا يشركون أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا سفيان عن أبي سلمة عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بشر هذه في غير جوار أحد ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز والذي نفسي بيده لتكونن الثالثة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قالها. وقال الإمام هرمز قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: نعم كسرى بن هرمز وليبذلن المال حتى لا يقبله أحد. قال عدي بن حاتم: فهذه الظعينة تخرج من الحيرة فتطوف بالبيت قد سمعت بها قال: فوالذي نفسي بيده ليطمن الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت في غير جوار أحد ولتفتحن كنوز كسرى بن وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم الآية كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم حين وفد عليه أتعرف الحيرة؟ قال: لم أعرفها ولكن أنه قال لقومه: عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض الآية وقال تعالى ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض الآيتين. وقوله: إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض إلى قوله لعلكم تشكرون وقوله تعالى: كما استخلف الذين من قبلهم كما قال تعالى عن موسى عليه السلام وعمر رضي الله عنه حق في كتاب الله ثم تلا هذه الآية وقال البراء بن عازب نزلت هذه الآية ونحن في خوف شديد وهذه الآية الكريمة كقوله تعالى واذكروا إمارة أبي بكر وعمر وعثمان حتى وقعوا فيما وقعوا فيه فأدخل عليهم الخوف فاتخذوا الحجة والشرط وغيروا فقير بهم وقال بعض السلف: خلافة أبي بكر وأنزل الله هذه الآية فأظهر الله نبيه على جزيرة العرب فأمنوا ووضعوا السلاح ثم إن الله تعالى قبض نبيه صلى الله عليه وسلم فكانوا كذلك آمنين في فيه ونضع عنا السلاح؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لن تصبروا إلا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبيا ليست فيه حديدة السلاح ويصبحون في السلاح فصبروا على ذلك ما شاء الله ثم إن رجلا من الصحابة قال يا رسول الله: أبد الدهر نحن خائفون هكذا؟ أما يأتي علينا يوم نأمن عبادته وحده لا شريك له سرا وهم خائفون لا يؤمرون بالقتال حتى أمروا بالهجرة إلى المدينة فقدموها فأمرهم الله بالقتال فكانوا بها خائفين يمسون في الذين ارتضى لهم وليبذلنهم من بعد خوفهم أمنا الآية قال كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمكة نحو من عشر سنين يدعون إلى الله وحده وإلى بن أنس عن أبي العالية في قوله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم عن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا عضوا وقال الربيع الله عليه وسلم وكنيته كنيته يملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما وقد روى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث سعيد بن جهمان كانت بعدهم فترة ثم وجد منهم من شاء الله ثم قد يوجد منهم من بقي في الوقت الذي يعلمه الله تعالى ومنهم المهدي الذي اسمه يطابق اسم رسول الله صلى أن يكون متتابعين بل يكون وجودهم في الأمة متتابعين ومتفرقا وقد وجد منهم أربعة على الولاء وهم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم ثم فإن كثيرا من أولئك لم يكن لهم من الأمر شيء فأما هؤلاء فإنهم يكونون من قريش يلون فيعدلون وقد وقعت البشارة بهم في الكتب المتقدمة ثم لا يشترط عشية رجم ماعز بن مالك وذكر معه أحاديث أخر وفي هذا الحديث دلالة على أنه لابد من وجود اثني عشر خليفة عادل وليسوا هم بأئمة الشيعة الاثني عشر رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال قال: كلهم من قريش ورواه البخاري من حديث شعبة عن عبد الملك بن عمير به وفي رواية لمسلم أنه قال ذلك صلى الله عليه وسلم يقول: لا يزال أمر الناس ماضيا ما وليهم اثنا عشر رجلا ثم تكلم النبي صلى الله عليه وسلم بكلمة خفيت عني فسألت أبي ماذا قال يرضيه عنا. قال الإمام مسلم بن الحجاج في صحيحه: حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن عبد الملك بن عمير عن جابر ابن سمرة قال: سمعت رسول الله ملك أمتي ما زوى لي منها فما نحن نتقلب فيما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله فنسأل الله الإيمان به وبرسوله والقيام بشكره على الوجه الذي وجمعه الأمة على حفظ القرآن ولهذا ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الله زوى لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها وسبيلها وخذل الله ملكهم الأعظم خاقان وجي الخراج من المشارق والمغارب إلى حضرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وذلك ببركة تلاوته ودراسته المشرق إلى أقصى بلاد الصين وقتل كسرى وباد ملكه بالكلية وفتحت مدائن العراق وخراسان والأهواز وقتل المسلمون من الترك مقتلة عظيمة جدا

## تفسير ابن كثير

أقصى مشارق الأرض ومغاربها فتحت بلاد المغرب إلى أقصى ما هنالك الأندلس وقبرص وبلاد القيروان وبلاد سبته مما يلي البحر المحيط ومن ناحية أموالهما في سبيل الله كما أخبر بذلك ووعد به رسول الله عليه من ربه أتم سلام وأزكى صلاة ثم لما كانت الدولة العثمانية أمتدت الممالك الإسلامية إلى آخرها وأكثر إقليم فارس وكسر كسرى وأهانه غاية الهوان وتقهقر إلى أقصى مملكته وقصر قيصر وانتزع يده عن بلاد الشام وأنحدر إلى القسطنطينية وأنفق الفاروق فقام بالأمر بعده قياما تاما لم يدر الفلك بعد الأنبياء على مثله في قوة سيرته وكمال عدله وتم في أيامه فتح البلاد الشامية بكمالها وديار مصر إلى ودمشق ومخاليقهما من بلاد حوران وما والاها وتوفاه الله عز وجل واختار له ما عنده من الكرامة ومن على أهل الإسلام بأن ألهم الصديق أن يستخلف عمر رضي الله عنه ومن أتبعه من الأمراء إلى أرض الشام وثالثا صحبة عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى بلاد مصر ففتح الله للجيش الشامي في أيامه بصري ومهدا وبعث جيوش الإسلام إلى بلاد فارس صحبة خالد بن الوليد رضي الله عنه ففتحوا طرفا منها وقتلوا خلقا من أهلها وجيشا آخر صحبة أبي عبيدة عليه وسلم وأختار الله له ما عنده من الكرامة قام بالأمر بعده خليفته أبو بكر الصديق فلم شعث ما وهى بعد موته صلى الله عليه وسلم وأخذ جزيرة العرب الروم وصاحب مصر وإسكندرية وهو المقوقس وملوك عمان والنجاشي ملك الحبشة الذي تملك بعد أصحمة رحمه الله وأكرمه ثم لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكمالها وأخذ الجزية من مجوس هجر ومن بعض أطراف الشام وهاداه هرقل ملك وبهم تصلح البلاد وتخضع لهم العباد وليبدلهم من بعد خوفهم أمنا وحكما فيهم وقد فعله تبارك وتعالى وله الحمد والمنة: فإنه صلى الله عليه وسلم لم يمت هذا وعد من الله تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض أي أئمة الناس والولاة عليهم

أمرهم وترك ما عنه زجرهم لعل الله يرحمهم بذلك ولا شك أن من فعل هذا أن الله سيرحمه كما قال تعالى في الآية الأخرى أولئك سيرحمهم الله. 56 له وإيتاء الزكاة وهي الإحسان إلى المخلوقين ضعفائهم وفقرائهم وأن يكونوا في ذلك مطيعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي سالكين وراءه فيما به يقول تعالى أمرا عباده المؤمنين بإقامة الصلاة وهي عبادة الله وحده لا شريك

على ذلك أشد العذاب ولهذا قال تعالى: ومأواهم أي في الدار الآخرة النار ولبئس المصير أي بئس المال مآل الكافرين وبئس القرار وبئس المهاد. 57 لا تحسبن أي: لا تظن يا محمد أن الذين كفروا أي خالفوك وكذبوك معجزين في الأرض أي لا يعجزون الله بل الله قادر عليها وسيعذبهم

الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم إلى آخرها ومما يدل على أنها محكمة لم تنسخ قوله كذلك يبين الله لكم الآيات والله حكيم عليم. 58 يدخلون بغير إذن: فقالت أسماء يا رسول الله ما أقبح هذا إنه ليدخل على المرأة وزوجها وهما في ثوب واحد غلامهما بغير إذن فأنزل الله في ذلك يا أيها تلك الساعات إلا بإذن وقال مقاتل بن حيان: بلغنا والله أعلم أن رجلا من الأنصار وامرأته أسماء بنت مرثد صنعا للنبي صلى الله عليه وسلم طعاما فجعل الناس الله عنهم يحبون أن يواقعوا نساءهم في هذه الساعات ليغتسلوا ثم يخرجوا إلى الصلاة فأمرهم الله أن يأمرؤا المملوكين والغلمان أن لا يدخلوا عليهم في أمروا به وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس ورواه أبو داود عن القعني عن الدراوردي عن عمرو بن أبي عمرو به: وقال السدي كان أناس من الصحابة رضي العورات التي سمى الله ثم جاء الله بعد بالاستور فبسط الله عليهم الرزق فاتخذوا الستور واتخذوا الحجال فرأى الناس أن ذلك قد كفاهم من الاستئذان الذي ليس لهم سطور على أبوابهم ولا حجال في بيوتهم فربما فاجأ الرجل خادمه أو ولده أو يتيمه في حجره وهو على أهله فأمرهم الله أن يستأذنوا في تلك عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلين سألاه عن الاستئذان في الثلاث عورات التي أمر الله بها في القرآن فقال ابن عباس: إن الله ستيير يحب الستركان الناس قلت فإن الناس لا يعملون بها فقال: الله المستعان وقال ابن أبي حاتم حدثنا الربيع بن سليمان حدثنا ابن وهب أخبرنا سليمان بن بلال عن عمرو بن أبي عمرو قال أبو داود وكذلك رواه عطاء عن ابن عباس يأمر به وقال الثوري عن موسى بن أبي عائشة سألت الشعبي ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم قال: لم تنسخ وابن عبدة وهذا حديثه أخبرنا سفيان عن عبيد الله بن أبي يزيد سمع ابن عباس يقول: لم يؤمن بها أكثر الناس: آية الإذن وإني لأمر جاريته هذه تستأذن علي الناس على ثلاث آيات فلم يعملوا بهن يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم إلى آخر الآية وروى أبو داود حدثنا ابن الصباح وابن سفيان عند الله أتقاكم وفي لفظ له أيضا من حديث إسماعيل بن مسلم وهو ضعيف عن عمرو بن دينار عن عطاء ابن أبي رباح عن ابن عباس قال: غلب الشيطان ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم إلى آخر الآية والآية التي في سورة النساء وإذا حضر القسمة أولوا القربي والآية والآية التي في الحجرات إن أكرمكم بن بكير حدثني عبد الله بن الهبة حدثني عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير قال: قال ابن عباس ترك الناس ثلاث آيات فلم يعملوا بهن يا أيها الذين آمنوا محكمة ولم تنسخ بشيء وكان عمل الناس بها قليلا جدا أنكر عبد الله بن عباس ذلك على الناس كما قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله وأحمد بن حنبل وأهل السنن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الهرة: إنها ليست بنجسة إنها من الطوافين عليكم أو والطوافات ولما كانت هذه الآية تلك الأحوال لأنه قد أذن لهم في الهجوم ولأنهم طوافون عليكم أي في الخدمة وغير ذلك. ويغتفر في الطوافين ما لا يغتفر في غيرهم ولهذا روى الإمام مالك عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن أي إذا دخلوا في حال غير هذه الأحوال فلا جناح عليكم في تمكينكم إياهم ولا عليهم إن رأوا شيئا من غير النوم فيؤمر الخدم والأطفال أن لا يهجموا على أهل البيت في هذه الأحوال لما يخشى أن يكون الرجل على أهله أو نحو ذلك من الأعمال ولهذا قال ثلاث في فرشهم وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة أي في وقت القيلولة لأن الإنسان قد يضع ثيابه في تلك الحال مع أهله ومن بعد صلاة العشاء لأنه وقت أن يستأذنهم خدمهم مما ملكت أيمانهم وأطفالهم الذين لم يبلغوا الحلم منهم في ثلاثه أحوال الأول من قبل صلاة الغداة لأن الناس إذ ذاك يكونون نياما الآيات الكريمة اشتملت على استئذان الأقارب بعضهم على بعض وما تقدم في أول السورة فهو استئذان الأجانب بعضهم على بعض فأمر الله تعالى المؤمنين هذه

## تفسير ابن كثير

فليستأذن على كل حال وهكذا قال سعيد بن جبيرة وقال في قوله كما استأذن الذين من قبلهم يعني كما استأذن الكبار من ولد الرجل وأقاربه. 59 امرأته وإن لم يكن في الأحوال الثلاث. قال الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير إذا كان الغلام رباعيا فإنه يستأذن في العورات الثلاث على أبويه فإذا بلغ الحلم إنما كانوا يستأذنون في العورات الثلاث إذا بلغوا الحلم وجب عليهم أن يستأذنوا على كل حال يعني بالنسبة إلى أجانهم وإلى الأحوال التي يكون الرجل على يعني إذا بلغ الأطفال منكم الحلم الذين

أن يحضرها إلى الإمام فيدعي عليها بما رماها به فيحلفه الحاكم أربع شهادات بالله في مقابلة أربعة شهداء إنه لمن الصادقين أي فيما رماها به من الزنا. 60 هذه الآية الكريمة فيها فرج للأزواج وزيادة مخرج إذا قذف أحدهم زوجته وتعسر عليه إقامة البينة أن يلاعنها كما أمر الله عز وجل وهو

وقد قال الله تعالى في ذلك ما سمعت وقوله وأن يستعففن خير لهن أي وترك وضعهن لثيابهن وإن كان جائزا خير وأفضل لهن والله سميع علم. 60 عليها فعلت نعم فأدخلني عليها فإذا هي امرأة جليلة فقلت لها إن مسلما حدثني أنه خضب رأسك فقالت نعم يا بني إني من القواعد اللاتي لا يرجون نكاحا بن اليمان فجاء يوما إلى السوق وأثر الحناء في يده فسألته عن ذلك فأخبرني أنه خضب رأس مولاته وهي امرأة حذيفة فأنكرت ذلك فقال إن شئت أدخلتك كلها واحدة أحل الله لكن الزينة غير متبرجات أي لا يحل لكن أن يروا منكن محرما وقال السدي كان شريك لي يقال له مسلم وكان مولى لامرأة حذيفة الله عنها فقلت يا أم المؤمنين ما تقولين في الخضاب والنفاض والصباغ والقرطين والخلخال وخاتم الذهب وثياب الرقاق فقالت: يا معشر النساء قصتن حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عبد الله حدثنا ابن المبارك حدثني سوار بن ميمون حدثنا طلحة بن عاصم عن أم المصاعن أنها قالت دخلت على عائشة رضي بعد أن يكون عليها خمار صفيق وقال سعيد ابن جبيرة في الآية غير متبرجات بزينة يقول: لا يتبرجن بوضع الجلباب ليرى ما عليهن من الزينة وقال ابن أبي والخمار وقال سعيد بن جبيرة وغيره في قراءة عبد الله بن مسعود أن يضعن من ثيابهن وهو الجلباب من فوق الخمار فلا بأس أن يضعن عند غريب أو غيره وسعيد بن جبيرة وأبي الشعثاء وإبراهيم النخعي والحسن وقتادة والزهرى والأوزاعي وغيرهم وقال أبو صالح: تضع الجلباب وتقوم بين يدي الرجل في الدرع لا يرجون نكاحا الآية قال ابن مسعود في قوله فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن قال: الجلباب أو الرداء وكذلك روي عن ابن عباس وابن عمر ومجاهد أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس وقل للمؤمنات يغضن من أبصارهن الآية فنسخ من ذلك واستثنى من ذلك القواعد من النساء اللاتي بزينة أي ليس عليهن من الحجب في التستر كما على غيرهن من النساء قال أبو داود حدثنا أحمد بن محمد المروزي حدثني علي بن الحسين بن واقد عن اللواتي انقطع عنهن الحيض ويئسن من الولد اللاتي لا يرجون نكاحا أي لم يبق لهن تشوف إلى التزوج فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات قال سعيد بن جبيرة ومقاتل بن حيان والضحاك وقتادة: هن

الكريمة من الأحكام المحكمة والشرائع المتقنة المبرمة نبه تعالى عباده على أنه يبين لعباده الآيات بيانا شافيا ليتدبروها ويتعقلوها لعلمهم بعقلون. 61 عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يخالف هذا والله أعلم. وقوله كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون لما ذكر تعالى ما في السورة ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ثم يدعو لنفسه ويسلم وهكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث ابن إسحاق والذي في صحيح مسلم الله مباركة طيبة فالتشهد في الصلاة: التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله السلام عليك أيها النبي بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أنه كان يقول: ما أخذت التشهد إلا من كتاب الله سمعت الله يقول فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الأوابين قبل يا أنس أرحم الصغير ووقر الكبير تكن من رفقائي يوم القيامة. وقوله تحية من عند الله مباركة طيبة قال محمد بن إسحاق حدثني داود يزد في عمرك وسلم على من لقيك من أمتي تكثر حسناتك وإذا دخلت يعني بيتك فسلم على أهلك يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فإنها صلاة محمد بن المثنى حدثنا عويد بن أبي عمران الجوني عن أبيه عن أنس قال: أوصاني النبي صلى الله عليه وسلم بخمس خصال قال: يا أنس أسبغ الوضوء وإذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فإنه كان يؤمر بذلك وحدثنا أن الملائكة ترد عليه وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل بسم الله والحمد لله السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وقال قتادة: إذا دخلت على أهلك فسلم عليهم وإذا دخلت على أهلك فسلم عليهم وإذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وروى الثوري عن عبد الكريم الجزري عن مجاهد إذا دخلت أن أسلم عليهم ؟ قال لا ولا أوتر وجوبه عن أحد ولكن هو أحب إلي وما أدعه إلا ناسيا وقال مجاهد: إذا دخلت المسجد فقل السلام على رسول الله وإذا ما رأيته إلا يوجبه قال ابن جريج وأخبرني زياد عن ابن طاوس أنه كان يقول: إذا دخل أحدكم بيته فليسلم قال ابن جريج قلت لعطاء أوجب إذا خرجت ثم بعضكم على بعض وقال ابن جريج أخبرني أبو الزبير سمعت جابر بن عبد الله يقول: إذا دخلت على أهلك فسلم عليهم تحية من عند الله مباركة طيبة قال ولا تفرقوا فإن البركة مع الجماعة وقوله: فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال سعيد بن جبيرة والحسن البصري وقتادة والزهرى: يعني فليسلم بن مسلم به وقد روى ابن ماجه أيضا من حديث عمرو بن دينار القهرماني عن سالم عن أبيه عن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: كلوا جميعا وسلم إنا نأكل ولا نشبع قال: لعلكم تأكلون متفرقين اجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله يبارك لكم فيه ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث الوليد أبارك وأفضل كما رواه الإمام أحمد حدثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا الوليد بن مسلم عن وحشي بن حرب عن أبيه عن جده أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه فأنزل الله ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا فهذه رخصة من الله تعالى في أن يأكل الرجل وحده ومع الجماعة وإن كان الأكل مع الجماعة الحي من بني كنانة يرى أحدهم أن مخزاة عليه أن يأكل وحده في الجاهلية حتى إن كان الرجل ليسوق الذود الحفل وهو جائع حتى يجد من يؤاكله ويشاربه إن يأكل الرجل الطعام وحده حتى يكون معه غيره فرخص الله لهم في ذلك فقال: ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا وقال قتادة: كان هذا

## تفسير ابن كثير

فلا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحد فكف الناس عن ذلك فأنزل الله ليس على الأعمى حرج إلى قوله أو صديقكم وكانوا أيضا يأنفون ويتحرجون وذلك لما أنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل قال المسلمون إن الله قد نهانا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل والطعام من أفضل الأموال إذا دخلت بيت صديقك فلا بأس أن تأكل بغير إذنه وقوله ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية مفاتحه وقوله أو صديقكم أي بيوت أصدقائكم وأصحابكم فلا جناح عليكم في الأكل منها إذا علمتم أن ذلك لا يشق عليهم ولا يكرهون ذلك وقال قتادة قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما احتجتم إليه فكانوا يقولون إنه لا يحل لنا أن نأكل إنهم أذنوا لنا عن غير طيب أنفسهم وإنما نحن أمناء فأنزل الله أو ما ملكتم عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان المسلمون يذهبون في النفير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدفعون مفاتحهم إلى ضمانهم ويقولون أو ما ملكتم مفاتحه فقال سعيد بن جبير والسدي: هو خادم الرجل من عبد وقهرمان فلا بأس أن يأكل مما استودعه من الطعام بالمعروف وقال الزهري مفاتحه هذا ظاهر وقد يستدل به من يوجب نفقة الأقارب بعضهم على بعض كما هو مذهب أبي حنيفة والإمام أحمد بن حنبل في المشهور عنهما وأما قوله والسنن من غير وجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: أنت ومالك لأبيك وقوله: أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم إلى قوله أو ما ملكتم وليسوا به ما بعده في الحكم وتضمن هذا بيوت الأبناء لأنه لم ينص عليهم ولهذا استدل بهذا من ذهب إلى أن مال الولد بمنزله مال أبيه وقد جاء في المسند فقال الله تعالى ليس على الأعمى حرج الآية وقوله تعالى ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم إنما ذكر هذا وهو معلوم ليعطف عليه غيره في اللفظ فنزلت هذه الآية رخصة لهم وقال السدي: كان الرجل يدخل بيت أبيه أو أخيه أو ابنة فتتحفه المرأة بشئ من الطعام فلا يأكل من أجل أن رب البيت ليس ثم أو بالمريض إلى بيت أبيه أو أخيه أو بيت أخته أو بيت عمته أو بيت خالته فكان الزمى يتحرجون من ذلك يقولون إنما يذهبون بنا إلى بيوت عشيرتهم الآية وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى ليس على الأعمى حرج الآية قال: كان الرجل يذهب بالأعمى أو بالأعرج في ذلك وهذا قول سعيد بن جبير ومقسم وقال الضحاك: كانوا قبل البعثة يتحرجون من الأكل مع هؤلاء تقدرا وتعززا ولنا يفضلوا عليهم فأنزل الله هذه الآية لأنه لا يتمكن من الجلوس فيقتات عليه جليسه والمريض لا يستوفي من الطعام كغيره فكرهوا أن يؤاكلوهم لئلا يظلموهم فأنزل الله هذه الآية رخصة أن لا يجدوا ما ينفقون وقيل المراد ههنا أنهم كانوا يتحرجون من الأكل مع الأعمى لأنه لا يرى الطعام وما فيه من الطيبات فربما سبقه غيره إلى ذلك ولا مع حرج إذا نصحوه له ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه إلى قوله أي أنهم لا إثم عليهم في ترك الجهاد لضعفهم وعجزهم وكما قال تعالى في سورة براءة ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون ههنا فقال عطاء الخراساني وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم يقال إنها نزلت في الجهاد وجعلوا هذه الآية ههنا كالتي في سورة الفتح وتلك في الجهاد لا محالة اختلف المفسرون رحمهم الله في المعنى الذي رفع لأجله الحرج عن الأعمى والأعرج والمريض

أراد أن يقوم فليسلم فليست الأولى بأحق من الآخرة وهكذا رواه الترمذي والنسائي من حديث محمد بن عجلان به وقال الترمذي: حديث حسن. 62  
المفضل عن ابن عجلان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أنتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم فإذا منهم في ذلك أن يأذن له إن شاء ولهذا قال فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الآية وقد قال أبو داود حدثنا أحمد بن حنبل ومسددا قال حدثنا بشر هو ابن لا يفرقوا عنه والحالة هذه إلا بعد استئذانه ومشاورته وإن من يفعل ذلك فإنه من المؤمنين الكاملين ثم أمر رسوله صلوات الله وسلامه عليه إذا استأذنه أحد لا سيما إذا كانوا في أمر جامع مع الرسول صلوات الله وسلامه عليه من صلاة جمعة أو عيد جماعة أو اجتماع في مشورة ونحو ذلك أمرهم الله تعالى أن وهذا أيضا أدب أرشد الله عباده المؤمنين إليه فكما أمرهم بالاستئذان عند الدخول كذلك أمرهم بالاستئذان عند الانصراف

فيقتحمن فيها قال فذلك مثلي ومثلكم أنا أخذ بحجزكم عن النار هلم عن النار فتغلبوني وتقتحمون فيها. أخرجاه من حديث عبد الرزاق. 63  
عليه وسلم: مثلي ومثلكم كمثل رجل استوفد نارا فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب اللاني يقعن في النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبهن حد أو حبس أو نحو ذلك كما روى الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خالف شريعة الرسول باطنا وظاهرا أن تصيبهم فتنة أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة أو يصيبهم عذاب أليم أي في الدنيا بقتل أو قائله وفاعله كائنا من كان كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد أي فليحذر صلى الله عليه وسلم وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله فما وافق ذلك قبل وما خالفه فهو مردود على يعلم الله الذين يتسللون منكم لوإذا قال من الصف وقال مجاهد في الآية لوإذا خلافا وقوله فليحذر الذين يخالفون عن أمره أي عن أمر رسول الله ببعض حتى يتغيبوا عنه فلا يراهم وقال قتادة في قوله قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لوإذا يعني لوإذا عن نبي الله وعن كتابه وقال سفيان قد غير أن يتكلم الرجل لأن الرجل منهم كان إذا تكلم والنبي صلى الله عليه وسلم يخاطب بطلت جمعته وقال السدي: كانوا إذا كانوا معه في جماعة لا بعضهم من النبي صلى الله عليه وسلم في يوم الجمعة بعدما يأخذ في الخطبة وكان إذا أراد أحدهم الخروج أشار بأصبعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيأذن له من ويعني بالحديث الخطبة فيلوزون ببعض أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حتى يخرجوا من المسجد وكان لا يصح للرجل أن يخرج من المسجد إلا بإذن وعطية العوفي والله أعلم وقوله: قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لوإذا قال مقاتل ابن حيان هم المنافقون كان ينقل عليهم الحديث في يوم الجمعة أي لا تعتقدوا أن دعاءه على غيره كدعاء غيره فإن دعاءه مستجاب فاحذروا أن يدعو عليكم فتهلكوا حكاه ابن أبي حاتم عن ابن عباس والحسن البصري وسلم والكلام معه وعنده كما أمروا بتقديم الصدقة قبل مناجاته والقول الثاني في ذلك أن المعنى في لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا

## تفسير ابن كثير

من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم الآية فهذا كله من باب الأدب في مخاطبة النبي صلى الله عليه الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون إلى قوله إن الذين ينادونك بعضكم بعضا قال: أمرهم الله أن يشرفوه هذا قول وهو الظاهر من السياق كقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا إلى آخر الآية وقوله يا أيها محمد ولا تقولوا يا ابن عبد الله ولكن شرفوه فقولوا يا نبي الله يا رسول الله وقال مالك عن زيد بن أسلم في قوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء صلى الله عليه وسلم وأن يبجل وأن يعظم وأن يسود وقال مقاتل في قوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا يقول لا تسموه إذا دعوتوه وجل عن ذلك إعظاما لنبيه صلى الله عليه وسلم قال: فقولوا يا نبي الله يا رسول الله وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وقال قتادة: أمر الله أن يهاب نبيه قال الضحاك عن ابن عباس: كانوا يقولون يا محمد يا أبا القاسم فنهاهم الله عز

ههنا ويوم يرجعون إليه فينبههم بما عملوا والله بكل شيء عليم. والحمد لله رب العالمين ونسأله التمام آخر تفسير سورة النور ولله الحمد والمنة. 64 المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا ولهذا قال بما عملوا أي يخبرهم بما فعلوا في الدنيا من جليل وحقيق وصغير وكبير كما قال تعالى ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر وقال: ووضع الكتاب فترى ولا يابس إلا في كتاب مبين والآيات والأحاديث في هذا كثيرة جدا وقوله ويوم يرجعون إليه أي ويوم يرجع الخلائق إلى الله وهو يوم القيامة فينبههم كل في كتاب مبين وقال: وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب يعلنون وقال تعالى: سواء منكم من أسر القول ومن جهر به الآية وقال تعالى: وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت أي هو شهيد على عبادته بما هم فاعلون من خير وشر وقال تعالى: ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين وقال تعالى: ذرة كما قال تعالى: وتوكل على العزيز الرحيم إلى قوله إنه هو السميع العليم وقوله وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل الفعل بقدر كقول المؤذن تحقيقا وثبوتا: قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة فقوله تعالى: قد يعلم ما أنتم عليه أي هو عالم به مشاهد له لا يعزب عنه مثقال إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون وقال: قد نرى تقلب وجهك في السماء الآية فكل هذه الآيات فيها تحقيق يعلم الله الذين يتسللون منكم لوأذا وقال تعالى: قد يعلم الله المعوقين منكم الآية وقال تعالى: قد سمع الله قول التي تجادلك الآية وقال: قد نعلم السموات والأرض وأنه عالم الغيب والشهادة وهو عالم بما العباد عاملون في سرهم وجهرهم فقال قد يعلم ما أنتم عليه وقد للتحقيق كما قال قبلها قد يخبر تعالى أنه مالك

وحرمت عليه أبدا ويعطيها مهرها ويتوجه عليها حد الزنا ولا يدرك عنها العذاب إلا أن تلعن فتشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين أي فيما رماها به. 7 فإذا قال ذلك بانت منه بنفس هذا اللعان عند الشافعي وطائفة كثيرة من العلماء

يعني الحد. 8

عليه هو الذي يعلم الحق ثم يحيد عنه ثم ذكر تعالى رأفته بخلقه ولطفه بهم فيما شرع لهم من الفرج والمخرج من شدة ما يكون بهم من الضيق. 9 لا يتجشم فضيحة أهله ورميها بالزنا إلا وهو صادق معذور وهي تعلم صدقه فيما رماها به ولهذا كانت الخامسة في حقها أن غضب الله عليها والمغضوب فخصها بالغضب كما أن الغالب أن الرجل

## سورة 25

يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الآية أي الذي أرسلني هو مالك السموات والأرض الذي يقول للشيء كن فيكون وهو الذي يحيى ويميت. 1 وقال إني أعطيت خمسا لم يعطن أحد من الأنبياء قبلي فذكر منهن أنه كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعث إلى الناس عامة كما قال تعالى قل حميد الذي جعله فرقانا عظيما ليخصه بالرسالة إلى من يستظل بالخضراء ويستقل على الغبراء كما قال صلى الله عليه وسلم بعثت إلى الأحمر والأسود وقوله ليكون للعالمين نذيرا أي إنما خصه بهذا الكتاب المفصل العظيم المبين المحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا وكذلك وصفه عند إنزال الكتاب عليه ونزول الملك إليه تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا إلى عبوديته كما وصفه بها في أشرف أحواله وهي ليلة الإسراء فقال سبحانه الذي أسرى بعبده ليلا وكما وصفه بذلك في مقام الدعوة إليه وأنه لما قام ولهذا سماه ههنا الفرقان لأنه يفرق بين الحق والباطل والهدى والضلال والغي والرشاد والحلال والحرام وقوله على عبده هذه صفة مدح وثناء لأنه أضافه أثناء هذه السورة وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً جملة واحدة والقرآن نزل منجما مفصلا آيات بعد آيات وأحكاما بعد أحكام وسورا بعد سور وهذا أشد وأبلغ وأشد اعتناء بمن أنزل عليه كما قال في الدائمة الذي نزل الفرقان نزل فعل من التكرار والتكثر كقوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل لأن الكتب المتقدمة كانت تنزل يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات الآية وقال ههنا تبارك وهو تفاعل من البركة المستقرة الثابتة

## تفسير ابن كثير

- يقول تعالى حامدا لنفسه الكريمة على ما نزل على رسوله الكريم من القرآن العظيم كما قال تعالى الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم  
بعده ولا ينقص ذلك مما لك عند الله فقال اجمعوها لي في الآخرة فأُنزل الله عز وجل في ذلك تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك الآية. 10  
عن حبيب بن أبي ثابت عن خيثمة قيل للنبي صلى الله عليه وسلم إن شئت أن نعطيك خزائن الأرض ومفاتيحها ما لم نعطه نبيا قبلك ولا نعطي أحدا من  
الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك الآية. قال مجاهد يعني في الدنيا قال وقريش يسمون كل بيت من حجارة قصرا كبيرا كان أو صغيرا قال سفيان الثوري  
ثم قال تعالى مخبرا نبيه أنه إن شاء لأتاه خيرا مما يقولون في الدنيا وأفضل وأحسن فقال تبارك
- لمن كذب بالساعة سعيرا أي عذابا أليما حارا لا يطاق في نار جهنم قال الثوري عن سلمة بن كهيل عن سعيد بن جبير السعير واد من قيح جهنم. 11  
هؤلاء هكذا تكذبا وعنادا لأنهم يطلبون ذلك تبصرا واسترشادا بل تكذيبهم بيوم القيامة يحملهم على قول ما يقولونه من هذه الأقوال وأعتدنا أي أُرصدنا  
وقوله بل كذبوا بالساعة أي إنما يقول
- لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا خر لوجهه ترتعد فرائضه حتى إن إبراهيم عليه السلام ليجنو على ركبتيه ويقول: رب لا أسألك اليوم إلا نفسي. 12  
خاف وهذا إسناده صحيح وقال عبدالرزاق أخبر معمر عن منصور عن مجاهد عن عبيد بن عمير في قوله سمعوا لها تغيظا وزفيرا قال إن جهنم لتزفر زفرة  
فما كان ظنك؟ فيقول أن تسعني رحمتك فيقول أرسلوا عبدي وإن الرجل ليجر إلى النار فتشبه إلى النار شهقة البغلة إلى الشعرير وتزفر زفرة لا يبقى أحد إلا  
بعضها إلى بعض فيقول لها الرحمن ما لك؟ قالت إنه يستجير مني فيقول أرسلوا عبدي وإن الرجل ليجر إلى النار فيقول يارب ما كان هذا الظن بك فيقول  
بن إبراهيم الدورقي حدثنا عبيد الله بن موسى أخبرنا إسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد بإسناده إلى ابن عباس قال: إن الرجل ليجر إلى النار فتزوي وتنقبض  
إليه شهقة البغلة إلى الشعرير ثم تزفر زفرة لا يبقى أحد إلا خاف هكذا رواه ابن أبي حاتم بإسناده مختصرا وقد رواه الإمام أبو جعفر بن جرير حدثنا أحمد  
الظهر فلم يبق رضي الله عنه وحدثنا أبي حدثنا عبدالله بن رجاء حدثنا إسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد عن ابن عباس قال: إن العبد ليجر إلى النار فتشبه  
والنار تلهب في جوفه قرأ هذه الآية إذا رأته من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا فصعق يعني الربيع وحملوه إلى أهل بيته فرابطه عبدالله إلى  
على حداد فقام عبدالله ينظر إلى حديدة في النار ونظر الربيع بن خيثم إليها فتمايل الربيع ليسقط فمر عبدالله على أتون على شاطئ الفرات فلما رآه عبدالله  
علي بن محمد الطنافسي حدثنا أبو بكر ابن عياش عن عيسى بن سليم عن أبي وائل قال خرجنا مع عبدالله يعني ابن مسعود ومعنا الربيع بن خيثم فمروا  
قال أما سمعتم الله يقول إذا رأته من مكان بعيد الآية ورواه ابن جرير عن محمد بن خدش عن محمد بن يزيد الواسطي به وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا  
ادعى إلى غير والديه أو انتمى إلى غير مواليه فليتبوا مقعده من النار وفي رواية فليتبوا بين عيني جهنم مقعدا قيل يا رسول الله وهل لها من عيني؟  
بن كثير عن خالد بن دريك بإسناده عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يقل علي ما لم أقل أو  
شدة غيظها على من كفر بالله وروى ابن أبي حاتم حدثنا إدريس بن حاتم بن الأخنف الواسطي أنه سمع محمد بن الحسن الواسطي عن أصبغ بن زيد عن خالد  
لها تغيظا وزفيرا أي حنقا عليهم كما قال تعالى إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور تكاد تميز من الغيظ أي يكاد ينفصل بعضها من بعض من  
وقوله إذا رأته من مكان بعيد يعني في مقام المحشر قال السدي من مسيرة مائة عام سمعوا
- ليستكرهون في النار كما يستكره الود في الحائط وقوله مقرنين قال أبو صالح يعني مكتفين دعوا هنالك ثبورا أي بالويل والحسرة والخيبة. 13  
عن يحيى بن أبي أسيد يرفع الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين قال والذي نفسي بيده إنهم  
منها مكانا ضيقا مقرنين قال قتادة عن أبي أيوب عن عبدالله بن عمرو قال: مثل الزج في الرمح أي من ضيقه. وقال عبدالله بن وهب أخبرني نافع بن يزيد  
وقوله وإذا ألقوا
- كما قال موسى لفرعون وإني لأظنك يا فرعون مذبورا أي هالكا قال عبدالله بن الزبيري: إذ أباري الشيطان في سنن الغي ومن مال ميله مذبور 14  
اليوم ثبورا واحدا الآية أي لا تدعوا اليوم ويلا واحدا وادعوا ويلا كثيرا وقال الضحاك الثبور الهلاك والأظهر أن الثبور يجمع الهلاك والويل والخسار والدمار  
السته ورواه ابن أبي حاتم عن أحمد ابن سنان عن عفان به ورواه ابن جرير من حديث حماد بن سلمة به وقال العوفي عن ابن عباس في قوله لا تدعوا  
حتى يلقوا على النار فيقول يا ثبورا ويقولون يا ثبورهم فيقال لهم لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا لم يخرججه أحد من أصحاب الكتب  
الله عليه وسلم قال أول من يكسى حلة من النار إبليس فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته من بعده وهو ينادي يا ثبورا وينادون يا ثبورهم  
لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا الآية روى الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن يزيد عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى  
فيه أهذا خير أم جنة الخلد التي وعدها الله المتقين من عباده التي أعدها لهم وجعلها لهم جزاء ومصيرا على ما أطاعوه في الدنيا وجعل مآلهم إليها. 15  
يحشرون على وجوههم إلى جهنم فتلقاهم بوجه عبوس وتغيظ وزفير ويلقون في أماكنها الضيق مقرنين لا يستطيعون حراكا ولا استنصارا ولا فكاكا مما هم  
يقول تعالى: يا محمد هذا الذي وصفناه لك من حال الأشقياء الذين
- لا يكون منها فمائلون منها البطون ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم ثم إن مرجعهم إلى الجحيم إنهم ألقوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون. 16  
من النضرة والحبور ثم قال أذلك خير نزل أم شجرة الزقوم إنا جعلناها فتنة للظالمين إنا شجرة تخرج في أصل الجحيم طلوعها كأنه رءوس الشياطين فإنهم  
قوله وعدا مسنولا وهذا المقام في هذه السورة من ذكر النار ثم التنبيه على حال أهل الجنة كما ذكر تعالى في سورة الصافات حال أهل الجنة وما فيها

## تفسير ابن كثير

تسأل لهم ذلك ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم وقال أبو حازم إذا كان يوم القيامة قال المؤمنون ربنا عملنا لك بالذي أمرتنا فأنجز لنا ما وعدتنا فذلك عباس كان على ربك وعدا مسئولا يقول فسألوا الذي وعدهم وتنجزوه وقال محمد بن كعب القرظي في قوله كان على ربك وعدا مسئولا إن الملائكة لا بد أن يقع وأن يكون كما حكاه أبو جعفر بن جرير عن بعض علماء العربية أن معنى قوله وعدا مسئولا أي وعدا واجبا وقال ابن جريج عن عطاء عن ابن بلا انقطاع ولا زوال ولا انقضاء ولا يبعثون عنها حولا وهذا من وعد الله الذي تفضل به عليهم وأحسن به إليهم ولهذا قال كان على ربك وعدا مسئولا أي مآكل ومشارب وملابس ومسكن ومراكب ومناظر وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب أحد وهم في ذلك خالدون أبدا دائما سرمدا لهم فيها ما يشاءون من الملائكة من

أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتني به الآية. 17 من غير دعوة منكم لهم كما قال الله تعالى وإذا قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانه ما يكون لي فيقول أنتم أضللتم عبادي هؤلاء الآية أي فيقول تبارك وتعالى للمعبودين أنتم دعوتهم هؤلاء إلى عبادتكم من دوني أم هم عبدوكم من تلقاء أنفسهم الكفار في عبادتهم من عبدوا من دون الله من الملائكة وغيرهم فقال ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله قال مجاهد هو عيسى والعزير والملائكة يقول تعالى مخبرا عما يقع يوم القيامة من تفرع

لا خير فيهم وقال ابن الزبيري حين أسلم: يا رسول المليك إن لساني راتق ما فتقت إذ أنا بور إذ أباري الشيطان في سنن ال غي ومن مال ميله مثير 18 إليهم على ألسنة رسلك من الدعوة إلى عبادتك وحدك لا شريك لك وكانوا قوما بورا قال ابن عباس أي هلكى وقال الحسن البصري ومالك عن الزهري أي ينبغي لأحد أن يعبدنا فإنا عبيد لك فقراء إليك وهي قريبة المعنى من الأولى ولكن متعتهم وآباءهم أي طال عليهم العمر حتى نسوا الذكر أي نسوا ما أنزلته يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة هؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانه الآية وقرأ آخرون ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء أي ما نحن ولا هم فنحن ما دعوناهم إلى ذلك بل هم فعلوا ذلك من تلقاء أنفسهم من غير أمرنا ولا رضانا ونحن برآء منهم ومن عبادتهم كما قال تعالى ويوم ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء قرأ الأكثرون بفتح النون من قوله نتخذ من دونك من أولياء أي ليس للخلائق كلهم أن يعبدوا أحدا سواك ولهذا قال تعالى مخبرا عما يجيب به المعبدون يوم القيامة قالوا سبحانه

تستطيعون صرفا ولا نصرا أي لا يقدرين على صرف العذاب عنهم ولا الانتصار لأنفسهم ومن يظلم منكم أي يشرك بالله نذقه عذابا كبيرا. 19 ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين وقوله فما تعالى فقد كذبوكم بما تقولون أي فقد كذبكم الذين عبدتم من دون الله فيما زعمتم أنهم لكم أولياء وأنهم يقرئونكم إلى الله زلفى كقوله تعالى ومن أضل قال الله

شيء فقدرة تقديرا أي كل شيء مما سواه مخلوق مربوب وهو خالق كل شيء وربهم ومليكهم وإلههم وكل شيء تحت قهره وتدبيره وتسخيره وتقديره. 2 وهكذا قال ههنا الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ونزه نفسه عن الولد وعن الشريك ثم أخبر أنه خلق كل الله معي جبال الذهب والفضة وفي الصحيح أنه عليه أفضل الصلاة والسلام خير بين أن يكون نبيا ملكا أو عبدا رسولا فاختار أن يكون عبدا رسولا. 20 بن حمار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى إني مبتليكم ومبتلي بك وفي المسند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو شئت لأجرى قال: يقول الله لو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلي فلا يخالفون لفعلت ولكني قد أردت أن أبتلي العباد بهم وأبتليكم بهم وفي صحيح مسلم عن عياض حيث يجعل رسالته ومن يستحق أن يهديه الله لما أرسلهم به ومن لا يستحق ذلك وقال محمد بن إسحاق في قوله: وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون بعض وبلونا بعضكم ببعض لنعلم من يطيع ممن يعصي ولهذا قال أتصبرون وكان ربك بصيرا أي بمن يستحق أن يوحى إليه كما قال تعالى: الله أعلم نوحى إليهم من أهل القرى وقوله: وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام الآية وقوله تعالى: وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون أي اختبرنا بعضكم الظاهرة ما يستدل به كل ذي لب سليم وبصيرة مستقيمة على صدق ما جاءوا به من الله ونظير هذه الآية الكريمة قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا وليس ذلك بمناف لحالهم ومنصبتهم فإن الله تعالى جعل لهم من السمات الحسنة والصفات الجميلة والأقوال الفاضلة والأعمال الكاملة والخوارق الباهرة والأدلة يقول تعالى مخبرا عن جميع من بعثه من الرسل المتقدمين أنهم كانوا يأكلون الطعام ويحتاجون إلى التغذية به ويمشون في الأسواق للتكسب والتجارة

نرى ربنا ولهذا قال الله تعالى لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا وقد قال تعالى: ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى الآية. 21 علينا الملائكة فنراهم عيانا فيخبرونا أن محمدا رسول الله كقولهم حتى تأتي بالله والملائكة قبيلا وقد تقدم تفسيرها في سورة سبحان ولهذا قالوا: أو كما تنزل على الأنبياء كما أخبر الله عنهم في الآية الأخرى قالوا لن تؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله ويحتمل أن يكون مرادهم ههنا لولا أنزل يقول تعالى مخبرا عن تعنت الكفار في كفرهم وعنادهم في قولهم: لولا أنزل علينا الملائكة أي بالرسالة

ما ذكره ابن جريج ولكن في رواية ابن أبي حاتم عن ابن أبي نجيع عن مجاهد أنه قال حجرا محجورا عودا معاذ الملائكة تقول ذلك فإله أعلم. 22 بعيد لا سيما وقد نص الجمهور على خلافه ولكن قد روى ابن أبي نجيع عن مجاهد أنه قال في قوله: حجرا محجورا أي عودا معاذ فيحتمل أنه أراد من الملائكة وذلك أن العرب كانوا إذا نزل بأحدهم نازلة أو شدة يقول حجرا محجورا وهذا القول وإن كان له مأخذ ووجه ولكنه بالنسبة إلى السياق



## تفسير ابن كثير

قال حراما محرما أن يبشر بما يبشر به المتقون وقد حكى ابن جرير عن ابن جريج أنه قال ذلك من كلام المشركين يوم يرون الملائكة أي يتعوزون وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم حدثنا موسى يعني ابن قيس عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري في الآية ويقولون حجرا محجورا عائد على الملائكة هذا قول مجاهد وعكرمة والحسن والضحاك وقتادة وعطية العوفي وعطاء الخراساني وخصيف وغير واحد واختاره ابن جرير. يمنع الطواف أن يطوفوا فيه وإنما يطاف من ورائه ومنه يقال للعقل حجر لأنه يمنع صاحبه عن تعاطي ما لا يليق والغرض أن الضمير في قوله: ويقولون اليوم وأصل الحجر المنع ومنه يقال حجر القاضي على فلان إذا منعه التصرف إما لفس أو سفه أو صغر أو نحو ذلك ومنه سمي الحجر عند البيت الحرام لأنه والرضوان وتخبر الكافرين بالخبيثة والخسران فلا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا أي وتقول الملائكة للكافرين حرام محرم عليكم الفلاح والضحاك وغيرهما ولا منافاة بين هذا وما تقدم فإن الملائكة في هذين اليومين يوم الممات ويوم المعاد تتجلى للمؤمنين وللكافرين فتبشر المؤمنين بالرحمة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء وقال آخرون: بل المراد بقوله: يوم يرون الملائكة لا بشرى يعني يوم القيامة. قاله مجاهد تعمرينه أخرجني إلى روح وربحان ورب غير غضبان وقد تقدم الحديث في سورة إبراهيم عند قوله تعالى: يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة ما تدعون نزلنا من غفور رحيم وفي الحديث الصحيح عن البراء بن عازب: أن الملائكة تقول لروح المؤمن أخرجني أيتها النفس الطيبة في الجسد الطيب كنت عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها وهذا بخلاف حال المؤمنين حال احتضارهم فإنهم يبشرون بالخيرات وحصول المسرات قال الله تعالى: إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين وجوههم وأدبارهم الآية وقال تعالى: ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أي بالضرب أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب أخرجني إلى سموم وحميم وظل من يحموم فتأبى الخروج وتتفرق في البدن فيضربونه كما قال الله تعالى ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون على وقت الإحضار حين تبشرهم الملائكة بالنار والغضب من الجبار فتقول الملائكة للكافر عند خروج روحه: أخرجني أيتها النفس الخبيثة في الجسد الخبيث يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا أي هم لا يرون الملائكة في يوم خير لهم بل يوم يرونهم لا بشرى يومئذ لهم وذلك يصدق وقوله تعالى: يوم

وقال تعالى: والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا وتقدم الكلام على تفسير ذلك ولله الحمد والمنة. 23 كرماد اشتدت به الريح الآية وقال تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم باليمن والأذى إلى قوله تعالى لا يقدرون على شيء مما كسبوا إنها لا شيء بالكلية وشبهت في ذلك بالشيء التافه الحقيق المتفرق الذي لا يقدر صاحبه منه على شيء بالكلية كما قال تعالى: مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم هذه الأقوال التنبيه على مضمون الآية وذلك أنهم عملوا أفعالا اعتقدوا أنها على شيء فلما عرضت على الملك الحكم العدل الذي لا يجوز ولا يظلم أحدا إذا الريح ؟ فهو ذلك الورق وقال عبدالله بن وهب أخبرني عاصم بن حكيم عن أبي سريع الطائي عن عبيد بن يعلى قال وإن الهباء الرماد إذا ذرته الريح وحاصل الدواب وروي مثله عن ابن عباس أيضا والضحاك وقاله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقال قتادة في قوله: هباء منثورا قال أما رأيت يبس الشجر إذا ذرته بن أبي طلحة عن ابن عباس هباء منثورا قال هو الماء المهراق وقال أبو الأحوص عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي هباء منثورا قال الهباء هج وعكرمة وسعيد بن جبير والسدي والضحاك وغيرهم وكذا قال الحسن البصري هو الشعاع في كوة أحدكم ولو ذهب يقبض عليه لم يستطع. وقال علي عن علي رضي الله عنه في قوله: هباء منثورا قال شعاع الشمس إذا دخل الكوة وكذا روي من غير هذا الوجه عن علي وروي مثله عن ابن عباس ومجاهد والثوري وقدما أي عمدنا وكذا قال السدي وبعضهم يقول أتينا عليه وقوله تعالى: فجعلناه هباء منثورا قال سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن الحارث لا تخلو من واحد من هذين وقد تجمعهما معا فتكون أبعد من القبول حينئذ ولهذا قال تعالى: وقدما إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا قال مجاهد شيء وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعي إما الإخلاص فيها وإما المتابعة لشرع الله فكل عمل لا يكون خالصا وعلى الشريعة المرضية فهو باطل فأعمال الكفار عمل الآية هذا يوم القيامة حين يحاسب الله العباد على ما عملوه من الخير والشر فأخبر أنه لا يحصل لهؤلاء المشركين من الأعمال التي ظنوا أنها منجاة لهم وقوله تعالى: وقدما إلى ما عملوا من

إلى غروب الشمس وأنهم يتقلبون في رياض الجنة حتى يفرغ من الناس وذلك قوله تعالى: أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا. 24 ابن جرير: حدثني يونس أنبأنا ابن وهب أنبأنا عمرو بن الحارث أن سعيدا الصواف حدثه أنه بلغه أن يوم القيامة يقصر على المؤمن حتى يكون كما بين العصر فيقال له عد ثم يدعى بصاحب الجنة فإذا هو مثل القمر ليلة البدر فيقال له كيف وجدت ؟ فيقول رب خير مقيم فيقال له عد. رواها ابن أبي حاتم كلها وقال صدق عبدي فأرسلوه فيؤمر به إلى الجنة ثم يتركان ما شاء الله ثم يدعى صاحب النار فإذا هو مثل الحممة السوداء فيقال له كيف وجدت ؟ فيقول شر مقيم فإذا عبد لم يعمل خيرا قط فيؤمر به إلى النار والآخر كان صاحب كساء في الدنيا فيحاسب فيقول يارب ما أعطيتني من شيء فتحاسبي به فيقول الله: مقيلا مأوى ومنزلا وقال قتادة وحدث صفوان بن محرز أنه قال: يجاء برجلين يوم القيامة أحدهما كان ملكا في الدنيا إلى الحمرة والبياض فيحاسب اليسير وهو مثل قوله تعالى: فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب إلى أهله مسرورا وقال قتادة خير مستقرا وأحسن في قوله أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا قال قالوا في الغرف من الجنة وكان حسابهم إذ عرضوا على ربهم عرضة واحدة وذلك الحساب النهار حتى يقبل هؤلاء وهؤلاء ثم قرأ أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا وقرأ ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم وقال العوفي عن ابن عباس

## تفسير ابن كثير

وذلك قوله: أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا وقال سفيان عن ميسرة عن المنهال عن أبي عبيدة عن عبدالله بن مسعود قال: لا ينتصف الناس إلى أهلهم للقليلة فينصرف أهل النار إلى النار وأما أهل الجنة فينطلق بهم إلى الجنة فكانت قبيلتهم في الجنة وأطعموا كبد حوت فأشبعهم كلهم وقال عكرمة: إني لأعرف الساعة التي يدخل فيها أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وهي الساعة التي تكون في الدنيا عند ارتفاع الضحى الأكبر إذا أنقلب جببر: يفرغ الله من الحساب نصف النهار فيقبل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار قال الله تعالى: أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا قال الضحاك عن ابن عباس: إنما هي ساعة فيقبل أولياء الله على الأسرة مع الحور العين ويقبل أعداء الله مع الشياطين مقرنين وقال سعيد بن الجنة لهم والنجا من النار فنبه تعالى بحال السعداء على حال الأشقياء وأنه لا خير عندهم بالكلية فقال تعالى: أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مستقرا وأحسن مقيلا أي بما عملوه من الأعمال المتقبلة نالوا ما نالوا وصاروا إلى ما صاروا إليه بخلاف أهل النار فإنهم ليس لهم عمل واحد يقتضي دخول المتتابعات وأنواع العذاب والعقوبات إنها ساءت مستقرا ومقاما أي بنس المنزل منظرا وبئس المقيلا مقاما ولهذا قال تعالى: أصحاب الجنة يومئذ خير والغرات الآمات فهم في مقام أمين حسن المنظر طيب المقام خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما وأهل النار يصيرون إلى الدركات السافلات والحسرات وأحسن مقيلا أي يوم القيامة لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون وذلك أن أهل الجنة يصيرون إلى الدرجات العاليات وقوله تعالى: أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا

منها النور والظلمة فيضرب الماء في تلك الظلمة صوتا تنخلع له القلوب وهذا موقوف على عبدالله بن عمرو من كلامه ولعله من الزاملتين والله أعلم. 25 الحسين حدثنا المعتمر بن سليمان عن عبد الجليل عن أبي حازم عن عبدالله بن عمرو قال: يهبط الله عز وجل حين يهبط وبينه وبين خلقه سبعون ألف حجاب عليهم من فوقهم شخصت إليه أبصارهم ورجفت كلاهم في أجوافهم وطارت قلوبهم من مقرها من صدورهم إلى حناجرهم قال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا وأربعة يقولون: سبحانه اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك رواه ابن جرير عنه وقال أبو بكر بن عبدالله إذا نظر أهل الأرض إلى العرش يهبط ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية قال شهر بن حوشب حملة العرش ثمانية أربعة منهم يقولون: سبحانه اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك ورد في حديث الصور المشهور قريب من هذا والله أعلم وقد قال الله تعالى: فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك على أرجائها وعلى رءوسهم شيء مبسوط كأنه القنا والعرش فوق ذلك ثم وقف فمداره على علي بن زيد بن جدعان وفيه ضعف في سياقاته غالبا وفيها نكارة شديدة وقد سنة وبين فخذة ومنكبه مسيرة سبعين سنة قال وكل ملك منهم لم يتأمل وجه صاحبه وكل ملك منهم واضع رأسه بين تديبه يقول سبحانه الملك القدوس جميع من نزل من السموات ومن الجن والإنس قال فتتنزل الملائكة الكروبيون ثم يأتي ربنا في حملة العرش الثمانية بين كعب كل ملك وركبته مسيرة سبعين جاء ربنا؟ فيقولون لم يجرى وهو أت ثم تنشق السماء الثانية ثم سماء على قدر ذلك من التضعيف إلى السماء السابعة فينزل منها من الملائكة أكثر من عباس يقول: إن هذه السماء إذا انشقت ينزل منها من الملائكة أكثر من الإنس والجن وهو يوم التلاق يوم يلتقي أهل السماء وأهل الأرض فيقول أهل الأرض بهذا السياق وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثني الحجاج عن مبارك بن فضالة عن علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران أنه سمع ابن مسيرة خمسمائة عام وما بين ترقوته إلى موضع القرط مسيرة خمسمائة عام وما فوق ذلك مسيرة خمسمائة عام وجهنم محسنة هكذا رواه ابن أبي حاتم إلى كعبه مسيرة خمسمائة عام وما بين كعبه إلى ركبته مسيرة خمسمائة عام ما بين ركبته إلى حوزته مسيرة خمسمائة عام وما بين حوزته إلى ترقوته ومن الجن والإنس وجميع الخلق لهم قرون كأعقب القنا وهم تحت العرش لهم زجل بالتسبيح والتلهيل والتقديس لله عز وجل ما بين أخصص قدم أحدهم نزلوا قبلهم من أهل السموات وبالجن والإنس وجميع الخلق كلهم وينزل ربنا عز وجل في ظلل من الغمام وحوله الكروبيون وهم أكثر من أهل السموات السبع التضعيف حتى تنشق السماء السابعة فينزل أهلها وهم أكثر ممن نزل قبلهم من أهل السموات ومن الجن والإنس ومن جميع الخلق فيحيطون بالملائكة الذين أكثر من أهل السماء الثانية والسماء الدنيا ومن جميع الخلق فيحيطون بالملائكة الذين نزلوا قبلهم وبالجن والإنس وجميع الخلق ثم كذلك كل سماء على ذلك بالملائكة الذين نزلوا قبلهم وبالجن والإنس وجميع الخلق فيحيطون بالملائكة الذين نزلوا قبلهم وبالجن والإنس وجميع الخلق ثم تنشق السماء الثالثة فينزل أهلها وهم السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر من الجن والإنس ومن جميع الخلق فيحيطون بالجن والإنس وجميع الخلق ثم تنشق السماء الثانية فينزل أهلها فيحيطون تنزيلا قال ابن عباس رضي الله عنهما يجمع الله تعالى الخلق يوم القيامة في صعيد واحد والجن والإنس والبهايم والسباع والطيور وجميع الخلق فتشقق بن الحارث حدثنا مؤمل حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أنه قرأ هذه الآية ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة لفصل القضاء. قال مجاهد وهذا كما قال تعالى: هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة الآية قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار وانفراجها بالغمام وهو ظلل النور العظيم الذي يبهز الأبصار ونزل ملائكة السموات يومئذ فيحيطون بالخلق في مقام المحشر ثم يجيء الرب تبارك وتعالى يخبر تعالى عن هول يوم القيامة وما يكون فيه من الأمور العظيمة فمنها انشقاق السماء وتقطرها

اليوم ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصلها في الدنيا. 26 حسين بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال: قيل يا رسول الله يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ما أطول هذا عسير على الكافرين غير يسير فهذا حال الكافرين في هذا اليوم وأما المؤمنون فكما قال تعالى: لا يحزنهم الفزع الأكبر الآية. وروى الإمام أحمد حدثنا ؟ أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ وقوله: وكان يوما على الكافرين عسيرا أي شديدا صعبا لأنه يوم عدل وقضاء فصل كما قال تعالى: فذلك يومئذ يوم الملك اليوم لله الواحد القهار وفي الصحيح أن الله تعالى يطوي السموات بيمينه ويأخذ الأرضين بيده الأخرى ثم يقول: أنا الملك أنا الديان أين ملوك الأرض

## تفسير ابن كثير

وقوله تعالى: الملك يومئذ الحق للرحمن الآية كما قال تعالى: لمن

معيط أو غيره من الأشقياء فإنها عامة في كل ظالم كما قال تعالى: يوم تقلب وجوههم في النار الآيتين فكل ظالم يندم يوم القيامة غاية الندم. 27  
وسلك طريقا أخرى غير سبيل الرسول فإذا كان يوم القيامة ندم حيث لا ينفعه الندم وعرض على يديه حسرة وأسفا وسواء كان سبب نزولها في عقبة بن أبي  
الظالم على يديه الآية يخبر تعالى عن ندم الظالم الذي فارق طريق الرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله من الحق المبين الذي لا مربة فيه  
وقوله تعالى: ويوم يعرض

فلانا خليلا يعني من صرفه عن الهدى وعدل به إلى طريق الضلال من دعاة الضلالة وسواء في ذلك أمية بن خلف أو أخوه أبي بن خلف أو غيرهما. 28  
ويعرض على يديه قائلا: يا لبتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتا لبتني لم أتخذ  
إذ جاءني أي بعد بلوغه إلي قال الله تعالى وكان الشيطان للإنسان خذولا أي يخذله عن الحق ويصرفه عنه ويستعمله في الباطل ويدعوه إليه. 29  
لقد أضلني عن الذكر وهو القرآن بعد

كان وما له يشأ لم يكن وهو الذي لا ولد له ولا والد ولا عدل ولا بديل ولا وزير ولا نظير بل هو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد. 3  
فإذا هم ينظرون إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون فهو الله الذي لا إله غيره ولا رب سواه ولا تنبغي العبادة إلا له لأنه ما شاء  
خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة كقوله وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر وقوله فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة فإنما هي زجرة واحدة  
حياة ولا نشورا أي ليس لهم من ذلك شيء بل ذلك كله مرجعه إلى الله عز وجل الذي يحيي ويميت وهو الذي يعيد الخلائق يوم القيامة أولهم وآخرهم ما  
عبدوا معه من الأصنام ما لم يقدر على خلق جناح بعوضة بل هم مخلوقون لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا فكيف يملكون لعابديهم؟ ولا يملكون موتا ولا  
يخبر تعالى عن جهل المشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله الخالق لكل شيء المالك لأزمة الأمور الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ومع هذا  
محمد في قومك من الذين هجروا القرآن كذلك كان في الأمم الماضية لأن الله جعل لكل نبي عدوا من المجرمين يدعون الناس إلى ضلالهم وكفرهم. 30  
آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يحبه ويرضاه إنه كريم وهاب وقوله تعالى: وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين أي كما حصل لك يا  
من غيره من هجرانه فنسأل الله الكريم المنان القادر على ما يشاء أن يخلصنا مما يسخطه ويستعملنا فيما يرضيه من حفظ كتابه وفهمه والقيام بمقتضاه  
من هجرانه وترك العمل به وامتنثال أوامره واجتناب زواجه من هجرانه والعدول عنه إلى غيره من شعر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة  
فكانوا إذا تلي عليهم القرآن أكثروا اللغو والكلام في غيره حتى لا يسمعون هذا من هجرانه وترك الإيمان به وترك تصديقه من هجرانه وترك تدبره وتفهمه  
هذا القرآن مهجورا وذلك أن المشركين كانوا لا يصغون للقرآن ولا يستمعونه كما قال تعالى: وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه الآية  
يقول تعالى مخبرا عن رسوله ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال: يارب إن قومي اتخذوا

كانوا يصدون الناس عن اتباع القرآن لئلا يهتدي أحد به ولتغلب طريقتهم طريقة القرآن فلماذا قال: وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين الآية. 31  
بريك هاديا ونصيرا أي لمن اتبع رسوله وآمن بكتابه وصدقته واتبعه فإن الله هاديه وناصره في الدنيا والآخرة وإنما قال هاديا ونصيرا لأن المشركين  
كما قال تعالى: وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن الآيتين ولهذا قال تعالى ههنا وكفى

قلوب المؤمنين به كقوله: وقرآنا فرقناه الآية ولهذا قال لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا قال قتادة بيناه تبييننا وقال ابن زيد وفسرناه تفسيرا. 32  
وغيرها من الكتب الإلهية فأجابهم الله تعالى عن ذلك بأنه إنما نزل منجما في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع والحوادث وما يحتاج إليه من الأحكام ليثبت  
لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة أي هلا أنزل عليه هذا الكتاب الذي أوحى إليه جملة واحدة كما نزلت الكتب قبله جملة واحدة كالتوراة والإنجيل والزبور  
يقول تعالى مخبرا عن كثرة اعتراض الكفار وتعتنهم وكلامهم فيما لا يعنيههم حيث قالوا:

سنة قال الله تعالى: ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا وقال تعالى: وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا. 33  
بحسب الوقائع والحوادث وروى النسائي بإسناده عن ابن عباس قال: أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك في عشرين  
وقد جمع الله للقرآن الصفتين معا ففي الملاء الأعلى أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا ثم أنزل بعد ذلك إلى الأرض منجما  
مكانة من سائر إخوانه الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فالقرآن أشرف كتاب أنزله الله ومحمد صلى الله عليه وسلم أعظم نبي أرسله الله تعالى  
بالقرآن صباحا ومساء وليلا ونهارا سفرا وحضرا وكل مرة كان يأتيه الملك بالقرآن لا كإنزال الكتاب مما قبله من الكتب المتقدمة فهذا المقام أعلى وأجل وأعظم  
بالحق الآية أي إلا نزل جبريل من الله تعالى بجوابهم وما هذا إلا اعتناء وكبير وشرف للرسول صلى الله عليه وسلم حيث كان يأتيه الوحي من الله عز وجل  
في نفس الأمر وأبين وأوضح وأفصح من مقالاتهم قال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس ولا يأتونك بمثل أي بما يلتزمون به عيب القرآن والرسول إلا جئناك  
ولا يأتونك بمثل أي بحجة وشبهة إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا أي ولا يقولون قولنا يعارضون به الحق إلا أجبناهم بما هو الحق

يوم القيامة فقال إن الذي أمشاه على رجليه قادر أن يمشيه على وجهه يوم القيامة وهكذا قال مجاهد والحسن وقتادة وغير واحد من المفسرين. 34  
يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا وفي الصحيح عن أنس أن رجلا قال يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه  
ثم قال تعالى مخبرا عن سوء حال الكفار في معادهم يوم القيامة وحشرهم إلى جهنم في أسوأ الحالات وأقبح الصفات. الذين

## تفسير ابن كثير

أحلّه بالأمم الماضية المكذبين لرسله فبدأ بذكر موسى وأنه بعثه وجعل معه أخاه هارون وزيراً أي نبياً موازراً ومؤيداً وناصراً فكذبهما فرعون وجنوده. 35 يقول تعالى متوعداً من كذب رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم من مشركي قومه ومن خالفه ومحذره من عقابه وأليم عذابه مما

عليه السلام ومن كذب برسول فقد كذب بجميع الرسل إذ لا فرق بين رسول ورسول ولو فرض أن الله تعالى بعث إليهم كل رسول فإنهم كانوا يكذبون. 36 فدمر الله عليهم وللكافرين أمثالها وكذلك فعل بقوم نوح حين كذبوا رسوله نوحاً

واعية أي وأبقينا لكم من السفن ما تركبون في لجج البحار لتذكروا نعمة الله عليكم من إنجائكم من الغرق وجعلكم من ذرية من آمن به وصدق أمره. 37 أصحاب السفينة فقط وجعلناهم للناس آية أي عبرة يعتبرون بها كما قال تعالى: إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية لنجعلها لكم تذكراً وتعيها أذن يدعوه إلى الله عز وجل ويحذره نقمه فما آمن معه إلا قليل ولهذا أغرقهم الله جميعاً ولم يبق منهم أحداً ولم يترك من بني آدم على وجه الأرض سوى ولهذا قال تعالى: وقوم نوح لما كذبوا الرسل ولم يبعث إليهم إلا نوح فقط وقد لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً

الرس هم أصحاب الأخدود الذين ذكروا في سورة البروج فالحق أعلم وقوله تعالى: وقرونا بين ذلك كثيراً أي وأما أضعاف من ذكر أهلكناهم كثيرة. 38 لأن الله أخبر عنهم أنه أهلكهم وهؤلاء آمنوا بنبيهم إلا أن يكون حدث لهم أحداث آمنوا بالنبي بعد هلاك آبائهم والله أعلم واختار ابن جرير أن المراد بأصحاب محمد بن كعب مرسلاً وفيه غرابة ونكارة ولعل فيه إدراجاً والله أعلم وقال ابن جرير: لا يجوز أن يحمل هؤلاء على أنهم أصحاب الرس الذين ذكروا في القرآن ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن ذلك الأسود لأول من يدخل الجنة وهكذا رواه ابن جرير عن ابن حميد عن سلمة عن محمد بن إسحاق عن بدء فاستخرجوه وآمنوا به وصدقوه قال فكان نبيهم يسألهم عن ذلك الأسود ما فعل فيقولون له لا ندري حتى قبض الله النبي وهب الأسود من نومه بعد إلى القرية فباع حزمته ثم اشترى طعاماً وشراباً كما كان يصنع ثم إنه ذهب إلى الحفيرة موضعها الذي كانت فيه فالتمس فلم يجده وكان قد بدا لقومه فيه ثم إنه هب فتمطى فتحول لشقه الآخر فاضطجع فضرب الله على أذنه سبع سنين أخرى ثم إنه هب واحتمل حزمته ولا يحسب إلا أنه نام ساعة من نهار فجاء ثم إنه ذهب يوماً يحتطب كما كان يصنع فجمع حطبه وحزم حزمته وفرغ منها فلما أراد أن يحتملها وجد سنة فاضطجع فنام فضرب الله على أذنه سبع سنين وشراباً ثم يأتي به إلى تلك البئر فيرفع تلك الصخرة ويعينه الله تعالى عليها فيدلي إليه طعامه وشرابه ثم يردّها كما كانت قال فكان ذلك ما شاء الله أن يكون على النبي فحفروا له بئراً فألقوه فيها ثم أطبقوا عليه بحجر أصم قال فكان ذلك العبد يذهب فيحتطب على ظهره ثم يأتي بحطبه فيبيعه ويشترى به طعاماً أول الناس يدخل الجنة يوم القيامة العبد الأسود وذلك أن الله تعالى بعث نبياً إلى أهل قرية فلم يؤمن به من أهلها إلا ذلك العبد الأسود ثم إن أهل القرية عدوا الثوري عن أبي بكر عن عكرمة: الرس بنر رسوا فيها بنبيهم أي دفنوه فيها وقال ابن إسحاق عن محمد بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الرس بفلج وهم أصحاب يس وقال قتادة فلج من قرى البمامة وقال ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس قوله: وأصحاب الرس قال بنر بأذربيجان: وقال كسورة الأعراف بما أغنى عن الإعادة وأما أصحاب الرس فقال ابن جريج عن ابن عباس هم أهل قرية من قرى ثمود وقال ابن جريج: قال عكرمة أصحاب وقوله تعالى: وعادا وثموداً وأصحاب الرس قد تقدم الكلام على قصصهما في غير ما سورة

في الزمن الواحد وإذا ذهبوا وخلفهم جيل فهو قرن آخر كما ثبت في الصحيحين خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم الحديث. 39 من بعدهم قرونا آخرين وعده بعضهم بمائه وعشرين سنة وقيل بمائه وقيل بثمانين وقيل بأربعين وقيل غير ذلك والأظهر أن القرن هو الأمة المتعاصرون وأزحنا الأعداء عنهم وكلا تبرزنا تبيرا أي أهلكنا إهلاكاً كقوله تعالى: وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح والقرن هو الأمة من الناس كقوله: ثم أنشأنا ولهذا قال وكلا ضربنا له الأمثال أي بينا لهم الحجج ووضحنا لهم الأدلة كما قال قتادة

جمعه بقوم آخرين فقال الله تعالى فقد جاءوا ظلماً وزوراً أي فقد افتروا هم قولاً باطلاً وهم يعلمون أنه باطل ويعرفون كذب أنفسهم فيما زعموه. 40 الجهلة من الكفار في قولهم عن القرآن إن هذا إلا إفك أي كذب افتراه يعنون النبي صلى الله عليه وسلم وأعاناه عليه قوم آخرون أي واستعان على يقول تعالى مخبراً عن سخافة عقول

بالرسول وبمخالفتهم أوامر الله بل كانوا لا يرجون نشورا يعني المارين بها من الكفار لا يعتبرون لأنهم لا يرجون نشورا أي معاداً يوم القيامة. 40 تعالي وإنها لبسبيل مقيم وقال: وإنهما لبإمام مبين ولهذا قال أفلم يكونوا يرونها أي فيعتبروا بما حل بأهلها من العذاب والنكال بسبب تكذيبهم من الحجارة التي من سجل كما قال تعالى: وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين وقال: وإنكم لثمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون وقال ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء يعني قرية قوم لوط وهي سدوم التي أهلكها الله بالقلب وبالمطر

وأولك إن يتخذونك إلا هزواً هذا الذي بعث الله رسولا أي على سبيل التنقص والازدراء فقبّحهم الله كما قال ولقد استهزئ برسلك من قبلك الآية. 41 المشركين بالرسول صلى الله عليه وسلم إذ رأوه كما قال تعالى: وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزواً الآية يعنون بالعبث والنقص وقال ههنا: وإذا يخبر تعالى عن استهزاء

وسوف يعلمون حين يرون العذاب الآية ثم قال تعالى لنبيه منبهاً أن من كتب الله عليه الشقاوة والضلال فإنه لا يهديه أحد إلا الله عز وجل. 42 وقوله تعالى: إن كاد ليضلنا عن آلهتنا يعنون أنه كاد يثنيهم عن عبادة الأصنام لولا أن صبروا وتجلدوا واستمروا عليها قال الله تعالى متوعداً لهم ومتهدداً ههنا أفأنت تكون عليه وكيلاً قال ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يعبد الحجر الأبيض زماناً فإذا رأى غيره أحسن منه عبد الثاني وترك الأول. 43

## تفسير ابن كثير

استحسن من شيء ورآه حسنا في هوى نفسه كان دينه ومذهبه كما قال تعالى: أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء الآية ولهذا قال أرايت من اتخذ إلهه هواه أي مهما

تفعل ما خلقت له وهؤلاء خلقوا لعبادة الله وحده لا شريك له فلم يفعلوا وهم يعبدون غيره ويشركون به مع قيام الحجة عليهم وإرسال الرسل إليهم. 44 ثم قال تعالى: أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون الآية أي هم أسوأ حالا من الأنعام السارحة فإن تلك

الشمس عليه دليلا أي لولا أن الشمس تطلع عليه لما عرف فإن الضد لا يعرف إلا بضده. وقال قتادة والسدي دليلا تتلوه وتتبعه حتى تأتي عليه كله. 45 إلى طلوع الشمس ولو شاء لجعله ساكنا أي دائما لا يزول كما قال تعالى: قل أرايتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا الآيات وقوله تعالى: ثم جعلنا من الظل؟ قال ابن عباس وابن عمر وأبو العالية وأبو مالك ومسروق ومجاهد وسعيد بن جبير والنخعي والضحاك والحسن وقتادة: هو ما بين طلوع الفجر من ههنا شرع سبحانه وتعالى في بيان الأدلة الدالة على وجوده وقدرته التامة على خلق الأشياء المختلفة والمتضادة فقال تعالى: ألم تر إلى ربك كيف حتى لا يبقى في الأرض ظل إلا تحت سقف أو تحت شجرة وقد أظلت الشمس ما فوقه وقال أيوب بن موسى في الآية قبضا يسيرا قليلا قليلا. 46 وقوله تعالى: ثم قبضناه إينا قبضا يسيرا أي سهلا قال ابن عباس سريعا وقال مجاهد خفيا وقال السدي قبضا خفيا أي ينتشر الناس فيه لمعايشهم ومكاسبهم وأسبابهم كما قال تعالى: ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله الآية. 47 في الانتشار بالنهار في المعاش فإذا جاء الليل وسكن سكنت الحركات فاستراحت فحصل النوم الذي فيه راحة البدن والروح معا وجعل النهار نشورا أي يلبس الوجود ويغشاه كما قال تعالى: والليل إذا يغشى والنوم سباتا أي قاطعا للحركة لراحة الأبدان فإن الأعضاء والجوارح تكل من كثرة الحركة وقوله: وهو الذي جعل لكم الليل لباسا

من السماء وروي عن عكرمة قال: ما أنزل الله من السماء قطرة إلا أنبت بها في الأرض عشب أو في البحر لؤلؤة وقال غيره: في البر بر وفي البحر در. 48 فقال خالد بن يزيد: منه ماء من السماء ومنه ماء يسقيه الغيم من البحر فيذيبه الرعد والبرق فأما ما كان من البحر فلا يكون منه نبات فأما النبات فمما كان ابن أبي حاتم بإسناده حدثنا أبي حدثنا أبو الأشعث حدثنا معتمر سمعت أبي يحدث عن سيار عن خالد بن يزيد قال: كنا عند عبد الملك بن مروان فذكروا الماء وهي بئر يلقي فيها النتن ولحوم الكلاب ؟ فقال: إن الماء طهور لا ينجسه شيء رواه الشافعي وأحمد وصححه أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي وروى حدثنا وهيب عن داود عن سعيد بن المسيب في هذه الآية قال: أنزله الله طهورا لا ينجسه شيء وعن أبي سعيد قال: قيل يا رسول الله أنتوضأ من بئر بضاعة العالية في يوم مطير وطرق البصرة قدرة فصلى فقلت له فقال: وأنزلنا من السماء ماء طهورا قال طهره ماء السماء وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا أبو سلمة من حيث اللغة والحكم ليس هذا موضع بسطها والله أعلم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي بإسناده إلى حميد الطويل عن ثابت البناني قال دخلت مع أبي بها كالحسور والوجور وما جرى مجراها فهذا أصح ما يقال في ذلك وأما من قال إنه فعول بمعنى فاعل أو أنه مبني للمبالغة والتعدي فعلى كل منهما إشكالات بين يدي السحاب مبشرا ومنها ما يكون قبل ذلك تقم الأرض ومنها ما يلقي السحاب ليمطر ولهذا قال تعالى: وأنزلنا من السماء ماء طهورا أي آلة يتطهر الرياح بمبشرات أي بمجيء السحاب بعدها والرياح أنواع في صفات كثيرة من التسخير فمنها ما يثير السحاب ومنها ما يحمله ومنها ما يسوقه ومنها ما يكون وهذا أيضا من قدرته التامة وسلطانه العظيم وهو أنه تعالى يرسل

وثمارهم كما قال تعالى: وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا الآية وقال تعالى: فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها الآية. 49 الماء اهتزت وربت الآية: ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا أي وليشرب منه الحيوان من أنعام وأناسي محتاجين إليه غاية الحاجة لشربهم وزرعهم قد طال انتظارها للغيث فهي هادمة لا نبات فيها ولا شيء فلما جاءها الحياء عاشت واكتست رباها أنواع الأزاهير والألوان كما قال تعالى: فإذا أنزلنا عليها وقوله تعالى: لنحيي به بلدة ميتا أي أرضا

ساحر وتارة يقولون شاعر وتارة يقولون مجنون وتارة يقولون كذاب وقال الله تعالى انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوها فلا يستطيعون سبيلا. 5 صدقه وبره فلما أكرمهم الله بما أكرمهم به نصبوا له العداوة ورموه بهذه الأقوال التي يعلم كل عاقل براءته منها وحراروا فيما يقذفونه به فتارة من إفكهم يقولون وصدقه ونزاهته وبره وأمانته وبعده عن الكذب والفجور وسائر الأخلاق الرذيلة حتى إنهم كانوا يسمونه في صغره وإلى أن بعث الأمين لما يعلمون من يعاني شيئا من الكتابة لا في أول عمره ولا في آخره وقد نشأ بين أظهرهم من أول مولده إلى أن بعثه الله نحوا من أربعين سنة وهم يعرفون مدخله ومخرجه النهار وآخره وهذا الكلام لسخافته وكذبه وبهته منهم يعلم كل أحد بطلانه فإنه قد علم بالتواتر وبالضرورة أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن وقالوا أساطير الأولين اكتتبها يعنون كتب الأوائل أي استنسخها فهي تملأ عليه أي تقرأ عليه بكرة وأصيلا أي في أول

بي وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذاك مؤمن بي كافر بالكوكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذاك كافر بي مؤمن بالكوكب. 50 الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه يوما على أثر سماء أصابتهم من الليل أتدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال قال أصبح من عبادي مؤمن إلا كفورا قال عكرمة يعني الذين يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا وهذا الذي قاله عكرمة كما صح في الحديث المخرج في صحيح مسلم عن رسول الله صلى هذا ملك السحاب فسله فقال تأتينا صكاك مختمة: اسق بلاد كذا وكذا كذا وكذا قطرة رواه ابن أبي حاتم وهو حديث مرسل وقوله تعالى: فأبى أكثر الناس كان جبريل عليه السلام في موضع الجنائز فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل إني أحب أن أعلم أمر السحاب قال فقال له جبريل يا نبي الله

## تفسير ابن كثير

الله الأرض الميتة أنه قادر على إحياء الأموات والعظام الرفات أو ليذكر من منع المطر إنما أصابه ذلك بذنب أصابه فيقطع عما هو فيه وقال عمر مولى عقبة: عنهم ليس عام بأكثر مطرا من عام ولكن الله يصرفه كيف يشاء ثم قرأ هذه الآية ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفورا أي ليذكروا بإحياء فيمطرها ويكفيها ويجعلها غدقا والتي وراءها لم ينزل فيها قطرة من ماء وله في ذلك الحجة البالغة والحكمة القاطعة قال ابن عباس وابن مسعود رضي الله وقوله تعالى: ولقد صرفناه بينهم ليذكروا أي أمطرنا هذه الأرض دون هذه وسقنا السحاب يمر على الأرض ويتعدها ويتجاوزها إلى الأرض الأخرى

إني رسول الله إليكم جميعا وفي الصحيحين بعثت إلى الأحمر والأسود وفيهما وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة. 51 أهل الأرض وأمرناك أن تبلغهم هذا القرآن لئندركم به ومن بلغ ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده لتندّر أم القرى ومن حولها قل يا أيها الناس يقول تعالى: ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا يدعوهم إلى الله عز وجل ولكننا خصصناك يا محمد بالبعثة إلى جميع

تعالى: فلا تطع الكافرين وجاهدكهم به يعني بالقرآن قاله ابن عباس: جهادا كبيرا. كما قال تعالى: يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين الآية. 52

ولهذا قال

تكذبان وقوله تعالى: أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون. 53 حاجزا وهو اليبس من الأرض وحجرا محجورا أي مانعا من أن يصل أحدهما إلى الآخر كقوله مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فبأي آلاء ربكما الحل ميتته رواه الأئمة مالك والشافعي وأحمد وأهل السنن بإسناد جيد وقوله تعالى: وجعل بينهما برزخا وحجرا أي بين العذب والمالح برزخا أي كان ماؤه ملحا كان هواؤه صحيحا وميتته طيبة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن ماء البحر أنتوضأ به؟ فقال: هو الطهور ماؤه هذه البحار الساكنة خلقها الله سبحانه وتعالى مالحة لئلا يحصل بسببها نتن الهواء فيفسد الوجود بذلك ولئلا تجوي الأرض بما يموت فيها من الحيوان ولما الهلال من الشهر الآخر شرعت في المد إلى الليلة الرابعة عشرة ثم تشرع في النقص فأجرى الله سبحانه وتعالى وهو ذو القدرة التامة العادة بذلك فكل وشدة الرياح ومنها ما فيه مد وجزر ففي أول كل شهر يحصل منها مد وفيض فإذا شرع الشهر في النقصان جزرت حتى ترجع إلى غايتها الأولى فإذا استهل وبحر فارس وبحر الصين والهند وبحر الروم وبحر الخزر وما شاكلها وشابها من البحار الساكنة التي لا تجري ولكن تموج وتضطرب وتلتطم في زمن الشتاء أي مالح مرزعا لا يستساغ وذلك كالبهار المعروفة في المشارق والمغارب: البحر المحيط وما يتصل به من الزقاق وبحر القلزم وبحر اليمن وبحر البصرة بن الناس فرقه الله تعالى بين خلقه لاحتياجهم إليه أنهارا وعيونا في كل أرض بحسب حاجتهم وكفائتهم لأنفسهم وأراضيهم وقوله تعالى: وهذا ملح أجاج فإنه ليس في الوجود بحر ساكن وهو عذب فرات والله سبحانه وتعالى إنما أخبر بالواقع لينبه العباد على نعمه عليهم ليذكروها فالبهر العذب هو هذا السارح خلق المائين الحلو والملح فالحلو كالأنهار والعيون والآبار وهذا هو البحر الحلو العذب الفرات الزلال قاله ابن جريج واختاره ابن جرير وهذا المعنى لا شك فيه وقوله تعالى وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج أي

فهو في ابتداء أمره ولد نسيب ثم يتزوج فيصير صهرا يصير له أصهار وأختان وقرابات وكل ذلك من ماء مهين ولهذا قال تعالى: وكان ربك قديرا. 54 تعالى: وهو الذي خلق من الماء بشرا الآية أي خلق الإنسان من نطفة ضعيفة فسواه وعدله وجعله كامل الخلقة ذكرا وأنثى كما يشاء فجعله نسبا وصهرا وقوله

بن جبير وكان الكافر على ربه ظهيرا يقول عون للشيطان على ربه بالعداوة والشرك وقال زيد بن أسلم وكان الكافر على ربه ظهيرا قال مواليا. 55 والنصرة لله ولرسوله وللمؤمنين في الدنيا والآخرة قال مجاهد وكان الكافر على ربه ظهيرا قال يظاهر الشيطان على معصية الله ويعينه وقال سعيد محضرون أي آلهتهم التي اتخذوها من دون الله لا تملك لهم نصرا وهؤلاء الجبهة للأصنام جند محضرون يقاتلون عنهم ويذبون عن حوزتهم ولكن العقاب عون في سبيل الشيطان على حزب الله وحزب الله هم الغالبون كما قال تعالى واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند بمجرد الآراء والتشهي والأهواء فهم يوالونهم ويقاوتون في سبيلهم ويعادون الله ورسوله والمؤمنين فيهم ولهذا قال تعالى: وكان الكافر على ربه ظهيرا أي يخبر تعالى عن جهل المشركين في عبادتهم غير الله من الأصنام التي لا تملك له ضرا ولا نفعا بلا دليل قادمهم إلى ذلك ولا حجة أدتهم إليه بل وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا أي بشيرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين مبشرا بالجنة لمن أطاع الله ونذيرا بين يدي عذاب شديد لمن خالف أمر الله. 56 ثم قال تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه

ذلك ابتغاء وجه الله تعالى: لمن شاء منكم أن يستقيم إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا أي طريقا ومسلكا ومنهجا يقتدي فيها بما جئت به. 57 قل ما أسألكم عليه من أجر أي عن هذا البلاغ وهذا الإنذار من أجرة أطلبها من أموالكم وإنما أفعل

هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا وقوله تعالى: وكفى به بذنوب عباده خبيرا أي بعلمه التام الذي لا يخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة. 58 أي أخلص له العبادة والتوكل كما قال تعالى: رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذة وكيلا وقال تعالى فاعبده وتوكل عليه وقال تعالى: قل مرسل حسن وقوله تعالى: وسبح بحمده أي أقرن بين حمده وتسبيحه ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سبحانك اللهم ربنا وبحمدك بن حوشب قال: لقي سلمان النبي صلى الله عليه وسلم في بعض فجاج المدينة فسجد له فقال: لا تسجد لي يا سلمان واسجد للحي الذي لا يموت وهذا وروى ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبد الله بن محمد بن علي بن نفيل قال قرأت على معقل يعني ابن عبيد الله عن عبد الله بن أبي حسين عن شهر

## تفسير ابن كثير

إليه فإنه كافيك وناصرك ومؤيدك ومظفرك كما قال تعالى: يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم الدائم الباقي السرمدي الأبدى الحي القيوم رب كل شيء ومليكه اجعله ذخرك وملجأك وهو الذي يتوكل عليه ويفزع ثم قال تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت أي في أمورك كلها كن متوكلا على الله الحي الذي لا يموت أبدا الذي هو الأول والآخر

به خبيرا قال ما أخبرتك من شيء فهو كما أخبرتك وكذا قال ابن جريج وقال شمر بن عطية في قوله: فاسأل به خبيرا هذا القرآن خبير به. 59  
تعالى: وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا أي صدقا في الإخبار وعدلا في الأوامر والنواهي ولهذا قال تعالى فاسأل به خبيرا قال مجاهد في قوله: فاسأل فهو مردود على قائله وفاعله كائنا من كان قال الله تعالى فإن تنازعتم في شيء الآية وقال تعالى وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله وقال قاله فهو الحق وما أخبره به فهو الصدق وهو الإمام المحكم الذي إذا تنازع الناس في شيء وجب رد نزاعهم إليه فما وافق أقواله وأفعاله فهو الحق وما خالفها أخبر به من عبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه سيد ولد آدم على الإطلاق في الدنيا والآخرة الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى فما الفاصلين وقوله: ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا أي استعلم عنه من هو خبير به عالم به فاتبعه واقتد به وقد علم أنه لا أحد أعلم بالله ولا السموات السبع في ارتفاعها واتساعها والأرضين السبع في سفولها وكثافتها في ستة أيام ثم استوى على العرش أي يدبر الأمر ويقضي الحق وهو خير وقوله تعالى: الذي خلق السموات والأرض الآية أي هو الحي الذي لا يموت وهو خالق كل شيء وربّه ومليكه الذي خلق بقدرته وسلطانه

ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق قال الحسن البصري: انظروا إلى هذا الكرم والجود قتلوا أوليائه وهو يدعوهم إلى التوبة والرحمة. 6  
عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم وقال تعالى إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات قالوا يدعوهن إلى التوبة والإفلاح عما هم فيه إلى الإسلام والهدى كما قال تعالى لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا رحمته واسعة وأن حلمه عظيم مع أن تاب إليه تاب عليه فهؤلاء مع كذبهم وافتراءهم وفجورهم وبهتانهم وكفرهم وعنادهم وقولهم عن الرسول والقرآن ما أي الله الذي يعلم غيب السموات والأرض ويعلم السرائر كعلمه بالظواهر وقوله تعالى إنه كان غفورا رحيمًا دعاء لهم إلى التوبة والإنابة وإخبار لهم بأن السموات والأرض الآية أي أنزل القرآن المشتمل على أخبار الأولين والآخرين إخبارا حقا صدقا مطابقا للواقع في الخارج ماضيا ومستقبلا الذي يعلم السر وقال تعالى في جواب ما عاندوا ههنا وافتروا قل أنزله الذي يعلم السر في

رحمهم الله على أن هذه السجدة التي في الفرقان مشروع السجود عندها لقارنها ومستمعها كما هو مقرر في موضعه والله سبحانه وتعالى أعلم. 60  
لما تأمرنا أي لمجرد قولك وزادهم نفورا فأما المؤمنون فإنهم يعبدون الله الذي هو الرحمن الرحيم ويفردونه بالإلهية ويسجدون له وقد اتفق العلماء تدعوا فله الأسماء الحسنى أي هو الله وهو الرحمن وقال في هذه الآية وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أي لا نعرفه ولا نقر به أنسجد الله الرحمن الرحيم فقالوا لا نعرف الرحمن ولا الرحيم ولكن اكتب كما كنت تكتب: باسمك اللهم ولهذا أنزل الله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أي لا نعرف الرحمن وكانوا ينكرون أن يسمى الله باسمه الرحمن كما أنكروا ذلك يوم الحديبية حين قال النبي صلى الله عليه وسلم للكاتب اكتب: بسم ثم قال تعالى منكرا على المشركين الذين يسجدون لغير الله من الأصنام والأنداد وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن

نورا وقال مخبرا عن نوح عليه السلام أنه قال لقومه ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا. 61  
كما قال تعالى وجعلنا سراجا وهاجا وقمرا منيرا أي مشرقا مضيئا بنور آخر من غير نور الشمس كما قال تعالى وهو الذي جعل الشمس ضياء والقمر السماء الدنيا بمصابيح الآية ولهذا قال تعالى تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وهي الشمس المنيرة التي هي كالسراج في الوجود الأعمش وهو رواية عن أبي صالح أيضا والقول الأول أظهر اللهم إلا أن يكون الكواكب العظام هي قصور للحرس فيجتمع القولان كما قال تعالى ولقد زينا جبيل وأبي صالح والحسن وقتادة وقيل هي قصور في السماء للحرس يروى هذا عن علي وابن عباس ومحمد بن كعب وإبراهيم النخعي وسليمان بن مهران يقول تعالى ممجدا نفسه ومعظما على جميل ما خلق في السموات من البروج وهي الكواكب العظام في قول مجاهد وسعيد بن

أدركه بالنهار أو من النهار أدركه بالليل وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبيل والحسن وقال مجاهد وقتادة خلفه أي مختلفين أي هذا بسواده وهذا بضياءه. 62  
وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية يقول من فاته شيء من الليل أن يعمل به الخطاب أطال صلاة الضحى فليل له صنعت اليوم شيئا لم تكن تصنعه فقال: إنه بقي علي من وردي شيء فأحببت أن أتمه أو قال أقضيه وتلا هذه الآية إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل وقال أبو داود الطيالسي حدثنا أبو حمزة عن الحسن أن عمر توقيتا لعبادة عباد له عز وجل فمن فاته عمل في الليل استدركه في النهار ومن فاته عمل في النهار استدركه في الليل وقد جاء في الحديث الصحيح يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا الآية وقال لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر الآية وقوله تعالى لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا أي جعلهما يتعاقبان يخلف كل واحد منهما صاحبه يتعاقبان لا يفتران إذا ذهب هذا جاء هذا وإذا جاء هذا ذهب ذلك كما قال تعالى وسخر لكم الشمس والقمر دائبين الآية وقال ثم قال تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه أي

وقال سعيد بن جبيل ردوا معروفا من القول وقال الحسن البصري قالوا سلام عليكم إن جهل عليهم حلموا يصاحبون عباد الله نهارهم بما يسمعون. 63  
له بل أنت وأنت أحق به وإذا قلت له وعليك السلام قال لا بل عليك وأنت أحق به إنسانه حسن ولم يخرجوه وقال مجاهد قالوا سلاما يعني قالوا سدادا

## تفسير ابن كثير

وسلم وسب رجل رجلا عنده فجعل المسبوب يقول: عليك السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما إن ملكا بينكما يذب عنك كلما شتمك هذا قال الآية وروى الإمام أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا أبو بكر عن الأعمش عن أبي خالد الوالبي عن النعمان بن مقرن المزني قال: قال رسول الله صلى الله عليه ويصفحون ولا يقولون إلا خيرا كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزيده شدة الجاهل عليه إلا حلما وكما قال تعالى وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه فقد قل علمه وحضر عذابه وقوله تعالى وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما أي إذا سفه عليهم الجاهل بالقول السيء لم يقابلوههم عليه بمثله بل يعفون شيء طلبوا به الجنة ولكن أبكاهم الخوف من النار إنه من لم يتعز بعزاء الله تقطع نفسه على الدنيا حسرات ومن لم ير لله نعمة إلا في مطعم أو مشرب الخوف ما لم يدخل غيرهم ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة فقالوا: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن أما والله ما أحزنهم ما أحزن الناس ولا تعاضم في نفوسهم قوم ذل ذلت منهم والله الأسماع والأبصار والجوارح حتى يحسبهم الجاهل مرضى وما بالقوم من مرض وإنهم والله لأصحاء ولكنهم دخلهم من منها فصلوا وما فاتكم فأتوا وقال عبدالله بن المبارك عن معمر عن عمر بن المختار عن الحسن البصري في قوله وعباد الرحمن الآية قال: إن المؤمنين المراد بالهون هنا السكينة والوقار كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتيت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون وأتوها وعليكم السكينة فما أدركتم بتضعف وتصنع حتى روي عن عمر أنه رأى شابا يمشي رويدا فقال ما بالك أنت مريض؟ قال لا يا أمير المؤمنين فعلاه بالدرة وأمره أن يمضي بقوة وإنما يمشون كالمرضى تصنعوا ورياء فقد كان سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم إذا مشى كأنما ينحط من صلب وكأنما الأرض تطوى له وقد كره بعض السلف المشي غير جبرية ولا استكبار كقوله تعالى ولا تمش في الأرض مرحا الآية فأما هؤلاء فإنهم يمشون من غير استكبار ولا مرح ولا أسر ولا بطر وليس المراد أنهم هذه صفات عباد الله المؤمنين الذين يمشون على الأرض هونا أي بسكينة ووقار من

يستغفرون وقوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع الآية. وقال تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه الآية. 64 أن ليلاً خيراً ليل فقال تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما أي في طاعته وعبادته كما قال تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأصباح هم ثم ذكر

إن الله تعالى سأل الكفار عن النعمة فلم يردوها إليه فأغرمهم فأدخلهم النار إنها ساءت مستقرا ومقاما أي بنس المنزل منظرا وبنس المقييل مقاما. 65 عنه فليس بغرام وإنما الغرام اللازم ما دامت السموات والأرض وكذا قال سليمان التيمي وقال محمد بن كعب إن عذابها كان غراما يعني ما نعموا في الدنيا دائما كما قال الشاعر: إن يعذب يكن غراما وإن يعط جزلا فإنه لا يبالي ولهذا قال الحسن في قوله إن عذابها كان غراما كل شيء يصيب ابن آدم ويزول ولهذا قال تعالى والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما أي ملازما

شر مكان وشر مقييل فيقول الله عز وجل ردوا عبيد فيقول يارب ما كنت أرجو إذ أخرجتني منها أن تردني فيها فيقول الله عز وجل ردوا عبيد فيقول الله عز وجل ائني به فإنه في مكان كذا وكذا فيجيء به فيوقفه على ربه عز وجل فيقول له يا عبيد كيف وجدت مكانك ومقييلك؟ فيقول يارب ألف سنة يا حنان يا منان فيقول الله عز وجل لجبريل اذهب فإني عبيد هذا فينطلق جبريل فيجد أهل النار مكبين فيكون يرجع إلى ربه عز وجل فيخبره الحسن بن موسى حدثنا سلام يعني ابن مسكين عن أبي طلال عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن عبدا في جهنم لينادي في النار خرجت إليهم من أوطانها فأخذت بشفاهم وأبشارهم وأشعارهم فكشطت لحومهم إلى أقدامهم فإذا وجدت حر النار رجعت. وقال الإمام أحمد حدثنا الربيع حدثنا أبو الأحوص عن الأعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير قال إن في النار لجبابا فيها حيات أمثال البخت وعقارب أمثال البغال الدهم فإذا كذب بهم كأسا من سم الأسود والعقارب قال فيتميز الجلد على حدة والشعر على حدة والعصب على حدة والعروق على حدة وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا الحسن بن أبو الأحوص عن الأعمش عن مالك بن الحارث قال: قال إذا طرح الرجل في النار هوى فيها إذا انتهى إلى بعض أبوابها قيل له مكانك حتى تتحف قال فيسقى وقال ابن أبي حاتم عند قوله إنها ساءت مستقرا ومقاما حدثنا أبي حدثنا الحسن بن الربيع حدثنا

ليس في النفقة في سبيل الله سرف وقال إياس بن معاوية: ما جاوزت به أمر الله تعالى فهو سرف وقال غيره السرف النفقة في معصية الله عز وجل. 67 القصد في الغنى وما أحسن القصد في الفقر وما أحسن القصد في العبادة ثم قال لا نعرفه يروى إلا من حديث حذيفة رضي الله عنه وقال الحسن البصري بن محمد بن ميمون حدثنا سعد بن حكيم عن مسلم بن حبيب عن بلال يعني العباسي عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحسن بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عال من اقتصد لم يخرجوه وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا أحمد بن يحيى حدثنا إبراهيم ولم يخرجوه وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا أبو عبيدة الحداد حدثنا مسكين بن عبدالعزيز العبدى حدثنا إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص عن عبدالله بن خالد حدثني أبو بكر بن عبدالله بن أبي تميم الغساني عن ضمرة عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من فقه الرجل قصده في معيشتة أوسطها لا هذا ولا هذا وكان بين ذلك قواما كما قال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط الآية وقال الإمام أحمد حدثنا عصام ولم يقتروا الآية أي ليسوا بمبذرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة ولا بخلاء على أهلهم فيقصرون في حقهم فلا يكفونهم بل عدلا خيارا وخير الأمور وقوله تعالى والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا

أن غيا وأثاما بئران في قعر جهنم. أجازنا الله منهما بمنه وكرمه وقال السدي يلقي أثاما جزاء وهذا أشبه بظاهر الآية وبهذا فسر به بعده مبدلا منه. 68 لقمان كان يقول: يا بني إياك والزنا فإن أوله مخافة وآخره ندامة. وقد ورد في الحديث الذي رواه ابن جرير وغيره عن ابن أمامة الباهلي موقوفا ومرفوعا



## تفسير ابن كثير

أثاما أودية في جهنم يعذب فيها الزناة وكذا روي عن سعيد بن جبير ومجاهد وقال قتادة يلق أثاما نكالا: كنا نحدث أنه واد في جهنم. وقد ذكر لنا أن والذين لا يدعون مع الله إلها آخر الآية وقوله تعالى ومن يفعل ذلك يلق أثاما روي عن عبد الله بن عمرو أنه قال: أثاما: واد في جهنم وقال عكرمة يلق الله عليه وسلم لرجل إن الله ينهك أن تعبد المخلوق وتدع الخالق وينهك أن تقتل ولدك وتغزو كلبك وينهك أن تزني بحليلة جارك قال سفيان وهو قوله يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الآية وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن عمرو بن أبي فاختة قال: قال رسول الله صلى محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فنزلت والذين لا يدعون مع الله إلها آخر الآية ونزلت قل في رحم لا يحل له وقال ابن جريج أخبرني يعلى عن سعيد بن جبير أنه سمع ابن عباس يحدث أن ناسا من أهل الشرك قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا ثم أتوا بقية عن أبي بكر بن أبي مريم عن الهيثم بن مالك الطائي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل الله ورسوله فهي حرام قال لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من بيت جاره وقال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا عمار بن نصر حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره قال: فما تقولون في السرقة؟ قالوا حرمة الأُسود رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه ما تقولون في الزنا؟ قالوا حرمة الله ورسوله فهو حرام إلى يوم القيامة فقال الإمام أحمد حدثنا علي بن المديني رحمه الله حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان حدثنا محمد بن سعيد الأنصاري سمعت أبا طيبة الكلاعي سمعت المقداد بن أنا بأشج عليهن منذ سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تشركوا بالله شيئا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تزنوا ولا تسرقوا وقال بن سعيد حدثنا جرير عن منصور عن هلال بن يساف عن سلمة بن قيس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ألا إنما هي أربع فما قال أن تقتل ولدك كراهية أن يطعم معك قلت ثم مه؟ قال أن تزاني حليلة جارك ثم قرأ والذين لا يدعون مع الله الآيات وقال النسائي حدثنا قتيبة وقعدت أسفل منه ووجهي حيال ركبتيه واغتنمت خلوته وقلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله أي الذنب أكبر؟ قال أن تدعو لله ندا وهو خلقك قلت ثم مه؟ حدثنا السري يعني إسماعيل حدثنا الشعبي عن مسروق قال: قال عبد الله خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فاتبعته فجلس على نشز من الأرض ولفظهما عن ابن مسعود قال: قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم الحديث طريق غريب وقال ابن جرير حدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازي حدثنا عامر بن مدرك ومسلم من حديث الأعمش ومنصور زاد البخاري وواصل ثلاثتهم عن أبي وائل شقيق بن سلمة عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل عن ابن مسعود به فإله أعلم قال عبد الله وأنزل الله تصديق ذلك والذين لا يدعون مع الله إلها آخر الآية وهكذا رواه النسائي عن هناد بن السري عن أبي معاوية به وقد أخرجه البخاري وسلم أي الذنب أكبر؟ قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قال ثم أي؟ قال أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قال ثم أي؟ قال أن تزاني حليلة جارك قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن شقيق عن عبد الله هو ابن مسعود قال: سئل رسول الله صلى الله عليه

وهو قوله تعالى يضاعف له العذاب يوم القيامة أي يكرر عليه ويغلظ ويخلد فيه مهانا أي حقيرا ذليلا. 69

فيها وإليها طلبا للتكسب والتجارة لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا يقولون هلا أنزل إليه ملك من عند الله فيكون شاهدا على صدق ما يدعيه. 7 للحق بلا حجة ولا دليل منهم وإنما تعللوا بقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام يعنون كما نأكله ويحتاج إليه كما نحتاج ويمشي في الأسواق أي يتردد يخبر تعالى عن تعنت الكفار وعنادهم وتكذيبهم

وتابت إلى الله عز وجل ثم قال تعالى مخبرا عن عموم رحمته بعباده وأنه من تاب إليه منهم تاب عليه من أي ذنب كان جليلا أو حقيرا كبيرا أو صغيرا. 70 فأخبرها بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرت ساجدة وقالت الحمد لله الذي جعل لي مخرجا وتوبة مما عملت وأعتقت جارية كانت معها وابنتها أخلق هذا الحسن للنار؟ وعنده أنه لما رجع من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلبها في جميع دور المدينة فلم يجدها فلما كان من الليلة المقبلة جاءته وفي رجاله من لا يعرف والله أعلم. وقد رواه ابن جرير من حديث إبراهيم بن المنذر الحزامي بسنده بنحوه وعنده فخرت تدعو بالحسرة وتقول يا حسرتا مع الله إلها آخر إلى قوله إلا من تاب الآية فقرأتها عليها فخرت ساجدة وقالت الحمد لله الذي جعل لي مخرجا هذا حديث غريب من هذا الوجه وسلم الصبح فقصصت عليه ما قالت المرأة وما قلت لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بنسما قلت أما كنت تقرأ هذه الآية؟ والذين لا يدعون امرأة فقلت هل لي من توبة؟ إني زني وولدت وقتلته فقلت لا ولا نعمت العين ولا كرامة فقامت وهي تدعو بالحسرة ثم صليت مع النبي صلى الله عليه زرة حدثنا إبراهيم ابن المنذر حدثنا عيسى بن شعيب بن ثوبان عن فليح بن عبيد بن أبي عبيد الشماس عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاءني ورواه الطبراني من طريق أبي فروة الرهاوي عن ياسين الزيات عن أبي سلمة الحمصي عن يحيى بن جابر عن سلمة بن نفيل مرفوعا وقال أيضا حدثنا أبو أسلمت؟ فقال نعم. قال فافعل الخيرات واترك السيئات فيجعلها الله لك خيرات كلها قال وغدراتي وفجراتي؟ قال نعم فما زال يكبر حتى توارى بن جبير عن أبي فروة أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: رأيت رجلا عمل الذنوب كلها ولم يترك حاجة ولا داجة فهل له من توبة؟ فقال الله وغدراتي وفجراتي؟ فقال وغدراتك وفجراتك فولى الرجل يكبر ويهمل وروى الطبراني من حديث أبي المغيرة عن صفوان بن عمر عن عبد الرحمن إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله فقال النبي صلى الله عليه وسلم فإن الله غافر لك ما كنت كذلك ومبذل سيناتك حسنات فقال يا رسول إلا اقتطفها بيمينه لو قسمت خطيئته بين أهل الأرض لأوبقتهم فهل له من توبة؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم أسلمت؟ فقال أما أنا فأشهد أن لا إله حدثنا أبو جابر أنه سمع مكحولا يحدث قال: جاء شيخ كبير هرم قد سقط حاجباه على عينيه فقال يا رسول الله رجل غدر وفجر ولم يدع حاجة ولا داجة حسنات رواهما ابن أبي حاتم وروى ابن جرير عن سعيد بن المسيب مثله قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن الوزير الدمشقي حدثنا الوليد بن مسلم

## تفسير ابن كثير

اقرأوا كتابيه فهم أكثر أهل الجنة وقال علي بن الحسين زين العابدين يبذل الله سيئاتهم حسنات قال في الآخرة وقال مكحول يغفرها لهم فيجعلها كتبهم بأيمانهم فقرءوا سيئاتهم حرفا حرفا وقالوا يا ربنا هذه سيئاتنا فأين حسناتنا؟ فعند ذلك محا الله السيئات وجعلها حسنات فعند ذلك قالوا هاؤم الجنة على أربعة أصناف المتقين ثم الشاكرين ثم الخائفين ثم أصحاب اليمين قلت لم سمو أصحاب اليمين؟ قال لأنهم قد عملوا بالسيئات والحسنات فأعطوا أبي حدثنا عبدالله ابن أبي زياد حدثنا سيار حدثنا جعفر حدثنا أبو حمزة عن أبي الصيف قلت وكان من أصحاب معاذ بن جبل قال: يدخل أهل الجنة ليأتين الله عز وجل بأناس يوم القيامة رأوا أنهم قد استكثروا من السيئات قيل من هم يا أبا هريرة؟ قال الذين يبذل الله سيئاتهم حسنات وقال أيضا حدثنا فإذا هي قد بدلت حسنات وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا سلمان بن موسى الزهري أبو داود حدثنا أبو العنيس عن أبيه عن أبي هريرة قال: عن أبي عثمان عن سلمان قال يعطى الرجل يوم القيامة صحيفة صحيفته فيقرأ أعلاها فإذا سيئاته فإذا كاد يسوء ظنه نظر في أسفلها فإذا حسناته ثم ينظر في أعلاها تحميدة ويسبح ثلاثا وثلاثين تسبيحة فتلك مائة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو سلمة وعارم قالا حدثنا ثابت يعني ابن يزيد أبو زيد حدثنا عاصم في صحيفة من حسنة محا بها عشر سيئات من صحيفة الشيطان وكتبهن حسنات فإذا أراد أحدكم أن ينام فليكبّر ثلاثا وثلاثين تكبيرة ويحمد أربعاً وثلاثين شريح بن عبيد عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نام ابن آدم قال الملك للشيطان أعطني صحيفتك فيعطيه إياها فما وجد بدت نواجذه انفرد بإخراجه مسلم وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا هاشم بن يزيد حدثنا محمد بن إسماعيل حدثني أبي حدثني ضمضم بن زرعة عن لا يستطيع أن ينكر من ذلك شيئا فيقال: فإن لك بكل سيئة حسنة فيقول يارب عملت أشياء لا أراها ههنا قال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخولا إلى الجنة يؤتى برجل فيقول نحوا عنه كبار ذنوبه وسلوه عن صغارها قال فيقال له عملت يوم كذا: كذا وكذا وعملت يوم كذا: كذا وكذا فيقول نعم عن السلف رضي الله عنهم فعن أبي ذر رضي الله عنهم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأعرف آخر أهل النار خروجا من النار وآخر أهل الجنة الذنب طاعة بهذا الاعتبار فيوم القيامة وإن وجده مكتوبا عليه فإنه لا يضره وينقلب حسنة في صحيفته كما ثبتت السنة بذلك وصحت به الآثار المروية آخرين والقول الثاني أن تلك السيئات الماضية تنقلب بنفس التوبة النصوح حسنات وما ذاك إلا لأنه كلما تذكر ما مضى ندم واسترجع واستغفر فينقلب الحسن البصري أبدلهم الله بالعمل السيئ العمل الصالح وأبدلهم بالشرك إخلاصا وأبدلهم بالفجور إحصانا وبالكفر إسلاما وهذا قول أبي العالية وقتادة وجماعة بها خيرا وقال سعيد بن جبيرة أبدلهم الله بعبادة الأوثان عبادة الرحمن وأبدلهم بقتال المشركين وأبدلهم بنكاح المشركات نكاح المؤمنات وقال حره خريفا وبعد طول النفس الوجيفا يعني تغيرت تلك الأحوال إلى غيرها وقال عطاء بن أبي رباح هذا في الدنيا يكون الرجل على صفة قبيحة ثم يبذل الله فرغب الله بهم عن السيئات فحولهم إلى الحسنات فأبدلهم مكان السيئات الحسنات وروي عن مجاهد عن ابن عباس أنه كان ينشد عند هذه الآية: بدلن بعد أحدهما أنهم بدلوا مكان عمل السيئات بعمل الحسنات قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية قال هم المؤمنون كانوا من قبل إيمانهم على السيئات توبته وغير ذلك من الأحاديث وقوله تعالى فأولئك يبذل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما في معنى قوله يبذل الله سيئاتهم حسنات قولان به الآية قد ثبتت السنة الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصحة توبة القاتل كما ذكر مقررنا من قصة الذي قتل مائة رجل ثم تاب فقبل الله يقتل مؤمنا متعمدا الآية فإن هذه وإن كانت مدنية إلا أنها مطلقة فتحمل على من لم يتب لأن هذه مقيدة بالتوبة ثم قد قال تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به الله من تاب أي في الدنيا إلى الله عز وجل من جميع ذلك فإن الله يتوب عليه وفي ذلك دلالة على صحة توبة القاتل ولا تعارض بين هذه وبين آية النساء ومن وقوله تعالى إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا أي جزاؤه على ما فعل من هذه الصفات القبيحة ما ذكر إلا

يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده الآية وقال تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية أي لمن تاب إليه. 71  
تعالى ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا أي فإن الله يقبل توبته كما قال تعالى ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه الآية وقال تعالى ألم

فقال

فلم يقف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أصبح ابن مسعود وأمسى كريما ثم تلا إبراهيم بن ميسرة وإذا مروا باللغو مروا كراما. 72  
وأمسى كريما وحدثنا الحسين بن محمد بن سلمة النحوي ثنا حبان أنا عبدالله أنا محمد بن مسلم أخبرني ميسرة قال بلغني أن ابن مسعود مر بلهو معرضا الحسن العجلي عن محمد بن مسلم أخبرني إبراهيم بن ميسرة أن ابن مسعود مر بلهو فلم يقف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أصبح ابن مسعود كراما أي لا يحضرون الزور وإذا اتفق مرورهم به مروا ولم يتدنسوا منه بشيء ولهذا قال مروا كراما وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو ألا وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت والأظهر من السياق أن المراد لا يشهدون الزور أي لا يحضرونه ولهذا قال تعالى وإذا مروا باللغو مروا صلي الله عليه وسلم ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ثلاثا قلنا بلى يا رسول الله قال الشرك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس فقال ألا وقول الزور الخمر وقيل المراد بقوله تعالى لا يشهدون الزور أي شهادة الزور وهي الكذب متعمدا على غيره كما في الصحيحين عن أبي بكره قال: قال رسول الله وقال مالك عن الزهري: شرب الخمر لا يحضرونه ولا يرغبون فيه كما جاء في الحديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يدار عليها هو اللغو والغناء وقال أبو العالية وطاوس وابن سيرين والضحاك والربيع بن أنس وغيرهم هو أعياد المشركين وقال عمرو بن قيس هي مجالس السوء والخنا وهذه أيضا من صفات عباد الرحمن أنهم لا يشهدون الزور قيل هو الشرك وعبادة الأصنام وقيل الكذب والفسق والكفر واللغو والباطل وقال محمد بن الحنفية إن كان الرجل ليرى والده وولده وأخاه كافرا وقد فتح الله قفل قلبه للإيمان يعلم أنه إن هلك دخل النار فلا تقر عينه وهو يعلم أن حبيبه في النار. 73  
أشر حال بعث عليها نبيا من الأنبياء في فترة جاهلية ما يرون أن دينا أفضل من عبادة الأوثان فجاء بفرقان فرق به بين الحق والباطل وفرق بين الوالد وولده

## تفسير ابن كثير

الله إذ أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعرفون إلا ربكم مصدقين بما جاء به نبيكم قد كفيتم البلاء بغيركم؟ لقد بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم على لو شاهده كيف يكون فيه والله لقد حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم أقواما أكبههم الله على مناخرهم في جهنم لم يجيبوه ولم يصدقوه أولا تحمدون وشهدنا ما شهدنا فاستغضب المقداد فجعلت أعجب لأنه ما قال إلا خيرا ثم أقبل إليه فقال ما يحمل الرجل على أن يتمنى محضرا غيبه الله عنه لا يدري عن أبيه قال: جلسنا إلى المقداد بن الأسود يوما فمر به رجل فقال طوبى لهاتين العينين اللتين رأيا رسول الله صلى الله عليه وسلم لوددنا أننا رأينا ما رأيت وذرياتهم أن يهديهم للإسلام وقال الإمام أحمد حدثنا معمر بن بشر حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا صفوان بن عمرو حدثني عبد الرحمن بن جبير بن نفير أزواجنا وذرياتنا قرة أعين قال يعبدونك فيحسنون عبادتك ولا يجرون علينا الجرائر وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يعني يسألون الله تعالى لأزواجهم ومن حميمه طاعة الله لا والله لا شيء أقر لعين المسلم من أن يرى ولدا أو ولد ولد أو أخا وحميما مطيعا لله عز وجل قال ابن جريج في قوله هب لنا من لم يريدوا بذلك صباحة ولا جمال ولكن أرادوا أن يكونوا مطيعين وسئل الحسن البصري عن هذه الآية فقال أن يرى الله العبد المسلم من زوجته ومن أخيه يخرج من أصلاهم من ذرياتهم من يطيعه ويعبده وحده لا شريك له قال ابن عباس يعنون من يعمل بطاعة الله فتقر به أعينهم في الدنيا والآخرة قال عكرمة: إمعة بل يكون على بصيرة في أمره ويقين واضح بين وقوله تعالى والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين يعني الذين يسألون الله أن يرى القوم سجودا ولم يسمع ما سجدوا أيسجد معهم؟ قال فتلا هذه الآية: يعني أنه لا يسجد معهم لأنه لم يتدبر أمر السجود ولا ينبغي للمؤمن أن يكون عقلا عن الحق وانتفعوا بما سمعوا من كتابه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أسيد بن عاصم حدثنا عبد الله بن حمران ثنا ابن عون قال سألت الشعبي قلت الرجل عليها أصم أعمى وقال قتادة قوله تعالى والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا يقول لم يصموا عن الحق ولم يعموا فيه فهم والله قوم قال مجاهد قوله لم يخروا عليها صما وعميانا قال لم يسمعوا ولم يبصروا ولم يفقهوا شيئا وقال الحسن البصري رضي الله عنه: كم من رجل يقرأها ويخر رجسا إلى رجسهم فقوله لم يخروا عليها صما وعميانا أي بخلاف الكافر الذي إذا سمع آيات الله فلا تؤثر فيه فيستمر على حاله كأن لم يسمعها أصم أعمى قال تعالى وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أياكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون بخلاف الكافر فإنه إذا سمع كلام الله لا يؤثر فيه ولا يتغير عما كان عليه بل يبقى مستمرا على كفره وطغيانه وجهله وضلاله كما والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا وهذه أيضا من صفات المؤمنين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم وقوله تعالى

قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: ولد صالح يدعو له أو علم ينتفع به من بعده أو صدقة جارية. 74 بعبادة أولادهم وذرياتهم وأن يكون هداهم متعديا إلى غيرهم بالنفع وذلك أكثر ثوابا وأحسن مآبا ولهذا ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ابن عباس والحسن والسدي وقاتادة والربيع بن أنس أئمة يقتدى بنا في الخير. وقال غيرهم هداة مهتدين دعاة إلى الخير فأحبوا أن تكون عبادتهم متصلة التي قال الله تعالى والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين وهذا إسناد صحيح ولم يخرجوه وقوله تعالى واجعلنا للمتقين إماما وأنها

والإكرام ويلقون التوقير والاحترام فلهم السلام وعليهم السلام فإن الملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار. 75 ابن جبير والضحاك والسدي سميت بذلك لارتفاعها بما صبروا أي على القيام بذلك ويلقون فيها أي في الجنة تحية وسلاما أي يبتدرون فيها بالتحية الجميلة والأقوال والأفعال الجليلة قال بعد ذلك كله أولئك أي المتصفون بهذه يجزون يوم القيامة الغرفة وهي الجنة قال أبو جعفر الباقر وسعيد لما ذكر تعالى من أوصاف عباده المؤمنين ما ذكر من الصفات

سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض الآية وقوله تعالى حسنت مستقرا ومقاما أي حسنت منظرا وطابت مقبلا ومنزلا. 76 وقوله تعالى خالدين فيها أي مقيمين لا يظعنون ولا يحولون ولا يموتون ولا يزولون عنها ولا يبيغون عنها حولا كما قال تعالى وأما الذين وقاتادة والسدي وغيرهم وقال الحسن البصري فسوف يكون لزاما أي يوم القيامة ولا منافاة بينهما. آخر تفسير سورة الفرقان ولله الحمد والمنة. 77 وهلاككم ودماركم في الدنيا والآخرة ويدخل في ذلك يوم بدر كما فسره بذلك عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب ومحمد بن كعب القرظي ومجاهد والضحاك الإيمان كما حبه إلى المؤمنين وقوله تعالى فقد كذبتم أيها الكافرون فسوف يكون لزاما أي فسوف يكون تكذيبكم لزاما لكم يعني مقتضيا لعذابكم عباس في قوله قال ما يعبأ بكم ربي الآية يقول لولا إيمانكم وأخبر تعالى الكفار أنه لا حاجة له بهم إذ لم يخلقهم مؤمنين ولو كان له بهم حاجة لحبب إليهم الخلق ليعبدوه ويوحده ويسبحوه بكرة وأصيلا قال مجاهد وعمرو بن شعيب ما يعبأ بكم ربي يقول ما يفعل بكم ربي وقال علي بن أبي طلحة عن ابن ثم قال تعالى قل ما يعبأ بكم ربي أي لا يبالي ولا يكثر بكم إذا لم تعبدوه فإنه إنما خلق

أي تسير معه حيث سار وهذا كله سهل يسير على الله ولكن له الحكمة في ترك ذلك وله الحجة البالغة وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا. 8 جاء معه الملائكة مقترنين وكذلك قال هؤلاء على السواء تشابهت قلوبهم ولهذا قالوا أو يلقي إليه كنز أي علم كنز ينفق منه أو تكون له جنة يأكل منها وهذا كما قال فرعون فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أو

فلا يستطيعون سبيلا وذلك أن كل من خرج عن الحق وطريق الهدى فإنه ضال حيثما توجه لأن الحق واحد ومنهجه متحد يصدق بعضه بعضا. 9

## تفسير ابن كثير

ساحر مسحور مجنون كذاب شاعر وكلها أقوال باطلة كل أحد ممن له أدنى فهم وعقل يعرف كذبهم وافتراءهم في ذلك ولهذا قال فضلوها عن طريق الهدى قال الله تعالى انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوها أي جاءوا بما يقذفونك به ويكذبون به عليك من قولهم

## سورة 26

كان صحيحاً أن يحسب ما لكل حرف من الحروف الأربعة عشر التي ذكرناها وذلك يبلغ منه جملة كثيرة وإن حسبت مع التكرار فأطعم وأعظم والله أعلم. 1 محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فهذا الحديث مداره على محمد بن السائب الكلبي وهو ممن لا يحتج بما انفرد به ثم كان مقتضى هذا المسلك إن وإحدى وسبعون ومائتان فذلك سبعمائة وأربع سنين؟ فقالوا لقد تشابه علينا أمره فيزعمون أن هؤلاء الآيات نزلت فيهم هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات أبو ياسر لأخيه حي بن أخطب ولمن معه من الأحرار ما يدريكم لعله قد جمع هذا لمحمد كله إحدى وسبعون وإحدى وثلاثون ومائة وإحدى وثلاثون ومائتان أربعون والراء مائتان فهذه إحدى وسبعون ومائتان ثم قال: لقد لبس علينا أمرك يا محمد حتى ما ندري أقليلاً أعطيت أم كثيراً. ثم قال قوموا عنه ثم قال فهذه إحدى وثلاثون ومائتا سنة. فهل مع هذا يا محمد غيره؟ قال نعم قال ماذا قال المر قال هذه أثقل وأطول الألف واحدة واللام ثلاثون والميم إحدى وثلاثون ومائة سنة. هل مع هذا يا محمد غيره؟ قال نعم قال ما ذاك؟ قال الر قال هذا أثقل وأطول الألف واحدة واللام ثلاثون والراء مائتان فقال يا محمد هل مع هذا غيره فقال نعم قال ما ذاك؟ قال المص قال هذا أثقل وأطول الألف واحد واللام ثلاثون والميم أربعون والصاد تسعون فهذه والميم أربعون فهذه إحدى وسبعون سنة أفتردخون في دين نبي إنما مدة ملكه وأجل أمته إحدى وسبعون سنة؟ ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الله قبلك أنبياء ما تعلمه بين نبي منهم ما مدة ملكه وما أجل أمته غيرك. فقام حي بن أخطب وأقبل على من كان معه فقال لهم الألف واحدة واللام ثلاثون فيما أنزل الله عليك ألم ذلك الكتاب؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى فقالوا جاءك بهذا جبريل من عند الله؟ فقال نعم قالوا لقد بعث فيه فقال أنت سمعته قال نعم قال فمضى حي بن أخطب في أولئك نفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ألم يذكر أنك تتلوا الكتاب لا ريب فيه فأتى أخاه بن أخطب في رجال من اليهود فقال تعلمون والله لقد سمعت محمداً يتلو فيما أنزل الله تعالى عليه ألم ذلك الكتاب لا ريب عباس عن جابر بن عبد الله بن رباب قال مر أبو ياسر بن أخطب في رجال من يهود برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو فاتحة سورة البقرة ألم ذلك مع ذلك أدل على بطلان هذا المسلك من التمسك به على صحته وهو ما رواه محمد بن إسحق بن يسار صاحب المغازي حدثني الكلبي عن أبي صالح عن ابن على معرفة المدد وأنه يستخرج من ذلك أوقات الحوادث والفتن والملاحم فقد ادعى ما ليس له وطار في غير مطاره وقد ورد في ذلك حديث ضعيف وهو إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم وغير ذلك من الآيات الدالة على صحة ما ذهب إليه هؤلاء لمن أمعن النظر والله أعلم. وأما من زعم أنها دالة لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم ألم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين حم تنزيل من الرحمن الرحيم حم عسق كذلك يوحي الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه المص كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه الر كتاب أنزلناه إليك فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وعظمته وهذا معلوم بالاستقراء وهو الواقع في تسع وعشرين سورة ولهذا يقول تعالى ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه ألم من الكلمات ما هو على حرف وعلى حرفين وعلى ثلاثة وعلى أربعة وعلى خمسة لا أكثر من ذلك قلت ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف فلا بد أن يذكر ص ن ق وحرفين مثل حم وثلاثة مثل الم وأربعة مثل الم ر و المص وخمسة مثل كهيعص و حم عسق لأن أساليب كلامهم على هذا في أول القرآن وإنما كررت ليكون أبلغ في التحدي والتبكي كما كررت قصص كثيرة وكرر التحدي بالصريح في أماكن قال وجاء منها على حرف واحد كقوله ذهب الشيخ الإمام العلامة أبو العباس ابن تيمية وشيخنا الحافظ المجتهد أبو الحجاج المزي وحكاها لي عن ابن تيمية. قال الزمخشري ولم ترد كلها مجموعة المذهب الرازي في تفسيره عن المبرد وجمع من المحققين وحكى القرطبي عن الفراء وقطرب نحو هذا وقرره الزمخشري في كشفه ونصره أتم نصر وإليه التي ذكرت فيها بياناً لإعجاز القرآن وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله هذا مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها وقد حكى هذا والتي تليها أعني البقرة وآل عمران مدينتان ليستا خطاباً للمشركين فانتقض ما ذكره بهذه الوجوه. وقال آخرون بل إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور لا يكون في بعضها بل غالبها ليس كذلك ولو كان كذلك أيضاً لانبغى الابتداء بها في أوائل الكلام معهم سواء كان افتتاح سورة أو غير ذلك ثم إن هذه السورة إذ تواسوا بالإعراض عن القرآن حتى إذا استمعوا له تلا عليهم المؤلف منه حكاها ابن جرير أيضاً وهو ضعيف أيضاً لأنه لو كان كذلك لكان ذلك في جميع السور وهذا ضعيف لأن الفصل حاصل بدونها فيما لم تذكر فيه وفيما ذكرت فيه البسملة تلاوة وكتابة وقال آخرون بل ابتدئ بها لتفتح لاستماعها أسماع المشركين التي اقتضت إيراد هذه الحروف في أوائل السور ما هي مع قطع النظر عن معانيها في أنفسها فقال بعضهم إنما ذكرت ليعرف بها أوائل السور حكاها ابن جرير يجمع العلماء فيها على شيء معين وإنما اختلفوا فمن ظهر له بعض الأقوال بدليل فعلياً اتباعه وإلا فالوقف حتى يتبين هذا المقام. المقام الآخر في الحكمة فقد أخطأ خطأ كبيراً فتعين أن لها معنى في نفس الأمر فإن صح لنا فيها عن المعصوم شيء قلنا به وإلا وقفنا حيث وقفنا وقلنا آمناً به كل من عند ربنا ولم في هذا المقام كلاماً فقال: لا شك أن هذه الحروف لم ينزلها سبحانه وتعالى عبثاً ولا سدى ومن قال من الجهلة إن في القرآن ما هو تعبد لا معنى له بالكلمة الذي دقت في كل شيء حكمته. وهذه الأجناس المعدادة مكتوبة بالمذكورة منها وقد علمت أن معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله وههنا ههنا لخص بعضهم المهموسة والمجهورة ومن الرخوة والشديدة ومن المطبقة والمفتوحة ومن المستعلية والمنخفضة ومن حروف القلقة. وقد سردها مفصلة ثم قال: فسبحان

## تفسير ابن كثير

والمذكور منها أشرف من المتروك وبيان ذلك من صناعة التصريف. قال الزمخشري وهذه الحروف الأربعة عشر مشتملة على أصناف أجناس الحروف يعني من أوائل السور بحذف المكرر منها أربعة عشر حرفا وهي ال م ص ر ك ه ي ع ط س ح ق ن يجمعها قولك: نص حكيم قاطع له سر. وهي نصف الحروف عددا يكتب في اب ت ث أي في حروف المعجم الثمانية والعشرين فيستغني بذكر بعضها عن مجموعها حكاه ابن جرير. قلت مجموع الحروف المذكورة في العربية هي حروف من حروف المعجم استغنى بذكر ما ذكر منها في أوائل السور عن ذكر بواقيها التي هي تنمة الثمانية والعشرين حرفا كما يقول القائل ابني سفيان هو أن يقول في اقتلا ف وقال خفيف عن مجاهد أنه قال فواتح السور كلها ق وص وحم وطسم والر وغير ذلك هجاء موضوع وقال بعض أهل والتاء من الكلمتين عن بقيتهما ولكن هذا ظاهر من سياق الكلام والله أعلم. قال القرطبي وفي الحديث من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة الحديث قال كذا وكذا فاكثفى بالياء من يفعل وقال الآخر: بالخير خيرات وان شرا فاف ولا أريد الشر إلا أن تقول وإن شرا فشراف ولا أريد الشر إلا أن تشاء فاكثفى بالفاء لنا فقالت قاف لا تحسبي أنا نسينا الإيجاف تعني وقفت. وقال الآخر: ما للظلم عال كيف لا ي ينقد عنه جلده إذا ي فقال ابن جرير كأنه أراد أن يقول إذا يفعل به وما أنشدوه من الشواهد على صحة إطلاق الحرف الواحد على بقية الكلمة فإن في السياق ما يدل على ما حذف بخلاف هذا كما قال الشاعر: قلنا قفي غير أن يكون أحدهما أولى من الآخر في التقدير أو الإضمار بوضع ولا بغيره فهذا مما لا يفهم إلا بتوقيف والمسألة مختلف فيها وليس فيها إجماع حتى يحكم فيها والله أعلم. ثم إن لفظة الأمة تدل على كل من معانيها في سياق الكلام بدلالة الوضع فأما دلالة الحرف الواحد على اسم يمكن أن يدل على اسم آخر من في كل موطن على معنى واحد دل عليه سياق الكلام فأما حمله على مجموع محامله إذا أمكن فمسألة مختلف فيها بين علماء الأصول ليس هذا موضع البحث أبو العالية فإن أبا العالية زعم أن الحرف دل على هذا وعلى هذا وعلى هذا معا ولفظة الأمة وما أشبهها من الألفاظ المشتركة في الاصطلاح إنما دل في القرآن الدهر كقوله تعالى وقال الذي نجا منها وادكر بعد أمة أي بعد حين على أصح القولين قال فكذلك هذا. هذا حاصل كلامه موجها ولكن هذا ليس كما ذكره وتطلق ويراد بها الجماعة كقوله تعالى وجد عليه أمة من الناس يسقون وقوله تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا وتطلق ويراد بها الحين من به الدين كقوله تعالى إنا وجدنا آباءنا على أمة وتطلق ويراد بها الرجل المطيع لله كقوله تعالى إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين وعلى صفة من صفاته وعلى مدة وغير ذلك كما ذكره الربيع بن أنس عن أبي العالية لأن الكلمة الواحدة تطلق على معاني كثيرة كلفظة الأمة فإنها تطلق ويراد منها دل على اسم من أسمائه وصفة من صفاته كما افتتح سورا كثيرة بتحميده وتسبيحه وتعظيمه قال ولا مانع من دلالة الحرف منها على اسم من أسماء الله هذه الأقوال ويوفق بينها وأنه لا منافاة بين كل واحد منها وبين الآخر وأن الجمع ممكن فهي أسماء للسور ومن أسماء الله تعالى يفتتح بها السور فكل حرف واللام لطف الله والميم مجد الله والألف سنة واللام ثلاثون سنة والميم أربعون سنة. هذا لفظ ابن أبي حاتم ونحوه رواه ابن جرير ثم شرع يوجه كل واحد من فقال أعجب أنهم يظنون بأسمائه ويعيشون في رزقه فكيف يكفرون به فالألف مفتاح الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد فالألف آلاء الله مفتاح اسم من أسمائه وليس منها حرف إلا وهو من آلائه وبلائه ليس منها حرف إلا وهو في مدة أقوام وآجالهم. قال عيسى ابن مريم عليه السلام وعجب: عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى الم قال هذه الأحرف الثلاثة من التسعة والعشرين حرفا دارت فيها الألسن كلها ليس منها حرف إلا وهو ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الم قال أما الم فهي حروف استفتحت من حروف هجاء أسماء الله تعالى. قال وأبو جعفر الرازي عن أبي الضحى عن ابن عباس: الم قال أنا الله أعلم وكذا قال سعيد بن جبير وقال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث ابن علي عن خالد الحذاء عن عكرمة أنه قال الم قسم. وروينا أيضا من حديث شريك بن عبد الله بن عطاء بن السائب قال: قال عبد الله فذكر نحوه. وحكي مثله عن علي وابن عباس وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هو قسم أقسم الله به وهو من أسماء الله تعالى وروى والم فقال قال ابن عباس هي اسم الله الأعظم وقال ابن جرير وحدثنا محمد بن المثنى حدثنا أبو النعمان حدثنا شعبة عن إسماعيل السدي عن مرة الهمداني الم اسم من أسماء الله الأعظم. هكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث شعبة ورواه ابن جرير عن بنادر عن ابن مهدي عن شعبة قال سألت السدي عن حم وطس عنها في فواتح السور من أسماء الله تعالى وكذلك قال سالم بن عبد الله وإسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير وقال شعبة عن السدي بلغني أن ابن عباس قال كله لأن المتبادر إلى فهم سامع من يقول قرأت المص إنما ذلك عبارة عن سورة الأعراف لا لمجموع القرآن والله أعلم. وقيل هي اسم من أسماء الله تعالى فقال هذا يرجع إلى معنى قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنه اسم من أسماء السور فإن كل سورة يطلق عليها اسم القرآن فإنه يبعد أن يكون المص اسما للقرآن وقال مجاهد في رواية أبي حذيفة موسى بن مسعود عن شبل عن ابن أبي نجيح عنه أنه قال الم اسم من أسماء القرآن وهكذا وقال قتادة وزيد بن أسلم ولعل أتى على الإنسان وقال سفيان الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أنه قال: الم وحم والمص وص. فواتح افتتح الله بها القرآن وكذا قال غيره عن مجاهد عليه ويعتضد لهذا بما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة الم السجدة و هل عبد الرحمن بن زيد بن أسلم إنما هي أسماء السور. قال العلامة أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري في تفسيره وعليه إطباق الأكثر ونقل عن سيبويه أنه نص رضي الله عنهم أجمعين وقاله عامر الشعبي وسفيان الثوري والربيع بن خيثم واختاره أبو حاتم بن حبان. ومنهم من فسرها واختلف هؤلاء في معناها فقال أوائل السور فمنهم من قال هي مما استأثر الله بعلمه فردوا علمها إلى الله ولم يفسرها حكاه القرطبي في تفسيره عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود سورة الشعراء: ووقع في تفسير مالك المروي عنه تسميتها سورة الجامعة قد اختلف المفسرون في الحروف المقطعة التي في

حين ناداه من جانب الطور الأيمن وكله وناجاه وأرسله واصطفاه وأمره بالذهاب إلى فرعون وملئه ولهذا قال تعالى أن أنت القوم الظالمين. 10

يخبر تعالى عما أمر به عبده ورسوله وكنيحه موسى بن عمران عليه السلام

## تفسير ابن كثير

قال بعضهم يعني من الملائكة كما يقولون فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل وكذا قالوا: فمالنا من شافعين. 100  
فما لنا من شافعين

ولا صديق حميم أي قريب قال قتادة يعلمون والله أن الصديق إذا كان صالحا نفع وأن الحميم إذا كان صالحا شفع. 101

الدنيا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون وقد أخبر الله تعالى عن تخاصم أهل النار في سورة ص ثم قال تعالى: إن ذلك لحق تخاصم أهل النار. 102  
فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين وذلك أنهم يتمنون أن يردون إلى دار الدنيا ليعملوا بطاعة ربهم فيما يزعمون والله تعالى يعلم أنهم لو ردوا إلى دار  
لقومه وإقامة الحجج عليهم في التوحيد لآية أي لدلالة واضحة جلية على أن لا إله إلا الله وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم. 103  
ثم قال تعالى إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين أي أن في محاجة إبراهيم

لا يوجد تفسير لهذه الآية 104

الخبثية في عبادتهم أصنامهم مع الله تعالى ونزل الله تعالى تكذيبهم له منزلة تكذيبهم جميع الرسل فلماذا قال تعالى: كذبت قوم نوح المرسلين. 105  
بعثه الله إلى أهل الأرض بعد ما عبدت الأصنام والأنداد فبعثه الله ناهيا عن ذلك ومحذرا من وبيل عقابه فكذبه قومه فاستمروا على ما هم عليه من الفعل  
هذا إخبار من الله عز وجل عن عبده ورسوله نوح عليه السلام وهو أول رسول

إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون أي ألا تخافون الله في عبادتكم غيره. 106

إني لكم رسول أمين أي إني رسول من الله إليكم أمين فيما بعثني الله به أبلغكم رسالات ربي ولا أزيد فيها ولا أنقص منها. 107

فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر الآية أي لا أطلب منكم جزاء على نصحي لكم بل أذكر ثواب ذلك عند الله. 108

فاتقوا الله وأطيعون فقد وضع لكم وبان صدقي ونصحي وأمانتي فيما بعثني الله به وأتضمني عليه. 109

هذه أذار سأل من الله إزاحتها عنه كما قال في سورة طه قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري إلى قوله قد أوتيت سؤالك يا موسى. 11  
قوم فرعون ألا يتقون قال رب إني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هارون ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلوا

فاتقوا الله وأطيعون فقد وضع لكم وبان صدقي ونصحي وأمانتي فيما بعثني الله به وأتضمني عليه. 110

ولو كانوا على أي شيء كانوا عليه لا يلزمني التنقيب عنهم والبحث والفحص إنما علي أن أقبل منهم تصديقهم إياي وأكل سرائرهم إلى الله عز وجل. 111  
الأردلين الذين اتبعوك وصدقوك وهم أراذلنا ولهذا قالوا أنؤمن لك واتبعك الأراذلون قال وما علمي بما كانوا يعملون أي وأي شيء يلزمني من اتباع هؤلاء لي  
يقولون لا نؤمن لك ولا نتبعك ونتأسى في ذلك بهؤلاء

ولو كنوا على أي شيء كانوا عليه لا يلزمني التنقيب عنهم والبحث والفحص إنما علي أن أقبل منهم تصديقهم إياي وأكل سرائرهم إلى الله عز وجل. 112  
الأردلين الذين اتبعوك وصدقوك وهم أراذلنا ولهذا قالوا أنؤمن لك واتبعك الأراذلون قال وما علمي بما كانوا يعملون أي وأي شيء يلزمني من اتباع هؤلاء لي  
يقولون لا نؤمن لك ولا نتبعك ونتأسى في ذلك بهؤلاء

إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون وما أنا بطارد المؤمنين كأنهم سألوا منه أن يبعدهم عنه ويتابعوه فأبى عليهم ذلك. 113

إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون وما أنا بطارد المؤمنين كأنهم سألوا منه أن يبعدهم عنه ويتابعوه فأبى عليهم ذلك. 114

المؤمنين إن أنا إلا نذير مبين أي إنما بعثت نذيرا فمن أطاعني وأتبعني وصدقني كان مني وأنا منه سواء كان شريفا أو ضيعا جليلا أو حقيرا. 115  
وقال: وما أنا بطارد

من المرجومين أي لمن لم تنته عن دعوتك إيانا إلى دينك لتكون من المرجومين أي لنرجمك فعند ذلك دعا عليهم دعوة استجاب الله منه. 116  
إلي الله تعالى ليلا ونهارا وسرا وجهارا وكلما كرر عليهم الدعوة صمموا على الكفر الغليظ والامتناع الشديد وقالوا في الآخر لمن لم تنته يا نوح لتكون  
لما طال مقام نبي الله بين أظهرهم يدعوه

فقال رب إن قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا الآية كما قال في الآية الأخرى فدعا ربه أني مغلوب فانتصر إلى آخر الآية. 117

فقال رب إن قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا الآية كما قال في الآية الأخرى فدعا ربه أني مغلوب فانتصر إلى آخر الآية. 118

ومن معه في الفلك المشحون والمشحون هو المملوء بالأمثلة والأزواج التي حمل فيها من كل زوجين اثنين أي أنجينا نوحا ومن اتبعه كلهم. 119  
وقال ههنا فأنجيناه

هذه أذار سأل من الله إزاحتها عنه كما قال في سورة طه قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري إلى قوله قد أوتيت سؤالك يا موسى. 12  
قوم فرعون ألا يتقون قال رب إني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هارون ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلوا

ثم أغرقنا بعد الباقيين وأغرقنا من كفر به وخالف أمره كلهم أجمعين إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم. 120

## تفسير ابن كثير

ثم أغرقنا بعد الباقيين وأغرقنا من كفر به وخالف أمره كلهم أجمعين إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم. 121

وأغرقنا من كفر به وخالف أمره كلهم أجمعين إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم. 122

والقوة والبطش الشديد والطول المديد والأرزاق الدارة والأموال والجنات والأنهار والأبناء والزروع والثمار وكانوا مع ذلك يعبدون غير الله معه. 123  
بعد قوم نوح كما قال في سورة الأعراف واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة وذلك أنهم كانوا في غاية من قوة التركيب عن عبده ورسوله هود عليه السلام أنه دعا قومه عادا وكان قومه يسكنون الأحقاف وهي جبال الرمل قريبا من حضر موت متاخمة بلاد اليمن وكان زمانهم وهذا إخبار من الله تعالى

الله هودا إليهم رجلا منهم رسولا وبشيرا ونذيرا فدعاهم إلى الله وحده وحذرهم نعمته وعذابه في مخالفتهم وبطشه فقال لهم كما قال نوح لقومه. 124  
فبعث

الله هودا إليهم رجلا منهم رسولا وبشيرا ونذيرا فدعاهم إلى الله وحده وحذرهم نعمته وعذابه في مخالفتهم وبطشه فقال لهم كما قال نوح لقومه. 125  
فبعث

الله هودا إليهم رجلا منهم رسولا وبشيرا ونذيرا فدعاهم إلى الله وحده وحذرهم نعمته وعذابه في مخالفتهم وبطشه فقال لهم كما قال نوح لقومه. 126  
فبعث

الله هودا إليهم رجلا منهم رسولا وبشيرا ونذيرا فدعاهم إلى الله وحده وحذرهم نعمته وعذابه في مخالفتهم وبطشه فقال لهم كما قال نوح لقومه. 127  
فبعث

القوة ولهذا أنكر عليهم نبيهم عليه السلام ذلك لأنه تضييع للزمان وإتعايب للأبدان في غير فائدة واشتغال بما لا يجدي في الدنيا ولا في الآخرة. 128  
هائلا باهرا ولهذا قال: أتنبون بكل ربيع آية أي معلما بناء مشهورا تعيثون أي وإنما تفعلون ذلك عبثا لا لاحتياج إليه بل لمجرد اللعب واللهو وإظهار إلى أن قال: أتنبون بكل ربيع آية تعيثون اختلف المفسرون في الربيع بما حاصله أنه المكان المرتفع عند جواد الطرق المشهورة يبنون هناك بنيانا محكما ألمهم غرورا وأصبح جمعهم بورا وأصبحت مساكنهم قبورا ألا إن عادا ملكت ما بين عدن وعمان خيلا وركابا فمن يشتري مني ميراث عاد بدرهمين؟. 129  
تجمعون ما لا تأكلون وتبنون ما لا تسكنون وتأملون ما لا تدركون إنه قد كانت قبلكم قرون يجمعون فيوعون ويبنون فيوثقون ويأملون فيطيلون فأصبح المسلمون في الغوطة من البنيان ونصب الشجر قام في مسجدهم فنادى يا أهل دمشق فاجتمعوا إليه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ألا تستحيون ألا تستحيون رحمهم الله حدثنا أبي حدثنا الحكم بن موسى حدثنا الوليد حدثنا ابن عجلان حدثني عون بن عبد الله بن عتبة أن أبا الدرداء رضي الله عنه لما رأى ما أحدث المشهورة وتتخذون مصانع لعلمكم تخلصون أي لكي تقيموا فيها أبدا وذلك ليس بحاصل لكم بل زائل عنكم كما زال عمن كان قبلكم وروى ابن أبي حاتم والبيهان المخلد وفي رواية عنه بروج الحمام وقال قتادة هي مأخذ الماء قال قتادة وقرأ بعض الكوفيين وتتخذون مصانع كأنكم خالدون وفي القراءة ولهذا قال: وتتخذون مصانع لعلمكم تخلصون قال مجاهد والمصانع البروج المشيدة

هذه أعمار سأل من الله إزاحتها عنه كما قال في سورة طه قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري إلى قوله قد أوتيت سؤلك يا موسى. 13  
قوم فرعون ألا يتقون قال رب إني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هارون ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلون

وقوله: وإذا بطشتهم بطشتهم جبارين أي يصفهم بالقوة والغلظة والجبروت. 130

فاتقوا الله وأطيعوا أي اعبدوا ربكم وأطيعوا رسولكم ثم شرع يذكرهم نعم الله عليهم. 131

أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم أي إن كذبتهم وخالفتم فدعاهم إلى الله بالترغيب والترهيب فما نفع فيهم. 132  
فقال: واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون

أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم أي إن كذبتهم وخالفتم فدعاهم إلى الله بالترغيب والترهيب فما نفع فيهم. 133  
فقال: واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون

أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم أي إن كذبتهم وخالفتم فدعاهم إلى الله بالترغيب والترهيب فما نفع فيهم. 134  
فقال: واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون

أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم أي إن كذبتهم وخالفتم فدعاهم إلى الله بالترغيب والترهيب فما نفع فيهم. 135  
فقال: واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون

الله تعالى قال: إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون وقال تعالى: إن الذين حقن عليهم كلمة ربك لا يؤمنون الآية. 136  
قالوا سواء علينا أو عظمت أم لم تكن من الواعظين أي لا نرجع عما نحن عليه وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين وهكذا الأمر فإن يقول تعالى مخبرا عن جواب قوم هود له بعد ما حذرهم وأنذرهم ورغبهم ورهبهم وبين لهم الحق ووضحه

## تفسير ابن كثير

- وما هم عليه من الأمر هو دين الأولين من الآباء والأجداد ونحن تابعون لهم سالكون وراءهم نعيش كما عاشوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا معاد. 137 وقالوا أساطير الأولين وقال: وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين وقرأ آخرون إن هذا إلا خلق الأولين بضم الخاء واللام يعنون دينهم أساطير الأولين أكتبتها فهي تملئ عليه بكرة وأصيلا وقال: وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا اللام قال ابن مسعود والعوفي عن عبدالله بن عباس وعلقمة ومجاهد يعنون ما هذا الذي جئنا به إلا أخلاق الأولين كما قال المشركون من قريش وقالوا وقولهم إن هذا إلا خلق الأولين قرأ بعضهم إن هذا إلا خلق الأولين بفتح الخاء وتسكين
- عن ابن عباس إن هذا إلا خلق الأولين يقول دين الأولين وقاله عكرمة وعطاء الخراساني وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم واختاره ابن جرير. 138 ولهذا قالوا: وما نحن بمعذبين قال علي ابن أبي طلحة
- لهم في الأرض إلى أنصافهم فلم يغن عنهم ذلك من أمر الله شيئا إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر ولهذا قال تعالى: فكذبوه فأهلكناهم الآية. 139 في الهواء ثم تنكسه على أم رأسه فتشده دماغه وتكسر رأسه وتلقيه كأنهم أعجاز نخل منقعر وقد كانوا تحصنوا في الجبال والكهوف والمغارات وحفروا أي كاملة فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية أي بقوا أبدانا بلا رءوس وذلك أن الريح كانت تأتي الرجل منهم فتقتله وترفعه بلادهم فحصب كل شيء لهم كما قال تعالى: تدمر كل شيء بأمر ربها الآية وقال تعالى: وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية إلى قوله حسوما قوة وكانوا بآياتنا يجددون وقد قدمنا أن الله تعالى لم يرسل عليهم من الريح إلا مقدار أنف الثور عنت على الخزنة فأذن الله لها في ذلك فسلكت فحصب لقال التي لم يبين مثلها في البلاد وقال تعالى: فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة ؟ أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم وليس لذلك أصل أصيل ولهذا قال النبي لم يخلق مثلها في البلاد أي لم يخلق مثل هذه القبيلة في قوتهم وشدتهم وجبروتهم ولو كان المراد بذلك مدينة وهم من نسل إرم بن سام بن نوح ذات العماد الذين كانوا يسكنون العمدة ومن زعم أن إرم مدينة فإنما أخذ ذلك من الإسرائيليات من كلام كعب ووهب الله عليهم ما هو أعتى منهم وأشد قوة كما قال تعالى: ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد وهم عاد الأولى كما قال تعالى: وأنه أهلك عادا الأولى القرآن بأنه أرسل عليهم ريحا صرصرا عاتية أي ريحا شديدة الهبوب ذات برد شديد جدا فكان سبب إهلاكهم من جنسهم فإنهم كانوا أعتى شيء وأجبره فسلط وقوله تعالى: فكذبوه فأهلكناهم أي استمروا على تكذيب نبي الله هود ومخالفته وعناده فأهلكهم الله وقد بين سبب إهلاكه إياهم في غير موضع من وقوله تعالى ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون أي بسبب قتل القبطي الذي كان سبب خروجه من بلاد مصر. 14
- لا يوجد تفسير لهذه الآية 140
- فأبوا عليه وكذبوه وخالفوه وأخبرهم أنه لا يبتغي بدعوتهم أجرا منهم وإنما يطلب ثواب ذلك من الله عز وجل ثم ذكرهم آلاء الله عليهم فقال. 141 ليتأهب لذلك وكانوا بعد عاد وقبل الخليل عليه السلام فدعاهم نبيهم صالح إلى الله عز وجل أن يعبدوه وحده لا شريك له وأن يطيعوه فيما بلغهم من الرسالة وقد قدمنا في سورة الأعراف الأحاديث المروية في مرور رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم حين أراد غزو الشام فوصل إلى تبوك ثم عاد إلى المدينة عن عبده ورسوله صالح عليه السلام أنه بعثه إلى قومه ثمود وكانوا عربا يسكنون مدينة الحجر التي بين وادي القرى وبلاد الشام ومساكنهم معروفة مشهورة هذا إخبار من الله عز وجل
- من الرسالة فأبوا عليه وكذبوه وخالفوه وأخبرهم أنه لا يبتغي بدعوتهم أجرا منهم وإنما يطلب ثواب ذلك من الله عز وجل ثم ذكرهم آلاء الله عليهم. 142 فدعاهم نبيهم صالح إلى الله عز وجل أن يعبدوه وحده لا شريك له وأن يطيعوه فيما بلغهم
- من الرسالة فأبوا عليه وكذبوه وخالفوه وأخبرهم أنه لا يبتغي بدعوتهم أجرا منهم وإنما يطلب ثواب ذلك من الله عز وجل ثم ذكرهم آلاء الله عليهم. 143 فدعاهم نبيهم صالح إلى الله عز وجل أن يعبدوه وحده لا شريك له وأن يطيعوه فيما بلغهم
- من الرسالة فأبوا عليه وكذبوه وخالفوه وأخبرهم أنه لا يبتغي بدعوتهم أجرا منهم وإنما يطلب ثواب ذلك من الله عز وجل ثم ذكرهم آلاء الله عليهم. 144 فدعاهم نبيهم صالح إلى الله عز وجل أن يعبدوه وحده لا شريك له وأن يطيعوه فيما بلغهم
- من الرسالة فأبوا عليه وكذبوه وخالفوه وأخبرهم أنه لا يبتغي بدعوتهم أجرا منهم وإنما يطلب ثواب ذلك من الله عز وجل ثم ذكرهم آلاء الله عليهم. 145 فدعاهم نبيهم صالح إلى الله عز وجل أن يعبدوه وحده لا شريك له وأن يطيعوه فيما بلغهم
- يقول لهم واعظا لهم ومحذرهم نعم الله أن تحل بهم ومذكرا بأنعم الله عليهم فيما رزقهم من الأرزاق الدارة وجعلهم في أمن من المحذورات. 146
- وأثبت لهم من الجنات وفجر لهم من العيون الجاريات وأخرج لهم من الزروع والثمار. 147
- ويخضر وقال الحسن البصري هو الذي لا نوى له وقال أبو صخر: ما رأيت الطلع حين ينشق عنه الكم فترى الطلع قد لصق بعضه ببعض فهو الهضيم. 148 عليه فتهشمه وقال عكرمة وقتادة: الهضيم الرطب اللين وقال الضحاك: إذا كثر حمل الثمرة وركب بعضها بعضا فهو هضيم وقال مرة: هو الطلع حين يتفرق عبد الكريم أنبأنا أمية سمعت مجاهدا يقول: ونخل طلعها هضيم قال: حين يطلع تقبض عليه فتهضمه فهو من الرطب الهضيم ومن اليباس الهشيم تقبض وقال أبو إسحاق عن أبي العلاء ونخل طلعها هضيم قال هو المذنب من الرطب وقال مجاهد: هو الذي إذا يبس تهشم وتفتت وتناثر وقال ابن جريج سمعت



## تفسير ابن كثير

- وقد أدرك الصحابة عن ابن عباس في قوله ونخل طلعتها هضيم قال إذا رطب واسترخى رواه ابن أبي حاتم ثم قال: وروي عن أبي صالح نحو هذا عباس أبلغ وبلغ فهو هضيم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ونخل طلعتها هضيم يقول معشبة وقال إسماعيل بن أبي خالد عن عمرو بن أبي عمرو ولهذا قال ونخل طلعتها هضيم قال العوفي عن ابن
- المنحوتة في الجبال أشرا وبطرا وعبثا من غير حاجة إلى سكنائها وكانوا حاذقين متقنين لنحتها ونقشها كما هو المشاهد من حالهم لمن رأى منازلهم. 149
- قال ابن عباس وغير واحد يعني حاذقين وفي رواية عنه شريهين أشريين وهو اختيار مجاهد وجماعة ولا منافاة بينهما فإنهم كانوا يتخذون تلك البيوت وقوله وتحتون من الجبال بيوتا فارهين
- أنما ومن اتبعكمما الغالبون فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون كقوله إنني معكما أسمع وأرى أي إنني معكما بحفظي وكلاءتي ونصري وتأبيدي. 15
- قال كلا أي قال الله له لا تخف من شيء من ذلك كقوله سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا أي برهانا فلا يصلون إليكما بآياتنا
- الله وأطيعون أي أقبلوا على ما يعود نفعه عليكم في الدنيا والآخرة من عبادة ربكم الذي خلقكم ورزقكم لتعبده وتوحدوه وتسبحوه بكرة وأصيلا. 150
- ولهذا قال فاتقوا
- ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون يعني رؤساءهم وكبراءهم الدعاة لهم إلى الشرك والكفر ومخالفة الحق. 151
- ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون يعني رؤساءهم وكبراءهم الدعاة لهم إلى الشرك والكفر ومخالفة الحق. 152
- الأنام المسحر يعني الذين لهم سحر والسحر هو الرئة والأظهر في هذا قول مجاهد وقتادة أنهم يقولون إنما أنت في قولك هذا مسحور لا عقل لك. 153
- وروى أبو صالح عن ابن عباس من المسحرين يعني من المخلوقين واستشهد بعضهم على هذا بقول الشاعر: فإن تسألينا فيم فحن فإننا عصافير من هذا في جوابهم لنبيهم صالح عليه السلام حين دعاهم إلى عبادة ربهم عز وجل أنهم قالوا إنما أنت من المسحرين قال مجاهد وقتادة يعنون من المسحورين يقول تعالى مخبرا عن ثمود
- الله عز وجل أن يجيبهم إلى سؤالهم فانفطرت تلك الصخرة التي أشاروا إليها عن ناقة عشراء على الصفة التي وصفوها فأمن بعضهم وكفر أكثرهم. 154
- فعند ذلك أخذ عليهم نبي الله صالح العهود والمواثيق لأن أجابهم إلى ما سألوا ليؤمنن به وليتبعنه فأعطوه ذلك فقام نبي الله صالح عليه السلام فصلى ثم دعا بما جاءهم به من ربهم وقد اجتمع ملؤهم وطلبوا منه أن يخرج لهم الآن من هذه الصخرة ناقة عشراء وأشاروا إلى صخرة عندهم من صفتها كذا وكذا كما قالوا في الآية الأخرى أنزل عليه الذكر من بيننا بل هو كذاب أشر سيعلمون غدا من الكذاب الأشر ثم إنهم اقترحوا عليه آية يأتيهم بها ليعلموا صدقه ثم قالوا ما أنت إلا بشر مثلنا يعني فكيف أوحى إليك دوننا
- قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم يعني ترد ماءكم يوما ويوما تردونه أنتم. 155
- ترد الماء وتأكّل الورق والمرعى وينتفعون بلبننها يحلبون منها ما يكفيهم شربا وربا فلما طال عليهم الأمد وحضر أشقاهم تماؤوا على قتلها وعقرها. 156
- ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم فحذرهم نقمة الله إن أصابوها بسوء فمكثت الناقة بين أظهرهم حينما من الدهر
- وأناهم من الأمر ما لم يكونوا يحتمسون وأصبحوا في ديارهم جائمين إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم. 157
- فعقروها فأصبحوا نادمين فأخذهم العذاب وهو أن أرضهم زلزلت زلزالا شديدا وجاءتهم صيحة عظيمة اقتلعت القلوب من محالها
- وأناهم من الأمر ما لم يكونوا يحتمسون وأصبحوا في ديارهم جائمين إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم. 158
- فعقروها فأصبحوا نادمين فأخذهم العذاب وهو أن أرضهم زلزلت زلزالا شديدا وجاءتهم صيحة عظيمة اقتلعت القلوب من محالها
- لا يوجد تفسير لهذه الآية 159
- فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين كقوله في الآية الأخرى إنا رسولا ربك أي كل منا أرسل إليك. 16
- بعثه الله إليهم ونهاهم عن معصية الله وارتكاب ما كانوا قد ابتدعوه في العالم مما لم يسبقهم أحد من الخلائق إلى فعله من إتيان الذكور دون الإناث. 160
- الغور بناحية متاخمة لجبال البيت المقدس بينها وبين بلاد الكرك والشوبك فدعاهم إلى الله عز وجل أن يعبدوه وحده لا شريك له وأن يطيعوا رسولهم الذي بعثه إلى أمة عظيمة في حياة إبراهيم عليهما السلام وكانوا يسكنون سدوم وأعمالها التي أهلكتها الله بها وجعل مكانها بحيرة منتنة خبيثة وهي مشهورة ببلاد يقول تعالى مخبرا عن عبده ورسوله لوط عليه السلام وهو لوط بن هاران بن أزار وهو ابن أخي إبراهيم الخليل عليه السلام وكان الله تعالى قد
- بعثه الله إليهم ونهاهم عن معصية الله وارتكاب ما كانوا قد ابتدعوه في العالم مما لم يسبقهم أحد من الخلائق إلى فعله من إتيان الذكور دون الإناث. 161
- الغور بناحية متاخمة لجبال البيت المقدس بينها وبين بلاد الكرك والشوبك فدعاهم إلى الله عز وجل أن يعبدوه وحده لا شريك له وأن يطيعوا رسولهم الذي بعثه إلى أمة عظيمة في حياة إبراهيم عليهما السلام وكانوا يسكنون سدوم وأعمالها التي أهلكتها الله بها وجعل مكانها بحيرة منتنة خبيثة وهي مشهورة ببلاد يقول تعالى مخبرا عن عبده ورسوله لوط عليه السلام وهو لوط بن هاران بن أزار وهو ابن أخي إبراهيم الخليل عليه السلام وكان الله تعالى قد
- بعثه الله إليهم ونهاهم عن معصية الله وارتكاب ما كانوا قد ابتدعوه في العالم مما لم يسبقهم أحد من الخلائق إلى فعله من إتيان الذكور دون الإناث. 162

## تفسير ابن كثير

الغور بناحية متاخمة لجبال البيت المقدس بينها وبين بلاد الكرك والشوبك فدعاهم إلى الله عز وجل أن يعبدوه وحده لا شريك له وأن يطيعوا رسولهم الذي بعثه إلى أمة عظيمة في حياة إبراهيم عليهما السلام وكانوا يسكنون سدوم وأعمالها التي أهلكها الله بها وجعل مكانها بحيرة منتنة خبيثة وهي مشهورة ببلاد يقول تعالى مخبرا عن عبده ورسوله لوط عليه السلام وهو لوط بن هاران بن آزار وهو ابن أخي إبراهيم الخليل عليه السلام وكان الله تعالى قد

بعثه الله إليهم ونهاهم عن معصية الله وارتكاب ما كانوا قد ابتدعوه في العالم مما لم يسبقهم أحد من الخلائق إلى فعله من إتيان الذكور دون الإناث. 163  
الغور بناحية متاخمة لجبال البيت المقدس بينها وبين بلاد الكرك والشوبك فدعاهم إلى الله عز وجل أن يعبدوه وحده لا شريك له وأن يطيعوا رسولهم الذي بعثه إلى أمة عظيمة في حياة إبراهيم عليهما السلام وكانوا يسكنون سدوم وأعمالها التي أهلكها الله بها وجعل مكانها بحيرة منتنة خبيثة وهي مشهورة ببلاد يقول تعالى مخبرا عن عبده ورسوله لوط عليه السلام وهو لوط بن هاران بن آزار وهو ابن أخي إبراهيم الخليل عليه السلام وكان الله تعالى قد  
لا يوجد تفسير لهذه الآية 164

لما نهاهم نبي الله عن ارتكاب الفواحش وغشيانهم الذكور وأرشدهم إلى إتيان نسائهم اللاتي خلقهن الله لهم ما كان جوابهم له. 165  
لما نهاهم نبي الله عن ارتكاب الفواحش وغشيانهم الذكور وأرشدهم إلى إتيان نسائهم اللاتي خلقهن الله لهم ما كان جوابهم له. 166  
قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون فلما رأى أنهم لا يرتدعون عما هم فيه وأنهم مستمرون على ضلالتهم تبرأ منهم. 167  
إلا أن قالوا لنن لم تنته يا لوط أي عما جئتنا به لتكونن من المخرجين أي تنفيك من بين أظهرنا كما قال تعالى فما كان جواب  
وقال إني لعلمكم من القالين أي المبغضين لا أحبه ولا أرضى به وإني بريء منكم ثم دعا الله عليهم. 168

فقال رب نجني وأهلي مما يعملون قال الله تعالى فنجيناه وأهله أجمعين أي كلهم. 169  
الله المؤمنون وحزبه المخلصون وهم معك في العذاب المهين فلما قال له موسى ذلك أعرض فرعون هنالك بالكلية ونظر إليه بعين الإزدراء والغمص. 17  
أن أرسل معنا بني إسرائيل أي أطلقهم من إسارك وقبضتك وقهرك وتعذيبك فإنهم عباد  
فقال رب نجني وأهلي مما يعملون قال الله تعالى فنجيناه وأهله أجمعين أي كلهم. 170

وهود وكذا في الحجر حين أمره الله أن يسري بأهله إلا امرأته وأنهم لا يلتفتوا إذا سمعوا الصيحة حين تنزل على قومه فصبروا لأمر الله واستمروا. 171  
إلا عجوزا في الغابرين وهي امرأته وكانت عجوز سوء بقيت. فهلكت مع من بقي من قومها وذلك كما أخبر الله تعالى عنهم في سورة الأعراف  
وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود. ولهذا قال تعالى ثم دمرنا الآخرين وأمطرنا عليهم مطرا إلى قوله وإن ربك لهو العزيز الرحيم. 172  
وأنزل الله على أولئك العذاب الذي عم جميعهم  
وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود. ولهذا قال تعالى ثم دمرنا الآخرين وأمطرنا عليهم مطرا إلى قوله وإن ربك لهو العزيز الرحيم. 173  
وأنزل الله على أولئك العذاب الذي عم جميعهم

لا يوجد تفسير لهذه الآية 174

لا يوجد تفسير لهذه الآية 175

عبادة الأيكة وهي شجره وقيل شجر ملتف كالغيضة كانوا يعبدونها فلماذا لما قال: كذب أصحاب الأيكة المرسلين لم يقل: إذ قال لهم أخوهم شعيب. 176  
هؤلاء يعني أصحاب الأيكة هم أهل مدين على الصحيح وكان نبي الله شعيب من أنفسهم وإنما لم يقل ههنا أخوهم شعيب لأنهم نسبوا إلى  
واحدة وصفوا في كل مقام بشيء ولهذا وعظ هؤلاء وأمرهم بوفاء المكيال والميزان كما في قصة مدين سواء بسواء فدل ذلك على أنها أمة واحدة. 177  
إن قوم مدين وأصحاب الأيكة أمتان بعث الله إليهما شعيبا النبي عليه السلام وهذا غريب وفي رفعه نظر والأشبه أن يكون موقوفا والصحيح أنهم أمة  
عن أبيه عن معاوية بن هشام عن سعيد بن سعيد بن أبي هلال عن ربيعة بن يوسف عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
بن بشر وقال غير جويبر أصحاب الأيكة ومدين هما واحد والله أعلم وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة شعيب من طريق محمد بن عثمان بن أبي شيبة  
وروى أبو القاسم البغوي عن هبة عن همام عن قتادة في قوله تعالى وأصحاب الرس قوم شعيب وقوله وأصحاب الأيكة قوم شعيب وقاله إسحاق  
خصيف عن عكرمة قال: ما بعث الله نبيا مرتين إلا شعيبا مرة إلى مدين فأخذهم الله بالصيحة ومرة إلى أصحاب الأيكة فأخذهم الله تعالى بعذاب يوم الظلة  
عليه السلام بعثه الله إلى أمتين ومنهم من قال ثلاث أمم وقد روى إسحاق بن بشر الكاهلي وهو ضعيف حدثني ابن السدي عن أبيه وزكريا بن عمرو عن  
نسب الأخوة بينهم للمعنى الذي نسبوا إليه وإن كان أخاهم نسبا ومن الناس من لم يظن لهذه النكتة فظن أن أصحاب الأيكة غير أهل مدين فزعم أن شعيبا  
إنما قال إذ قال لهم شعيب فقطع

لا يوجد تفسير لهذه الآية 178

لا يوجد تفسير لهذه الآية 179

## تفسير ابن كثير

ربنا ههنا فينا وفي بيتنا وعلى فراشنا وأنعمنا عليه مدة من السنين ثم بعد هذا قابلت ذلك الإحسان بتلك الفعلة أن قتلت منا رجلا وجحدت نعمتنا عليك. 18  
فقال ألم نريك فينا ولبيد الآفة أي أما أنت الذي

أي إذا دفعتم للناس فكملا الكيل لهم ولا تبخسوا الكيل فتعطوه ناقصا وتأخذوه إذا كان لكم تاما وافيا ولكن خذوا كما تعطون وأعطوا كما تأخذون. 180  
يأمرهم عليه السلام بإيفاء المكيال والميزان وبيناهم عن التطفيف فيهما فقال أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين

أي إذا دفعتم للناس فكملا الكيل لهم ولا تبخسوا الكيل فتعطوه ناقصا وتأخذوه إذا كان لكم تاما وافيا ولكن خذوا كما تعطون وأعطوا كما تأخذون. 181  
يأمرهم عليه السلام بإيفاء المكيال والميزان وبيناهم عن التطفيف فيهما فقال أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين

هو الميزان وقيل هو القبان قال بعضهم هو معرب من الرومية قال مجاهد القسطاس المستقيم هو العدل بالرومية وقال قتادة القسطاس العدل. 182  
وزنوا بالقسطاس المستقيم والقسطاس

أشياءهم أي لا تنقصوهم أموالهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين يعني قطع الطريق كما قال في الآفة الأخرى ولا تقعوا بكل صراط توعدون. 183  
وقوله ولا تبخسوا الناس

والسدي وسفيان بن عيينة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم والجبلة الأولين يقول خلق الأولين وقرأ ابن زيد ولقد أضل منكم جبلا كثيرا. 184  
والجبلة الأولين يخوفهم بأس الله الذي خلقهم وخلق آباءهم الأوائل كما قال موسى عليه السلام ربكم ورب آبائكم الأولين قال ابن عباس ومجاهد  
وقوله واتقوا الذي خلقكم

تعالى عن جواب قومه له بمثل ما أجابت به ثمود لرسولها تشابهت قلوبهم حيث قالوا إنما أنت من المسحرين يعنون من المسحورين كما تقدم. 185

يخبر

وما أنت إلا بشر مثلنا له إن نظنك لمن الكاذبين أي تتعمد الكذب فيما تقوله لا أن الله أرسلك إلينا. 186

اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء الآية وهكذا قال هؤلاء الكفار الجبهة فأسقط علينا كسفا من السماء الآية. 187  
لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا إلى أن قالوا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي باله والملائكة قبيلة وقوله وإذ قالوا  
الضحك: جانبنا من السماء. وقال قتادة قطعا من السماء وقال السدي عذابا من السماء وهذا شبيه بما قالت قريش فيما أخبر الله عنهم في قوله تعالى وقالوا  
فأسقط علينا كسفا من السماء قال

قال ربي أعلم بما تعملون يقول الله أعلم بكم فإن كنتم تستحقون ذلك جازاكم به وهو غير ظالم لكم وهكذا وقع بهم جزاء كما سألو جزاء وفاقا. 188

لها بردا ولذة فنادى بعضهم بعضا حتى إذا اجتمعوا تحتها أرسل الله عليهم نارا قال ابن عباس فذلك عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم. 189  
الظلة الآية قال بعث الله عليهم رجلا وحرا شديدا فأخذ بأنفاسهم فخرجوا من البيوت هربا إلى البرية فبعث الله عليهم سحابة فأظلتهم من الشمس فوجدوا  
حدثني الحسن حدثني سعيد بن زيد أخو حماد بن زيد حدثنا حاتم بن أبي صغيرة حدثني يزيد الباهلي سألت ابن عباس عن هذه الآية فأخذهم عذاب يوم  
فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا جميعا ثم تلا محمد بن كعب فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم وقال محمد بن جرير حدثني الحارث  
البيوت فتسقط عليهم فأرسل الله عليهم الظلة فدخل تحتها رجل فقال ما رأيت كالיום ظلا أطيب ولا أبرد من هذا هلموا أيها الناس فدخلوا جميعا تحت الظلة  
إن أهل مدين عذبوا بثلاثة أصناف من العذاب: أخذتهم الرجفة في دارهم حتى خرجوا منها فلما خرجوا منها أصابهم فرع شديد ففرقوا أن يدخلوا إلى  
الله إليهم الظلة حتى إذا اجتمعوا كلهم كشف الله عنهم الظلة وأحمى عليهم الشمس فاحترقوا كما يحترق الجراد في المقلَى وقال محمد بن كعب القرظي:  
فأتوها جميعا فاستظلوا تحتها فأجبت عليهم نارا وهكذا روي عن عكرمة وسعيد بن جبيرة والحسن وقتادة وغيرهم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم بعث  
سلط عليهم الحر سبعة أيام حتى ما يظلمهم منه شيء ثم إن الله أنشأ لهم سحابة فأنطلق إليها أحدهم فاستظل بها فأصاب تحتها بردا وراحة فأعلم بذلك قومه  
فناسب أن يحقق عليهم ما استبعدوا وقوعه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم قال قتادة: قال عبد الله بن عمر رضي الله عنه: إن الله  
والأزدراء فناسب أن تأتيهم صيحة تسكتهم فقال فأخذتهم الصيحة الآية وههنا قالوا فأسقط علينا كسفا من السماء الآية على وجه التعنت والعناد  
استهزؤا بنبي الله في قولهم أصلاتك تأمر أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد قالوا ذلك على سبيل التهكم  
شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا فأرجفوا نبي الله ومن اتبعه فأخذتهم الرجفة وفي سورة هود قال فأخذتهم الصيحة وذلك لأنهم  
في ثلاثة مواطن كل موطن بصفة تناسب ذلك السياق ففي الأعراف ذكر أنهم أخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين وذلك لأنهم قالوا لنخرجك يا  
وهج عظيم ورجفت بهم الأرض وجاءتهم صيحة عظيمة أزهدت أرواحهم ولهذا قال تعالى إنه كان عذاب يوم عظيم وقد ذكر الله تعالى صفة إهلاكهم  
شيء ثم أقبلت إليهم سحابة أظلتهم فجعلوا ينطلقون إليها يستظلون بظلالها من الحر فلما اجتمعوا كلهم تحتها أرسل الله تعالى عليهم منها شررا من نار ولها  
يوم عظيم وهذا من جنس ما سألوهم من إسقاط الكسف عليهم فإن الله سبحانه وتعالى جعل عقوبتهم أن أصابهم حر عظيم مدة سبعة أيام لا يكتفون منه  
ولهذا قال تعالى فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب

## تفسير ابن كثير

- ولهذا قال وأنت من الكافرين أي الجاحدين قاله ابن عباس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم واختاره ابن جرير. 19
- إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم أي العزيز في انتقامه من الكافرين الرحيم بعباده المؤمنين. 190
- إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم أي العزيز في انتقامه من الكافرين الرحيم بعباده المؤمنين. 191
- الذي تقدم ذكره في أول السورة في قوله وما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الآية لتنزيل رب العالمين أي أنزل الله عليك وأوحاه إليك. 192
- يقول تعالى مخبرا عن الكتاب الذي أنزل على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وأنه أي القرآن
- وهذه كقوله قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزل على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وقال مجاهد: من كلمه الروح الأمين لا تأكله الأرض. 193
- السلام قاله غير واحد من السلف: ابن عباس ومحمد بن كعب وقتادة وعطية العوفي والسدي والضحاك والزهري وابن جريج وهذا مما لا نزاع فيه قال الزهري
- نزل به الروح الأمين وهو جبريل عليه
- محمد سالما من الدنس والزيادة والنقص لتكون من المنذرين أي لتنذر به بأس الله ونقمته على من خالفه وكذبه وتبشر به المؤمنين المتبعين له. 194
- على قلبك لتكون من المنذرين أي نزل به ملك كريم أمين ذو مكانة عند الله مطاع في المأل الأعلى على قلبك يا
- سفيان الثوري لم ينزل وحي إلا بالعربية ثم ترجم كل نبي لقومه واللسان يوم القيامة بالسريانية فمن دخل الجنة تكلم بالعربية رواه ابن أبي حاتم. 195
- رجل يا رسول الله بأبي وأمي ما أفصحك ما رأيت الذي هو أعرب منك قال فقال: حق لي وإنما أنزل القرآن بلساني والله يقول: بلسان عربي مبين وقال
- قالوا ما أحسنها وأشد استدارتها قال: فكيف ترون برقها أو ميض أم خفق أم يشق شقا؟ قالوا بل يشق شقا؟ قال: الحياء الحياء إن شاء الله قال فقال
- قال: فكيف ترون قواعدها؟ قالوا ما أحسنها وأشد تمكنها قال فكيف ترون جريها؟ قالوا ما أحسنه وأشد سواده قال فكيف ترون رجاها استدارت؟
- التيمن عن أبيه قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه في يوم دجن إذ قال لهم كيف ترون بواسقها؟ قالوا ما أحسنها وأشد تراكمها
- مقيما للحجة دليلا إلى المحجة قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن أبي بكر العتكي حدثنا عباد بن عباد المهلب عن موسى بن محمد عن إبراهيم
- وقوله تعالى: بلسان عربي مبين أي هذا القرآن الذي أنزلناه إليك أنزلناه باللسان العربي الفصيح الكامل الشامل ليكون بينا واضحا ظاهرا قاطعا للعذر
- والزبر ههنا هي الكتب جمع زبرة وكذلك الزبور وهو كتاب داود وقال الله تعالى وكل شيء فعلوه في الزبر أي مكتوب عليهم في صحف الملائكة. 196
- بالبشارة بأحمد وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعد اسمه أحمد
- به لموجود في كتب الأولين الماثورة عن أنبيائهم الذين بشروا به في قديم الدهر وحديثه كما أخذ الله عليهم الميثاق بذلك حتى قام آخرهم خطيبا في ملته
- يقول تعالى: وإن ذكر هذا القرآن والتنويه
- قريش وعنادهم لهذا القرآن أنه لو نزل على رجل من الأعاجم ممن لا يدري من العربية كلمة وأنزل عليه هذا الكتاب ببيانه وفصاحته لا يؤمنون به. 197
- كعب الله بن سلام وسلمان الفارسي عن أدركه منهم ومن شاكلهم قال الله تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الآية ثم قال تعالى مخبرا عن شدة كفر
- في كتبهم التي يدرسونها والمراد العدول منهم الذين يعترفون بما في أيديهم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ومبعثه وأمته كما أخبر بذلك من آمن منهم
- تعالى أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل أي أو ليس يكفيهم من الشاهد الصادق على ذلك أن العلماء من بني إسرائيل يجدون ذكر هذا القرآن
- ثم قال
- أبصارنا الآية وقال تعالى ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى الآية وقال تعالى: إن الذين حققت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون الآية. 198
- بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين كما أخبر عنهم في الآية الأخرى ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت
- ولهذا قال ولو نزلناه على
- أبصارنا الآية وقال تعالى ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى الآية وقال تعالى: إن الذين حققت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون الآية. 199
- بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين كما أخبر عنهم في الآية الأخرى ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت
- ولهذا قال ولو نزلناه على
- وقوله تعالى تلك آيات الكتاب المبين أي هذه آيات القرآن المبين أي البين الواضح الجلي الذي يفصل بين الحق والباطل والغي والرشاد. 2
- الله عنهما ومجاهد وقتادة والضحاك وغيرهم وأنا من الضالين أي الجاهلين قال ابن جريج وهو كذلك في قراءة عبدالله بن مسعود رضي الله عنه. 20
- قال فعلتها إذا أي في تلك الحال وأنا من الضالين أي قبل أن يوحى إلي وبينعم الله علي بالرسالة والنبوة قال ابن عباس رضي
- يقول تعالى كذلك سلطنا التكذيب والكفر والجحود والعناد أي أدخلناه في قلوب المجرمين. 200
- لا يؤمنون به أي بالحق حتى يروا العذاب الأليم أي حيث لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار. 201
- فيأتيهم بغتة أي عذاب الله بغتة. 202
- قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل إلى قوله وكنت من المفسدين وقال تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده الآيات. 203

## تفسير ابن كثير

زينة وأموالا في الحياة الدنيا إلى قوله قال قد أجيبت دعوتكما فأثرت هذه الدعوة في فرعون فما آمن حتى رأى العذاب الأليم حتى إذا أدركه الغرق إلى قوله ما لكم من زوال فكل ظالم وفاجر وكافر إذا شاهد عقوبته ندم ندما شديدا هذا فرعون لما دعا عليه الكليم بقوله ربنا إنك آتيت فرعون وملئه هل نحن منظرون أي يتمنون حين يشاهدون العذاب أن لو أنظروا قليلا ليعلموا في زعمهم بطاعة الله كما قال الله تعالى وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب وهم لا يشعرون فقولوا

يستعجلون إنكار عليهم وتهديد لهم فإنهم كانوا يقولون للرسول تكذبا واستبعادا: اثنتا بعذاب الله كما قال تعالى ويستعجلونك بالعذاب الآية. 204 وقوله تعالى أفعذابنا

فيه من النعيم كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها وقال تعالى يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر. 205 عنهم ما كانوا يمتعون أي لو أخرناهم وأنظرناهم وأملينا لهم برهة من الدهر وحينما من الزمان وإن طال ثم جاءهم أمر الله أي شيء يجدي عنهم ما كانوا ثم قال أفرأيت إن متعنهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى

فيه من النعيم كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها وقال تعالى يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر. 206 ثم جاءهم أمر الله أي شيء يجدي عنهم ما كانوا

فيه من النعيم كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها وقال تعالى يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر. 207 ثم جاءهم أمر الله أي شيء يجدي عنهم ما كانوا

معذبين حتى نبعث رسولا وقال تعالى وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا إلى قوله وأهلها ظالمون. 208 والإنذار لهم وبعثه الرسل إليهم وقيام الحجة عليهم ولهذا قال تعالى وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين كما قال تعالى: وما كنا بهذا البيت: كأنك لم تؤثر من الدهر ليلة إذا أنت أدركت الذي أنت تطلب ثم قال تعالى مخبرا عن عدله في خلقه أنه ما أهلك أمة من الأمم إلا بعد الإعذار إليهم في الدنيا فيصبغ في الجنة صبغة ثم يقال له هل رأيت بؤسا قط ؟ فيقول لا والله يارب أي ما كان شيئا كان ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتمثل الصحيح يؤتى بالكافر فيغمس في النار غمسة ثم يقال له هل رأيت خيرا قط ؟ فيقول لا والله يارب ويؤتى بأشد الناس بؤسا كان وقال تعالى: وما يغني عنه ماله إذا تردى ولهذا قال تعالى ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون وفي الحديث

معذبين حتى نبعث رسولا وقال تعالى وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا إلى قوله وأهلها ظالمون. 209 والإنذار لهم وبعثه الرسل إليهم وقيام الحجة عليهم ولهذا قال تعالى وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين كما قال تعالى: وما كنا بهذا البيت: كأنك لم تؤثر من الدهر ليلة إذا أنت أدركت الذي أنت تطلب ثم قال تعالى مخبرا عن عدله في خلقه أنه ما أهلك أمة من الأمم إلا بعد الإعذار إليهم في الدنيا فيصبغ في الجنة صبغة ثم يقال له هل رأيت بؤسا قط ؟ فيقول لا والله يارب أي ما كان شيئا كان ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتمثل الصحيح يؤتى بالكافر فيغمس في النار غمسة ثم يقال له هل رأيت خيرا قط ؟ فيقول لا والله يارب ويؤتى بأشد الناس بؤسا كان وقال تعالى: وما يغني عنه ماله إذا تردى ولهذا قال تعالى ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون وفي الحديث

ففررت منكم لما خفتكم. الآية أي انفصل الحال الأول وجاء أمر آخر فقد أرسلني الله إليك فإن أطعته سلمت وإن خالفته عطبت. 21

لأن من سجاياهم الفساد وإضلال العباد وهذا فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونور وهدى وبرهان عظيم فبينه وبين الشياطين منافاة عظيمة. 210 الأيمن المؤيد من الله وما تنزلت به الشياطين ثم ذكر أنه يمتنع عليهم ذلك من ثلاثة أوجه أحدها: أنه ما ينبغي لهم أي ليس هو من بغيتهم ولا من طلبتهم يقول تعالى مخبرا عن كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد أنه نزل به الروح

فلم يخلص أحد من الشياطين إلى استماع حرف ولم يجد منه لئلا يشتبه الأمر وهذا من رحمة الله بعباده وحفظه لشرعه وتأنيده لكتابه ولرسوله. 211 حملة وتأديته لما وصلوا إلى ذلك لأنهم بمعزل عن استماع القرآن حال نزوله لأن السماء ملئت حرسا شديدا وشهبا في مدة إنزال القرآن على رسول الله أي ولو انبغى لهم لما استطاعوا ذلك قال الله تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله ثم أنه لو انبغى لهم واستطاعوا ولهذا قال تعالى وما ينبغي لهم وقوله تعالى وما يستطيعون

فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا إلى قوله أم أراد بهم ربهم رشدا. 212 ولهذا قال تعالى إنهم عن السمع لمعزولون كما قال تعالى مخبرا عن الجن وأنا لمسننا السماء

من الأحزاب فالنار موعده وفي صحيح مسلم والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار. 213 به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم وقال تعالى لتبشر به المتقين وتذبر به قوما لدا وقال تعالى لأنذركم به ومن بلغ كما قال تعالى ومن يكفر به تنافي العامة بل هي فرد من أجزائها كما قال تعالى لتنذر قوما ما أنذر أبأؤهم فهم غافلون وقال تعالى لتنذر أم القرى ومن حولها وقال تعالى وأنذر من عباد الله المؤمنين ومن عصاه من خلق الله كائنا من كان فليتبأرأ منه ولهذا قال تعالى فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون وهذه النذارة الخاصة لا

## تفسير ابن كثير

أمرنا لرسوله صلى الله عليه وسلم أن ينذر عشيرته الأقربين أي الأذنين إليه وأنه لا يخلص أحدا منهم إلا إيمانه بربه عز وجل وأمره أن يلين جانبه لمن أتبعه يقول تعالى أمرا بعبادته وحده لا شريك له ومخبرا أن من أشرك به عذبه ثم قال تعالى

الأنبياء وأشهدهم عليهم الأقربون وذلك فيما أنزل الله عز وجل قال تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين إلى قوله فقل إني بريء مما تعملون. 214  
له ما بال الناس يرغبون فيما عندك من العلم وأهل بيتك جلوس لاهين ؟ فقال لأنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أزهّد الناس في الدنيا عن عبد الواحد الدمشقي قال: رأيت أبا الدرداء رضي الله عنه يحدث الناس ويفتيهم وولده إلى جنبه وأهل بيته جلوس في جانب المسجد يتحدثون فقل  
أنا نذير والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الواحد الدمشقي من طريق عمرو بن سمرة عن محمد بن سوقة أعلم دعاؤه الناس جهرة على الصفا وإنذاره لبطون قريش عموما وخصوصا حتى سمي من سمي من أعمامه وعماته وبناته لينبه بالأدنى على الأعلى أي إنما وتصديقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم من علي رضي الله عنه ولهذا بدرهم إلى التزام ما طلب منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كان بعد هذا والله يعصمك من الناس فعند ذلك أمن وكان أو لا يحرس حتى نزلت هذه الآية والله يعصمك من الناس ولم يكن أحد في بني هاشم إذ ذاك أشد إيمانا وإيقانا قتل في سبيل الله كأنه خشي إذا قام بأعواء الإنذار أن يقتل فلما أنزل الله تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله فهذه طرق متعددة لهذا الحديث عن علي رضي الله عنه ومعنى سؤاله صلى الله عليه وسلم لأعمامه وأولادهم أن يقضوا عنه دينه ويخلفوه في أهله يعني إن ثم قالها مرة أخرى فسكت العباس فلما رأيت ذلك قلت أنا يا رسول الله قال وإني يومئذ لأسوأهم هيئة وإني لأعشى العينين ضخم البطن خمس الساقين وسلم الكلام فقال أيكمل يقضي عني ديني ويكون خليفتي في أهلي ؟ قال فسكتوا وسكت العباس خشية أن يحيط ذلك بماله قال وسكت أنا لسن العباس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لي اصنع لي رجل شاة بصاع من طعام فصنعت قال فجمعتهم فلما أكلوا وشربوا بدرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لي اصنع لي رجل شاة بصاع من طعام فصنعت قال فدعاهم فلما أكلوا وشربوا قال فبدروه فقالوا مثل مقاتلهم الأولى فسكت حتى روي قال وفضل فضل فلما فرغوا أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتكلم فبدروه الكلام فقالوا ما رأينا كالיום في السحر فسكت رسول الله أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذروتها ثم قال كلوا فأكلوا حتى شبعوا وهي على هيئتها لم يزدروا منها إلا اليسير قال ثم أتيتهم بالإناء فشربوها ثم قال لي ادع بني هاشم قال فدعوتهم وإنهم يومئذ أربعون غير رجل أو أربعون ورجل قال وفيهم عشرة كلهم يأكل الجذعة بإدامها قال فلما أتوا بالقصة الله عنه لما نزلت هذه الآية وأنذر عشيرتك الأقربين قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنع لي رجل شاة بصاع من طعام وإناء لبنا قال ففعلت أبي أخبرنا الحسين عن عيسى بن ميسرة الحارثي حدثنا عبدالله بن عبد القدوس عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن عبدالله بن الحارث قال: قال علي رضي بن القاسم أبي مريم وهو متروك كذاب شيعي اتهمه علي بن المديني وغيره بوضع الحديث وضعفه الأئمة رحمهم الله طريق أخرى قال ابن أبي حاتم حدثنا قال إن هذا أخي وكذا وفاسمعو له وأطيعوا ثم قال القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع تفرد بهذا السياق عبد الغفار ؟ قال فأحجم القوم عنها جميعا وقلت وإني لأحدثهم سنا وأمراضهم عينا وأعظمهم بطنا وأخمشهم ساقا أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه فأخذ برقبتي ثم فذكر مثله وزاد بعد قوله إني جئتكم بخير الدنيا والآخرة: وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه فأياكم يؤازرنني على هذا الأمر على أن يكون أخي وكذا وكذا عن ابن حميد عن سلمة عن ابن إسحاق عن عبد الغفار بن القاسم أبي مريم عن المنهال بن عمرو عن عبدالله بن الحارث عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب بن عبد الجبار بلغني أن ابن إسحاق إنما سمعه من عبد الغفار ابن القاسم أبي مريم عن المنهال بن عمرو عن عبدالله بن الحارث. وقد رواه أبو جعفر بن جرير الله صلى الله عليه وسلم يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شابا من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة قال أحمد عليه وسلم كم صنع بالأمس فأكلوا حتى نهلوا ثم سقيتهم من ذلك القعب حتى نهلوا عنه وإيم الله إن كان الرجل منهم ليأكل مثله ويشرب مثله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت صنعت لنا بالأمس من الطعام والشراب فإن هذا الرجل قد بدرني إلى ما سمعت قبل أن أكلم القوم ففعلت ثم جمعتهم له فصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سحركم صاحبكم: فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان من الغد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي عد لنا بمثل الذي فشربوا منه حتى نهلوا جميعا وإيم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بدره أبو لهب بالكلام فقال لهد كما صنع بالأمس فأكلوا حتى نهلوا عنه وإيم الله إن كان الرجل منهم ليأكل مثله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسقهم يا علي فجئت بذلك القعب صنعت بالأمس من الطعام والشراب فإن هذا الرجل قد بدرني إلى ما سمعت قبل أن أكلم القوم ففعلت ثم جمعتهم له فصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سحركم صاحبكم فففرقوا ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان الغد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي عد لنا بمثل الذي كنت منه حتى نهلوا جميعا وإيم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بدره أبو لهب إلى الكلام فقال: لهد نهلوا عنه ما يرى إلا آثار أصابعهم والله إن كان الرجل منهم ليأكل مثله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسقهم يا علي فجئت بذلك القعب فشربوها فقدمت إليهم تلك الجفنة فأخذ منها رسول الله صلى الله عليه وسلم جذبة فشققها بأسنانه ثم رمى بها في نواحيها وقال كلوا بسم الله فأكل القوم حتى عبد المطلب ففعلت فاجتمعوا إليه وهم يومئذ أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصون رجلا فيهم أعمامه أبو طالب وحمة والعباس وأبو لهب الكافر الخبيث عن ذلك ثم جاءني جبريل فقال يا محمد إن لم تفعل ما أمرت به عذبك ربك: فاصنع لنا يا علي شاة على صاع من طعام وأعد لنا عس لبن ثم اجمع لي بني قال علي رضي الله عنه فدعاني فقال يا علي إن الله تعالى قد أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين فعرفت أنني إن بادرتهم بذلك رأيت منهم ما أكره فصمت عليه وسلم عرفت أنني إن بادرت بها قومي رأيت منهم ما أكره فصمت فجاءني جبريل عليه السلام فقال يا محمد إنك إن لم تفعل ما أمرت به عذبك ربك

## تفسير ابن كثير

طالب رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله وأنذر عشيرتك الأقربين وخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين قال رسول الله صلى الله بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق قال: حدثني من سمع عبدالله بن الحارث بن نوفل واستكتمني اسمه عن ابن عباس عن علي بن أبي من هذا السياق بزيادات أخر قال الحافظ أبو بكر البيهقي في دلائل النبوة أخبرنا محمد بن عبدالله الحافظ أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا أحمد القوم قال: فقال اجلس ثم قال ثلاث مرات كل ذلك أقوم إليه فيقول لي اجلس حتى كان في الثالثة ضرب بيده على يدي طريق أخرى أغرب وأبسط خاصة وإلى الناس عامة فقد رأيتم من هذه الآية ما رأيتم فأياكم يبالي علي أن يكون أخي وصاحبي قال فلم يقم إليه أحد قال فقامت إليه وكنت أصغر شبعوا وبقي الطعام كما هو كأنه لم يمسه ثم دعا بعس فشربوا حتى رويوا وبقي الشراب كأنه لم يمسه أو لم يشرب وقال يا بني عبد المطلب إني بعثت إليك الله عليه وسلم أو دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وهم رهط وكلهم يأكل الجذعة ويشرب الفرق فصنع لهم مدا من طعام فأكلوا حتى قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة حدثنا عثمان بن المغيرة عن أبي صادق عن ربيعة بن ماجد عن علي رضي الله عنه قال: جمع رسول الله صلى يا رسول الله أنت كنت بحري من يقوم بهذا قال ثم قال الآخر ثلاثا قال فعرض ذلك على أهل بيته فقال علي أنا طريق أخرى بأبسط من هذا السياق ثلاثون فأكلوا وشربوا قال: وقال لهم من يضمن عني ديني ومواعيدي ويكون معي في الجنة ويكون خليفتي في أهلي؟ فقال رجل لم يسمه شريك عن عباد بن عبدالله الأسدي عن علي رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية وأنذر عشيرتك الأقربين جمع النبي صلى الله عليه وسلم من أهل بيته فاجتمع ابن سهل النهدي عن قبيصة وزهير بن عمرو الهلالي به الحديث الخامس: قال الإمام أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا شريك عن الأعمش عن المنهال فذهب يربأ أهله رجاء أن يسبقوه فجعل ينادي ويهتف يا صباحاه ورواه مسلم والنسائي من حديث سليمان بن طرخان التيمي عن أبي عثمان عبد الرحمن سعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رضمة من جبل على أعلاها حجر فجعل ينادي يا بني عبد مناف إنما أنا نذير إنما مثلي ومثلكم كرجل رأى العدو الرابع: قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد ثنا التيمي عن أبي عثمان عن قبيصة بن مخارق وزهير بن عمرو قال: لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين ابن وردان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم يا بني قصي يا بني هاشم يا بني عبد مناف أنا نذير وأنا الموت المغير والساعة الموعد الحديث وسلم بنحوه ورواه أيضا عن حسن ثنا ابن لهيعة عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعا وقال أبو يعلى حدثنا سويد بن سعيد حدثنا همام بن إسماعيل عن موسى شيئا سلاني من مالي ما شئت ما تفرد به من هذا الوجه وتفرد به أيضا عن معاوية عن زائدة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم يا بني عبد المطلب اشتروا أنفسكم من الله يا صفية عمة رسول الله ويا فاطمة بنت رسول الله اشتريا أنفسكما من الله فإني لا أغني عنكما من الله وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا محمد يعني ابن إسحاق عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه فيه أبا هريرة والموصول هو الصحيح وأخرجه في الصحيحين من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة ورواه مسلم والترمذي من حديث عبد الملك بن عمير به وقال الترمذي غريب من هذا الوجه ورواه النسائي من حديث موسى بن طلحة مرسل ولم يذكر بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار فإني والله لا أملك لكم من الله شيئا إلا أن لكم رحما سألها بلالها وخص فقال يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار يا معشر بني كعب أنقذوا أنفسكم من النار يا معشر بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار يا معشر عمير عن موسى بن طلحة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية وأنذر عشيرتك الأقربين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فعم من الله شيئا سلوني من مالي ما شئتم انفرد بإخراجه مسلم الحديث الثالث: قال الإمام أحمد: حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا زائدة حدثنا عبد الملك بن نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا فاطمة ابنة محمد يا صفية ابنة عبد المطلب يا بني عبد المطلب لا أملك لكم ورواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن الأعمش به الحديث الثاني: قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا هشام عن أبيه عن عائشة قالت: لما قالوا نعم قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبا لك سائر اليوم أما دعوتنا إلا لهذا؟ وأنزل الله تبت يدا أبي لهب وتب الله صلى الله عليه وسلم يا بني عبد المطلب يا بني فهر يا بني لؤي رأيتم لو أخبرتمكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني؟ أتى النبي صلى الله عليه وسلم الصفا فصعد عليه ثم نادى يا صباحاه فاجتمع الناس إليه بين رجل يجيء إليه وبين رجل يبعث رسوله فقال رسول حدثنا عبدالله بن نمير عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أنزل الله عز وجل وأنذر عشيرتك الأقربين وقد وردت أحاديث كثيرة في نزول هذه الآية الكريمة فلنذكرها الحديث الأول: قال الإمام أحمد رحمه الله

الأنبياء وأشهدهم عليهم الأقربون وذلك فيما أنزل الله عز وجل قال تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين إلى قوله فقل إني بريء مما تعملون. 215 له ما بال الناس يرغبون فيما عندك من العلم وأهل بيتك جلوس لاهين؟ فقال لأنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أزهدهم الناس في الدنيا عن عبد الواحد الدمشقي قال: رأيت أبا الدرداء رضي الله عنه يحدث الناس ويفتيهم وولده إلى جنبه وأهل بيته جلوس في جانب المسجد يتحدثون فقل أنا نذير والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الواحد الدمشقي من طريق عمرو بن سمرة عن محمد بن سوقة أعلم دعاؤه الناس جهرة على الصفا وإنذاره لبطن قريش عموما وخصوصا حتى سمى من سمى من أعمامه وعماته وبناته لينبه بالآدنى على الأعلى أي إنما وتصديقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم من علي رضي الله عنه ولهذا بدرهم إلى التزام ما طلب منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كان بعد هذا والله يعصمكم من الناس فعند ذلك أمن وكان أو لا يحرس حتى نزلت هذه الآية والله يعصمكم من الناس ولم يكن أحد في بني هاشم إذ ذاك أشد إيمانا وإيقانا قتل في سبيل الله كأنه خشي إذا قام بأعباء الإنذار أن يقتل فلما أنزل الله تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله

## تفسير ابن كثير

فهذه طرق متعددة لهذا الحديث عن علي رضي الله عنه ومعنى سؤاله صلى الله عليه وسلم لأعمامه وأولادهم أن يقضوا عنه دينه ويخلفوه في أهله يعني إن ثم قالها مرة أخرى فسكت العباس فلما رأيت ذلك قلت أنا يا رسول الله قال وإني يومئذ لأسوأهم هيئة وإني لأعشى العينين ضخم البطن خمش الساقين وسلم الكلام فقال أيكم يقضي عني ديني ويكون خليفتي في أهلي؟ قال فسكتوا وسكت العباس خشية أن يحيط ذلك بماله قال وسكت أنا لسن العباس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لي اصنع لي رجل شاة بصاع من طعام فصنعت قال فدعاهم فلما أكلوا وشربوا بدرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لي اصنع لي رجل شاة بصاع من طعام فصنعت قال فدعاهم فلما أكلوا وشربوا قال فبدروه فقالوا مثل مقالته الأولى فسكت حتى روي قال وفضل فضل فلما فرغوا أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتكلم فبدروه الكلام فقالوا ما رأينا كاليوم في السحر فسكت رسول الله أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذروتها ثم قال كلوا فأكلوا حتى شبعوا وهي على هيئتها لم يزدروا منها إلا اليسير قال ثم أتيتهم بالإناء فشربوا ثم قال لي ادع بني هاشم قال فدعوتهم وإنهم يومئذ أربعون غير رجل أو أربعون ورجل قال وفيهم عشرة كلهم يأكل الجذعة بإدامها قال فلما أتوا بالقصة الله عنه لما نزلت هذه الآية وأنذر عشيرتك الأقربين قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنع لي رجل شاة بصاع من طعام وإناء لنا قال ففعلت أبي أخبرنا الحسين عن عيسى بن ميسرة الحارثي حدثنا عبدالله بن عبد القدوس عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن عبدالله بن الحارث قال: قال علي رضي بن القاسم أبي مريم وهو متروك كذاب شيعي اتهمه علي بن المديني وغيره بوضع الحديث وضعفه الأئمة رحمهم الله طريق أخرى قال ابن أبي حاتم حدثنا قال إن هذا أخي وكذا وكذا فاسمعوا له وأطيعوا ثم قال القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع تفرد بهذا السياق عبد الغفار؟ قال فأحجم القوم عنها جميعا وقلت وإني لأحدثهم سنا وأمريضهم عينا وأعظمهم بطنا وأخمشهم ساقا أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه فأخذ برقبتي ثم فذكر مثله وزاد بعد قوله إني جئتمكم بخير الدنيا والآخرة: وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه فأياكم يؤازرنني على هذا الأمر على أن يكون أخي وكذا وكذا عن ابن حميد عن سلمة عن ابن إسحاق عن عبد الغفار بن القاسم أبي مريم عن المنهال بن عمرو عن عبدالله بن الحارث عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب بن عبد الجبار بلغني أن ابن إسحاق إنما سمعه من عبد الغفار ابن القاسم أبي مريم عن المنهال بن عمرو عن عبدالله بن الحارث. وقد رواه أبو جعفر بن جرير الله صلى الله عليه وسلم يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شابا من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتمكم به إني قد جئتمكم بخير الدنيا والآخرة قال أحمد عليه وسلم كم صنع بالأمس فأكلوا حتى نهلوا ثم سقيتهم من ذلك القعب حتى نهلوا عنه وإيم الله إن كان الرجل منهم ليأكل مثله ويشرب مثله ثم قال رسول كنت صنعت لنا بالأمس من الطعام والشراب فإن هذا الرجل قد بدرني إلى ما سمعت قبل أن أكلم القوم ففعلت ثم جمعتم له فصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سحرهم صاحبكم: فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان من الغد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي عد لنا بمثل الذي فشربوا منه حتى نهلوا جميعا وإيم الله إن كان الرجل منهم ليأكل مثله فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بدره أبو لهب بالكلام فقال لهد كما صنع بالأمس فأكلوا حتى نهلوا عنه وإيم الله إن كان الرجل منهم ليأكل مثله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسقهم يا علي فجئت بذلك القعب صنعت بالأمس من الطعام والشراب فإن هذا الرجل قد بدرني إلى ما سمعت قبل أن أكلم القوم ففعلت ثم جمعتم له فصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سحرهم صاحبكم فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان الغد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي عد لنا بمثل الذي كنت منه حتى نهلوا جميعا وإيم الله إن كان الرجل منهم ليأكل مثله فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بدره أبو لهب إلى الكلام فقال: لهد نهلوا عنه ما يرى إلا آثار أصابعهم والله إن كان الرجل منهم ليأكل مثله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسقهم يا علي فجئت بذلك القعب فشربوا فقدمت إليهم تلك الجفنة فأخذ منها رسول الله صلى الله عليه وسلم جذبة فشققها بأسنانه ثم رمى بها في نواحيها وقال كلوا بسم الله فأكل القوم حتى عبد المطلب ففعلت فاجتمعوا إليه وهم يومئذ أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصون رجلا فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب الكافر الخبيث عن ذلك ثم جاءني جبريل فقال يا محمد إن لم تفعل ما أمرت به عذبك ربك: فاصنع لنا يا علي شاة على صاع من طعام وأعد لنا عس لبن ثم اجمع لي بني قال علي رضي الله عنه فدعاني فقال يا علي إن الله تعالى قد أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين فعرفت أنني إن بادرتهم بذلك رأيت منهم ما أكره فصمت عليه وسلم عرفت أنني إن بادرت بها قومي رأيت منهم ما أكره فصمت فجاءني جبريل عليه السلام فقال يا محمد إنك إن لم تفعل ما أمرت به عذبك ربك طالب رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق قال: حدثني من سمع عبدالله بن الحارث بن نوفل واستكتمني اسمه عن ابن عباس عن علي بن أبي من هذا السياق بزيادات أخر قال الحافظ أبو بكر البيهقي في دلائل النبوة أخبرنا محمد بن عبدالله الحافظ أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا أحمد القوم قال: فقال اجلس ثم قال ثلاث مرات كل ذلك أقوم إليه فيقول لي اجلس حتى كان في الثالثة ضرب بيده على يدي طريق أخرى أغرب وأبسط خاصة وإلى الناس عامة فقد رأيتهم ما رأيتهم فأياكم يبأييني على أن يكون أخي وصاحبي قال فلم يقم إليه أحد قال فقمت إليه وكنت أصغر شبعوا وبقي الطعام كما هو كأنه لم يمسه ثم دعا بعس فشربوا حتى روي وبقي الشراب كأنه لم يمسه أو لم يشرب وقال يا بني عبد المطلب إني بعثت إليكم الله عليه وسلم أو دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وهم رهط وكلهم يأكل الجذعة ويشرب الفرق فصنع لهم مدا من طعام فأكلوا حتى قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة حدثنا عثمان بن المغيرة عن أبي صادق عن ربيعة بن ماجد عن علي رضي الله عنه قال: جمع رسول الله صلى يا رسول الله أنت كنت بحري من يقوم بهذا قال ثم قال الآخر ثلاثا قال فعرض ذلك على أهل بيته فقال علي أنا طريق أخرى بأبسط من هذا السياق ثلاثون فأكلوا وشربوا قال: وقال لهم من يضمن عني ديني ومواعيدي ويكون معي في الجنة ويكون خليفتي في أهلي؟ فقال رجل لم يسمه شريك



## تفسير ابن كثير

عن عباد بن عبد الله الأسدي عن علي رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية وأنذر عشيرتكم الأقربين جمع النبي صلى الله عليه وسلم من أهل بيته فاجتمع ابن سهل النهدي عن قبيصة وزهير بن عمرو الهلالي به الحديث الخامس: قال الإمام أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا شريك عن الأعمش عن المنهال فذهب يرباً أهله رجاء أن يسبقوه فجعل ينادي ويهتف يا صباحاه ورواه مسلم والنسائي من حديث سليمان بن طرخان التيمي عن أبي عثمان عبد الرحمن سعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رضة من جبل على أعلاها حجر فجعل ينادي يا بني عبد مناف إنما أنا نذير إنما مثلي ومثلكم كرجل رأى العدو الرابع: قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد ثنا التيمي عن أبي عثمان عن قبيصة بن مخارق وزهير بن عمرو قال: لما نزلت وأنذر عشيرتكم الأقربين ابن وردان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم يا بني قصي يا بني هاشم يا بني عبد مناف أنا النذير والموت المغير والساعة الموعد الحديث وسلم بنحوه ورواه أيضاً عن حسن ثنا ابن لهيعة عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعاً وقال أبو يعلى حدثنا سويد بن سعيد حدثنا همام بن إسمايل عن موسى شينا سلاني من مالي ما شئتما تفرد به من هذا الوجه وتفرد به أيضاً عن معاوية عن زائدة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم يا بني عبد المطلب اشتروا أنفسكم من الله يا صفية عمة رسول الله ويا فاطمة بنت رسول الله اشتريا أنفسكما من الله فإني لا أغني عنكما من الله وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا محمد يعني ابن إسحاق عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه أبا هريرة والموصول هو الصحيح وأخرجه في الصحيحين من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة ورواه مسلم والترمذي من حديث عبد الملك بن عمير به وقال الترمذي غريب من هذا الوجه ورواه النسائي من حديث موسى بن طلحة مرسل ولم يذكر بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار فإني والله لا أملك لكم من الله شيئاً إلا أن لكم رحماً سألها ببلاها وخص فقال يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار يا معشر بني كعب أنقذوا أنفسكم من النار يا معشر بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار يا معشر عمير عن موسى بن طلحة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية وأنذر عشيرتكم الأقربين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً فعم من الله شيئاً سلوني من مالي ما شئتم انفرد بإخراجه مسلم الحديث الثالث: قال الإمام أحمد: حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا زائدة حدثنا عبد الملك بن نزلت وأنذر عشيرتكم الأقربين قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا فاطمة ابنة محمد يا صفية ابنة عبد المطلب يا بني عبد المطلب لا أملك لكم ورواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن الأعمش به الحديث الثاني: قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا هشام عن أبيه عن عائشة قالت: لما قالوا نعم قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبا لك سائر اليوم أما دعوتنا إلا لهذا؟ وأنزل الله تبت يدا أبي لهب وتب الله صلى الله عليه وسلم يا بني عبد المطلب يا بني فهر يا بني لؤي أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني؟ أتى النبي صلى الله عليه وسلم الصفا فصعد عليه ثم نادى يا صباحاه فاجتمع الناس إليه بين رجل يجيء إليه وبين رجل يبعث رسوله فقال رسول حدثنا عبد الله بن نمير عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أنزل الله عز وجل وأنذر عشيرتكم الأقربين وقد وردت أحاديث كثيرة في نزول هذه الآية الكريمة فلنذكرها الحديث الأول: قال الإمام أحمد رحمه الله

الأنبياء وأشهدهم عليهم الأقربون وذلك فيما أنزل الله عز وجل قال تعالى وأنذر عشيرتكم الأقربين إلى قوله فقل إني بريء مما تعملون. 216

له ما بال الناس يرغبون فيما عندك من العلم وأهل بيتك جلوس لاهين؟ فقال لأنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أزهدهم الناس في الدنيا عن عبد الواحد الدمشقي قال: رأيت أبا الدرداء رضي الله عنه يحدث الناس ويفتيهم وولده إلى جنبه وأهل بيته جلوس في جانب المسجد يتحدثون فقل أن نذير والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الواحد الدمشقي من طريق عمرو بن سمرة عن محمد بن سوقة أعلم دعاؤه الناس جهرة على الصفا وإنذاره لبطون قريش عموماً وخصوصاً حتى سمى من سمى من أعمامه وعماته وبناته لبنيه بالأدنى على الأعلى أي إنما وتصديقاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم من علي رضي الله عنه ولهذا بدرهم إلى التزام ما طلب منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كان بعد هذا والله يعصمكم من الناس فعند ذلك أمن وكان أو لا يحرس حتى نزلت هذه الآية والله يعصمكم من الناس ولم يكن أحد في بني هاشم إذ ذاك أشد إيماناً وإيقاناً قتل في سبيل الله كأنه خشي إذا قام بأعباء الإنذار أن يقتل فلما أنزل الله تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله فهذه طرق متعددة لهذا الحديث عن علي رضي الله عنه ومعنى سؤاله صلى الله عليه وسلم لأعمامه وأولادهم أن يقضوا عنه دينه ويخلفوه في أهله يعني إن ثم قالها مرة أخرى فسكت العباس فلما رأيت ذلك قلت أنا يا رسول الله قال وإني يومئذ لأسوأهم هيئة وإني لأعمش العينين ضخم البطن خممش الساقين وسلم الكلام فقال أياكم يقضي عني ديني ويكون خليفتي في أهلي؟ قال فسكتوا وسكت العباس خشية أن يحيط ذلك بماله قال وسكت أنا لسن العباس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لي اصنع لي رجل شاة بصاع من طعام فصنعت قال فجمعتهم فلما أكلوا وشربوا بدرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم ثم قال لي اصنع لي رجل شاة بصاع من طعام فصنعت قال فدعاهم فلما أكلوا وشربوا قال فبدروهم فقالوا مثل مقالته الأولى فسكت حتى روي قال وفضل فضل فلما فرغوا أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتكلم فبدروهم الكلام فقالوا ما رأينا كاليوم في السحر فسكت رسول الله أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذروتها ثم قال كلوا فأكلوا حتى شبعوا وهي على هيئتها لم يزدروها منها إلا اليسير قال ثم أتيتهم بالإناء فشربوها ثم قال لي ادع بني هاشم قال فدعوتهم وإنهم يومئذ أربعون غير رجل أو أربعون ورجل قال وفيهم عشرة كلهم يأكل الجذعة بإدامها قال فلما أتوا بالقصة الله عنه لما نزلت هذه الآية وأنذر عشيرتكم الأقربين قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنع لي رجل شاة بصاع من طعام وإناء لبنا قال ففعلت أبي أخبرنا الحسين عن عيسى بن ميسرة الحارثي حدثنا عبد الله بن عبد القدوس عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث قال: قال علي رضي

## تفسير ابن كثير

بن القاسم أبي مريم وهو متروك كذاب شيعي اتهمه علي بن المديني وغيره بوضع الحديث وضعفه الأئمة رحمهم الله طريق أخرى قال ابن أبي حاتم حدثنا قال إن هذا أخي وكذا وكذا فاسمعوا له وأطيعوا ثم قال القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع تفرد بهذا السياق عبد الغفار ؟ قال فأحجم القوم عنها جميعا وقلت وإنني لأحدثهم سنا وأمريضهم عينا وأعظمهم بطنا وأخمشهم ساقا أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه فأخذ برقبتي ثم فذكر مثله وزاد بعد قوله إني جئتكم بخير الدنيا والآخرة: وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه فأياكم يؤازرنني على هذا الأمر على أن يكون أخي وكذا وكذا

عن ابن حميد عن سلمة عن ابن إسحاق عن عبد الغفار بن القاسم أبي مريم عن المنهال ابن عمرو عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب بن عبد الجبار بلغني أن ابن إسحاق إنما سمعه من عبد الغفار ابن القاسم أبي مريم عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث. وقد رواه أبو جعفر بن جرير الله صلى الله عليه وسلم يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شابا من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة قال أحمد عليه وسلم كم صنع بالأمس فأكلوا حتى نهلوا ثم سقيتهم من ذلك القعب حتى نهلوا عنه وإيم الله إن كان الرجل منهم ليأكل مثله ويشرب مثله ثم قال رسول كنت صنعت لنا بالأمس من الطعام والشراب فإن هذا الرجل قد بدرني إلى ما سمعت قبل أن أكلم القوم ففعلت ثم جمعتهم له فصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سحركم صاحبكم: فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان من الغد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي عد لنا بمثل الذي فشربوا منه حتى نهلوا جميعا وإيم الله إن كان الرجل منهم ليأكل مثله فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بدره أبو لهب بالكلام فقال لهد كما صنع بالأمس فأكلوا حتى نهلوا عنه وإيم الله إن كان الرجل منهم ليأكل مثله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسقهم يا علي فجئت بذلك القعب صنعت بالأمس من الطعام والشراب فإن هذا الرجل قد بدرني إلى ما سمعت قبل أن أكلم القوم ففعلت ثم جمعتهم له فصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سحركم صاحبكم فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان الغد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي عد لنا بمثل الذي كنت منه حتى نهلوا جميعا وإيم الله إن كان الرجل منهم ليأكل مثله فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بدره أبو لهب إلى الكلام فقال: لهد نهلوا عنه ما يرى إلا آثار أصابعهم والله إن كان الرجل منهم ليأكل مثله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسقهم يا علي فجئت بذلك القعب فشربوا فقدمت إليهم تلك الجفنة فأخذ منها رسول الله صلى الله عليه وسلم جذبة فشققها بأسنانه ثم رمى بها في نواحيها وقال كلوا بسم الله فأكل القوم حتى عبد المطلب ففعلت فاجتمعوا إليه وهم يومئذ أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصون رجلا فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب الكافر الخبيث عن ذلك ثم جاءني جبريل فقال يا محمد إن لم تفعل ما أمرت به عذبك ربك: فاصنع لنا يا علي شاة على صاع من طعام وأعد لنا عس لبن ثم اجمع لي بني قال علي رضي الله عنه فدعاني فقال يا علي إن الله تعالى قد أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين فعرفت أنني إن بادرتهم بذلك رأيت منهم ما أكره فصمت عليه وسلم عرفت أنني إن بادرت بها قومي رأيت منهم ما أكره فصمت فجاءني جبريل عليه السلام فقال يا محمد إنك إن لم تفعل ما أمرت به عذبك ربك طالب رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله وأندر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق قال: حدثني من سمع عبد الله بن الحارث بن نوفل واستكتمني اسمه عن ابن عباس عن علي بن أبي من هذا السياق بزيادات أخر قال الحافظ أبو بكر البيهقي في دلائل النبوة أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا أحمد القوم قال: فقال اجلس ثم قال ثلاث مرات كل ذلك أقوم إليه فيقول لي اجلس حتى كان في الثالثة ضرب بيده على يدي طريق أخرى أغرب وأبسط خاصة وإلى الناس عامة فقد رأيتهم من هذه الآية ما رأيتهم فأياكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي قال فلم يقيم إليه أحد قال فقمت إليه وكنت أصغر شبعوا وبقي الطعام كما هو كأنه لم يمسه ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقي الشراب كأنه لم يمسه أو لم يشرب وقال يا بني عبد المطلب إني بعثت إليكم الله عليه وسلم أو دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وهم رهط وكلهم يأكل الجذعة ويشرب الفرق فصنع لهم مدا من طعام فأكلوا حتى قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة حدثنا عثمان بن المغيرة عن أبي صادق عن ربيعة بن ماجد عن علي رضي الله عنه قال: جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أنت كنت بحري من يقوم بهذا قال ثم قال الآخر ثلاثا قال فعرض ذلك على أهل بيته فقال علي أنا طريق أخرى بأبسط من هذا السياق ثلاثون فأكلوا وشربوا قال: وقال لهم من يضمن عني ديني ومواعيدي ويكون معي في الجنة ويكون خليفتي في أهلي؟ فقال رجل لم يسمه شريك عن عباد بن عبد الله الأسدي عن علي رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية وأنذر عشيرتك الأقربين جمع النبي صلى الله عليه وسلم من أهل بيته فاجتمع ابن سهل النهدي عن قبيصة وزهير بن عمرو الهلالي به الحديث الخامس: قال الإمام أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا شريك عن الأعمش عن المنهال فذهب يربأ أهله رجاء أن يسبقوه فجعل ينادي ويهتف يا صباحاه ورواه مسلم والنسائي من حديث سليمان بن طرخان التيمي عن أبي عثمان عبد الرحمن سعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رضة من جبل على أعلاها حجر فجعل ينادي يا بني عبد مناف إنما أنا نذير إنما مثلي ومثلكم كرجل رأى العدو الرابع: قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد ثنا التيمي عن أبي عثمان عن قبيصة بن مخارق وزهير بن عمرو قال: لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين ابن وردان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم يا بني قصي يا بني هاشم يا بني عبد مناف أنا النذير والموت المغير والساعة الموعد الحديث وسلم بنحوه ورواه أيضا عن حسن ثنا ابن لهيعة عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعا وقال أبو يعلى حدثنا سويد بن سعيد حدثنا همام بن إسماعيل عن موسى شيئا سلاني من مالي ما شئتما تفرد به من هذا الوجه وتفرد به أيضا عن معاوية عن زائدة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم يا بني عبد المطلب اشتروا أنفسكم من الله يا صافية عمة رسول الله ويا فاطمة بنت رسول الله اشتريا أنفسكما من الله فأني لا أغني عنكما من الله وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا محمد يعني ابن إسحاق عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

## تفسير ابن كثير

فيه أبا هريرة والموصول هو الصحيح وأخرجه في الصحيحين من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة ورواه مسلم والترمذي من حديث عبد الملك بن عمير به وقال الترمذي غريب من هذا الوجه ورواه النسائي من حديث موسى بن طلحة مرسل ولم يذكر بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار فإني والله لا أملك لكم من الله شيئاً إلا أن لكم رحماً سألها ببلاها وخص فقال يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار يا معشر بني كعب أنقذوا أنفسكم من النار يا معشر بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار يا معشر عمير عن موسى بن طلحة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية وأنذر عشيرتك الأقربين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً فعم من الله شيئاً سلوني من مالي ما شئتم انفرد بإخراجه مسلم الحديث الثالث: قال الإمام أحمد: حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا زائدة حدثنا عبد الملك بن نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا فاطمة ابنة محمد يا صفية ابنة عبد المطلب يا بني عبد المطلب لا أملك لكم ورواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن الأعمش به الحديث الثاني: قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا هشام عن أبيه عن عائشة قالت: لما قالوا نعم قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبا لك سائر اليوم أما دعوتنا إلا لهذا؟ وأنزل الله تبت يدا أبي لهب وتب الله صلى الله عليه وسلم يا بني عبد المطلب يا بني فهر يا بني لؤي أريتم لو أخبرتمكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني؟ أتى النبي صلى الله عليه وسلم الصفا فصعد عليه ثم نادى يا صباحاه فاجتمع الناس إليه بين رجل يجيء إليه وبين رجل يبعث رسوله فقال رسول حدثنا عبد الله بن نمير عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أنزل الله عز وجل وأنذر عشيرتك الأقربين وقد وردت أحاديث كثيرة في نزول هذه الآية الكريمة فلنذكرها الحديث الأول: قال الإمام أحمد رحمه الله

وقوله تعالى وتوكل على العزيز الرحيم أي في جميع أمورك فإنه مؤيدك وحافظك وناصرك ومظفرك ومعلي كلمتك. 217

تقوم إذا صليت وحدك وقال الضحاك الذي يراك حين تقوم أي من فراشك أو مجلسك وقال قتادة الذي يراك قائماً وجالساً وعلى حالاتك. 218  
لحكم ربك فإنك بأعيننا قال ابن عباس الذي يراك حين تقوم يعني إلى الصلاة وقال عكرمة يرى قيامه وركوعه وسجوده وقال الحسن الذي يراك حين وقوله تعالى الذي يراك حين تقوم أي هو معتن بك كما قال تعالى فاصبر

وراء ظهري وروى البزار وابن أبي حاتم من طريقين عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية يعني تقبله من صلب نبي إلى صلب نبي حتى أخرجه نبياً. 219  
البصري وقال مجاهد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى من خلفه كما يرى من أمامه ويشهد لهذا ما صح في الحديث سووا صفوفكم فإني أراكم من قال قتادة الذي يراك حين تقوم وتقبلك في الساجدين قال في الصلاة يراك وحدك ويراك في الجمع وهذا قول عكرمة وعطاء الخراساني والحسن وقوله تعالى وتقبلك في الساجدين

تصرفهم في أعمالك ومشاق رعينتك أفيفي إحسانك إلى رجل واحد منهم بما أسأت إلى مجموعهم أي ليس ما ذكرته شيئاً بالنسبة إلى ما فعلت بهم. 22  
ثم قال موسى وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل أي وما أحسنت إلي وربيتني مقابل ما أسأت إلى بني إسرائيل فجعلتهم عبيداً وخداماً بحركاتهم وسكناتهم كما قال تعالى وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه الآية. 220  
وقوله تعالى إنه هو السميع العليم أي السميع لأقوال عباده العليم

ليس لهم رغبة في مثل هذا القرآن العظيم وإنما ينزلون على من يشاكلهم ويشابههم من الكهان الكذبة ولهذا قال تعالى هل أنبئكم أي أخبركم. 221  
جناب رسوله عن قولهم وافتراءهم ونبه أن ما جاء به إنما هو من عند الله وأنه تنزيله ووحيه نزل به ملك كريم أمين عظيم وأنه ليس من قبل الشياطين فإنهم من المشركين أن ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ليس بحق وأنه شيء افتعله من تلقاء نفسه أو أنه أتاه به رأي من الجان فنزه الله سبحانه وتعالى يقول تعالى مخاطباً لمن زعم

أثيم وهو الفاجر في أفعاله فهذا هو الذي تنزل عليه الشياطين من الكهان وما جرى مجراهم من الكذبة الفسقة فإن الشياطين أيضاً كذبة فسقة. 222  
على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم أي كذوب في قوله وهو الأفاك

آخر من كتاب بدء الخلق عن سعيد بن أبي زيد عن الليث عن عبد الله بن أبي جعفر عن أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن عن عروة عن عائشة بنحوه. 223  
والعنان الغمام بالأمر في الأرض فتسمع الشياطين الكلمة فتقرها في أذن الكاهن كما تقر القارورة فيزيدون معها مائة كذبة ورواه البخاري في موضع حدثني خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال أن أبا الأسود أخبره عن عروة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الملائكة تحدث في العنان بن الحسين عن ابن عباس عن رجال من الأنصار قريباً من هذا وسيأتي عند قوله تعالى في سبأ حتى إذا فرغ عن قلوبهم الآية وقال البخاري وقال الليث كذبة فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا وكذا؟ فيصدى بتلك الكلمة التي سمعت من السماء تفرد به البخاري وروى مسلم من حديث الزهري عن علي من تحته ثم يليقها الآخر إلى من تحته حتى يليقها على لسان الساحر أو الكاهن فربما أدركه الشهاب قبل أن يليقها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة العلي الكبير فيسمعها مسترقوا السمع ومسترقوا السمع هكذا بعضهم فوق بعض وصفه سفيان بيده فحرفها وبدد بين أصابعه فيسمع الكلمة فيليقها إلى إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنها سلسلة على صفوان فإذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم؟ قالوا الحق وهو من مائه كذبة وروى البخاري أيضاً حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو قال سمعت عكرمة سمعت أبا هريرة يقول: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال

## تفسير ابن كثير

يحدثون بالشيء يكون حقا فقال النبي صلى الله عليه وسلم تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرقرها في أذن وليه كقرقرة الدجاج فيخلطون معها أكثر سمع عروة بن الزبير يقول: قالت عائشة رضي الله عنها: سألت ناس النبي صلى الله عليه وسلم عن الكهان فقال إنهم ليسوا بشيء قالوا يا رسول الله فإنهم قالوه بسبب صدقهم في تلك الكلمة التي سمعت من السماء كما صح بذلك الحديث كما رواه البخاري من حديث الزهري أخبرني يحيى بن عروة بن الزبير أنه السمع من السماء فيسمعون الكلمة من علم الغيب فيزيدون معها مائة كذبة ثم يلقونها إلى أوليائهم من الإنس فيحدثون بها فيصدقهم الناس في كل ما يلقون السمع أي يسترقون

شاعر ينشد فقال النبي صلى الله عليه وسلم خذوا الشيطان أو أمسكوا الشيطان لأن يمتلى جوف أحدكم قيحا خيرا له من أن يمتلى شعرا. 224 قتيبة حدثنا ليث عن ابن الهاد عن يحنس مولى مصعب بن الزبير عن أبي سعيد قال: بينما نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرج إذ عرض وقال عكرمة كان الشعراء يتهاجيان فينتصر لهذا فنام من الناس ولهذا فنام من الناس فأنزل الله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون وقال الإمام أحمد حدثنا الغاوون قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني الكفار يتبعهم ضلال الإنس والجن وكذا قال مجاهد رحمه الله وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهما وقوله تعالى والشعراء يتبعهم

قد والله رأينا أوديتهم التي يخوضون فيها مرة في شتيمة فلان ومرة في مديحة فلان وقال قتادة: الشاعر يمدح قوما بباطل ويذم قوما بباطل. 225 قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في كل لغو يخوضون وقال الضحاك عن ابن عباس في كل فن من الكلام وكذا قال مجاهد وغيره وقال الحسن البصري وقوله تعالى ألم تر أنهم في كل واد يهيمون

وكعب بن مالك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يبيكون قالوا: قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء فتلا النبي صلى الله عليه وسلم. 226 بن قسيط عن أبي الحسن سالم البراد بن عبد الله مولى تميم الداري قال: لما نزلت والشعراء يتبعهم الغاوون جاء حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون وقوله إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات قال محمد بن إسحاق عن يزيد بن عبد الله إنهم عن السمع لمعزلون إلى أن قال هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون والشعراء يتبعهم رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين إلى أن قال وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون تعالى إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين وهكذا قال ههنا وإنه لتنزيل هذه القرآن ليس بكاهن ولا بشاعر لأن حاله مناف لحالهم من وجوه ظاهرة كما قال تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين وقال به ولهذا جاء في الحديث لأن يمتلى جوف أحدكم قيحا يريه خيرا له من أن يمتلى شعرا والمراد من هذا أن الرسول صلى الله عليه وسلم الذي أنزل عليه لي عملا أبدا وقد قلت ما قلت فلم يذكر أنه حده على الشراب وقد ضمنه شعره لأنهم يقولون ما لا يفعلون ولكن ذمه عمر رضي الله عنه ولامه على ذلك وعزله فلما قدم على عمر بكته بهذا الشعر فقال والله يا أمير المؤمنين ما شربتها قط وما ذاك الشعر إلا شيء طفح على لساني فقال عمر أظن ذلك ولكن والله لا تعمل العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير أما بعد فقد بلغني قولك: لعل أمير المؤمنين يسوءه تنادينا بالجوسق المتهمد وإيم الله إنه ليسوءني وقد عزلتك ذلك ومن لقيه فليخبره أنني قد عزلته وكتب إليه عمر بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد بالأصغر المتثل لعل أمير المؤمنين يسوءه تنادينا بالجوسق المتهمد فلما بلغ ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال أي والله إنه ليسوءني أن خليلها بميسان يسقي في زجاج وحنتم إذا شئت غنتني دهاقين قرية ورقاصة تحنو علي كل مبسم فإن كنت ندماني فبالأكبر اسقني ولا تسقني أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل النعمان بن عدي بن نضلة علي ميسان من أرض البصرة وكان يقول الشعر فقال: ألا هل أتى الحسناء عليه بهذا الاعتراف أم لا لأنهم يقولون ما لا يفعلون؟ على قولين وقد ذكر محمد بن إسحاق ومحمد بن سعد في الطبقات والزبير بن بكار في كتاب الفكاة بأقوال وأفعال لم تصدر منهم ولا عنهم فيتكثرون بما ليس لهم ولهذا اختلف العلماء رحمهم الله فيما إذا اعترف الشاعر في شعره بما يوجب حدا هل يقام وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أكثر قولهم يكذبون فيه وهذا الذي قاله ابن عباس رضي الله عنه هو الواقع في نفس الأمر فإن الشعراء يتبجحون فكان مع كل واحد منهما غواة من قومه وهم السفهاء فقال الله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون تعالى وأنهم يقولون ما لا يفعلون قال العوفي عن ابن عباس كان رجلا على عهد رسول الله أحدهما من الأنصار والآخر من قوم آخرين وأنهما تهاجيا وقوله

ظني به ورجائي فيه وإن يجر ويبدل فلا أعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون. آخر تفسير سورة الشعراء والحمد لله رب العالمين. 227 به أبو بكر بن أبي قحافة عند خروجه من الدنيا حين يؤمن الكافر وينتهي الفاجر ويصدق الكاذب إنني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فإن يعدل فذاك بن عبد الرحمن بن المحبر حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: كتب أبي في وصيته سطرين: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى أن هذه الآية عامة في كل ظالم كما قال ابن أبي حاتم: ذكر عن يحيى بن زكريا بن يحيى الواسطي حدثني الهيثم بن محفوظ أبو سعد النهدي حدثنا محمد الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون قال فضالة ابن عبيد هؤلاء الذين يخربون البيت. وقيل المراد بهم أهل مكة وقيل الذين ظلموا من المشركين. والصحيح أو يصطلون إذا بركبنا قد أقبلوا فقاموا إليهم فإذا فضالة بن عبيد فيهم فأنزلوه فجلس معهم قال وصاحب لنا قائم يصلي حتى مر بهذه الآية وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وقال ابن وهب أخبرنا شريح الإسكندراني عن بعض المشيخة أنهم كانوا بأرض الروم فبينما هم ليلة على نار يشتوون عليها

## تفسير ابن كثير

الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون قال عبدالله بن أبي رباح عن صفوان بن محرز أنه كان إذا قرأ هذه الآية بكى حتى أقول قد اندق قضيب زوره وسيعلم منقلب ينقلبون يعني من الشعراء وغيرهم وقال أبو داود الطيالسي حدثنا إياس بن أبي تميم قال حضرت الحسن ومرو عليه بجنابة نصراني فقال: وسيعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة قال قتادة بن دعامة في قوله تعالى: وسيعلم الذين ظلموا أي لكان ما ترمونهم به نضح النبل وقوله تعالى: وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون كقوله تعالى: يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم الآية وفي الصحيح صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل قد أنزل في الشعراء ما أنزل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده أو قال هاجهم وجبريل معك وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه أنه قال للنبي الذين كانوا يهجون به المؤمنين وكذا قال مجاهد وقتادة وغير واحد وهذا كما ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحسان اهجمهم ذكروا الله كثيرا في كلامهم وقيل في شعرهم وكلاهما صحيح مكفر لما سبق وقوله تعالى: وانتصروا من بعد ما ظلموا قال ابن عباس يردون على الكفار حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين قال نعم وذكر الثالثة ولهذا قال تعالى: إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا قيل معناه ابن عباس أن أبا سفيان صخر بن حرب لما أسلم قال يا رسول الله ثلاث أعطينهن قال نعم قال: معاوية تجعله كاتباً بين يديك قال نعم قال وتؤممني الله صلى الله عليه وسلم وكان يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما كان يهجوهم ويتولاه بعد ما كان قد عاداه وهكذا روى مسلم في صحيحه عن بن الحارث بن عبد المطلب كان من أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن عمه وأكثرهم له هجوا فلما أسلم لم يكن أحد أحب إليه من رسول بن الزبير حين أسلم: يا رسول الملوك إن لساني راق ما فتقت إذ أنا بور إذ أباري الشيطان في سنن الغي ومن مال ميله مثير وكذلك أبو سفيان وعمل صالحا وذكر الله كثيرا في مقابلة ما تقدم من الكلام السيئ فإن الحسنات يذهبن السيئات وامتدح الإسلام وأهله مقابلة ما كان يذمه كما قال عبدالله أعلم ولكن هذا الاستثناء يدخل فيه شعراء الأنصار وغيرهم حتى يدخل فيه من كان متلبسا من شعراء الجاهلية بدم الإسلام وأهله ثم تاب وأناب ورجع وأقلع ولا شك أنه استثناء ولكن هذه السورة مكية فكيف يكون سبب نزول هذه الآيات شعراء الأنصار؟ وفي ذلك نظر ولم يتقدم إلا مراسلات لا يعتمد عليها والله فأنزل الله تعالى إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية وهكذا قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة وزيد بن أسلم وغير واحد أن هذا استثناء مما تقدم. عروة عن عروة قال: لما نزلت والشعراء يتبعهم الغاؤون إلى قوله وأنهم يقولون ما لا يفعلون قال عبدالله بن رواحة يا رسول الله قد علم الله أنني منهم يتبعهم الغاؤون حتى بلغ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات قال أنتم وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا أبو مسلم حدثنا حماد بن سلمة عن هشام بن الله صلى الله عليه وسلم حين أنزلت هذه الآية والشعراء يتبعهم الغاؤون يبيكان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرؤها عليهما والشعراء أبي سعيد الأشج عن أبي أسامة عن الوليد بن أبي كثير عن زيد بن عبدالله عن أبي الحسن مولى بني نوفل أن حسان بن ثابت وعبدالله بن رواحة أتيا رسول الله كثيرا قال أنتم وانتصروا من بعد ما ظلموا قال أنتم رواه ابن أبي حاتم وابن جرير من رواية ابن إسحاق وقد روى ابن أبي حاتم أيضا عن إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات قال أنتم وذكروا

حتى يسأل عن الماهية بل كان جاحدا له بالكلية فيما يظهر وإن كانت الحجج والبراهين قد قامت عليه فعند ذلك قال موسى لما سأله عن رب العالمين. 23 ربكما يا موسى قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ومن زعم من أهل المنطق وغيرهم أن هذا سؤال عن الماهية فقد غلط فإنه لم يكن مقرا بالصانع العالمين قال له فرعون ومن هذا الذي تزعم أنه رب العالمين غيري؟ هكذا فسر علماء السلف وأئمة الخلف حتى قال السدي هذه الآية كقوله تعالى قال فمن لكم من إله غيري فاستخف قومه فأطاعوه وكانوا يجددون الصانع جل وعلا ويعتقدون أنه لا رب لهم سوى فرعون فلما قال له موسى إني رسول رب يقول تعالى مخبرا عن كفر فرعون وتمرده وطغيانه وجوده في قوله وما رب العالمين وذلك أنه كان يقول لقومه ما علمت قلوب موقنة وأبصار نافذة فعند ذلك التفت فرعون إلى من حوله من ملئه ورؤساء دولته قائلا لهم على سبيل التهكم والاستهزاء والتكذيب لموسى. 24 وأشجار وحيوانات ونبات وثمار وما بين ذلك من الهواء والطير وما يحتوي عليه الجو الجميع عبيد له خاضعون ذليلون إن كنتم موقنين أي إن كانت لكم وإله لا شريك له هو الله الذي خلق الأشياء كلها العالم العلوي وما فيه من الكواكب الثوابت والسيارات النيرات والعالم السفلي وما فيه من بحار وقفار وجبال قال رب السموات والأرض وما بينهما أي خالق جميع ذلك ومالكة والمتصرف فيه

فيما قاله ألا تستمعون أي ألا تعجبون من هذا في زعمه أن لكم إله غيري؟. 25

فقال لهم موسى ربكم ورب آبائكم الأولين أي خالقكم وخالق آبائكم الأولين الذي كانوا قبل فرعون وزمانه. 26

رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون أي ليس له عقل في دعواه أن ثم ربا غيري قال أي موسى لأولئك الذين أوعز إليهم فرعون ما أوعز من الشبهة. 27 قال أي فرعون لقومه إن

فرعون وانقطعت حجته عدل إلى استعمال جاهه وقوته وسلطانه واعتقد أن ذلك نافع له ونافذ في موسى عليه السلام فقال ما أخبر الله تعالى عنه. 28 الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فائت بها من المغرب الآية ولهذا لما غلب كان هذا الذي يزعم أنه ربكم وإلهكم صادقا فليعكس الأمر وليجعل المشرق مغربا والمغرب مشرقا كما قال تعالى عن الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله تعقلون أي هو الذي جعل المشرق مشرقا وتطلع منه الكواكب والمغرب مغربا تغرب فيه الكواكب ثوابتها وسياراتها مع هذا النظام الذي سخرها فيه وقدرها فإن

## تفسير ابن كثير

فأجاب موسى بقوله رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم

بالبين والعقل عدل إلى أن يقهر موسى بيده وسلطانه فظن أنه ليس وراء هذا المقام مقال فقال لن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين. 29  
لما قامت الحجة على فرعون

وقتادة وعطية والضحاك والحسن وغيرهم لعلك باخع نفسك أي قاتل نفسك قال الشاعر: ألا أبهذا الباخع الحزن نفسه لشيء نحته عن يديه المقادر 3  
عدم إيمان من لم يؤمن به من الكفار كما قال تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات كقوله فلعلك باخع نفسك على آثارهم الآية قال مجاهد وعكرمة  
وقوله تعالى لعلك باخع أي مهلك نفسك أي مما تحرص وتحزن عليهم أن لا يكونوا مؤمنين وهذه تسلية من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم في  
فعند ذلك قال موسى أولو جنتك بشيء مبين أي ببرهان قاطع واضح. 30

إن كنت من الصادقين فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين أي ظاهر واضح في غاية الجلاء والوضوح والعظمة ذات قوائم وفم كبير وشكل هائل مزعج. 31  
قال فانت به

إن كنت من الصادقين فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين أي ظاهر واضح في غاية الجلاء والوضوح والعظمة ذات قوائم وفم كبير وشكل هائل مزعج. 32  
قال فانت به

ونزع يده أي من جيبه فإذا هي بيضاء للناظرين أي تتلألأ كقطعة من القمر فبادر فرعون بشقاوته إلى التكذيب والعناد. 33

عليم أي فاضل بارع في السحر فروج عليهم فرعون أن هذا من قبيل السحر لا من قبيل المعجزة ثم هيجهم وحرضهم على مخالفته والكفر به. 34  
فقال للملأ حوله إن هذا لساحر

أراد أن يذهب بقلوب الناس معه بسبب هذا فيكثر أعوانه وأنصاره وأتباعه ويغلبكم على دولتكم فيأخذ البلاد منكم فأشيروا علي فيه ماذا أصنع به؟. 35  
فقال يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره الآية أي

قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم أي أخره وأخاه حتى تجمع له من مدائن مملكتك وأقاليم دولتك. 36

إلى ذلك وكان هذا من تسخير الله تعالى لهم في ذلك ليجمع الناس في صعيد واحد وتظهر آيات الله وحججه وبراهينه على الناس في النهار جهرة. 37  
كل سحار عليم يقابلونه ويأتون بنظير ما جاء به فتغلبه أنت وتكون لك النصره والتأييد فأجابهم

ما تواجهها وتقابلا إلا غلبه الإيمان بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون وقل جاء الحق وزهق الباطل الآية. 38  
وفي سورة طه وفي هذه السورة: وذلك أن القبط أرادوا أن يطفئوا نور الله بأفواههم فأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون وهذا شأن الكفر والإيمان  
ذكر الله تعالى هذه المناظر الفعلية بين موسى عليه السلام والقبط في سورة الأعراف

قال ابن إسحاق: وكان أمرهم راجعا إلى أربعة منهم وهم رؤساؤهم وهم: سابور وعادور وحطحت ومصفى واجتهد الناس في الاجتماع ذلك اليوم. 39  
اثني عشر ألفا وقيل خمسة عشر ألفا وقيل تسعة عشر ألفا وقيل بضعة وثلاثين ألفا وقيل ثمانين ألفا وقيل غير ذلك والله أعلم بعدتهم  
جاء السحرة وقد جمعهم من أقاليم بلاد مصر وكانوا إذ ذاك أسحر الناس وأصنعهم وأشدهم تخيلا في ذلك وكان السحرة جمعا كثيرا وجما غفيرا قيل كانوا  
ولهذا لما

ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة الآية فنفذ قدره ومضت حكمته وقامت حجته البالغة على خلقه بإرسال الرسل إليهم وإنزال الكتب عليهم. 4  
ذلك لأننا لا نريد من أحد إلا الإيمان الاختياري وقال تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وقال تعالى  
ثم قال تعالى إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين أي لو نشأ لأنزلنا آية تضطرهم إلى الإيمان قهرا ولكن لا نفعل

وقال قائلهم لعننا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين ولم يقولوا نتبع الحق سواء كان من السحرة أو من موسى بل الرعية على دين ملكهم. 40

ووزراء ورؤساء دولته وجنود مملكته فقام السحرة بين يدي فرعون يطلبون منه الإحسان إليهم والتقرب إليه إن غلبوا أي هذا الذي جمعنا من أجله. 41  
فلما جاء السحرة أي إلى مجلس فرعون وقد ضربوا له وطاقا وجمع خدمه وحشمه

فقالوا أن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين أي وأخص مما تطلبون أجعلكم من المقربين عندي وجلسائي. 42

فعادوا إلى مقام المناظرة قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى قال بل ألقوا وقد اختصر هذا ههنا فقال لهم موسى. 43

وجاءوا بسحر عظيم وقال في سورة طه فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى إلى قوله ولا يفلح الساحر حيث أتى. 44  
لنح الغالبون وهذا كما تقول الجهلة من العوام إذا فعلوا شيئا هذا بثواب فلان وقد ذكر الله تعالى في سورة الأعراف أنهم سحروا أعين الناس واسترهبوهم  
ألقوا ما أنتم ملقون فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا

وقال ههنا فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون أي تخطفه وتجمعه من كل بقعة وتبتلعه فلم تدع منه شيئا. 45

## تفسیر ابن کثیر

المكابرة والعناد ودعوى الباطل فشرع يتهدهم ويتوعدهم ويقول إنه لكبيركم الذي علمكم السحر وقال إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة الآية. 46 أرسل موسى وهارون بالحق وبالمعجزة الباهرة فغلب فرعون غلبا لم يشاهد العالم مثله وكان وقحا جريئا عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين فعدل إلى قاطعا للعدر وحجة دامغة وذلك أن الذين استنصر بهم وطلب منهم أن يغلبوا غلبوا وخضعوا وآمنوا بموسى في الساعة الراهنة وسجدوا لله رب العالمين الذي قال الله تعالى فوق الحق وبطل ما كانوا يعملون إلى قوله رب موسى وهارون فكان هذا أمرا عظيما جدا وبرهانا

المكابرة والعدا ودعوى الباطل فشرع يتهدهم ويتوعدهم ويقول إنه لكبيركم الذي علمكم السحر وقال إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة الآية. 47 أرسل موسى وهارون بالحق وبالمعجزة الباهرة فغلب فرعون غلبا لم يشاهد العالم مثله وكان وقحا جريئا عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين فعدل إلى قاطعا للعدر وحجة دامغة وذلك أن الذين استنصر بهم وطلب منهم أن يغلبوا غلبوا وخضعوا وآمنوا بموسى في الساعة الراهنة وسجدوا لله رب العالمين الذي قال الله تعالى فوق الحق وبطل ما كانوا يعملون إلى قوله رب موسى وهارون فكان هذا أمرا عظيما جدا وبرهانا

المكابرة والعناد ودعوى الباطل فشرع يتهدهم ويتوعدهم ويقول إنه لكبيركم الذي علمكم السحر وقال إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة الآية. 48 أرسل موسى وهارون بالحق وبالمعجزة الباهرة فغلب فرعون غلبا لم يشاهد العالم مثله وكان وقحا جريئا عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين فعدل إلى قاطعا للعدر وحجة دامغة وذلك أن الذين استنصر بهم وطلب منهم أن يغلبوا غلبوا وخضعوا وآمنوا بموسى في الساعة الراهنة وسجدوا لله رب العالمين الذي قال الله تعالى فوق الحق وبطل ما كانوا يعملون إلى قوله رب موسى وهارون فكان هذا أمرا عظيما جدا وبرهانا

بموسى قبل ذلك اليوم فكيف يكون كبيرهم الذي أفادهم صناعة السحر؟ هذا لا يقوله عاقل ثم توعدهم فرعون بقطع الأيدي والأرجل والصلب. 49 ذلك فإن أذنت لكم فعلتم وإن منعتكم امتنعتم فإني أنا الحاكم المطاع إنه لكبيركم الذي علمكم السحر وهذه مكابرة يعلم كل أحد بطلانها فإنهم لم يجتمعوا له حجة ودلالة على صدق ما جاء به من ربه ولهذا لما قال لهم فرعون آمنتم له قبل أن آذن لكم أي كان ينبغي أن تستأذنوني فيما فعلتم ولا تفتاتوا علي في قد كشف عن قلوبهم حجاب الكفر وظهر لهم الحق بعلمهم ما جهل قومهم من أن هذا الذي جاء به موسى لا يصدر عن بشر إلا أن يكون الله قد أيده به وجعله تهددهم فلم ينفع ذلك فيهم وتوعدهم فما زادهم إلا إيماناً وتسليماً وذلك أنه

وقال تعالى يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزون وقال تعالى ثم أرسلنا رسلنا تترى كلما جاء أمة رسولها كذبوه الآية. 5  
من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين أي كلما جاءهم كتاب من السماء أعرض عنه أكثر الناس كما قال تعالى وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين  
ثم قال تعالى وما يأتيهم من ذكر

به إنا إلى ربنا منقلبون أي المرجع إلى الله عز وجل وهو لا يضيع أجر من أحسن عملا ولا يخفى عليه ما فعلت بنا وسيجزيانا على ذلك أتم الجزاء. 50 فقالوا لا ضرر أي لا حرج ولا يضرنا ذلك ولا نبالي

خطايانا أي ما قارفناه من الذنوب وما أكرهتنا عليه من السحر أن كنا أول المؤمنين أي بسبب أننا بادرنا قومنا من القبط إلى الإيمان فقتلهم كلهم. 51 ولهذا قالوا إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا

قالت احفروا فلما حفروا استخرجوا قبر يوسف فلما احتملوه إذا الطريق مثل ضوء النهار وهذا حديث غريب جدا والأقرب أنه موقوف والله أعلم.: 52  
أن أكون معك في الجنة فكأنه ثقل عليه ذلك فقيل له أعطها حكمها قال فانطلقت معهم إلى بحيرة مستنقع ماء فقالت لهم انضبوا هذا الماء فلما أنضبوه ما يعلمه إلا عجوز من بني إسرائيل فأرسل إليها فقال لها ديني على قبر يوسف فقالت والله لا أفعل حتى تعطيني حكمي فقال لها وما حكمك؟ قالت حكمي يوسف عليه السلام لما حضرته الوفاة أخذ علينا موثقا من الله أن لا نخرج من مصر حتى ننقل تابوته معنا فقال لهم موسى فأياكم يدي أين قبر يوسف؟ قالوا رسول الله؟ قال إن موسى عليه السلام لما أراد أن يسير ببني إسرائيل أضل الطريق فقال لبني إسرائيل ما هذا؟ فقال له علماء بني إسرائيل نحن نحدثك أن وسلم ما حاجتك؟ قال ناقة برحها وعنز يحتلبها أهلي فقال أعجزت أن تكون مثل عجوز بني إسرائيل يا أبيه عن أبي موسى قال: نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعرابي فأكرمه فقال له رسول الله تعاهدنا فأثاء الأعرابي فقال له رسول الله صلى الله عليه ابن أبي حاتم رحمه الله فقال: حدثنا علي بن الحسين حدثنا عبد الله بن عمر بن أبان بن صالح حدثنا ابن فضيل عن يونس بن أبي إسحاق عن ابن أبي بردة عن ويقال إنه هو الذي حمله بنفسه عليهما السلام وكان يوسف عليه السلام قد أوصى بذلك إذا خرج بنو إسرائيل أن يحتملوه معهم وقد ورد في ذلك حديث رواه أنه كسف القمر تلك الليلة فالله أعلم وأن موسى عليه السلام سأل عن قبر يوسف عليه السلام فدلته امرأة عجوز من بني إسرائيل عليه فاحتمل تابوته معهم عز وجل خرج بهم بعدما استعاروا من قوم فرعون حليا كثيرا وكان خروجه بهم فيما ذكره غير واحد من المفسرين وقت طلوع القمر وذكر مجاهد رحمه الله إلا العذاب والنكال فأمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يخرج ببني إسرائيل ليلا من مصر وأن يمضي بهم حيث يؤمر ففعل موسى عليه السلام ما أمره ربه لما طال مقام موسى عليه السلام ببلاد مصر وأقام بها حجج الله وبراهينه على فرعون وملئه وهم مع ذلك يكابرون ويعاندون لم يبق لهم

غضبه على بني إسرائيل لما يريد الله به من الدمار فأرسل سريعا في بلاده حاشرين أي من يحشر الجند ويجمعه كالنقباء والحجاب ونادى فيهم. 53 فلما أصبحوا وليس في ناديهم داع ولا محيب غاظ ذلك فرعون واشتد

إن هؤلاء يعنى بنى إسرائيل لشردمة قليلون أى لطائفة قليلة. 54

## تفسير ابن كثير

وإنهم لنا لغائظون أي كل وقت يصل منهم إلينا ما يغيظنا. 55

طائفة من السلف وإننا لجميع حاذرون أي مستعدون بالسلاح وإني أريد أن أستأصل شأفتهم وأبديد خضراءهم فجوزي في نفسه وجنده بما أراد لهم. 56  
وإننا لجميع حاذرون أي نحن كل وقت نحذر من غائلتهم: وقرأ

ومقام كريم أي فخرجوا من هذا النعيم إلى الجحيم وتركوا تلك المنازل العالية والبساتين والأنهار والأموال والأرزاق والملك والجاه الوافر في الدنيا. 57  
قال الله تعالى فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز

ومقام كريم أي فخرجوا من هذا النعيم إلى الجحيم وتركوا تلك المنازل العالية والبساتين والأنهار والأموال والأرزاق والملك والجاه الوافر في الدنيا. 58  
قال الله تعالى فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز

الأرض ومغاربها التي باركنا فيها الآية وقال تعالى ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين الآية. 59  
كذلك وأورثناها بني إسرائيل كما قال تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق

ولهذا قال تعالى ههنا فقد كذبوا فسبأتهم أبناء ما كانوا به يستهزئون أي فقد كذبوا بما جاءهم من الحق فسيعلمون نبأ هذا التكذيب بعد حين. 6

به القرآن هو النافع ولم يعين عدتهم إذ لا فائدة تحته لأنهم خرجوا بأجمعهم فأتبعوهم مشرقين أي وصلوا إليهم عند شروق الشمس وهو طلوعها. 60  
فيه نظر: وقال كعب الأحبار فيهم ثمانمائة ألف حصان أدهم وفي ذلك نظر والظاهر أن ذلك من مجازفات بني إسرائيل والله سبحانه وتعالى أعلم والذي أخبر  
والوزراء والكبراء والرؤساء والجنود فأما ما ذكره غير واحد من الإسرائيليات أنه خرج في ألف ألف وستمائة ألف فارس منها مائة ألف على خيل دهم  
ذكر غير واحد من المفسرين أن فرعون خرج في محفل عظيم وجمع كبير هو عبارة عن مملكة الديار المصرية في زمانه أولي الحل والعقد والدول من الأمراء  
ذلك قال أصحاب موسى إنا لمدركون وذلك أنهم انتهى بهم السير إلى سيف البحر وهو بحر القلزم فصار أمامهم البحر وقد أدركهم فرعون بجنوده. 61  
فلما تراءى الجمعان أي رأى كل من الفريقين صاحبه فعند

عبدالله بن سلام أن موسى عليه السلام لما انتهى إلى البحر قال: يا من كان قبل كل شيء والمكون لكل شيء والكاين بعد كل شيء اجعل لنا مخرجاً. 62  
بعصاه البحر فضربه وقال انفلق بإذن الله وروى ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان بن صالح حدثنا الوليد حدثنا محمد بن حمزة بن يوسف عن  
عليه السلام يا نبي الله ههنا أمرك ربك أن تسير؟ فيقول نعم فاقترع فرعون وجنوده ولم يبق إلا القليل فعند ذلك أمر الله نبيه موسى عليه السلام أن يضرب  
وموسى عليه السلام في الساقة وقد ذكر غير واحد من المفسرين أنهم وقفوا لا يدرون ما يصنعون وجعل يوشع بن نون أو مؤمن آل فرعون يقول لموسى  
سبحانه هو الذي أمرني أن أسير ههنا بكم وهو سبحانه وتعالى لا يخلف الميعاد وكان هارون عليه السلام في المقدمة ومعه يوشع بن نون ومؤمن آل فرعون  
لهذا قالوا إنا لمدركون قال كلا إن معي ربي سيهدين أي لا يصل إليكم شيء مما تحذرون فإن الله

وبعث الله الريح إلى قعر البحر فلحقته فصار يبسا كوجه الأرض قال الله تعالى فاضرب لهم طريقاً في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى. 63  
الجبليين وقال ابن عباس صار البحر اثني عشر طريقاً لكل سبط طريق وزاد السدي وصار فيه طاقات ينظر بعضهم إلى بعض وقام الماء على حيلة كالحيطان  
فكان كل فرق كالطود العظيم أي كالجبل الكبير قاله ابن مسعود وابن عباس ومحمد ابن كعب والضحاك وقتادة وغيرهم وقال عطاء الخراساني هو الفج بين  
اضرب بعصاك البحر فضربه بها فيها سلطان الله الذي أعطاه فانفلق وذكر واحد أنه جاءه فكناه فقال: انفق علي أبا خالد بإذن الله قال الله تعالى فانفلق  
أن إذا ضربك موسى بعصاه فانفلق له قال فبات البحر يضطرب ويضرب بعضه بعضاً فرقا من الله تعالى وانتظاراً لما أمره الله وأوحى الله إلى موسى أن  
يوشع بن نون يا نبي الله أين أمرك ربك عز وجل؟ قال أمرني أن أضرب البحر قال فاضربه وقال محمد ابن إسحاق أوحى الله فيما ذكر لي إلى البحر  
البحر أن إذا ضربك موسى بعصاه فاسمع له وأطع فبات البحر تلك الليلة وله اضطراب ولا يدري من أي جانب يضربه موسى فلما انتهى إليه موسى قال له فتاه  
فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر وقال قتادة أوحى الله تلك الليلة إلى

وأزلنا ثم الآخرين أي هنالك قال ابن عباس وعطاء الخراساني وقتادة والسدي وأزلنا أي قربنا من البحر فرعون وجنوده وأدنيهم إليه. 64

وقال في هذه القصة

وأنجيناً موسى ومن معه أجمعين أي أنجيناً موسى وبني إسرائيل ومن اتبعهم على دينهم فلم يهلك منهم أحد. 65

عن عبدالله قال: فلما خرج آخر أصحاب موسى وتكامل أصحاب فرعون انظم عليهم البحر فما رئي سواد أكثر من يومئذ وغرق فرعون لعنه الله: 66  
سبط طريق يتراءون فلما خرج أصحاب موسى وتنام أصحاب فرعون التقى البحر عليهم فأغرقهم وفي رواية إسرائيل عن أبي إسحاق عن عمرو ابن ميمون  
إلا بهذا الوجه قال والله ما كذب ولا كذبت قال فأوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فضربه موسى بعصاه فانفلق فكان فيه اثنا عشر سبطاً لكل  
فقال أين أمرت يا نبي الله قال ما أمرت إلا بهذا الوجه قال والله ما كذب ولا كذبت ثم اقتحم الثانية سبح ثم خرج فقال أين أمرت يا نبي الله؟ قال ما أمرت  
لك؟ قال ومع موسى رجل على حصان له فقال له ذلك الرجل أين أمرت يا نبي الله؟ قال: ما أمرت إلا بهذا الوجه يعني البحر فأقحم فرسه فسبح به فخرج  
إلى ستمائة ألف من القبط فانطلق موسى حتى انتهى إلى البحر فقال له انفرق: فقال له البحر قد استكبرت يا موسى وهل انفرقت لأحد من ولد آدم فانفرق



## تفسير ابن كثير

عن عبدالله هو ابن مسعود أن موسى عليه السلام حين أسرى ببني إسرائيل بلغ فرعون ذلك فأمر بشاة فذبحت وقال لا والله لا يفرغ من سلخها حتى يجتمع هلك وروى ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة حدثنا شبابة حدثنا يونس بن أبي إسحاق عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون ثم أغرقنا الآخرين وأغرق فرعون وجنوده فلم يبق منهم رجل إلا

العجائب والنصر والتأييد لعباد الله المؤمنين لدلالة وحجة قاطعة وحكمة بالغة وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم تقدم تفسيره. 67  
ثم قال تعالى إن في ذلك لآية أي في هذه القصة وما فيها من

العجائب والنصر والتأييد لعباد الله المؤمنين لدلالة وحجة قاطعة وحكمة بالغة وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم تقدم تفسيره. 68  
ثم قال تعالى إن في ذلك لآية أي في هذه القصة وما فيها من

تعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يتلوه على أمته ليقنوا به في الإخلاص والتوكل وعبادة الله وحده لا شريك له والتبري من الشرك وأهله. 69  
هذا إخبار من الله تعالى عن عبده ورسوله وخليفه إبراهيم عليه السلام إمام الحنفاء أمر الله

زوج كريم من زروع وثمار وحيوان قال سفيان الثوري عن رجل عن الشعبي: الناس من نبات الأرض فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو لئيم. 7  
تعالى على عظمت سلطانه وجلالة قدره وشأنه الذي اجترأوا على مخالفة رسوله وتكذيب كتابه وهو القاهر العظيم القادر الذي خلق الأرض وأنبت فيها من كل وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ثم نبه

فإنه من وقت نشأ وشب أنكر على قومه عبادة الأصنام مع الله عز وجل فقال لأبيه وقومه ماذا تعبدون أي ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ؟. 70  
فإن الله تعالى أتى إبراهيم رشده من قبل أي من صغره إلى كبره

فإنه من وقت نشأ وشب أنكر على قومه عبادة الأصنام مع الله عز وجل فقال لأبيه وقومه ماذا تعبدون أي ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ؟. 71  
فإن الله تعالى أتى إبراهيم رشده من قبل أي من صغره إلى كبره

كذلك يفعلون يعني اعترفوا بأن أصنامهم لا تفعل شيئا من ذلك وإنما رأوا آباءهم كذلك يفعلون فهم على آثارهم يهرعون فعند ذلك قال لهم إبراهيم. 72  
قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا

كذلك يفعلون يعني اعترفوا بأن أصنامهم لا تفعل شيئا من ذلك وإنما رأوا آباءهم كذلك يفعلون فهم على آثارهم يهرعون فعند ذلك قال لهم إبراهيم. 73  
قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا

كذلك يفعلون يعني اعترفوا بأن أصنامهم لا تفعل شيئا من ذلك وإنما رأوا آباءهم كذلك يفعلون فهم على آثارهم يهرعون فعند ذلك قال لهم إبراهيم. 74  
قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا

تؤمنوا بالله وحده وقال تعالى: وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرنى فإنه سيهدين وجعلها كلمة يعني لا إله إلا الله. 75  
من ألتههم فقال وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله الآية وقال تعالى: قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم إلى قوله حتى من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون إنني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم وهكذا تبرا إبراهيم وهذا كما قال تعالى مخبرا عن نوح عليه السلام فأجمعوا أمركم وشركاءكم الآية وقال هود عليه السلام إنني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العالمين أي إن كانت هذه الأصنام شيئا ولها تأثير وتقدر فلتخلص إلي بالمساءة فإنني عدو لها لا أبالي بها ولا أفكر فيها أفرأيتكم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم

تؤمنوا بالله وحده وقال تعالى: وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرنى فإنه سيهدين وجعلها كلمة يعني لا إله إلا الله. 76  
من ألتههم فقال وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله الآية وقال تعالى: قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم إلى قوله حتى من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون إنني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم وهكذا تبرا إبراهيم وهذا كما قال تعالى مخبرا عن نوح عليه السلام فأجمعوا أمركم وشركاءكم الآية وقال هود عليه السلام إنني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العالمين أي إن كانت هذه الأصنام شيئا ولها تأثير وتقدر فلتخلص إلي بالمساءة فإنني عدو لها لا أبالي بها ولا أفكر فيها أفرأيتكم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم

تؤمنوا بالله وحده وقال تعالى: وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرنى فإنه سيهدين وجعلها كلمة يعني لا إله إلا الله. 77  
من ألتههم فقال وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله الآية وقال تعالى: قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم إلى قوله حتى من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون إنني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم وهكذا تبرا إبراهيم وهذا كما قال تعالى مخبرا عن نوح عليه السلام فأجمعوا أمركم وشركاءكم الآية وقال هود عليه السلام إنني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العالمين أي إن كانت هذه الأصنام شيئا ولها تأثير وتقدر فلتخلص إلي بالمساءة فإنني عدو لها لا أبالي بها ولا أفكر فيها

## تفسير ابن كثير

أفرايتم ما كنتم تعبدون أنتم وأباؤكم

الذي خلقتني فهو يهدين أي هو الخالق الذي قدر قدرا وهدى الخلائق إليه فكل يجري على ما قدر له وهو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء. 78 يعني لا أعبد إلا الذي يفعل هذه الأشياء

والأرضية فساق المزن وأنزل الماء وأحيا به الأرض وأخرج به من كل الثمرات رزقا للعباد وأنزل الماء عذبا زلالا يسقيه مما خلق أنعاما وأناسي كثيرا. 79 والذي هو يطعمني ويسقين أي هو خالقي ورازقي بما سخر ويسر من الأسباب السماوية

دلالة على قدرة الخالق للأشياء الذي بسط الأرض ورفع بناء السماء ومع هذا ما آمن أكثر الناس بل كذبوا به وبرسله وكتبه وخالفوا أمره وارتكبوا نهيه. 8 إن في ذلك لآية أي

رشدا وكذا قال إبراهيم وإذا مرضت فهو يشفين أي إذا وقعت في مرض فإنه لا يقدر على شفائي أحد غيره بما يقدر من الأسباب الموصلة إليه. 80 الإنعام والهداية إلى الله تعالى والغضب حذف فاعله أدبا وأسند الضلال إلى العبيد كما قالت الجن وأنا لا ندري أشعر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم نفسه وإن كان عن قدر الله وقضائه وخلقه ولكن أضافه إلى نفسه أدبا كما قال تعالى آمرا للمصلي أن يقول اهدنا الصراط المستقيم إلى آخر السورة فأسند وقوله: وإذا مرضت فهو يشفين أسند المرض إلى

والذي يميّتي ثم يحيين أي هو الذي يحيي ويميت لا يقدر على ذلك أحد سواه فإنه هو الذي يبدئ ويعيد. 81

والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين أي لا يقدر على غفران الذنوب في الدنيا والآخرة إلا هو ومن يغفر الذنوب إلا الله وهو الفعال لما يشاء. 82

اللهم في الرفيق الأعلى قالها ثلاثا وفي الحديث في الدعاء اللهم أحينا مسلمين وأمتنا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مبديلين. 83 القرآن وقال السدي هو النبوة وقوله: وألحقني بالصالحين أي اجعلني مع الصالحين في الدنيا والآخرة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عند الاحتضار وهذا سؤال من إبراهيم عليه السلام أن يؤتبه ربه حكما قال ابن عباس وهو العلم وقال عكرمة هو اللب وقال مجاهد هو

كقوله تعالى: وآتيناه في الدنيا حسنة الآية كقوله: وآتيناه أجره في الدنيا الآية قال ليث ابن أبي سليم كل ملة تحبه وتتولاه وكذا قال عكرمة. 84 عليه في الآخرين سلام على إبراهيم كذلك نجزي المحسنين قال مجاهد وقتادة واجعل لي لسان صدق في الآخرين يعني الثناء الحسن قال مجاهد وقوله: واجعل لي لسان صدق في الآخرين أي واجعل لي ذكرا جميلا بعدي أذكر به ويقتدى بي في الخير كما قال تعالى: وتركنا

وقوله تعالى: واجعلني من ورثة جنة النعيم أي أنعم علي في الدنيا ببقاء الذكر الجميل بعدي وفي الآخرة بأن تجعلني من ورثة جنة النعيم. 85

قطع تعالى الإلحاق في استغفاره لأبيه فقال تعالى: قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إلى قوله وما أملك لك من الله من شيء. 86 وهذا مما رجع عنه إبراهيم عليه السلام كما قال تعالى: وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه إلى قوله إن إبراهيم لأواه حليم وقد وقوله: واغفر لأبي الآية كقوله: ربنا اغفر لي ولوالدي

عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه غرابة ورواه أيضا من حديث قتادة عن جعفر بن عبد الغافر عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه. 87 حول أذر إلى صورة ذيخ متلخ بعذرتة فيلقى في النار كذلك وقد رواه البزار بإسناده من حديث حماد بن سلمة عن أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة أخذته مني قال انظر أسفل منك فنظر فإذا ذيخ يتمرغ في ننته فأخذ بقوائمه فألقى في النار وهذا إسناد غريب وفيه نكارة والذخ هو الذكر من الضباع كأنه وعدتي أن لا تخزني يوم يبعثون فإن أخزيت أباه فقد أخزيت الأبعد قال يا إبراهيم إني حرمتها على الكافرين فأخذ منه قال يا إبراهيم أين أبوك؟ قال أنت صلى الله عليه وسلم إن إبراهيم رأى أباه يوم القيامة عليه الغبرة والقترة وقال له قد نهيتك عن هذا فعصيتني قال لكني اليوم لا أعصيك واحدة قال يارب بن عبد الله حدثني أبي حدثني إبراهيم بن طهمان عن محمد بن عبد الرحمن عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله متلخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار ورواه عبد الرحمن النسائي في التفسير من سننه الكبير وقوله: ولا تخزني يوم يبعثون أخبرنا أحمد بن حفص يوم يبعثون فأني خزي أخزى من أبي الأبعد؟ فيقول الله تعالى إني حرمت الجنة على الكافرين ثم يقول يا إبراهيم انظر تحت رجلك فينظر فإذا هو بذخ يوم القيامة وعلى وجه أزر قتره وغبرة فيقول له إبراهيم ألم أقل لك لا تعصيني فيقول أبوه فالיום لا أعصيك فيقول إبراهيم يارب إنك وعدتي أن لا تخزني فيقول الله تعالى إني حرمت الجنة على الكافرين هكذا رواه عند هذه الآية وفي أحاديث الأنبياء بهذا الإسناد بعينه منفردا به ولفظه يلقي إبراهيم أباه أزر عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يلقي إبراهيم أباه فيقول يارب إنك وعدتي أن لا تخزني يوم يبعثون هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يلقي إبراهيم يوم القيامة أباه عليه الغبرة والقترة وفي رواية أخرى حدثنا إسماعيل حدثنا أخي ويوم يبعث الخلائق أولهم وآخرهم وقال البخاري عند هذه الآية قال إبراهيم بن طهمان عن ابن أبي ذئب عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه عن أبي وقوله: ولا تخزني يوم يبعثون أي أجرتني من الخزي يوم القيامة

افتدى بملء الأرض ذهباً ولا بنون أي ولو افتدى بمن على الأرض جميعا ولا ينفع يومئذ إلا الإيمان بالله وإخلاص الدين له والتبري من الشرك وأهله. 88 وقوله: يوم لا ينفع مال ولا بنون أي لا يقي المرء من عذاب الله ماله ولو

## تفسير ابن كثير

- لأن قلب الكافر والمنافق مريض قال الله تعالى: في قلوبهم مرض قال أبو عثمان النيسابوري هو القلب السالم من البدعة المظنن إلى السنة. 89
- أن لا إله إلا الله وقال مجاهد والحسن وغيرهما بقلب سليم يعني من الشرك وقال سعيد بن المسيب القلب السليم هو القلب الصحيح وهو قلب المؤمن السليم أن يعلم أن الله حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور وقال ابن عباس إلا من أتى الله بقلب سليم القلب السليم أن يشهد ولهذا قال: إلا من أتى الله بقلب سليم أي سالم من الدنس والشرك قال ابن سيرين القلب
- العالية وقتادة والربيع بن أنس وابن إسحاق: العزيز في نعمته وانتصاره ممن خالف أمره وعبد غيره وقال سعيد بن جبيرة: الرحيم بمن تاب إليه وأناب. 9
- وإن ربك لهو العزيز أي الذي عز كل شي وقهره وغلبه الرحيم أي بخلقه فلا يعجل على من عصاه بل يؤجله وينظره ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر قال أبو وقوله
- وأزلت الجنة أي قربت وأدريت من أهلها مزخرفة مزينة لناظرها وهم المتقون الذين رغبوا فيها على ما في الدنيا وعملوا لها في الدنيا. 90
- وبرزت الجحيم للغاوين أي أظهرت وكشف عنها وبدت منها عنق فزفرت زفرة بلغت منها القلوب الحناجر وقيل لأهلها تقريبا وتوبيخا. 91
- التي عبدتموها من دون الله من تلك الأصنام والأنداد تغني عنكم اليوم شيئا ولا تدفع عن أنفسها فإنكم وإياها اليوم حصب جهنم أنتم لها واردون. 92
- أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون أي ليست الآلهة
- التي عبدتموها من دون الله من تلك الأصنام والأنداد تغني عنكم اليوم شيئا ولا تدفع عن أنفسها فإنكم وإياها اليوم حصب جهنم أنتم لها واردون. 93
- أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون أي ليست الآلهة
- فدهوروا فيها وقال غيره كبوا فيها والكاف مكررة كما يقال صرصر والمراد أنه ألقي بعضهم على بعض من الكفار وقادتهم الذين دعوهم إلى الشرك. 94
- وقوله: فكبكوا فيها هم والغاؤون قال مجاهد يعني
- وجنود إبليس أجمعون أي ألقوا فيها عن آخرهم. 95
- رب العالمين أي يقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار ويقولون وقد عادوا على أنفسهم بالملامة. 96
- قالوا وهم فيها يختصمون تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم
- تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم رب العالمين أي نجعل أمركم مطاعا كما يطاع أمر رب العالمين وعبدناكم مع رب العالمين. 97
- تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم رب العالمين أي نجعل أمركم مطاعا كما يطاع أمر رب العالمين وعبدناكم مع رب العالمين. 98
- وما أضلنا إلا المجرمون أي ما دعانا إلى ذلك إلا المجرمون. 99

## سورة 27

- منهما وادكر بعد أمة أي بعد حين على أصح القولين قال فكذلك هذا وقوله تعالى: تلك آيات أي هذه آيات القرآن وكتاب مبين أي بين واضح. 1
- كقوله تعالى وجد عليه أمة من الناس يسقون وقوله تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا وتطلق ويراد بها الحين من الدهر كقوله تعالى وقال الذي نجا وجدنا آباءنا على أمة وتطلق ويراد بها الرجل المطيع لله كقوله تعالى إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين وتطلق ويراد بها الجماعة
- مدة وغير ذلك كما ذكره الربيع بن أنس عن أبي العالية لأن الكلمة الواحدة تطلق على معاني كثيرة كلفظة الأمة فإنها تطلق ويراد بها الدين كقوله تعالى إنا
- وصفة من صفاته كما افتتح سورا كثيرة بتحميده وتسبيحه وتعظيمه قال ولا مانع من دلالة الحرف منها على اسم من أسماء الله وعلى صفة من صفاته وعلى
- لا منافاة بين كل واحد منها وبين الآخر وأن الجمع ممكن فهي أسماء للصور ومن أسماء الله تعالى يفتتح بها السور فكل حرف منها دل على اسم من أسمائه
- والألف سنة واللام ثلاثون سنة والميم أربعون سنة هذا لفظ ابن أبي حاتم ونحوه رواه ابن جرير ثم شرع يوجه كل واحد من هذه الأقوال ويوفق بينها وأنه
- ويعيشون في رزقه فكيف يكفرون به فالألف مفتاح الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد فالألف آلاء الله واللام لطف الله والميم مجد الله
- حرف إلا وهو من آلائه وبلائه وليس منها حرف إلا وهو في مدة أقوام وأجالهم قال عيسى ابن مريم عليه السلام وعجب: فقال أعجب أنهم يظنون بأسمائه
- في قوله تعالى ألم قال هذه الأحرف الثلاثة من التسعة والعشرين حرفا دارت فيها الألسن كلها ليس منها حرف إلا وهو مفتاح اسم من أسمائه وليس منها
- النبي صلى الله عليه وسلم الم قال أما الم فهي حروف استفتحت من حروف هجاء أسماء الله تعالى وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية
- عن خالد الحذاء عن عكرمة أنه قال الم قسم وروينا أيضا من حديث وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب
- علي وابن عباس وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هو قسم أقسم الله به وهو من أسماء الله تعالى وروى ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث ابن علي
- وقال ابن جرير وحدثنا محمد بن المثنى حدثنا أبو النعمان حدثنا شعبة عن إسماعيل السدي عن مرة الهمداني قال: قال عبدالله فذكر نحوه وحكى مثله عن
- أبي حاتم من حديث شعبة ورواه ابن جرير عن بندار عن ابن مهدي عن شعبة قال سألت السدي عن حم وطس والم فقال قال ابن عباس هي اسم الله الأعظم
- قال سالم بن عبدالله وإسماعيل بن عبدالرحمن السدي الكبير وقال شعبة عن السدي بلغني أن ابن عباس قال ألم اسم من أسماء الله الأعظم هكذا رواه ابن

## تفسير ابن كثير

إنما ذلك عبارة عن سورة الأعراف لا لمجموع القرآن والله أعلم وقيل هي اسم من أسماء الله تعالى فقال عنها في فواتح السور من أسماء الله تعالى وكذلك أنه اسم من أسماء السور فإن كل سورة يطلق عليها اسم القرآن فإنه يبعد أن يكون المص اسماً للقرآن كله لأن المتبادر إلى فهم سامع من يقول قرأت المص عن شبل عن ابن أبي نجيح عنه أنه قال الم اسم من أسماء القرآن وهكذا وقال قتادة وزيد بن أسلم ولعل هذا يرجع إلى معنى قول عبدالرحمن بن زيد بن أسلم نجيح عن مجاهد أنه قال: الم وحم والمص وص فواتح افتتح الله بها القرآن وكذا قال غيره عن مجاهد وقال مجاهد في رواية أبي حذيفة موسى بن مسعود هريزة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة الم السجدة و هل أتى على الإنسان وقال سفيان الثوري عن ابن أبي العلامة أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري في تفسيره وعليه إطباق الأكثر ونقل عن سيبويه أنه نص عليه ويعتضد لهذا بما ورد في الصحيحين عن أبي الثوري والربيع بن خيثم واختاره أبو حاتم بن حبان ومنهم من فسرهما واختلف هؤلاء في معناها فقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم إنما هي أسماء السور قال فردوا علمها إلى الله ولم يفسرها حكاة القرطبي في تفسيره عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم أجمعين وقاله عامر الشعبي وسفيان سورة النمل قد اختلف المفسرون في الحروف المقطعة التي في أوائل السور فمنهم من قال هي مما استأثر الله بعلمه

أي لم يلتفت من شدة فرقه يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون أي لا تخف مما ترى فإنني أريد أن أصطفيك رسولا وأجعلك نبيا وجيها. 10 كأنها جان والجان ضرب من الحيات أسرع حركة وأكره اضطرابا وفي الحديث نهى عن قتل جنان البيوت فلما عاين موسى ذلك ولى مدبرا ولم يعقب على كل شيء فلما ألقى موسى تلك العصا من يده انقلبت في الحال حية عظيمة هائلة في غاية الكبر وسرعة الحركة مع ذلك ولهذا قال تعالى: فلما رآها تهتز ثم أمره أن يليق عصاه من يده ليظهر له دليلا واضحا علي أنه الفاعل المختار القادر

كما قال تعالى: وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وقال تعالى: ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه الآية والآيات في هذا كثيرة جدا. 11 هذا استثناء منقطع وفيه بشارة عظيمة للبشر وذلك أن من كان على عمل شيء ثم أقبل عنه ورجع وتاب وأناب فإن الله يتوب عليه

وقومه إنهم كانوا قوما فاسقين وهذه هي الآيات التسع التي قال الله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات كما تقدم تقرير ذلك هنالك. 12 ساطعة كأنها قطعة قمر لها لمعان تتلألأ كالبرق الخاطف وقوله تعالى: في تسع آيات أي هاتان تثنان من تسع آيات أويدهك بهن وأجعلهن برهانا لك إلى فرعون باهر على قدرة الله الفاعل المختار وصدق من جعل له معجزة وذلك أن الله تعالى أمره أن يدخل يده في جيب درعه فإذا أدخلها وأخرجها خرجت بيضاء هذه آية أخرى ودليل

أي بينة واضحة ظاهرة قالوا هذا سحر مبين وأرادوا معارضته بسحرهم فغلبوا وانقلبوا صاغرين. 13

بما آتاه الله من الدلائل المقترنة بوجوده في نفسه وشماله وما سبقه من البشارات من الأنبياء به وأخذ المواثيق له عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام. 14 جاء به من ربه أن يصيبكم ما أصابهم بطريق الأولى والأخرى فإن محمدا صلى الله عليه وسلم أشرف وأعظم من موسى وبرهانه أدل وأقوى من برهان موسى محمد كيف كان عاقبة أمرهم في إهلاك الله إياهم وإغراقهم عن آخرهم في صبيحة واحدة وفحوى الخطاب يقول إحذروا أيها المكذبون لمحمد الجاحدون لما ظلما وعلموا أي ظلما من أنفسهم سجية ملعونة وعلموا أي استكبارا عن اتباع الحق ولهذا قال تعالى: فانظر كيف كان عاقبة المفسدين أي انظر يا وجحدوا بها أي في ظاهر أمرهم واستيقنتها أنفسهم أي علموا في أنفسهم أنها حق عند الله ولكن جحدوها وعاندوها وكابروها

ولقد آتينا داود وسليمان علما وقال الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين فأني نعمة أفضل مما أوتي داود وسليمان عليهما السلام. 15 عمر بن عبد العزيز إن الله لم ينعم على عبده نعمة فيحمد الله عليها إلا كان حمده أفضل من نعمه لو كنت لا تعرف ذلك إلا في كتاب الله المنزل قال الله تعالى علما وقال الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين قال ابن أبي حاتم ذكر عن إبراهيم بن يحيى بن هشام أخبرني أبي عن جدي قال: كتب الجميلة وما جمع لهما بين سعادة الدنيا والآخرة والملك والتمكين التام في الدنيا والنبوة والرسالة في الدين ولهذا قال تعالى ولقد آتينا داود وسليمان يخبر تعالى عما أنعم به على عبديه ونبيه داود وابنه سليمان عليهما السلام من النعم الجزيلة والمواهب الجليلة والصفات

فعلت الطير؟ فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يده وغلبت عليه يومئذ المضحية قال أبو الفرج ابن الجوزي: المضحية هي النور الحمراء. 16 سليمان عليه السلام للطير أظلي داود فظلت عليه الطير حتى أظلمت عليه الأرض فقال لها سليمان اقبضي جناحا جناحا قال أبو هريزة يا رسول الله كيف يمتنع من الحجاب فقال داود أنت إذا والله ملك الموت مرحبا بأمر الله فتزمل داود مكانه حتى قبضت نفسه حتى فرغ من شأنه وطلعت عليه الشمس فقال من أين دخل هذا الرجل والدار مغلقة؟ والله لنفتضحن بداود فجاء داود فإذا الرجل قائم وسط الدار فقال له داود من أنت؟ فقال الذي لا يهاب الملوك ولا فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع قال فخرج ذات يوم وأغلقت الأبواب فأقبلت امرأة تطلع إلى الدار فإذا رجل قائم وسط الدار فقالت لمن في البيت عن المطلب عن أبي هريزة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كان داود عليه السلام فيه غيرة شديدة فكان إذا خرج أغلقت الأبواب مما يحتاج إليه الملك إن هذا هو الفضل المبين أي الظاهر البين لله علينا قال الإمام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو بن أبي عمرو أفهم سليمان ما يتخاطب به الطيور في الهواء وما تنطق به الحيوانات على اختلاف أصنافها ولهذا قال تعالى علما منطق الطير وأوتينا من كل شيء أي الأمر كما زعموا ولا كما قالوا بل لم تزل البهائم والطيور وسائر المخلوقات من وقت خلقت إلى زماننا هذا على هذا الشكل والمناول ولكن الله سبحانه كان قد به كثير من الناس فهو قول بلا علم ولو كان الأمر كذلك لم يكن لتخصيص سليمان بذلك فائدة إذ كلهم يسمع كلام الطيور والبهائم ويعرف ما تقول وليس

## تفسير ابن كثير

أحد من البشر فيما علمناه مما أخبر الله به ورسوله ومن زعم من الجهلة والرعا أن الحيوانات كانت تنطق كنطق بني آدم قبل سليمان بن داود كما قد يتفوه بنعم الله عليه فيما وهبه له من الملك التام والتمكين العظيم حتى إنه سخر له الإنس والجن والطير وكان يعرف لغة الطير والحيوان أيضا وهذا شيء لم يعطه الله عليه وسلم في قوله نحن معاصر الأنبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقه وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء أي أخبر سليمان وحده من بين سائر أولاد داود فإنه قد كان لداود مائة امرأة ولكن المراد بذلك وراثة الملك والنبوّة فإن الأنبياء لا تورث أموالهم كما أخبر بذلك رسول الله صلى وورث سليمان داود أي في الملك والنبوّة وليس المراد وراثة المال إذ لو كان كذلك لم يخص سليمان

أحد عن منزلته التي هي مرتبة له قال مجاهد جعل على كل صنف وزعة يردون أولاها على آخرها لئلا يتقدموا في المسير كما يفعل الملوك اليوم. 17 والجن وهم بعدهم في المنزل والطير ومنزلتها فوق رأسه فإن كان حرا أظلمته منه بأجنحتها قوله: فهم يوزعون أي يكف أولهم على آخرهم لئلا يتقدم أي وجمع لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير يعني ركب فيهم في أبهة وعظمة كبيرة في الإنس وكانوا هم الذين يلونه عرجاء وكانت بقدر الذئب أي خافت على النمل أن تحطمها الخيول بحوافرها فأمرتهم بالدخول إلى مساكنهم ففهم ذلك سليمان عليه السلام منها. 18 أورد ابن عساکر من طريق إسحاق بن بشر عن سعيد عن قتادة عن الحسن أن اسم هذه النملة حرس وأنها من قبيلة يقال لهم بنو الشيطان وأنها كانت سليمان عليه السلام بمن معه من الجيوش والجنود على وادي النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون وقوله: حتى إذا أتوا على وادي النمل أي حتى إذا مر

قال: قرصت نبيا من الأنبياء نملة فأمر بقرية النمل فأحرقت فأوحى الله إليه أفي أن قرصتك نملة أهلك أمة من الأمم تسبح؟ فهلا نملة واحدة. 19 أرجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم وقد ثبت في الصحيح عند مسلم من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فإذا هو بنملة مستلقية على ظهرها رافعة قوائمها إلى السماء وهي تقول: اللهم إنا خلق من خلقك ولا غنى بنا عن سقياك وإلا تسقنا تهلكنا فقال سليمان حدثنا أبي حدثنا محمد بن بشار حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا مسعر عن زيد العمي عن أبي الصديق الناجي قال خرج سليمان بن داود عليهما السلام يستسقي هو بالباء الموحدة وذلك تصحيف والله أعلم والغرض أن سليمان عليه السلام فهم قولها وتبسم ضاحكا من ذلك وهذا أمر عظيم جدا وقد قال ابن أبي حاتم كالدباب أو غير ذلك من الأقاويل فلا حاصل لها وعن نوف البكالي أنه قال كان نمل سليمان أمثال الذناب هكذا رأيته مضبوطا بالياء المثناة من تحت وإنما فألحقني بالصالحين من عبادك والرفيق الأعلى من أوليائك ومن قال من المفسرين إن هذا الوادي كان بأرض الشام أو بغيره وإن هذه النملة كانت ذات جناحين والحيوان وعلى والذي بالإسلام لك والإيمان بك وأن أعمل صالحا ترضاه أي عملا تحبه وترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين أي إذا توفيتني أي ألهمني أن أشكر نعمتك التي مننت بها علي من تعليمي منطق الطير

أي إنما تحصل الهداية والبشارة من القرآن لمن آمن به واتبعه وصدقه وعمل بما فيه. 2

فنظر فرأى من أصناف الطير كلها من حضره إلا الهدهد فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين أخطأه بصري من الطير أم غاب فلم يحضر؟ 20 بن إسحاق: كان سليمان عليه السلام إذا غدا إلى مجلسه الذي كان يجلس فيه تفقد الطير وكان فيما يزعمون يأتيه نوب من كل صنف من الطير كل يوم طائر الحسين حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة بن عمرو الغساني حدثنا عباد بن ميسرة المنقري عن الحسن قال: اسم هدهد سليمان عليه السلام عنبر وقال محمد يده في عيني ففقاها ورمي بها ومضيا فلم أزل كذلك ملقى مكتوبا حتى مر بي نفر ففك وثاقي فهذا ما كان من خبر عيني وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن تحتي مثل المرأة أنظر ما تحتها كما ترى المرأة ثم قال لي: سر معنا قليلا فسرت معهما وهما يحدثان حتى إذا بعدت عن القرية أخذاني فكتفاني وأدخل أحدهما به فسألتهما أن يكحلاني فأبيا فألححت عليهما وقلت لا بد من ذلك وتوعدتكما بالدولة فكلحأ عيني الواحدة اليمنى فحين وقع في عيني نظرت إلى الأرض وعيناها تتوقدان مثل الدينار فاستبشرا بها عظيما وقال الحمد لله الذي لم يخيب سفرنا من سنة وكسرا المجامر وأخذنا الحية فأدخلها في عينها ميلا فاكتحلا وأوقدا فيها بخورا كثيرا حتى عجعج الوادي بالدخان فأخذنا يعزمان والحيات تقبل من كل مكان إليهما فلا يلتفتان إلى شيء منها حتى أقبلت حية نحو الذراع سبب عوره فامتنع عليه فألح عليه شهورا فأخبره أن رجلين من أهل خراسان نزلا عنده جمعة في قرية برزة وسألاه عن واد بها فأريتهما إياه فأخرجنا مجامر برزة من غوطة دمشق وكان من الصالحين يصوم الاثنين والخميس وكان أعور قد بلغ الثمانين فروى ابن عساکر بسنده إلى أبي سليمان بن زيد أنه سأله عن نزل القدر عمي البصر وذهب الحذر فقال له نافع: والله لا أجادلك في شيء من القرآن أبدا وقد ذكر الحافظ ابن عساکر في ترجمة أبي عبد الله البرزي من أهل ترابا فيجيء الهدهد ليأخذها فيقع في الفخ فيصيده الصبي فقال ابن عباس لولا أن يذهب هذا فيقول رددت على ابن عباس لما أجبتة ثم قال له ويحك إنه إذا فقال له قف يا ابن عباس غلبت اليوم قال ولم؟ قال إنك تخبر عن الهدهد أنه يرى الماء في تخوم الأرض وأن الصبي ليضع له الحبة في الفخ ويحتو على الفخ الهدهد أم كان من الغائبين حدث يوما عبد الله بن عباس بنحو هذا وفي القوم رجل من الخوارج يقال له نافع بن الأزرق وكان كثير الاعتراض على ابن عباس الجان فحفروا ذلك المكان حتى يستنبط الماء من قراره فنزل سليمان عليه السلام يوما بفلاة من الأرض فتفقد الطير ليرى الهدهد فلم يره فقال مالي لا أرى له الماء في تخوم الأرض كما يرى الإنسان الشيء الظاهر على وجه الأرض ويعرف كم مساحة بعده من وجه الأرض فإذا دلهم عليه أمر سليمان عليه السلام قال مجاهد وسعيد بن جبیر وغيرهما عن ابن عباس وغيره: كان الهدهد مهندسا يدل سليمان عليه السلام على الماء إذا كان بأرض فلاة طلبه فنظر فقال هل استثنى؟ قالوا نعم قال لأعذبه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتينني بسلطان مبين قال نجوت إذا قال مجاهد إنما دفع الله عنه ببره بأمه. 21

## تفسير ابن كثير

قتله أو ليأتيه بسليمان مبيّن بعدد بين واضح وقال سفيان بن عيينة وعبد الله بن شداد: لما قدم الهدد قالت له الطير ما خلفك فقد نذر سليمان دمك ريشه وقال عبد الله بن شداد ننف ريشه وتشميسه وكذا قال غير واحد من السلف إنه ننف ريشه وتركه ملقى يأكله الذر والنمل وقوله أو لأذبحنه يعني لأعذبنه عذاباً شديداً قال الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد عن ابن عباس يعني ننف

لم تحط به أي اطلعت على ما لم تطلع عليه أنت ولا جنودك وجنتك من سبأ بنيا يقين أي بخبر صدق حق يقين وسبأ هم حمير وهم ملوك اليمن. 22  
فمكث الهدد غير بعيد أي غاب زمانا يسيرا ثم جاء فقال لسليمان أحطت بما

وستون طاقة من مشرقه ومثلها من مغربه قد وضع بناؤه على أن تدخل الشمس كل يوم من طاقة وتغرب من مقابلتها فيسجدون لها صباحا ومساء. 23  
واللؤلؤ وكان إنما يخدمها النساء ولها ستمائة امرأة تلي الخدمة قال علماء التاريخ: وكان هذا السرير في قصر عظيم مشيد رفيع البناء محكم وكان فيه ثلثمائة من ذهب وصفحاته مرمولة بالياقوت والزبرجد طوله ثمانون ذراعا وعرضه أربعون ذراعا وقال محمد بن إسحاق كان من ذهب مفصص بالياقوت والزبرجد مما يحتاج إليه الملك المتمكن ولها عرش عظيم يعني سرير تجلس عليه عظيم هائل مزخرف بالذهب وأنواع الجواهر واللآلئ قال زهير بن محمد كان يقال لها مارب على ثلاثة أميال من صنعاء وهذا القول هو أقرب على أنه كثير على مملكة اليمن والله أعلم وقوله وأوتيت من كل شيء أي من متاع الدنيا قوله تعالى: إني وجدت امرأة تملكهم كانت من بيت مملكة وكان أولو مشورتها ثلثمائة واثنى عشر رجلا كل رجل منهم على عشرة آلاف رجل وكانت بأرض مائة ألف مقاتل وقال الأعمش عن مجاهد: كان تحت يدي ملكة سبأ اثنا عشر ألف قيل تحت كل قيل مائة ألف مقاتل وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن قتادة في علي بن الحسن حدثنا مسدد حدثنا سفيان بن عيينة عن عطاء بن السائب عن مجاهد عن ابن عباس قال: كان مع صاحبة سليمان مائة ألف قيل تحت كل قيل زهير بن محمد وهي بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان وأمها فارغة الجنية وقال ابن جريج بلقيس بنت ذي شرخ وأمها بلتعة وقال ابن أبي حاتم حدثنا تملكهم قال الحسن البصري وهي بلقيس بنت شراحيل ملكة سبأ وقال قتادة: كانت أمها جنية وكان مؤخر قدميها مثل حافر الدابة من بيت مملكة وقال إني وجدت امرأة

يخفيه العباد وما يعلنونه من الأقوال والأفعال وهذا كقوله تعالى: سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار. 24  
الذي جعل فيه من الخاصة ما ذكره ابن عباس وغيره من أنه يرى الماء يجري في تخوم الأرض ودخلها وقوله ويعلم ما تخفون وما تعلنون أي يعلم ما وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم خبء السموات والأرض ما جعل فيهما من الأرزاق المطر من السماء والنبات من الأرض وهذا مناسب من كلام الهدد طلحة عن ابن عباس يعلم كل خبيئة في السماء والأرض وكذا قال عكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وغير واحد وقال سعيد بن المسيب الخبء الماء لله جعلها ألا الإستفتاحية ويا للنداء وحذف المنادي تقديره عنده ألا يا قوم اسجدوا لله وقوله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض قال علي بن أبي ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون وقرأ بعض القراء ألا يا اسجدوا أي لا يعرفون سبيل الحق التي هي إخلاص السجود لله وحده دون ما خلق من الكواكب وغيرها كما قال تعالى:

يخفيه العباد وما يعلنونه من الأقوال والأفعال وهذا كقوله تعالى: سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار. 25  
الذي جعل فيه من الخاصة ما ذكره ابن عباس وغيره من أنه يرى الماء يجري في تخوم الأرض ودخلها وقوله ويعلم ما تخفون وما تعلنون أي يعلم ما وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم خبء السموات والأرض ما جعل فيهما من الأرزاق المطر من السماء والنبات من الأرض وهذا مناسب من كلام الهدد طلحة عن ابن عباس يعلم كل خبيئة في السماء والأرض وكذا قال عكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وغير واحد وقال سعيد بن المسيب الخبء الماء لله جعلها ألا الإستفتاحية ويا للنداء وحذف المنادي تقديره عنده ألا يا قوم اسجدوا لله وقوله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض قال علي بن أبي ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون وقرأ بعض القراء ألا يا اسجدوا أي لا يعرفون سبيل الحق التي هي إخلاص السجود لله وحده دون ما خلق من الكواكب وغيرها كما قال تعالى:

وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن أربع من الدواب: النملة والنحلة والهدد والصدرد وإسناده صحيح. 26  
العظيم أي الذي ليس في المخلوقات أعظم منه ولما كان الهدد داعي إلى الخير وعبادة الله وحده والسجود له نهى عن قتله كما رواه الإمام أحمد وأبو داود أي هو المدعو وهو الله الذي لا إله إلا هو رب العرش

قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين أي أصدقت في إخبارك هذا أم كنت من الكاذبين في مقالتك لتخلص من الوعيد الذي أوعدتك؟. 27  
يقول تعالى مخبرا عن قول سليمان للهدد حين أخيره عن أهل سبأ وملكتهم

ذلك ثم عمدت إلى الكتاب فأخذته ففتحت ختمه وقرأته فإذا فيه إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلقو علي وأتوني مسلمين. 28  
فجاء إلى قصر بلقيس إلى الخلوة التي كانت تختلي فيها بنفسها فألقاه إليها من كوة هناك بين يديها ثم تولى عنها أدبا ورياسة فتحيرت مما رأت وهالها وذلك أن سليمان عليه السلام كتب كتابا إلى بلقيس وقومها وأعطاه ذلك الهدد فحملة قيل في جناحه كما هي عادة الطير وقيل بمنقاره وجاء إلى بلادهم تعني بكرمه ما رآته من عجيب أمره كون طائر ذهب به فألقاه إليها ثم تولى عنها أدبا وهذا أمر لا يقدر عليه أحد من الملوك ولا سبيل لهم إلى ذلك. 29  
فجمعت عند ذلك أمراءها ووزراءها وكبراء دولتها ومملكته ثم قالت لهم يا أيها الملأ إني ألقى إلي كتاب كريم

## تفسير ابن كثير

والنار كما قال تعالى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر الآية وقال تعالى: لتبشروا به المتقين وتنذر به قوما لدا. 3  
واتبعه وصدقه وعمل بما فيه وأقام الصلاة المكتوبة وآتى الزكاة المفروضة وأيقن بالدار الآخرة والبعث بعد الموت والجزاء على الأعمال خيرها وشرها والجنة  
أى إنما تحصل الهداية والبشارة من القرآن لمن آمن به

ضعيف وقال ميمون بن مهران كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب باسمك اللهم حتى نزلت هذه الآية فكتب بسم الله الرحمن الرحيم. 30  
قال فانتهى إلى الباب فأخرج إحدى قدميه فقلت نسي ثم التفت إلي وقال إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم هذا حديث غريب وإسناده  
صلى الله عليه وسلم فقال إنى أعلم آية لم تنزل على نبي قبلي بعد سليمان بن داود قلت يا نبي الله أي آية؟ قال سأعلمكها قبل أن أخرج من المسجد  
حدثنا هارون بن الفضل أبو يعلى الخياط حدثنا أبو يوسف عن سلمة بن صالح عن عبد الكريم أبي أمية عن ابن بريدة عن أبيه قال: كنت أمشي مع رسول الله  
وأحسنها قال العلماء لم يكتب أحد بسم الله الرحمن الرحيم قبل سليمان عليه السلام وقد روى ابن أبي حاتم في ذلك حديثا في تفسيره حيث قال: حدثنا أبي  
مسلمين فعرفوا أنه من نبي الله سليمان عليه السلام وأنه لا قبل لهم به وهذا الكتاب في غاية البلاغة والوجازة والفصاحة فإنه حصل المعنى بأيسر عبارة  
ثم قرأته عليهم إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا علي وأتوني

عبد الرحمن بن زيد بن أسلم لا تمتنعوا ولا تتكبروا علي وأتوني مسلمين قال ابن عباس موحدين وقال غيره مخلصين وقال سفيان بن عينة طائعين. 31  
قال قتادة يقول لا تجبروا علي وأتوني مسلمين وقال

استشارتهم في أمرها وما قد نزل بها ولهذا قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون وتشيرون. 32  
لما قرأت عليهم كتاب سليمان

أمرا عجيبا بديعا فقالت لهم إنني أخشى أن نحاربه ونمتنع عليه فيقصدنا بجنوده ويهلكنا بمن معه ويخلص إلى وإليكم الهلاك والدمار دون غيرنا. 33  
كانت هي أحزم رأيا منهم وأعلم بأمر سليمان وأنه لا قبل لها بجنوده وجيوشه وما سخر له من الجن والإنس والطير وقد شاهدت من قضية الكتاب مع الهدد  
لنا عاقبة عنه وبعد هذا فالأمر إليك مري فينا رأيك نمثله ونطيعه قال الحسن البصري رحمه الله فوضوا أمرهم إلى عجلة تضطرب ثدياها فلما قالوا لها ما قالوا  
وقوتهم ثم فوضوا إليها بعد ذلك الأمر فقالوا: والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين أي نحن ليس لنا عاقبة ولا بنا بأس إن شئت أن تقصديه وتحاربيه فما  
أي منوا إليها بعددهم وعددهم

قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة قال الرب عز وجل وكذلك يفعلون ثم عدلت إلى المصالحة والمهادنة والمسالمة والمخادعة والمصانعة. 34  
أعزة أهلها أذلة أي وقصدوا من فيها من الولاة والجنود فأهانوهم غاية الهوان إما بالقتل أو بالأسر قال ابن عباس قالت بلقيس إن الملوك إذا دخلوا  
قال ابن عباس أي إذا دخلوا بلدا عنوة أفسدوه أي خربوه وجعلوا  
وشركها علمت أن الهدية تقع موقعا من الناس وقال ابن عباس وغير واحد قالت لقومها إن قبل الهدية فهو ملك فقاتلوه وإن لم يقبلها فهو نبي فاتبعوه. 35  
يقبل ذلك منا ويكف عنا أو يضرب علينا خراجا نحمله إليه في كل عام ونلتزم له بذلك ويترك قتالنا ومحاربتنا قال قتادة رحمه الله: ما كان أعقلها في إسلامها  
أي سأبعث إليه بهدية تليق بمثله وأنظر ماذا يكون جوابه بعد ذلك فلعله

فموهوا له ألف قصر من ذهب وفضة فلما رأت رسلها ذلك قالوا ما يصنع هذا بهديتنا وفي هذا جواز تهيب الملوك وإظهارهم الزينة للرسول والقصاد. 36  
والتحف وأما أنا فلا أقبل منكم إلا الإسلام أو السيف قال الأعشى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنه: أمر سليمان الشياطين  
فما أتاني الله خير مما آتاكم أي الذي أعطاني الله من الملك والمال والجنود خير مما أنتم فيه بل أنتم بهديتكم تفرحون أي أنتم الذين تتقادون للهدايا  
السلام لم ينظر إلى ما جاءوا به بالكلية ولا اعتنى به بل أعرض عنه وقال منكرا عليهم أتمدون بمال أي أتصانعونني بمال لأترككم على شرككم وملكمكم؟  
الخيال حتى عرفت ثم ملأه من ذلك ويخرزة وسلك ليحمله فيها ففعل ذلك والله أعلم أكان ذلك أم لا وأكثره مأخوذ من الإسرائيليات والظاهر أن سليمان عليه  
والغلمان من مرافقهم إلى كفوفهم ولا منافاة بين ذلك كله والله أعلم: وذكر بعضهم أنها أرسلت إليه بقدر ليملاؤه ماء رواء لا من السماء ولا من الأرض: فأجرى  
الغلام يغترف فميزهم بذلك وقيل بل جعلت الجارية تغسل باطن يدها قبل ظاهرها والغلام بالعكس وقيل بل جعلت الجارية يغسل من أكفهن إلى مرافقهن  
زي الغلمان وغلمان في زي الجواري فقالت إن عرف هؤلاء من هؤلاء فهو نبي قالوا فأمرهم سليمان فتوضوا فجعلت الجارية تفرغ على يدها من الماء وجعل  
ولأى وغير ذلك وقال بعضهم أرسلت بلبنة من ذهب والصحيح أنها أرسلت إليه بأنية من ذهب: قال مجاهد وسعيد بن جبيرة وغيرهما أرسلت جوارى في  
ذكر غير واحد من المفسرين من السلف وغيرهم أنها بعثت إليه بهدية عظيمة من ذهب وجواهر

إليه في جنودها خاضعة ذليلة معظمة لسليمان نأوية متابعته في الإسلام ولما تحقق سليمان عليه السلام قدومهم ووفودهم إليه فرح بذلك وسره. 37  
من بلدتهم أذلة وهم صاغرون أي مهانون مدحورون فلما رجعت إليها رسلها بهديتها وبما قال سليمان سمعت وأطاعت هي وقومها وأقبلت تسير  
ارجع إليهم أي بهديتهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها أي لا طاقة لهم بقتالهم ولنخرجهم منها أذلة أي ولنخرجهم

بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين وهكذا قال عطاء الخراساني والسدي وزهير بن محمد قبل أن يأتوني مسلمين فتحرم علي أموالهم بإسلامهم. 38  
والحرير فكانت عليه تسعة مغاليق فكره أن يأخذه بعد إسلامهم وقد علم نبي الله أنهم متى أسلموا تحرم أموالهم ودماؤهم فقال يا أيها الملأ أيكم يأتيني

## تفسير ابن كثير

قبل أن يأتوني مسلمين وقال قتادة لما بلغ سليمان أنها جائية وكان قد ذكر له عرشها فأعجبه وكان من ذهب وقوائمه لؤلؤ وجوهر وكان مسترا بالديباج يبعث الجن يأتونه بمسيرها ومنتهاها كل يوم وليلة حتى إذا دنت جمع من عنده من الجن والإنس ممن تحت يده فقال يا أيها الملائكة أياكم يأتيني بعرشها إليه أحد من عباد الله ولا يرينه أحد حتى أتيتك ثم شخصت إلى سليمان في اثني عشر ألف قيل من ملوك اليمن تحت يدي كل قيل ألوف كثيرة فجعل سليمان والزبرجد واللؤلؤ فجعل في سبعة أبيات بعضها في بعض ثم أقفلت عليه الأبواب ثم قالت لمن خلفت على سلطانها احتفظ بما قبلك وسرير ملكي فلا يخلص إليه إني قادمة عليك بملوك قومي لأنظر ما أمرك وما تدعوننا إليه من دينك ثم أمرت بسرير ملكها الذي كانت تجلس عليه وكان من ذهب مفصص بالياقوت إسحاق عن يزيد بن رومان قال: فلما رجعت إليها الرسل بما قال سليمان قالت قد والله عرفت ما هذا بملك وما لنا به من طاقة وما نصنع بمكابرتة شيئا وبعثت قال محمد بن

نبوته عند بلقيس وقومها لأن هذا خارق عظيم أن يأتي بعرشها كما هو من بلادها قبل أن يقدموا عليه هذا وقد حجبته بالأغلاق والأقفال والحفظة. 39 أراد بإحضار هذا السرير إظهار عظمة ما وهب الله له من الملك وما سخر له من الجنود الذي لم يعطه أحد قبله ولا يكون لأحد من بعده وليتخذ ذلك حجة على عليه لقوي أمين قال ابن عباس أي قوي على حمله أمين على ما فيه من الجوهر فقال سليمان عليه السلام أريد أعجل من ذلك ومن ههنا يظهر أن سليمان قبل أن تقوم من مجلسك وقال مجاهد مقعدك وقال السدي وغيره كان يجلس للناس للقضاء والحكومات وللطعام من أول النهار إلى أن تزول الشمس وإني عن يزيد بن رومان وكذا قال أيضا وهب بن منبه قال أبو صالح وكان كأنه جبل أنا أتيتك به قبل أن تقوم من مقامك قال ابن عباس رضي الله عنه يعني قال عفريت من الجن قال مجاهد أي مارد من الجن قال شعيب الجبائي وكان اسمه كوزن وكذا قال محمد بن إسحاق

في غيهم فهم يتيهون في ضلالهم وكان هذا جزاء على ما كذبوا من الدار الآخرة كما قال تعالى: ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة. 4 أي يكذبون بها ويستبعدون وقوعها زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون أي حسنا لهم ما هم فيه ومددنا لهم نقص ذلك من ملكي شيئا يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيتكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه. 40 وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما أحد وهذا كما قال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغني حميد وفي صحيح مسلم يقول الله تعالى: يا عبادي لو أن أولكم وآخركم يمهدون وقوله ومن كفر فإن ربي غني كريم أي هو غني عن العباد وعبادتهم كريم أي كريم في نفسه فإن لم يعبد أحد فإن عظمته ليست مفتقرة إلى أي ليختبرني أشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه كقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وكقوله ومن عمل صالحا فلأنفسهم قال وكان هذا الذي جاء به من عباد البحر فلما عاين سليمان وماله ذلك ورآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي أي هذا من نعم الله علي لبيوني بيت المقدس غاب السرير وغاص في الأرض ثم نبع من بين يدي سليمان وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم لم يشعر سليمان إلا وعرشها يحمل بين يديه قال مجاهد وسعيد بن جبير ومحمد بن إسحاق وزهير بن محمد وغيرهم لما دعا الله تعالى وسأله أن يأتيه بعرش بلقيس وكان في اليمن وسليمان عليه السلام ودعا الله تعالى قال مجاهد قال يا ذا الجلال والإكرام وقال الزهري قال: يا إلهنا وإله كل شيء إلهنا واحدا لا إله إلا أنت انتني بعرشها قال فمئل بين يديه حاضر عندك وقال وهب ابن منبه أمدد بصرك فلا يبلغ مداه حتى أتيتك به فذكروا أنه أمره أن ينظر نحو اليمن التي فيها هذا العرش المطلوب ثم قام فتوضأ بن لهيعة أنه الخضر وهو غريب جدا وقوله أنا أتيتك به قبل أن يرتد إليك طرفك أي ارفع بصرك وانظر مد بصرك مما تقدر عليه فإنك لا يكل بصرك إلا وهو بني إسرائيل وقال مجاهد كان اسمه أسطوم قال قتادة في رواية عنه كان اسمه بليخا وقال زهير بن محمد هو رجل من الإنس يقال له ذو النور وزعم عبد الله برخياء وكان صديقا يعلم الاسم الأعظم وقال قتادة كان مؤمنا من الإنس واسمه آصف وكذا قال أبو صالح والضحاك وقاتدة إنه كان من الإنس زاد قتادة من قال الذي عنده علم من الكتاب قال ابن عباس وهو آصف كاتب سليمان وكذا روى محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان أنه آصف بن

وما كان أخضر جعل أحمر غير كل شيء عن حاله وقال عكرمة زادوا فيه ونقصوا وقال قتادة جعل أسفله أعلاه ومقدمه مؤخره وزادوا فيه ونقصوا. 41 أم تكون من الذين لا يهتدون قال ابن عباس نزع منه فصوصه ومرافقه وقال مجاهد أمر به فغير ما كان فيه أحمر جعل أصفر وما كان أصفر جعل أحمر قبل قدومها أمر به أن يغير بعض صفاته ليختبر معرفتها وثباتها عند رويته هل تقدم على أنه عرشها أو أنه ليس بعرشها فقال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي لما جيء سليمان عليه السلام بعرش بلقيس

سليمان هذا من تمام كلام سليمان عليه السلام في قول مجاهد وسعيد بن جبير رحمهما الله أي قال سليمان أوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين. 42 وإن غير وبدل ونكر فقالت كأنه هو أي يشبهه ويقاربه وهذا غاية في الذكاء والحزم وقوله وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين قال مجاهد يقول وقد غير ونكر وزيد فيه ونقص منه فكان فيها ثبات وعقل ولها لب ودهاء وحزم فلم تقدم على أنه هو لبعد مسافته عنها ولا أنه غيره لما رأت من آثاره وصفاته فلما جاءت قيل أهكذا عرشك أي عرض عليها عرشها

الله أي صدها عن عبادة غير الله إنها كانت من قوم كافرين قلت ويؤيد قول مجاهد أنها إنما أظهرت الإسلام بعد دخولها إلى الصرح كما سيأتي. 43 وصدها ضمير يعود إلى سليمان أو إلى الله عز وجل تقديره ومنعها ما كانت تعبد من دون

من دون الله وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين أي متابعة لدين سليمان في عبادته لله وحده لا شريك له الذي خلق كل شيء فقدره تقديرا. 44



## تفسير ابن كثير

الله تعالى وعرفت أنه نبي كريم وملك عظيم وأسلمت لله عز وجل وقالت رب إنني ظلمت نفسي أي بما سلف من كفرها وشركها وعبادتها وقومها للشمس عليه السلام اتخذ قصرا عظيما منيفا من زجاج لهذه الملكة ليربها عظمة سلطانه وتمكنه فما رأت ما آتاه الله وجلالة ما هو فيه وتبصرت في أمره انقادت لأمر قصر في اليمن عالي البناء والممرد المبني بناء محكما أملس من قوارير أي زجاج وتمريد البناء تمليسه ومارد حصن بدومة الجندل والغرض أن سليمان العرب هو القصر وكل بناء مرتفع قال الله سبحانه وتعالى إخبارا عن فرعون لعنه الله أنه قال لوزير هامان ابن لي صرحا لعلني أبلغ الأسباب الآيات والصرح مما كان وما لم يكن ومما حرف وبدل ونسخ وقد أغنانا الله سبحانه عن ذلك بما هو أصح منه وأنفع وأوضح وأبلغ ولله الحمد والمنة أصل الصرح في كلام أهل الكتاب مما وجد في صحفهم كروايات كعب وهب سامحهما الله تعالى فيما نقلاه إلى هذه الأمة من أخبار بني إسرائيل من الأوابد والغرائب والعجائب أحسنه من حديث قلت بل هو منكر غريب جدا ولعله من أوهام عطاء بن السائب على ابن عباس والله أعلم والأقرب في مثل هذه السياقات أنها متعلقة عن قبيح فما يذهب؟ قالوا يذهب موسى فقال أثر موسى قبيح قال فجعلت الشياطين النورة قال فهو أول من جعلت له النورة ثم قال أبو بكر بن أبي شيبة ما فقال فجعلوا صرحا ممردا من قوارير فيه السمك قال فقيل لها أدخل الصرح فلما رآته حسبته لجة وكشفت عن ساقها فإذا هي شعراء فقال سليمان هذا ما سألتك إلا عن الماء قال ونسوه كلهم قال وقالت الشياطين إن سليمان يريد أن يتخذها لنفسه فإن يتخذها لنفسه ثم ولد بينها ولد لم نفك من عبوديته في قلبي أن أذكره لك فقال ارجع فقد كفيتمكم قال فرجع إلى سريره قال ما سألت عنه؟ قالت ما سألتك إلا عن الماء فقال لجنوده ما سألت عنه؟ فقالوا فجريت ثم أخذ عرقها فملأ منه الآية قال وسألت عن لون الله عز وجل قال فوثب سليمان عن سريره فخر ساجدا فقال يا رب لقد سألتني عن أمر إنه ليتعظم وكان سليمان إذا سئل عن شيء سأل الإنس ثم الجن ثم الشياطين قال فقالت الشياطين هذا هين أجر الخيل ثم خذ عرقها ثم املأ منه الآية قال فأمر بالخيول الآية قال نكروا لها عرشها فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو قال فسألته حين جاءت عن أمرين قالت لسليمان أريد ماء ليس من أرض ولا سماء فنبع عرشها من تحت قدم سليمان من تحت كرسي كان سليمان يضع عليه رجله ثم يصعد إلى السرير قال فلما رأى سليمان عرشها قال هذا من فضل ربي من ذلك فقال الذي عنده علم من الكتاب أنا أنظر في كتاب ربي ثم أتيك به قبل أن يترد إليك طرفك قال فنظر إليه سليمان فلما قطع كلامه رد سليمان بصره تقوم من مقامك قال وكان لسليمان مجلس يجلس فيه للناس كما يجلس الأمراء ثم يقوم فقال أنا أتيك به قبل أن تقوم مقامك قال سليمان أريد أعجل حينئذ في الأزد قال سليمان أيكم يأتيني بعرشها؟ قال وبين عرشها وبين سليمان حين نظر إلى الغبار مسيرة شهرين قال عفريت من الجن أنا أتيك به قبل أن ارجع إليهم فلما نظر إلى الغبار أخبرنا ابن عباس قال وكان بين سليمان وبين ملكة سبأ ومن معها حين نظر إلى الغبار كما بيننا وبين الحيرة قال عطاء ومجاهد نحن أولوا قوة قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وإني مرسله إليهم بهدية فناظره بم يرجع المرسلون فلما جاءت الهدية سليمان قال أتمدوني بمال تعلوا علي وائتوني مسلمين فلما ألقى الهدى الكتاب إليها ألقى في روعها أنه كتاب كريم وأنه كريم وأنه من سليمان وأن لا تعلوا علي وائتوني مسلمين قالوا فمكث غير بعيد فقرأ حتى انتهى إلى قوله سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين اذهب بكتابي هذا وكتب بسم الله الرحمن الرحيم إلى بلقيس أن لا عذابه إياه أن ينتفه ثم يلقيه في الأرض فلا يمتنع من نملة ولا من شيء من هوام الأرض قال عطاء وذكر سعيد بن جبير عن ابن عباس مثل حديث مجاهد يوم في مسير له إذ تفقد الطير ففقد الهدى قال مالي لا أرى الهدى أم كان من الغائبين لأعذبه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين قال وكان الإنس ثم يجلس الجن ثم الشياطين ثم تأتي الرياح تترفعهم ثم تظلم الطير ثم يغدون قدر ما يشتهي الراكب أن ينزل شهرا ورواحها شهرا قال فبينما هو ذات عطاء بن السائب حدثنا مجاهد ونحن في الأزد قال حدثنا ابن عباس قال: كان سليمان عليه السلام يجلس على سريره ثم توضع كراسي حوله فيجلس عليها رب العالمين فأسلمت وحسن إسلامها وقد روى الإمام أبو بكر بن أبي شيبة في هذا أثرا غريبا عن ابن عباس فقال حدثنا الحسين بن علي عن زائدة حدثني حين رأت سليمان صنع ما صنع فلما رفع سليمان رأسه قال ويحك ماذا قلت؟ قالت أنسيت ما قلت؟ فقالت رب إنني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله الله عز وجل وحده وعاتبها في عبادتها الشمس من دون الله فقالت بقول الزنادقة فوقع سليمان ساجدا إعظاما لما قالت وسجد معه الناس فسقط في يديها سلطانها فلما رآته حسبته لجة وكشفت عن ساقها لا تشك أنه ماء تخوضه قيل لها إنه صرح ممرد من قوارير فلما وقفت على سليمان دعاها إلى عبادة الماء تحته ثم وضع له فيه سريره فجلس عليه وعكفت عليه الطير والجن والإنس ثم قال لها ادخلي الصرح ليربها ملكا هو أعز من ملكها وسلطانا هو أعظم من ملكها وقال محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال: أمر سليمان بالصرح وقد عملته له الشياطين من زجاج كأنه الماء بياضا ثم أرسل سليمان دعاها إلى عبادة الله وحده وعاتبها في عبادتها الشمس من دون الله وقال الحسن البصري: لما رأت العلة الصرح عرفت والله أن قد رأت ملكا أعظم من ملكها وسلطانا هو أعظم من سلطانها فلما رآته حسبته لجة وكشفت عن ساقها لا تشك أنه ماء تخوضه فقيل لها إنه صرح ممرد من قوارير فلما وقفت على وعكرمة ومحمد بن كعب القرظي والسدي وابن جريج وغيرهم وقال محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان ثم قال لها ادخلي الصرح ليربها ملكا هو أعز ذلك وكره سليمان ذلك وقال للجن اصنعوا شيئا غير موسى يذهب به هذا الشعر فصنعوا له النورة وكان أول من اتخذت له النورة قاله ابن عباس ومجاهد رأى أحسن الناس ساقا وأحسنهم قدما لو كن رأى على رجلها شعرا لأنها ملكة ليس لها زوج فأحب أن يذهب ذلك عنها فقيل له موسى فقالت لا أستطيع هلب عظيم ومؤخر أقدامها كمؤخر الدابة فساءه ذلك فاتخذ هذا ليعلم صحته أم لا؟ هكذا قول محمد بن كعب القرظي وغيره فلما دخلت وكشفت عن ساقها وبينه واختلفوا في السبب الذي دعا سليمان عليه السلام إلى اتخاذه فقيل إنه عزم على تزوجها واصطفائها لنفسه ذكر له جمالها وحسنها ولكن في ساقها السلام أمر الشياطين فبنوا لها قصرا عظيما من قوارير أي من زجاج وأجرى تحته الماء فالذي لا يعرف أمره يحسب أنه ماء ولكن الزجاج يحول بين الماشي وذلك أن سليمان عليه

## تفسير ابن كثير

قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه؟ قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون. 45  
بعثه الله إليهم فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له فإذا هم فريقان يختصمون قال مجاهد: مؤمن وكافر كقوله تعالى قال المأ الذين استكبروا من  
يخبر تعالى عن ثمود وما كان من أمرها مع نبيها صالح عليه السلام حين  
أي لم تدعون بحضور العذاب ولا تطلبون من الله رحمته. 46

على ذلك بل أنتم قوم تفتنون قال قتادة تبتلون بالطاعة والمعصية والظاهر أن المراد بقوله تفتنون أي تستدرجون فيما أنتم فيه من الضلال. 47  
بكم لئن لم تنتهوا لرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم قالوا طائركم معكم الآية وقال هؤلاء أطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله أي الله يجازيكم  
عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله أي بقضائه وقدره وقال تعالى مخبرا عن أهل القرية إذ جاءها المرسلون قالوا إنا تطيرنا  
إخبارا عن قوم فرعون فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه الآية وقال تعالى وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من  
أنهم لشقائهم كان لا يصيب أحدا منهم سوء إلا قال هذا من قبل صالح وأصحابه قال مجاهد تشاءموا بهم قال مجاهد تشاءموا بهم وهذا كما قال الله تعالى  
أي ما رأينا على وجهك ووجوه من اتبعك خيرا وذلك

بينهم إلا من بأس والغرض أن هؤلاء الكفرة الفسقة كان من صفاتهم الإفساد في الأرض بكل طريق يقدر على فعلها فمنها ما ذكره هؤلاء الأئمة وغير ذلك. 48  
قطع الذهب والورق من الفساد في الأرض وفي الحديث الذي رواه أبو داود وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن كسر سكة المسلمين الجائزة  
يعني أنهم كانوا يأخذون منها وكأنهم كانوا يتعاملون بها عددا كما كان العرب يتعاملون وقال الإمام مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه قال  
بن ربيعة الصنعاني سمعت عطاء هو ابن أبي رباح يقول: وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون قال كانوا يقرضون الدراهم  
بن سالف عافر الناقة أي الذي باشر ذلك بيده قال الله تعالى: فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر وقال تعالى إذ أنبعث أشقاها وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر  
الله ولعنهم وقد فعل ذلك وقال السدي عن أبي مالك عن ابن عباس: كان أسماء هؤلاء التسعة دعي ودعيم وهريما وداب وصواب ورياب ومسطة وقدار  
هؤلاء على أمر ثمود لأنهم كانوا كبراءهم ورؤساءهم قال العوفي عن ابن عباس: هؤلاء هم الذين عقروا الناقة أي الذي صدر ذلك عن رأيهم ومشورتهم فحبهم  
به من أنهم لم يشاهدوا ذلك فقال تعالى وكان في المدينة أي مدينة ثمود تسعة رهط أي تسعة نفر يفسدون في الأرض ولا يصلحون وإنما غلب  
الناقة وهما بقتل صالح أيضا بأن بيوتته في أهله ليلا فيقتلوه غيلة ثم يقولوا لأوليائه من أقربيه أنهم ما علموا بشيء من أمره وإنهم لصادقون فيما أخبروهم  
يخبر تعالى عن طغاة ثمود ورءوسهم الذين كانوا دعاة قومهم إلى الضلال والكفر وتكذيب صالح وآل بهم الحال إلى أنهم عقروا

عليه السلام من لقيه ليلا غيلة فكادهم الله وجعل الدائرة عليهم قال مجاهد تقاسموا وتحالفوا على هلاكه فلم يصلوا إليه حتى هلكوا وقومهم أجمعين. 49  
أي تحالفوا وتبايعوا على قتل نبي الله صالح

أولئك الذين لهم سوء العذاب أي في الدنيا والآخرة وهم في الآخرة هم الأخسرون أي ليس يخسر أنفسهم وأموالهم سواهم من أهل المحشر. 5  
قال قتادة تواتقوا على أن يأخذوه ليلا فيقتلوه وذكر لنا أنهم بينما هم معانق إلى صالح ليفتكوا به إذ بعث الله عليهم صخرة فأهدمتهم. 50  
الذين عقروا الناقة قالوا حين عقروها لنبيتين صالحا وأهله فنقتله ثم نقول لأولياء صالح ما شهدنا من هذا شيئا وما لنا به من علم فدمرهم الله أجمعين. 51  
قال العوفي عن ابن عباس: هم

تشدهم فتابدروا فانطبقت عليهم الصخرة وهم في ذلك الغار فلا يدري قومهم أين هم ولا يدرون ما فعل بقومهم: فعذب الله هؤلاء ههنا وهؤلاء ههنا. 52  
إلى كهف أي غار هناك ليلا فقالوا إذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا إذا فرغنا منه إلى أهله ففرغنا منهم فبعث الله عليهم صخرة من الهضب حيالهم فخشوا أن  
غير مكذوب قالوا زعم صالح أنه يفرغ منا إلى ثلاثة أيام فنحن نفرغ منه وأهله قبل ثلاث وكان لصالح مسجد في الحجر عند شعب هناك يصلي فيه فخرجوا  
فأنتم من وراء ما تريدون فانصرفوا عنهم ليلتهم تلك وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم: لما عقروا الناقة قال لهم صالح تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد  
دونه ولبسوا السلاح وقالوا لهم والله لا تقتلونه أبدا وقد وعدكم أن العذاب نازل بكم في ثلاث فإن كان صادق فلا تزيدوا ربكم عليكم غضبا وإن كان كاذبا  
الملائكة بالحجارة فلما أبطئوا على أصحابهم أتوا منزل صالح فوجدوهم منشدين قد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح أنت قتلته ثم هموا به فقامت عشيرته  
قال هؤلاء التسعة بعد ما عقروا الناقة هلم فلنقتل صالح فإن كان صادقا عجلناه قبلنا وإن كان كاذبا كنا قد ألحقناه بناقته فأتوه ليلا لبيئته في أهله فدمغتهم  
قال محمد بن إسحاق

وقومهم أجمعين فتلک بيوتهم خاوية أي فارغة ليس فيها أحد بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون. 53  
وأنجى الله صالحا ومن معه ثم قرأ ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكربهم أنا دمرناهم

إتيان الذكور دون الإناث وذلك فاحشة عظيمة استغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء فقال أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون أي يرى بعضكم بعضا. 54  
يخبر تعالى عن عبده ورسوله لوط عليه السلام أنه أنذر قومه نقمة الله بهم في فعلهم الفاحشة التي لم يسبقهم إليها أحد من بني آدم وهي  
لا تعرفون شيئا لا طبعها ولا شرعا كما قال في الآية الأخرى أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون. 55

ومن إقراركم على صنيعكم فأخرجوهم من بين أظهركم فإنهم لا يصلحون لمجاورتكم في بلادكم فعزموا على ذلك فدمر الله عليهم وللكافرين أمثالها. 56  
أي يتخرجون من فعل ما تفعلونه

رضاهم بأفعالهم القبيحة فكانت تدل قومها على ضيفان لوط ليأتوا إليهم لا أنها كانت تفعل الفواحش تكرمة لنبي الله صلى الله عليه وسلم لا كرامة لها. 57  
أي من الهالكين مع قومها لأنها كانت رداء لهم على دينهم وعلى طريقتهم في

بعيد ولهذا قال فساء مطر المنذرين أي الذين قامت عليهم الحجة ووصل إليهم الإنذار فخالفوا الرسول وكذبوه وهموا بإخراجه من بينهم. 58

أي حجارة من سجل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين

عليه وسلم اصطفاهم الله لنبيه رضي الله عنهم وقوله تعالى آله خير أم ما يشركون استفهام إنكار على المشركين في عبادتهم مع الله آلهة أخرى. 59  
طلق بن غنام حدثنا الحكم بن ظهير عن السدي إن شاء الله عن أبي مالك عن ابن عباس وسلام على عباده الذين اصطفى قال هم أصحاب محمد صلى الله  
الخزي والتكال والقهر أن يحمدوه على جميع أفعاله وأن يسلموا على عباده المصطفين الأخيار وقد قال أبو بكر البزار حدثنا محمد بن عمار بن صبيح حدثنا  
فالأنبيا بطريق الأولى والأخرى والقصد أن الله تعالى أمر رسوله ومن اتبعه بعد ذكره لهم ما فعل بأوليائه من النجاة والنصر والتأييد وما أحل بأعدائه من  
والسدي هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم أجمعين وروي نحوه عن ابن عباس أيضا ولا منافاة فإنهم إذا كانوا من عباد الله الذين اصطفى  
إن المراد بعباده الذين اصطفى هم الأنبياء قال وهو كقوله سبحانه ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وقال الثوري  
يسلم على عباد الله الذين اصطفاهم واختارهم وهم رسله وأنبيأؤه الكرام عليهم من الله أفضل الصلاة والسلام هكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيره  
الله عليه وسلم أن يقول الحمد لله أي على نعمه على عباده من النعم التي لا تعد ولا تحصى وعلى ما اتصف به من الصفات العلى والأسماء الحسنى وأن  
يقول تعالى أمرا رسوله صلى

أي حكيم في أمره ونهيه عليم بالأمور جليلها وحقها فخبره هو الصدق المحض وحكمه هو العدل التام كما قال تعالى: وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا. 6  
أي وإنك يا محمد لتلقى أي لتأخذ القرآن من لدن حكيم عليم أي من عند حكيم عليم

لا يعلم ولا يسمع ولا يبصر من هذه الأصنام التي عبدوها من دون الله؟ ولهذا قال وجعلوا لله شركاء قل سموهم وهكذا هذه الآيات الكريكات كلها. 60  
ضلال مبين وقال تعالى أمن هو قائم على كل نفس بما كسبت أي أمن هو شهيد على أفعال الخلق حركاتهم وسكناتهم يعلم الغيب جليله وحقيقه كمن هو  
الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الأبواب أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في  
قال تعالى أمن هو قائم أثناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه أي أمن هو هكذا كمن ليس كذلك؟ ولهذا قال تعالى: قل هل يستوي  
الكلام ما يرشد إلى ذلك وقد قال الله تعالى آله خير أم ما يشركون ثم قال في الآية الأخرى بل هم قوم يعدلون أي يجعلون لله عدلا ونظيرا وهكذا  
السموات والأرض أمن في هذه الآيات كلها تقديره أمن يفعل هذه الأشياء كمن لا يقدر على شيء منها؟ هذا معنى السياق وإن لم يذكر الآخر لأن في قوة  
فيقال فكيف تعبدون معه غيره وهو المستقل المتفرد بالخلق والرزق والتدبير؟ كما قال تعالى أفمن يخلق كمن لا يخلق الآية وقوله تعالى ههنا أمن خلق  
من يقول معنى قوله: إله مع الله فعل هذا وهو يرجع إلى معنى الأول لأن تقدير الجواب أنهم يقولون ليس ثم أحد فعل هذا معه بل هو المتفرد به  
المتفرد بالخلق والرزق ولهذا قال تعالى: إله مع الله؟ أي إله مع الله يعبد وقد تبين لكم ولكل ذي لب مما يعترفون به أيضا أنه الخالق الرازق ومن المفسرين  
أي هم معترفون بأنه الفاعل لجميع ذلك وحده لا شريك له ثم هم يعبدون معه غيره مما يعترفون أنه لا يخلق ولا يرزق وإنما يستحق أن يفرد بالعبادة من هو  
كما قال تعالى في الآية الأخرى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله  
تقدرون على إنبات أشجارها وإنما يقدر على ذلك الخالق الرازق المستقل بذلك المتفرد به دون ما سواه من الأصنام والأنداد كما اعترف به هؤلاء المشركون  
أي جعله رزقا للعباد فأثبتنا به حقائق أي بساتين ذات بهجة أي منظر حسن وشكل حسن وشكل بهي ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أي لم تكونوا  
والفيافي والقفار والزرع والأشجار والثمار والبحار والحيوان على اختلاف الأصناف والأشكال والألوان وغير ذلك وقوله تعالى: وأنزل لكم من السماء ماء  
وما جعل فيها من الكواكب النيرة والنجوم الزاهرة والأفلاك الدائرة وخلق الأرض في استفالها وكتافتها وما جعل فيها من الجبال والأطواد والسهول والأوعار  
أمن خلق السموات أي خلق تلك السموات في ارتفاعها وصفائها

قال تعالى: إله مع الله؟ أي فعل هذا أو يعبد على القول الأول والآخر؟ وكلاهما متلازم صحيح بل أكثرهم لا يعلمون أي في عبادتهم غيره. 61  
ملحا أجاجا لئلا يفسد الهواء بريحها كما قال تعالى: وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا ولهذا  
منها أن تكون عذبة زلالا يسقي الحيوان والنبات والثمار منها والبحار المالحة هي المحيطة بالأرجاء والأقطار من كل جانب والمقصود منها أن يكون ماؤها  
هذا بهذا وهذا بهذا فإن الحكمة الإلهية تقتضي بقاء كل منهما على صفته المقصودة منه فإن البحر الحلو هو هذه الأنهار السارحة الجارية بين الناس والمقصود  
شامخة ترسي الأرض وتثبتها لئلا تميد بكم وجعل بين البحرين حاجزا أي جعل بين المياه العذبة والمالحة حاجزا أي مانعا يمنعها من الإختلاط لئلا يفسد  
وشملا بحسب مصالح عباده في أقاليمهم وأقطارهم حيث ذرأهم في أرجاء الأرض وسير لهم أرزاقهم بحسب ما يحتاجون إليه وجعل لها رواسي أي جبالا

## تفسير ابن كثير

بناء وجعل خلخالها أنهارا أي جعل فيها الأنهار العذبة الطيبة شقها في خلخالها وصرفها فيها ما بين أنهار كبار وصغار وبين ذلك وسيرها شرقا وغربا وجنوبا العيش والحياة بل جعلها من فضله ورحمته مهادا بساطا ثابتة لا تتزلزل ولا تتحرك كما قال تعالى في الآية الأخرى الله الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء أمنا جعل الأرض قرارا أي قارة ساكنة ثابتة لا تميد ولا تتحرك بأهلها ولا ترجف بهم فإنها لو كانت كذلك لما طاب عليها علم أن الله هو المتفرد بفعل ذلك وحده لا شريك له ؟ قليلا ما تذكرون أي ما أقل تذكرهم فيما يرشدكم إلى الحق ويهديهم إلى الصراط المستقيم. 62 الكتاب أجله ولهذا قال تعالى: أمنا يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض إله مع الله أي يقدر على ذلك أو إله مع الله بعيد وقد بعد قرون وأما بعد أمنا حتى ينقضي الأجل وتفرغ البرية كما قدر ذلك تبارك وتعالى وكما أحصاهم وعدهم عدا ثم يقيم القيامة ويوفي كل عامل عمله إذا بلغ وأكسابهم ويتضرر بعضهم ببعض ولكن اقتضت حكمته وقدرته أن يخلقهم من نفس واحدة ثم يكثرهم غاية الكثرة ويذرهم في الأرض ويجعلهم قرون ولو شاء أن يجعلهم بعضهم من ذرية بعض ولكن لا يميت أحدا حتى تكون وفاة الجميع في وقت واحد لكأن تضييق عنهم الأرض وتضييق عليهم معاشهم بعد جيل وقوما بعد قوم ولو شاء لأوجدتهم كلهم في وقت واحد ولم يجعل بعضهم من ذرية بعض بل لو شاء لخلقهم كلهم أجمعين كما خلق آدم من تراب ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة أي قوما يخلف بعضهم بعضا كما قدمنا تقريره وهكذا هذه الآية ويجعلكم خلفاء الأرض أي أمة بعد أمة وجيلا من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين وقال تعالى وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات وقال تعالى: وإذ قال فأخذاهما ورجع الرجل سالما وقوله تعالى: ويجعلكم خلفاء الأرض أي يخلف قرنا لقرن قبلهم وخلفا لسلف كما قال تعالى: إن يشأ يذهبكم ويستخلف آخر من جهة ملك الروم ليتساعدا على أسره فلما اكتنفاه ليأخذه رفع طرفه إلى السماء وقال اللهم إنه إنما خدعني بك فاكفنيهما بما شئت قال فخرج سبعان من المرتدين عنده فلما انتهى إليه أظهر له أنه قد حسنت نيته في الإسلام وقومه حتى استوثق ثم خرجا يوما يمشيان على جنب الساحل وقد واعد شخصا أمره بين الناس وجعلوا يقصدونه ليسمعوا منه ذلك وبلغ ملك الروم أمره فقال ما تضام بلدة يكون هذا الرجل فيها واحتال ليحصله في بلده فبعث إليه رجلا إلا القليل؟ فقال لك علي عهد الله أني لا أعلفك بعد هذا اليوم إلا في حجري فجري الجواد عند ذلك ونجى صاحبه وكان لا يعلمه بعد ذلك إلا في حجره واشتهر ومن الصلحاء فقال للجواد مالك وبلك إنما كنت أعدك لمثل هذا اليوم فقال له الجواد ومالي لا أقصر وأنت تكل العلوفة إلى السواس فيظلموني ولا يطعموني ورجعت سالما وذكر في ترجمة فاطمة بنت الحسن أم أحمد العجيلة قالت هزم الكفار يوما المسلمين في غزاة فوقف جواد جيد بصاحبه وكان من ذوي اليسار فما أخطأت فؤاده فخر صريعا فتعلقت بالفارس وقلت بالله من أنت؟ فقال أنا رسول الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء قال فأخذت البغل والحمل افترج فأجرى الله على لساني قوله تعالى: أمنا يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء فإذا أنا بفارس قد أقبل من فم الوادي وبيده حربة فرمى بها الرجل وقلت إن رأيت أن تتركني حتى أصلي ركعتين فقال عجل فقامت أصلي فأرتج علي القرآن فلم يحضرني منه حرف واحد فبقيت واقفا متحيرا وهو يقول هيه ففررت من بين يديه وتبعني فنادته الله وقلت خذ البغل بما عليه فقال هو لي وإنما أريد قتلك فخوفته الله والعقوبة فلم يقبل فاستسلمت بين يديه فسلكناها فانتهينا إلى مكان وعروود عميق وفيه قتلى كثيرة فقال لي امسك رأس البغل حتى أنزل فنزل وتشمر وجمع عليه ثيابه وسل سكيننا معه وقصدي فركب معي ذات مرة رجل فمررنا على بعض الطريق عن طريق غير مسلوكة فقال لي خذ في هذه فإنها أقرب فقلت لا خيرة لي فيها فقال بل هي أقرب في ترجمة رجل حكى عنه أبو بكر محمد بن داود الدينوري المعروف بالدقي الصوفي قال هذا الرجل كنت أكره على بغل لي من دمشق إلى بلد الزبداني فإني أجعل له من بين ذلك مخرجا ومن لم يعتصم بي فإني أخسف به من تحت قدميه الأرض فأجعله في الهواء فأكله إلى نفسه وذكر الحافظ ابن عساكر المضطر إذا دعاه وقال وهب بن منبه قرأت في الكتاب الأول إن الله تعالى يقول: بعزتي إنه من اعتصم بي فإن كادته السموات بمن فيهن والأرض بمن فيهن بن نوح عن عمر بن الحجاج عن عبيد الله بن أبي صالح قال: دخل علي طائوس يعودني فقلت له ادع الله لي يا أبا عبد الرحمن فقال ادع لنفسك فإنه يجيب ولا شاة ولا بعيرا وقد روى أبو داود والنسائي لهذا الحديث طرقا وعندهما طرف صالح منه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن هشام حدثنا عبدة تعلم فيه فإنه يكون لك أجره وعليه وزره وإياك وإسبال الإزار فإن إسبال الإزار من المخيلة وإن الله لا يحب المخيلة ولا تسبب أحدا قال فما سببت بعده أحدا قال لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك ووجهك منبسط ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستقي وإن امرؤ شتمك بما يعلم فيك فلا تشتمه بما محتب بشملة وقد وقع هدبها على قدميه فقلت أيكم محمد رسول الله؟ فأومأ بيده إلى نفسه فقلت يا رسول الله أنا من أهل البادية وفي جفاؤهم فأوصني حدثنا يونس هو ابن عبيد حدثنا عبدة الهجيمي عن أبيه عن أبي تيممة الهجيمي عن جابر بن سليم الهجيمي قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الإزار فإن إسبال الإزار من المخيلة وإن الله لا يحب المخيلة وقد رواه الإمام أحمد من وجه آخر فذكر اسم الصحابي فقال: حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة في المعروف ولو أن تلقى أخاك وأنت منبسط إليه وجهك ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستقي واتزر إلى نصف الساق فإن أبيت فإلى الكعبين وإياك وإسبال فدعوته كشف عنك والذي إن أضللت بأرض كفر فدعوته رد عليك والذي إن أصابتك سنة فدعوته أنبت لك قال قلت أوصني قال لا تسبب أحدا ولا تزهدن أنبأنا وهيب أنبأنا خالد الحذاء عن أبي تيممة الهجيمي عن رجل من بلهجوم قال قلت يا رسول الله إلام تدعو؟ قال أدعو إلى الله وحده الذي إن مسك ضر وهكذا قال ههنا أمنا يجيب المضطر إذا دعاه أي من هو الذي لا يلجأ المضطر إلا إليه والذي لا يكشف ضر المضربين سواه قال الإمام أحمد أنبأنا عفان المدعو عند الشدائد المرجو عند النوازل كما قال تعالى: وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه وقال تعالى: ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون يئنه تعالى أنه هو

بشرا بين يدي رحمته أي بين يدي السحاب الذي فيه مطر يغيث الله به عباده المجدين الأزلين القنطين إله مع الله تعالى الله عما يشركون. 63

## تفسير ابن كثير

كما قال تعالى وعلامات وبالنجم هم يهتدون وقال تعالى وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر الآية ومن يرسل الرياح أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر أي بما خلق من الدلائل السماوية والأرضية

في ذلك وقد علم أنه لا حاجة لهم ولا برهان كما قال تعالى ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون. 64 ولهذا قال تعالى أله مع الله أي فعل هذا وعلى القول الآخر بعد هذا قل هاتوا برهانكم على صحة ما تدعونه من عبادة آلهة أخرى إن كنتم صادقين فيسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به منها أنواع الزروع والثمار والأزاهير وغير ذلك من ألوان شتى كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي النهى والأرض ذات الصدع وقال تعالى يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها فهو تبارك وتعالى ينزل من السماء ماء مبارك ثم يعيده وهو أهون عليه ومن يرزقكم من السماء والأرض أي بما ينزل من مطر السماء وينبت من بركات الأرضي كما قال تعالى والسماء ذات الرجع هو الذي بقدرته وسلطانه يبدأ الخلق ثم يعيده كما قال تعالى في الآية الأخرى إن بطش ربك لشديد إنه هو ببدء ويعيد وقال تعالى: وهو الذي يبدأ الخلق

أي

تعالى أنه لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أياں يبعثون رواه ابن أبي حاتم عنه بحروفيه وهو كلام جليل متين صحيح. 65 ولعمري ما من نجم إلا يولد به الأحمر والأسود والقصير والطويل والحسن والديميم وما علم هذا النجم وهذه الدابة وهذا الطير بشيء من الغيب وقضى الله الله قد أحدثوا من هذه النجوم كهانة من أعرس بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا ومن ولد بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا وجعلها يهتدى بها وجعلها رجوما للشياطين فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد قال برأيه وأخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به وإن أناسا جهلة بأمر الله الفرية لأن الله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وقال قتادة إنما جعل الله هذه النجوم لثلاث خصال جعلها زينة للسماء بن أبي هند عن الشعبي عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت من زعم أنه يعلم يعني النبي صلى الله عليه وسلم ما يكون في غد فقد أعظم على الأرض لا تأتيكم إلا بفتنة أي ثقل علمها على أهل السموات والأرض وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن الجعد حدثنا أبو جعفر الرازي عن داود هذا كثيرة وقوله تعالى: وما يشعرون أياں يبعثون أي وما يشعر الخلائق الساكنون في السموات والأرض بوقت الساعة كما قال تعالى ثقلت في السموات لا شريك له كما قال تعالى: وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو الآية وقال تعالى: إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيب إلى آخر السورة والآيات في أنه لا يعلم أحد من أهل السموات والأرض الغيب إلا الله وقوله تعالى: إلا الله استثناء منقطع أي لا يعلم أحد ذلك إلا الله عز وجل فإنه المنفرد بذلك وحده يقول تعالى أمرا رسوله صلى الله عليه وأن يقول معلما لجميع الخلق

منكم وهكذا قال ههنا بل هم في شك منها أي شاكون في وجودها ووقوعها بل هم منها عمون أي في عماية وجهل كبير في أمرها وشأنها. 66 عائد على الجنس والمراد الكافرون كما قال تعالى وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا أي الكافرون سفيان عن عمرو بن عبيد عن الحسن أنه كان يقرأ بل أدرك علمهم قال اضمحل علمهم في الدنيا حين عاينوا الآخرة وقوله تعالى بل هم في شك منها والسدي أن علمهم إنما يدرك ويكمل يوم القيامة حيث لا ينفعهم ذلك كما قال تعالى أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين وقال لهم علم في الآخرة هذا قول وقال ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس بل ادرك علمهم في الآخرة حين لم ينفع العلم وبه قال عطاء الخراساني قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس بل ادرك علمهم في الآخرة أي غاب وقال قتادة بل ادرك علمهم في الآخرة يعني بجهلهم بربهم يقول لم ينفع صلى الله عليه وسلم قال لجبريل وقد سأله عن وقت الساعة ما المسئول عنها بأعلم من السائل أي تساوى في العجز عن ذلك علم المسئول والسائل أي انتهى علمهم وعجز عن معرفة وقتها وقرأ آخرون بل أدرك علمهم أي تساوى علمهم في ذلك كما في الصحيح لمسلم أن رسول الله

يقول تعالى مخبرا عن منكري البعث من المشركين أنهم استبعدوا إعادة الأجساد بعد صيرورتها عظاما ورفاتا وترابا. 67

أساطير الأولين يعنون ما هذا الوعد بإعادة الأبدان إلا أساطير الأولين أي أخذه قوم عن قبلهم من كتب يتلقاه بعض عن بعض وليس له حقيقة. 68 أي ما زلنا نسمع بهذا نحن وأبائنا ولا نرى له حقيقة ولا وقوعا وقولهم إن هذا إلا

كيف حلت بهم نقمة الله وعذابه ونكاله ونجى الله من بينهم رسله الكرام ومن اتبعهم من المؤمنين فدل ذلك على صدق ما جاءت به الرسل وصحته. 69 قل يا محمد لهؤلاء سيروا في الأرض انظروا كيف كان عاقبة المجرمين أي المكذبين بالرسل وبما جاءوهم به من أمر المعاد وغيره

بخبر أي الطريق أو آتيكم منها بشهاب قبس لعلكم تصطلون أي تستدفنون به وكان كما قال فإنه رجع منها بخبر عظيم واقتبس منها نورا عظيم. 7 حين سار موسى بأهله فأصل الطريق وذلك في ليل وظلام فأنس من جانب الطور نارا أي رأى نارا تأجج وتضطرم فقال لأهله إني آنست نارا سأتيكم منها العظيمة الباهرة والأدلة القاهرة وابتعثه إلى فرعون وملئه فجدوا بها وكفروا واستكبروا من اتباعه والانقياد له فقال تعالى: إذ قال موسى لأهله أي اذكر يقول تعالى لرسوله محمد مذكرا له ما كان من أمر موسى عليه السلام كيف اصطفاه الله وكلمه ونجاه وأعطاه من الآيات

ولا تكن في ضيق مما يمكرون أي في كيدك ورد ما جئت به فإن الله مؤيدك وناصرك ومظهر دينك على من خالفه وعانده في المشارق والمغارب. 70 ثم قال تعالى مسلينا لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تحزن عليهم أي المكذبين بما جئت به ولا تأسف عليهم وتذهب نفسك عليهم حسرات

يقول تعالى مخبرا عن المشركين في سؤالهم عن يوم القيامة واستبعادهم وقوع ذلك ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين. 71

## تفسير ابن كثير

بالكافرين وإنما دخلت اللام في قوله ردف لكم لأنه ضمن معنى عجل لكم كما قال مجاهد في رواية عنه عسى أن يكون ردف لكم عجل لكم. 72  
الخراساني وقتادة والسدي وهذا هو المراد بقوله تعالى ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريباً وقال تعالى ويستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطه  
عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون قال ابن عباس أن يكون قرب أو أن يقرب لكم بعض الذي تستعجلون وهكذا قال مجاهد والضحاك وعطاء  
قل يا محمد

أي في إسباغه نعمه عليهم مع ظلمهم لأنفسهم وهم مع ذلك لا يشكرونه على ذلك إلا القليل منهم. 73

ثيابه يعلم ما يسرون وما يعلنون ثم أخبر تعالى بأنه عالم غيب السموات والأرض وأنه عالم الغيب والشهادة وهو ما غاب عن العباد وما شاهدوه. 74  
أي يعلم الضمائر والسرائر كما يعلم الظواهر سواء منكم من أسر القول ومن جهر به يعلم السر وأخفى ألا حين يستغشون  
شي في السماء والأرض إلا في كتاب مبين وهذه كقوله ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير. 75  
فقال تعالى وما من غائبة قال ابن عباس يعني وما من

العدل أنه عبد من عباد الله وأنبيائه ورسله الكرام عليه أفضل الصلاة والسلام كما قال تعالى ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون. 76  
حملة التوراة والإنجيل أكثر الذي هم فيه يختلفون كاختلافهم في عيسى وتبانيهم فيه فاليهود افترخوا والنصارى غلوا فجاء القرآن بالقول الوسط الحق  
يقول تعالى مخبراً عن كتابه العزيز وما اشتمل عليه من الهدى والبيان والفرقان أنه يقص على بني إسرائيل وهم

أي هدى لقلوب المؤمنين به ورحمة لهم في العمليات. 77

إن ربك يقضي بينهم أي يوم القيامة بحكمه وهو العزيز أي في انتقامه العليم بأفعال عباده وأقوالهم. 78

الحق المبين أي أنت على الحق المبين وإن خالفك من خالفك ممن كتبت عليه الشقاوة حقت عليهم كلمة ربك أنهم لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية. 79  
فتوكل على الله أي في جميع أمورك وبلغ رسالة ربك إنك على

يحيط به شيء من مصنوعاته وهو العلي العظيم المبين لجميع المخلوقات لا يكتنفه الأرض والسموات بل هو الأحد الصمد المنزه عن مماثلة المحدثات. 8  
مخرج في صحيح مسلم من حديث عمرو بن مرة وقوله تعالى: وسبحان الله الذي يفعل ما يشاء ولا يشبهه شيء من مخلوقاته ولا  
وحجابه النور أو النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره ثم قرأ أبو عبيدة أن بورك من في النار ومن حولها وأصل الحديث  
الله صلى الله عليه وسلم إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل زاد المسعودي  
يونس بن حبيب حدثنا أبو داود هو الطيالسي حدثنا شعبة والمسعودي عن عمرو بن مرة سمع أبا عبيدة يحدث عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول  
بورك من في النار قال ابن عباس تقديس ومن حولها أي من الملائكة قاله ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وقال ابن أبي حاتم حدثنا  
بعنان السماء قال ابن عباس وغيره لم تكن نارا وإنما كانت نورا يتوهج وفي رواية عن ابن عباس نور رب العالمين فوقف موسى متعجباً مما رأى فنودي أن  
منظراً هائلاً عظيماً حيث انتهى إليها والنار تضطرم في شجرة خضراء لا تزداد النار إلا توقداً ولا تزداد الشجرة إلا خضرة ونضرة ثم رفع رأسه فإذا نورها متصل  
فلما أتاها ورأى

أي لا تسمعهم شيئاً ينفعهم فكذلك هؤلاء على قلوبهم غشاوة وفي آذانهم وقر الكفر. 80

أي إنما يستجيب لك من هو سميع بصير السمع والبصر النافع في القلب والبصيرة الخاضع لله ولما جاء عنه على أسنة الرسل. 81

الجنة ويا فلان أنت من أهل النار فذلك قول الله تعالى وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون. 82  
الأسواق بكم ذا يا مؤمن بكم ذا يا كافر وحتى إن أهل البيت يجلسون على مائدتهم فيعرفون مؤمنهم من كافرهم ثم تقول لهم الدابة يا فلان أبشر أنت من أهل  
حتى يبيض لها وجهه ولا يبقى كافر إلا نكتت في وجهه نكتة سوداء بخاتم سليمان فتفشوا تلك النكتة حتى يسود بها وجهه حتى إن الناس يتبايعون في  
بغير بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعاً تخرج معها عصا موسى وخاتم سليمان فلا يبقى مؤمن إلا نكتت في وجهه بعضا موسى نكتة بيضاء فتفشوا تلك النكتة  
عين خنزير وأذنها أذن فيل وقرنها قرن أبل وعنقها عنق نعامة وصدورها صدر أسد ولونها لون نمر وخالصتها خاصرة هر وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم  
ولها لحية وإنها لتخرج حضر الفرس الجواد ثلاثاً وما خرج ثلثها رواه ابن أبي حاتم وقال ابن جريج عن أبي الزبير أنه وصف الدابة فقال رأسها رأس ثور وعينها  
قرنيها فرسخ للراكب وقال ابن عباس هي مثل الحربة الضخمة وعن أمير المؤمنين على بن أبي طالب أنه قال إنها دابة لها ريش وزغب وحافر وما لها ذنب  
حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو صالح كاتب الليث حدثني معاوية بن صالح عن أبي مريم أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول إن الدابة فيها من كل لون ما بين  
العلم وتكلم الأرض التي تليها وفي ذلك الزمان يرجو الناس مالا يبلغون ويتعبون فما لا ينالون ويعملون فيما لا يأكلون رواه ابن أبي حاتم عنه وقال ابن أبي  
أنه قال وتخرج من تحت سدوم دابة تكلم الناس كل يسمعها وتضع الحبال قبل التمام ويعود الماء العذب أجاجاً ويتعادي الأخلاء وتحرق الحكمة ويرفع  
لا أعلم وعن عبد الله بن عمر أنه قال تخرج الدابة ليلة جمع رواه ابن أبي حاتم وفي إسناده ابن البيهقان وعن وهب بن منبه أنه حكى من كلام عذير عليه السلام  
فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل اليمن فتصرخ صرخة تنفذه ثم تروح من مكة فتصبح بعسفان قيل ثم ماذا قال ثم

## تفسير ابن كثير

أو لو شئت بعصاي الصخرة التي تخرج الدابة من تحتها قيل فتصنع ماذا يا عبدالله بن عمرو فقال تستقبل المشرق فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل الشام  
لم يخرج ثلثها وقال محمد بن إسحاق عن أبان بن صالح قال سئل عبدالله بن عمرو عن الدابة فقال الدابة تخرج من تحت صخرة بجياد والله لو كنت معهم  
ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبدالله بن رجاء حدثنا فضيل بن مرزوق عن عطية قال قال عبدالله تخرج الدابة من صدع من الصفا كجري الفرس ثلاثة أيام  
فإذا هو بعصاي هذه كذا وكذا وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة أن ابن عباس قال: هي دابة ذات زغب لها أربع قوائم تخرج من بعض أودية تهامة وقال  
حولها رمل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تخرج الدابة من هذا الموضع فإذا فتر في شبر قال ابن بريدة فحججت بعد ذلك بسنين فأرانا عصا له  
نميلة حدثنا خالد بن عبيد حدثنا عبدالله بن بريدة عن أبيه قال ذهب بي ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى موضع بالبادية قريب من مكة فإذا أرض يابسة  
ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يونس ابن محمد المؤدب عن حماد بن سلمة به حديث آخر قال ابن ماجه حدثنا أبو غسان محمد بن عمرو وحدثنا أبو  
به وقال فتحطم أنف الكافر بالخاتم وتجلو وجه المؤمن بالعصا حتى إن أهل الخوان الواحد ليجتمعون فيقول هذا يا مؤمن ويقول هذا يا كافر ورواه ابن  
وجه المؤمن بالخاتم حتى يجتمع الناس على الخوان يعرف المؤمن من الكافر ورواه الإمام أحمد عن بهز وعفان ويزيد بن هارون ثلاثتهم عن حماد بن سلمة  
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تخرج دابة الأرض ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام فتحطم أنف الكافر بالعصا وتجلي  
وخويصة أحدكم وأمر العامة تفرد به حديث آخر قال أبو داود الطيالسي حدثنا حماد ابن سلمة عن علي بن زيد عن أويس بن خالد عن أبي هريرة رضي  
حبيب عن سنان بن سعيد عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالأعمال ستا طلوع الشمس من مغربها والدخان والدابة والدجال  
وأمر العامة وخويصة أحدكم حديث آخر قال ابن ماجه حدثنا حرملة بن يحيى حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث وابن لهيعة عن يزيد بن أبي  
زيد بن رباح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالأعمال ستا الدجال والدخان ودابة الأرض وطلوع الشمس من مغربها  
قال بادروا بالأعمال ستا طلوع الشمس من مغربها والدخان والدابة وخاصة أحدكم وأمر العامة تفرد به وله من حديث قتادة عن الحسن عن  
آخر روى مسلم في صحيحه من حديث العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب مولى الحرقة عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
يقول إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيتهما كانت قبل صاحبها فالأخرى على أثرها قريبا حديث  
يطوف بالبيت ولكن إسناده لا يصح حديث آخر قال مسلم بن الحجاج حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا محمد بن بشر سمعت النبي صلى الله عليه وسلم  
ورواه ابن جرير من طريقين عن حذيفة ابن أسيد موقوفا والله أعلم ورواه من رواية حذيفة بن اليمان مرفوعا وإن ذلك في زمان عيسى ابن مريم وهو  
في الأموال ويصطحبون في الأمصار يعرف المؤمن من الكافر حتى إن المؤمن ليقول يا كافر اقضني حقي وحتى إن الكافر ليقول يا مؤمن اقضني حقي  
ولا ينجو منها هارب حتى إن الرجل ليتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول يا فلان الآن تصلي فيقبل عليها فتسمه في وجهه ثم تنطلق ويشترك الناس  
ومعا وبقيت عصابة من المؤمنين وعرفوا أنهم لم يعجزوا الله فبدأت بهم فجلت وجوههم حتى جعلتها كأنها الكوكب الدري وولت في الأرض لا يدركها طالب  
الناس في أعظم المساجد على الله حرمة وأكرمها المسجد الحرام لم يرعهم إلا وهي ترغو بين الركن والمقام تنفض عن رأسها التراب فارفض الناس عنها شتى  
زما طويلا ثم تخرج خرقة أخرى دون تلك فيعلو ذكرها في أهل البادية ويدخل ذكرها القرية- يعني مكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بينما  
رسول الله صلى الله عليه وسلم الدابة فقال لها ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خرقة من أقصى البادية ولا يدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم تكمن  
حدثه عن حذيفة بن أسيد الغفاري أبي سريحة وأما جرير فقال عن عبدالله بن عبيد عن رجل من آل عبدالله بن مسعود وحديث طلحة أثم وأحسن قال ذكر  
أعلم طريق أخرى قال أبو داود الطيالسي عن طلحة بن عمرو وجرير بن حازم فأما طلحة فقال أخبرني عبدالله بن عبيدالله بن عمير الليثي أن أبا الطفيل  
أبي الطفيل عامر بن واثلة عن حذيفة مرفوعا وقال الترمذي حسن صحيح ورواه مسلم أيضا من حديث عبد العزيز بن رفيع عن أبي الطفيل عنه موقوفا فאלله  
ونار تخرج من قعر عدن تسوق أو تحشر الناس تبیت معهم حيث باتوا وتقبل معهم حيث قالوا وهكذا رواه مسلم وأهل السنن من طرق عن فرات القزاز عن  
والدابة وخروج يأجوج ومأجوج وخروج عيسى ابن مريم عليه السلام والدجال وثلاثة خسوف خسف بالمغرب وخسف بالمشرق وخسف بجزيرة العرب  
أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من غرفة ونحن نتذاكر أمر الساعة فقال لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات طلوع الشمس من مغربها والدخان  
ذكر الدابة أحاديث وأثار كثيرة فلنذكر منها ما تيسر وبالله المستعان قال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن فرات عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال  
القول نظر لا يخفى والله أعلم وقال ابن عباس في رواية تجرحهم وعنه رواية قال كلا تفعل يعني هذا وهذا وهو قول حسن ولا منافاة والله أعلم وقد ورد في  
تكلمهم كلاما أي تخاطبهم مخاطبة وقال عطاء الخراساني تكلمهم فتقول لهم إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ويروى هذا عن علي واختاره ابن جرير وفي هذا  
قيل من مكة وقيل من غيرها كما سيأتي تفصيله إن شاء الله تعالى فتكلم الناس على ذلك قال ابن عباس والحسن وقاتدة ويروى عن علي رضي الله عنه  
هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق يخرج الله لهم دابة من الأرض  
تعالى فهم يوزعون قال ابن عباس رضي الله عنهم: يدفعون وقال قتادة وزعه ترد أولهم على آخرهم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يساقون. 83  
أي من كل قوم وقرن فوجا أي جماعة ممن يكذب بآياتنا كما قال تعالى احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وقال تعالى وإذا النفوس زوجت وقوله  
بآيات الله ورسله إلى بين يدي الله عز وجل ليسألهم عما فعلوه في الدار الدنيا تقريرا وتوبيخا وتصغيرا وتحقيرا فقال تعالى ويوم نحشر من كل أمة فوجا  
يقول تعالى مخبرا عن يوم القيامة وحشر الظالمين من المكذبين

كذب وتولى فحينئذ قامت عليهم الحجة ولم يكن لهم عذر يعتذرون به كما قال الله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون الآية. 84

## تفسير ابن كثير

بها علما أم ماذا كنتم تعملون أي فيسئلون عن إعتقادهم وأعمالهم فلما لم يكونوا من أهل السعادة وكانوا كما قال الله عنهم فلا صدق ولا صلي ولكن حتى إذا جاءوا ووقفوا بين يدي الله عز وجل في مقام المسألة قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا

أي بهتوا فلم يكن لهم جواب لأنهم كانوا في الدار الدنيا ظلمة لأنفسهم وقد ردوا إلى عالم الغيب والشهادة الذي لا تخفى عليه خافية. 85

فبسبب ذلك يتصرفون في المعاش والمكاسب والأسفار والتجارات وغير ذلك من شئونهم التي يحتاجون إليها إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون. 86 الليل ليسكنوا فيه أي في ظلام الليل لتسكن حركاتهم بسببه وتهذا أنفاسهم ويستريحون من نصب التعب في نهارهم والنهار مبصرا أي منيرا مشرقا قدرته التامة وسلطانه العظيم وشأنه الرفيع الذي تجب طاعته والانقياد لأوامره وتصديق أنبيائه فيما جاءوا به من الحق الذي لا محيد عنه ألم يروا أنا جعلنا ثم قال تعالى منها على

فيها كما يدب السم في اللدغ ثم يقومون ينفضون التراب من قبورهم قال الله تعالى يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون. 87 تتوهج أرواح المؤمنين نورا وأرواح الكافرين ظلمة فيقول الله عز وجل وعزتي وجلالي لترجعن كل روح إلى جسدها فتجيء الأرواح إلى أجسادها فتدب النفخة الثالثة يأمر الله الأرواح فتوضع في ثقب في الصور ثم ينفخ إسرافيل فيه بعدما تثبت الأجساد في قبورها وأماكنها فإذا نفخ في الصور طارت الأرواح أحد عن أمره كما قال تعالى يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وقال تعالى ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون وفي حديث الصور أنه في من القبور لجميع الخلائق ولهذا قال تعالى وكل أتوه داخرين قري بالمد وبغيره على الفعل وكل بمعنى واحد وداخرين أي صاغرين مطيعين لا يتخلف صفحة العنق أي أمال عنقه ليستمتع من السماء جيدا فهذه نفخة الفزع ثم بعد ذلك نفخة الصعق وهو الموت ثم بعد ذلك نفخة القيام لرب العالمين وهو النشور وتسعة وتسعون قال فذلك يوم يجعل الولدان شيبا وذلك يوم يكشف عن ساق وقوله ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليता ورفع ليता الليت هو أخرى فإذا هم قيام ينظرون ثم يقال يا أيها الناس هلموا إلى ربكم وقفوهم إنهم مسئولون ثم يقال أخرجوا بعث النار فيقال من كم فيقال من كل ألف تسعمائه حوض إبله قال فيصعق ويصعق الناس ثم يرسل الله أو قال ينزل الله مطرا كأنه الطل أو قال الظل شعبة الشاك فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه بعبادة الأوثان وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليता ورفع ليता قال وأول من يسمعه رجل يلوط شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فيتمثل لهم الشيطان فيقول ألا تستجيبون فيقولون فما تأمرنا؟ فيأمرهم من خير أو إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحداكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه قال سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيبقى فيطلبه فيهلكه ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة وسلم يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين لا أدري أربعين يوما أو أربعين شهرا أو أربعين عاما فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود لقد هممت أن لا أحدث أحدا شيئا أبدا إنما قلت إنكم سترون بعد قليل أمرا عظيما يخرّب البيت ويكون ويكون ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه بن عمرو رضي الله عنه وجاءه رجل فقال ما هذا الحديث الذي تحدث أن الساعة تقوم إلى كذا وكذا؟ فقال سبحان الله؟ أو لا إله إلا الله أو كلمة نحوها بن الحجاج حدثنا عبد الله بن معاذ العنبري حدثنا أبي حدثنا شعبة عن النعمان بن سالم سمعت يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي سمعت عبد الله الساعة على شرار الناس من الأحياء فيفزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله وهم الشهداء فإنهم أحياء عند ربهم يرزقون قال الإمام مسلم قرن ينفخ فيه وفي حديث الصور إن إسرافيل هو الذي ينفخ فيه بأمر الله تعالى فينفخ فيه أولا نفخة الفزع ويطولها وذلك في آخر عمر الدنيا حين تقوم يخبر تعالى عن هول يوم نفخة الفزع في الصور وهو كما جاء في الحديث

أي أتقن كل ما خلق وأودع فيه من الحكمة ما أودع إنه خبير بما يفعلون أي هو عليم بما يفعل عباده من خير وشر وسيجازيهم عليه أتم الجزاء. 88 وقال تعالى ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وقوله تعالى صنع الله الذي أتقن كل شيء أي يفعل ذلك بقدرته العظيمة الذي أتقن كل شيء يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا وقال تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيزورها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب أي تراها كأنها ثابتة باقية على ما كانت عليه وهي تمر مر السحاب أي تزول عن أماكنها كما قال تعالى الآية الأخرى لا يحزنهم الفزع الأكبر وقال تعالى أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة وقال تعالى وهم في الغرفات آمنون. 89 قال قتادة بالإخلاص وقال زين العابدين هي لا إله إلا الله وقد بين تعالى في الموضع الآخر أن له عشر أمثاله وهم من فزع يومئذ آمنون كما قال في أعلمه أن الذي يخاطبه ويناجيه هو ربه الله العزيز الذي عز كل شيء وقهره وغلبه الحكيم في أقواله وأفعاله. 9

وائل وأبو صالح ومحمد ابن كعب وزيد بن أسلم والزهرى والسدي والضحاك والحسن وقتادة وابن زيد في قوله ومن جاء بالسيئة يعني بالشرك. 90 إلا ما كنتم تعملون وقال ابن مسعود وابن عباس وأبو هريرة رضي الله عنهم وأنس بن مالك وعطاء وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وإبراهيم النخعي وأبو أي من لقي الله مسينا لا حسنة له أو قد رجحت سيئاته على حسناته كل بحسبه ولهذا قال تعالى هل تجزون

أي هو رب هذه البلدة ورب كل شيء ومليكه لا إله إلا هو وأمرت أن أكون من المسلمين أي الموحدين المخلصين المنقادين لأمره المطيعين له. 91 من طرق جماعة تفيد القطع كما هو مبين في موضعه من كتاب الأحكام ولله الحمد والمنة وقوله تعالى وله كل شيء من باب عطف العام على الخاص بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد شوكة ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ولا يختلى خللاها بتمامه وقد ثبت في الصحاح والحسان والمسانيد



## تفسير ابن كثير

لها كما ثبت الصحيحين عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام قال تعالى فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف وقوله تعالى الذي حرمها أي الذي إنما صارت حراما شرعا وقدرنا بتحريمه في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وإضافة الربوبية إلى البلدة على سبيل التشريف لها والاعتناء بها كما يقول تعالى مخبرا رسوله وأمرا له أن يقول إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء كما قال تعالى قل يا أيها الناس إن كنتم من عهدهم وحساب أممهم على الله تعالى كقوله تعالى فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقال إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل. 92 اهتدى وإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين أي لي أسوة بالرسول الذين أنذروا قومهم وقاموا بما عليهم من أداء الرسالة إليهم وخلصوا إياه كقوله تعالى ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم وكقوله تعالى نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق الآية أي أنا مبلغ ومنذر فمن وأن أتلا القرآن أي على الناس أبلغهم

الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما يخفى عليه يغيب آخر تفسير سورة النمل ولله الحمد والمنة. 93 مغفلا شيئا لأغفل ما تعفي الرياح من أثر قدمي ابن آدم وقد ذكر عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى أنه كان ينشد هذين البيتين إما له وإما لغيره: إذا ما خلوت والخرولة والذرة وقال أيضا حدثنا محمد بن يحيى حدثنا نصر بن علي قال أبي أخبرني عن خالد بن قيس عن مطر عن عمر بن عبد العزيز قال: فلو كان الله سعد بن أبي سعيد سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس لا يغترون أحدكم بالله فإن الله لو كان غافلا شيئا لأغفل البعوضة ربك بغافل عما تعملون أي بل هو شهيد على كل شيء قال ابن أبي حاتم ذكر عن أبي عمر الحوضي حفص بن عمر حدثنا أبو أمية بن يعلى الثقفي حدثنا والإنذار إليه ولهذا قال تعالى سيركم آياته فتعرفونها كما قال تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق وقوله تعالى وما أي لله الحمد الذي لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه

## سورة 28

كان صحيحا أن يحسب ما لكل حرف من الحروف الأربعة عشر التي ذكرناها وذلك يبلغ منه جملة كثيرة وإن حسبت مع التكرار فأطم وأعظم والله أعلم. 1 محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهاً فهذا الحديث مداره على محمد بن السائب الكلبي وهو ممن لا يحتج بما انفرد به ثم كان مقتضى هذا المسلك إن وإحدى وسبعون ومائتان فذلك سبعمائة وأربع سنين؟ فقالوا لقد تشابه علينا أمره فيزعمون أن هؤلاء الآيات نزلت فيهم هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات أبو ياسر لأخيه حي بن أخطب ولمن معه من الأحرار ما يدريكم لعله قد جمع هذا لمحمد كله إحدى وسبعون وإحدى وثلاثون ومائة وإحدى وثلاثون ومائتان أربعون والراء مائتان فهذه إحدى وسبعون ومائتان ثم قال: لقد لبس علينا أمرك يا محمد حتى ما ندري أقليلا أعطيت أم كثيرا. ثم قال قوموا عنه ثم قال فهذه إحدى وثلاثون ومائتا سنة. فهل مع هذا يا محمد غيره؟ قال نعم قال ماذا قال المر قال هذه أثقل وأطول الألف واحدة واللام ثلاثون والميم إحدى وثلاثون ومائة سنة. هل مع هذا يا محمد غيره؟ قال نعم قال ما ذاك؟ قال الر قال هذا أثقل وأطول الألف واحدة واللام ثلاثون والراء مائتان فقال يا محمد هل مع هذا غيره فقال نعم قال ما ذاك؟ قال المص قال هذا أثقل وأطول الألف واحد واللام ثلاثون والميم أربعون والصاد تسعون فهذه والميم أربعون فهذه إحدى وسبعون سنة أفتردخلون في دين نبي إنما مدة ملكه وأجل أمته إحدى وسبعون سنة؟ ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الله قبلك أنبياء ما تعلمه بين لبي منهم ما مدة ملكه وما أجل أمته غيرك. فقام حي بن أخطب وأقبل على من كان معه فقال لهم الألف واحدة واللام ثلاثون فيما أنزل الله عليك الم ذلك الكتاب؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى فقالوا جاءك بهذا جبريل من عند الله؟ فقال نعم قالوا لقد بعث فيه فقال أنت سمعته قال نعم قال فمشى حي بن أخطب في أولئك نفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ألم يذكر أنك تتلوا الكتاب لا ريب فيه فأتى أخاه بن أخطب في رجال من اليهود فقال تعلمون والله لقد سمعت محمدا يتلو فيما أنزل الله تعالى عليه الم ذلك الكتاب لا ريب عباس عن جابر بن عبد الله بن رباب قال مر أبو ياسر بن أخطب في رجال من يهود برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو فاتحة سورة البقرة الم ذلك مع ذلك أدل على بطلان هذا المسلك من التمسك به على صحته وهو ما رواه محمد بن إسحق بن يسار صاحب المغازي حدثني الكلبي عن أبي صالح عن ابن علي معرفة المدد وأنه يستخرج من ذلك أوقات الحوادث والفتن والملاحم فقد ادعى ما ليس له وطار في غير مظاره وقد ورد في ذلك حديث ضعيف وهو إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم وغير ذلك من الآيات الدالة على صحة ما ذهب إليه هؤلاء لمن أمعن النظر والله أعلم. وأما من زعم أنها دالة لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين حم تنزيل من الرحمن الرحيم حم عسق كذلك يوحي الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه المص كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه الر كتاب أنزلناه إليك فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وعظمته وهذا معلوم بالاستقراء وهو الواقع في تسع وعشرين سورة ولهذا يقول تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه الم من الكلمات ما هو على حرف وعلى حرفين وعلى ثلاثة وعلى أربعة وعلى خمسة لا أكثر من ذلك قلت ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف فلا بد أن يذكر ص ن ق وحرفين مثل حم وثلاثة مثل الم وأربعة مثل المر و المص وخمسة مثل كهيعص و حم عسق لأن أساليب كلامهم على هذا في أول القرآن وإنما كررت ليكون أبلغ في التحدي والتبكي كما كررت قصص كثيرة وكرر التحدي بالصريح في أماكن قال وجاء منها على حرف واحد كقوله

## تفسير ابن كثير

ذهب الشيخ الإمام العلامة أبو العباس ابن تيمية وشيخنا الحافظ المجتهد أبو الحجاج المزي وحكاه لي عن ابن تيمية. قال الزمخشري ولم ترد كلها مجموعة المذهب الرازي في تفسيره عن المبرد وجمع من المحققين وحكى القرطبي عن الفراء وقطرب نحو هذا وقرره الزمخشري في كشفه ونصره أتم نصر وإليه التي ذكرت فيها بيانا لإعجاز القرآن وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله هذا مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها وقد حكى هذا والتي تليها أعني البقرة وآل عمران مدينتان ليستا خطابا للمشرنيين فانتقض ما ذكروه بهذه الوجوه. وقال آخرون بل إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور لا يكون في بعضها بل غالبها ليس كذلك ولو كان كذلك أيضا لانبغى الابتداء بها في أوائل الكلام معهم سواء كان افتتاح سورة أو غير ذلك ثم إن هذه السورة إذ تواصوا بالإعراض عن القرآن حتى إذا استمعوا له تلا عليهم المؤلف منه حكاه ابن جرير أيضا وهو ضعيف أيضا لأنه لو كان كذلك لكان ذلك في جميع السور وهذا ضعيف لأن الفصل حاصل بدونها فيما لم تذكر فيه وفيما ذكرت فيه البسملة تلاوة وكتابة وقال آخرون بل ابتدئ بها لتفتح لاستماعها أسماع المشرنيين التي اقتضت إيراد هذه الحروف في أوائل السور ما هي مع قطع النظر عن معانيها في أنفسها فقال بعضهم إنما ذكرت ليعرف بها أوائل السور حكاه ابن جرير يجمع العلماء فيها على شيء معين وإنما اختلفوا فمن ظهر له بعض الأقوال بدليل فعليه اتباعه وإلا فالوقف حتى يتبين هذا المقام. المقام الآخر في الحكمة فقد أخطأ خطأ كبيرا ففتح أن لها معنى في نفس الأمر فإن صح لنا فيها عن المعصوم شيء قلنا به وإلا وقفنا حيث وقفنا وقلنا آمنا به كل من عند ربنا ولم في هذا المقام كلاما فقال: لا شك أن هذه الحروف لم ينزلها سبحانه وتعالى عبثا ولا سدى ومن قال من الجهلة إن في القرآن ما هو تعبد لا معنى له بالكلمة الذي دقت في كل شيء حكمته. وهذه الأجناس المعدودة مكتورة بالمذكورة منها وقد علمت أن معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله وههنا ههنا لخص بعضهم المهموسة والمجهورة ومن الرخوة والشديدة ومن المطبقة والمفتوحة ومن المستعلية والمنخفضة ومن حروف القلقة. وقد سردها مفصلة ثم قال: فسبحان والمذكور منها أشرف من المتروك وبيان ذلك من صناعة التصريف. قال الزمخشري وهذه الحروف الأربعة عشر مشتملة على أصناف أجناس الحروف يعني من أوائل السور بحذف المكرر منها أربعة عشر حرفا وهي ال م ص ر ك ه ي ع ط س ح ق ن يجمعها قولك: نص حكيم قاطع له سر. وهي نصف الحروف عدا يكتب في ا ب ت ث أي في حروف المعجم الثمانية والعشرين فيستغني بذكر بعضها عن مجموعها حكاه ابن جرير. قلت مجموع الحروف المذكورة في العربية هي حروف من حروف المعجم استغنى بذكر ما ذكر منها في أوائل السور عن ذكر بواقيها التي هي تنتم الثمانية والعشرين حرفا كما يقول القائل ابني سفيان هو أن يقول في اقتل ا ق وقال خصيف عن مجاهد أنه قال فواتح السور كلها ق وص وح م وطسم والر وغير ذلك هجاء موضوع وقال بعض أهل والتاء من الكلمتين عن بقيتهما ولكن هذا ظاهر من سياق الكلام والله أعلم. قال القرطبي وفي الحديث من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة الحديث قال كذا وكذا فاكثفي بالياء من يفعل وقال الآخر: بالخير خيرات وان شرا فاف ولا أريد الشر إلا أن تقول وإن شرا فشرا ولا أريد الشر إلا أن تشاء فاكثفي بالفاء لنا فقالت كاف لا تحسبي أنا نسيان الإيجاف تعني وقفت. وقال الآخر: ما للظلم عال كيف لا ينقد عنه جلده إذا ي فقال ابن جرير كأنه أراد أن يقول إذا يفعل به وما أنشدوه من الشواهد على صحة إطلاق الحرف الواحد على بقية الكلمة فإن في السياق ما يدل على ما حذف بخلاف هذا كما قال الشاعر: قلنا قفي غير أن يكون أحدهما أولى من الآخر في التقدير أو الإضرار بوضع ولا يغيره فهذا مما لا يفهم إلا بتوقيف والمسألة مختلف فيها وليس فيها إجماع حتى يحكم فيها والله أعلم. ثم إن لفظة الأمة تدل على كل من معانيها في سياق الكلام بدلالة الوضع فأما دلالة الحرف الواحد على اسم يمكن أن يدل على اسم آخر من في كل موطن على معنى واحد دل عليه سياق الكلام فأما حملة على مجموع محامله إذا أمكن فمسألة مختلف فيها بين علماء الأصول ليس هذا موضع البحث أبو العالية فإن أبا العالية زعم أن الحرف دل على هذا وعلى هذا وعلى هذا معا ولفظة الأمة وما أشبهها من الألفاظ المشتركة في الاصطلاح إنما دل في القرآن الدهر كقوله تعالى وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أي بعد حين على أصح القولين قال فكذلك هذا. هذا حاصل كلامه موجهها ولكن هذا ليس كما ذكره وتطلق ويراد بها الجماعة كقوله تعالى وجد عليه أمة من الناس يسقون وقوله تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا وتطلق ويراد بها الحين من به الدين كقوله تعالى إنا وجدنا آباءنا على أمة وتطلق ويراد بها الرجل المطيع لله كقوله تعالى إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشرنيين وعلى صفة من صفاته وعلى مدة وغير ذلك كما ذكره الربيع بن أنس عن أبي العالية لأن الكلمة الواحدة تطلق على معاني كثيرة كلفظة الأمة فإنها تطلق ويراد منها دل على اسم من أسمائه وصفة من صفاته كما افتتاح سورا كثيرة بتحميده وتسبيحه وتعظيمه قال ولا مانع من دلالة الحرف منها على اسم من أسماء الله هذه الأقوال ويوفق بينها وأنه لا منافاة بين كل واحد منها وبين الآخر وأن الجمع ممكن فهي أسماء للسور ومن أسماء الله تعالى يفتتح بها السور فكل حرف واللام لطف الله والميم مجد الله والألف سنة واللام ثلاثون سنة والميم أربعون سنة. هذا لفظ ابن أبي حاتم ونحوه رواه ابن جرير ثم شرع يوجه كل واحد من فقال أعجب أنهم يظنون بأسمائه ويعيشون في رزقه فكيف يكفرون به فالألف مفتاح الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد فالألف آلاء الله مفتاح اسم من أسمائه وليس منها حرف إلا وهو من آلائه وبلائه لأنه ليس منها حرف إلا وهو في مدة أقوام وآجالهم. قال عيسى ابن مريم عليه السلام وعجب: عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى الم قال هذه الأحرف الثلاثة من التسعة والعشرين حرفا دارت فيها الألسن كلها ليس منها حرف إلا وهو ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الم قال أما الم فهي حروف استفتحت من حروف هجاء أسماء الله تعالى. قال وأبو جعفر الرازي عن أبي الضحى عن ابن عباس: الم قال أنا الله أعلم وكذا قال سعيد بن جبيرة وقال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث ابن علي عن خالد الحذاء عن عكرمة أنه قال الم قسم. وروينا أيضا من حديث شريك بن عبد الله بن عطاء بن السائب قال: قال عبد الله فذكر نحوه. وحكي مثله عن علي وابن عباس وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هو قسم أقسم الله به وهو من أسماء الله تعالى وروى والم فقال قال ابن عباس هي اسم الله الأعظم وقال ابن جرير وحدثنا محمد بن المثنى حدثنا أبو النعمان حدثنا شعبة عن إسماعيل السدي عن مرة الهمداني

## تفسير ابن كثير

الم اسم من أسماء الله الأعظم. هكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث شعبة ورواه ابن جرير عن بNDAR عن ابن مهدي عن شعبة قال سألت السدي عن حم وطس عنها في فواتح السور من أسماء الله تعالى وكذلك قال سالم بن عبد الله وإسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير وقال شعبة عن السدي بلغني أن ابن عباس قال كله لأن المتبادر إلى فهم سامع من يقول قرأت المص إنما ذلك عبارة عن سورة الأعراف لا لمجموع القرآن والله أعلم. وقيل هي اسم من أسماء الله تعالى فقال هذا يرجع إلى معنى قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنه اسم من أسماء السور فإن كل سورة يطلق عليها اسم القرآن فإنه يبعد أن يكون المص اسما للقرآن وقال مجاهد في رواية أبي حذيفة موسى بن مسعود عن شبل عن ابن أبي نجيح عنه أنه قال الم اسم من أسماء القرآن وهكذا وقال قتادة وزيد بن أسلم ولعل أتى على الإنسان وقال سفيان الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أنه قال: الم وحم والمص وص. فواتح افتتح الله بها القرآن وكذا قال غيره عن مجاهد عليه ويعتضد لهذا بما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة الم السجدة و هل عبد الرحمن بن زيد بن أسلم إنما هي أسماء السور. قال العلامة أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري في تفسيره وعليه إطباق الأكثر ونقل عن سيبويه أنه نص رضي الله عنهم أجمعين وقاله عامر الشعبي وسفيان الثوري والربيع بن خيثم واختاره أبو حاتم بن حبان. ومنهم من فسرها واختلف هؤلاء في معناها فقال أوائل السور فمنهم من قال هي مما استأثر الله بعلمه فردوا علمها إلى الله ولم يفسرها حكاه القرطبي في تفسيره عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود رسول الله صلى الله عليه وسلم خباب بن الارت قال فأتينا خباب بن الارت فقرأها علينا رضي الله عنه. قد اختلف المفسرون في الحروف المقطعة التي في بن آدم حدثنا وكيع عن أبيه عن أبي إسحاق عن معد يكرب قال أتينا عبد الله فسألناه أن يقرأ علينا طسم الماتنين فقال ما هي معي ولكن عليكم بمن أخذها من سورة القصص: قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله حدثنا يحيى

وجدها وحزنها وأسفها لتظهر أنه ذهب لها ولد وتخبر بحالها لولا أن الله ثبتها وصبرها قال الله تعالى: لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين . 10 موسى قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو عبيدة والضحاك والحسن البصري وقتادة وغيرهم إن كادت لتبدي به أي إن كادت من شدة يقول تعالى مخبرا عن فؤاد أم موسى حين ذهب ولدها في البحر أنه أصبح فارغا أي من كل شيء من أمور الدنيا إلا من

ثديا وأبى أن يقبل شيئا من ذلك فخرجوا به إلى السوق لعلهم يجدون امرأة تصلح لرضاعته فلما رآته بأيديهم عرفته ولم تظهر ذلك ولم يشعروا بها. 11 وكأنها لا تريد ذلك أنه لما استقر موسى عليه السلام بدار فرعون وأحبته امرأة الملك واستطلقته منه عرضوا عليه المراضع التي في دارهم فلم يقبل سها شأنه من نواحي البلد فخرجت لذلك فبصرت به عن جنب قال ابن عباس عن جانب. وقال مجاهد بصرت به عن جنب عن بعد. وقال قتادة جعلت تنظر إليه أي اتبعي أثره وخذي خبره وتطلبي

يوم وليلة أو نحوه والله أعلم فسبحان من بيده الأمر ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن الذي يجعل لمن اتقاه بعد كل هم فرجا وبعد كل ضيق مخرجاً. 12 دار ولها جاء في الحديث مثل الذي يعمل ويحتسب في صناعته الخير كمثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجراها ولم يكن بين الشدة والفرج إلا القليل إلى ذلك وأجرت عليها النفقة والصلاة والكساوى والإحسان الجزيل فرجعت أم موسى بولدها راضية مرضية قد أبدلها الله بعد خوفها أمناً في عز وجه ورزق آسية أن تقيم عندها فترضعه فأبت عليها وقالت إن لي بعلا وأولادا ولا أقدر على المقام عندك ولكن إن أحببت أن أرضعه في بيتي فعلت فأجابتها امرأة فرعون وذهب البشير إلى امرأة الملك فاستدعت أم موسى وأحسنّت إليها وأعطتها عطاء جزيلاً وهي لا تعرف أنها أمه في الحقيقة ولكن لكونه وافق ثديها ثم سألتها ورجاء منفعتها فأرسلوها فلما قالت لهم ذلك وخلصت من أذاهم ذهبوا معها إلى منزلهم فدخلوا به على أمه فأعطته ثديها فالتقمه ففرحوا بذلك فرحاً شديداً فلما قالت ذلك أخذوها وشكوا في أمرها وقالوا لها وما يدريك بنصحهم له وشفقتهم عليه؟ فقالت لهم نصحتهم له وشفقتهم عليه رغبتهم في سرور الملك إلى أمه لترضعه وهي آمنة بعدما كانت خائفة فلما رأتهم حائرين فيمن يرضعه قالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون قال ابن عباس عليه المراضع من قبل أي تحريماً قدرياً وذلك لكرامته عند الله وصيانتة له أن يرتضع غير ثدي أمه ولأن الله سبحانه وتعالى جعل ذلك سبباً إلى رجوعه قال الله تعالى: وحرماناً

وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم وقال تعالى: وعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً. 13 الله في أفعاله وعواقبها المحمودة التي هو المحمود عليها في الدنيا والآخرة فربما يقع الأمر كرهياً إلى النفوس وعاقبته محمودة في نفس الأمر كما قال تعالى: فحينئذ تحققت برده إليها أنه كائن منه رسول من المرسلين فعاملته في تربيته ما ينبغي له طبعاً وشرعاً. وقوله تعالى: ولكن أكثرهم لا يعلمون أي حكم قال تعالى: فرددناه إلى أمه كي تقر عينها أي به ولا تحزن أي عليه ولتعلم أن وعد الله حق أي فيما وعدها من رده إليها وجعله من المرسلين سبب وصوله إلى ما كان تعالى قدره له من النبوة والتكليم في قضية قتله ذلك القبلي الذي كان سبب خروجه من الديار المصرية إلى بلاد مدين. 14 ذكر تعالى مبدأ أمر موسى عليه السلام ذكر أنه لما بلغ أشده واستوى آتاه الله حكماً وعلماً قال مجاهد يعني النبوة: وكذلك نجزي المحسنين ثم ذكر تعالى

لما

قال رب بما أنعمت علي أي بما جعلت لي من الجاه والعز والنعمة فلن أكون ظهيراً أي معيناً للمجرمين أي الكافرين بك المخالفين لأمرك. 15 عليه أي كان فيها حتفه فمات قال موسى هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم فرصة وهي غفلة الناس فعمد إلى القبلي فوكزه موسى فقضى عليه قال مجاهد فوكزه أي طعنه بجمع كفه وقال قتادة وكزه بعصا كانت معه فقضى

## تفسير ابن كثير

- هذا من شيعته أي إسرائيلي وهذا من عدوه أي قبضي قاله ابن عباس وقتادة والسدي ومحمد بن إسحاق فاستغاث الإسرائيلي بموسى فوجد موسى عطاء بن يسار عن ابن عباس كان ذلك نصف النهار وكذا قال سعيد بن جبيرة وعكرمة والسدي وقتادة فوجد فيها رجلين يقتتلان أي يتضاربان ويتنازعان قال تعالى: ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها قال ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس وذلك بين المغرب والعشاء. وقال ابن المنكر عن
- قال رب بما أنعمت علي أي بما جعلت لي من الجاه والعز والنعمة فلن أكون ظهيرا أي معينا للمجرمين أي الكافرين بك المخالفين لأمرك. 16
- عليه أي كان فيها حتفه فمات قال موسى هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم فرصة وهي غفلة الناس فعمد إلى القبضي فوكزه موسى فقضى عليه قال مجاهد فوكزه أي طعنه بجمع كفه وقال قتادة وكزه بعضا كانت معه فقضى
- هذا من شيعته أي إسرائيلي وهذا من عدوه أي قبضي قاله ابن عباس وقتادة والسدي ومحمد بن إسحاق فاستغاث الإسرائيلي بموسى فوجد موسى عطاء بن يسار عن ابن عباس كان ذلك نصف النهار وكذا قال سعيد بن جبيرة وعكرمة والسدي وقتادة فوجد فيها رجلين يقتتلان أي يتضاربان ويتنازعان قال تعالى: ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها قال ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس وذلك بين المغرب والعشاء. وقال ابن المنكر عن
- قال رب بما أنعمت علي أي بما جعلت لي من الجاه والعز والنعمة فلن أكون ظهيرا أي معينا للمجرمين أي الكافرين بك المخالفين لأمرك. 17
- عليه أي كان فيها حتفه فمات قال موسى هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم فرصة وهي غفلة الناس فعمد إلى القبضي فوكزه موسى فقضى عليه قال مجاهد فوكزه أي طعنه بجمع كفه وقال قتادة وكزه بعضا كانت معه فقضى
- هذا من شيعته أي إسرائيلي وهذا من عدوه أي قبضي قاله ابن عباس وقتادة والسدي ومحمد بن إسحاق فاستغاث الإسرائيلي بموسى فوجد موسى عطاء بن يسار عن ابن عباس كان ذلك نصف النهار وكذا قال سعيد بن جبيرة وعكرمة والسدي وقتادة فوجد فيها رجلين يقتتلان أي يتضاربان ويتنازعان قال تعالى: ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها قال ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس وذلك بين المغرب والعشاء. وقال ابن المنكر عن
- الشر ثم عزم على البطش بذلك القبضي فاعتقد الإسرائيلي لخوره وضعفه وذلته أن موسى إنما يريد قصده لما سمعه يقول ذلك فقال يدفع عن نفسه. 18
- ذلك الذي استنصره بالأمس على ذلك القبضي يقاتل آخر فلما مر عليه موسى استصرخه على الآخر فقال له موسى إنك لغوي مبين أي ظاهر الغواية كثير موسى لما قتل ذلك القبضي أنه أصبح في المدينة خائفا أي من معرة ما فعل يترقب أي يتلفت ويتوقع ما يكون من هذا الأمر فمر في بعض الطرق فإذا يقول تعالى مخبرا عن
- لقفها من فمه ثم ذهب بها إلى باب فرعون وألقاها عنده فعلم فرعون بذلك فاشتد حنقه وعزم على قتل موسى فطلبوه فبعثوا وراءه ليحضروه لذلك. 19
- يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس وذلك لأنه لم يعلم به إلا هو وموسى عليه السلام فلما سمعها ذلك القبضي
- وقوله: تلك أي هذه آيات الكتاب المبين أي الواضح الجلي الكاشف عن حقائق الأمور وعلم ما قد كان وما هو كائن. 20
- بعثوا وراءه فسبق إلى موسى فقال له يا موسى إن الملائكة أتومرون بك أي يتشاورون فيك ليقتلوك فاخرج أي من البلد إني لك من الناصحين. 20
- قال تعالى: وجاء رجل وصفه بالرجولية لأنه خالف الطريق فسلك طريقا أقرب من طريق الذين
- قال رب نجني من القوم الظالمين أي من فرعون وملئه فذكروا أن الله سبحانه وتعالى بعث إليه ملكا على فرس فأرشده إلى الطريق فآله أعلم. 21
- الرجل بما تمالأ عليه فرعون دولته في أمره خرج من مصر وحده ولم يألف ذلك قبله بل كان في رفاهية ونعمة ورياسة فخرج منها خائفا يترقب أي يتلفت
- لما أخبره ذلك
- قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل أي الطريق الأقوم ففعل الله به ذلك وهده إلى الصراط المستقيم في الدنيا والآخرة فجعل هاديا مهديا. 22
- ولما توجه لتقاء مدين أي أخذ طريقا سالكا مهيعا فرح بذلك
- مع هؤلاء؟ قالت لا نسقي حتى يصدر الرعاء أي لا يحصل لنا سقي إلا بعد فراغ هؤلاء وأبونا شيخ كبير أي فهذا الحال الملجئ لنا إلى ما ترى. 23
- تزدون أي تكفكفان غنهما أن ترد مع غنم أولئك الرعاء لئلا يؤذيا فلما رآهما موسى عليه السلام رق لهما ورحمهما قال ما خطبكما أي ما خبركما لا تردان مدين أي لما وصل إلى مدين وورد ماءها وكان لها بئر يرده رعاء الشاء وجد عليه أمة من الناس يسقون أي جماعة يسقون ووجد من دونهم امرأتين
- ولما ورد ماء
- الله فآله أعلم وقال السدي كانت الشجرة من شجر السمر وقال عطاء بن السائب لما قال موسى رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير أسمع المرأة. 24
- ساعة ثم لفظها فدعوت الله لموسى عليه السلام ثم انصرفت وفي رواية عن ابن مسعود أنه ذهب إلى الشجرة التي كلم الله منها موسى كما سيأتي إن شاء
- جمل ليلتين حتى صبحت مدين فسألت عن الشجرة التي أوى إليها موسى فإذا هي شجرة خضراء ترف فأهوى إليها جملي وكان جائعا فأخذها جملي فعالجها ابن جريج: حدثني الحسين بن عمرو العنقزي حدثنا أبي حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبدالله هو ابن مسعود قال: حثت على الجوع وإن خضرة البقل لتري من داخل جوفه وإنه لمحتاج إلى شق تمر. وقوله: إلى الظل قال ابن عباس وابن مسعود والسدي جلس تحت شجرة وقال طعام إلا البقل وورق الشجر وكان حافيا فما وصل إلى مدين حتى سقطت نعل قدميه وجلس في الظل وهو صفوة الله من خلقه وإن بطنه لاصق بظهره من الغنم. إسناد صحيح. وقوله تعالى: ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير قال ابن عباس: سار موسى من مصر إلى مدين ليس له

## تفسير ابن كثير

على البئر ولا يطيق رفعها إلا عشرة رجال فإذا هو بامرأتين تذودان قال ما خطبكما؟ فحدثناه فأتى الحجر فرفعه ثم لم يستق إلا ذنوبا واحدا حتى رويت بن ميمون الأودي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون قال فلما فرغوا أعادوا الصخرة قال الله تعالى: فسقى لهما قال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عبيد الله أنبأنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عمرو

ابن عباس قال الذي استأجر موسى يثرى صاحب مدين رواه ابن جرير به ثم قال الصواب أن هذا لا يدرك إلا بخبر ولا خبر تجب به الحجة في ذلك. 25 في كتب بني إسرائيل أن هذا الرجل اسمه ثيرون والله أعلم قال أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود: ثيرون هو ابن أخي شعيب عليه السلام وعن أبي حمزة عن علي اسمه في القرآن ههنا وما جاء في بعض الأحاديث من التصريح بذكره في قصة موسى لم يصح إسناده كما سنذكره قريبا إن شاء الله ثم من الموجود غير واحد. وما قيل إن شعيبا عاش مدة طويلة إنما هو والله أعلم احتراز من هذا الإشكال ثم من المقوي لكونه ليس بشعيب أنه لو كان إياه لأوشك أن ينص كان هلاك قوم لوط في زمن الخليل عليه السلام بنص القرآن وقد علم أنه كان بين الخليل وموسى عليهما السلام مدة طويلة تزيد على أربعمئة سنة كما ذكره شعيب وقيل رجل مؤمن من قوم شعيب وقال آخرون كان شعيب قبل زمان موسى عليه السلام بمدة طويلة لأنه قال لقومه وما قوم لوط منكم ببعيد وقد عن سلمة بن سعد الغزي أنه وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: مرحبا بقوم شعيب وأختان موسى هديت وقال آخرون بل كان ابن أخي عبدالعزيز الأزدي حدثنا مالك بن أنس أنه بلغه أن شعيبا هو الذي قص عليه موسى القصص قال: لا تخف نجوت من القوم الظالمين وقد روى الطبراني النبي عليه السلام الذي أرسل إلى أهل مدين وهذا هو المشهور عند كثير من العلماء وقد قاله الحسن البصري وغير واحد ورواه ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا من مملكتهم فلا حكم لهم في بلادنا ولهذا قال: نجوت من القوم الظالمين وقد اختلف المفسرون في هذا الرجل من هو؟ على أقوال أحدها أنه شعيب أي ذكر له ما كان من أمره وما جرى له من السبب الذي خرج من أجله من بلده قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين يقول طب نفسا وقر عينا فقد خرجت طلبا مطلقا لئلا يوهم ريبة بل قالت: إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا يعني ليثيبك ويكافئك على سقيك لغنما فلما جاءه وقص عليه القصص السلف من الرجل الجسور ومن النساء الجرية السليطة ومن النوق الشديدة. قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا وهذا تأدب في العبارة لم تطلبه قال: قال عمر رضي الله عنه جاءت تمشي على استحياء قائلة بثوبها على وجهها ليست بسلف من النساء ولاجة خراجة. هذا إسناده صحيح. قال الجوهرى: أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أنه قال: جاءت مستتره بكم درعها وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو نعيم حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عليه ما فعل موسى عليه السلام فبعث إحدهما إليه لتدعوه إلى أبيها قال الله تعالى: فجاءته إحدهما تمشي على استحياء أي مشي الحرائر كما روي عن لما رجعت المرأتان سريعا بالغنم إلى أبيهما أنكر حالهما بسبب مجيئهما سريعا فسألهما عن خبرهما فقصتا

بكر حين تفرس في عمر وصاحب يوسف حين قال أكرمي مثواه وصاحبة موسى حين قالت: يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين. 26 لي بحصة أعلم بها كيف الطريق لأهتدي إليه وقال سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله هو ابن مسعود قال: أفرس الناس ثلاثة: أبو قالت له إنه رفع الصخرة التي لا يطيق حملها إلا عشرة رجال وإني لما جئت معه تقدمت أمامه فقال لي كوني من ورائي فإذا اختلف علي الطريق فاحذفي وابن عباس وشريح القاضي وأبو مالك وقتادة ومحمد بن إسحاق وغير واحد لما قالت: إن خير من استأجرت القوى الأمين قال لها أبوها وما علمك بذلك؟ القوى الأمين أي قالت إحدى ابنتي هذا الرجل قيل هي التي ذهبت وراء موسى عليه السلام قالت لأبيها يا أبت استأجره أي لرعية هذه الغنم قال عمر وقوله تعالى: قالت إحدهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن موسى عليه السلام آجر نفسه بعفة فرجه وطعمة بطنه. 27 زرة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا عبد الله بن لهيعة عن الحارث بن يزيد الحضرمي عن علي بن رباح اللخمي قال سمعت عتبة بن المنذر السلمي صاحب ضعيف لأن مسلمة بن علي وهو الخشني الدمشقي البلاطي ضعيف الرواية عند الأئمة ولكن قد روي من وجه آخر وفيه نظر أيضا وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو وسلم فقرا طسم حتى إذا بلغ قصة موسى قال: إن موسى آجر نفسه ثمانين سنين أو عشرة سنين على عفة فرجه وطعام بطنه وهذا الحديث من هذا الوجه الوليد عن مسلمة بن علي عن سعيد بن أبي أيوب الحارث بن يزيد عن علي بن رباح قال سمعت عتبة بن المنذر السلمي يقول كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه في كتابه السنن حيث قال باب استئجار الأجير على طعام بطنه حدثنا محمد ثنا محمد بن المصقي الحمصي حائنا بقية بن بسطه لطوله والله أعلم. ثم قد استدلل أصحاب الإمام أحمد ومن تبعهم في صحة استئجار الأجير بالطعمة والكسوة بهذه الآية واستأنسوا في ذلك بما رواه أبي داود من باع بيعتين في بيعة فله أوكسهما أو الربا على هذا المذهب وفي الاستدلال بهذه الآية وهذا الحديث على هذا المذهب نظر ليس هذا موضع الكريمة لمذهب الأوزاعي فيما إذا قال بعثك هذا بعشرة نقدا أو بعشرين نسيئة أنه يصح ويختار المشتري بأيهما أخذه صح وحمل الحديث المروي في سنن فهو إليك وإلا ففي الثمان كفاية وما أريد أن أشق عليك ستجدي إن شاء الله من الصالحين أي لا أشاقك ولا أؤذيك ولا أماريك وقد استدللوا بهذه الآية أنه يصح والله أعلم وقوله: على أن تأجرني ثمانين حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك أي على أن ترعى غنمي ثمانين سنين فإن تبرعت بزيادة سنتين بن إسحاق صفوريا وشرفا ويقال ليا وقد استدلل أصحاب أبي حنيفة بهذه الآية على صحة البيع فيما إذا قال بعثك أحد هذين العبدین بمائه فقال اشتريت إحدى ابنتي هاتين أي طلب إليه هذا الرجل الشيخ الكبير أن يرعى غنمه ويزوجه إحدى ابنتيه هاتين قال شعيب الجبائي وهما صفوريا وليا وقال محمد قال: إني أريد أن أنكحك

فلك ولدها فعمد موسى فرفع حبالا على الماء فلما رأت الخيال فزعت فجالت جولة فولدن كلهن بلقا إلا شاة واحدة فذهب بأولادهن كلهن ذلك العام. 28

## تفسير ابن كثير

حدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال لما دعا نبي الله موسى عليه السلام صاحبه إلى الأجل الذي كان بينهما قال له صاحبه كل شاة ولدت على غير لونها وقد روى ابن جرير من كلام أنس بن مالك موقوفا عليه ما يقارب بعضه بإسناد جيد فقال حدثنا محمد بن المثنى حدثنا معاذ بن هشام حدثنا أبي حدثنا قتادة رفعه خطأ والله أعلم. وينبغي أن يروى ليس فيها فشوش ولا عزوز ولا ضبوب ولا ثعول ولا كميشة لتذكر منها صفة ناقصة ما يقابلها من الصفات الناقصة فما الكميشة؟ قال التي تفوت الكف كميشة الضرع صغير لا يدركه الكف مدار. هذا الحديث على عبدالله بن لهيعة المصري وفي حفظه سوء وأخشى أن يكون الشخب قلت فما الضبوب قال الطويلة الضرع تجره قلت فما العزوز قال ضيقة الشخب قلت فما الثعول؟ قال التي ليس لها ضرع إلا كهينة حلمتين قلت الشام وجدتم بقايا تلك الغنم وهي السامرية وحدثنا أبو زرعة أنبأنا صفوان قال سمعت الوليد قال سألت ابن لهيعة ما الفشوش؟ قال التي تفش بلبنها واسعة ولا ضبون وقال صفوان ولا صبوب قال أبو زرعة الصواب طنوب ولا عزوز ولا ثعول ولا كميشة تفوت الكف قال النبي صلى الله عليه وسلم: لو افتتحتم بإزاء الحوض فلم يصدر منها شاة إلا وضرب جنبها شاة شاة قال فأتأمت وألبنت ووضعت كلها قوالب ألوان إلا شاة أو شاتين ليس فيها فشوش قال يحيى ذلك العام وكانت غنمه سوداء حسناء فانطلق موسى عليه السلام إلى عصاه فسمها من طرفها ثم وضعها في أدنى الحوض ثم أوردتها فسقاها ووقف موسى قال أبرهما وأوفاهما فلما أراد فراق شعيب أمر امرأته أن تسأل أباهما أن يعطيها من غنمه ما يعيشون به فأعطاهما ما ولدت غنمه من قالب لون من ولد يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن موسى عليه السلام أجز نفسه بعفة فرجه وطعمة بطنه فلما وفى الأجل قيل يا رسول الله أي الأجلين؟ أنبأنا عبدالله بن لهيعة عن الحارث بن يزيد الحضرمي عن علي بن رباح اللخمي قال سمعت عتبة بن المنذر السلمي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أبي حاتم بأبسط من هذا فقال حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبدالله بن بكير حدثني عبدالله بن لهيعة ح وحدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان أنبأنا الوليد ولا ضبوب ولا كميشة تفوت الكف ولا ثعول وقال رسول الله: إذا فتحتم الشام فإنكم ستجدون بقايا منها وهي السامرية هكذا أوردته البزار وقد رواه غنمه في ذلك العام من قالب لون قال فما مرت شاة إلا ضرب موسى جنبها بعصاه فولدت قوالب ألوان كلها وولدت ثنتين وثلاثا كل شاة ليس فيها فشوش صلى الله عليه وسلم: إن موسى عليه السلام لما أراد فراق شعيب عليه السلام أمر امرأته أن تسأل أباهما أن يعطيها من غنمه ما يعيشون به فأعطاهما ما ولدت بن رباح اللخمي قال سمعت عتبة بن المنذر يقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أي الأجلين قضى موسى قال: أبرهما وأوفاهما ثم قال النبي عتبة بن المنذر بزيادة غريبة جدا فقال أبو بكر البزار حدثنا عمر بن الخطاب السجستاني حدثنا يحيى بن بكير حدثنا ابن لهيعة حدثنا الحارث بن يزيد عن علي ثم قال البزار لا نعلم يروي عن أبي ذر إلا بهذا الإسناد. وقد رواه ابن أبي حاتم من حديث عويذ بن أبي عمران وهو ضعيف ثم قد روي أيضا نحوه من حديث ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل أي الأجلين قضى موسى؟ قال: أوفاهما وأبرهما قال وإن سئلت أي المرأتين تزوج فقل الصغرى منهما بكر البزار حدثنا أبو عبيد الله يحيى بن محمد بن السكن حدثنا إسحاق بن إدريس حدثنا عويذ بن أبي عمران الجوني عن أبيه عن عبدالله بن الصامت عن أبي عليه وسلم أي الأجلين قضى موسى قال: أوفاهما وأتمهما فهذه طرق متعاضدة ثم قد روي هذا مرفوعا من رواية أبي ذر رضي الله عنه قال الحافظ أبو فقال أبرهما وأوفاهما طريق أخرى مرسلة أيضا قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا أبو معشر عن محمد بن كعب القرظي قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم إن النبي صلى الله عليه وسلم سأل جبريل أي الأجلين قضى موسى؟ فقال سوف أسأل إسرافيل فسأله فقال سوف أسأل الرب عز وجل فسأله عليه وسلم فقال الرب عز وجل قضى أبرهما وأبقاهما أو قال أزكاهما. وهذا مرسل وقد جاء مرسلا من وجه آخر وقال سنيد حدثنا حجاج عن ابن جريج قال: وسلم جبريل فقال جبريل لا علم لي فسأل جبريل ملكا فوجه فقال لا علم لي فسأل ذلك الملك ربه عز وجل عما سأله عنه جبريل عما سأله عنه محمد صلى الله عليه وسلم الميمون الحضرمي عن يوسف بن تيرح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أي الأجلين قضى موسى؟ قال: لا علم لي فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نعرفه مرفوعا عن ابن عباس إلا من هذا الوجه. ثم قال ابن أبي حاتم قرئ على يونس بن عبد الأعلى أنبأنا ابن وهب أنبأنا عمرو بن الحارث عن يحيى بن عن أحمد بن أبان القرشي عن سفيان بن عيينة عن إبراهيم بن أعين عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره ثم وهو ابن عيينة حدثني إبراهيم بن يحيى بن أبي يعقوب وكان من أسناني أو أصغر مني فذكره. وفي إسناده قلب وإبراهيم هذا ليس بمعروف. ورواه البزار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: سألت جبريل أي الأجلين قضى موسى قال أتمهما وأكملهما ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن الحميدي عن سفيان ابن جرير حدثنا أحمد بن محمد الطوسي حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثني إبراهيم بن يحيى بن أبي يعقوب عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس رواية القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبير أن الذي سأله رجل من أهل النصرانية والأول أشبه والله أعلم وقد روي من حديث ابن عباس مرفوعا قال رضي الله عنه فسألته فقال قضى أكثرهما وأطيبهما إن رسول الله إذا قال فعل. هكذا رواه حكيم بن جبير وغيره عن سعيد بن جبير ووقع في حديث الفتون عن سعيد بن جبير قال: قال سألني يهودي من أهل الحيرة أي الأجلين قضى موسى؟ فقلت لا أدري حتى أقدم على حبر العرب فأسأله فقدمت على ابن عباس عليه السلام إنما فعل أكمل الأجلين وأتمهما وقال البخاري حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا مروان بن شجاع عن سالم الأفطس كثير الصيام وسأله عن الصوم في السفر فقال: إن شئت فصم وإن شئت فأفطر مع أن فعل الصيام راجح من دليل آخر هذا وقد دل الدليل على أن موسى قال تعالى: فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحمزة بن عمرو الأسلمي رضي الله عنه وكان من الشرط ولهذا قال: أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي أي فلا حرج علي مع أن الكامل وإن كان مباحا لكنه فاضل من جهة أخرى بدليل من خارج كما إن موسى قال لصهره الأمر على ما قلت من أنك استأجرتني على ثمان سنين فإن أتممت عشرا فمن عندي فأنا متى فعلت أقلهما فقد برئت من العهد وخرجت وقوله تعالى إخبارا عن موسى: قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل يقول

## تفسير ابن كثير

أذهب إليها لعلني آتيكم منها بخبر وذلك لأنه قد أضل الطريق أو جذوة من النار أي قطعة منها لعلكم تصطلون أي تستدفنون بها من البرد. 29  
لا يضيء شيئا فتعجب من ذلك فبينما هو كذلك أنس من جانب الطور نارا أي رأى نارا تضيء له على بعد فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا أي حتى خفية من فرعون وقومه فتحمل بأهله وما كان معه من الغنم التي وهبها له صهره فسلك بهم في ليلة مطيرة مظلمة باردة فنزل منزلا فجعل كلما أوري زنده القول لم أره لغيره وقد حكاه عنه ابن أبي حاتم وابن جرير فإله أعلم وقوله: وسار بأهله قالوا كان موسى قد اشتاق إلى بلاده وأهله فعزم على زيارتهم في الكريمة حيث قال تعالى فلما قضى موسى الأجل أي الأكمل منهما والله أعلم وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد قضى عشر سنين وبعدها عشرا آخر وهذا قد تقدم في تفسير الآية قبلها أن موسى عليه السلام قضى أتم الأجلين وأوفاهما وأبرهما وأكملهما وأنقاهما وقد يستفاد هذا أيضا من الآية  
من نبا موسى وفرعون بالحق الآية كما قال تعالى: نحن نقص عليك أحسن القصص أي نذكر لك الأمر على ما كان عليه كأنك تشاهد وكأنك حاضر. 3  
وقوله: نلتوا عليك

ويكلمك هو رب العالمين الفعال لما يشاء لا إله غيره ولا رب سواه تعالى وتقدس وتنزه عن مماثلة المخلوقات في ذاته وصفاته وأقواله وأفعاله سبحانه. 30  
أهل الكتاب يقول إنها من العوسج وقال قتادة هي من العوسج وعصاه من العوسج وقوله تعالى: أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين أي الذي يخاطبك نودي منها موسى عليه السلام سمرة خضراء ترف إسناده مقارب وقال محمد بن إسحاق عن بعض من لا يهتم عن وهب بن منبه قال: شجرة من العليق وبعض البقعة المباركة من الشجرة قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله قال: رأيت الشجرة التي الغربي عن يمينه والنار وجدها تضطرم في شجرة خضراء في لحف الجبل مما يلي الوادي فوقف بها في أمرها فناداه ربه من شاطئ الواد الأيمن في يمينه من ناحية الغرب كما قال تعالى: وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر فهذا مما يرشد إلى أن موسى قصد النار إلى جهة القبلة والجبل قال الله تعالى: فلما أتاه نودي من شاطئ الوادي الأيمن أي من جانب الوادي مما يلي الجبل عن

يعقب أي ولم يكن يلتفت لأن طبع البشرية ينفر من ذلك فلما قال الله له يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الأمنين رجع فوقف في مقامه الأول. 31  
وقوائمه واتساع فمها واصطكاك أنيابها وأضراسها بحيث لا تمر بصخرة إلا ابتلعته تنحدر في فيها تتقعقع كأنها حادة في واد فعند ذلك ولى مدبرا ولم للشيء كن فيكون كما تقدم بيان ذلك في سورة طه: وقال ههنا فلما رآها تهتز أي تضطرب كأنها جان ولى مدبرا أي في حركتها السريعة مع عظم خلقتها غنمي ولي فيها مآرب أخرى والمعنى أما هذه عصاك التي تعرفها ألقتها فإذا هي حية تسعى فعرف وتحقق أن الذي يكلمه ويخاطبه هو الذي يقول قوله: وأن ألق عصاك أي التي في يدك كما قرره على ذلك في قوله تعالى: وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها علي

قال تعالى: إلى فرعون وملئه أي وقومه من الرؤساء والكبراء والأتباع إنهم كانوا قوما فاسقين أي خارجين عن طاعة الله مخالفين لأمره ودينه. 32  
وإدخاله يده في جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء دليلان قاطعان واضحان على قدرة الفاعل المختار وصحة نبوة من جري هذا الخارق على يديه ولهذا موسى عليه السلام وجعله في قلب فرعون فكان إذا رآه بال كما يبول الحمار. وقوله تعالى: فذانك برهانان من ربك يعني إلقاء العصا وجعلها حية تسعى مجاهد قال: كان موسى عليه السلام قد ملأ قلبه رعبا من فرعون فكان إذا رآه قال: اللهم إني أدرك بك في نحره وأعوذ بك من شره فنزع الله ما كان في قلب إن شاء الله تعالى وبه الثقة. قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا الربيع بن تغلب الشيخ صالح أخبرنا أبو إسماعيل المؤدب عن عبد الله بن مسلم عن وهو يده فإذا فعل ذلك ذهب عنه ما يجده من الخوف وربما إذا استعمل أحد ذلك على سبيل الاقتداء فوضع يده على فؤاده فإنه يزول عنه ما يجده أو يخف أسلم وابن جرير مما حصل لك من خوفك من الحية والظاهر أن المراد أعم من هذا وهو أنه أمر عليه السلام إذا خاف من شيء أن يضم إليه جناحه من الرهب من غير سوء أي من غير برص وقوله تعالى: واطمئنيك إليك جناحك من الرهب قال مجاهد من الفرع وقال قتادة من الرعب وقال عبد الرحمن ابن زيد بن يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء أي إذا أدخلت يدك في جيب درعك ثم أخرجتها فإنها تخرج تتلأل كأنها قطعة قمر في لمعان البرق ولهذا قال: قال الله تعالى: اسلك

الذي إنما خرج من ديار مصر فرارا منه وخوفا من سطوته قال رب إني قتلت منهم نفسا يعني ذلك القبطي فأخاف أن يقتلوني أي إذا رأوني. 33  
لما أمره الله تعالى بالذهاب إلى فرعون

خبر الواحد ولهذا قال: إني أخاف أن يكذبون وقال محمد بن إسحاق ردا يصدقني أي يبين لهم عني ما أكلهم به فإنه يفهم عني ما لا يفهمون. 34  
هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردا أي وزيراً ومعينا ومقويا لأمرى يصدقني فيما أقوله وأخبر به عن الله عز وجل لأن خبر الاثنين أنجع في النفوس من في أمري أي يؤنسني فيما أمرتني به من هذا المقام العظيم وهو القيام بأعباء النبوة والرسالة إلى هذا الملك المتكبر الجبار العنيد ولهذا قال: وأخي هارون على لسانه فحصل فيه شدة في التعبير ولهذا قال: واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي أشد به أوزري وأشركه أفصح مني لسانا وذلك أن موسى عليه السلام كان في لسانه لغة بسبب ما كان تناول تلك الجمرة حين خير بينها وبين التمرة أو الدرة فأخذ الجمرة فوضعها وأخي هارون هو

اتبعكما الغالبون تقديره أنتما ومن اتبعكما الغالبون بآياتنا ولا شك أن هذا المعنى صحيح وهو حاصل من التوجيه الأول فلا حاجة إلى هذا والله أعلم. 35  
رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا إلى آخر الآية ووجه ابن جرير على أن المعنى ونجعل لك سلطانا فلا يصلون إليكما ثم يبتدئ فيقول: بآياتنا أنتما ومن

## تفسير ابن كثير

اتبعهما في الدنيا والآخرة فقال تعالى: أنتما ومن اتبعكما الغالبون كما قال تعالى: كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز وقال تعالى: إنا لننصر الناس وقال تعالى: الذين يبلغون رسالات الله إلى قوله وكفى بالله حسيبا أي وكفى بالله ناصرا ومعينا ومؤيدا ولهذا أخبرهما أن العاقبة لهما ولمن أي لا سبيل لهم إلى الوصول إلى أذاكما بسبب إبلاغكما آيات الله كما قال تعالى: يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك إلى قوله والله يعصمك من إلى فرعون وملئه ولهذا قال تعالى في حق موسى وكان عند الله وجيها وقوله تعالى: ونجعل لكما سلطانا أي حجة قاهرة فلا يصلون إليكما بآياتنا أخاه هارون نبيا ولهذا قال بعض السلف ليس أحد أعظم منة على أخيه من موسى على هارون عليهما السلام فإنه شفع فيه حتى جعله الله نبيا ورسولا معه أي سنقوي أمرك ونعز جانبك بأخيك الذي سألت له أن يكون نبيا معك كما في الآية الأخرى قد أوتيت سؤلك يا موسى وقال تعالى: ووهبنا له من رحمتنا لما سأل ذلك موسى قال الله تعالى: سنشد عضدك بأخيك

بهذا في آبائنا الأولين يعنون عبادة الله وحده لا شريك له يقولون ما رأينا أحدا من آبائنا على هذا الدين ولم نر الناس إلا يشركون مع الله آلهة أخرى. 36 وتكبرهم عن اتباع الحق فقالوا: ما هذا إلا سحر مفترى أي مفتعل مصنوع وأرادوا معارضته بالحيلة والجاه فما صعد معهم ذلك وقوله: وما سمعنا توحيدهم واتباع أوامره فلما عاين فرعون وملؤه ذلك وشاهدوه وتحققوه وأيقنوا أنه من عند الله عدلوا بكفرهم وبغيهم إلى العناد والمباهنة وذلك لطغيانهم عن مجيء موسى وأخيه هارون إلى فرعون وملئه وعرضه ما آتاها الله من المعجزات الباهرة والدلالة القاهرة على صدقهما فيما أخبرا به عن الله عز وجل يخبر تعالى

وسيفصل بيني وبينكم ولهذا قال: ومن تكون له عاقبة الدار أي من النصرة والظفر والتأييد إنه لا يفلح الظالمون أي المشركون بالله عز وجل. 37 قال موسى مجيبا لهم ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده يعني مني ومنكم

وما رب العالمين وقال: لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين وقال: يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري وهذا قول ابن جرير. 38 ولهذا قال: وإني لأظنه من الكاذبين أي في قوله إن ثم ربا غيري لا أنه كذبه في أن الله تعالى أرسله لأنه لم يكن يعترف بوجود الصانع جل وعلا فإنه قال: تباب وذلك لأن فرعون بنى هذا الصرح الذي لم ير في الدنيا بناء أعلى منه إنما أراد بهذا أن يظهر لرعيته تكذيب موسى فيما زعمه من دعوى إله غير فرعون لي صرحا لعلني أبلغ الأسباب أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا في ومشير دولته أن يوقد له على الطين يعني يتخذ له أجرا لبناء الصرح وهو القصر المنيف الرفيع العالي كما قال في الآية الأخرى وقال فرعون يا هامان ابن إلهي غيري لأجعلنك من المسجونين وقوله: فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل صرحا لعلني أطلع إلى إله موسى يعني أمر وزيره هامان ومدير رعيته لهم بذلك فأجابوه سامعين مطيعين ولهذا انتقم الله تعالى منه فجعله عبرة لغيره في الدنيا والآخرة وحتى أنه واجه موسى الكليم بذلك فقال: لئن اتخذت فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة والأولى إن في ذلك لعبرة لمن يخشى يعني أنه جمع قومه ونادى فيهم بصوته العالي مصرحا دعاهم إلى الاعتراف له بالإلهية فأجابوه إلى ذلك بقلة عقولهم وسخافة أذهانهم ولهذا قال: يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري وقال تعالى إخبارا عنه يخبر تعالى عن كفر فرعون وطغيانه وافتراءه في دعواه الإلهية لنفسه القبيحة لعنه الله كما قال الله تعالى: فاستخف قومه فأطاعوه الآية وذلك لأنه إلبنا لا يرجعون أي طغوا وتجبروا وأكثروا في الأرض الفساد واعتقدوا أنه لا قيامة ولا معاد فصب عليهم ربك سوط عذاب إن ربك لبالمرصاد. 39 وقوله تعالى: واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم

تحدث بهذا عند فرعون فاحترز فرعون من ذلك وأمر بقتل ذكور بني إسرائيل ولن ينفع حذر من قدر لأن أجل الله إذا جاء لا يؤخر ولكل أجل كتاب. 4 جارية فصانها الله منه ومنعه منها بقدرته وسلطانه فبشر إبراهيم عليه السلام ولده أنه سيولد من صلبه وذريته من يكون هلاك مصر على يديه فكانت القبط هذا من بني إسرائيل فيما كانوا يدرسونه من قول إبراهيم الخليل عليه السلام حين ورد الديار المصرية وجرى له مع جبارها ما جرى حين أخذ سارة ليتخذها من أن يوجد منهم الغلام الذي كان قد تخوف هو وأهل مملكته منه أن يوجد منهم غلام يكون سبب هلاكه وذهاب دولته على يديه. وكانت القبط قد تلقوا الجبار العتيد يستعملهم في أخس الأعمال ويكدهم ليلا ونهارا في أشغال وأشغال رعيته ويقتل مع هذا أبناءهم ويستحيي نساءهم إهانة لهم واحتقارا وخوفا فيما يريد من أمور دولته وقوله تعالى: يستضعف طائفة منهم يعني بني إسرائيل وكانوا في ذلك الوقت خيار أهل زمانهم هذا وقد سلب عليهم هذا الملك قال تعالى: إن فرعون علا في الأرض أي تكبر وتجبر وطفى وجعل أهلها شيعا أي أصنافا قد صرف كل صنف

تعالى ههنا فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم أي أغرقناهم في البحر في صبيحة واحدة فلم يبق سهم أحد فانظر كيف كان عاقبة الظالمين. 40

قال

الرسول وتعطيل الصانع ويوم القيامة لا ينصرون أي فاجتمع عليهم خزي الدنيا موصولا بذل الآخرة كما قال تعالى: أهلكناهم فلا ناصر لهم. 41 وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار أي لمن سلك وراءهم وأخذ بطريقتهم في تكذيب

وأتباعهم كذلك ويوم القيامة هم من المقبوحين قال قتادة: وهذه الآية كقوله تعالى: وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بنس الرد المرفود. 42 في هذه الدنيا لعنة أي وشرع الله لعنتهم ولعنة ملكهم فرعون على السنة المؤمنين من عباده المتبعين لرسله كما أنهم في الدنيا ملعونون على السنة الأنبياء قوله تعالى: وأتبعناهم



## تفسير ابن كثير

ورحمة أي من العمى والغي وهدى إلى الحق ورحمة أي إرشادا إلى العمل الصالح لعلمهم يتذكرون أي لعل الناس يتذكرون به ويهتدون بسببه. 43  
قوما بعذاب من السماء ولا من الأرض إلا قبل موسى ثم قرأ: ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى الآية. وقوله: بصائر للناس وهدى عن أبي سعيد موقوفا ثم رواه عن نصر بن علي عن عبد الأعلى عن عوف عن أبي نضرة عن أبي سعيد رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما أهلك الله حاتم من حديث عوف بن أبي حبيبة الأعرابي بنحوه وهكذا رواه أبو بكر البزار في مسنده عن عمرو بن علي الفلاس عن يحيى القطان عن عوف عن أبي نضرة على وجه الأرض غير أهل القرية الذين مسحوا قردة بعد موسى ثم قرأ ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى الآية ورواه ابن أبي حدثنا محمد بن عبد الوهاب قال حدثنا عوف عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال ما أهلك الله قوما بعذاب من السماء لا من الأرض بعدما أنزلت التوراة الله من المشركين كما قال تعالى: وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار بعدما أهلك فرعون وملأه. وقوله تعالى: من بعد ما أهلكنا القرون الأولى يعني أنه بعد إنزال التوراة لم يعذب أمة بعامة بل أمر المؤمنين أن يقاتلوا أعداء يخبر تعالى عما أنعم به على عبده ورسوله موسى الكليم عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم من إنزال التوراة عليه

يعني ما كنت يا محمد بجانب الجبل الغربي الذي كلم الله موسى من الشجرة التي هي شرقية على شاطئ الوادي وما كنت من الشاهدين لذلك. 44  
وقال ههنا بعدما أخبر عن قصة موسى من أولها إلى آخرها وكيف كان ابتداء إحياء الله إليه وتكليمه له وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون الآية وقال في سورة طه كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق الآية كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين الآية وقال في آخر السورة ذلك من أنباء القرى نقصه عليك وقال بعد ذكر قصة يوسف حاضرا لذلك ولكن الله أوحاه إليك وهكذا لما أخبره عن نوح وقومه وما كان من إنجاء الله له وإغراق قومه ثم قال تعالى: تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كما أنه لما أخبره عن مريم وما كان من أمرها قال تعالى: وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون الآية أي وما كنت الله عليه وسلم حيث أخبر بالغيوب الماضية خبرا كأن سامعه شاهد وراء لما تقدم وهو رجل أُمي لا يقرأ شيئا من الكتب نشأ بين قوم لا يعرفون شيئا من ذلك يقول تعالى منها على برهان نبوة محمد صلى

آياتنا حين أخبرت عن نبينا شعيب وما قال لقومه وما ردوا عليه ولكننا كنا مرسلين أي ولكن نحن أوحينا إليك ذلك وأرسلناك إلى الناس رسولا. 45  
الله عليهم وما أوحاه إلى الأنبياء المتقدمين وقوله تعالى: وما كنت ثاويًا في أهل مدين تتلوا عليهم آياتنا أي وما كنت مقيما في أهل مدين تتلوا عليهم ولكن الله سبحانه وتعالى أوحى إليك ذلك ليكون حجة وبرهانا على قرون قد تناول عهدها ونسوا حجج

به رحمة منه بك وبالعباد بإرسالك إليهم لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلمهم يتذكرون أي لعلمهم يهتدون بما جئتهم به من الله عز وجل. 46  
ونادينا من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا وقوله تعالى: ولكن رحمة من ربك أي ما كنت مشاهدا لشيء من ذلك ولكن الله تعالى أوحاه إليك وأخبرك ثم أخبر ههنا بصيغة أخرى أخص من ذلك وهو النداء كما قال تعالى: وإذ نادى ربك موسى وقال تعالى: إذ ناداه ربه بالوادي المقدس طوى وقال تعالى: بك إذا بعثت وقال قتادة وما كنت بجانب الطور إذ نادينا موسى وهذا والله أعلم أشبه بقوله تعالى: وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر زرعة وهو ابن عمرو بن جرير أنه قال ذلك من كلامه والله أعلم. وقال مقاتل بن حيان وما كنت بجانب الطور إذ نادينا أمتك في أصلاب آبائهم أن يؤمنوا من حديث جماعة عن حمزة وهو ابن حبيب الزيات عن الأعمش ورواه ابن جرير من حديث وكيع ويحيى بن عيسى عن الأعمش عن علي بن مدرك عن أبي عنه وما كنت بجانب الطور إذ نادينا قال نودوا أن: يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألوني وأجبتكم قبل أن تدعوني وهكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم في التفسير من سننه أخبرنا علي بن حجر أخبرنا عيسى بن يونس عن حمزة الزيات عن الأعمشي عن علي بن مدرك عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله وما كنت بجانب الطور إذ نادينا قال أبو عبد الرحمن النسائي

الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير الآية والآيات في هذا كثيرة. 47  
أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة وقال تعالى: رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقال تعالى: يا أهل بعد ذكره إنزال كتابه المبارك وهو القرآن أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين أو تقولوا لو أننا أنزل علينا الكتاب لنا رسولا الآية أي وأرسلناك إليهم لتقيم عليهم الحجة ولينقطع عذرهم إذا جاءهم عذاب من الله بكفرهم فيحتجوا بأنهم لم يأتهم رسول ولا نذير كما قال تعالى ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا

هادوا والربانيون والأخبار بما استحضروا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء والإنجيل إنما أنزل متمما للتوراة ومحلا لبعض ما حرم على بني إسرائيل. 48  
الكتاب الذي أنزله على موسى بن عمران عليه السلام وهو الكتاب الذي قال الله فيه إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين على أنبيائه أكمل ولا أشمل ولا أفصح ولا أعظم ولا أشرف من الكتاب الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن وبعده في الشرف والعظمة ورقة بن نوفل: هذا الناموس الذي أنزل على موسى. وقد علم بالضرورة لذوي الأبواب أن الله تعالى لم ينزل كتابا من السماء فيما أنزل من الكتب المتعددة أحسن الآية وقال: وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون وقالت الجن إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه وقال أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس إلى أن قال وهذا كتاب أنزلناه مبارك وقال في آخر السورة ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي

## تفسير ابن كثير

التوراة والقرآن. لأنه قال بعده قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه وكثيرا ما يقرن الله بين التوراة والقرآن كما في قوله تعالى: قل من رواية عن أبي زرعة واختاره ابن جرير. وقال الضحاك وقتادة: الإنجيل والقرآن والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب والظاهر على قراءة سحران أنهم يعنون وكذا قال عاصم الجندي والسدي وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم قال السدي: يعني صدق كل واحد منهما الآخر وقال عكرمة: يعنون التوراة والإنجيل وهو فيه بعد لأن عيسى لم يجر له ذكر ههنا والله أعلم. وأما من قرأ سحران تظاهرا فقال علي بن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس يعنون التوراة والقرآن قال يعنون موسى ومحمدا صلى الله عليهما وسلم وهذا رواية الحسن البصري. وقال الحسن وقتادة. يعني عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم وهذا بن جبير وأبو رزين في قوله سحران يعنون موسى وهارون وهذا قول جيد قوي والله أعلم وقال مسلم بن يسار عن ابن عباس قالوا سحران تظاهرا موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا قال يعني موسى وهارون صلى الله عليهما وسلم تظاهرا أي تعاونا وتناصرا وصدق كل منهما الآخر وبهذا قال سعيد أبيهما يليني أي فما أدرى يليني الخير أو الشر. قال مجاهد: أمرت اليهود قريشا أن يقولوا لمحمد صلى الله عليه وسلم ذلك فقال الله أو لم يكفروا بما أوتي أي بكل منهما كافرون ولشدة التلازم والتصاحب والمقاربة بين موسى وهارون دل ذكر أحدهما على الآخر كما قال الشاعر: فما أدرى إذا يمممت أرضا أريد الخير لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل أي أو لم يكفر البشر بما أوتي موسى من تلك الآيات العظيمة قالوا سحران تظاهرا أي تعاونا وقالوا إنا بكل كافرون لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرضي وما نحن لكما بمؤمنين وقال تعالى: فكذبوهما فكانوا من المهلكين ولهذا قال ههنا أو عليه السلام حجة وبرهانا له على فرعون وملئه وبني إسرائيل مع هذا كله لم ينجع في فرعون وملئه بل كفروا بموسى وأخيه هارون كما قالوا لهما أجنثنا على أعداء الله وكفلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى إلى غير ذلك من الآيات الباهرة والحجج القاهرة التي أجراها الله تعالى علي يدي موسى ما أوتي موسى الآية يعنون والله أعلم من الآيات الكثيرة مثل العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وتنقيص الزروع والثمار مما يضيق لم يأتهم رسول أنهم لما جاءهم الحق من عنده على لسان محمد صلى الله عليه وسلم قالوا على وجه التعنت والعناد والكفر والجهل والإلحاد لولا أوتي مثل يقول تعالى مخبرا عن القوم الذين لو عذبهم قبل قيام الحجة عليهم لاحتجوا بأنهم

أي فيما تدافعون به الحق وتعارضون به من الباطل. 49

وهلاكك وهلاك جنودك على يديه لتعلم أن رب السموات العلا هو القاهر الغالب العظيم القوي العزيز الشديد المحال الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. 5 الذي احتزمت من وجوده وقتلت بسببه ألوفا من الولدان إنما منشؤه ومرباه على فراشك وفي دارك وغذاؤه من طعامك وأنت تربيته وتدله وتتفاده وحتفك من ذلك مع قدرة الملك العظيم الذي لا يخالف أمره القدري ولا يغلب بل نفذ حكمه وجرى قلمه في القدم بأن يكون هلاك فرعون على يديه بل يكون هذا الغلام القوم الذين كانوا يستضعفون إلى قوله يعرشون وقال تعالى: كذلك وأورثناها بني إسرائيل أراد فرعون بحوله وقوته أن ينجو من موسى فما نفعه قال تعالى: ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض إلى قوله يحذرون وقد فعل تعالى ذلك بهم كما قال تعالى: وأورثنا

أي بلا دليل ولا حجة ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله أي بغير حجة مأخوذة من كتاب الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين. 50

قال الله تعالى: فإن لم يستجيبوا لك أي فإن لم يجيبوك عما قلت لهم ولم يتبعوا الحق فاعلم أنما يتبعون أهواءهم

عبدالرحمن بن الزبير بن باطا كذا ذكره ابن الأثير قال نزلت ولقد وصلنا لهم القول في عشرة أنا أحدهم. رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديثه. 51 جعدة عن رفاعه رفاعه هذا هو ابن قرظلة القرظي وجعله ابن منده: رفاعه بن شموال خال صفية بن حيي وهو الذي طلق تيممة بنت وهب التي تزوجها بعده وكيف هو صانع لعلهم يتذكرون قال مجاهد وغيره وصلنا لهم يعني قريشا وهذا هو الظاهر لكن حماد بن سلمة عن عمرو بن دينار عن يحيى بن وقوله تعالى: ولقد وصلنا لهم القول قال مجاهد فصلنا لهم القول. وقال السدي بينا لهم القول وقال قتادة: يقول تعالى أخبرهم كيف صنع بمن مضى

وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين يعني من قبل هذا القرآن كنا مسلمين أي موحدين مخلصين لله مستجيبين له. 52 وسلم قرأ عليهم يس والقرآن الحكيم حتى ختمها فجعلوا ييكون وأسلموا ونزلت فيهم هذه الآية الأخرى الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون قالوا إنا نصارى إلى قوله فآتينا مع الشاهدين قال سعيد بن جبير نزلت في سبع من القسيسين بعثهم النجاشي فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا وقال تعالى: ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين حق تلاوته أولئك يؤمنون به وقال تعالى: وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله وقال تعالى: إن الذين أوتوا يخبر تعالى عن العلماء الأولياء من أهل الكتاب أنهم يؤمنون بالقرآن كما قال تعالى: الذين آتيناهم الكتاب يتلون

وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين يعني من قبل هذا القرآن كنا مسلمين أي موحدين مخلصين لله مستجيبين له. 53 وسلم قرأ عليهم يس والقرآن الحكيم حتى ختمها فجعلوا ييكون وأسلموا ونزلت فيهم هذه الآية الأخرى الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون قالوا إنا نصارى إلى قوله فآتينا مع الشاهدين قال سعيد بن جبير نزلت في سبع من القسيسين بعثهم النجاشي فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا وقال تعالى: ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين حق تلاوته أولئك يؤمنون به وقال تعالى: وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله وقال تعالى: إن الذين أوتوا يخبر تعالى عن العلماء الأولياء من أهل الكتاب أنهم يؤمنون بالقرآن كما قال تعالى: الذين آتيناهم الكتاب يتلون

## تفسير ابن كثير

رزقهم من الحلال ينفقون على خلق الله في النفقات الواجبة لأهلهم وأقاربهم والزكاة المفروضة والمستحبة من التطوعات وصدقات النفل والقربات. 54  
مالنا وعليه ما علينا وقوله تعالى: ويدرون بالحسنة السيئة أي لا يقابلون السيء بمثله ولكن يعفون ويصفحون ومما رزقناهم ينفقون أي ومن الذي قال: إنى لتحت راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فقال قولاً حسناً جميلاً وقال فيما قال: من أسلم من أهل الكتابين فله أجره مرتين وله تأديبها ثم أعتقها فتزوجها. وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن إسحاق السيلحيني حدثنا ابن لهيعة عن سليمان بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي أمامة عليه وسلم: ثلاثه يؤتون أجرهم مرتين. رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه ثم آمن بي وعبد مملوك أدى حق الله وحق مواليه ورجل كانت له أمة فأدبها فأحسن هذا شديد على النفوس. وقد ورد في الصحيح من حديث عامر الشعبي عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ثلاثه يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا أي هؤلاء المتصفون بهذه الصفة الذين آمنوا بالكتاب الأول ثم بالثاني ولهذا قال: بما صبروا أي على اتباع الحق فإن تجشم مثل قال الله تعالى: أولئك يؤتون

أنهن في النجاشي وأصحابه رضي الله عنهم والآيات اللاتي في سورة المائدة ذلك بأن منهم قسيسين وrehباناً - إلى قوله فآكتبنا مع الشاهدين. 55  
الذين أتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون إلى قوله لا نبتغي الجاهلين قال وسألت الزهري عن هذه الآيات فيمن نزلت قال ما زلت أسمع من علمائنا ولكم ما أنتم عليه لم نأل أنفسنا خيراً. قال ويقال إن النفر النصارى من أهل نجران فآله أعلم أي ذلك كان. قال ويقال والله أعلم أن فيهم نزلت هذه الآيات تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتهم دينكم وصدقتموه فيما قال ما نعلم ركباً أحق منكم أو كما قالوا لهم فقالوا لهم سلام عليكم لا نجاهلكم لنا ما نحن عليه عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام في نفر من قريش فقالوا لهم خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم تزدادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل فلم عليهم القرآن فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا لله وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره فلما قاموا إليه وكلموه وسألوه ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة فلما فرغوا من مسألة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما أرادوا دعاهم إلى الله تعالى وتلا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة عشرون رجلاً أو قريب من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة فوجدوه في المسجد فجلسوا قال عنهم إنهم قالوا: لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين أي لا نريد طريق الجاهلين ولا نحبها. قال محمد بن إسحاق في السيرة ثم الجاهلين أي إذا سقه عليهم سفيه وكلمهم بما لا يليق بهم الجواب عنه أعرضوا عنه ولم يقابلوه بمثله من الكلام القبيح ولا يصدر عنهم إلا كلام طيب ولهذا أعرضوا عنه أي لا يخالطون أهله ولا يعاشرهم بل كما قال تعالى: وإذا مروا باللغو مروا كراماً وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي وقوله تعالى: وإذا سمعوا اللغو

وعلى دينهم حتى أرجع إليهم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ونظر إلى أصحابه وقال: إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء. 56  
كتاباً فأتيته فدفعته الكتاب فوضعه في حجره ثم قال: ممن الرجل؟ قلت من تنوخ قال: هل لك في دين أبيك إبراهيم الحنيفة؟ قلت إني رسول قوم بن سلمة حدثنا عبدالله بن عثمان بن خيثم عن سعيد بن أبي راشد قال كان رسول قيصر جاء إلي قال كتب معي قيصر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إله إلا الله فأبى عليه ذلك وقال أي ابن أخي ملة الأشياخ وكان آخر ما قاله هو على ملة عبدالمطلب وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو سلمة حدثنا حماد فذكره بنحوه وهكذا قال ابن عباس وابن عمر ومجاهد والشعبي وقتادة إنها نزلت في أبي طالب حين عرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول لا حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث يزيد بن كيسان ورواه الإمام أحمد عن يحيى بن سعيد القطان عن يزيد بن كيسان حدثني أبو حازم عن أبي هريرة جزع الموت لأقررت بها عينك لا أقولها إلا لأقر بها عينك نزل الله تعالى إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين وقال الترمذي طالب أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا عماه قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة فقال لولا أن تعيرني بها قريش يقولون ما حملة عليه إلا يشاء أخرجاه من حديث الزهري وهكذا رواه مسلم في صحيحه والترمذي من حديث يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: لما حضرت وفاة أبي فأنزل الله تعالى: ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى وأنزل في أبي طالب إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من المقالة حتى كان آخر ما قال هو على ملة عبدالمطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والله لاستغفرن لك ما لم أنه عنك الله فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية يا أبا طالب أترغب عن ملة عبدالمطلب؟ فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعودان له بتلك وسلم فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند التامة. قال الزهري حدثني سعيد بن المسيب عن أبيه وهو المسيب بن حزن المخزومي قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان والدخول في الإسلام فسبق القدر فيه واختطف من يده فاستمر على ما كان عليه من الكفر ولله الحكمة أبي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان يحوطه وينصره ويقوم في صفه ويحبه حباً شديداً طبعياً لا شريعياً فلما حضرته الوفاة وحان أجله تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين أي هو أعلم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية وقد ثبت في الصحيحين أنها نزلت في تعالى: ليس عليك هدام ولكن الله يهدي من يشاء. وقال تعالى: وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وهذه الآية أخص من هذا كله فإنه قال: إنك لا صلى الله عليه وسلم إنك يا محمد لا تهدي من أحببت أي ليس إليك ذلك إنما عليك البلاغ والله يهدي من يشاء وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة كما قال يقول تعالى لرسوله

أبي مليكة قال: قال عمرو بن شعيب عن ابن عباس ولم يسمعه منه أن الحارث بن عامر بن نوفل الذي قال: إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا. 57

## تفسير ابن كثير

رزقا من لدنا أي من عندنا ولكن أكثرهم لا يعلمون ولهذا قالوا ما قالوا وقد قال النسائي أنبأنا الحسن بن محمد حدثنا حجاج عن ابن جريج أخبرني ابن يكون آمناء لهم وقد أسلموا وتابوا الحق؟ وقوله تعالى: يجبي إليه ثمرات كل شيء أي من سائر الثمار مما حوله من الطائف وغيره وكذلك المتاجر والأمتعة هذا الذي اعتذروا به كذب وباطل لأن الله تعالى جعلهم في بلد أمين وحرم معظم آمن منذ وضع فكيف يكون هذا الحرم آمناء لهم في حال كفرهم وشركهم ولا وخالفنا من حولنا من أحياء العرب المشركين أن يقصدونا بالأذى والمহারبة ويتخطفونا أينما كنا قال الله تعالى مجيبا لهم أو لم نمكن لهم حرما آمناء يعني الكفار في عدم اتباع الهدى حيث قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أي نخشى إن اتبعنا ما جئت به من الهدى وقوله تعالى: وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا يقول تعالى مخبرا عن اعتذار بعض

ميراث الله تعالى ثم تلا وكنا نحن الوارثين ثم قال تعالى مخبرا عن عدله وأنه لا يهلك أحدا ظالما له وإنما يهلك من أهلك بعد قيام الحجة عليهم. 58 الزرع؟ قالت: لأنه أخرج آدم من الجنة بسببه قال فمالك لا تشربين الماء؟ قالت لأن الله تعالى أغرق قوم نوح به قال فمالك لا تأوين إلا إلى الخراب؟ قالت لأنه خرابا ليس فيها أحد وقد ذكر ابن أبي حاتم ههنا عن ابن مسعود أنه سمع كعبا يقول لعمر: إن سليمان عليه السلام قال للهامة يعني البومة مالك لا تأكلين ولهذا قال تعالى: فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا أي دثرت ديارهم فلا ترى إلا مساكنهم وقوله تعالى: وكنا نحن الوارثين أي رجعت من الأرزاق كما قال في الآية الأخرى وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان إلى قوله فأخذهم العذاب وهم ظالمون يقول تعالى معرضا بأهل مكة في قوله تعالى: وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها أي طغت وأشرت وكفرت نعمة الله فيما أنعم به عليهم

المراد بقوله: حتى يبعث في أمها رسولا أي أصلها وعظيمنتها كأمهات الرساتيق والأقاليم حكاية الزمخشري وابن الجوزي وغيرهما وليس ببعيد. 59 عليه أنه قال: بعثت إلى الأحمر والأسود ولهذا ختم به النبوة والرسالة فلا نبي بعده ولا رسول بل شرعه باق بقاء الليل والنهار إلى يوم القيامة وقيل نبعت رسولا فجعل تعالى بعثة النبي الأمي شاملة لجميع القرى لأنه مبعوث إلى أمها وأصلها التي ترجع إليها وثبت في الصحيحين عنه صلوات الله وسلامه من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا فأخبر تعالى أنه سيهلك كل قرية قبل يوم القيامة وقد قال تعالى: وما كنا معذبين حتى يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا وقال: لأنذركم به ومن بلغ وقال: ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده وتام الدليل قوله تعالى: وإن محمد صلى الله عليه وسلم المبعوث من أم القرى رسول إلى جميع القرى من عرب وأعجم كما قال تعالى: لتنذر أم القرى ومن حولها وقال تعالى: قل قال: وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها وهي مكة رسولا يتلوا عليهم آياتنا فيه دلالة على أن النبي الأمي وهو

وهلاكك وهلاك جنودك على يديه لتعلم أن رب السموات العلا هو القاهر الغالب العظيم القوي العزيز الشديد المحال الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. 6 الذي احتزرت من وجوده وقتلت بسببه ألوفا من الولدان إنما منشؤه ومرباه على فراشك وفي دارك وغداؤه من طعامك وأنت تربيته وتدلله وتتفاده وحتفك من ذلك مع قدرة الملك العظيم الذي لا يخالف أمره القدري ولا يغلب بل نفذ حكمه وجرى قلمه في القدم بأن يكون هلاك فرعون على يديه بل يكون هذا الغلام القوم الذين كانوا يستضعفون إلى قوله يعرشون وقال تعالى: كذلك وأورثناها بني إسرائيل أراد فرعون بحوله وقوته أن ينجو من موسى فما نفعه قال تعالى: ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض إلى قوله يحذرون وقد فعل تعالى ذلك بهم كما قال تعالى: وأورثنا

الدنيا في الآخرة إلا كما يغمس أحدكم أصبعه في اليم فلينظر ماذا يرجع إليه وقوله تعالى: أفلا تعقلون أي أفلا يعقل من يقدم الدنيا على الآخرة. 60 وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع وقال تعالى: بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والله ما الحياة الله لعباده الصالحين في الدار الآخرة من النعيم العظيم المقيم كما قال تعالى: ما عندكم ينفد وما عند الله باق وقال: وما عند الله خير للأبرار وقال: يقول تعالى مخبرا عن حقارة الدنيا وما فيها من الزينة الدنيئة والزهرة الفانية بالنسبة إلى ما أعده

على صاحبه وهو في الدرجات وذاك في الدرجات فقال: ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين وقال تعالى: ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون. 61 الله عليه وسلم وفي أبي جهل. وقيل في حمزة وعلي وأبي جهل وكلاهما عن مجاهد والظاهر أنها عامة وهذا كقوله تعالى إخبارا عن ذلك المؤمن حين أشرف فهو ممتع في الحياة الدنيا أياما قلائل ثم هو يوم القيامة من المحضرين قال مجاهد وقتادة من المعذبين ثم قد قيل إنها نزلت في رسول الله صلى يقول تعالى أفمن هو مؤمن مصدق بما وعده الله على صالح الأعمال من الثواب الذي هو صائر إليه لا محالة كمن هو كافر مكذب بقاء الله ووعدته ووعيده قوله تعالى: أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقية كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين

أول مرة وتركتهم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون. 62 تعبدونها في الدار الدنيا من الأصنام والأنداد هل ينصرونكم أو ينتصرون وهذا على سبيل التقرير والتهديد كما قال تعالى: ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم يقول تعالى مخبرا عما يوبخ به الكفار المشركين يوم القيامة حيث يناديهم فيقول: أين شركائي الذين كنتم تزعمون يعني أين الآلهة التي كنتم

أغووهم فاتبعوهم ثم تبرؤا من عبادتهم كما قال تعالى: واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا. 63 عليهم القول يعني الشياطين والمردة والدعاة إلى الكفر ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون فشهدوا عليهم أنهم وقوله: قال الذين حق

يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا. 64

## تفسير ابن كثير

صائرون إلى النار لا محالة. وقوله: لو أنهم كانوا يهتدون أي فودوا حين عاينوا العذاب لو أنهم كانوا من المهتدين في الدار الدنيا وهذا كقوله تعالى: ويوم قال: وقل ادعوا شركاءكم أي ليخلصوكم مما أنتم فيه كما كنتم ترجون منهم في الدار الدنيا فدعوه فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب أي وتيقنوا أنهم ببعض ويلعن بعضكم بعضا الآية وقال الله تعالى: إذ تبرا الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب إلى قوله وما هم بخارجين من النار ولهذا أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين وقال الخليل عليه السلام لقومه إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم وقال تعالى: ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم

ورسوله وأما الكافر فيقول هاه هاه لا أدري ولهذا لا جواب له يوم القيامة غير السكون لأن من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا. 65 للمرسلين إليكم وكيف كان حالكم معهم وهذا كما يسأل العبد في قبره. من ربك ومن نبيك وما دينك؟ فأما المؤمن فيشهد أنه لا إله إلا الله وأن محمدا عبده وقوله: ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين النداء الأول عن سؤال التوحيد وهذا فيه إثبات النبوات ماذا كان جوابكم

قال تعالى: فعميت عليهم الأنباء يومئذ فهم لا يتساءلون قال مجاهد فعميت عليهم الحجج فهم لا يتساءلون بالأنساب. 66

وأمن وعمل صالحا أي في الدنيا فعسى أن يكون من المفلحين أي يوم القيامة وعسى من الله موجبة فإن هذا واقع بفضل الله ومنته لا محالة. 67 وقوله: فأما من تاب

والتقدير والاختيار وأنه لا نظير له في ذلك ولهذا قال: سبحان الله وتعالى عما يشركون أي من الأصنام والأنداد التي لا تخلق ولا تختار شيئا. 68 طائفة المعتزلة على وجوب مراعاة الأصلح والصحيح أنها نافيه كما نقله ابن أبي حاتم عن ابن عباس وغيره أيضا فإن المقام في بيان انفرادة تعالى بالخلق الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم وقد اختار ابن جرير أن ما ههنا بمعنى الذي تقديره: ويختار الذي لهم فيه خيرة وقد احتج بهذا المسلك لم يكن فالأمور كلها خيرها وشرها بيده ومرجعها إليه. وقوله: ما كان لهم الخيرة نفي على أصح القولين كقوله تعالى: وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى تعالى أنه المنفرد بالخلق والاختيار وأنه ليس له في ذلك منازع ولا معقب قال تعالى: وربك يخلق ما يشاء ويختار أي ما يشاء فما شاء كان وما لم يشأ يخبر

تنطوي عليه السرائر كما يعلم ما تبديه الظواهر من سائر الخلائق سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار. 69 ثم قال تعالى: وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون أي يعلم ما تكن الضمائر وما

إذا هو غلام من أحسن الخلق وأجمله وأحلاه وأباه فأوقع الله محبته في قلبها حين نظرت إليه وذلك لسعادتها وما أراد الله من كرامتها وشقاوة بعلمها. 7 حتى مر به على دار فرعون فالتقطه الجواري فاحتملته فذهبن به إلى امرأة فرعون ولا يدرين ما فيه وخشين أن يفتتن عليها في فتحه دونها فلما كشفت عنه وربطته بحبل عندها فلما كان ذات يوم دخل عليها من تخافه فذهبت فوضعت في ذلك التابوت وأرسلته في البحر وذهلت أن تربطه فذهب مع الماء واحتمله على حافة النيل فاتخذت تابوتا ومهدت فيه مهدا وجعلت ترضع ولدها فإذا دخل عليها أحد ممن تخافه ذهبت فوضعت في ذلك التابوت وسيرته في البحر تعالى: وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين وذلك أنه كانت دارها فالسعيد من أحبه طبعها وشرعا قال الله تعالى: وألقيت عليك محبة مني فلما ضاقت به ذرعا ألهمت في سرها وألقي في خلدتها وأنث في روعها كما قال كغيرها ولم تطفن لها الدايات ولكن لما وضعته ذكرها ضاقت به ذرعا وخافت عليه خوفا شديدا وأحبته حبا زائدا وكان موسى عليه السلام لا يراه أحد إلا أحبه ولدت غلاما دخل أولئك الذباحون بأيديهم الشفار المرهفة فقتلوه ومضوا قبحهم الله تعالى. فلما حملت أم موسى به عليه السلام لم يظهر عليها مخايل الحمل بذلك وقوابل يدورون على النساء فمن رأيتها قد حملت أحصوا اسمها فإذا كان وقت ولادتها لا يقبلها إلا نساء القبط فإن ولدت المرأة جارية تركتها وذهبن وإن عاما وتركهن عاما فولد هارون عليه السلام في السنة التي يتركون فيها الولدان وولد موسى في السنة التي يقتلون فيها الولدان وكان لفرعون ناس موكلون إن استمر هذا الحال أن يموت شيوخهم وغلمانهم يقتلون ونساؤهم لا يمكن أن تقمن بما تقوم به رجالهم من الأعمال فيخلص إلينا ذلك فأمر بقتل الولدان ذكروا أن فرعون لما أكثر من قتل ذكور بني إسرائيل خافت القبط أن يفني بني إسرائيل فيلون هم ما كانوا يلونه من الأعمال الشاقة فقالوا لفرعون إنه يوشك

وحكمته ورحمته وإليه ترجعون أي جميعكم يوم القيامة فيجزي كل عامل بعمله من خير وشر ولا يخفى عليه منهم خافية في سائر الأعمال. 70 ما يشاء ويختار سواه له الحمد في الأولى والآخرة أي في جميع ما يفعله هو المحمود عليه بعدله وحكمته وله الحكم أي الذي لا معقب له لقهرة وغلبته وقوله: وهو الله لا إله إلا هو أي هو المنفرد بالإلهية فلا معبود سواه كما لا رب يخلق

لأضر ذلك بهم ولستئمه النفوس وانحصرت منه ولهذا قال تعالى: من إله غير الله يأتيكم بضياء أي تبصرون به وتستأنسون بسببه أفلا تسمعون. 71 يقول تعالى ممتنا على عباده بما سخر لهم من الليل والنهار اللذين لا قوام لهم دونهما وبين أنه لو جعل الليل دائما عليهم سرمدا إلى يوم القيامة

من كثرة الحركات والأشغال ولهذا قال تعالى: من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أي تستريحون من حركاتكم وأشغالكم أفلا تبصرون. 72

أخبر تعالى أنه لو جعل النهار سرمدا أي دائما مستمرا إلى يوم القيامة لأضر ذلك بهم ولتعبت الأبدان وكلت

استدركه بالنهار أو بالنهار استدركه بالليل كما قال تعالى: وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا والآيات في هذا كثيرة. 73 والترحال والحركات والأشغال وهذا من باب اللف والنشر. وقوله: ولعلكم تشكرون أي تشكرون الله بأنواع العبادات في الليل والنهار ومن فاته شيء بالليل

## تفسير ابن كثير

ومن رحمته أي بكم جعل لكم الليل والنهار أي خلق هذا وهذا لتسكنوا فيه أي في الليل ولتبتغوا من فضله أي في النهار بالأسفار

سبيل التوبىخ والتقريب لمن عبد مع الله إلها آخر يناديهم الرب تعالى على رءوس الأشهاد فيقول. أين شركائي الذين كنتم تزعمون أي في دار الدنيا. 74 وهذا أيضا نداء ثان على

ادعيتهم من أن لله شركاء فعلموا أن الحق لله أي لا إله غيره فلم ينطقوا ولا يحيروا جوابا وضل عنهم ما كانوا يفترون أي ذهبوا فلم ينفعوهم. 75 ونزعنا من كل أمة شهيدا قال مجاهد: يعني رسولا فقلنا هاتوا برهانكم أي على صحة ما

فيه من المال إن الله لا يحب الفرحين قال ابن عباس يعني المرحين وقال مجاهد يعني الأشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم. 76 له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين أي وعظه فيما هو فيه صالحو قومه فقالوا على سبيل النصح والإرشاد: لا تفرح بما أنت فيه يعنون لا تبطر بما أنت من جلود كل مفتاح مثل الإصبع كل مفتاح على خزانة على حدته فإذا ركب حملت على ستين بغلا أغر محجلا وقيل غير ذلك والله أعلم. وقوله: إذ قال من الكنوز أي الأموال ما إن مفاتيحه لتنوء بالعصبة أولي القوة أي ليثقل حملها الفنام من الناس لكثرتها. قال الأعمش عن خيثمة كانت مفاتيح كنوز قارون بالتوراة ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري فأهلكه البغي لكثرة ماله: وقال شهر بن حوشب زاد في ثيابه شبرا طولا ترفعا على قومه. وقوله: وآتيناه قال ابن جريج وأكثر أهل العلم على أنه كان ابن عمه والله أعلم وقال قتادة بن دعامة كنا نحدث أنه كان ابن عم موسى وكان يسمى المنور لحسن صوته قال ابن جريج هو قارون بن يهصب بن قاهث وموسى بن عمران بن قاهث وزعم محمد بن إسحاق بن يسار أن قارون كان عم موسى بن عمران عليه السلام. وهكذا قال إبراهيم النخعي وعبدالله بن الحارث بن نوفل وسماك بن حرب وقاتدة ومالك بن دينار وابن جريج وغيرهم أنه كان ابن عم موسى عليه السلام. قال الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعد بن جبيرة عن ابن عباس قال: إن قارون كان من قوم موسى قال كان ابن عمه

أحسن هو إليك ولا تبغ الفساد في الأرض أي لا تكن همتك بما أنت فيه أن تفسد به في الأرض وتسيء إلى خلق الله إن الله لا يحب المفسدين. 77 فإن لربك عليك حقا ولنفسك عليك حقا ولزورك عليك حقا فأت كل ذي حق حقه وأحسن كما أحسن الله إليك أي أحسن إلى خلقه كما القربات التي يحصل لك بها الثواب في الدنيا والآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا أي مما أباح الله فيها من المأكول والمشرب والملابس والمساكن والمناجح فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا أي استعمل ما وهب الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة في طاعة ربك والتقرب إليه بأنواع وقوله: وابتغ

أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا الآية. وهكذا يقول من قل علمه إذا رأى من وسع الله عليه لولا أن يستحق ذلك لما أعطي. 78 زيد بن أسلم فإنه قال في قوله: قال إنما أوتيته على علم عندي قال لولا رضا الله عني ومعرفته بفضلي ما أعطاني هذا المال وقرأ أولم يعلم أن الله قد أي لكثرة ذنوبهم. قال قتادة: على علم عندي على خير عندي وقال السدي على علم أي أهل لذلك. وقد أجاد في تفسير هذه الآية الإمام عبدالرحمن بن أي قد كان من هو أكثر منه مالا وما كان ذلك عن محبة منا له وقد أهلكهم الله مع ذلك بكفرهم وعدم شكرهم ولهذا قال ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون قال الله تعالى رادا عليه فما ادعاه من اعتناء الله به فيما أعطاه من المال أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا والأحاديث والآثار في هذا كثيرة جدا يطول ذكرها وقال بعضهم إن قارون كان يعرف الاسم الأعظم فدعا الله به فتمول بسببه. والصحيح المعنى الأول ولهذا رحمه الله أنه سأل سائل فلم يكن عنده ما يعطيه ورأى ضرورته فأخذ حصاة من الأرض فأجالها في كفه ثم ألقاها إلى ذلك السائل فإذا هي ذهب أحمر. مسلم ولا يرد مؤمن ولكن هذا ليس من قبيل الصناعات وإنما هذا عن مشيئة رب الأرض والسموات واختياره وفعله كما روي عن حيوة بن شريح المصري الجهلة الفسقة الأفاكون فأما ما يجريه الله سبحانه من خرق العوائد على يدي بعض الأولياء من قلب بعض الأعيان ذهبا أو فضة أو نحو ذلك فهذا أمر لا ينكره وترويح أنه صحيح في نفس الأمر وليس كذلك قطعا لا محالة ولم يثبت بطريق شرعي أنه صح مع أحد من الناس من هذه الطريقة التي يتعاطاها هؤلاء أنه يحيل ماهية هذه الذات إلى ماهية ذات أخرى هذا زور ومحال وجهل وضلال وإنما يقدر على الصبغ في الصورة الظاهرة وهي كذب وزغل وتمويه ذهب يخلق كخلفي فليخلقوا ذرة فليخلقوا شعيرة وهذا ورد في المصورين الذين يشبهون بخلق الله في مجرد الصورة الظاهرة أو الشكل فكيف بمن يدعي له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يقول الله ومن أظلم ممن القول ضعيف لأن علم الكيمياء في نفسه علم باطل لأن قلب الأعيان لا يقدر أحد عليها إلا الله عز وجل قال الله تعالى: يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي أي هذا أستحقه: وقد روي عن بعضهم أنه أراد إنما أوتيته على علم عندي أي أنه كان يعاني علم الكيمياء وهذا له وهذا كقوله تعالى: وإذا مس الإنسان ضر دعانا ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم أي على علم من الله بي وكقوله تعالى ولئن أذقناه رحمة علم عندي أي أنا لا أفتر إلى ما تقولون فإن الله تعالى إنما أعطاني هذا المال لعلمه بأني أستحقه ولمحبته لي فتقديره إنما أعطيته لعلم الله في أنني أهل يقول تعالى مخبرا عن جواب قارون لقومه حين نصحوه وأرشدوه إلى الخير قال إنما أوتيته على

أن لو كان لهم مثل الذي أعطي قالوا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم أي ذو حظ وافر من الدنيا فلما سمع مقالتهم أهل العلم النافع. 79 يوم على قومه في زينة عظيمة وتجمل باهر من مراكب وملابس عليه وعلى خدمه وحشمه فلما رآه من يريد الحياة الدنيا ويميل إلى زخارفها وزينتها تمنوا يقول تعالى مخبرا عن قارون أنه خرج ذات

## تفسير ابن كثير

وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وقتلتم أنتم لو شاء فرعون أن يكون لموسى وليا وناصرًا والله تعالى يقول: ليكون لهم عدوا وحزنا. 80 إلى قوم من القدرية في تكذيبهم بكتاب الله وبأقداره النافذة في علمه السابق وموسى في علم الله السابق لفرعون عدو وحزن قال الله تعالى: ونرى فرعون حذرهم منه ولهذا قال تعالى: إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين وقد روي عن أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه أنه كتب كتابا يقتضي ما قالوه ولكن إذا نظر إلى معنى السياق فإنه تبقى اللام للتعليل لأن معناه أن الله تعالى قيضهم لالتقاطه ليجعله عدوا له وحزنا فيكون أبلغ في إبطال آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا الآية قال محمد بن إسحاق وغيره اللام هنا لام العاقبة لا لام التعليل لأنهم لم يريدوا بالتقاطه ذلك ولا شك أن ظاهر اللفظ خاطئين. ولهذا قال: فالتقطه

الكلمة إلا الصابرون عن محبة الدنيا الراغبون في الدار الآخرة وكأنه جعل ذلك مقطوعا من كلام أولئك وجعله من كلام الله عز وجل وإخباره بذلك. 80 يعملون وقوله ولا يلقاها إلا الصابرون قال السدي ولا يلقى الجنة إلا الصابرون كأنه جعل ذلك من تمام كلام الذين أوتوا العلم قال ابن جرير ولا يلقى هذه أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقراءوا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا أي جزاء الله لعباده المؤمنين الصالحين في الدار الآخرة خير مما ترون. كما في الحديث الصحيح يقول الله تعالى ويلكم

عنه ماله ولا جمعه ولا خدمه وحشمه ولا دفعوا عنه نقمة الله وعذابه ونكاله ولا كان هو في نفسه منتصرا لنفسه فلا ناصر له من نفسه ولا من غيره. 81 القيامة وقد ذكر ههنا إسرائيلييات غريبة أضربنا عنها صفحا وقوله تعالى: فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين أي ما أغنى لاوى فاستوت بهم الأرض وعن ابن عباس قال: خسف بهم إلى الأرض السابعة وقال قتادة ذكر لنا أنه يخسف بهم كل يوم قامة فهم يتجلجلون فيها إلى يوم ثم قال خذهم فأخذتهم إلى ركبهم ثم قال أقبل يكنوزهم وأموالهم قال فأقبلت بها حتى نظروا إليها ثم أشار موسى بيده ثم قال اذهبوا بني قال موسى أذهبوا؟ قال نعم فقال موسى اللهم مر الأرض أن تطيعني اليوم فأوحى الله إليه أي قد فعلت فقال موسى يا أرضي خذهم فأخذتهم إلى أقدامهم. فلتدعون علي وأدعو عليك فخرج موسى وخرج قارون في قومه فقال موسى عليه السلام تدعو وأدعو أنا؟ فقال بل أدعو أنا فدعا قارون فلم يجب له ثم فيه فدعاه موسى عليه السلام وقال: ما حملك على ما صنعت؟ فقال يا موسى أما لئن كنت فضلت علي بالنبوة فلقد فضلت عليك بالدنيا ولئن شئت لتخرجن فمر في محفله ذلك على مجلس نبي الله موسى عليه السلام وهو يذكرهم بأيام الله فلما رأى الناس قارون انصرف وجوههم نحوه ينظرون إلى ما هو أن تبتلعه وداره فكان ذلك. وقيل إن قارون لما خرج على قومه في زينته تلك وهو راكب على البغال الشهب وعليه وعلى خدمه ثياب الأرجوان المصبغة أستغفر الله وأتوب إليه فعند ذلك خر موسى لله عز وجل ساجدا وسأل الله في قارون فأوحى الله إليه أن قد أمرت الأرض أن تطيعك فيه فأمر موسى الأرض وأنجاكم من فرعون وفعل كذا وكذا لما أخبرتني بالذي حملك على ما قلت؟ فقالت أما إذا نشدتي فإن قارون أعطاني كذا وكذا على أن أقول ذلك لك وأنا إنك فعلت بي كذا وكذا فلما قالت ذلك في الملام لموسى عليه السلام أرعد من الفرق وأقبل عليها بعدما صلى ركعتين ثم قال أنشدك بالله الذي فرق البحر والسدي أن قارون أعطى امرأة بغيا مالا على أن تبهت موسى بحضرة الملام من بني إسرائيل وهو قائم فيهم يتلو عليهم كتاب الله تعالى فتقول يا موسى صار بطول الشبر فأخذه بعض قرابته في كفه وذهب به. وقد ذكر أن هلاك قارون كان من دعوة موسى نبي الله عليه السلام واختلف في سببه فعن ابن عباس أنظر إليه وأتعجب من طوله وتماحه وجماله فقال مالك تنظر إلي؟ فقلت أعجب من جمالك وكمالك. فقال إن الله ليعجب مني قال فما زال ينقص وينقص حتى فيها إلى يوم القيامة وقد ذكر الحافظ محمد بن المنذر في كتاب العجائب الغريبة بسنده عن نوفل بن مساحق قال رأيت شابا في مسجد نجران فجعلت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بينما رجل ممن كان قبلكم خرج في بردين فاختلف فيهما فأمر الله الأرض فأخذته فهو يتجلجل وإسناده حسن وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا أبو خيثمة حدثنا يعلى بن منصور أخبرني محمد بن مسلم سمعت زياد النميري يحدث عن أنس بن مالك عليه وسلم: بينما رجل ممن كان قبلكم خرج في بردين أخضرين يختال فيهما أمر الله الأرض فأخذته فإنه ليتجلجل فيها إلى يوم القيامة تفرد به أحمد الله عليه وسلم نحوه. وقال الإمام أحمد حدثنا النضر بن إسماعيل أبو المغيرة القاص حدثنا الأعمش عن عطية عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بينما رجل يجر إزاره إذ خسف به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة ثم رواه من حديث جرير بن زيد عن سالم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم عقب ذلك بأنه خسف به وبداره الأرض كما ثبت في الصحيح عند البخاري من حديث الزهري عن سالم أن أباه حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ذكر تعالى اختيال قارون في زينته وفخره على قومه وبغيه

ألم تر أن واستشهد بقول الشاعر: سألتاني الطلاق إذ رأتاني قل مالي وقد جنتماني بنكر ويكأن من يكن له نشب يحبب ومن يفتقر يعيش عيش ضر 82 وقيل: معناها وي كأن ففصلها وجعل حرف وي للتعجب أو للتنبيه وكأن بمعنى أظن واحتسب. قال ابن جرير وأقوى الأقوال في هذا قول قتادة أنها بمعنى ذلك إلا كتابتها في المصاحف متصلة ويكأن. والكتابة أمر وضعي اصطلاحى والمرجع إلى اللفظ العربي والله أعلم وقيل معناها ويكأن أي ألم تر أن قاله قتادة ويكأن فقال بعضهم معناه ويلك أعلم أن ولكن خفف فقليل ويك ودل فتح أن على حذف اعلم وهذا القول ضعفه ابن جرير والظاهر أنه قوي ولا يشكل على أن نكون مثله ويكأنه لا يفلح الكافرون يعنون أنه كان كافرا ولا يفلح الكافر عند الله لا في الدنيا ولا في الآخرة وقد اختلف النحاة في معنى قوله ههنا يحب ومن لا يحب ولا يعطي الإيمان إلا من يحب لولا أن من الله علينا لخسف بنا أي لولا لطف الله بنا وإحسانه إلينا لخسف بنا كما خسف به لأنا وددنا الحكمة التامة والحجة البالغة وهذا كما في الحديث المرفوع عن ابن مسعود إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وإن الله يعطي المال من

## تفسير ابن كثير

ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر أي ليس المال بدال على رضا الله عن صاحبه فإن الله يعطي ويمنع ويضيق ويوسع ويخفض ويرفع وله وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس أي الذين لما رأوه في زينته قالوا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم فلما خسف به أصبحوا يقولون من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون. وقوله تعالى:

رجلا قال: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إنني أحب أن يكون ردائي حسنا ونعلي حسنة أفمن الكبر ذلك ؟ فقال: لا إن الله جميل يحب الجمال. 83 وسلم أنه قال: إنه أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد وأما إذا أحب ذلك لمجرد التأمل فهذا لا بأس به فقد ثبت أن ولا فسادا والعاقبة للمتقين وهذا محمول على ما إذا أراد بذلك الفخر والتطاول على غيره فإن ذلك مذموم كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه قال: إن الرجل ليعجبه من شراك نعله أن يكون أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل في قوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض يريدون علوا في الأرض تعظما وتجبرا ولا فسادا عملا بالمعاصي. وقال ابن جرير حدثنا وكيع حدثنا أبي عن أشعث السمان عن أبي سلام الأعرج عن علي جبير العلو: البغي وقال سفيان بن سعيد الثوري عن منصور عن مسلم البطين العلو في الأرض: التكبر بغير حق والفساد أخذ المال بغير حق وقال ابن جرير لا المتواضعين الذين لا يريدون علوا في الأرض أي ترفعا على خلق الله وتعاطفا عليهم وتجبرا بهم ولا فسادا فيهم كما قال عكرمة العلو: التجبر. وقال سعيد بن يخبر تعالى أن الدار الآخرة ونعيمها المقيم الذي لا يحول ولا يزول جعلها لعباده المؤمنين

إلا ما كانوا يعملون كما قال في الآية الأخرى ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون وهذا مقام الفضل والعدل. 84 خير منها أي ثواب الله خير من حسنة العبد فكيف والله يضاعفه أضعافا كثيرة وهذا مقام الفضل ثم قال ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات قال تعالى: من جاء بالحسنة أي يوم القيامة فله

لمن تكون له عاقبة الدار ولمن تكون العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة. ثم قال تعالى مذكرا لنبيه نعمته العظيمة عليه وعلى العباد إذ أرسله إليهم. 85 ومن هو في ضلال مبين أي قل لمن خالفك وكذبك يا محمد من قومك من المشركين ومن تبعهم على كفرهم قل ربي أعلم بالمهتدي منكم ومني وستعلمون الله وإبلاغها إلى الثقلين الإنس والجن ولأنه أكمل خلق الله وأفصح خلق الله وأشرف خلق الله على الإطلاق وقوله تعالى: قل ربي أعلم من جاء بالهدى ولهذا فسر ابن عباس تارة أخرى قوله: لرادك إلى معاد بالموت وتارة بيوم القيامة الذي هو بعد الموت وتارة بالجنة التي هي جزاؤه ومصيره على أداء رسالة إلى آخر السورة أنه أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم نعي إليه وكان ذلك بحضرة عمر بن الخطاب ووافقه عمر على ذلك وقال: لا أعلم منها غير الذي تعلم. برجوعه إلى مكة وهو الفتح الذي هو عند ابن عباس أمانة على اقترب أجل النبي صلى الله عليه وسلم كما فسر ابن عباس سورة إذا جاء نصر الله والفتح قول من فسر ذلك بيوم القيامة لأن بيت المقدس هو أرض المحشر والمنشر والله الموفق للصواب ووجه الجمع بين هذه الأقوال أن ابن عباس فسر ذلك تارة مما كان ابن عباس يكتمها. وقد روى ابن أبي حاتم بسنده عن نعيم القاري أنه قال في قوله لرادك إلى معاد قال إلى بيت المقدس وهذا والله أعلم يرجع إلى يقتضي أن هذه الآية مدنية وإن كان مجموع السورة مكيا والله أعلم. وقد قال عبدالرزاق حدثنا معمر عن قتاده في قوله تعالى لرادك إلى معاد قال هذه صلى الله عليه وسلم من مكة فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة فأنزل الله عليه إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد إلى مكة وهذا من كلام الضحاك بن جببر وعطية والضحاك نحو ذلك. وحدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر قال: قال سفيان فسمعناه من مقاتل منذ سبعين سنة عن الضحاك قال لما خرج النبي منها وقال محمد بن إسحاق عن مجاهد في قوله لرادك إلى معاد إلى مولدك بمكة. وقال ابن أبي حاتم وقد روى ابن عباس ويحيى بن الخراز وسعيد في تفسير سننه وابن جرير من حديث يعلى وهو ابن عبيد الطنافسي به وهكذا رواه العوفي عن ابن عباس لرادك إلى معاد أي لرادك إلى مكة كما أخرجك التفسير من صحيحه حدثنا محمد بن مقاتل أنبأنا يعلى حدثنا سفيان العصفري عن عكرمة عن ابن عباس لرادك إلى معاد قال إلى مكة وهكذا رواه النسائي مالك وأبي صالح وقال الحسن البصري أي والله إن له لمعادا فيبعثه الله يوم القيامة ثم يدخله الجنة. وقد روى عن ابن عباس غير ذلك كما قال البخاري في رضي الله عنهما وفي بعضها لرادك إلى معدنك من الجنة وقال مجاهد يحييك يوم القيامة وكذا روى عن عكرمة وعطاء وسعيد بن جببر وأبي قزعة وأبي إلى يوم القيامة ورواه مالك عن الزهري وقال الثوري عن الأعمش عن سعيد بن جببر عن ابن عباس لرادك إلى معاد إلى الموت ولهذا طرق عن ابن عباس لرادك إلى الجنة ثم سأل عن القرآن. قاله السدي وقال أبو سعيد مثلها وقال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما لرادك إلى معاد قال الرسل فيقول ماذا أجبتكم وقال وجى بالنبيين والشهداء وقال السدي عن أبي صالح عن ابن عباس إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد يقول إلى الناس لرادك إلى معاد أي إلى يوم القيامة فيسألك عن ذلك كما قال تعالى فلنسلأن الذين أرسل إليهم ولنسلأن المرسلين وقال تعالى يوم يجمع الله سيرده إلى معاد وهو يوم القيامة فيسأله عما استرعاه من أعباء النبوة ولهذا قال تعالى إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد أي افترض عليك أدائه يقول تعالى أمرا رسوله صلوات الله وسلامه عليه ببلاغ الرسالة وتلاوة القرآن على الناس ومخبره له بأنه

من الله من رحمته بك وبالعباد بسببك فإذا منحك بهذه النعمة العظيمة فلا تكونن ظهيرا أي معينا للكافرين ولكن فارقمهم وناذبهم وخالفهم. 86 وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب أي ما كنت تظن قبل إنزال الوحي إليك أن الوحي ينزل عليك ولكن رحمة من ربك أي إنما أنزل الوحي عليك ومؤيد دينك ومظهر ما أرسلك به على سائر الأديان ولهذا قال وادع إلى ربك أي إلى عبادة ربك وحده لا شريك له ولا تكونن من المشركين. 87 ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك أي لا تتأثر لمخالفتهم لك وصدهم الناس عن طريقك لا تلوي على ذلك ولا تباله فإن الله معل كلمتك



## تفسير ابن كثير

ولا معقب لحكمه وإليه ترجعون أي يوم معادكم فيجزىكم بأعمالكم إن كان خيرا فخير وإن شرا فشر. آخر تفسير سورة القصص ولله الحمد والمنة. 88

فيقف على بابها فينادي بصوت حزين فيقول: أين أهلك؟ ثم يرجع إلى نفسه فيقول كل شيء هالك إلا وجهه وقوله: له الحكم أي الملك والتصرف

حدثنا أحمد بن محمد بن أبي بكر حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا عمر بن سليم الباهلي حدثنا أبو الوليد قال: كان ابن عمر إذا أراد أن يتعاهد قلبه يأتي الخبرة فانية وزائلة إلا ذاته تعالى وتقدس فإنه الأول الآخر الذي هو قبل كل شيء وبعد كل شيء. قال أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي الدنيا في كتاب التفكير والاعتبار القول الأول فإن هذا إخبار عن كل الأعمال بأنها باطلة إلا ما أريد به وجه الله تعالى من الأعمال الصالحة المطابقة للشرعية والقول الأول مقتضاه أن كل الذوات في صحيحه كالمقرر له قال ابن جرير: ويستشهد من قال ذلك بقول الشاعر: أستغفر الله ذنبا لست محصيه رب العباد إليه الوجه والعمل وهذا القول لا ينافي كلمة قالها الشاعر لبيد ألا كل شيء ما خلا الله باطل وقال مجاهد والثوري في قوله: كل شيء هالك إلا وجهه أي إلا ما أريد به وجهه وحكاه البخاري ههنا كل شيء هالك إلا وجهه أي إلا إياه وقد ثبت في الصحيح من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أصدق الباقي الحي القيوم الذي تموت الخلائق ولا يموت كما قال تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام فعبّر بالوجه عن الذات وهكذا قوله قوله: ولا تدع مع الله إلها آخر لا إله إلا هو أي لا تليق العبادة إلا له ولا تنبغي الإلهية إلا لعظمته. وقوله كل شيء هالك إلا وجهه إخبار بأنه الدائم وذلك أنه لم يكن لها ولد منه وقوله تعالى: وهم لا يشعرون أي لا يدرون ما أراد الله منه بالتقاطهم إياه من الحكمة العظيمة البالغة والحجة القاطعة. 9

النسائي وغيره. وقوله: عسى أن ينفعنا وقد حصل لها ذلك وهداها الله به وأسكنها الجنة بسببه. وقوله: أو نتخذة ولدا أي أرادت أن تتخذة ولدا وتتبناه لي فلا فكان كذلك وهداها الله بسببه وأهلكه الله على يديه وقد تقدم في حديث الفتون في سورة طه هذه القصة بطولها في رواية ابن عباس مرفوعا عند من بني إسرائيل فشرعت امرأته آسية بنت مزاحم تخاصم عنه وتذبذبه إلى فرعون فقالت: قرّة عين لي ولك فقال فرعون أما لك فنعم وأما قوله تعالى: وقالت امرأة فرعون قرّة عين لي ولك الآية يعني أن فرعون لما رآه هم بقتله خوفا من أن يكون

## سورة 29

كان صحيحا أن يحسب ما لكل حرف من الحروف الأربعة عشر التي ذكرناها وذلك يبلغ منه جملة كثيرة وإن حسبت مع التكرار فأطم وأعظم والله أعلم. 1

محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فهذا الحديث مداره على محمد بن السائب الكلبي وهو ممن لا يحتج بما انفرد به ثم كان مقتضى هذا المسلك إن وإحدى وسبعون ومائتان فذلك سبعمائة وأربع سنين؟ فقالوا لقد تشابه علينا أمره فيزعمون أن هؤلاء الآيات نزلت فيهم هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات أبو ياسر لأخيه حي بن أخطب ولمن معه من الأبحار ما يدريكم لعله قد جمع هذا لمحمد كله إحدى وسبعون وإحدى وثلاثون ومائة وإحدى وثلاثون ومائتان أربعون والراء مائتان فهذه إحدى وسبعون ومائتان ثم قال: لقد لبس علينا أمرك يا محمد حتى ما ندري أقليلا أعطيت أم كثيرا. ثم قال قوموا عنه ثم قال فهذه إحدى وثلاثون ومائتا سنة. فهل مع هذا يا محمد غيره؟ قال نعم قال ماذا قال المر قال هذه أثقل وأطول الألف واحدة واللام ثلاثون والميم إحدى وثلاثون ومائة سنة. هل مع هذا يا محمد غيره؟ قال نعم قال ما ذاك؟ قال الر قال هذا أثقل وأطول الألف واحدة واللام ثلاثون والراء مائتان فقال يا محمد هل مع هذا غيره فقال نعم قال ما ذاك؟ قال المص قال هذا أثقل وأطول الألف واحد واللام ثلاثون والميم أربعون والصاد تسعون فهذه والميم أربعون فهذه إحدى وسبعون سنة أفتردخلون في دين نبي إنما مدة ملكه وأجل أمته إحدى وسبعون سنة؟ ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الله قبلك أنبياء ما نعلمه بين نبي منهم ما مدة ملكه وما أجل أمته غيرك. فقام حي بن أخطب وأقبل على من كان معه فقال لهم الألف واحدة واللام ثلاثون فيما أنزل الله عليك الم ذلك الكتاب؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى فقالوا جاءك بهذا جبريل من عند الله؟ فقال نعم قالوا لقد بعث فيه فقال أنت سمعته قال نعم قال فمشى حي بن أخطب في أولئك نفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ألم يذكر أنك تتلوا الكتاب لا رب فيه فأتى أخاه بن أخطب في رجال من اليهود فقال تعلمون والله لقد سمعت محمدا يتلو فيما أنزل الله تعالى عليه الم ذلك الكتاب لا رب عباس عن جابر بن عبدالله بن رباب قال مر أبو ياسر بن أخطب في رجال من يهود برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو فاتحة سورة البقرة الم ذلك مع ذلك أدل على بطلان هذا المسلك من التمسك به على صحته وهو ما رواه محمد بن إسحق بن يسار صاحب المغازي حدثني الكلبي عن أبي صالح عن ابن على معرفة المدد وأنه يستخرج من ذلك أوقات الحوادث والفتن والملاحم فقد ادعى ما ليس له وطار في غير مطاره وقد ورد في ذلك حديث ضعيف وهو إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم وغير ذلك من الآيات الدالة على صحة ما ذهب إليه هؤلاء لمن أمعن النظر والله أعلم. وأما من زعم أنها دالة لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم الم تنزيل الكتاب لا رب فيه من رب العالمين حم تنزيل من الرحمن الرحيم حم عسق كذلك يوحي الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه المص كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه الر كتاب أنزلناه إليك فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وعظمته وهذا معلوم بالاستقراء وهو الواقع في تسع وعشرين سورة ولهذا يقول تعالى الم ذلك الكتاب لا رب فيه الم من الكلمات ما هو على حرف وعلى حرفين وعلى ثلاثة وعلى أربعة وعلى خمسة لا أكثر من ذلك قلت ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف فلا بد أن يذكر ص ن ق و حرفين مثل حم وثلاثة مثل الم وأربعة مثل الم و المص وخمسة مثل كهيعص و حم عسق لأن أساليب كلامهم على هذا في أول القرآن وإنما كررت ليكون أبلغ في التحدي والتبكي كما كررت قصص كثيرة وكرر التحدي بالصريح في أماكن قال وجاء منها على حرف واحد كقوله

## تفسير ابن كثير

ذهب الشيخ الإمام العلامة أبو العباس ابن تيمية وشيخنا الحافظ المجتهد أبو الحجاج المزي وحكاه لي عن ابن تيمية. قال الزمخشري ولم ترد كلها مجموعة المذهب الرازي في تفسيره عن المبرد وجمع من المحققين وحكى القرطبي عن الفراء وقطرب نحو هذا وقرره الزمخشري في كشفه ونصره أتم نصر وإليه التي ذكرت فيها بيانا لإعجاز القرآن وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله هذا مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها وقد حكى هذا والتي تليها أعني البقرة وآل عمران مدينتان ليستا خطابا للمشرنيين فانتقض ما ذكروه بهذه الوجوه. وقال آخرون بل إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور لا يكون في بعضها بل غالبها ليس كذلك ولو كان كذلك أيضا لانبغى الإبتداء بها في أوائل الكلام معهم سواء كان افتتاح سورة أو غير ذلك ثم إن هذه السورة إذ تواصوا بالإعراض عن القرآن حتى إذا استمعوا له تلا عليهم المؤلف منه حكاه ابن جرير أيضا وهو ضعيف أيضا لأنه لو كان كذلك لكان ذلك في جميع السور وهذا ضعيف لأن الفصل حاصل بدونها فيما لم تذكر فيه وفيما ذكرت فيه البسمة تلاوة وكتابة وقال آخرون بل ابتدئ بها لتفتح لاستماعها أسماع المشرنيين التي اقتضت إيراد هذه الحروف في أوائل السور ما هي مع قطع النظر عن معانيها في أنفسها فقال بعضهم إنما ذكرت ليعرف بها أوائل السور حكاه ابن جرير يجمع العلماء فيها على شيء معين وإنما اختلفوا فمن ظهر له بعض الأقوال بدليل فعليه اتباعه وإلا فالوقف حتى يتبين هذا المقام. المقام الآخر في الحكمة فقد أخطأ خطأ كبيرا فتعين أن لها معنى في نفس الأمر فإن صح لنا فيها عن المعصوم شيء قلنا به وإلا وقفنا حيث وقفنا وقلنا آمنا به كل من عند ربنا ولم في هذا المقام كلاما فقال: لا شك أن هذه الحروف لم ينزلها سبحانه وتعالى عبثا ولا سدى ومن قال من الجهلة إن في القرآن ما هو تعبد لا معنى له بالكلمة الذي دقت في كل شيء حكمته. وهذه الأجناس المعدودة مكتورة بالمذكورة منها وقد علمت أن معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله وههنا ههنا لخص بعضهم المهموسة والمجهورة ومن الرخوة والشديدة ومن المطبقة والمفتوحة ومن المستعلية والمنخفضة ومن حروف القلقة. وقد سردها مفصلة ثم قال: فسبحان والمذكور منها أشرف من المتروك وبيان ذلك من صناعة التصريف. قال الزمخشري وهذه الحروف الأربعة عشر مشتملة على أصناف أجناس الحروف يعني من أوائل السور بحذف المكرر منها أربعة عشر حرفا وهي ال م ص ر ك ه ي ع ط س ح ق ن يجمعها قولك: نص حكيم قاطع له سر. وهي نصف الحروف عدا يكتب في ا ب ت ث أي في حروف المعجم الثمانية والعشرين فيستغني بذكر بعضها عن مجموعها حكاه ابن جرير. قلت مجموع الحروف المذكورة في العربية هي حروف من حروف المعجم استغنى بذكر ما ذكر منها في أوائل السور عن ذكر بواقيها التي هي تنتم الثمانية والعشرين حرفا كما يقول القائل ابني سفيان هو أن يقول في اقتل ا ق وقال خفيف عن مجاهد أنه قال فواتح السور كلها ق ص و ح م و ط س م والر وغير ذلك هجاء موضوع وقال بعض أهل والتاء من الكلمتين عن بقيتهما ولكن هذا ظاهر من سياق الكلام والله أعلم. قال القرطبي وفي الحديث من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة الحديث قال كذا وكذا فاكثفى بالياء من يفعل وقال الآخر: بالخير خيرات وان شرا فاف ولا أريد الشر إلا أن تقول وإن شرا فشرا ولا أريد الشر إلا أن تشاء فاكثفى بالفاء لنا فقالت قاف لا تحسبي أنا نسيان الإيجاف تعني وقفت. وقال الآخر: ما للظلم عال كيف لا ينقد عنه جلده إذا ي فقال ابن جرير كأنه أراد أن يقول إذا يفعل به وما أنشدوه من الشواهد على صحة إطلاق الحرف الواحد على بقية الكلمة فإن في السياق ما يدل على ما حذف بخلاف هذا كما قال الشاعر: قلنا قفي غير أن يكون أحدهما أولى من الآخر في التقدير أو الإضمار بوضع ولا يغيره فهذا مما لا يفهم إلا بتوقيف والمسألة مختلف فيها وليس فيها إجماع حتى يحكم فيها والله أعلم. ثم إن لفظة الأمة تدل على كل من معانيها في سياق الكلام بدلالة الوضع فأما دلالة الحرف الواحد على اسم يمكن أن يدل على اسم آخر من في كل موطن على معنى واحد دل عليه سياق الكلام فأما حملة على مجموع محامله إذا أمكن فمسألة مختلف فيها بين علماء الأصول ليس هذا موضع البحث أبو العالية فإن أبا العالية زعم أن الحرف دل على هذا وعلى هذا وعلى هذا معا ولفظة الأمة وما أشبهها من الألفاظ المشتركة في الاصطلاح إنما دل في القرآن الدهر كقوله تعالى وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أي بعد حين على أصح القولين قال فكذلك هذا. هذا حاصل كلامه موجها ولكن هذا ليس كما ذكره وتطلق ويراد بها الجماعة كقوله تعالى وجد عليه أمة من الناس يسقون وقوله تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا وتطلق ويراد بها الحين من به الدين كقوله تعالى إنا وجدنا آباءنا على أمة وتطلق ويراد بها الرجل المطيع لله كقوله تعالى إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشرنيين وعلى صفة من صفاته وعلى مدة وغير ذلك كما ذكره الربيع بن أنس عن أبي العالية لأن الكلمة الواحدة تطلق على معاني كثيرة كلفظة الأمة فإنها تطلق ويراد منها دل على اسم من أسمائه وصفة من صفاته كما افتتح سورا كثيرة بتحميده وتسبيحه وتعظيمه قال ولا مانع من دلالة الحرف منها على اسم من أسماء الله هذه الأقوال ويوفق بينها وأنه لا منافاة بين كل واحد منها وبين الآخر وأن الجمع ممكن فهي أسماء للسور ومن أسماء الله تعالى يفتتح بها السور فكل حرف واللام لطف الله والميم مجد الله والألف سنة واللام ثلاثون سنة والميم أربعون سنة. هذا لفظ ابن أبي حاتم ونحوه رواه ابن جرير ثم شرع يوجه كل واحد من فقال أعجب أنهم يظنون بأسمائه ويعيشون في رزقه فكيف يكفرون به فالألف مفتاح الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد فالألف آلاء الله مفتاح اسم من أسمائه وليس منها حرف إلا وهو من آلائه وبلائه ليس منها حرف إلا وهو في مدة أقوام وآجالهم. قال عيسى ابن مريم عليه السلام وعجب: عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى الم قال هذه الأحرف الثلاثة من التسعة والعشرين حرفا دارت فيها الألسن كلها ليس منها حرف إلا وهو ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الم قال أما الم فهي حروف استفتحت من حروف هجاء أسماء الله تعالى. قال وأبو جعفر الرازي عن أبي الضحى عن ابن عباس: الم قال أنا الله أعلم وكذا قال سعيد بن جبيرة وقال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث ابن علي عن خالد الحذاء عن عكرمة أنه قال الم قسم. وروينا أيضا من حديث شريك بن عبد الله بن عطاء بن السائب قال: قال عبد الله فذكر نحوه. وحكي مثله عن علي وابن عباس وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هو قسم أقسم الله به وهو من أسماء الله تعالى وروى والم فقال قال ابن عباس هي اسم الله الأعظم وقال ابن جرير وحدثنا محمد بن المثنى حدثنا أبو النعمان حدثنا شعبة عن إسماعيل السدي عن مرة الهمداني

## تفسير ابن كثير

الم اسم من أسماء الله الأعظم. هكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث شعبة ورواه ابن جرير عن بNDAR عن ابن مهدي عن شعبة قال سألت السدي عن حم وطس عنها في فواتح السور من أسماء الله تعالى وكذلك قال سالم بن عبد الله وإسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير وقال شعبة عن السدي بلغني أن ابن عباس قال كله لأن المتبادر إلى فهم سامع من يقول قرأت المص إنما ذلك عبارة عن سورة الأعراف لا لمجموع القرآن والله أعلم. وقيل هي اسم من أسماء الله تعالى فقال هذا يرجع إلى معنى قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنه اسم من أسماء السور فإن كل سورة يطلق عليها اسم القرآن فإنه يبعد أن يكون المص اسماً للقرآن وقال مجاهد في رواية أبي حذيفة موسى بن مسعود عن شبل عن ابن أبي نجيح عنه أنه قال الم اسم من أسماء القرآن وهكذا وقال قتادة وزيد بن أسلم ولعل أتى على الإنسان وقال سفيان الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أنه قال: الم وحم والمص وص. فواتح افتتح الله بها القرآن وكذا قال غيره عن مجاهد عليه ويعتضد لهذا بما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة الم السجدة و هل عبد الرحمن بن زيد بن أسلم إنما هي أسماء السور. قال العلامة أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري في تفسيره وعليه إطباق الأكثر ونقل عن سيبويه أنه نص رضي الله عنهم أجمعين وقاله عامر الشعبي وسفيان الثوري والربيع بن خيثم واختاره أبو حاتم بن حبان. ومنهم من فسرها واختلف هؤلاء في معناها فقال أوائل السور فمنهم من قال هي مما استأثر الله بعلمه فردوا علمها إلى الله ولم يفسرها حكاه القرطبي في تفسيره عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود قد اختلف المفسرون في الحروف المقطعة التي في

ثم قال الله تعالى: أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين أي أو ليس الله بأعلم بما في قلوبهم وما تكنه ضمائرهم وإن أظهرها لكم الموافقة؟ 10 الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم ناديين وقال تعالى مخبراً عنهم ههنا ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين وقال تعالى: فغسي ربك ليقولن إنا كنا معكم أي ولئن جاء نصر قريب من ربك يا محمد وفتح ومغانم ليقولن هؤلاء لكم إنا كنا معكم أي إخوانكم في الدين كما قال تعالى: الذين يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه إلى قوله ذلك هو الضلال البعيد ثم قال عز وجل: ولئن جاء نصر من الناس كعذاب الله قال ابن عباس يعني فتنته أن يرتد عن دينه إذا أودى في الله وكذا قال غيره من علماء السلف وهذه الآية كقوله تعالى: ومن الناس من وفنة في الدنيا اعتقدوا أن هذا من نقمة الله تعالى بهم فارتدوا عن الإسلام ولهذا قال تعالى: ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أودى في الله جعل فتنة يقول تعالى مخبراً عن صفات قوم من المكذبين الذين يدعون الإيمان بالسنتهم ولم يثبت الإيمان في قلوبهم بأنهم إذا جاءتهم محنة

تعالى بعد وقعة أحد التي كان فيها ما كان من الاختبار والامتحان ما كان الله ليدرك المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب الآية. 11 من يطيع الله في الضراء والسراء ومن إنما يطيعه في حظ نفسه كما قال تعالى: ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم وقال أي وليختبرن الله الناس بالضراء والسراء ليميز هؤلاء من هؤلاء

أحد وزر أحد. قال الله تعالى: وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى وقال تعالى: ولا يسأل حميم حميماً يبصرونهم. 12 في رقبتي قال الله تعالى تكذيباً لهم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون أي فيما قالوه إنهم يحتملون عن أولئك خطاياهم فإنه لا يحمل ارجعوا من دينكم إلى ديننا واتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم أي وآثامكم إن كانت لكم آثام في ذلك علينا وفي رقابنا كما يقول القائل افعل هذا وخطيئتك يقول تعالى مخبراً عن كفار قريش أنهم قالوا لمن آمن منهم واتبع الهدى:

يسأل يوم القيامة عن جميع سعيه حتى عن كحل عينيه وعن فتات الطينة بأصبعيه فلا ألفينك تأتي يوم القيامة وأحد أسعد بما آتاك الله منك. 13 بن أبي الحواري حدثنا أبو بشر الحذاء عن أبي حمزة الثمالي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: يامعاذ إن المؤمن مال هذا وأخذ من عرض هذا فيأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته فإذا لم تبق له حسنة أخذ من سيئاتهم فطرح عليه. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد القيامة عما كانوا يفترون وهذا الحديث له شاهد في الصحيح من غير هذا الوجه إن الرجل ليأتي يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال وقد ظلم هذا وأخذ يبق له حسنة فيقول خذوا من سيئاتهم فاحملوها عليه ثم نزع النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الآية الكريمة وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم وليسألن يوم عنه؟ فيقول خذوا لهم من حسناته فلا يزالون يأخذون منها حتى لا يبقى منها حسنة وقد بقي من أصحاب الظلمات. فيقول اقضوا عن عبي فيقولون لم من كانت له تباعة أو ظلامة عند فلان بن فلان فلهم فيقبلون حتى يجتمعوا قياماً بين يدي الرحمن فيقول الرحمن اقضوا عن عبي فيقولون كيف نقضي أين فلان بن فلان؟ فيأتي يتبعه من الحسنات أمثال الجبال فيشخص الناس إليها أبصارهم حتى يقوم بين يدي الرحمن عز وجل ثم يأمر المنادي فينادي صلى الله عليه وسلم بلغ ما أرسل به ثم قال: إياكم والظلم فإن الله يعزم يوم القيامة فيقول: وعزتي وجلالي لا يجوزني اليوم ظلم ثم ينادي مناد فيقول أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة حدثنا عثمان بن حفص بن أبي العالية حدثني سليمان بن حبيب المحاربي عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله أول من سن القتل وقوله تعالى: وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون أي يكذبون ويختلقون من البهتان وقد ذكر ابن أبي حاتم ههنا حديثاً فقال: حدثنا الإثم مثل آثام من اتبعه إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من آثامهم شيئاً وفي الصحيح ما قتلت نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه وفي الصحيح من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من ما أضلوا من الناس من غير أن ينقص من أوزار أولئك شيئاً كما قال تعالى: ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم الآية وقوله تعالى: وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم إخبار عن الدعاة إلى الكفر والضلالة أنهم يحملون يوم القيامة أوزار أنفسهم وأوزاراً أخرى بسبب

## تفسير ابن كثير

عمر كم لبث نوح في قومه؟ قال قلت ألف سنة إلا خمسين عاما قال فإن الناس لم يزالوا في نقصان من أعمارهم وأحلامهم وأخلاقهم إلى يومك هذا. 14 وخمسين سنة وهذا أيضا غريب رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وقول ابن عباس أقرب والله أعلم. وقال الثوري عن سلمة بن كهيل عن مجاهد قال: قال لي ابن وقال عون بن أبي شداد إن الله تعالى أرسل نوحا إلى قومه وهو ابن خمسين وثلاث مائة سنة فدعاهم ألف سنة إلا خمسين عاما ثم عاش بعد ذلك ثلاث مائة سنة ولبت بعد الطوفان ثلاثمائة سنة وخمسين عاما وهذا قول غريب وظاهر السياق من الآية أنه مكث في قومه يدعوهم إلى الله ألف سنة إلا خمسين عاما. ستين عاما حتى كثر الناس وفشوا وقال قتادة يقال إن عمره كله ألف سنة إلا خمسين عاما لبث فيهم قبل أن يدعوهم ثلاث مائة سنة ودعاهم ثلاث مائة بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن ماهك عن ابن عباس قال: بعث نوح وهو لأربعين سنة ولبت في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما وعاش بعد الطوفان عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية الآية واعلم أن الله سيظهرك وينصرك ويؤيدك ويذل عدوك ويكبتهم ويجعلهم أسفل السافلين. قال حماد فأنت يا محمد لا تأسف على من كفر بك من قومك ولا تحزن عليهم فإن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء ويبيده الأمر وإليه ترجع الأمور إن الذين حققت منهم إلا قليل ولهذا قال تعالى: فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون أي بعد هذه المدة الطويلة ما نجح فيهم البلاغ والإنذار أنه مكث في قومه هذه المدة يدعوهم إلى الله تعالى ليلا ونهارا وسرا وجهارا ومع هذا ما زادهم ذلك إلا فرارا عن الحق وإعراضا عنه وتكذيبا له وما آمن معه هذه تسليية من الله تعالى لعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم يخبره عن نوح عليه السلام

ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ولهذا نظائر كثيرة وقال ابن جرير لو قيل إن الضمير في قوله: وجعلناها عائد إلى العقوبة لكان وجها والله أعلم. 15 بمصايب وجعلناها رجوما للشياطين أي وجعلنا نوعها رجوما فإن التي يرمى بها ليست هي زينة للسماء وقال تعالى: ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين واعية وقال ههنا فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين وهذا من باب التدريج من الشخص إلى الجنس كقوله تعالى: ولقد زينا السماء الدنيا المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون إلى قوله ومتاعا إلى حين وقال تعالى: إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن أول الإسلام على جبل الجودي أو نوعها جعله للناس تذكرة لنعمه على الخلق كيف أنجاهم من الطوفان كما قال تعالى: وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك في سورة هود وتقدم تفسيره بما أغنى عن إعادته: وقوله تعالى: وجعلناها آية للعالمين أي وجعلنا تلك السفينة باقية إما عينها كما قال قتادة أنها بقيت إلى وقوله تعالى: فأنجيناه وأصحاب السفينة أي الذين آمنوا بنوح عليه السلام وقد تقدم ذكر ذلك مفصلا

له العبادة والخوف ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون أي إذا فعلتم ذلك حصل لكم الخير في الدنيا والآخرة واندفع عنكم الشر في الدنيا والآخرة. 16 في التقوى وطلب الرزق منه وحده لا شريك له وتوحيده في الشكر فإنه المشكور على النعم لا مسدي لها غيره فقال لقومه اعبدوا الله واتقوه أي أخلصوا يخبر تعالى عن عبده ورسوله وخليفه إبراهيم إمام الحنفاء إنه دعا قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له والإخلاص له

واعبدوه واشكروا له أي كلوا من رزقه واعبدوه وحده واشكروا له على ما أنعم به عليكم إليه ترجعون أي يوم القيامة فيجازي كل عامل بعمله. 17 إياك نعبد وإياك نستعين رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ولهذا قال فابتغوا أي فاطلبوا عند الله الرزق أي لا عند غيره فإن غيره لا يملك شيئا في رواية وعكرمة والحسن وقاتادة وغيرهم واختاره ابن جرير رحمه الله. وهي لا تملك لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق وهذا أبلغ في الحصر كقوله: هي مخلوقة مثلكم هكذا رواه العوفي عن ابن عباس وقال مجاهد والسدي وروى الوالبي عن ابن عباس وتصنعون إفكا أي تحتونها أصناما وبه قال مجاهد ثم أخبر تعالى أن الأصنام التي يعبدونها لا تضر ولا تنفع وإنما اختلقتم أنتم لها أسماء فسميتوها آلهة وإنما

والظاهر من السياق أن كل هذا من كلام إبراهيم الخليل عليه السلام يحتج عليهم لإثبات المعاد لقوله بعد هذا كله فما كان جواب قومه والله أعلم. 18 صلى الله عليه وسلم وهذا من قتادة يقتضي أنه قد انقطع الكلام الأول وأعرض بهذا إلى قوله: فما كان جواب قومه وهكذا نص على ذلك ابن جرير أيضا والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فاحرصوا لأنفسكم أن تكونوا من السعداء وقال قتادة في قوله: وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم قال يعزي نبيه ما حل بهم من العذاب والنكال في مخالفة الرسل وما على الرسول إلا البلاغ المبين يعني إنما على الرسول أن يبلغكم ما أمره الله تعالى به من الرسالة وقوله تعالى: وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم أي قبلكم

ولهذا قال: أولم يروا كيف يبدى الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير كقوله تعالى: وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه. 19 وأودية وبراري وقفار وأشجار وأنهار وثمار وبحار كل ذلك دال على حدوثها في أنفسها وعلى وجود صانعها الفاعل المختار الذي يقول للشيء كن فيكون الاعتبار بما في الآيات المشاهدة من خلق الله الأشياء: السموات وما فيها من الكواكب النيرة الثوابت والسيارات والأرضين وما فيها من مهاد وجبال الله إياهم بعد أن لم يكونوا شيئا مذكورا ثم وجدوا وصاروا أناسا سامعين مبصرين فالذي بدأ هذا قادر على إعادته فإنه سهل عليه يسير لديه ثم أرشدهم إلى يقول تعالى مخبرا عن الخليل عليه السلام أنه أرشدهم إلى إثبات المعاد الذي ينكرونه بما يشاهدونه في أنفسهم من خلق

الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب. 2 وهذه الآية كقوله: أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ومثلها في سورة براءة وقال في البقرة أم حسبتم أن تدخلوا جاء في الحديث الصحيح أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلابة زيد له في البلاء استفهام إنكار ومعناه أن الله سبحانه وتعالى لا بد أن يبتلي عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الإيمان كما

## تفسير ابن كثير

الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق: وكقوله تعالى: أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون. 20  
الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة أي يوم القيامة إن الله على كل شيء قدير وهذا المقام شبيه بقوله تعالى: سنريهم آياتنا في  
ثم قال تعالى: قل سيروا في

أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولهذا قال تعالى: يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تقلبون أي ترجعون يوم القيامة. 21  
عما يفعل وهم يسألون فله الخلق والأمر مهما فعل فعديل لأنه المالك الذي لا يظلم مثقال ذرة كما جاء في الحديث الذي رواه أهل السنن إن الله لو عذب  
وقوله تعالى يعذب من يشاء ويرحم من يشاء أي هو الحاكم المتصرف الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه ولا يسأل  
أحد من أهل سماواته وأرضه بل هو القاهر فوق عباده فكل شيء خائف منه فقير إليه وهو الغني عما سواه وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير. 22  
وقوله تعالى: وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء أي لا يعجزه

ولقائه أي جحدوها وكفروا بالمعاد أولئك ينسوا من رحمتي أي لا نصيب لهم فيها وأولئك لهم عذاب أليم أي موجع شديد في الدنيا والآخرة. 23  
والذين كفروا بآيات الله

وجعل ماله للضيغان ولهذا اجتمع على محبته جميع أهل الأديان. وقوله تعالى: فأنجاه الله من النار أي سلمه منها بأن جعلها عليه بردا وسلاما. 24  
الله عليه بردا وسلاما وخرج منها سالما بعد ما مكث فيها أياما ولهذا وأمثاله جعله الله للناس إماما فإنه بذل نفسه للرحمن وجسده للنيران وسخا بولده للقران  
أضرموا فيها النار فارتفع لها لهب إلى عنان السماء ولم توقد نار قط أعظم منها ثم عمدوا إلى إبراهيم فكتفوه وألقوه في كفة المنجيق ثم قذفوه فيها فجعلها  
فقالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين وذلك أنهم حشدوا في جمع أحطاب عظيمة مدة طويلة وحوطوا حولها ثم  
المشتعلة على الهدى والبيان إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه وذلك لأنهم قام عليهم البرهان و توجهت عليهم الحجة فعدلوا إلى استعمال جاههم وقوة ملكهم  
يقول تعالى مخبرا عن قوم إبراهيم في كفرهم وعنادهم ومكابرتهم ودفعهم الحق بالباطل أنهم ما كان لهم جواب بعد مقالة إبراهيم هذه

قال فيقول الناس قد تعلق بعضهم ببعض في ظلمات الدنيا يعني المظالم ثم ينادي يا أهل التوحيد ليضع بعضكم عن بعض وعلى الله الثواب. 25  
تحت العرش يا أهل التوحيد فيشرّبون قال أبو عاصم يرفعون رؤوسهم ثم ينادي يا أهل التوحيد ثم ينادي الثالثة يا أهل التوحيد إن الله قد عفا عنكم  
عليه وسلم: أخبرك أن الله تعالى يجمع الأولين والآخرين يوم القيامة في صعيد واحد فمن يدري أين الطرفان؟ قالت الله ورسوله أعلم ثم ينادي مناد من  
ثنا الربيع بن إسماعيل بن عمرو بن سعيد بن جعدة بن هبيرة المخزومي عن أبيه عن جده عن أم هانئ أخت علي بن أبي طالب قالت قال لي النبي صلى الله  
منقذ ينقذكم من عذاب الله وهذا حال الكافرين وأما المؤمنون فبخلاف ذلك. قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي حدثنا أبو عاصم الثقفي  
يوم القيامة يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضا ومأواكم النار الآية أي ومصيركم ومرجعكم بعد عرصات القيامة إلى النار ومالككم من ناصر ينصركم ولا  
أي يلعن الأتباع المتبوعين والمتبوعون الأتباع كلما دخلت أمة لعنت أختها وقال تعالى: الأئلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين وقال ههنا ثم  
ثم يوم القيامة ينعكس هذا الحال فتبقى هذه الصداقة والمودة بغضا وشنا ثم يكفر بعضهم ببعض أي تتجادون ما كان بينكم ويلعن بعضهم بعضا  
في الحياة الدنيا وهذا على قراءة من نصب مودة بينكم على أنه مفعول له وأما على قراءة الرفع فمعناه إنما اتخذكم هذا لتحصل لكم المودة في الدنيا فقط  
لقومه مقرعا لهم وموبخا على سوء صنيعهم في عبادتهم للأوثان إنما اتخذتم هذه لتجتمعوا على عبادتها في الدنيا صداقة وألفة منكم بعضهم لبعض  
إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون وقالوا إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا يقول

من حديث نافع والظاهر أن الأوزاعي قد رواه عن شيخ له من الضعفاء والله أعلم. وروايته من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أقرب إلى الحفظ. 26  
أهلها تلفظهم الأرضون وتقذّرهم روح الرحمن وتحشّروهم النار مع القردة والخنازير تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا لها ما سقط منهم غريب  
حدثه عن نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: سيهاجر أهل الأرض هجرة بعد هجرة إلى مهاجر إبراهيم حتى لا يبقى إلا شرار  
بن سفيان حدثنا أبو النضر إسحاق بن إبراهيم بن يزيد وهشام بن عمار الدمشقيان قال حدثنا يحيى بن حمزة حدثنا الأوزاعي عن نافع وقال أبو النضر عن  
الله صلى الله عليه وسلم عشرين مرة أو أكثر وأنا أسمع وقال الحافظ أبو بكر البيهقي حدثنا أبو الحسن بن الفضل أخبرنا عبد الله بن جعفر حدثنا يعقوب  
فإذا خرجوا فاقتلوه ثم إذا خرجوا فاقتلوه ثم إذا خرجوا فاقتلوه فطوبى لمن قتلهم وطوبى لمن قتلوه كلما طلع منهم قرن قتله الله فردد ذلك رسول  
يخرج قوم من أمّتي يسيئون الأعمال يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم قال يزيد لا أعلمه إلا قال يحقر أحدكم علمه مع علمهم يقتلون أهل الإسلام  
النار مع القردة والخنازير تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث يبيتون وما سقط منهم فلها ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:  
وسلم يقول: لتكونن هجرة بعد هجرة إلى مهاجر أبيكم إبراهيم حتى لا يبيت في الأرض إلا شرار أهلها وتلفظهم أرضهم وتقذّرهم روح الرحمن وتحشّروهم  
الجهاد في سبيل الله ليلزمنكم الله مذلة في أعناقكم لا تنزع منكم حتى ترجعوا إلى ما كنتم عليه وتتوبوا إلى الله تعالى وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم  
الآن والدينار والدرهم أحب إلى أحدنا من أخيه المسلم ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لئن اتبعت أذناب البقر وتبايعتم بالعينة وتركتم  
يحيى بن أبي حية عن شهر بن حوشب قال سمعت عبد الله بن عمر يقول: لقد رأيتنا وما صاحب الدينار والدرهم بأحق به من أخيه المسلم ثم لقد رأيتنا بآخرة  
ويبقى في الأرض شرار أهلها تلفظهم أرضهم وتقذّرهم نفس الرحمن وتحشّروهم النار مع القردة والخنازير وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا أبو جناب

## تفسير ابن كثير

عن شهر بن حوشب عن عبد الله بن عمر قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ستكون هجرة بعد هجرة وينحاز أهل الأرض ألزهم مهاجر إبراهيم قتادة به وقد رواه أبو داود في سننه فقال في كتاب الجهاد باب ما جاء في سكنى الشام. حدثنا عبيد الله بن عمر حدثنا معاذ بن هشام حدثني عن قتادة على عشرين مرة كلما خرج منهم قرن قطع حتى يخرج الدجال في بقيتهم ورواه الإمام أحمد عن أبي داود وعبد الصمد كلاهما عن هشام الدستوائي عن يقول: سيخرج أناس من أمتي من قبل المشرق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما خرج منهم قرن قطع كلما خرج منهم قرن قطع حتى عدّها زيادة الرحمن تحشرهم النار مع القردة والخنازير فتببت معهم إذا باتوا وتقبل معهم إذا قالوا وتأكل من تخلف منهم قال وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم يقول: إنها ستكون هجرة بعد هجرة فينحاز الناس إلى مهاجر إبراهيم لا يبقى في الأرض إلا شرار أهلها فتلفظهم أرضهم تقذرهم نفس البكالي فجئته إذ جاء رجل فانتبذ الناس وعليه خميصة فإذا هو عبد الله بن عمرو بن العاص فلما رآه نوف أمسك عن الحديث فقال عبد الله: سمعت رسول الله عمرو بن العاص قال حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة عن شهر بن حوشب قال: لما جاءتنابيعة يزيد بن معاوية قدمت الشام فأخبرت بمقام يقومه نوف مع القردة والخنازير تببت معهم إذا باتوا وتقبل معهم إذا قالوا وتأكل ما سقط منهم وقد أسند الإمام أحمد هذا الحديث فرواه مطولا من حديث عبد الله بن ستكون هجرة بعد هجرة ينحاز أهل الأرض إلى مهاجر إبراهيم ويبقى في الأرض شرار أهلها حتى تلفظهم أرضهم وتقذرهم روح الله عز وجل وتحشرهم النار وأحكامه القدريّة والشرعية. وقال قتادة هاجرا جميعا من كوثي وهي من سواد الكوفة إلى الشام. قال وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: إنها من بين أظهرهم ابتغاء إظهار الدين والتمكن من ذلك ولهذا قال: إنه هو العزيز الحكيم أي له العزة ولرسوله وللمؤمنين به الحكيم في أقواله وأفعاله أقرب المذكورين ويحتمل عوده إلى إبراهيم. قاله ابن عباس والضحاك وهو المكنى عنه بقوله: فأمن له لوط أي من قومه ثم أخبر عنه بأنه اختار المهاجرة وأقام بها وكان من أمرهم ما تقدم وما سيأتي وقوله تعالى: وقال إني مهاجر إلى ربي يحتمل عود الضمير في قوله: وقال إني مهاجر على لوط لأنه هو وجه الأرض زوجان على الإسلام غيري وغيرك فإن لوطا عليه السلام آمن به من قومه وهاجر معه إلى بلاد الشام ثم أرسل في حياة الخليل إلى أهل سدوم لها إني قد قلت له إنك أختي فلا تكذبنني فإنه ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك فأنت أختي في الدين. وكأن المراد من هذا والله أعلم أنه ليس على الجمع بين هذه الآية وبين الحديث الوارد في الصحيح أن إبراهيم حين مر على ذلك الجبار فسأل إبراهيم عن سارة ما هي منه فقال أختي ثم جاء إليها فقال أنه آمن له لوط يقال إنه ابن أخي إبراهيم يقولون هو لوط بن هاران بن أزر يعني ولم يؤمن به من قومه سواه وسارة امرأة إبراهيم الخليل. لكن يقال كيف يقول تعالى مخبرا عن إبراهيم

في الآخرة لمن الصالحين وكما قال تعالى: إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين إلى قوله وإنه في الآخرة لمن الصالحين. 27 بطاعة الله من جميع الوجوه كما قال تعالى: وإبراهيم الذي وفي أي قام بجميع ما أمر وكمل طاعة ربه ولهذا قال تعالى: وآتيناه أجره في الدنيا وإنه الرحب والمورد العذب والزوجة الحسنة الصالحة والثناء الجميل والذكر الحسن وكل أحد يحبه ويتولاه كما قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم مع القيام أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين أي جمع الله له بين سعادة الدنيا الموصولة بسعادة الآخرة فكان له في الدنيا الرزق الواسع الهنيئ والمنزل من صميم العرب العرباء من سلالة إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ولم يوجد نبي من سلالة إسماعيل سواه عليه أفضل الصلاة والسلام. وقوله: وآتيناه آخرهم عيسى ابن مريم فقام في ملئهم مبشرا بالنبي العربي القرشي الهاشمي خاتم الرسل على الإطلاق وسيد ولد آدم في الدنيا والآخرة الذي اصطفاه الله ذريته النبوة والكتاب فلم يوجد نبي بعد إبراهيم عليه السلام إلا وهو من سلالة فجميع أنبياء بني إسرائيل من سلالة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم حتى كان من هو دون ابن عباس. وقوله تعالى: وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب هذه خلعة سنية عظيمة مع اتخاذ الله إياه خليلا وجعله للناس إماما أن جعل في ما رواه العوفي عن ابن عباس في قوله: ووهبنا له إسحاق ويعقوب قال هما ولدا إبراهيم فمعناه أن ولد الولد بمنزلة الولد فإن هذا الأمر لا يكاد يخفى على إلها واحدا الآية وفي الصحيحين إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام فأما السنة النبوية قال الله تعالى: أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي؟ قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق تعالى: فبشرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب أي يولد لهذا الولد ولد في حياتكما تقر به أعينكما وكون يعقوب ولد لإسحاق نص عليه القرآن وثبتت به فارق قومه أقر الله عينه بوجود ولد صالح نبي وولد له ولد صالح نبي في حياة جده وكذلك قال تعالى: ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة أي زيادة كما قال وقوله تعالى: ووهبنا له إسحاق ويعقوب كقوله: فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله ووهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا أي أنه لما أنكر على قومه سوء صنيعهم وما كانوا يفعلونه من قبيح الأعمال في إتيانهم الذكران من العالمين ولم يسبقهم إلى هذه الفعلة أحد من بني آدم قبلهم. 28 يقول تعالى مخبرا عن نبيه لوط عليه السلام أنه

وحل أزرار القباء وقوله تعالى: فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين وهذا من كفرهم واستهزائهم وعنادهم. 29 عرفة حدثنا محمد بن كثير عن عمرو بن قيس عن الحكم عن مجاهد وتأتون في ناديكم المنكر قال الصفيّر ولعب الحمام والجلاّح والسؤال في المجلس عن حاتم بن أبي صغيرة به. ثم قال الترمذي هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث حاتم بن أبي صغيرة عن سماك وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن ويسخرون منهم وذلك المنكر الذي كانوا يأتونه ورواه الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم من حديث أبي أسامة حماد بن رسامة عن أبي يونس القشيري صالح مولى أم هانئ عن أم هانئ قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى: وتأتون في ناديكم المنكر قال: يحذفون أهل الطريق بين الديوك وكل ذلك كان يصدر عنهم وكانوا شرا من ذلك وقال الإمام أحمد حدثنا حماد بن أسامة أخبرني حاتم بن أبي صغيرة حدثنا سماك بن حرب عن أبي

## تفسير ابن كثير

بعضاً في المأ قاله مجاهد ومن قائل كانوا يتضارطون ويتضاحكون قالت عائشة رضي الله عنها والقاسم ومن قائل كانوا يناطحون بين الكباش ويناقرون المنكر أي يفعلون ما لا يليق من الأقوال والأفعال في مجالسهم التي يجتمعون فيها لا ينكر بعضهم على بعض شيئاً من ذلك فمن قائل كانوا يأتون بعضهم وكانوا مع هذا يكفرون بالله ويكذبون رسوله ويخالفون ويقطعون السبيل أي يقفون في طريق الناس يقتلونهم ويأخذون أموالهم وتأتون في نادبكم يقول ابن عباس وغيره في مثل قوله إلا لنعلم إلا لنرى وذلك لأن الرؤية إنما تتعلق بالموجود والعلم أعم من الرؤية فإنه يتعلق بالمعدوم والموجود. 3 ممن هو كاذب في قوله ودعواه والله سبحانه وتعالى يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون. وهذا مجمع عليه عند أئمة السنة والجماعة وبهذا ولهذا قال ههنا ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين أي الذين صدقوا في دعوى الإيمان ولهذا استنصر عليهم نبي الله فقال: رب انصرني على القوم المفسدين. 30

فلما جاءت إبراهيم البشري وأخبروه بأنهم أرسلوا لهلك قوم لوط أخذ يدافع لعلهم ينظرون لعل الله أن يهديهم ولما قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية. 31 وأوجس منهم خيفة فشرعوا يؤانسونه ويبشرونه بوجود ولد صالح من امرأته سارة وكانت حاضرة فتعجبت من ذلك كما تقدم بيانه في سورة هود والحجر عليهم بعث الله لنصرته ملائكة فمروا على إبراهيم عليه السلام في هيئة أضياف فجاءهم بما ينبغي للضيف فلما رأى إبراهيم أنه لا همة لهم إلى الطعام نكرهم لما استنصر لوط عليه السلام بالله عز وجل أي من الهالكين لأنها كانت تماثلهم على كفرهم وبغيهم ودبرهم. 32

وإن لم يصفهم خشى عليهم منهم ولم يعلم بأمرهم في الساعة الراهنة قالوا لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين. 33 ساروا من عنده فدخلوا على لوط في صورة شبان حسان فلما رآهم كذلك سيء بهم وضاق بهم ذرعا أي اغتم بأمرهم إن هو أضافهم خاف عليهم من قومه ثم

مسومة عند ربك وما هي من الظالمين بعبيد وجعل الله مكانها بحيرة خبيثة منتنة وجعلهم عبرة. إلى يوم التناد وهم من أشد الناس عذاباً يوم المعاد. 34 وذلك أن جبريل عليه السلام اقتلع قراهم من قرار الأرض ثم رفعها إلى عنان السماء ثم قلبها عليهم وأرسل الله عليهم حجارة من سجيل منضود

ولهذا قال تعالى: ولقد تركنا منها آية بيّنة أي واضحة لقوم يعقلون كما قال تعالى: وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون. 35 نهاهم عن العيث في الأرض بالفساد وهو السعي فيها والبغي على أهلها وذلك أنهم كانوا ينقصون المكيال والميزان ويقطعون الطريق على الناس. 36 الآخر قال ابن جرير قال بعضهم معناه واخشوا اليوم الآخر وهذا كقوله تعالى: لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وقوله: ولا تعثوا في الأرض مفسدين أنه أنذر قومه أهل مدين فأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له وأن يخافوا بأس الله ونقمته وسطوته يوم القيامة فقال: يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم يخبر تعالى عن عبده ورسوله شعيب عليه السلام

قصتهم مبسطة في سورة الأعراف وهود والشعراء وقوله: فأصبحوا في دارهم جاثمين قال قتادة ميتين. وقال غيره قد ألقى بعضهم على بعض. 37 عظيمة زلزلت عليهم بلادهم وصيحة أخرجت القلوب من حناجرها. وعذاب يوم الظلة الذي أزهق الأرواح من مستقرها إنه كان عذاب يوم عظيم وقد تقدمت هذا مع كفرهم بالله ورسوله فأهلكهم الله برجفة

قريبة من حضرموت بلاد اليمن وثمود قوم صالح كانوا يسكنون الحجر قريباً من وادي القرى. وكانت العرب تعرف مساكنهما جيداً وتمر عليها كثيراً. 38 يخبر تعالى عن هؤلاء الأمم المكذبة للرسل كيف أبادهم وتنوع في عذابهم وأخذهم بالانتقام منهم فعاد قوم هود عليه السلام كانوا يسكنون الأحقاف وهي الجزيلة ومفاتيح الكنوز الثقيلة وفرعون ملك مصر في زمان موسى ووزير هامان القبطيان الكافران بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم. 39 وقارون صاحب الأموال

العقوبة والنتال ما هو أغلظ من هذا وأطم ولهذا قال أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا أي يفوتونا ساء ما يحكمون أي بئس ما يظنون. 4 أي لا يحسبن الذين لم يدخلوا في الإيمان أنهم يتخلصون من هذه الفتنة والامتحان فإن من ورائهم من

هذا السياق وقال قتادة فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً قال قوم لوط ومنهم من أخذته الصيحة قوم شعيب وهذا بعيد أيضاً لما تقدم والله أعلم. 40 فإن ابن جريج لم يدركه. ثم قد ذكر الله في هذه السورة إهلاك قوم نوح بالطوفان وقوم لوط بإزالة الرجز من السماء وأطال السياق والفصل بين ذلك وبين روى ابن جريج قال: قال ابن عباس في قوله فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً قال قوم لوط ومنهم من أغرقنا قال قوم نوح وهذا منقطع عن ابن عباس ذكرناه ظاهر سياق الآية وهو من باب اللف والنشر وهو أنه ذكر الأمم المكذبة ثم قال فكلما أخذنا بذنبه أي من هؤلاء المذكورين وإنما نبهت على هذا لأنه قد فلم ينج منهم مخبر وما كان الله ليظلمهم أي فيما فعل بهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون أي إنما فعل ذلك بهم جزاء وفاقاً بما كسبت أيديهم وهذا الذي الله به وبداره الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة ومنهم من أغرقنا وهو فرعون ووزير هامان وجنودهما عن آخرهم أغرقوا في صبيحة واحدة قارون الذي طغى وبغى وعصى الرب الأعلى ومشى في الأرض مراحاً وفرح ومرح وتاه بنفسه واعتقد أنه أفضل من غيره واختال في مشيته فخسف نبي الله صالحاً ومن آمن معه وتوعدهم بأن يخرجوهم ويرجموهم فجاءتهم صيحة أخرجت الأصوات منهم والحركات منهم من خسفنا به الأرض وهو

## تفسير ابن كثير

الحجة وظهرت لهم الدلالة من تلك الناقة التي انفلقت عنها الصخرة مثل ما سألوا سواء بسواء ومع هذا ما آمنوا بل استمروا على طغيانهم وكفرهم وتهددوا الأرض إلى عنان السماء ثم تنكسه على أم رأسه فتشده فيبقى بدنا بلا رأس كأنهم أعجاز نخل منقعر ومنهم من أخذته الصيحة وهم ثمود قامت عليهم قوة فجاءتهم ريح صرصر باردة شديدة البرد عاتية شديدة الهبوب جدا تحمل عليهم حصاء الأرض فتلقيها عليهم وتقتلعهم من الأرض فترفع الرجل منهم من فكلا أخذنا بذنبه أي كانت عقوبته بما يناسبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا وهم عاد وذلك أنهم قالوا من أشد منا

الله أولياء وهذا بخلاف المسلم المؤمن قلبه لله وهو مع ذلك يحسن العمل في اتباع الشرع فإنه متمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها لقوتها وثباتها. 41 العنكبوت في ضعفه ووهنه فليس في أيدي هؤلاء من آلهتهم إلا كمن يتمسك ببيت العنكبوت فإنه لا يجدي عنه شيئا فلو علموا هذا الحال لما اتخذوا من دون هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله يرجون نصرهم ورزقهم ويتمسكون بهم في الشدائد فهم في ذلك كبيت قال تعالى متوعدا لمن عبد غيره وأشرك به أنه تعالى يعلم ما هم عليه من الأعمال ويعلم ما يشركون به من الأنداد وسيجزئهم وصفهم إنه حكيم عليم. 42 ثم

عمرو بن مرة قال: ما مررت بآية من كتاب الله لا أعرفها إلا أحزنني لأني سمعت الله تعالى يقول وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون. 43 تعالى وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين ثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثنا أبي حدثنا ابن سنان عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: عقلت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف مثل وهذه منقبة عظيمة لعمرو بن العاص رضي الله عنه حيث يقول الله إلا العالمون أي وما يفهمها ويتدبرها إلا الراسخون في العلم المتضلعون منه قال الإمام أحمد حدثنا إسحاق بن عيسى حدثني ابن لهيعة عن أبي قبيل عن ثم قال تعالى وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها

عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى وقوله تعالى إن في ذلك لآية للمؤمنين أي دلالة واضحة على أنه تعالى المتفرد بالخلق والتدبير والإلهية. 44 تعالى مخبرا عن قدرته العظيمة أنه خلق السماوات والأرض بالحق يعني لا على وجه العبث واللعب لتجزي كل نفس بما تسعى ليجزي الذين أساءوا بما يقول

أكبر من ذكركم إياه وقد روي هذا من غير وجه عن ابن عباس وروي أيضا عن ابن مسعود وأبي الدرداء وسليمان الفارسي وغيرهم واختاره ابن جرير. 45 والتكبير في الصلاة وقراءة القرآن ونحو ذلك قال لقد قلت قولاً عجيباً وما هو كذلك ولكنه إنما يقول ذكر الله إياكم عندما أمر به أو نهى عنه إذا ذكرتموه عطاء بن السائب عن عبد الله بن ربيعة قال: قال لي ابن عباس هل تدري ما قوله تعالى ولذكر الله أكبر؟ قال قلت نعم قال فما هو؟ قلت التسبيح والتحميد الله أكبر قال لها وجهان قال ذكر الله عند ما حرمه قال وذكر الله إياكم أعظم من ذكركم إياه وقال ابن جرير حدثني يعقوب بن إبراهيم أخبرنا هشيم أخبرنا فلذكر الله إيانا أكبر من ذكرنا إياه قال: صدق: قال وحدثنا أبي حدثنا النفيلى حدثنا إسماعيل عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى ولذكر الله عند طعامك وعند منامك قلت فإن صاحباً لي في المنزل يقول غير الذي تقول قال وأي شيء يقول؟ قلت قال يقول الله تعالى فاذكروني أذكركم وبه قال مجاهد وغيره: وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد الأحمر عن داود بن أبي هند عن رجل عن ابن عباس ولذكر الله أكبر قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ولذكر الله أكبر يقول ولذكر الله لعباده أكبر إذا ذكروه من ذكرهم إياه وكذا روى غير واحد عن ابن عباس حجتك عن الفحشاء والمنكر والذي أنت فيه من ذكر الله أكبر وقال حماد بن أبي سليمان إن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر يعني ما دمت فيها وقال الله بالإخلاص يأمره بالمعروف والنهي عن المنكر وذكر الله القرآن يأمره وينهاه وقال ابن عون الأنصاري إذا كنت في صلاة فأنت في معروف وقد الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر قال إن الصلاة فيها ثلاث خصال فكل صلاة لا يكون فيها شيء من هذه الخلال فليست بصلاة. الإخلاص والخشية وذكر الأكبر ولهذا قال تعالى ولذكر الله أكبر أي أعظم من الأول والله يعلم ما تصنعون أي يعلم جميع أعمالكم وأقوالكم. وقال أبو العالية في قوله تعالى إن إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن فلانا يصلي بالليل فإذا أصبح سرق فقال إنه سينهاه ما تقول. وتشتمل الصلاة أيضاً على ذكر الله تعالى وهو المطلوب قال جرير وزيد عن عبد الله بن الأعمش عن أبي صالح عن جابر وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع أخبرنا الأعمش قال أرى أبا صالح عن أبي هريرة قال جاء رجل الأعمش غير واحد واختلفوا في إسناده فرواه غير واحد عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة أو غيره وقال قيس عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر موسى الجرشي أخبرنا زياد بن عبد الله عن الأعمش عن أبي صالح عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه ولم يشك ثم قال: وهذا الحديث قد رواه عن قال أراه عن جابر شك الأعمش قال: قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم إن فلانا يصلي بالليل فإذا أصبح سرق قال سينهاه ما تقول وحدثنا محمد بن وقتادة والأعمش وغيرهم والله أعلم. وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا يوسف بن موسى أنبأنا جرير يعني ابن عبد الحميد عن الأعمش عن أبي صالح عليه وسلم من صلى صلاة لم تنهه عن الفحشاء والمنكر لم يزد بها من الله إلا بعداً والأصح في هذا كله الموقوفات عن ابن مسعود وابن عباس والحسن إن فلانا يطيل الصلاة قال إن الصلاة لا تنفع إلا من أطاعها: وقال ابن جرير حدثنا علي حدثنا إسماعيل بن مسلم عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يطع الصلاة وطاعة الصلاة تنهاه عن الفحشاء والمنكر والموقوف أصح كما رواه الأعمش عن مالك بن الحارث عن عبد الرحمن بن يزيد قال قيل لعبد الله أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد عن جويبر عن الضحاك عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو خالد مرة عن عبد الله لا صلاة لمن الصلاة أن تنهاه عن الفحشاء والمنكر. قال: قال سفيان قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك قال فقال سفيان إي والله تأمره وتنهاه. وقال ابن أبي حاتم حدثنا



## تفسير ابن كثير

الحسين حدثنا علي بن هاشم بن البريد عن جويبر عن الضحاك عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا صلاة لمن لم يطع الصلاة وطاعة عن الفحشاء والمنكر قال فمن لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهائه عن المنكر لم يزد بصلاته من الله إلا بعدا. فهذا موقوف. قال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا أبي معاوية. وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا خالد بن عبد الله عن العلاء بن المسيب عن ذكره عن ابن عباس في قوله إن الصلاة تنهى عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد بها من الله إلا بعدا رواه الطبراني من حديث من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له وحدثنا علي بن الحسين حدثنا يحيى ابن أبي طلحة اليربوعي حدثنا أبو معاوية عن ليث عن طاوس حدثنا عمر بن أبي عثمان حدثنا الحسن عن عمران بن حصين قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الله إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر قال والمنكر لم تزد من الله إلا بعدا. ذكر الآثار الواردة في ذلك قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن هارون المخرمي الفلاس حدثنا عبد الرحمن بن نافع أبو زياد على ترك الفواحش والمنكرات أي مواظبتها تحمل على ترك ذلك وقد جاء في الحديث من رواية عمران وابن عباس مرفوعا من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمؤمنين بتلاوة القرآن وهو قراءته وإبلاغه للناس وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر يعني أن الصلاة تشتمل على شيئين ثم قال تعالى أمرا رسوله

ومع ذلك وقرب العهد وضعت أحاديث كثيرة في هذه الأمة لا يعلمها إلا الله عز وجل ومن منحه الله تعالى علما بذلك كل بحسبه ولله الحمد والمنة. 46 الكذب لغة من غير قصد لأنه يحدث عن صحف هو يحسن بها الظن وفيها أشياء موضوعة ومكذوبة لأنهم لم يكن في ملتهم حفاظ متقنون كهذه الأمة العظيمة وذكر كعب الأحبار فقال إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب قلت معناه أنه يقع منه عن الذي أنزل عليكم وقال البخاري وقال أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري أخبرني حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية يحدث رهطا من قريش بالمدينة وغيروا وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا؟ ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم؟ قالوا والله ما رأينا منهم رجلا يسألهم تسألوا أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل إليكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدث تقرؤه محضا لم يشب وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا تدعوه إلى دينه كتابية المال وقال البخاري حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا إبراهيم بن سعد أخبرنا ابن شهاب عن عبد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال: كيف قال لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا إما أن تكذبوا بحق أو تصدقوا باطل فإنه ليس أحد من أهل الكتاب إلا وفي قلبه تالية قال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا أبو عاصم أخبرنا سفيان عن سليمان بن عامر عن عمارة بن عمير عن حريث بن ظهير عن عبد الله هو ابن مسعود ليعلم أن أكثر ما يتحدثون به غالبه كذب وبهتان لأنه قد دخلت تحريف وتبديل وتغيير وتأويل وما أقل الصدق فيه ثم ما أقل فائدة كثير منه لو كان صحيحا. فإن كان حقا لم تكذبوهم وإن كان باطلا لم تصدقوهم قلت وأبو نملة هذا هو عمارة وقيل عمار وقيل عمرو بن معاذ بن زرارة الأنصاري رضي الله عنه ثم قال اليهودي أنا أشهد أنها تتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله هو جالس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه رجل من اليهود فقال يا محمد هل تتكلم هذه الجنازة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أعلم وهذا الحديث تفرد به البخاري. وقال الإمام أحمد حدثنا عثمان بن عمرو أخبرنا يونس عن الزهري أخبرني ابن أبي نملة أن أبا نملة الأنصاري أخبره أنه بينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وما أنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون المبارك عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام يؤمن به إيمانا مجعلا معلقا على شرط وهو أن يكون منزلا لا مبدلا ولا مؤولا. قال البخاري رحمه الله حدثنا محمد بن بشار حدثنا عثمان بن عمر أخبرنا علي بن بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم يعني إذا أخبروا بما لا تعلم صدقه ولا كذبه فهذا لا تقدم على تكذيبه لأنه قد يكون حقا ولا تصديقه فلعله أن يكون باطلا ولكن من خالف كتاب الله أن نضربه بالسيف قال مجاهد إلا الذين ظلموا منهم يعني أهل الحرب ومن امتنع منهم من أداء الجزية. وقوله تعالى وقولوا آمنا أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد إلى قوله إن الله قوي عزيز قال جابر: أمرنا حادوا عن وجه الحق وعموا عن واضح المحجة وعاندوا وكابروا فحينئذ ينتقل من الجدال إلى الجلال ويقاثلون بما يمنهم ويردعهم قال الله عز وجل لقد حين بعثهما إلى فرعون فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى وهذا القول اختاره ابن جرير وحكاه عن ابن زيد. وقوله تعالى إلا الذين ظلموا منهم أي منهم في الدين فيجادل بالتي هي أحسن ليكون أنجع فيه كما قال تعالى ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة الآية وقال تعالى لموسى وهارون وغير واحد: هذه الآية منسوخة بآية السيف ولم يبق معهم مجادلة وإنما هو الإسلام أو الجزية أو السيف وقال آخرون بل هي باقية محكمة لمن أراد الاستبصار قال قتادة

قريش وغيرهم وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون أي ما يكذب بها ويجحد حقها إلا من يستر الحق بالباطل. ويغطي ضوء الشمس بالوصلات وهيئات. 47 أخذوه فتلوه حق تلاوته من أحبارهم العلماء الأذكياء كعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وأشباههما وقوله تعالى ومن هؤلاء من يؤمن به يعني العرب من يا محمد من الرسل كذلك أنزلنا إليك هذا الكتاب وهذا الذي قاله حسن ومناسبتة وارتباطه جيد وقوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به أي الذين قال ابن جرير يقول الله تعالى كما أنزلنا الكتاب على من قبلك

كتب قبله مأثورة عن الأنبياء مع أنهم قالوا ذلك مع علمهم بأنه أمي لا يحسن الكتابة وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا. 48 الغالب كقوله تعالى ولا طائر يطير بجناحيه وقوله تعالى إذا لارتات المبطلون أي لو كنت تحسنها لارتاب بعض الجهلة من الناس فيقول إنما تعلم هذا من

## تفسير ابن كثير

تعلم الكتابة فضعيف لا أصل له قال الله تعالى وما كنت تتلو أي تقرأ من قبله من كتاب لتأكيد النفي ولا تخطه بيمينك تأكيد أيضا وخرج مخرج إخبارا عن الدجال مكتوب بين عينيه كافر وفي رواية ك ف ر يقرؤها كل مؤمن وما أورده بعضهم من الحديث أنه لم يمت صلى الله عليه وسلم حتى محافلهم. وإنما أراد الرجل أعني الباجي فيما يظهر عنه أنه كتب ذلك على وجه المعجزة لا أنه كان يحسن الكتابة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرواية الأخرى: ثم أمر فكتب. ولهذا اشتد النكير من فقهاء المشرق والمغرب على من قال يقول الباجي وتبرؤا منه وأنشدوا في ذلك أقوالا وخطبوا به في تابعه أنه عليه السلام كتب يوم الحديبية: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله. وإنما حملة على ذلك رواية في صحيح البخاري: ثم أخذ فكتب. وهذه محمولة ولا يخط سطرًا ولا حرفًا بيده بل كان له كتاب يكتبون بين يده الوحي والرسائل إلى الأقاليم. ومن زعم من متأخري الفقهاء كالقاضي أبي الوليد الباجي ومن عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر الآية وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائما إلى يوم الدين لا يحسن الكتابة وغيرهم يعرف أنك رجل أمي لا تقرأ ولا تكتب وهكذا صفتة في الكتب المتقدمة كما قال تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك أي قد لبثت في قومك يا محمد من قبل أن تأتي بهذا القرآن عمرا لا تقرأ كتابا ولا تحسن الكتابة بل كل أحد من قومك ثم قال تعالى وما كنت تتلوا

المكابرون الذين يعلمون الحق ويحيدون عنه كما قال تعالى إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم. 49 عباس وقاله الضحاك وهو الأظهر والله أعلم وقوله تعالى وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون أي ما يكذب بها ويبخس حقها ويردها إلا الظالمون أي المعتدون آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب ونقله عن قتادة وابن جريج وحكى الأول عن الحسن البصري فقط قلت وهو الذي رواه العوفي عن ابن جرير أن المعنى في قوله تعالى بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم بل العلم بأنك ما كنت تتلو من قبل هذا الكتاب كتابا ولا تخطه بيمينك محفوظ في الصدور ميسر على الألسنة مهيم على القلوب معجز لفظا ومعنى ولهذا جاء في الكتب المقدسة صفة هذه الأمة أناجيلهم في صدورهم واختار ويقظانا أي لو غسل الماء المحل المكتوب فيه لما احتيج إلى ذلك المحل لأنه قد جاء في الحديث الآخر لو كان القرآن في إهاب ما أحرقت النار ولأنه أن أكون أكثرهم تابعا وفي حديث عياض بن حماد في صحيح مسلم يقول الله تعالى إني مبتليكم ومبتل بك ومنزل عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نائما فهل من مدكر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي إلا وقد أعطي ما آمن على مثله البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي فأرجو آيات بينة واضحة في الدلالة على الحق أمرا ونهيا وخبرا يحفظه العلماء يسره الله عليهم حفظا وتلاوة وتفسيرا كما قال تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر قال الله تعالى قال أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض الآية وقال ههنا بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم أي هذا القرآن موفرا فإن ذلك كائن لا محالة لأنه سميع الدعاء بصير بكل الكائنات ولهذا قال تعالى من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم. 5 يقول تعالى من كان يرجو لقاء الله أي في الدار الآخرة وعمل الصالحات ورجا ما عند الله من الثواب الجزيل فإن الله سيحقق له رجاءه ويوفيه عمله كاملا أبلغكم رسالة الله تعالى ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضل فلن تجد له وليا مرشدا وقال تعالى: ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء. 50 أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وقوله: وإنما أنا نذير مبين أي إنما بعثت نذيرا لكم بين النذارة فعلي أن تهتدون لأجابتكم إلى سؤالكم لأن هذا سهل عليه يسر لديه ولكنه يعلم منكم أنكم إنما قصدتم التعتن والامتحان فلا يجيبكم إلى ذلك كما قال تعالى وما منعنا يعنون ترشدكم إلى أن محمدا رسول الله كما أتى صالح بناقته قال الله تعالى قل يا محمد إنما الآيات عند الله أي إنما أمر ذلك إلى الله فإنه لو علم أنكم يقول تعالى مخبرا عن المشركين في تعنتهم وطلبهم آيات

يؤمنون أي إن في هذا القرآن لرحمة أي بيانا للحق وإزاحة للباطل وذكرى بما فيه حلول النقمات ونزول العقاب بالمكذبين والعاصين لقوم يؤمنون. 51 وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون تابعا يوم القيامة أخرجاه من حديث الليث. وقد قال الله تعالى إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم سعيد عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وقال تعالى وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه أو لم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى وقال الإمام أحمد حدثنا حجاج حدثنا ليث حدثني سعيد بن أبي بأخبار ما في الصحف الأولى ببيان الصواب مما اختلفوا فيه وبالحق الواضح البين الجلي كما قال تعالى أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل أنا أنزلنا عليك الكتاب العظيم الذي فيه خبر ما قبلهم ونبا ما بعدهم وحكم ما بينهم وأنت رجل أمي لا تقرأ ولا تكتب ولم تخالط أحدا من أهل الكتاب فجننتهم عن معارضته بل عن معارضة عشر سور من مثله بل عن معارضة سورة منه فقال تعالى: أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم أي أولم يكفهم آية عليه وسلم فيما جاءهم وقد جاءهم بالكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الذي هو أعظم من كل معجزة إذ عجزت الفصحاء والبلغاء ثم قال تعالى مبينا كثرة جهلهم وسخافة عقولهم حيث طلبوا آيات تدلهم على صدق محمد صلى الله

بالحق واتباعهم الباطل كذبوا برسول الله مع قيام الأدلة على صدقهم وآمنوا بالطواغيت والأوثان بلا دليل فسيجزئهم على ذلك إنه حكيم عليم. 52 لا تخفى عليه خافية والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون أي يوم القيامة سيجزئهم على ما فعلوا ويقابلهم على ما صنعوا في تكذيبهم منكم من أحد عنه حاجزين وإنما أنا صادق عليه فيما أخبركم به ولهذا أيدني بالمعجزات الواضحات والدلائل القاطعات يعلم ما في السموات والأرض أي لكم من إخباري عنه بأنه أرسلني فلو كنت كاذبا عليه لانتقم مني كما قال تعالى: ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما

## تفسير ابن كثير

ثم قال تعالى: قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا أي هو أعلم بما تفيضون فيه من التكذيب ويعلم ما أقول

لولا ما حتم الله من تأخير العذاب إلى يوم القيامة لجاءهم العذاب قريبا سريعا كما استعجلوه ثم قال وليأتينهم بغتة أي فجأة وهم لا يشعرون . 53  
إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم وقال ههنا ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب أي  
يقول تعالى: مخبرا عن جهل المشركين في استعجالهم عذاب الله أن يقع بهم وبأس الله أن يحل عليهم كما قال تعالى وإذ قالوا اللهم

يعلى بيده لا أدخلها أبدا حتى أعرض على الله ولا يصيبني منها قطرة حتى أعرض على الله تعالى هذا تفسير غريب وحديث غريب جدا والله أعلم. 54  
عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال البحر هو جهنم قالوا ليعلى فقال: ألا ترون أن الله تعالى يقول نارا أحاط بهم سرادقها قال لا والذي نفس  
فيه الشمس و القمر ثم يوقد فيكون هو جهنم وقال الإمام أحمد حدثنا أبو عاصم أخبرنا عبد الله بن أمية حدثني محمد بن حبيي أخبرني صفوان بن يعلى  
بن مجالد حدثنا أبي عن مجاهد عن الشعبي أنه سمع ابن عباس يقول وإن جهنم لمحيطة بالكافرين وجهنم هو هذا البحر الأخضر تنتشر الكواكب فيه وتكور  
قال شعبة عن سماك عن عكرمة قال في قوله وإن جهنم لمحيطة بالكافرين قال البحر وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين. حدثنا عمر بن إسماعيل  
أي يستعجلون العذاب وهو واقع بهم لا محالة

نار جهنم دعا هذه النار التي كنتم به تكذبون أفسح هذا أم أنتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون. 55  
وهذا عذاب معنوي على النفوس كقوله تعالى: يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر وقال تعالى يوم يدعون إلى  
النار ولا عن ظهورهم الآية فالنار تغشاهم من سائر جهاتهم وهذا أبلغ في العذاب الحسي وقوله تعالى ونقول ذوقوا ما كنتم تعملون تهديد وتوبيخ  
جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وقال تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل وقال تعالى لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم  
ثم قال عز وجل يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم كقوله تعالى لهم من

فأواهم وأيدهم بنصره وجعلهم سيوما ببلاده ثم بعد ذلك هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة الباقيون إلى المدينة النبوية يثرب المطهرة. 56  
بمكة مقامهم بها خرجوا مهاجرين إلى أرض الحبشة ليأمنوا على دينهم هناك فوجدوا خير المنزلين هناك أصحمة النجاشي ملك الحبشة رحمه الله تعالى  
عن الزبير بن العوام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البلاد بلاد الله والعباد عباد الله فحيثما أصبت خيرا فأقم ولهذا لما ضاق على المستضعفين  
قال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن عبدربه حدثنا بقة بن الوليد حدثني جبير بن عمرو القرشي حدثني أبو سعد الأنصاري عن أبي بحر مولى الزبير بن العوام  
إلى أرض الله الواسعة حيث يمكن إقامة الدين بأن يوحدا الله ويعبدوه كما أمرهم ولهذا قال تعالى: يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون  
هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين بالهجرة من البلد الذي لا يقدرين فيه على إقامة الدين

وحيث أمركم الله فهو خير لكم فإن الموت لا بد منه ولا محيد عنه ثم إلى الله المرجع والمآب فمن كان مطيعا له جازاه أفضل الجزاء ووافاه أتم الثواب. 57  
ثم قال تعالى: كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون أي أينما كنتم يدرككم الموت فكونوا في طاعة الله

وبجرونها حيث شاءوا خالدين فيها أي ماكثين فيها أبدا لا يبيغون عنها حولا نعم أجر العاملين نعمت هذه الغرف أجرا على أعمال المؤمنين. 58  
الجنة غرفا تجري من تحتها الأنهار أي لنسكنهم منازل عالية في الجنة تجري من تحتها الأنهار على اختلاف أصنافها من ماء وخمر وعسل ولبن يصرفونها  
ولهذا قال تعالى: والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوأنهم من

الله تعالى لمن أطعم الطعام وأطاب الكلام وتابع الصلاة والصيام وقام بالليل والناس نيام وعلى ربهم يتوكلون في أحوالهم كلها في دينهم ودنياهم. 59  
أبو معاوية الأشعري أن أبا مالك الأشعري حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثه أن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها  
أبي حاتم رحمه الله حدثنا أبي أخبرنا صفوان المؤذن أخبرنا الوليد بن مسلم أخبرنا معاوية بن سلام عن أخيه زيد بن سلام عن جده أبي سلام الأسود حدثني  
والذين صبروا أي على دينهم وهاجروا إلى الله وناذبوا الأعداء وفارقوا الأهل والأقرباء ابتغاء وجه الله ورجاء ما عنده وتصديق موعوده قال ابن

ولهذا قال تعالى: ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين قال الحسن البصري: إن الرجل ليجاهد وما ضرب يوم من الدهر بسيف. 6  
أي من عمل صالحا فإنما يعود نفع عمله على نفسه فإن الله تعالى غني عن أفعال العباد ولو كانوا كلهم على أتقى قلب رجل منهم ما زاد ذلك في ملكه شيئا.  
وقوله تعالى: ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه كقوله تعالى: من عمل صالحا فلنفسه

لفظ سافروا مع ذوي الجد والميسرة قال ورويناه عن ابن عباس وقوله وهو السميع العليم أي السميع لأقوال عباده العليم بحركاتهم وسكناتهم. 60  
صلى الله عليه وسلم سافروا ترحبوا وصوموا تصحوا واغزوا تغنموا وقد ورد مثل حديث ابن عمر عن ابن عباس مرفوعا وعن معاذ بن جبل موقوفا وفي  
وتغنموا قال ورويناه عن ابن عباس وقال الإمام أحمد حدثنا قبيصة أخبرنا ابن لهيعة عن دراج عن عبد الرحمن بن حجير عن أبي هريرة قال: قال رسول الله  
أخبرنا محمد بن عبد الرحمن بن يزيد شيخ من أهل المدينة حدثنا عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سافروا تصحوا  
سافروا تصحوا وترزقوا قال البيهقي أخبرنا إمام أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان أخبرنا أحمد بن عبيد أخبرنا محمد بن غالب حدثني محمد بن سنان  
ولهذا قال الشاعر. يا رازق النعاب في عشه وجابر العظم الكسير المهيض وقد قال الشافعي في جملة كلام له في الأوامر كقول النبي صلى الله عليه وسلم  
فيتقوت به تلك الأيام حتى يسود ريشه والأبوان يتفقدانه كل وقت فكلمنا رأوه أبيض الريش نفرا عنه فإذا رأوه اسود ريشه عطفوا عليه بالحضانة والرزق

## تفسير ابن كثير

وهم بيض فإذا رآهم أبواهم كذلك نفرا عنهم أياما حتى يسود الريش فيظل الفرخ فاتحا فاه يتفقد أبويه فيقيض الله تعالى طيرا صغارا كالبرغش فيغشاه ألا واني لا أكنز دينارا ولا درهما ولا أخبأ رزقا لغد هذا حديث غريب وأبو العطوف الجزري ضعيف وقد ذكروا أن الغراب إذا فقس عن فراخه البيض خرجوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل لم يأمرني بكنز الدنيا ولا باتباع الشهوات فمن كنز دنياه يريد بها حياة باقية فإن الحياة بيد الله في قوم يخبنون رزق سنتهم بضعف اليقين؟ قال فوالله ما برحنا ولا رمنا حتى نزلت وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم الله قال لكنني أشتيهيه وهذا صبح رابعة منذ لم أذق طعاما ولم أجد له ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان المدينة فجعل يلتقط من التمر ويأكل فقال لي يا ابن عمر مالك لا تأكل؟ قال قلت لا أشتيهيه يا رسول عبد الرحمن الهروي حدثنا يزيد يعني ابن هارون حدثنا الجراح بن منهال الجزري هو أبو العطوف عن الزهري عن رجل عن ابن عمر قال: خرجت مع رسول في الماء. قال تعالى وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن وإياكم أي يقيض لها رزقها على ضعفها وييسره عليها فيبعث إلى كل مخلوق من الرزق ما يصلحه حتى الذر في قرار الأرض والطير في الهواء والحيتان صاروا حكام البلاد في سائر الأقطار والأمصار ولهذا قال تعالى وكأين من دابة لا تحمل رزقها أي لا تطيق جمعه وتحصيله ولا تدخر شيئا لغد الله يرزقها تعالى أن الرزق لا يختص ببقة بل رزقه تعالى عام لخلقه حيث كانوا وأين كانوا بل كانت أرزاق المهاجرين حيث هاجروا أكثر وأوسع وأطيب فإنهم بعد قليل ثم أخبرهم

الإلهية بالاعتراف بتوحيد الربوبية وقد كان المشركون يعترفون بذلك كما كانوا يقولون في تليبتهم لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك. 61 المنفرد بتدبيرها فإذا كان الأمر كذلك فلم يعبد غيره؟ ولم يتوكل على غيره؟ فكما أنه الواحد في ملكه فليكن الواحد في عبادته وكثيرا ما يقرر تعالى مقام واختلاف أرزاقهم. فتفاوت بينهم فمنهم الغني والفقير وهو العليم بما يصلح كلا منهم ومن يستحق الغنى ممن يستحق الفقر فذكر أنه المستقل بخلق الأشياء يعبدون معه غير معترفون بأنه المستقل بخلق السماوات والأرض والشمس والقمر وتسخير الليل والنهار وأنه الخالق الرازق لعباده ومقدر آجالهم واختلافها يقول تعالى مقررًا أنه لا إله إلا هو لأن المشركين الذين

الإلهية بالاعتراف بتوحيد الربوبية وقد كان المشركون يعترفون بذلك كما كانوا يقولون في تليبتهم لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك. 62 المنفرد بتدبيرها فإذا كان الأمر كذلك فلم يعبد غيره؟ ولم يتوكل على غيره؟ فكما أنه الواحد في ملكه فليكن الواحد في عبادته وكثيرا ما يقرر تعالى مقام واختلاف أرزاقهم. فتفاوت بينهم فمنهم الغني والفقير وهو العليم بما يصلح كلا منهم ومن يستحق الغنى ممن يستحق الفقر فذكر أنه المستقل بخلق الأشياء يعبدون معه غير معترفون بأنه المستقل بخلق السموات والأرض والشمس والقمر وتسخير الليل والنهار وأنه الخالق الرازق لعباده ومقدر آجالهم واختلافها يقول تعالى مقررًا أنه لا إله إلا هو لأن المشركين الذين

الإلهية بالاعتراف بتوحيد الربوبية وقد كان المشركون يعترفون بذلك كما كانوا يقولون في تليبتهم لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك. 63 المنفرد بتدبيرها فإذا كان الأمر كذلك فلم يعبد غيره؟ ولم يتوكل على غيره؟ فكما أنه الواحد في ملكه فليكن الواحد في عبادته وكثيرا ما يقرر تعالى مقام واختلاف أرزاقهم. فتفاوت بينهم فمنهم الغني والفقير وهو العليم بما يصلح كلا منهم ومن يستحق الغنى ممن يستحق الفقر فذكر أنه المستقل بخلق الأشياء يعبدون معه غير معترفون بأنه المستقل بخلق السموات والأرض والشمس والقمر وتسخير الليل والنهار وأنه الخالق الرازق لعباده ومقدر آجالهم واختلافها يقول تعالى مقررًا أنه لا إله إلا هو لأن المشركين الذين

أي الحياة الدائمة الحق الذي لا زوال له ولا انقضاء بل هي مستمرة أبد الآباد وقوله تعالى لو كانوا يعلمون أي لآثروا ما يبقى على ما يفنى. 64

يقول تعالى مقررًا أنه لا إله إلا هو لأن المشركين الذين يعبدون معه غيره معترفون بأنه المستقل بخلق السموات والأرض والحيوان

في البحر غيره فإنه لا ينجي في البر أيضا غيره اللهم لك علي عهد لئن خرجت لأذهبن فلأضعن يدي في يد محمد فلأجدهن رؤوفا رحيمًا فكان كذلك. 65 ركب في البحر ليذهب إلى الحبشة اضطربت بهم السفينة فقال أهلها يا قوم أخلصوا لربكم الدعاء فإنه لا ينجي ههنا إلا هو فقال عكرمة والله لئن كان لا ينجي نجاهم إلى البر إذا هم يشركون وقد ذكر محمد بن إسحاق عن عكرمة بن أبي جهل أنه لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ذهب فارًا منها فلما في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين كقوله تعالى وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم الآية وقال ههنا فلما ثم أخبر تعالى عن المشركين أنهم عند الاضطراب يدعونه وحده لا شريك له فهلا يكون هذا منهم دائما فإذا ركبوا

بالنسبة إليهم وأما بالنسبة إلى تقدير الله عليهم ذلك وتقييذه إياهم لذلك فهي لام التعليل وقد قدما تقرير ذلك في قوله ليكون لهم عدوا وحزنا. 66 تعالى ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا هذه اللام يسميها كثير من أهل العربية والتفسير وعلماء الأصول لام العاقبة لأنهم لا يقصدون ذلك ولا شك أنها كذلك وقوله

تعالى ما كان أنعم به عليهم وقتل من قتل منهم بيد ثم صارت الدولة لله ولرسوله وللمؤمنين ففتح الله على رسوله مكة وأرغم أنافهم وأذل رقابهم. 67 ورسوله فكان اللائق بهم إخلاص العبادة لله وأن لا يشركوا به وتصديق الرسول وتعظيمه وتوقيره فكذبه فقاتلوه فأخرجوه من بين ظهرهم ولهذا سلبهم الله على هذه النعمة العظيمة أن أشركوا به وعبدوا معه غيره من الأصنام والأنداد و بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار فكفروا بنبي الله وعبدوا

## تفسير ابن كثير

بعضهم بعضا ويقتل بعضهم بعضا كما قال تعالى لإيلاف قريش إلى آخر السورة. وقوله تعالى أفتالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون أي أفكان شكرهم يقول تعالى ممتنا على قريش فيما أحلهم من حرمة الذي جعله للناس سواء العاكف فيه والباد ومن دخله كان آمنا فهم في أمن عظيم والأعراب حوله ينهب مثل ما أنزل الله وهكذا لا أحد أشد عقوبة ممن كذب بالحق لما جاءه فالأول مفتر والثاني مكذب ولهذا قال تعالى أليس في جهنم مثوى للكافرين. 68 ممن افتري على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه أي لا أحد أشد عقوبة ممن كذب على الله فقال إن الله أوحى إليه ولم يوح إليه شيء. ومن قال سأنزل ثم قال تعالى ومن أظلم

إنما الإحسان أن تحسن إلى من أساء إليك ليس الإحسان أن تحسن إلى من أحسن إليك والله أعلم. آخر تفسير سورة. العنكبوت ولله الحمد والمنة. 69 قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عيسى بن جعفر قاضي الري حدثنا أبو جعفر الرازي عن المغيرة عن الشعبي قال: قال عيسى ابن مريم عليه السلام لمن ألهم شيئا من الخير أن يعمل به حتى يسمعه في الأثر فإذا سمعه في الأثر عمل به وحمد الله حتى وافق ما في قلبه. وقوله وإن الله لمع المحسنين المحسنين قال الذين يعملون بما يعلمون يهديهم الله لما لا يعلمون قال أحمد بن أبي الحواري فحدثت به أبا سليمان يعني الداراني فأعجبه وقال ليس ينبغي حدثنا أبي حدثنا أحمد بن أبي الحواري أخبرنا عباس الهمداني أبو أحمد من أهل عكا في قول الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع يعني الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين لنهدينهم سبلنا أي لنبصرنهم سبلنا أي طرقنا في الدنيا والآخرة. قال ابن أبي حاتم ثم قال تعالى والذين جاهدوا فينا

حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما وقال ههنا: والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنه سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون. 7 ويثيب عليها الواحدة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ويجزي على السيئة بمثلها أو يعفو ويصفح كما قال تعالى: إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك الذين آمنوا وعملوا الصالحات أحسن الجزاء وهو أنه يكفر عنهم أسوأ الذين عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون فيقبل القليل من الحسنات ثم أخبر تعالى أنه مع غناه عن الخلاق جميعهم ومع بره وإحسانه بهم يجازي

على دينك وأحشرك مع الصالحين لا في زمرة والديك وإن كنت أقرب الناس إليهما في الدنيا فإن المرء إنما يحشر يوم القيامة مع من أحب أي حبا دينيا. 8 أي وإن حرصا عليك أن تتابعهما على دينهما إذا كانا مشركين فأياك وإياهما فلا تطعهما في ذلك فإن مرجعكم إلي يوم القيامة فأجزيك بإحسانك إليهما وصبرك صغيرا ومع هذه الوصية بالرأفة والرحمة والإحسان إليهما في مقابلة إحسانهما المتقدم قال: وإن جاهدك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني هما سبب وجود الإنسان ولهما عليه غاية الإحسان فالوالد بالإنفاق والوالدة بالإشفاق ولهذا قال تعالى: وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبوالدين إحسانا يقول تعالى أمرا عباده بالإحسان إلى الوالدين بعد الحث على التمسك بتوحيده فإن الوالدين

جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما الآية وهذا الحديث رواه الإمام أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي أيضا وقال الترمذي حسن صحيح. 9 بالبر؟ والله لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا حتى أموت أو تكفر قال فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها شجروا فاهما فنزلت ووصينا الإنسان بوالديه حسنا وإن حدثنا شعبة عن سماك بن حرب قال: سمعت مصعب بن سعد يحدث عن أبيه سعد قال نزلت في أربع آيات فذكر قصته وقال: قالت أم سعد أليس الله قد أمرك وقال الترمذي عند تفسير هذه الآية حدثنا محمد بن بشار ثنا محمد بن المثني حدثنا محمد بن جعفر

## سورة 30

كان صحيحا أن يحسب ما لكل حرف من الحروف الأربعة عشر التي ذكرناها وذلك يبلغ منه جملة كثيرة وإن حسبت مع التكرار فأطم وأعظم والله أعلم. 1 محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهاً فهذا الحديث مداره على محمد بن السائب الكلبي وهو ممن لا يحتج بما انفرد به ثم كان مقتضى هذا المسلك إن وإحدى وسبعون ومائتان فذلك سبعمائة وأربع سنين؟ فقالوا لقد تشابه علينا أمره فيزعمون أن هؤلاء الآيات نزلت فيهم هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات أبو ياسر لأخيه حي بن أخطب ولمن معه من الأحرار ما يدريكم لعله قد جمع هذا لمحمد كله إحدى وسبعون وإحدى وثلاثون ومائة وإحدى وثلاثون ومائتان أربعون والراء مائتان فهذه إحدى وسبعون ومائتان ثم قال: لقد لبس علينا أمرك يا محمد حتى ما ندري أقليلا أعطيت أم كثيرا. ثم قال قوموا عنه ثم قال فهذه إحدى وثلاثون ومائتا سنة. فهل مع هذا يا محمد غيره؟ قال نعم قال المر قال هذه أثقل وأطول الألف واحدة واللام ثلاثون والميم إحدى وثلاثون ومائة سنة. هل مع هذا يا محمد غيره؟ قال نعم قال ما ذاك؟ قال الر قال هذا أثقل وأطول الألف واحدة واللام ثلاثون والراء مائتان فقال يا محمد هل مع هذا غيره فقال نعم قال ما ذاك؟ قال المص قال هذا أثقل وأطول الألف واحد واللام ثلاثون والميم أربعون والصاد تسعون فهذه والميم أربعون فهذه إحدى وسبعون سنة أفتدخلون في دين نبي إنما مدة ملكه وأجل أمته إحدى وسبعون سنة؟ ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الله قبلك أنبياء ما نعلمه بين نبي منهم ما مدة ملكه وما أجل أمته غيرك. فقام حي بن أخطب وأقبل على من كان معه فقال لهم الألف واحدة واللام ثلاثون فيما أنزل الله عليك الم ذلك الكتاب؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى فقالوا جاءك بهذا جبريل من عند الله؟ فقال نعم قالوا لقد بعث فيه فقال أنت سمعته قال نعم قال فمشى حي بن أخطب في أولئك النفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ألم يذكر أنك تتلوا

## تفسير ابن كثير

الكتاب لا ريب فيه فأتى أخاه بن أخطب في رجال من اليهود فقال تعلمون والله لقد سمعت محمدا يتلو فيما أنزل الله تعالى عليه الم ذلك الكتاب لا ريب عباس عن جابر بن عبد الله بن رباب قال مر أبو ياسر بن أخطب في رجال من يهود برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو فاتحة سورة البقرة الم ذلك مع ذلك أدل على بطلان هذا المسلك من التمسك به على صحته وهو ما رواه محمد بن إسحق بن يسار صاحب المغازي حدثني الكلبي عن أبي صالح عن ابن على معرفة المدد وأنه يستخرج من ذلك أوقات الحوادث والفتن والملاحم فقد ادعى ما ليس له وطار في غير مطاره وقد ورد في ذلك حديث ضعيف وهو إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم وغير ذلك من الآيات الدالة على صحة ما ذهب إليه هؤلاء لمن أمعن النظر والله أعلم. وأما من زعم أنها دالة لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين حم تنزيل من الرحمن الرحيم حم عسق كذلك يوحي الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه المص كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه الر كتاب أنزلناه إليك فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وعظمته وهذا معلوم بالاستقراء وهو الواقع في تسع وعشرين سورة ولهذا يقول تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه الم من الكلمات ما هو على حرف وعلى حرفين وعلى ثلاثة وعلى أربعة وعلى خمسة لا أكثر من ذلك قلت ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف فلا بد أن يذكر ص ن ق و حرفين مثل حم وثلاثة مثل الم وأربعة مثل المر و المص وخمسة مثل كهيعص و حم عسق لأن أساليب كلامهم على هذا في أول القرآن وإنما كررت ليكون أبلغ في التحدي والتبكي كما كررت قصص كثيرة وكرر التحدي بالصريح في أماكن قال وجاء منها على حرف واحد كقوله ذهب الشيخ الإمام العلامة أبو العباس ابن تيمية وشيخنا الحافظ المجتهد أبو الحجاج المزي وحكا لي عن ابن تيمية. قال الزمخشري ولم ترد كلها مجموعة المذهب الرازي في تفسيره عن المبرد وجمع من المحققين وحكى القرطبي عن الفراء وقرطرب نحو هذا وقرره الزمخشري في كشفه ونصره أتم نصر وإليه التي ذكرت فيها بيانا لإعجاز القرآن وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله هذا مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها وقد حكى هذا والتي تليها أعني البقرة وآل عمران مدينتان ليستا خطابا للمشركون فانتقض ما ذكروه بهذه الوجوه. وقال آخرون بل إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور لا يكون في بعضها بل غالبها ليس كذلك ولو كان كذلك أيضا لانبغي الابتداء بها في أوائل الكلام معهم سواء كان افتتاح سورة أو غير ذلك ثم إن هذه السورة إذ تواصوا بالإعراض عن القرآن حتى إذا استمعوا له تلا عليهم المؤلف منه حكا ابن جرير أيضا وهو ضعيف أيضا لأنه لو كان كذلك لكان ذلك في جميع السور وهذا ضعيف لأن الفصل حاصل بدونها فيما لم تذكر فيه وفيما ذكرت فيه البسملة تلاوة وكتابة وقال آخرون بل ابتدئ بها لتفتح لاستماعها أسماع المشركين التي اقتضت إيراد هذه الحروف في أوائل السور ما هي مع قطع النظر عن معانيها في أنفسها فقال بعضهم إنما ذكرت ليعرف بها أوائل السور حكا ابن جرير يجمع العلماء فيها على شيء معين وإنما اختلفوا فمن ظهر له بعض الأقوال بدليل فعليه اتباعه وإلا فالوقف حتى يتبين هذا المقام. المقام الآخر في الحكمة فقد أخطأ خطأ كبيرا فتعين أن لها معنى في نفس الأمر فإن صح لنا فيها عن المعصوم شيء قلنا به وإلا وقفنا حيث وقفنا وقلنا أمانا به كل من عند ربنا ولم في هذا المقام كلاما فقال: لا شك أن هذه الحروف لم ينزلها سبحانه وتعالى عبثا ولا سدى ومن قال من الجهلة إن في القرآن ما هو تعبد لا معنى له بالكلمة الذي دقت في كل شيء حكمته. وهذه الأجناس المعدودة مكتورة بالمذكورة منها وقد علمت أن معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله وههنا ههنا لخص بعضهم المهموسة والمجهورة ومن الرخوة والشديدة ومن المطبقة والمفتوحة ومن المستعلية والمنخفضة ومن حروف القلقة. وقد سردها مفصلة ثم قال: فسبحان والمذكور منها أشرف من المتروك وبيان ذلك من صناعة التصريف. قال الزمخشري وهذه الحروف الأربعة عشر مشتملة على أصناف أجناس الحروف يعني من أوائل السور بحذف المكرر منها أربعة عشر حرفا وهي ال م ص ر ك ه ي ع ط س ح ق ن يجمعها قولك: نص حكيم قاطع له سر. وهي نصف الحروف عددا يكتب في ا ب ت ث أي في حروف المعجم الثمانية والعشرين فيستغني بذكر بعضها عن مجموعها حكا ابن جرير. قلت مجموع الحروف المذكورة في العربية هي حروف من حروف المعجم استغنى بذكر ما ذكر منها في أوائل السور عن ذكر بواقيها التي هي تنمة الثمانية والعشرين حرفا كما يقول القائل ابني سفيان هو أن يقول في اقتلا ف وقال خفيف عن مجاهد أنه قال فواتح السور كلها ق و ص و حم و طسم والر وغير ذلك هجاء موضوع وقال بعض أهل والتاء من الكلمتين عن بقيتهما ولكن هذا ظاهر من سياق الكلام والله أعلم. قال القرطبي وفي الحديث من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة الحديث قال كذا وكذا فاكثفى بالباء من يفعل وقال الآخر: بالخير خيرات وإن شراف ولا أريد الشر إلا أن يقول وإن شرافشرا ولا أريد الشر إلا أن تشاء فاكثفى بالفاء لنا فقالت قاف لا تحسبي أنا نسينا الإيجاف تعني وقفت. وقال الآخر: ما للظلم عال كيف لا ي عينقد عنه جلده إذا ي فقال ابن جرير كأنه أراد أن يقول إذا يفعل به وما أنشدوه من الشواهد على صحة إطلاق الحرف الواحد على بقية الكلمة فإن في السياق ما يدل على ما حذف بخلاف هذا كما قال الشاعر: قلنا قفي غير أن يكون أحدهما أولى من الآخر في التقدير أو الإضمار بوضع ولا بغيره فهذا مما لا يفهم إلا بتوقيف والمسألة مختلف فيها وليس فيها إجماع حتى يحكم فيها والله أعلم. ثم إن لفظة الأمة تدل على كل من معانيها في سياق الكلام بدلالة الوضع فأما دلالة الحرف الواحد على اسم يمكن أن يدل على اسم آخر من في كل موطن على معنى واحد دل عليه سياق الكلام فأما حملة على مجموع محامله إذا أمكن فمسألة مختلف فيها بين علماء الأصول ليس هذا موضع البحث أبو العالية فإن أبا العالية زعم أن الحرف دل على هذا وعلى هذا وعلى هذا معا ولفظة الأمة وما أشبهها من الألفاظ المشتركة في الاصطلاح إنما دل في القرآن الدهر كقوله تعالى وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أي بعد حين على أصح القولين قال فكذلك هذا. هذا حاصل كلامه موجهها ولكن هذا ليس كما ذكره وتطلق ويراد بها الجماعة كقوله تعالى وجد عليه أمة من الناس يسقون وقوله تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا وتطلق ويراد بها الحين من به الدين كقوله تعالى إنا وجدنا آباءنا على أمة وتطلق ويراد بها الرجل المطيع لله كقوله تعالى إن إبراهيم كان أمة فانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين وعلى صفة من صفاته وعلى مدة وغير ذلك كما ذكره الربيع بن أنس عن أبي العالية لأن الكلمة الواحدة تطلق على معاني كثيرة كلفظة الأمة فإنها تطلق ويراد

## تفسير ابن كثير

منها دل على اسم من أسمائه وصفة من صفاته كما افتتح سورا كثيرة بتحميده وتسبيحه وتعظيمه قال ولا مانع من دلالة الحرف منها على اسم من أسماء الله هذه الأقوال ويوفق بينها وأنه لا منافاة بين كل واحد منها وبين الآخر وأن الجمع ممكن فهي أسماء للسور ومن أسماء الله تعالى يفتتح بها السور فكل حرف واللام لطف الله والميم مجد الله والألف سنة واللام ثلاثون سنة والميم أربعون سنة. هذا لفظ ابن أبي حاتم ونحوه رواه ابن جرير ثم شرع يوجه كل واحد من فقال أعجب أنهم يظنون بأسمائه ويعيشون في رزقه فكيف يكفرون به فالألف مفتاح الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد فالألف آلاء الله مفتاح اسم من أسمائه وليس منها حرف إلا وهو من آلائه وبلائه لأنه ليس منها حرف إلا وهو في مدة أقوام وآجالهم. قال عيسى ابن مريم عليه السلام وعجب: عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى الم قال هذه الأحرف الثلاثة من التسعة والعشرين حرفا دارت فيها الألسن كلها ليس منها حرف إلا وهو ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الم قال أما الم فهي حروف استفتحت من حروف هجاء أسماء الله تعالى. قال وأبو جعفر الرازي عن أبي الضحى عن ابن عباس: الم قال أنا الله أعلم وكذا قال سعيد بن جبيرة وقال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث ابن علي عن خالد الحذاء عن عكرمة أنه قال الم قسم. وروينا أيضا من حديث شريك بن عبد الله بن عطاء بن السائب قال: قال عبد الله فذكر نحوه. وحكي مثله عن علي وابن عباس وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هو قسم أقسم الله به وهو من أسماء الله تعالى وروى والم فقال قال ابن عباس هي اسم الله الأعظم وقال ابن جرير وحدثنا محمد بن المثنى حدثنا أبو النعمان حدثنا شعبة عن إسماعيل السدي عن مرة الهمداني الم اسم من أسماء الله الأعظم. هكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث شعبة ورواه ابن جرير عن بندار عن ابن مهدي عن شعبة قال سألت السدي عن حم وطس عنها في فواتح السور من أسماء الله تعالى وكذلك قال سالم بن عبد الله وإسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير وقال شعبة عن السدي بلغني أن ابن عباس قال كله لأن المتبادر إلى فهم سامع من يقول قرأت المص إنما ذلك عبارة عن سورة الأعراف لا لمجموع القرآن والله أعلم. وقيل هي اسم من أسماء الله تعالى فقال هذا يرجع إلى معنى قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنه اسم من أسماء السور فإن كل سورة يطلق عليها اسم القرآن فإنه يبعد أن يكون المص اسما للقرآن وقال مجاهد في رواية أبي حذيفة موسى بن مسعود عن شبل عن ابن أبي نجيح عنه أنه قال الم اسم من أسماء القرآن وهكذا وقال قتادة وزيد بن أسلم ولعل أتى على الإنسان وقال سفيان الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أنه قال: الم وحم والمص وص. فواتح افتتح الله بها القرآن وكذا قال غيره عن مجاهد عليه ويعتضد لهذا بما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة الم السجدة و هل عبد الرحمن بن زيد بن أسلم إنما هي أسماء السور. قال العلامة أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري في تفسيره وعليه إطباق الأكثر ونقل عن سيبويه أنه نص رضي الله عنهم أجمعين وقاله عامر الشعبي وسفيان الثوري والربيع بن خيثم واختاره أبو حاتم بن حبان. ومنهم من فسرها واختلف هؤلاء في معناها فقال أوائل السور فمنهم من قال هي مما استأثر الله بعلمه فردوا علمها إلى الله ولم يفسرها حكاه القرطبي في تفسيره عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود قد اختلف المفسرون في الحروف المقطعة التي في

- توجيه ابن جرير ونقله عن ابن عباس وقتادة ورواه ابن أبي حاتم عنهما وعن الضحاك بن مزاحم وهو الظاهر والله أعلم لقوله وكانوا بها يستهزئون. 10  
ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأي أي كانت السوأي عاقبتهم لأنهم كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون. فعلى هذا تكون السوأي منصوبة خبر كان هذا قلوبهم وقال تعالى فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وعلى هذا تكون السوأي منصوبة مفعولا لأساءوا وقيل بل المعنى في ذلك وكانوا بها يستهزئون كما قال تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون وقال تعالى فلما زاغوا أزاغ الله قال تعالى ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأي أن كذبوا بآيات الله
- يقول تعالى الله يبدأ الخلق ثم يعيده أي كما هو قادر على بدائه فهو قادر على إعادته ثم إليه ترجعون أي يوم القيامة فيجازي كل عامل بعمله. 11  
قال تعالى ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون قال ابن عباس: يبأس المجرمون وقال مجاهد يفتضح المجرمون وفي رواية يكتب المجرمون. 12  
ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء أي ما شفعت فيهم الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله تعالى وكفروا بهم وخانواهم أحوج ما كانوا إليهم. 13  
يتفرقون قال قتادة هي والله الفرقة التي لا اجتماع بعدها يعني أنه إذا رفع هذا إلى عليين وخفض هذا إلى أسفل سافلين فذلك آخر العهد بينهما. 14  
قال تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ  
ينعمون وقال يحيى بن أبي كثير يعني سماع الغناء. والحبرة أعم من هذا كله قال العجاج: فالحمد لله الذي أعطى الحبر موالى الحق إن المولى شكر 15  
قال تعالى فأما الذين آمنوا و عملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون قال مجاهد وقتادة:  
قدرته وعظيم سلطانه عند المساء وهو إقبال الليل بظلامه وعند الصباح وهو إسفار النهار بضيائه. ثم اعترض بحمده مناسبة للتسبيح وهو التحميد. 16  
هذا تسبيح منه تعالى لنفسه المقدسة وإرشاد لعباده إلى تسبيحه وتحميده في هذه الأوقات المتعاقبة الدالة على كمال  
وعشيا وحين تظهرون الآية بكما لها أدرك ما فاتة في يومه ومن قالها حين يمسي أدرك ما فاتة في ليلته إسناده جيدا ورواه أبو داود في سننه. 17  
عبد الله بن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض  
الطبراني حدثنا مطلب بن شعيب الأزدي حدثنا عبد الله بن صالح حدثني الليث بن سعد عن سعيد بن بشير عن محمد بن عبد الرحمن بن البيهقي عن أبيه عن  
الذي وفي؟ لأنه كان يقول كلما أصبح وكلما أمسى سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون. وقال

## تفسير ابن كثير

ابن لهيعة حدثنا زياد بن فايد عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ألا أخبركم لم سمى الله إبراهيم خليله وقال تعالى والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى وقال تعالى والضحي والليل إذا سجد والآيات في هذا كثيرة. وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا فالعشاء هو شدة الظلام والإظهار قوة الضياء فسبحان خالق هذا وهذا فالق الإصباح وجاعل الليل سكنا كما قال تعالى والنهار إذا جلاها والليل إذا يغشاها قال تعالى وله الحمد في السموات والأرض أي هو المحمود على ما خلق في السماوات والأرض ثم قال تعالى وعشيا وحين تظهرون

تعالى وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا إلى قوله لعلمكم تذكرون ولهذا قال ههنا وكذلك تخرجون. 18 العيون وقال تعالى وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج إلى قوله وأن الله يبعث من في القبور وقال وقوله تعالى ويحيي الأرض بعد موتها كقوله تعالى وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون إلى قوله وفجرنا فيها من النبات من الحب والحب من النبات والبيض من الدجاج والبيض من الإنسان من النطفة والنطفة من الإنسان والمؤمن من الكافر والكافر من المؤمن. خلق الأشياء المتقابلة وهذه الآيات المتتابعة الكريمة كلها من هذا النمط فإنه يذكر فيها خلقه الأشياء وأضدادها ليدل خلقه على كمال قدرته فمن ذلك إخراج قوله تعالى يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي هو ما نحن فيه من قدرته على

ذلك والخبيث والطيب والسهل والحزن وبين ذلك ورواه أبو داود والترمذي من طرق عن عوف الأعرابي به وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح. 19 رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض جاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون. وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد وغندر قالا حدثنا عوف عن قسامة بن زهير عن أبي موسى قال: قال وصرفهم في فنون المعاش والمكاسب وفاوت بينهم في العلوم والفكرة والحسن والقبح والغنى والفقر والسعادة والشقاوة ولهذا قال تعالى ومن آياته الأرض ويكتسب ويجمع الأموال وله فكرة وغور ودهاء ومكر ورأي وعلم واتساع في أمور الدنيا والآخرة كل بحسبه فسبحان من أقدرهم وسيهرهم وسخرهم ثم كلما طال عمره تكاملت قواه وحركاته حتى آل به الحال إلى أن صار بيني المدائن والحصون ويسافر في أقطار الأقاليم ويركب متن البحور ويدور أقطار صار عظاما شكله على شكل الإنسان ثم كسا الله تلك العظام لحما ثم نفخ فيه الروح فإذا هو سميع بصير ثم خرج من بطن أمه صغيرا ضعيف القوى والحركة الدالة على عظمتهم وكمال قدرته أنه خلق أبائكم آدم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون فأصلكم من تراب ثم من ماء مهين ثم تصور فكان علقة ثم مضغة ثم يقول تعالى ومن آياته

أبا بكر فإن البضع ما بين ثلاث إلى تسع؟ ثم قال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. وروى ابن جرير عن عبد الله بن عمرو أنه قال ذلك والله أعلم. 2 عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر في مناقبة الم غلبت الروم الآية ألا احتطت يا البضع في كلام العرب ما بين الثلاث إلى التسع. وكذلك جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وابن جرير وغيرهما من حديث عبد الله بن عبد الرحمن الجمحي مما يلي بلاد الحجاز وقال مجاهد كان ذلك في الجزيرة وهي أقرب بلاد الروم من فارس فالله أعلم. ثم كان غلب الروم لفارس بعد بضع سنين وهي تسع فإن فارس للروم وكانت الوقعة الكائنة بين فارس والروم حين غلبت الروم بين أذرعات وبصرى على ما ذكره ابن عباس وعكرمة وغيرهما وهي طرف بلاد الشام على بلاد قيصر وبلادهم قد خربتها الروم وأخذوا حواصلهم وسبوا ذرائعهم ونساءهم فكان هذا من غلب الروم لفارس وكان ذلك بعد تسع سنين من غلب السير ففاتوا كسرى وجنوده ودخلوا القسطنطينية فكان ذلك يوما مشهودا عند النصارى وبقي كسرى وجيوشه حائرين لا يدرون ماذا يصنعون لم يحصلوا مرت بكسرى وجنده ظن أنهم قد خاضوا من هنالك فركبوا في طلبهم فشغرت المخاضة عن الفرس وقدم قيصر فأمرهم بالنهوض والخوض فخاضوا وأسرعوا وركب في بعض الجيش وأمر بأحمال من التبن والبر والروث فحملت معه وسار إلى قريب من يوم في الماء مصعدا ثم أمر بإلقاء تلك الأحمال في النهر فلما لا سبيل لقيصر إلى القسطنطينية إلا منها فلما علم قيصر بذلك احتال بحيلة عظيمة لم يسبق إليها وهو أنه أرصد جنده وحواصله التي معه عند فم المخاضة لا يحصيه إلا الله تعالى واشتد حنقه على البلد فجاء في حصارها بكل ممكن فلم يقدر على ذلك فلما عجز ركب ليأخذ عليه الطريق من مخاضة جيحون التي وركبه على حمار وبعث معه من الأساورة من قومه في غاية الهوان والذلة وكتب إلى كسرى يقول هذا ما طلبت فخذ فلما بلغ ذلك كسرى أخذه من الغم ما أولا فأولا ولم يزل يقتل حتى انتهى إلى المدائن وهي كرسي مملكة كسرى فقتل من بها وأخذ جميع حواصله وأمواله وأسر نساءه وحريمه وحلق رأس ولده مخيم على القسطنطينية ينتظره ليرجع فركب قيصر من فوره وسار مسرعا حتى انتهى إلى بلاد فارس فعات في بلادهم قتل لرجالها ومن بها من المقاتلة وإن شئتم وليتم عليكم غيري فأجابوه بأنك ملكنا ما دمت حيا ولو غبت عشرة أعوام فلما خرج من القسطنطينية خرج جريدة في جيش متوسط هذا وكسرى في أمر قد أبرمته في جند قد عينته من جيشي فإن رجعت إليكم قبل الحول فأنا ملككم وإن لم أرجع إليكم قبلها فأنتم بالخيار إن شئتم استمررتكم على بيعتي ليسعى في تحصيل ذلك من ذخائره وحواصله ودفائنه فأطلق سراحه فلما عزم قيصر على الخروج من مدينة قسطنطينية جمع أهل ملته وقال: إني خارج واستقل عقله لما طلب منه ما طلب ولو اجتمع هو وإياه لعجزت قدرتهما عن جمع عشرة وسأل من كسرى أن يمكنه من الخروج إلى بلاد الشام وأقاليم مملكته منه أموالا عظيمة لا يقدر عليها أحد من ملوك الدنيا من ذهب وجواهر وأقمشة وجوار وخدام وأصناف كثيرة فطاوعه قيصر وأوهمه أن عنده جميع ما طلب طال الأمر دبر قيصر مكيدة ورأى في نفسه خديعة فطلب من كسرى أن يقلع من بلاده على مال يصلحه عليه ويشترط عليه ما شاء فأجاب به إلى ذلك وطلب ولم يقدر كسرى على فتح البلد ولا أمكنه ذلك لحصانتها لأن نصفها من ناحية البر ونصفها الآخر من ناحية البحر فكانت تأتيمهم الميرة والمدد من هنالك فلما في بلاده فقهره وكسره وقصره حتى لم يبق معه سوى مدينة قسطنطينية فحاصره بهامدة طويلة حتى ضاقت عليه وكانت النصارى تعظمه تعظيما زائدا



## تفسیر ابن کثیر

قيصر وله رئاسة العجم وحماقة الفرس وكانوا مجوسا يعبدون النار فتقدم عن عكرمة أنه قال بعث إليه نوابه وجيشه فقاتلوه والمشهور أن كسرى غزا بنفسه عظيمة وأبهاء كثيرة فناوأه كسرى ملك الفرس وملك البلاد كالعراق وخراسان والري وجميع بلاد العجم وهو سابور ذو الأكتاف وكانت مملكته أوسع من مملكة هلك قيصر خلفه آخر بعده حتى كان آخرهم هرقل وكان من عقلاء الرجال ومن أحزم الملوك وأداهم وأبعدهم غورا وأقاصهم رأيا فتملك عليهم في رئاسة وهم فرق وطوائف كثيرة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنهم افترقوا على اثنتين وسبعين فرقة والغرض أنهم استمروا على النصرانية كلما وبنت أمه القمامة وهؤلاء هم الملكية يعنون الذين هم على دين الملك ثم حدثت بعدهم اليعقوبية أتباع يعقوب الأسكاف ثم النسطورية أصحاب نسطورا لهم الملك الكنائس والمعابد وأسس المدينة المنسوبة إليه وهي القسطنطينية يقال إنه بنى في أيامه اثني عشر ألف كنيسة وبنى بيت لحم بثلاث محاريب وغير ذلك من البواعيث والشعابين وجعلوا له الباب وهو كبيرهم ثم البتاركة ثم المطارنة ثم الأساقفة والقساوسة ثم الشمامسة وابتدعوا الرهبانية وبنى فيه ونقصوا من فصلوا إلى المشرق واعتاضوا عن السبت بالأحد وعبدوا الصليب وأحلوا الخنزير واتخذوا أعيادا أحدثوها كعيد الصليب والقداس والغطاس وإنما هي الخيانة الحقيرة ووضعا له القوانين يعنون كسب الأحكام من تحریم وتحليل وغير ذلك مما يحتاجون إليه وغيروا دين المسيح عليه السلام وزادوا اختلافا كثيرا منتشرا متشتتا لا ينضبط إلا أنه اتفق من جماعتهم ثلاث مائة وثمانية عشر أسقفا فوضعوا لقسطنطين العقيدة وهي التي يسمونها الأمانة الكبيرة كانت قد تنصرت قبله فدعته إلى دينها وكان قبل ذلك فيلسوفا فتابعها يقال تقية واجتمعت به النصارى وتناظروا في زمانه مع عبدالله بن أريوس واختلفوا الشام مع الجزيرة يقال له قيصر فكان أول من دخل في دين النصارى من ملوك الروم قسطنطين بن قسطنس وأمهم مريم الهيلانية الغنداقية من أرض حران الذين أسسوا دمشق وبنوا معبدها وفيه محاريب إلى جهة الشمال فكان الروم على دينهم إلى بعد مبعث المسيح بنحو من ثلاث مائة سنة وكان من ملك منهم دين اليونان واليونان من سلالة يافث بن نوح أبناء عم الترك وكانوا يعبدون الكواكب السيارة السبعة ويقال لها المتحيرة ويصلون إلى القطب الشمالي وهم في أوائل السور في أول سورة البقرة وأما الروم فهم من سلالة العيص بن إسحاق بن إبراهيم وهم أبناء عم بني إسرائيل ويقال لهم بنو الأصفر وكانوا على معه. فهذا سياق غريب وبناء عجيب. ولنتكلم على كلمات هذه الآيات الكريمات فقلوه تعالى: الم غلبت الروم قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة جاوز اثنين فشا قال أجل فقتلا الترجمان جميعا بسكينيهما فأهلك الله كسرى وجاء الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ففرح والمسلمون وأراد أن أقتل أخي فأبيت ثم أمر أخي أن يقتلني فقد خلعنا جميعا فنحن نقاتله معك. قال قد أصبتما ثم أشار أحدهما إلى صاحبه أن السر بين اثنين فإذا في قبة ديباج ضربت لهما مع كل واحد منهما سكين فدعيا ترجمانا بينهما فقال شهريراز إن الذين خربوا مدائنك أنا وأخي بكيدنا وشجاعتنا وإن كسرى حسدنا في خمسمائة رومي وجعل يضع العيون بين يديه في الطريق وخاف أن يكون قد مكر به حتى أتاه عيونه بأنه ليس معه إلا خمسون رجلا ثم بسط لهما والتقيا قيصر ملك الروم إن لي إليك حاجة لا تحملها البرد ولا تحملها الصحف فالقني ولا تلقني إلا في خمسين روميا فإني لا ألقاء إلا في خمسين فارسيا. فأقبل قيصر قال نعم فدعا بالسفط فأعطاه الصحائف فقال كل هذا راجعت فيك كسرى وأنت أردت أن تقتلني بكتاب واحد فرد الملك إلى أخيه شهريراز وكتب شهريراز إلى عن سريره وجلس عليه فرخان ورفع إليه الصحيفة اللطيفة فلما قرأها قال اثنتوني بشهريراز وقدمه ليضرب عنقه فقال شهريراز لا تعجل حتى أكتب وصيتي عليكم فرخان ثم رفع إلى البريد صحيفة لطيفة صغيرة فقال إذا ولي فرخان الملك وانقاد له أخوه فأعطه هذه فلما قرأ شهريراز الكتاب قال سمعا وطاعة ونزل إليه إن في رجال فارس خلفا منه فعجل إلي برأسه. فراجعته فغضب كسرى فلم يجبه وبعث بريدا إلى أهل فارس إني قد نزعت عنكم شهريراز واستعملت كسرى إلى شهريراز إذا أتاك كتابي فابعث إلي برأس فرخان فكتب إليه شهريراز أيها الملك إنك لن تجد مثل فرخان له نكاية وصوت في العدو فلا تفعل فكتب قال عكرمة لما أن ظهرت فارس على الروم جلس فرخان يشرب وهو أخو شهريراز فقال لأصحابه لقد رأيت كأني جالس على سرير كسرى فبلغت كسرى فكتب فقال لا تعال أزيذك في الخطر وأمدك في الأجل فاجعلها مائة قلوص إلى التسع سنين قال قد فعلت فظهرت الروم على فارس قبل ذلك فغلبهم المسلمون. عليه وسلم فأخبره فقال: ما هكذا ذكرت إنما البضع ما بين الثلاث إلى التسع فزايده في الخطر وماده في الأجل فخرج أبو بكر فلقي أبيا فقال لعلك ندمت؟ أناحبك عشر قلائص مني وعشر قلائص منك فإن ظهرت الروم على فارس غرمت وإن ظهرت فارس غرمت إلى ثلاث سنين ثم جاء أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم على فارس أخبرنا بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم فقام إليه أبي بن خلف فقال كذبت يا أبا فضيل فقال له أبو بكر: أنت أكذب يا عدو الله فقال إلى قوله ينصر من يشاء فخرج أبو بكر الصديق إلى الكفار فقال: أفرحتم بظهور إخوانكم على إخواننا فلا تفرحوا ولا يقرن الله أعينكم فوالله ليظهرن أميون وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الكتاب وإنكم إن قاتلتهموا لنظهرن عليكم فأنزل الله تعالى: الم غلبت الروم في أدنى الأرض بذلك كفار قريش وكرهه المسلمون قال عكرمة: ولقي المشركون أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن بعث رجلا يدعى قطمة بجيش من الروم وبعث كسرى شهريراز فالتقيا بين أذرعات وبصرى وهي أدنى الشام إليكم فلقبت فارس الروم فغلبتهم فارس وفرحت لا قال أما إنك لو رأيته لرأيت المدائن التي خربت والزيتون الذي قطع فأتيت الشام بعد ذلك فرأيته قال عطاء الخراساني حدثني يحيى بن يعمر أن قيصر بأهل فارس فظهر عليهم فقتلهم وخرّب مدائنهم وقطع زيتونهم قال أبو بكر بن عبدالله فحدث بهذا الحديث عطاء الخراساني فقال أما رأيت بلاد الشام؟ قلت وهو أنفذ من سنان وهذا شهريراز وهو أحلم من كذا تعني أولادها الثلاثة فاستعمل أيهم شئت قال فإني استعملت الحليم فاستعمل شهريراز فسار إلى الروم أريد أن أبعث إلى الروم جيشا وأستعمل عليه رجلا من بنيك فأشير علي أيهم أستعمل؟ فقالت هذا فلان وهو أروغ من ثعلب وأحذر من صقر وهذا فرخان الإمام سنيد بن داود في تفسيره حيث قال حدثني حجاج عن أبي بكر عن عكرمة قال: كان في فارس امرأة لا تلد إلا الملوك والأبطال فدعاها كسرى فقال إني أباي الزناد وقد روي نحو هذا مرسلًا عن جماعة من التابعين مثل عكرمة والشعبي ومجاهد وقتادة والسدي والزهري وغيرهم ومن أغرب هذه السياقات ما رواه

## تفسير ابن كثير

قال لأن الله يقول في بضع سنين قال فأسلم عند ذلك ناس كثير. هكذا ساقه الترمذي ثم قال هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث عبدالرحمن بن السنين قبل أن يظهروا فأخذ المشركون رهن أبي بكر فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس قال فعاب المسلمون على أبي بكر تسميته ست سنين الرهان وقالوا لأبي بكر كم نجعل البضع ثلاث سنين إلى تسع سنين فسم بيننا وبينك وسطا ننتهي إليه قالوا فسموا بينهم ست سنين قال فمضت ست وبينكم زعم صاحبكم أن الروم ستغلب فارس في بضع سنين أفلا نراهنك على ذلك؟ قال بلى وذلك قبل تحريم الرهان فارتهن أبو بكر والمشركون وتواضعوا خرج أبو بكر يصيح في نواحي مكة الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين فقال ناس من قريش لأبي بكر فذاك بيننا بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وكانت قريش تحب ظهور فارس لأنهم وإياهم ليسوا بأهل كتاب ولا إيمان بيعت فلما أنزل الله هذه الآية فارس يوم نزلت هذه الآية قاهرين للروم وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم لأنهم وإياهم أهل كتاب وفي ذلك قوله تعالى: يومئذ يفرح المؤمنون أبي الزناد عن عروة بن الزبير عن نيار بن مكرم الأسلمي قال: لما نزلت الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين فكانت عليه وسلم فقال هذا السحت قال تصدق به حديث آخر قال أبو عيسى الترمذي حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا إسماعيل بن أبي أويس أخبرني ابن في العود فإن العود أحمد؟ قالوا نعم فلم تمض تلك السنين حتى غلبت الروم فارس وربطوا خيولهم بالمدان وبنا الرومية فجاء أبو بكر إلى النبي صلى الله وقال لأبي بكر ما دعاك إلى هذا؟ قال تصديقا لله ولرسوله قال: تعرض لهم وأعظم لهم الخطر واجعله إلى بضع سنين فاتاهم أبا بكر فقال هل لكم صدق صاحبي قالوا هل لك أن نخاطرك فجعل بينه وبينهم أجلا فحل الأجل قبل أن تغلب الروم فارس فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وساء ذلك وكرهه نزلت الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون قال المشركون لأبي بكر ألا ترى إلى ما يقول صاحبك يزعم أن الروم تغلب فارس قال الله وعده. حديث آخر قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أحمد بن عمر الوكيعي حدثنا مؤمن عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء قال لما مضت السننتان حتى جاءت الركبان بظهور الروم على فارس ففرح المؤمنون بذلك وأنزل الله تعالى: الم غلبت الروم إلى قوله تعالى وعد الله لا يخلف المسلمين فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما بضع سنين عندكم؟ قالوا دون العشر قال: اذهب فزايدهم وازدد سنتين في الأجل قال فما في بضع سنين: قال صدق قالوا هل لك أن تقامرك فبايعوه على أربع قلائص إلى سبع سنين فمضت السبع ولم يكن شيء ففرح المشركون بذلك فشق على دينهم فلما نزلت الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين قالوا يا أبا بكر إن صاحبك يقول إن الروم تظهر على فارس فارس ظاهرة على الروم وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم. وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب. وهم أقرب إلى أخرجاه. وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا المحاربي عن داود بن أبي هند عن عامر هو الشعبي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: كانت غلبوا يوم بدر حديث آخر قال سليمان بن مهران الأعمش عن مسلم عن مسروق قال: قال عبدالله خمس قد مضين: الدخان واللزام والبطشة والقمر والروم بن المثنى حدثنا محمد بن سعيد أو سعيد الثعلبي الذي يقال له أبو سعد من أهل طرسوس حدثنا أبو إسحاق الفزاري فذكره وعندهم قال سفيان قبلغني أنهم حسن غريب إنما نعرفه من حديث سفيان عن حبيب ورواه ابن أبي حاتم عن محمد بن إسحاق الصنعاني عن معاوية بن عمرو به. ورواه ابن جرير حدثنا محمد الرحيم هكذا رواه الترمذي والنسائي جميعا عن الحسين بن حريث عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق الفزاري عن سفيان الثوري به وقال الترمذي حديث بن جبير البضع ما دون العشر ثم ظهرت الروم بعد قال فذلك قوله: الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون إلى قوله وهو العزيز كذا وكذا فجعل أجل خمس سنين فلم يظهروا فذكر ذلك أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ألا جعلتها إلى دون أراه قال العشر قال سعيد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما إنهم سيغلبون فذكره أبو بكر لهم فقالوا اجعل بيننا وبينك أجلا فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا وإن ظهرتكم كان لكم لأنهم أصحاب أوثان. وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل الكتاب. فذكر ذلك لأبي بكر فذكره أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: الم غلبت الروم في أدنى الأرض قال غلبت وغلبت قال كان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم ثم عادت الدولة لهرقل كما سيأتي. وقال الإمام أحمد حدثنا معاوية بن عمر وحدثنا أبو إسحاق عن سفيان الثوري عن حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبير ملك الفرس على بلاد الشام وما والاها من بلاد الجزيرة وأقاصي بلاد الروم فاضطر هرقل ملك الروم حتى ألجأه إلى القسطنطينية وحاصره فيها مدة طويلة نزلت هذه الآيات حين غلب سابور

المرأة إما لمحبتة لها أو لرحمة بها بأن يكون لها منه ولد أو محتاجة إليه في الإنفاق أو للألفة بينهما وغير ذلك إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون. 20 من غير الجنس ثم من تمام رحمته ببني آدم أن جعل أزواجهم من جنسهم وجعل بينهم وبينهم مودة وهي المحبة ورحمة وهي الرأفة فإن الرجل يمسك آدم كلهم ذكورا وجعل إناثهم من جنس آخر من غيرهم إما من جان أو حيوان لما حصل هذا الائتلاف بينهم وبين الأزواج بل كانت تحصل نفرة لو كانت الأزواج تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها يعني بذلك حواء خلقها الله من آدم من ضلعه الأقصر الأيسر. ولو أنه تعالى جعل بني قوله تعالى ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا أي خلق لكم من جنسكم إناثا تكون لكم أزواجا لتسكنوا إليها كما قال

بذاته وهيته لا تشبه أخرى ولو توافق جماعة في صفة من جمال أو قبح لا بد من فارق بين كل واحد منهم وبين الآخر إن في ذلك لآيات للعالمين. 21 وفم وخدان وليس يشبه واحد منهم الآخر بل لا بد أن يفارقه بشيء من السمات أو الهيئة أو الكلام ظاهرا كان أو خفيا يظهر عند التأمل كل وجه منهم أسلوب اختلاف لغات بني آدم واختلاف ألوانهم وهي حلاهم فجميع أهل الأرض بل أهل الدنيا منذ خلق الله آدم إلى قيام الساعة كل له عينان وحاجبان وأنف وجبين وبربر وهؤلاء تكرر وهؤلاء حبشة وهؤلاء هنود وهؤلاء عجم وهؤلاء صقالبة وهؤلاء خرز وهؤلاء أرمن وهؤلاء أكراد إلى غير ذلك مما لا يعلمه إلا الله تعالى من

## تفسير ابن كثير

وحیوان وأشجار. وقوله تعالى واختلاف ألسنتكم يعني اللغات فهؤلاء بلغة العرب وهؤلاء تتر لهم لغة أخرى وهؤلاء كرج وهؤلاء روم وهؤلاء إفرنج وهؤلاء ارتفاعها واتساعها وسقوف أجرامها وزهارة كواكبها ونجومها الثوابت والسيارات وخلق الأرض في انخفاضا وكثافتها وما فيها من جبال وأودية وبحار وقفار يقول تعالى ومن آياته الدالة على قدرته العظيمة خلق السماوات والأرض أي خلق السماوات في

الله صلى الله عليه وسلم فقال قل اللهم غارت النجوم وهذأت العيون وأنت حي قيوم يا حي يا قيوم أنم عيني وأهدئ ليلي فقلتها فذهب عني. 22  
ثور بن يزيد عن خالد بن معدان سمعت عبد الملك بن مروان يحدث عن أبيه عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: أصابني أرق من الليل فشكوت ذلك إلى رسول ذلك لآيات لقوم يسمعون أي يعون. قال الطبراني حدثنا حجاج بن عمران السدوسي حدثنا عمرو بن الحصين العقيلي حدثنا محمد بن عبد الله بن علاثة حدثنا الليل والنهار فيه تحصل الراحة وسكون الحركة وذهاب الكلال والتعب وجعل لكم الانتشار والسعي في الأسباب والأسفار في النهار وهذا ضد النوم إن في ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله أي ومن الآيات ما جعل الله من صفة النوم في

اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج وفي ذلك عبرة ودلالة واضحة على المعاد وقيام الساعة ولهذا قال إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون. 23  
من المطر المحتاج إليه ولهذا قال تعالى وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها أي بعد ما كانت هامدة لا نبات فيها ولا شيء فلما جاءها الماء الدالة على عظمتها أنه يريكم البرق خوفا وطمعا أي تارة تخافون مما يحدث بعده من أمطار مزعجة وصواعق متلفة وتارة ترجون وميضه وما يأتي بعده يقول تعالى ومن آياته

إن لبئتم إلا قليلا وقال تعالى فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة وقال تعالى إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون. 24  
ودعائه إياهم ولهذا قال تعالى ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون أي من الأرض كما قال تعالى يوم يدعوكم فتستجيبيون بحمده وتظنون بأمره أي هي قائمة ثابتة بأمره لها وتسخيرها إياها ثم إذا كان يوم القيامة بدلت الأرض غير الأرض والسماوات وخرجت الأموات من قبورها أحياء بأمره تعالى إلا بإذنه وقوله إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا اجتهد في البمين قال: والذي تقوم السماء والأرض قال تعالى ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بكفوله تعالى ويمسك السماء أن تقع على الأرض

أي خاضعون خاشعون طوعا وكرها. وفي حديث دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد مرفوعا كل حرف في القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة. 25  
يقول تعالى وله من في السموات والأرض أي ملكه وعبيده كل له قانتون

أي خاضعون خاشعون طوعا وكرها. وفي حديث دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد مرفوعا كل حرف في القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة. 26  
يقول تعالى وله من في السموات والأرض أي ملكه وعبيده كل له قانتون

الحكيم في أقواله وأفعاله شرعا وقدرًا وعن مالك في تفسيره المروي عنه عن محمد بن المنكدر في قوله تعالى وله المثل الأعلى قال لا إله إلا الله. 27  
والنجوم كذاك قلوب أرباب التجلي يرى في صفوها الله العظيم وهو العزيز الذي لا يغالب ولا يمانع بل قد غلب كل شيء وقهر كل شيء بقدرته وسلطانه بعض المفسرين عند ذكر هذه الآية لبعض أهل المعارف. إذا سكن الغدير على صفاء وجنب أن يحركه النسيم يرى فيه السماء بلا امتراء كذاك الشمس تبدو قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس كقوله تعالى ليس كمثله شيء وقال قتادة مثله أنه لا إله إلا هو ولا رب غيره وقال مثل هذا ابن جرير. وقد أنشد كثيرة قال ويحتمل أن يعود الضمير في قوله وهو أهون عليه إلى الخلق أي وهو أهون على الخلق. وقوله وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وقال آخرون كلاهما بالنسبة إلى القدرة على السواء وقال العوفي عن ابن عباس كل عليه هين وكذا قاله الربيع بن خيثم ومال إليه ابن جرير وذكر عليه شواهد رواه الإمام أحمد منفردا به عن حسن بن موسى عن ابن لهيعة حدثنا أبو يونس سليم بن جبير عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه أو مثله. الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد انفرد بإخراجه البخاري كما انفرد بروايته أيضا من حديث عبدالرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة به وقد ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فقله لن يعيدني كما بداني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته وأما شتمه إياي فقله اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد أخبرنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني عباس يعني أيسر عليه وقال مجاهد الإعادة أهون عليه من البداءة والبداءة عليه هينة وكذا قال عكرمة وغيره وروى البخاري حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب قوله وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه قال ابن أبي طلحة عن ابن

أنفسكم ولما كان التنبيه بمثل هذا المثل على براءته تعالى ونزاهته عن ذلك بطريق الأولى والأخرى. قال تعالى كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون. 28  
لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك. فأنزل الله تعالى هل لكم مما ملكت أيما نكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم حدثنا إسماعيل بن عمرو البجلي حدثنا حماد بن شعيب عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان يلبي أهل الشرك لبيك اللهم من ذلك أن يكون عبده شريكه في ماله يساويه فيه ولو شاء لقاسمه عليه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. قال الطبراني حدثنا محمود بن الفرج الأصبهاني الله فنسبوا إليه ما لا يرتضونه لأنفسهم فهذا أغلظ الكفر وهكذا في هذا المقام جعلوا له شركاء من عبيده وخلقه وأحدهم يأبى غاية الإباء ويأفف غاية الأنفة بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب فهم يأنفون من البنات وجعلوا الملائكة بنات وهذا كقوله تعالى ويجعلون لله ما يكرهون أي من البنات حيث جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا وجعلوها بنات الله وقد كان أحدهم إذا بشر

## تفسير ابن كثير

قال أبو مجلز إن مملوك لا تخاف إن يقاسمك مالك وليس له ذاك. كذلك الله لا شريك له. والمعنى أن أحكم بأف من ذلك فكيف تجعلون لله الأنداد من خلقه فيه سواء أي يرضى أحكم أن يكون عبده شريكا له في ماله فهو وهو فيه على السواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم أي تخافون أن يقاسموكم الأموال. لك. تملكه وما ملك. فقال تعالى ضرب لكم مثلا من أنفسكم أي تشهدونه وتفهمونه من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيما نكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم العابدين معه غيره الجاعلين له شركاء وهم مع ذلك معترفون أن شركاءه من الأصنام والأنداد عبيد له ملك له كما كانوا يقولون: لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين به

يهدبهم إذا كتب الله ضلالهم وما لهم من ناصرين أي ليس لهم من قدرة الله منقذ ولا مجير ولا محيد لهم عنه لأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. 29 غيره سفها من أنفسهم وجهلا بل اتبع الذين ظلموا أي المشركون أهواءهم أي في عبادتهم الأنداد بغير علم فمن يهدي من أضل الله أي فلا أحد

قال تعالى مبينا أن المشركين إنما عبدوا

أبا بكر فإن البضع ما بين ثلاث إلى تسع؟ ثم قال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. وروى ابن جرير عن عبد الله بن عمرو أنه قال ذلك والله أعلم. 3 عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر في مناجاة الم غلبت الروم الآية ألا احتطت يا البضع في كلام العرب ما بين الثلاث إلى التسع. وكذلك جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وابن جرير وغيرهما من حديث عبد الله بن عبد الرحمن الجمحي مما يلي بلاد الحجاز وقال مجاهد كان ذلك في الجزيرة وهي أقرب بلاد الروم من فارس فإله أعلم. ثم كان غلب الروم لفارس بعد بضع سنين وهي تسع فإن فارس للروم وكانت الوقعة الكائنة بين فارس والروم حين غلبت الروم بين أذرع وبصرى على ما ذكره ابن عباس وعكرمة وغيرهما وهي طرف بلاد الشام على بلاد قيصر وبلادهم قد خربت الروم وأخذوا حواصلهم وسبوا ذراريهم ونساءهم فكان هذا من غلب الروم لفارس وكان ذلك بعد تسع سنين من غلب السير ففاتوا كسرى وجنوده ودخلوا القسطنطينية فكان ذلك يوما مشهودا عند النصارى وبقي كسرى وجيوشه حائرين لا يدرون ماذا يصنعون لم يحصلوا مرت بكسرى وجنده ظن أنهم قد خاضوا من هنالك فركبوا في طلبهم فشغرت المخاضة عن الفرس وقدم قيصر فأمرهم بالنهوض والخوض فخاضوا وأسرعوا وركب في بعض الجيش وأمر بأحمال من التبن والبر والروث فحملت معه وسار إلى قريب من يوم في الماء مصعدا ثم أمر بإلقاء تلك الأحمال في النهر فلما لا سبيل لقيصر إلى القسطنطينية إلا منها فلما علم قيصر بذلك احتال بحيلة عظيمة لم يسبق إليها وهو أنه أرصد جنده وحواصله التي معه عند فم المخاضة لا يحصيه إلا الله تعالى واشتد حنقه على البلد فجذب في حصارها بكل ممكن فلم يقدر على ذلك فلما عجز ركب ليأخذ عليه الطريق من مخاضة جيحون التي وركبه على حمار وبعث معه من الأساورة من قومه في غاية الهوان والذلة وكتب إلى كسرى يقول هذا ما طلبت فخذ فلما بلغ ذلك كسرى أخذه من الغم ما أولا فأولا ولم يزل يقتل حتى انتهى إلى المدائن وهي كرسي مملكة كسرى فقتل من بها وأخذ جميع حواصله وأمواله وأسر نساءه وحريمه وحلق رأس ولده مخيم على القسطنطينية ينتظره ليرجع فركب قيصر من فوره وسار مسرعا حتى انتهى إلى بلاد فارس فعات في بلادهم قتل لرجالها ومن بها من المقاتلة وإن شئتم وليتم عليكم غيري فأجابوه بأنك ملكنا ما دمت حيا ولو غبت عشرة أعوام فلما خرج من القسطنطينية خرج جريدة في جيش متوسط هذا وكسرى في أمر قد أبرمته في جند قد عينته من جيشي فإن رجعت إليكم قبل الحول فأننا ملككم وإن لم أرجع إليكم قبلها فأنتم بالخيار إن شئتم استمرارتم على بيعتي لبسعى في تحصيل ذلك من ذخائره وحواصله ودفائه فأطلق سراحه فلما عزم قيصر على الخروج من مدينة قسطنطينية جمع أهل ملته وقال: إني خارج واستقل عقله لما طلب منه ما طلب ولو اجتمع هو وإياه لعجزت قدرتهما عن جمع عشرة وسأل من كسرى أن يمكنه من الخروج إلى بلاد الشام وأقاليم مملكته منه أموالا عظيمة لا يقدر عليها أحد من ملوك الدنيا من ذهب وجواهر وأقمشة وجوار وخدام وأصناف كثيرة فطاوعه قيصر وأوهمه أن عنده جميع ما طلب طال الأمر دبر قيصر مكيدة ورأى في نفسه خديعة فطلب من كسرى أن يقلع من بلاده على مال يصلحه عليه ويشترط عليه ما شاء فأجابته إلى ذلك وطلب ولم يقدر كسرى على فتح البلد ولا أمكنه ذلك لحصانتها لأن نصفها من ناحية البر ونصفها الآخر من ناحية البحر فكانت تأتيهم الميرة والمدد من هنالك فلما في بلاده فقهره وكسره وقصره حتى لم يبق معه سوى مدينة قسطنطينية فحاصره بهامدة طويلة حتى ضاقت عليه وكانت النصارى تعظمه تعظيما زائدا قيصر وله رئاسة العجم وحماقة الفرس وكانوا مجوسا يعبدون النار فتقدم عن عكرمة أنه قال بعث إليه نوابه وجيشه فقاتلوه والمشهور أن كسرى غزاه بنفسه عظيمة وأبته كثيرة فناوأه كسرى ملك الفرس وملك البلاد كالعراق وخراسان والري وجميع بلاد العجم وهو سابور ذو الأكتاف وكانت مملكته أوسع من مملكة هلك قيصر خلفه آخر بعده حتى كان آخرهم هرقل وكان من عقلاء الرجال ومن أحزم الملوك وأدهام وأبعدهم غورا وأقصاهم رأيا فتملك عليهم في رئاسة وهم فرق وطوائف كثيرة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنهم افترقوا على اثنتين وسبعين فرقة والغرض أنهم استمروا على النصرانية كلما وبنت أمه القمامة وهؤلاء هم الملكية يعنون الذين هم على دين الملك ثم حدث بعدهم اليعقوبية أتباع يعقوب الأسكاف ثم النسطورية أصحاب نسطورا لهم الملك الكنائس والمعابد وأسس المدينة المنسوبة إليه وهي القسطنطينية يقال إنه بنى في أيامه اثني عشر ألف كنيسة وبنى بيت لحم بثلاث محارب وغير ذلك من البواعيث والشعابين وجعلوا له الباب وهو كبيرهم ثم البتاركة ثم المطارنة ثم الأساقفة والقساوسة ثم الشماسية وابتدعوا الرهبانية وبنى فيه ونقصوا من فصولا إلى المشرق واعتاضوا عن السبت بالأحد وعبدوا الصليب وأحلوا الخنزير واتخذوا أعيادا أحدثوها كعيد الصليب والقداس والغطاس وإنما هي الخيانة الحقيرة ووضعوا له القوانين يعنون كسب الأحكام من تحريم وتحليل وغير ذلك مما يحتاجون إليه وغيروا دين المسيح عليه السلام وزادوا اختلافا كثيرا منتشرا متشتملا لا ينضبط إلا أنه اتفق من جماعتهم ثلاث مائة وثمانية عشر أسقفا فوضعوا لقسطنطين العقيدة وهي التي يسمونها الأمانة الكبيرة كانت قد تنصرت قبله فدعته إلى دينها وكان قبل ذلك فيلسوفا فتابعها يقال تقيية واجتمعت به النصارى وتناظروا في زمانه مع عبد الله بن أريوس واختلوا

## تفسير ابن كثير

الشام مع الجزيرة يقال له قيصر فكان أول من دخل في دين النصارى من ملوك الروم قسطنطين بن قسطنطس وأمه مريم الهيلانية الغنداقية من أرض حران الذين أسسوا دمشق وبنوا معبدها وفيه محاريب إلى جهة الشمال فكان الروم على دينهم إلى بعد مبعث المسيح بنحو من ثلاث مائة سنة وكان من ملك منهم دين اليونان واليونان من سلالة يافت بن نوح أبناء عم الترك وكانوا يعبدون الكواكب السيارة السبعة ويقال لها المتحيرة ويصلون إلى القطب الشمالي وهم في أوائل السور في أول سورة البقرة وأما الروم فهم من سلالة العيص بن إسحاق بن إبراهيم وهم أبناء عم بني إسرائيل ويقال لهم بنو الأصفر وكانوا على معه. فهذا سياق غريب وبناء عجيب. ولنتكلم على كلمات هذه الآيات الكريمات فقلوه تعالى: الم غلبت الروم قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة جاوز اثنين فشا قال أجل فقتلا الترجمان جميعا بسكينيهما فأهلك الله كسرى وجاء الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ففرح والمسلمون وأراد أن يقتل أخي فأبيت ثم أمر أخي أن يقتلني فقد خلعنا جميعا فنحن نقاتله معك. قال قد أصبتما ثم أشار أحدهما إلى صاحبه أن السر بين اثنين فإذا في قبة ديباج ضربت لهما مع كل واحد منهما سكين فدعيا ترجمانا بينهما فقال شهريراز إن الذين خربوا مدائنك أنا وأخي بكيدنا وشجاعتنا وإن كسرى حسدنا في خمسمائة رومي وجعل يضع العيون بين يديه في الطريق وخاف أن يكون قد مكر به حتى أتاه عيونه بأنه ليس معه إلا خمسون رجلا ثم بسط لهما والتقى قيصر ملك الروم إن لي إليك حاجة لا تحملها البرد ولا تحملها الصحف فالفني ولا تلقني إلا في خمسين روميا فإني لا أفاك إلا في خمسين فارسيا. فأقبل قيصر قال نعم فدعا بالسفط فأعطاه الصحائف فقال كل هذا راجعت فيك كسرى وأنت أردت أن تقتلني بكتاب واحد فرد الملك إلى أخيه شهريراز وكتب شهريراز إلى عن سريره وجلس عليه فرخان ورفع إليه الصحيفة اللطيفة فلما قرأها قال انتوني بشهريراز وقدمه ليضرب عنقه فقال شهريراز لا تعجل حتى أكتب وصيتي عليكم فرخان ثم رفع إلى البريد صحيفة لطيفة صغيرة فقال إذا ولي فرخان الملك وانقاد له أخوه فأعطه هذه فلما قرأ شهريراز الكتاب قال سمعا وطاعة ونزل إليه إن في رجال فارس خلفا منه فعجل إلي برأسه. فراجعته فغضب كسرى فلم يجبه وبعث بريدا إلى أهل فارس إني قد نزعتم عنكم شهريراز واستعملت كسرى إلى شهريراز إذا أتاك كتابي فابعث إلي برأس فرخان فكتب إليه شهريراز أيها الملك إنك لن تجد مثل فرخان له نكاية وصوت في العدو فلا تفعل فكتب قال عكرمة لما أن ظهرت فارس على الروم جلس فرخان يشرب وهو أخو شهريراز فقال لأصحابه لقد رأيت كأي جالس على سرير كسرى فبلغت كسرى فكتب فقال لا تعال أزايدك في الخطر وأمادك في الأجل فاجعلها مائة قلوصل إلى تسع سنين قال قد فعلت فظهرت الروم على فارس قبل ذلك فغلبهم المسلمون. عليه وسلم فأخبره فقال: ما هكذا ذكرت إنما البضع ما بين الثلاث إلى التسع فزايدة في الخطر وماده في الأجل فخرج أبو بكر فلقني أبيا فقال لعلك ندمت؟ أناحك عشر قلائص مني وعشر قلائص منك فإن ظهرت الروم على فارس غرمت وإن ظهرت فارس غرمت إلى ثلاث سنين ثم جاء أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرنا بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم فقام إليه أبي بن خلف فقال كذبت يا أبا فضيل فقال له أبو بكر: أنت أكذب يا عدو الله فقال إلى قوله ينصر من يشاء فخرج أبو بكر الصديق إلى الكفار فقال: أفرحتم بظهور إخوانكم على إخواننا فلا تفرحوا ولا يقرن الله أعينكم فوالله ليظهرن أُميون وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الكتاب وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرن عليكم فأنزل الله تعالى: الم غلبت الروم في أدنى الأرض بذلك كفار قريبش وكرهه المسلمون قال عكرمة: ولقي المشركون أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن بعث رجلا يدعى قطمة بجيش من الروم وبعث كسرى شهريراز فالتقيا بين أذرعات وبصرى وهي أدنى الشام إليكم فلقيت فارس الروم فغلبتهم فارس ففرحت لا قال أما إنك لو رأيته لرأيت المدائن التي خربت والزيتون الذي قطع فأتيت الشام بعد ذلك فرأيت أنه قال عطاء الخراساني حدثني يحيى بن يعمر أن قيصر بأهل فارس فظهر عليهم فقتلهم وخرب مدائنهم وقطع زيتونهم قال أبو بكر بن عبد الله فحدث بهذا الحديث عطاء الخراساني فقال أما رأيته بلاد الشام؟ قلت وهو أنفذ من سنان وهذا شهريراز وهو أحلم من كذا تعني أولادها الثلاثة فاستعمل أيهم شئت قال فإني استعملت الحليم فاستعمل شهريراز فسار إلى الروم أريد أن أبعث إلى الروم جيشا وأستعمل عليه رجلا من بنيك فأشير علي أيهم أستعمل؟ فقالت هذا فلان وهو أروغ من ثعلب واحذر من صقر وهذا فرخان الإمام سنيد بن داود في تفسيره حيث قال حدثني حجاج عن أبي بكر عن عكرمة قال: كان في فارس امرأة لا تلد إلا الملوك والأبطال فدعاها كسرى فقال إني أبي الزناد وقد روي نحو هذا مرسل عن جماعة من التابعين مثل عكرمة والشعبي ومجاهد وقتادة والسدي والزهري وغيرهم ومن أغرب هذه السياقات ما رواه قال لأن الله يقول في بضع سنين قال فأسلم عند ذلك ناس كثير. هكذا ساقه الترمذي ثم قال هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن السنين قبل أن يظهره فأخذ المشركون رهن أبي بكر فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس قال فعاب المسلمون على أبي بكر تسميته ست سنين الرهان وقالوا لأبي بكر كم نجعل البضع ثلاث سنين إلى تسع سنين فسم بيننا وبينك وسطا ننتهي إليه قالوا فسموا بينهم ست سنين قال فمضت ست وبينكم زعم صاحبكم أن الروم ستغلب فارس في بضع سنين أفلا نراهنك على ذلك؟ قال بلى وذلك قبل تحريم الرهان فارتهن أبو بكر والمشركون وتواضعوا خرج أبو بكر يصيح في نواحي مكة الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين فقال ناس من قريش لأبي بكر فذاك بيننا بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وكانت قريش تحب ظهور فارس لأنهم وإياهم ليسوا بأهل كتاب ولا إيمان يبعث فلما أنزل الله هذه الآية فارس يوم نزلت هذه الآية قاهرين للروم وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم لأنهم وإياهم أهل كتاب وفي ذلك قوله تعالى: يومئذ يفرح المؤمنون أبي الزناد عن عروة بن الزبير عن نيار بن مكرم الأسلمي قال: لما نزلت الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين فكانت عليه وسلم فقال هذا السحت قال تصدق به حديث آخر قال أبو عيسى الترمذي حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا إسماعيل بن أبي أويس أخبرني ابن في العود فإن العود أحمد؟ قالوا نعم فلم تمض تلك السنين حتى غلبت الروم فارس وربطوا خيولهم بالمدان وبنوا الرومية فجاء أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال لأبي بكر ما دعاك إلى هذا؟ قال تصديقا لله ولرسوله قال: تعرض لهم وأعظم لهم الخطر واجعله إلى بضع سنين فأتاهم أبا بكر فقال هل لكم

## تفسير ابن كثير

صدق صاحبي قالوا هل لك أن نخاطرك فجعل بينه وبينهم أجلا فحل الأجل قبل أن تغلب الروم فارس فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وساء ذلك وكرهه نزلت الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون قال المشركون لأبي بكر ألا ترى إلى ما يقول صاحبك يزعم أن الروم تغلب فارس قال الله وعده. حديث آخر قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أحمد بن عمر الوكيعي حدثنا مؤمن عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء قال لما مضت السنن حتى جاءت الركبان بظهور الروم على فارس ففرح المؤمنون بذلك وأنزل الله تعالى: الم غلبت الروم إلى قوله تعالى وعد الله لا يخلف المسلمين فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما بضع سنين عندكم؟ قالوا دون العشر قال: اذهب فزايدهم وازدد سنتين في الأجل قال فما في بضع سنين: قال صدق قالوا هل لك أن تقامرك فبايعوه على أربع قلائص إلى سبع سنين فمضت السبع ولم يكن شيء ففرح المشركون بذلك فشق على دينهم فلما نزلت الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين قالوا يا أبا بكر إن صاحبك يقول إن الروم تظهر على فارس فارس ظاهرة على الروم وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم. وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب. وهم أقرب إلى أخرجاه. وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا المحاربي عن داود بن أبي هند عن عامر هو الشعبي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كانت غلبوا يوم بدر حديث آخر قال سليمان بن مهران الأعمش عن مسلم عن مسروق قال: قال عبد الله خمس قد مضين: الدخان واللزام والبطشة والقمر والروم بن المثنى حدثنا محمد بن سعيد أو سعيد التعلبي الذي يقال له أبو سعد من أهل طرسوس حدثنا أبو إسحاق الفزاري فذكره وعندهم قال سفيان فبلغني أنهم حسن غريب إنما نعرفه من حديث سفيان عن حبيب ورواه ابن أبي حاتم عن محمد بن إسحاق الصنعاني عن معاوية بن عمرو به. ورواه ابن جرير حدثنا محمد الرحيم هكذا رواه الترمذي والنسائي جميعا عن الحسين بن حريث عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق الفزاري عن سفيان الثوري به وقال الترمذي حديث بن جبير البضع ما دون العشر ثم ظهرت الروم بعد قال فذلك قوله: الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون إلى قوله وهو العزيز كذا وكذا فجعل أجل خمس سنين فلم يظهروا فذكر ذلك أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ألا جعلتها إلى دون أراه قال العشر قال سعيد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما إنهم سيغلبون فذكره أبو بكر لهم فقالوا اجعل بيننا وبينك أجلا فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا وإن ظهرتكم كان لكم لأنهم أصحاب أوثان. وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل الكتاب. فذكر ذلك لأبي بكر فذكره أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: الم غلبت الروم في أدنى الأرض قال غلبت وغلبت قال كان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم ثم عادت الدولة لهرقل كما سيأتي. وقال الإمام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو وحدثنا أبو إسحاق عن سفيان الثوري عن حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبير ملك الفرس على بلاد الشام وما والاها من بلاد الجزيرة وأقاصي بلاد الروم فاضطر هرقل ملك الروم حتى ألجأه إلى القسطنطينية وحاصره فيها مدة طويلة نزلت هذه الآيات حين غلب سابور

فهم عنه ناكبون كما قال تعالى وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وقال تعالى وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله الآية. 30 وقوله تعالى ذلك الدين القيم أي التمسك بالشرعية والفطرة السليمة هو الدين القيم المستقيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون أي فلهاذا لا يعرفه أكثر الناس ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك وذكر البخيل والكذاب والشنظير الفحاش انفرد بإخراجه مسلم فرواه من طرق عن قتادة به متعفف ذو عيال قال وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زبر له الذين هم فيكم تبع لا يبتغون أهلا ولا مالا والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه خمسة مثله وقاتل بمن أطاعك من عصاك قال: وأهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق موفق ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم ورجل عفيف إن الله أمرني أن أحرق قريشا فقلت رب إذا يئس فيدعه خبزة قال استخرجهم كما استخرجوك واغزم نغزك وأنفق فسننق عليك وابعث جيشا نبعث إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب وقال إنما بعثتك لأبتيك وأبتي بك وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نائما ويقظان ثم حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فأضلتهن عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا ثم إن الله عز وجل نظر وسلم خطب ذات يوم فقال في خطبته إن ربي عز وجل أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني في يومي هذا: كل ما نحلته عبادي حلال. وإني خلقت عبادي ومنهم عياض بن حمار المجاشعي قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا هشام عن قتادة عن مطرف عن عياض بن حمار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فلان عن فلان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن أولاد المشركين فقال الله أعلم بما كانوا عاملين قال فلقيت الرجل فأخبرني فأمسكت عن قولي يعني ابن سلمة أنبأنا عمار بن أبي عمار عن ابن عباس قال: أتى علي زمان وأنا أقول أولاد المسلمين مع المسلمين وأولاد المشركين مع المشركين حتى حدثني الصحيحين من حديث أبي بشر جعفر بن إياس البشكري عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعا بذلك وقد قال الإمام أحمد أيضا حدثنا عفان حدثنا حماد جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن أولاد المشركين فقال الله أعلم بما كانوا عاملين إذ خلقهم أخرجاه في لسانه فإذا عبر عنه لسانه إما شاكرا وإما كفورا ومنهم عبد الله بن عباس الهاشمي قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة حدثنا أبو بشر عن سعيد بن هاشم ثنا أبو جعفر عن الربيع بن أنس عن الحسن بن جابر عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه النسائي في كتاب السير عن زياد بن أيوب عن هشيم عن يونس وهو ابن عبيد عن الحسن البصري به. ومنهم جابر بن عبد الله الأنصاري قال الإمام أحمد حدثنا المشركين ثم قال لا تقتلوا ذرية لا تقتلوا ذرية وقال كل نسمة تولد على الفطرة حتى يعرب عنها لسانها فأبواها يهودانها أو ينصرانها ورواه صلى الله عليه وسلم فقال ما بال أقوام جاوزههم القتل اليوم حتى قتلوا الذرية؟ فقال رجل يا رسول الله أما هم أبناء المشركين فقال لا إنما خياركم أبناء الحسن عن الأسود بن سريع قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وغزوت معه فأصبحت ظفرا فقاتل الناس يومئذ حتى قتلوا الولدان فبلغ ذلك رسول الله

## تفسير ابن كثير

وسلم وفي معنى هذا الحديث قد وردت أحاديث عن جماعة من الصحابة. فمنهم الأسود بن سريع التميمي. قال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا يونس عن وهب عن يونس بن يزيد الأيلي عن الزهري به وأخرجه أيضا من حديث عبدالرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ورواه مسلم من حديث عبدالله بن أن أبا هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد إلا على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة لخلق الله لدين الله خلق الأولين دين الأولين الدين والفطرة الإسلام. حدثنا عبدان أخبرنا عبدالله أخبرنا يونس عن الزهري أخبرني أبو سلمة بن عبدالرحمن وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك وابن زيد في قوله لا تبديل لخلق الله أي لدين الله وقال البخاري قوله لا تبديل بابه ومعناه أنه تعالى ساوى بين خلقه كلهم في الفطرة على الجبل المستقيمة لا يولد أحد إلا على ذلك ولا تفاوت بين الناس في ذلك. ولهذا قال ابن عباس الناس عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها فيكون خبرا بمعنى الطلب كقوله تعالى ومن دخله كان آمنا وهو معنى حسن صحيح وقال آخرون هو خبر على ثم طرأ على بعضهم الأديان الفاسدة كاليهودية والنصرانية والمجوسية. وقوله تعالى لا تبديل لخلق الله قال بعضهم معناه لا تبدلوا خلق الله فتغيروا ألسنت بربكم قالوا بلى وفي الحديث إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالهم الشياطين عن دينهم وسنذكر في الأحاديث أن الله تعالى فطر خلقه على الإسلام لازم فطرتك السليمة التي فطر الله الخلق عليها فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره كما تقدم عند قوله تعالى وأشهدهم على أنفسهم يقول تعالى: فسدد وجهك واستمر على الدين الذي شرعه الله لك من الحنيفية ملة إبراهيم الذي هداك الله لها وكملها لك غاية الكمال وأنت مع ذلك

العصمة فقال عمر صدقت. حدثني يعقوب أنبأنا ابن علي أنبأنا أيوب عن أبي قلابة أن عمر رضي الله عنه قال لمعاد ما قوام هذا الأمر؟ فذكر نحوه. 31 جبل فقال عمر ما قوام هذه الأمة؟ قال معاذ ثلاث وهن المنجيات: الإخلاص وهي الفطرة فطرة الله التي فطر الناس عليها والصلاة وهي الملة والطاعة وهي له العبادة لا يريدون بها سواه. قال ابن جرير حدثني يحيى بن واضح حدثنا يونس عن ابن إسحاق عن يزيد بن أبي مریم قال مر عمر رضي الله عنه بمعاذ بن أي راجعين إليه واتقوه أي خافوه وراقبوه وأقيموا الصلاة وهي الطاعة العظيمة ولا تكونوا من المشركين أي بل كونوا من الموحدين المخلصين قوله تعالى منيبين إليه قال ابن زيد وابن جريج

الدهر وحديثه كما رواه الحاكم في مستدركه أنه سئل صلى الله عليه وسلم عن الفرقة الناجية منهم فقال من كان على ما أنا عليه اليوم وأصحابي. 32 أهل السنة والجماعة المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وبما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين من قديم قبلنا اختلفوا فيما بينهم على آراء ومثل باطلة. وكل فرقة منهم تزعم أنهم على شيء وهذه الأمة أيضا اختلفوا فيما بينهم على نحل كلها ضلاله إلا واحدة وهم أهل الأديان الباطلة مما عدا أهل الإسلام كما قال تعالى إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله الآية فأهل الأديان أي بدلوهم وغيروه وآمنوا ببعض وكفروا ببعض وقرأ بعضهم فاروقا دينهم أي تركوه وراء ظهورهم وهؤلاء كاليهود والنصارى والمجوس وعبدوا الأوثان وسائر وقوله تعالى من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون أي لا تكونوا من المشركين الذين قد فرقوا دينهم أنهم في حال الاضطراب يدعون الله وحده لا شريك له وأنه إذا أسبغ عليهم النعم إذا فريق منهم في حالة الاختيار يشركون بالله ويعبدون معه غيره. 33 يقول تعالى مخبرا عن الناس

والمتموعد ههنا هو الذي يقول للشيء كن فيكون ثم قال تعالى منكرًا على المشركين فيما اختلفوا فيه من عبادة غيره بلا دليل ولا حجة ولا برهان. 34 ولام التعليل عند آخرين ولكنها تعليل لتقييض الله لهم ذلك ثم توعدهم بقوله فسوف تعلمون قال بعضهم والله لو توعدني حارس درب لخفت منه فكيف قوله تعالى ليكفروا بما آتيناهم هي لام العاقبة عند بعضهم

أم أنزلنا عليهم سلطانا أي حجة فهو يتكلم أي ينطق بما كانوا به يشركون وهذا استفهام إنكار أي لم يكن لهم شيء من ذلك. 35 كما ثبت في الصحيح عجا للمؤمن لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرا له إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له. 36 شدة قنط وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير بالكية. قال الله تعالى إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أي صبروا في الضراء وعملوا الصالحات في الرخاء هو إلا من عصمه الله ووفقه فإن الإنسان إذا أصابته نعمة بطر. وقال ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور أي يفرح في نفسه ويفخر على غيره وإذا أصابه قال تعالى وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون هذا إنكار على الإنسان من حيث يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أي هو المتصرف الفاعل لذلك بحكمته وعدله فيوسع على قوم ويضيق على آخرين إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون. 37 قوله تعالى أو لم يروا أن الله

إليه في سفره ذلك خير للذين يريدون وجه الله أي النظر إليه يوم القيامة وهو الغاية القصوى وأولئك هم المفلحون أي في الدنيا والآخرة. 38 أي من البر والصلة والمسكين وهو الذي لا شيء له ينفق عليه أو له شيء لا يقوم بكفايته وابن السبيل وهو المسافر المحتاج إلى نفقة وما يحتاج يقول تعالى أمرا بإعطاء ذي القربى حقه

تصدق أحد بعدل ثمرة من كسب طيب إلا أخذها الرحمن بيمينه فيريها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله حتى تصير الثمرة أعظم من أحد. 39 الزكاة ولهذا قال تعالى وما آتيتكم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون أي الذين يضاعف الله لهم الثواب والجزاء كما جاء في الصحيح وما

## تفسير ابن كثير

لا بأس به وهو هدية الرجل يريد فضلها وأضعافها ثم تلا هذه الآية وما آتيتكم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله وإنما الثواب عند الله في خاصة قاله الضحاك واستدل بقوله تعالى ولا تمنن تستكثر أي لا تعط العطاء تريد أكثر منه وقال ابن عباس: الربا رباؤه فربا لا يصح يعني ربا البيع وربا ومجاهد والضحاك وقتادة وعكرمة ومحمد بن كعب والشعبي وهذا الصنيع مباح وإن كان لا ثواب فيه إلا أنه قد نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله أي من أعطى عطية يريد أن يرد عليه الناس أكثر مما أهدى لهم فهذا لا ثواب له عند الله بهذا فسر ابن عباس قال تعالى وما آتيتكم من

المسلمين فارس والروم كل كذلك في خمسة عشر سنة. وقوله تعالى: وهو العزيز أي في انتصاره وانتقامه من أعدائه الرحيم بعباده المؤمنين. 4 حدثنا الوليد حدثني أسيد الكلبي قال سمعت العلاء بن الزبير الكلبي يحدث عن أبيه قال رأيت غلبة فارس الروم ثم رأيت غلبة الروم فارس. ثم رأيت غلبة مع الشاهدين وقال تعالى ههنا ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان تعالى: لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى إلى قوله ربنا آمنا فكتبنا الروم ساء ذلك المؤمنين فلما انتصرت الروم على فارس فرح المؤمنون بذلك لأن الروم أهل كتاب في الجملة فهم أقرب إلى المؤمنين من المجوس كما قال حتى أصلح ما ينبغي له إصلاحه وتفقد بلاده ثم بعد أربع سنين من نصرته وفي بنذره والله أعلم. والأمر في هذا سهل قريب إلا أنه لما اقتضت فارس على لأن قيصر إنما وفي بنذره بعد الحديبية والله أعلم. ولأصحاب القول الأول أن يجيبوا عن هذا بأن بلاده كانت قد خربت وتشعبت فما تمكن من وفاء نذره الله صلى الله عليه وسلم وكفار قريش عام الحديبية على وضع الحرب بينهم عشر سنين فاستدلوا بهذا على أن نصر الروم على فارس كان عام الحديبية نسبه وصفته فكان فيما سأله أن قال: فهل يغدر؟ قال قلت لا ونحن منه في مدة لا ندري ما هو صانع فيها يعني بذلك الهدنة التي كانت قد وقعت بين رسول أنا فقال لأصحابه وأجلسهم خلفه إني سائل هذا عن هذا الرجل فإن كذب فكذبوه فقال أبو سفيان فوالله لولا أن يأتروا علي الكذب لكذبت فسأله هرقل عن حرب الأموي في جماعة من كبار قريش وكانوا بغزة فجاء بهم إليه فجلسوا بين يديه فقال أياكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان مع دحية بن خليفة فأعطاه دحية لعظيم بصرى فدفعه عظيم بصرى إلى قيصر فلما وصل إليه سأل من بالشام من عرب الحجاز فأحضر له أبو سفيان صخر بن من حمص إلى إيليا وهو بيت المقدس شكرا لله تعالى ففعل فلما بلغ بيت المقدس لم يخرج منه حتى وافاه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بعثه نصر الروم على فارس عام الحديبية. قاله عكرمة والزهري وقتادة وغير واحد ووجه بعضهم هذا القول بأن قيصر كان قد نذر لنن أظفره الله بكسرى ليمشين الروم على فارس فأعجب ذلك المؤمنين ففرحوا به وأنزل الله ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وقال الآخرون بل كان وغيرهم. وقد ورد في الحديث الذي رواه الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم والبزار من حديث الأعمش عن أبي سعيد قال: لما كان يوم بدر ظهرت الشام على فارس أصحاب كسرى وهم المجوس وكانت نصر الروم على فارس يوم وقعة بدر في قول طائفة كثيرة من العلماء كابن عباس والثوري والسدي قبل ذلك ومن بعده فبنى على الضم لما قطع المضاف وهو قوله قبل عن الإضافة ونويت ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله أي للروم أصحاب قيصر ملك قوله تعالى: لله الأمر من قبل ومن بعد أي من

وتنزه وتعاظم وجل وعز عن أن يكون له شريك أو نظير أو مساو أو ولد أو والد بل هو الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد. 40 وتعالى هو المستقل بالخلق والرزق والإحياء والإماتة ثم يبعث الخلائق يوم القيامة ولهذا قال بعد هذا كله سبحانه وتعالى عما يشركون أي تعالى وتعالى هل من شركائكم أي الذين تعبدونهم من دون الله من يفعل من ذلكم من شيء أي لا يقدر أحد منهم على فعل شيء من ذلك بل الله سبحانه فإن الإنسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشرة ثم يرزقه الله عز وجل وقوله تعالى ثم يميتكم أي بعد هذه الحياة ثم يحييكم أي يوم القيامة وقوله سلام بن شرحبيل عن حبة وسواء ابني خالد قال دخلنا على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلح شينا فأعناه فقال لا تياسا من الرزق ما تهزهزت رؤسكما ولا سمع ولا بصر ولا قوى ثم يرزقه جميع ذلك بعد ذلك والرياش واللباس والمال والأموال والمكاسب كما قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن قوله عز وجل الله الذي خلقكم ثم رزقكم أي هو الخالق الرازق يخرج الإنسان من بطن أمه عريانا لا علم له

والثمرات اختبارا منه لهم ومجازاة على صنيعهم لعلمهم يرجعون أي عن المعاصي كما قال تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلمهم يرجعون. 41 وروى مالك عن زيد بن أسلم أن المراد بالفساد ههنا الشرك وفيه نظر وقوله تعالى ليذيقهم بعض الذي عملوا الآية أي يبتليهم بنقص الأموال والأنفس عوف عن أبي مخزم قال وجد رجل في زمان زياد أو ابن زياد صرة فيها حب يعني من بر أمثال النوى مكتوب فيها هذا نبت في زمان كان يعمل فيه بالعدل والخير. ولهذا ثبت في الصحيحين أن الفاجر إذا مات يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب وقال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا محمد والحسين قالا حدثنا الناس ويستظلون بحفها ويكفي لبن اللقحة الجماعة من الناس وما ذاك إلا ببركة تنفيذ شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فكلما أقيم العدل كثرت البركات وهو تركها فلا يقبل إلا الإسلام أو السيف فإذا أهلك الله في زمانه الدجال وأتباعه ويأجوج ومأجوج قيل للأرض أخرجي بركتك فيأكل من الرمانة الفئام من ولهذا إذا نزل عيسى ابن مريم عليه السلام في آخر الزمان يحكم بهذه الشريعة المطهرة في ذلك الوقت من قتل الخنزير وكسر الصليب ووضع الجزية في هذا أن الحدود إذا أقيمت كف الناس أو أكثرهم أو كثير منهم عن تعاطي المحرمات وإذا تركت المعاصي كان سببا في حصول البركات من السماء والأرض. لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة ولهذا جاء في الحديث الذي رواه أبو داود لحد يقيم في الأرض أحب إلى أهلها من أن يمتطروا أربعين صباحا والسبب في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس أي بان النقص في الزروع والثمار بسبب المعاصي. وقال أبو العالية: من عصى الله في الأرض فقد أفسد في الأرض



## تفسير ابن كثير

ما قاله محمد بن إسحاق في السيرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم صالح ملك أيلة وكتب إليه ببحره يعني ببلده ومعنى قوله تعالى ظهر الفساد آدم وفساد البحر أخذ السفينة غصبا وقال عطاء الخراساني المراد بالبر ما فيه من المدائن والقرى وبالبحر جزائره. والقول الأول أظهر وعليه الأكثر ويؤيده حاتم وقال حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد بن المقري عن سفيان عن حميد بن قيس الأعرج عن مجاهد ظهر الفساد في البر والبحر قال فساد البر قتل ابن هو البر المعروف وبالبحر هو البحر المعروف. وقال زيد بن ربيع ظهر الفساد يعني انقطاع المطر عن البر يعقبه القحط وعن البحر يعني دوابه. رواه ابن أبي بالبر ههنا الفيافي وبالبحر الأمصار والقرى وفي رواية عن ابن عباس وعكرمة: البحر الأمصار والقرى ما كان منهما على جانب نهر وقال آخرون بل المراد بالبر قال ابن عباس وعكرمة والضحاك والسدي وغيرهم المراد

في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل أي من قبلكم كان أكثرهم مشركين أي فانظروا ما حل بهم من تكذيب الرسل وكفر النعم. 42  
قال تعالى قل سيروا

من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله أي يوم القيامة إذا أراد كونه فلا راد له يومئذ يصعدون أي يتفرقون ففريق في الجنة وفريق في السعير. 43  
يقول تعالى أمرا عباده بالمبادرة إلى الاستقامة في طاعته والمبادرة إلى الخيرات فأقم وجهك للدين القيم

أي يجازيهم مجازاة الفضل الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى ما يشاء الله إنه لا يحب الكافرين ومع هذا هو العادل فيهم الذي لا يجوز. 44  
قال تعالى من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله

أي يجازيهم مجازاة الفضل الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى ما يشاء الله إنه لا يحب الكافرين ومع هذا هو العادل فيهم الذي لا يجوز. 45  
قال تعالى من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله

من إقليم إلى إقليم وقطر إلى قطر ولعلكم تشكرون أي تشكرون الله على ما أنعم به عليكم من النعم الظاهرة والباطنة التي لا تعد ولا تحصى. 46  
المطر الذي ينزله فيحيي به العباد والبلاد ولتجري الفلك بأمره أي في البحر وإنما سيرها بالريح ولتبتغوا من فضله أي في التجارات والمعاش والسير يذكر تعالى نعمه على خلقه في إرساله الرياح مبشرات بين يدي رحمته بمجيء الغيث عقبها ولهذا قال تعالى وليذيقكم من رحمته أي

ما من امرئ مسلم يرد عن حوض أخيه إلا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم تلا هذه الآية وكان حقا علينا نصر المؤمنين. 47  
ابن نفيل حدثنا موسى بن أعين عن ليث عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول علينا نصر المؤمنين أي هو حق أوجب على نفسه الكريمة تكرا وتفضلا كقوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة وروى ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ومن الناس فقد كذبت الرسل المتقدمون مع ما جاءوا أمهم به من الدلائل الواضحات. ولكن انتقم الله ممن كذبهم وخالفهم وأنجى المؤمنين بهم وكان حق إلى قومهم فجاءهم وهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا هذه تسلية من الله تعالى لعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم بأنه وإن كذبه كثير من قومه قال تعالى ولقد أرسلنا من قبلك رسلا

القطر يخرج من بين ذلك السحاب فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون أي لحاجتهم إليه يفرحون بنزوله عليهم ووصوله إليهم. 48  
متراكما كما قاله الضحاك وقال غيره: أسود من كثرة الماء تراه مدلهما ثقيلًا قريبًا من الأرض وقوله تعالى فترى الودق يخرج من خلاله أي فترى المطر وهو الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا قال مجاهد وأبو عمرو بن العلاء ومطر الوراق وقتادة يعني قطعا. وقال غيره الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت إلى قوله كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون وكذلك قال ههنا الله كثيرا ينشئ سحابة ترى في رأى العين مثل الترس ثم يبسطها حتى تملأ أرجاء الأفق وتارة يأتي السحاب من نحو البحر ثقالا مملوءة كما قال تعالى وهو الرياح فتثير سحابا إما من البحر كما ذكره غير واحد أو مما يشاء الله عز وجل فيبسطه في السماء كيف يشاء أي يمدد فيكثره وينمي ويجعل من القليل يبين تعالى كيف يخلق السحاب الذي ينزل من الماء فقال تعالى الله الذي يرسل

فترقبوه فتأخر ثم جاءهم بغثة بعد الإياس منه والقنوط فبعد ما كانت أرضهم مقشعة هامة أصبحت وقد اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج. 49  
دلالة التأسيس ويكون معنى الكلام أنهم كانوا محتاجين إليه قبل نزوله ومن قبله أيضا قد فات عندهم نزوله وقتا بعد وقت فترقبوه في إبانته فتأخر ثم مضت فقال ابن جرير هو تأكيد وحكاية عن بعض أهل العربية. وقال آخرون من قبل أن ينزل عليهم المطر من قبله أي الإنزال لمبلسين ويحتمل أن يكون ذلك من من نزول المطر إليهم قبل لك فلما جاءهم جاءهم على فاقة فوقع منهم موقعا عظيما وقد اختلف النحاة في قوله من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين قوله تعالى وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين معنى الكلام أن هؤلاء القوم الذين أصابهم هذا المطر كانوا قانطين أزلين

المسلمين فارس والروم كل كذلك في خمسة عشر سنة. وقوله تعالى: وهو العزيز أي في انتصاره وانتقامه من أعدائه الرحيم بعباده المؤمنين. 5  
حدثنا الوليد حدثني أسيد الكلابي قال سمعت العلاء بن الزبير الكلابي يحدث عن أبيه قال رأيت غلبة فارس الروم ثم رأيت غلبة الروم فارس. ثم رأيت غلبة مع الشاهدين وقال تعالى ههنا ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان تعالى: لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى إلى قوله ربنا آمنا فاكتبنا الروم ساء ذلك المؤمنين فلما انتصرت الروم على فارس فرح المؤمنون بذلك لأن الروم أهل كتاب في الجملة فهم أقرب إلى المؤمنين من المجوس كما قال

## تفسير ابن كثير

حتى أصلح ما ينبغي له إصلاحه وتفقد بلاده ثم بعد أربع سنين من نصرته وفى بنذره والله أعلم. والأمر في هذا سهل قريب إلا أنه لما اقتضت فارس على لأن قيصر إنما وفى بنذره بعد الحديبية والله أعلم. ولأصحاب القول الأول أن يجيبوا عن هذا بأن بلاده كانت قد خربت وتشعبت فما تمكن من وفاء نذره الله صلى الله عليه وسلم وكفار قريش عام الحديبية على وضع الحرب بينهم عشر سنين فاستدلوا بهذا على أن نصر الروم على فارس كان عام الحديبية نسبه وصفته فكان فيما سأله أن قال: فهل يغدر؟ قال قلت لا ونحن منه في مدة لا ندري ما هو صانع فيها يعني بذلك الهدنة التي كانت قد وقعت بين رسول أنا فقال لأصحابه وأجلسهم خلفه إني سائل هذا عن هذا الرجل فإن كذب فكذبوه فقال أبو سفيان فوالله لولا أن يأتروا علي الكذب لكذبت فسأله هرقل عن حرب الأموي في جماعة من كبار قريش وكانوا بغزة فجاء بهم إليه فجلسوا بين يديه فقال أيكم أقرب بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان مع دحية بن خليفة فأعطاه دحية لعظيم بصرى فدفعه عظيم بصرى إلى قيصر فلما وصل إليه سأل من بالشام من عرب الحجاز فأحضر له أبو سفيان صخرين من حمص إلى إيليا وهو بيت المقدس شكرا لله تعالى ففعل فلما بلغ بيت المقدس لم يخرج منه حتى وافاه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بعثه نصر الروم على فارس عام الحديبية. قاله عكرمة والزهرى وقتادة وغير واحد ووجه بعضهم هذا القول بأن قيصر كان قد نذر لئن أظفره الله بكسرى ليمشين الروم على فارس فأعجب ذلك المؤمنين ففرحوا به وأنزل الله ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وقال الآخرون بل كان وغيرهم. وقد ورد في الحديث الذي رواه الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم والبزار من حديث الأعمش عن أبي سعيد قال: لما كان يوم بدر ظهرت الشام على فارس أصحاب كسرى وهم المجوس وكانت نصر الروم على فارس يوم وقعة بدر في قول طائفة كثيرة من العلماء كابن عباس والثوري والسدي قبل ذلك ومن بعده فبنى على الضم لما قطع المضاف وهو قوله قبل عن الإضافة ونويت ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله أي للروم أصحاب قيصر ملك قوله تعالى: لله الأمر من قبل ومن بعد أي من

الأجساد بعد موتها وتفرقها وتمزقها فقال تعالى إن ذلك لمحى الموتى أي إن الذي فعل ذلك لقادر على إحياء الأموات إنه على كل شيء قدير. 50 قال تعالى فانظر إلى آثار رحمة الله يعني المطر كيف يحيى الأرض بعد موتها ثم نه بذلك على إحياء في كتابه ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالريميم هذا حديث غريب ورفعه منكر والأظهر أنه من كلام عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنه. 51 عادا فقال يا رب أرسل عليهم الريح قدر منخر الثور قال له الجبار تبارك تعالى لا إذا تكفأ الأرض ومن عليها ولكن أرسل عليهم بقدر خاتم فهي التي قال الله رسول الله صلى الله عليه وسلم الريح مسخرة في الثانية يعني الأرض الثانية فلما أراد الله أن يهلك عادا أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحا تهلك بن أخي ابن وهب حدثنا عمي حدثنا عبدالله بن عباس حدثني عبدالله بن سليمان عن دراج بن عيسى بن هلال الصدفى عن عبدالله بن عمرو قال: قال رطبة تغذي النبات وأبدان الحيوان وأخرى تجففه وأخرى تهلكه وتعطبه وأخرى تسيره وتصلبه وأخرى توهنه وتضعفه وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابن عبيدالله من عباده فيجعل صرصا وعاتيا ومفسدا لما يمر عليه والرياح مختلفة في مهابها صبا ودبور وجنوب وشمال وفي منفعتها وتأثيرها أعظم اختلاف فريح لينة ولاقحا للسحاب تلقحه بحمله الماء كما يلقيح الذكر الأنثى بالحمل وإن شاء حركه بحركة العذاب فجعله عقيما وأودعه عذابا أليما وجعله نقمة على من يشاء والصرصر وهما في البر والعاصف والقاصف وهما في البحر فإذا شاء سبحانه وتعالى حركه بحركة الرحمة فجعله رخاء ورحمة وبشرى بين يدي رحمته أبيه عن عبدالله بن عمرو قال: الرياح ثمانية أربعة منها رحمة وأربعة منها عذاب فأما الرحمة فالناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات وأما العذاب فالعقيم ما تحرثون إلى قوله بل نحن محرومون قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن عيسى بن الطباع حدثنا هشيم عن يعلى بن عطاء عن على سقوه فرأوه مصفرا أي قد اصفر وشرع في الفساد لظلوا من بعده أي بعد هذا الحال يكفرون أي يجحدون ما تقدم إليهم من النعم كقوله تعالى أفرأيتم قال تعالى ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون يقول تعالى ولئن أرسلنا ريحا يابسة على الزرع الذي زرعه ونبت وشب واستوى وردهم عن ضلالتهم بل ذلك إلى الله فإنه تعالى بقدرته يسمع الأموات أصوات الأحياء إذا شاء ويهدي من يشاء ويضل من يشاء وليس ذلك لأحد سواه. 52 ليس في قدرتك أن تسمع الأموات في أجدائها ولا تبلغ كلامك الصم الذين لا يسمعون وهم مع ذلك مدبرون عنك كذلك لا تقدر على هداية العميان عن الحق يقول تعالى كما أنك

والمستأخرين نسأل الله لنا ولكم العافية فهذا السلام والخطاب والنداء لموجود يسمع ويخاطب ويعقل ويرد وإن لم يسمع المسلم الرد والله أعلم. 53 النبي صلى الله عليه وسلم أمته إذا رأوا القبور أن يقولوا سلام عليكم أهل الديار من المؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون يرحم الله المستقدمين منا ومنكم به عند عبدالله بن رواحة كان يقول ذلك بعد أن استشهد عبدالله. وقد شرع السلام على الموتى والسلام على من لم يشعر ولا يعلم بالمسلم محال. وقد علم المضلين ويا أرحم الراحمين. وهذا باب فيه آثار كثيرة عن الصحابة وكان بعض الأنصار من أقارب عبدالله بن رواحة يقول: اللهم إني أعوذ بك من عمل أذى من الأموات قال فكنت أسمعه بعد ذلك يقول في دعائه في السحر وكان جارا لي بالكوفة أسألك إياها لا رجعة فيها ولا حور يا مصلح الصالحين ويا هادي فقال أي بني ما كان أشد فرحي بك وأعمالك تعرض علينا فنشبهها بأعمال الصالحين فلما كانت هذه المرة استحبيت لذلك حياء شديدا فلا تخزني فيمن حولي خالد بن عمرو الأموي ثنا صدقة بن سلمان الجعفري قال: كانت لي شرة سمجة فمات أبي فتبت وندمت على ما فرطت ثم زلت أيما زلة فرأيت أبي في المنام الموتى فانظر ما يعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم من عملك فبكى إبراهيم حتى أخضل لحيته. قال ابن أبي الدنيا وحدثني محمد بن الحسين ثني قال دخل عباد بن عباد على إبراهيم بن صالح وهو على فلسطين فقال عظمي قال بم أعظك أصلحك الله؟ بلغني أن أعمال الأحياء تعرض على أقاربهم من الأحياء على الموتى فإذا رأوا حسنا فرحوا واستبشروا وإن رأوا سوءا قالوا اللهم راجع به. وذكر ابن أبي الدنيا عن أحمد بن أبي الحواري قال ثنا محمد أخي

## تفسير ابن كثير

تركها بعد وأبلغ من ذلك أن الميت يعلم بعمل الحي من أقاربه وإخوانه. قال عبدالله بن المبارك حدثني ثور بن يزيد عن إبراهيم عن أيوب قال: تعرض أعمال قلت ما حاجتكم؟ قالوا إنك قد عودتنا منك هدية عند انصرافك إلى أهلك قلت وما هي؟ قالوا الدعوات التي كنت تدعو بها قال قلت فإني أعود لذلك قال فما ذات ليلة وانصرفت إلى أهلي ولم آت المقابر فأدعو كما كنت أدعو قال فبينما أنا نائم إذا بخلق قد جاؤني فقلت ما أنتم وما حاجتكم؟ قالوا نحن أهل المقابر الجنائز فإذا أمسى وقف على المقابر فقال أنس الله وحشتكم ورحم غربتكم وتجاوز عن مسيئكم وقبل حسناتكم لا يزيد على هؤلاء الكلمات قال فأمسيت من الأموات حدثني محمد ثنا محمد بن عبدالعزيز بن سليمان ثنا بشر بن منصور قال لما كان زمن الطاعون كان رجل يختلف إلى الجبان فيشهد الصلاة على لا تدع ما كنت تصنع من زيارتنا والدعاء لنا فإني لأبشر بمجيئك يوم الجمعة إذا أقبلت من أهلك يقال لي يا راهبة هذا ابنك قد أقبل فأسر ويسر بذلك من حولي شديدة وإني بحمد الله لفي برزخ محمود يفرش فيه الرياح وتوسد السندس والإستبرق إلى يوم النشور فقلت لها ألك حاجة؟ قالت نعم قلت وما هي؟ قالت قال فماتت فكنت آتيها في كل جمعة فأدعو لها وأستغفر لها ولأهل القبور فرأيتها ذات يوم في منامي فقلت لها يا أُمي كيف أنت؟ قال أي بني إن للموت لكربة لها راهبة قال: لما احتضرت رفعت رأسها إلى السماء فقالت يا ذخري وذخيرتي من عليه اعتمادي في حياتي وبعد موتي لا تخذلني عند الموت ولا توحشني. من حولي بدعائك قال فكنت آتية بعد ذلك كثيرا حدثني محمد حدثنا يحيى بن بسطام ثنا عثمان بن سويد الطفاوي قال وكانت أمه من العابدات وكان يقال سحنة الموتى قال فكأنني بكيت لما رأيته قال يا بني ما أبطأ بك عني قلت وإنك لتعلم بمجيئي؟ قال ما جئت مرة إلا علمتها وقد كنت تأتيني فأسر بك ويسر عن ذلك ما شاء الله ثم إنني آتيته يوما فبينما أنا جالس عند القبر غلبتني عيناى فنمت فرأيت كأنك قبر أبي قد انفرج وكأنه قاعد في قبره متوشح أكفانه عليه الحسن ثنا يحيى بن أبي بكر ثنا الفضل بن الموفق ابن خال سفيان بن عيينة قال لما مات أبي جزعت عليه جزعا شديدا فكنت آتي قبره في كل يوم ثم قصرت فقالوا هذا مطرف يأتي الجمعة ويصلون عندكم يوم الجمعة؟ قالوا نعم ونعلم ما يقول فيه الطير قلت وما يقولون؟ قال يقولون سلام عليكم حدثني محمد بن وسمعت أبا التياح يقول بلغنا أنه كان ينزل بغوطة فأقبل ليلة حتى إذا كان عند المقابر يقوم وهو على فرسه فرأى أهل القبور كل صاحب قبر جالسا على قبره فقيل له وكيف ذلك؟ قال لمكان يوم الجمعة. حدثنا خالد بن خدّاش ثنا جعفر بن سليمان عن أبي التياح يقول كان مطرف يغدو فإذا كان يوم الجمعة أدلج: قال بعدها. قال ثنا محمد ثنا عبدالعزيز بن أبان قال ثنا سفيان الثوري قال بلغني عن الضحاك أنه قال: من زار قبراً يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميت بزيارته فنسلم عليهم وندعو لهم ثم نصرف فقلت ذات يوم لو صيرت هذا اليوم يوم الاثنين؟ قال بلغني أن الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبلها ويوما وحدثنا محمد بن الحسين ثنا بكر بن محمد ثنا حسن القصاب قال كنت أغدو مع محمد بن واسع في كل غداة سبت حتى ناتي أهل الجبان فنقف على القبور إياكم؟ قال نعلم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت إلى طلوع الشمس قال قلت فكيف ذلك دون الأيام كلها؟ قال لفضل يوم الجمعة وعظمته قال إلى بكر بن عبدالله المزني فنتلقى أخباركم قال قلت أجسامكم أم أرواحكم؟ قال هيهات قد بليت الأجسام وإنما تتلاقى الأرواح قال قلت فهل تعلمون بزيارتنا بعد موته بسنتين فقلت أليس قد مت؟ قال بلى قلت فأين أنت؟ قال أنا والله في روضة من رياض الجنة أنا ونفر من أصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها قال: إذا مر الرجل بقبر يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن رجل من آل عاصم الجحدري قال رأيت عاصما الجحدري في منامي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه مجمعون على هذا. وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرف بزيارة الحي له ويستبشر فروى ابن أبي الدنيا في كتاب القبور عن عائشة رضي الله عنها قالت: من يخاطبونه فيقول المسلم السلام عليكم دار قوم مؤمنين وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل ولولا هذا الخطاب لكانوا بمنزلة خطاب المعدوم والجماد والسلف في الدنيا فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام. وثبت عنه صلى الله عليه وسلم لأمته إذا سلموا على أهل القبور أن يسلموا عليهم سلام من الشواهد على صحتها من وجوه كثيرة من أشهر ذلك ما رواه ابن عبدالبر مصححا له عن ابن عباس مرفوعا ما من أحد يمر بقبر أخيه المسلم كان يعرفه ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق وقال قتادة أحياهم الله له حتى سمعوا مقالته تفرحوا وتوبخا ونقمة والصحيح عند العلماء رواية عبدالله بن عمر لما لها يا رسول الله ما تخاطب من قوم قد جيفوا؟ فقال والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكن لا يجيبون وتأولته عائشة على أنه قال إنهم الآن عبدالله بن عمر في روايته مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم القتلى الذين ألقوا في قليب بدر بعد ثلاثة أيام ومعاتبته إياهم وتقريعه لهم حتى قال له عمر الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون وقد استدلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بهذه الآية إنك لا تسمع الموتى على توهيم أي خاضعون مستجيبون مطيعون فأولئك هم الذين يسمعون الحق ويتبعونه وهذا حال المؤمنين والأول مثل الكافرين كما قال الله تعالى إنما يستجيب قال تعالى إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون

علي كما أخذت عليك ورواه أبو داود والترمذي وحسنه من حديث فضيل به ورواه أبو داود حديث عبدالله بن جابر عن عطية عن أبي سعيد بنحوه. 54  
الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا ثم قال قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قرأت علي فأخذ حدثنا فضيل بن مرزوق عن عطية العوفي قال: قرأت على ابن عمر الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا فقال من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء أي يفعل ما يشاء ويتصرف في عبيده بما يريد وهو العليم القدير قال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن فضيل ويزيد فيكتهل ثم يشيخ ثم يهرم وهو الضعف بعد القوة فتضعف الهمة والحركة والبطش وتشيب اللمة وتتغير الصفات الظاهرة والباطنة ولهذا قال تعالى ثم جعل ثم يخرج من بطن أمه ضعيفا نحيفا واهن القوى ثم يشب قليلا قليلا حتى يكون صغيرا ثم حدثا ثم مراهقا ثم شابا وهو القوة بعد الضعف ثم يشرع في النقص تنقل الإنسان في أطوار الخلق حال بعد حال فأصله من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم يصير عظاما ثم تكسى العظام لحما وينفخ فيه الروح

عظيم أيضا فمنه إقسامهم بالله أنهم ما لبثوا غير ساعة واحدة في الدنيا ومقصودهم بذلك عدم قيام الحجة عليهم وأنهم لم ينظروا حتى يعذر إليهم. 55  
يخبر تعالى عن جهل الكفار في الدنيا والآخرة ففي الدنيا فعلوا ما فعلوا من عبادة الأوثان وفي الآخرة يكون منهم جهل

يحلفون ما لبثوا غير ساعة لقد لبثتم في كتاب الله أي في كتاب الأعمال إلى يوم البعث أي من يوم خلقتم إلى أن بعثتم ولكنكم كنتم لا تعلمون. 56  
العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث أي فيرد عليهم المؤمنون العلماء في الآخرة كما أقاموا عليهم حجة الله في الدنيا فيقولون لهم حين  
قال الله تعالى كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين أوتوا

ظلموا معذرتهم أي اعتذارهم عما فعلوا ولاهم يستعجبون أي ولا هم يرجعون إلى الدنيا كما قال تعالى وإن يستعجبوا فما هم من المعتبين. 57  
قال الله تعالى فيومئذ أي يوم القيامة لا ينفع الذين

وباطل كما قالوا في انشقاق القمر ونحوه كما قال تعالى إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم. 58  
ويتبعوه ولئن جنتهم بآية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون أي لو رأوا أي آية كانت سواء كانت باقتراحهم أو غيره لا يؤمنون بها ويعتقدون أنها سحر  
يقول تعالى ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل أي قد بينا لهم الحق ووضحناهم لهم وضربنا لهم فيه الأمثال ليستبينوا الحق

ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين فأجابه علي رضي الله عنه وهو في الصلاة فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفك الذين لا يوقنون. 59  
بن الجعد أخبرنا شريك عن عمران بن ظبيان عن ابن يحيى قال صلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه صلاة الفجر فناداه رجل من الخوارج لئن أشركت  
فأجابه علي رضي الله عنه وهو في الصلاة فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفك الذين لا يوقنون. طريق أخرى قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي علي  
رجل من الخوارج عليا رضي الله عنه وهو في صلاة الفجر فقال ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين  
جرير وابن أبي حاتم وقد رواه ابن جرير من وجه آخر فقال: حدثنا وكيع حدثنا يحيى بن آدم عن شريك عن عثمان عن أبي زرعة عن علي بن ربيعة قال: نادى  
عملك ولتكونن من الخاسرين فأنصت له علي حتى فهم ما قال فأجابه وهو في الصلاة فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفك الذين لا يوقنون رواه ابن  
فيه قال سعيد عن قتادة نادى رجل من الخوارج عليا رضي الله عنه وهو في صلاة الغداة فقال: ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن  
وعنادهم فإن الله تعالى منجز لك ما وعدك من نصره إياك عليهم وجعله العاقبة لك لا مربة فيه ولا تعدل عنه وليس فيما سواه هدى يتبع بل الحق كله منحصر  
قال ههنا كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون فاصبر إن وعد الله حق أي اصبر على مخالفتهم

أقرب الطائفتين المقتتلين إلى الحق ويجعل لها العاقبة ولكن أكثر الناس لا يعلمون أي بحكم الله في كونه وأفعاله المحكمة الجارية على وفق العدل. 6  
هذا الذي أخبرنا به يا محمد من أنا سننصر الروم على فارس وعد من الله حق وخبر صدق لا يخلف ولا بد من كونه ووقوعه لأن الله قد جرت سنته أن ينصر  
قوله تعالى: وعد الله لا يخلف الله وعده أي

صلى الله عليه وسلم تأثر بنقصان وضوء من انتم به فدل ذلك على أن صلاة المأموم متعلقة بصلاة الإمام. آخر تفسير سورة الروم ولله الحمد والمنة. 60  
منكم يصلون معنا لا يحسنون الضوء فمن شهد منكم الصلاة معنا فليحسن الضوء وهذا إسناد حسن ومتن حسن وفيه سر عجيب. ونبا غريب وهو أنه  
النبي صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم الصبح فقرا فيها الروم فأوهم فلما انصرف قال إنه يلبس علينا القرآن فإن أقواما  
واستجاب قراءتها في الفجر قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن عبد الملك بن عمير سمعت شبيب بن روح يحدث عن رجل من أصحاب  
الخاسرين فأجابه علي رضي الله عنه وهو في الصلاة فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفك الذين لا يوقنون. ما روي في فضل هذه السورة الشريفة  
عن عمران بن ظبيان عن ابن يحيى قال صلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه صلاة الفجر فناداه رجل من الخوارج لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من  
الله عنه وهو في الصلاة فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفك الذين لا يوقنون. طريق أخرى قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي علي بن الجعد أخبرنا شريك  
عليا رضي الله عنه وهو في صلاة الفجر فقال ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين فأجابه علي رضي  
وقد رواه ابن جرير من وجه آخر فقال: حدثنا وكيع حدثنا يحيى بن آدم عن شريك عن عثمان عن أبي زرعة عن علي بن ربيعة قال: نادى رجل من الخوارج  
الخاسرين فأنصت له علي حتى فهم ما قال فأجابه وهو في الصلاة فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفك الذين لا يوقنون رواه ابن جرير وابن أبي حاتم  
قتادة نادى رجل من الخوارج عليا رضي الله عنه وهو في صلاة الغداة فقال: ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من  
تعالى منجز لك ما وعدك من نصره إياك عليهم وجعله العاقبة لك لا مربة فيه ولا تعدل عنه وليس فيما سواه هدى يتبع بل الحق كله منحصر فيه قال سعيد عن  
قال ههنا كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون فاصبر إن وعد الله حق أي اصبر على مخالفتهم وعنادهم فإن الله

ابن عباس في قوله تعالى: يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون يعني الكفار يعرفون عمران الدنيا وهم في أمر الدين جهال. 7  
كأن أحدهم مغفل لا ذهن له ولا فكرة قال الحسن البصري والله ليبغ من أحدهم بدنياه أنه يقلب الدرهم على ظفره فيخبرك بوزنه وما يحسن أن يصلي. وقال  
ليس لهم علم إلا بالدنيا وأكسابها وشؤونها وما فيها فهم حذاق أذكاء في تحصيلها ووجوه مكاسبها وهم غافلون في أمور الدين وما ينفعهم في الدار الآخرة  
قوله تعالى: يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون أي أكثر الناس

## تفسير ابن كثير

ربهم لكافرون ثم نههم على صدق رسله فيما جاءوا به عنه بما أيدهم به من المعجزات والدلائل الواضحات من إهلاك من كفر بهم ونجاة من صدقهم. 8 والأجناس المختلفة فيعلموا أنها ما خلقت سدى ولا باطلا بل بالحق وأنها مؤجلة إلى أجل مسمى وهو يوم القيامة ولهذا قال تعالى وإن كثيرا من الناس بقاء رب سواه فقال أو لم يتفكروا في أنفسهم يعني به النظر والتدبر والتأمل لخلق الله الأشياء من العالم العلوي والسفلي وما بينهما من المخلوقات المتنوعة يقول تعالى منبها على التفكير في مخلوقاته الدالة على وجوده وانفراده بخلقها وأنه لا إله غيره ولا

ولكن كانوا أنفسهم يظلمون أي وإنما أوتوا من أنفسهم حيث كذبوا بآيات الله واستهزؤوا بها وما ذاك إلا بسبب ذنوبهم السالفة وتكذيبهم المتقدم. 9 كان لهم من الله من واق ولا حالت أموالهم وأولادهم بينهم وبين بأس الله ولا دفعوا عنهم مثقال ذرة وما كان الله ليظلمهم فيما أحل بهم من العذاب والنكال وعمرؤا فيها أعمارا طوالا فعمروها أكثر منكم واستغلوها أكثر من استغلالكم ومع هذا فلما جاءتهم رسلهم بالبينات وفرحوا بما أوتوا أخذهم الله بذنوبهم وما السالفة أشد منكم قوة أيها المبعوث إليهم محمد صلى الله عليه وسلم وأكثر أموالا وأولادا وما أوتيتهم معشار ما أوتوا ومكنوا في الدنيا تمكيننا لم تبلغوا إليه وعقولهم ونظرهم وسماهم أخبار الماضين ولهذا قال فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة أي كانت الأمم الماضية والقرون قال تعالى أولم يسيروا في الأرض أي بأفهامهم

## سورة 31

كان صحيحا أن يحسب ما لكل حرف من الحروف الأربعة عشر التي ذكرناها وذلك يبلغ منه جملة كثيرة وإن حسبت مع التكرار فأطم وأعظم والله أعلم. 1 محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهاً فهذا الحديث مداره على محمد بن السائب الكلبي وهو ممن لا يحتج بما انفرد به ثم كان مقتضى هذا المسلك إن وإحدى وسبعون ومائتان فذلك سبعمائة وأربع سنين؟ فقالوا لقد تشابه علينا أمره فيزعمون أن هؤلاء الآيات نزلت فيهم هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات أبو ياسر لأخيه حي بن أخطب ولمن معه من الأبحار ما يدريككم لعله قد جمع هذا لمحمد كله إحدى وسبعون وإحدى وثلاثون ومائة وإحدى وثلاثون ومائتان أربعون والراء مائتان فهذه إحدى وسبعون ومائتان ثم قال: لقد لبس علينا أمرك يا محمد حتى ما ندري أقليلا أعطيت أم كثيرا. ثم قال قوموا عنه ثم قال فهذه إحدى وثلاثون ومائتا سنة. فهل مع هذا يا محمد غيره؟ قال نعم قال ماذا قال المر قال هذه أثقل وأطول الألف واحدة واللام ثلاثون والميم إحدى وثلاثون ومائة سنة. هل مع هذا يا محمد غيره؟ قال نعم قال ما ذاك؟ قال الر قال هذا أثقل وأطول الألف واحدة واللام ثلاثون والراء مائتان فقال يا محمد هل مع هذا غيره فقال نعم قال ما ذاك؟ قال المص قال هذا أثقل وأطول الألف واحد واللام ثلاثون والميم أربعون والصاد تسعون فهذه والميم أربعون فهذه إحدى وسبعون سنة أفتدخلون في دين نبي إنما مدة ملكه وأجل أمته إحدى وسبعون سنة؟ ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الله قبلك أنبياء ما تعلمه بين لنبي منهم ما مدة ملكه وما أجل أمته غيرك. فقام حي بن أخطب وأقبل على من كان معه فقال لهم الألف واحدة واللام ثلاثون فيما أنزل الله عليك الم ذلك الكتاب؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى فقالوا جاءك بهذا جبريل من عند الله؟ فقال نعم قالوا لقد بعث فيه فقال أنت سمعته قال نعم قال فمضى حي بن أخطب في أولئك نفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ألم يذكر أنك تتلوا الكتاب لا ريب فيه فأتى أخاه بن أخطب في رجال من اليهود فقال تعلمون والله لقد سمعت محمدا يتلو فيما أنزل الله تعالى عليه الم ذلك الكتاب لا ريب عباس عن جابر بن عبد الله بن رباب قال مر أبو ياسر بن أخطب في رجال من يهود برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو فاتحة سورة البقرة الم ذلك مع ذلك أدل على بطلان هذا المسلك من التمسك به على صحته وهو ما رواه محمد بن إسحق بن يسار صاحب المغازي حدثني الكلبي عن أبي صالح عن ابن على معرفة المدد وأنه يستخرج من ذلك أوقات الحوادث والفتن والملاحم فقد ادعى ما ليس له وطار في غير مطاره وقد ورد في ذلك حديث ضعيف وهو إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم وغير ذلك من الآيات الدالة على صحة ما ذهب إليه هؤلاء لمن أمعن النظر والله أعلم. وأما من زعم أنها دالة لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين حم تنزيل من الرحمن الرحيم حم عسق كذلك يوحي الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه المص كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه الر كتاب أنزلناه إليك فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وعظمته وهذا معلوم بالاستقراء وهو الواقع في تسع وعشرين سورة ولهذا يقول تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه الم من الكلمات ما هو على حرف وعلى حرفين وعلى ثلاثة وعلى أربعة وعلى خمسة لا أكثر من ذلك قلت ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف فلا بد أن يذكر ص ن ق و حرفين مثل حم وثلاثة مثل الم وأربعة مثل الم و المص وخمسة مثل كهيعص و حم عسق لأن أساليب كلامهم على هذا في أول القرآن وإنما كررت ليكون أبلغ في التحدي والتبكي كما كررت قصص كثيرة وكرر التحدي بالصريح في أماكن قال وجاء منها على حرف واحد كقوله ذهب الشيخ الإمام العلامة أبو العباس ابن تيمية وشيخنا الحافظ المجتهد أبو الحجاج المزي وحكاية لي عن ابن تيمية. قال الزمخشري ولم ترد كلها مجموعة المذهب الرازي في تفسيره عن المبرد وجمع من المحققين وحكى القرطبي عن الفراء وقطرب نحو هذا وقرره الزمخشري في كشفه ونصره أتم نصر وإليه التي ذكرت فيها بيانا لإعجاز القرآن وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله هذا مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها وقد حكى هذا والتي تليها أعني البقرة وآل عمران مدينتان ليستا خطابا للمشركون فانتقض ما ذكروه بهذه الوجوه. وقال آخرون بل إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور لا يكون في بعضها بل غالبها ليس كذلك ولو كان كذلك أيضا لانبغي الابتداء بها في أوائل الكلام معهم سواء كان افتتاح سورة أو غير ذلك ثم إن هذه السورة

## تفسير ابن كثير

إذ تواصلوا بالإعراض عن القرآن حتى إذا استمعوا له تلا عليهم المؤلف منه حكاها ابن جرير أيضا وهو ضعيف أيضا لأنه لو كان كذلك لكان ذلك في جميع السور وهذا ضعيف لأن الفصل حاصل بدونها فيما لم تذكر فيه وفيما ذكرت فيه البسمة تلاوة وكتابة وقال آخرون بل ابتدئ بها لتفتح لاستماعها أسماع المشركين التي اقتضت إيراد هذه الحروف في أوائل السور ما هي مع قطع النظر عن معانيها في أنفسها فقال بعضهم إنما ذكرت ليعرف بها أوائل السور حكاها ابن جرير يجمع العلماء فيها على شيء معين وإنما اختلفوا فمن ظهر له بعض الأقوال بدليل فعليه اتباعه وإلا فالوقف حتى يتبين هذا المقام. المقام الآخر في الحكمة فقد أخطأ خطأ كبيرا فتعين أن لها معنى في نفس الأمر فإن صح لنا فيها عن المعصوم شيء قلنا به وإلا وقفنا حيث وقفنا وقلنا آمنا به كل من عند ربنا ولم في هذا المقام كلاما فقال: لا شك أن هذه الحروف لم ينزلها سبحانه وتعالى عبثا ولا سدى ومن قال من الجهلة إن في القرآن ما هو تعبد لا معنى له بالكلمة الذي دقت في كل شيء حكمته. وهذه الأجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة منها وقد علمت أن معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله وههنا ههنا لخص بعضهم المهموسة والمجهورة ومن الرخوة والشديدة ومن المطبقة والمفتوحة ومن المستعلية والمنخفضة ومن حروف الفلقلة. وقد سردها مفصلة ثم قال: فسبحان والمذكور منها أشرف من المتروك وبيان ذلك من صناعة التصريف. قال الزمخشري وهذه الحروف الأربعة عشر مشتملة على أصناف أجناس الحروف يعني من أوائل السور بحذف المكرر منها أربعة عشر حرفا وهي ال م ص ر ك ه ي ع ط س ح ق ن يجمعها قولك: نص حكيم قاطع له سر. وهي نصف الحروف عددا يكتب في ا ب ت ث أي في حروف المعجم الثمانية والعشرين فيستغني بذكر بعضها عن مجموعها حكاها ابن جرير. قلت مجموع الحروف المذكورة في العربية هي حروف من حروف المعجم استغنى بذكر ما ذكر منها في أوائل السور عن ذكر بواقيها التي هي تنتم الثمانية والعشرين حرفا كما يقول القائل ابني سفيان هو أن يقول في اقتل ا ف وقال خفيف عن مجاهد أنه قال فواتح السور كلها ق وص وح م وطسم والر وغير ذلك هجاء موضوع وقال بعض أهل والتاء من الكلمتين عن بقيتهما ولكن هذا ظاهر من سياق الكلام والله أعلم. قال القرطبي وفي الحديث من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة الحديث قال كذا وكذا فاكتمى بالياء من يفعل وقال الآخر: بالخير خيرات وإن شراف ولا أريد الشر إلا أن يقول وإن شرافشرا ولا أريد الشر إلا أن تشاء فاكتمى بالفاء لنا فقالت كاف لا تحسبي أنا نسيان الإيجاف تعني وقفت. وقال الآخر: ما للظلم عال كيف لا يبنقد عنه جلده إذا ي فقال ابن جرير كأنه أراد أن يقول إذا يفعل به وما أنشدوه من الشواهد على صحة إطلاق الحرف الواحد على بقية الكلمة فإن في السياق ما يدل على ما حذف بخلاف هذا كما قال الشاعر: قلنا قفي غير أن يكون أحدهما أولى من الآخر في التقدير أو الإضمار بوضع ولا يغيره فهذا مما لا يفهم إلا بتوقيف والمسألة مختلف فيها وليس فيها إجماع حتى يحكم فيها والله أعلم. ثم إن لفظة الأمة تدل على كل من معانيها في سياق الكلام بدلالة الوضع فأما دلالة الحرف الواحد على اسم يمكن أن يدل على اسم آخر من في كل موطن على معنى واحد دل عليه سياق الكلام فأما حملة على مجموع محامله إذا أمكن فمسألة مختلف فيها بين علماء الأصول ليس هذا موضع البحث أبو العالية فإن أبا العالية زعم أن الحرف دل على هذا وعلى هذا وعلى هذا معا ولفظة الأمة وما أشبهها من الألفاظ المشتركة في الاصطلاح إنما دل في القرآن الدهر كقوله تعالى وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أي بعد حين على أصح القولين قال فكذلك هذا. هذا حاصل كلامه موجهها ولكن هذا ليس كما ذكره وتطلق ويراد بها الجماعة كقوله تعالى وجد عليه أمة من الناس يسقون وقوله تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا وتطلق ويراد بها الحين من به الدين كقوله تعالى إنا وجدنا آباءنا على أمة وتطلق ويراد بها الرجل المطيع لله كقوله تعالى إن إبراهيم كان أمة فانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين وعلى صفة من صفاته وعلى مدة وغير ذلك كما ذكره الربيع بن أنس عن أبي العالية لأن الكلمة الواحدة تطلق على معاني كثيرة كلفظة الأمة فإنها تطلق ويراد منها دل على اسم من أسمائه وصفة من صفاته كما افتتح سورا كثيرة بتحميده وتسيحه وتعظيمه قال ولا مانع من دلالة الحرف منها على اسم من أسماء الله هذه الأقوال ويوفق بينها وأنه لا منافاة بين كل واحد منها وبين الآخر وأن الجمع ممكن فهي أسماء للسور ومن أسماء الله تعالى يفتتح بها السور فكل حرف واللام لطف الله والميم مجد الله والألف سنة واللام ثلاثون سنة والميم أربعون سنة. هذا لفظ ابن أبي حاتم ونحوه رواه ابن جرير ثم شرع يوجه كل واحد من فقال أعجب أنهم يظنون بأسمائه ويعيشون في رزقه فكيف يكفرون به فالألف مفتاح الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد فالألف آلاء الله مفتاح اسم من أسمائه وليس منها حرف إلا وهو من آلائه وبلائه ليس منها حرف إلا وهو في مدة أقوام وآجالهم. قال عيسى ابن مريم عليه السلام وعجب: عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى الم قال هذه الأحرف الثلاثة من التسعة والعشرين حرفا دارت فيها الألسن كلها ليس منها حرف إلا وهو ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الم قال أما الم فهي حروف استفتحت من حروف هجاء أسماء الله تعالى. قال وأبو جعفر الرازي عن أبي الضحى عن ابن عباس: الم قال أنا الله أعلم وكذا قال سعيد بن جبيرة وقال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث ابن علي عن خالد الحذاء عن عكرمة أنه قال الم قسم. وروينا أيضا من حديث شريك بن عبدالله بن عطاء بن السائب قال: قال عبدالله فذكر نحوه. وحكي مثله عن علي وابن عباس وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هو قسم أقسم الله به وهو من أسماء الله تعالى وروى والم فقال قال ابن عباس هي اسم الله الأعظم وقال ابن جرير وحدثنا محمد بن المثنى حدثنا أبو النعمان حدثنا شعبة عن إسماعيل السدي عن مرة الهمداني الم اسم من أسماء الله الأعظم. هكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث شعبة ورواه ابن جرير عن بنادر عن ابن مهدي عن شعبة قال سألت السدي عن حم وطس عنها في فواتح السور من أسماء الله تعالى وكذلك قال سالم بن عبدالله وإسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير وقال شعبة عن السدي بلغني أن ابن عباس قال كله لأن المتبادر إلى فهم سامع من يقول قرأت المص إنما ذلك عبارة عن سورة الأعراف لا لمجموع القرآن والله أعلم. وقيل هي اسم من أسماء الله تعالى فقال هذا يرجع إلى معنى قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنه اسم من أسماء السور فإن كل سورة يطلق عليها اسم القرآن فإنه يبعد أن يكون المص اسما للقرآن وقال مجاهد في رواية أبي حذيفة موسى بن مسعود عن شبل عن ابن أبي نجيح عنه أنه قال الم اسم من أسماء القرآن وهكذا وقال قتادة وزيد بن أسلم ولعل

## تفسير ابن كثير

أتى على الإنسان وقال سفيان الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أنه قال: الم وحم والمص وص. فواتح افتتح الله بها القرآن وكذا قال غيره عن مجاهد عليه ويعتضد لهذا بما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة الم السجدة و هل عبدالرحمن بن زيد بن أسلم إنما هي أسماء السور. قال العلامة أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري في تفسيره وعليه إطباق الأكثر ونقل عن سيبويه أنه نص رضي الله عنهم أجمعين وقاله عامر الشعبي وسفيان الثوري والربيع بن خيثم واختاره أبو حاتم بن حبان. ومنهم من فسرها واختلف هؤلاء في معناها فقال أوائل السور فمنهم من قال هي مما استأثر الله بعلمه فردوا علمها إلى الله ولم يفسرها حكاه القرطبي في تفسيره عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود قد اختلف المفسرون في الحروف المقطعة التي في

أي من كل زوج من النبات كريم أي حسن المنظر وقال الشعبي والناس أيضا من نبات الأرض فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو لئيم. 10 مما لا يعلم عدد أشكالها وألوانها إلا الذي خلقها ولما قرر سبحانه أنه الخالق نبه على أنه الرازق بقوله وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم لنلا تضطرب بأهلها على وجه الماء ولهذا قال أن تميد بكم أي لئلا تميد بكم. وقوله تعالى وبث فيها من كل دابة أي وذرا فيها من أصناف الحيوانات لها عمد لا ترونها. وقد تقدم تقرير هذه المسألة في أول سورة الرعد بما أغنى عن إعادته وألقى في الأرض رواصي يعني الجبال أرسى الأرض وثقلتها وما فيها وما بينهما فقال تعالى خلق السماوات بغير عمد قال الحسن وقتادة ليس لها عمد مرئية ولا غير مرئية. وقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد يبين سبحانه بهذا قدرته العظيمة على خلق السماوات والأرض

من الأصنام والأنداد بل الظالمون يعني المشركين بالله العابدين معه غيره في ضلال أي في جهل وعمى مبين أي ظاهر واضح لا خفاء به. 11 وما بينهما صادر عن فعل الله وخلقته وتقديره وحده لا شريك له في ذلك ولهذا قال تعالى فأروني ماذا خلق الذين من دونه أي مما تعبدون وتدعون وقوله تعالى هذا خلق الله أي هذا الذي ذكره تعالى من خلق السماوات والأرض

كفر فإن الله غني حميد أي غنى عن العباد لا يتضرر بذلك ولو كفر أهل الأرض كلهم جميعا فإنه الغني عن سواه فلا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه. 12 ثم قال تعالى ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه أي إنما يعود نفع ذلك وثوابه على الشاكرين لقوله تعالى ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمدون وقوله ومن والتعبير أن اشكر لله أي أمرناه أن يشكر الله عز وجل على ما أتاه الله ومنحه ووهبه من الفضل الذي خصه به عن سواه من أبناء جنسه وأهل زمانه عروبة عن قتادة في قوله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة أي الفقه في الإسلام ولم يكن نبيا ولم يوح إليه وقوله ولقد آتينا لقمان الحكمة أي الفهم والعلم فخفت أن أضعف عن النبوة فكانت الحكمة أحب إلي. فهذا من رواية سعيد بن بشير وفيه ضعف قد تكلموا فيه بسببه فإله أعلم والذي رواه سعيد بن أبي قيل للقمان كيف اخترت الحكمة على النبوة وقد خيرك ربك؟ فقال إنه لو أرسل إلي بالنبوة عزمة لرجوت فيه الفوز منه ولكنني أرجو أن أقوم بها ولكنه خيرني والحكمة فاختر الحكمة على النبوة قال فاتاه جبريل وهو نائم فذر عليه الحكمة أو رش عليه الحكمة قال فأصبح ينطق بها قال سعيد فسمعت عن قتادة يقول حاتم فقال حدثنا أبي حدثنا العباس بن الوليد حدثنا زيد بن يحيى بن عبيد الخزاعي حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة قال: خير الله لقمان الحكيم بين النبوة وولد له أولاد فماتوا فلم يبك عليهم وكان يغشى السلطان ويأتي الحكام لينظر ويتفكر ويعتبر فبذلك أوتي ما أوتي. وقد ورد أثر غريب عن قتادة رواه ابن أبي أحد قط يبزق ولا يتنخع ولا يبول ولا يتغوط ولا يغتسل ولا يعبت ولا يضحك وكان لا يعيد منطلقه إلا أن يقول حكمة يستعيدها إياه أحد وكان قد تزوج وذكر لقمان الحكيم فقال ما أوتي عن أهل ولا مال ولا حسب ولا خصال ولكنه كان رجلا صمامة سكيئا طويل التفكير عميق النظر لم ينم نهارا قط ولم يره فذاك الذي صيرني إلى ما ترى وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن فضيل حدثنا عمرو بن واعد عن عبدة بن رياح عن ربيعة عن أبي الدرداء أنه قال يوما كذلك قال لقمان غضي بصري وكفي لسانى وعفة طعمتي وحفظي فرجي وقولي بصدقي ووفائي بعهدي وتكرمتي ضيفي وحفظي جاري وتركي ما لا يعينني قال أما سوادى فظاهر فما الذي يعجبك من أمرى؟ قال وطء الناس بساطك وغشيم بابك ورضاهم بقولك قال يا ابن أخي إن صفيت إلى ما أقول لك كنت عن عمر مولى غفرة قال وقف رجل على لقمان الحكيم فقال أنت لقمان أنت عبد بني الحسحاس؟ قال نعم قال أنت راعي الغنم؟ قال نعم قال أنت الأسود؟ عن جابر عن عكرمة قال كان لقمان نبيا وجابر هذا هو ابن يزيد الجعفي وهو ضعيف والله أعلم وقال عبد الله بن وهب أخبرني عبد الله بن عياش القتباني كان جمهور السلف على أنه لم يكن نبيا وإنما ينقل كونه نبيا عن عكرمة إن صح السند إليه فإنه رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث وكيع عن إسرائيل الآثار منها ما هو صرح فيه بنفي كونه نبيا ومنها ما هو مشعر بذلك لأن كونه عبدا قد مسه الرق ينافي كونه نبيا لأن الرسل كانت تبعث في أحساب قومها ولهذا فقال له ألسنت عبد بني فلان الذي كنت ترعى بالأمس؟ قال بلى قال فما بلغ بك ما أرى؟ قال قدر الله وأداء الأمانة وصدق الحديث وتركي ما لا يعينني فهذه حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا عبد الرحمن بن يزيد عن جابر قال: إن الله رفع لقمان الحكيم بحكمته فراه رجل كان يعرفه قبل ذلك فقال له ألسنت الذي كنت ترعى معي الغنم في مكان كذا وكذا؟ قال نعم قال فما بلغ بك ما أرى؟ قال صدق الحديث والصمت عما لا يعينني وقال ابن أبي جرير حدثنا ابن حميد حدثنا الحكم حدثنا عمرو بن قيس قال كان لقمان عبدا أسود غليظ الشفتين مصفح القدمين فاتاه رجل وهو في مجلس ناس يحدثهم الحكيم عبدا حبشيا غليظ الشفتين مصفح القدمين قاضيا على بني إسرائيل وذكر غيره أنه كان قاضيا على بني إسرائيل في زمان داود عليه السلام وقال ابن ولم يكن نبيا وقال الأعمش قال مجاهد كان لقمان عبدا أسود عظيم الشفتين مشقق القدمين وقال حكام بن سالم عن سعيد الزبيدي عن مجاهد كان لقمان فيها فأخرجتهما فقال لقمان إنه ليس من شيء أطيب منهما إذا طابا ولا أخبث منهما إذا خبثا وقال شعبة عن الحكم عن مجاهد كان لقمان عبدا صالحا قال أخرج أخبث مضغتين فيها فأخرج اللسان والقلب فقال له مولاه أمرك أن تخرج أطيب مضغتين فيها فأخرجتهما وأمرك أن تخرج أخبث مضغتين

## تفسير ابن كثير

نجارا فقال له مولاه اذبح لنا هذه الشاة فذبحها قال أخرج أطيب مضغتين فيها فأخرج اللسان والقلب ثم مكث ما شاء الله ثم قال اذبح لنا هذه الشاة فذبحها عمر بن الخطاب ولقمان الحكيم كان أسود نوبيا ذا مشافر وقال ابن جرير حدثنا وكيع حدثنا أبي عن أبي الأشهب عن خالد الربيعي قال كان لقمان عبدا حبشيا رجل أسود إلى سعيد بن المسيب يسأله فقال له سعيد بن المسيب لا تحزن من أجل أنك أسود فإنه كان من أخير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عن سعيد بن المسيب قال كان لقمان من سودان مصر ذو مشافر أعطاه الله الحكمة ومنعه النبوة وقال الأوزاعي حدثني عبد الرحمن بن حرمة قال جاء قتادة عن عبد الله بن الزبير قلت لجابر بن عبد الله ما انتهى إليكم من شأن لقمان؟ قال كان قصيرا أفتطس الأنف من النوبة وقال يحيى بن سعيد الأنصاري عبدا صالحا من غير نبوة؟ على قولين الأكثرين على الثاني وقال سفيان الثوري عن الأشعث عن عكرمة عن ابن عباس قال كان لقمان عبدا حبشيا نجارا وقال اختلف السلف في لقمان هل كان نبيا أو

إياه بعبادة الله وحده البر بالوالدين كما قال تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا أياه وبالوالدين إحسانا وكثيرا ما يقرن تعالى بين ذلك في القرآن. 13 بظلم؟ فقال رسول الله إنه ليس بذلك ألا تسمع لقول لقمان: يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ورواه مسلم من حديث الأعمش به ثم قرن بوصيته علقمة عن عبد الله قال: لما نزلت الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: أينما لم يلبس إيمانه الله وحده لا يشرك به شيئا ثم قال محذرا له إن الشرك لظلم عظيم أي هو أعظم الظلم قال البخاري حدثنا قتيبة حدثنا جرير عن الأعمش عن إبراهيم عن تعالى بأحسن الذكر وأنه آتاه الحكمة وهو يوصي ولده الذي هو أشفق الناس عليه وأحبهم إليه فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف ولهذا أوصاه أولا بأن يعبد يقول تعالى مخبرا عن وصية لقمان لولده وهو لقمان بن عنقاء بن سدون واسم ابنه ثاران في قول حكاه السهيلي وقد ذكره الله

وسلم إليكم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وأن تطيعوني لا ألوكم خيرا وإن المصير إلى الله إلى الجنة أو إلى النار إقامة فلا ظعن وخلود فلا موت. 14 عن أبي إسحاق عن سعيد بن وهب قال: قدم علينا معاذ بن جبل وكان بعثه النبي فقام وحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إني رسول رسول الله صلى الله عليه أي فإني سأجزيك على ذلك أوفر جزاء قال ابن أبي حاتم حدثنا زرعة حدثنا عبد الله بن أبي شيبه ومحمود بن غيلان قالا حدثنا عبيد الله أخبرنا إسرائيل في سهرها ليلا ونهارا ليذكر الولد بإحسانه المتقدم إليه كما قال تعالى وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ولهذا قال أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير عباس وغيره من الأئمة أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لأنه قال في الآية الأخرى وحمله وفصالة ثلاثون شهرا وإنما يذكر تعالى تربية الوالدة وتعبها ومشقتها أي تربيته وإرضاعه بعد وضعه في عامين كما قال تعالى والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ومن ههنا استنبط ابن حملته أمه وهنا على وهن قال مجاهد مشقة وهن الولد وقال قتادة جهدا على جهد وقال عطاء الخراساني ضعفا على ضعف وقوله وفصالة في عامين وقال ههنا ووصينا الإنسان بوالديه

رأيت ذلك قلت يا أمه: تعلمين والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني هذا لشيء فإن شئت فكلي وإن شئت لا تأكلي فأكلت. 15 يوما وليلة لم تأكل فأصبحت قد جهدت فمكثت يوما آخر وليلة لم تأكل فأصبحت قد جهدت فمكثت يوما وليلة أخرى لا تأكل فأصبحت قد اشتد جهدها فلما الذي أراك قد أحدثت لتدعن دينك هذا أو لا أكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بي فيقال يا قاتل أمه فقلت لا تفعلني يا أمه فإني لا أدع ديني هذا لشيء فمكثت مالك قال أنزلت في هذه الآية وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما الآية قال كنت رجلا برا بأبي فلما أسلمت قالت يا سعد ما هذا في كتاب العشرة حدثنا أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا أحمد بن أيوب بن راشد حدثنا مسلمة بن علقمة عن داود بن أبي هند أن سعد بن من أن تصاحبهما في الدنيا معروفا أي محسنا إليهما واتبع سبيل من أناب إلي يعني المؤمنين ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون قال الطبراني جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما أي إن حرصا عليك كل الحرص على أن تتابعهما على دينهما فلا تقبل منهما ذلك ولا يمنعك ذلك وقوله وإن

سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لخرج عمله للناس كائنا ما كان. 16 لو كانت داخل صخرة فإن الله سيبيدها ويظهرها بلطيف علمه. كما قال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي والمنهال بن عمرو وغيرهم وهذا والله أعلم كأنه متلقى من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب والظاهر والله أعلم أن المراد أن هذه الحبة في حقارتها السبع وذكره السدي بإسناده ذلك المطروق عن ابن مسعود وابن عباس وجماعة من الصحابة إن صح ذلك ويروى هذا عن عطية العوفي وأبي مالك والثوري الأشياء وإن دقت ولطفت وتضاءلت خبير بدبيب النمل في الليل البهيم وقد زعم بعضهم أن المراد بقوله فتكن في صخرة أنها صخرة تحت الأرضين بها لأنه لا تخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض. ولهذا قال تعالى إن الله لطيف خبير أي لطيف العلم فلا تخفى عليه يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ولو كانت تلك الذرة محصنة محجة في داخل صخرة صماء أو غائبة ذاهبة في أرجاء السماوات والأرض فإن الله يأتي عليها إن خيرا فخير وإن شرا فشر كما قال تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا الآية وقال تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا ضمير الشأن والقصة وجوز على هذا رفع مثقال الأول وأولى وقوله عز وجل يأت بها الله أي أحضرها الله يوم القيامة حين يضع الموازين القسط وجازى بها فقال يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل أي إن المظلمة أو الخبيثة لو كانت مثقال حبة خردل وجوز بعضهم أن يكون الضمير في قوله إنها هذه وصايا نافعة قد حكاه الله سبحانه عن لقمان الحكيم ليمثلها الناس ويقتدوا



## تفسير ابن كثير

بالمعروف والناهي عن المنكر لا بد أن يناله من الناس أذى فأمره بالصبر وقوله إن ذلك من عزم الأمور إن الصبر على أذى الناس لمن عزم الأمور. 17  
يا بني أقم الصلاة أي بحدودها وفروضها وأوقاتها وأمر بالمعروف وانه عن المنكر أي بحسب طاقتك وجهدك واصبر على ما أصابك علم أن الأمر

ثم قال

فقال ليس ذلك الكبير إنما الكبير أن تسفه الحق وتغصط الناس ورواه من طريق أخرى بمثله وفيه قصة طويلة ومقتل ثابت ووصيته بعد موته. 18  
فقال إن الله لا يحب كل مختال فخور فقال رجل من القوم والله يا رسول الله إنى لأغسل ثيابي فيعجبني بياضها ويعجبني شراك نعلي وعلاقة سوطي  
أبي عن ابن أبي ليلى عن عيسى عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن ثابت بن قيس بن شماس قال: ذكر الكبير عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فشدد فيه  
طولا وقد تقدم الكلام على ذلك في موضعه وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي حدثنا محمد بن عمران بن أبي ليلى حدثنا  
الله لا يحب كل مختال فخور أي مختال معجب في نفسه فخور أي على غيره وقال تعالى ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال  
قديما لا نقر ظلامه إذا ما نثوا صعر الرؤوس نقيمها وقوله ولا تمش في الأرض مرحا. أي خيلاء متكبرا جبارا عنيدا لا تفعل ذلك يبغضك الله ولهذا قال إن  
أعناقها عن رؤوسها فشبه به الرجل المتكبر ومنه قول عمرو بن حي التغلبي: وكنا إذا الجبار صعر خده أقمنا له من ميله فتقوموا وقال أبو طالب في شعره: وكنا  
وقال إبراهيم النخعي يعني بذلك التشديق في الكلام. والصواب القول الأول قال ابن جرير: وأصل الصعر داء يأخذ الإبل في أعناقها أو رؤوسها حتى تفلت  
ولا تصعر خدك للناس لا تتكلم وأنت معرض وكذا روي عن مجاهد وعكرمة ويزيد بن الأصم وأبي الجوزاء وسعيد بن جبير والضحاك وابن زيد وغيرهم  
قوله ولا تصعر خدك للناس يقول لا تتكبر فتحقر عباد الله وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك وكذا روى العوفي وعكرمة عنه وقال مالك عن زيد بن أسلم  
في الحديث ولأن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط وإياك وإسبال الإزار فإنها من المخيلة والمخيلة لا يحبها الله قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في  
تصعر خدك للناس يقول لا تعرض بوجهك عن الناس إذا كلمتهم أو كلموك احتقارا منك لهم واستكبارا عليهم ولكن ألن جانبك وابسط وجهك إليهم كما جاء  
وقوله ولا

رجل يتبختر في برديه أعجبته نفسه خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة وروى الزهري عن سالم عن أبيه بينما رجل إلى آخره. 19  
مثله وحدثنا محمد بن بكر حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعا لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره وبينما  
ليلى عن ابن بريدة عن أبيه مرفوعا من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه ورواه عن إسحاق بن إسماعيل عن سفيان عن زيد بن أسلم عن ابن عمر مرفوعا  
مني على هذه المشية حتى تعلمتها قال أبو بكر بن أبي الدنيا كان بنو أمية يضربون أولادهم حتى يتعلمون هذه المشية. فصل في الاختيال عن ابن أبي  
في مشيته وذلك قبل أن يستخلف فطعن طاوس في جنبه بأصبعه وقال ليس هذا شأن من في بطنه خرف فقال له كالمعتذر إليه: يا عم لقد ضرب كل عضو  
شيء من الكبر إلا نقص من عقله بقدر ذلك. وقال يونس بن عبيد ليس مع السجود كبر ولا مع التوحيد نفاق ونظر طاوس إلى عمر بن عبد العزيز وهو يختال  
وقال الحسن عن يحيى عن أبي قال إن مطعم بن آدم ضرب مثلا للدنيا وإن قزحه وملحه. وقال محمد بن الحسين بن علي رضي الله عنه ما دخل قلب رجل  
جبار السماوات. قال حدثنا خالد بن خدّاش حدثنا حماد بن زيد عن علي بن الحسن عن الضحاك بن سفيان فذكر حديث ضرب مثل الدنيا بما يخرج من ابن آدم.  
أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض وقال الحسن عجا لابن آدم يغسل الخرف بيده في اليوم مرتين ثم يتكبر يعارض  
أبو بكر يخطبنا فيذكر بدء خلق الإنسان حتى إن أحدا ليقدر نفسه يقول: خرج من مجرى البول مرتين. وقال الشعبي من قتل اثنين فهو جبار ثم تلا أتريد  
لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لخسف به أبعد مما رفع قال حدثنا أبو خيثمة حدثنا يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال كان  
يوم البساط في مائتي ألف من الإنس ومائتي ألف من الجن فرفع حتى سمع تسبيح الملائكة في السماء ثم خفض حتى مست قدمه ماء البحر فسمعوا صوتا  
يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب عند الله من الجبارين فيصيبه ما أصابهم من العذاب وقال مالك بن دينار ركب سليمان بن داود عليهما السلام ذات  
قلبه مثقال ذرة من كبر أكبه الله على وجهه في النار حدثنا إسحاق بن إسماعيل حدثنا أبو معاوية عن عمر بن راشد عن إياس بن سلمة عن أبيه مرفوعا لا  
قلبه مثقال ذرة من كبر ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان وقال إبراهيم بن أبي عبلة عن أبي سلمة عن عبد الله بن عمرو مرفوعا من كان في  
وجوه وحسن خلق وقال محمد بن سيرين حسن الخلق عون على الدين. فصل في ذم الكبر قال علقمة عن ابن مسعود رفعه لا يدخل الجنة من كان في  
العمل كما يفسد الخل العسل وقال عبد الله بن إدريس عن أبيه عن جده عن أبي هريرة مرفوع إنكم لا تسعون الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط  
الله صلى الله عليه وسلم ما من ذنب أعظم عند الله من سوء الخلق إن الخلق الحسن ليذيب الذنوب كما تذيب الشمس الجليد وإن الخلق السيء ليفسد  
لا يخرج من ذنب إلا وقع في آخر. قال حدثنا علي بن الجعد حدثنا أبو المغيرة الأحمسي حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق عن رجل من قريش قال: قال رسول  
في مؤمن البخل وسوء الخلق وقال ميمون بن مهران عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من ذنب أعظم عند الله من سوء الخلق وذلك أن صاحبه  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حسن الله خلق رجل وخلقته فتطعمه النار وعن عبد الله بن غالب الحداني عن أبي سعيد مرفوعا خصلتان لا يجتمعان  
أخبركم بأكملكم إيمانا أحاسنكم أخلاقا الموطؤون أكنافا الذين يؤلفون ويألفون وقال الليث عن يزيد بن عبد الله بن أسامة عن بكر بن أبي الفرات قال: قال  
أبغضكم إلي وأبعدكم مني منزلا في الجنة مساويكم أخلاقا الثرثارون المتشدقون المتفيهقون وعن أبي أويس عن محمد بن المنكدر عن جابر مرفوع ألا  
كما يعطي المجاهد في سبيل الله يغدو عليه الأجر ويروح وعن مكحول عن أبي ثعلبة مرفوعا إن أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا أحاسنكم أخلاقا وإن  
محمد بن عيسى عن محمد بن أبي سارة عن الحسن بن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله ليعطي العبد من الثواب على حسن الخلق

## تفسير ابن كثير

خلق حسن وكذا رواه عطاء عن أم الدرداء به وعن مسروق عن عبد الله بن عمرو مرفوعا إن من خياركم أحسنكم أخلاقا حدثنا عبد الله بن أبي الدنيا حدثنا  
يا رسول الله ما خير ما أعطي الإنسان؟ قال حسن الخلق. وقال يعلى بن سماك عن أم الدرداء عن أبي الدرداء يبلغ به قال: ما من شيء أثقل في الميزان من  
ما يدخل الناس النار فقال الأجوفان: الفم والفرج وقال أسامة بن شريك كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءته الأعراب من كل مكان فقالوا  
عن أبي هريرة رضي الله عنه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن أكثر  
بحسن خلقه درجة قائم الليل صائم النهار وقال ابن أبي الدنيا حدثني أبو مسلم عبد الرحمن بن يونس حدثنا عبد الله بن إدريس أخبرني أبي وعمي عن جدي  
خلقه درك جهنم وهو عابد وعن سيار بن هارون عن حميد عن أنس مرفوعا ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة وعن عائشة مرفوعا إن العبد ليبلغ  
خلقا وعن نوح بن عباد عن ثابت عن أنس مرفوعا إن العبد ليبلغ بحسن خلقه درجات الآخرة وشرف المنازل وإنه لضعيف العبادة وإنه ليبلغ بسوء  
التياح رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا وعن عطاء عن ابن عمر قيل يا رسول أي المؤمنين أفضل؟ قال أحسنهم  
قال لبني إسرائيل ما لكم تأتونني عليكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الذئاب البسوا ثياب الملوك وألبنوا قلوبكم بالخشية: فصل في حسن الخلق قال أبو  
الكبر في قلوبهم والتواضع في ثيابهم فصاحب الكساء بكسائه أعجب من صاحب المطرق بمطرقة ما لهم تفاقدوا. وفي بعض الأخبار أن موسى عليه السلام  
عن أبي حسنة صاحب الزيادي قال: كنا عند أبي قلابة إذ دخل عليه رجل عليه أكسية فقال إياكم وهذا الحمار النهاق وقال الحسن رحمه الله إن قوما جعلوا  
من الثياب الجياد التي يشتهر بها ويرفع الناس إليه فيها أبصارهم والثياب الرديئة التي يحتقر فيها ويستذل دينه. وحدثنا خالد بن خداح حدثنا حماد  
أياما ثم خلعهما وقال لم أر الناس يلبسونهما وقال إبراهيم النخعي لا تلبس من الثياب ما يشهر في ألفتها ولا ما يزدريك السفهاء. وقال الثوري كانوا يكرهون  
له في ذلك فقال إن الشهرة فيما مضى كانت في طول القميص واليوم في تشميره. واصطنع مرة ثعبين على حذو نعلي النبي صلى الله عليه وسلم فلبسهما  
وقال حماد بن زيد كنا إذا مررنا على المجلس ومعنا أيوب فسلم ردوا ردا شديدا فكان ذلك نعمة وقال عبد الرزاق عن معمر كان أيوب يطيل قميصه ف قيل  
وقال: إنها مذلة للتابع وفتنة للمتبع. وقال ابن عون عن الحسن خرج ابن مسعود فاتبعه أناس فقال والله لو تعلمون ما أغلق عليه بابي ما اتبعني منكم رجلان  
معه فقال ذباب طمع وفراش النار وقال ابن إدريس عن هارون بن أبي عيسى عن سليم بن حنظلة قال: بينا نحن حول أبي إذ علاه عمر بن الخطاب بالدرة  
المعارف كان أبو العالية إذا جلس إليه أكثر من ثلاثة نهض وتركهم وقال حدثنا علي بن الجعد أخبرنا شعبة عن عوف عن أبي رجاء قال: رأى طلحة قوما يمشون  
محمد بن العلاء من أحب الله أحب أن لا يعرفه الناس وقال سماك بن سلمة إياك وكثرة الأخلاء وقال أبان بن عثمان إن أحببت أن يسلم إليك دينك فأقل من  
تسلم تسر الأبرار وتغيظ الفجار وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: ما صدق الله من أحب الشهرة وقال أيوب ما صدق الله عبد إلا سره أن لا يشعر بمكانه وقال  
إنما المراد من يشار إليه في دينه بالبدعة وفي دنياه بالفسق: وعن علي رضي الله عنه قال: لا تبدأ لأن تشتهر ولا ترفع شخصك لتذكر وتعلم واكتم واصمت  
الواحد الأخنسي عن عبد الواحد بن أبي كثير عن جابر بن عبد الله مرفوعا مثله وروى عن الحسن مرسلا نحوه ف قيل للحسن فإنه يشار إليك بالأصابع فقال  
بالأصابع في دينه ودنياه وإن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن إلى قلوبكم وأعمالكم وروي مثله عن إسحاق ابن البهلول عن ابن أبي فديك عن محمد بن عبد  
يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعد عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال حسب امرئ من الشر إلا من عصم الله أن يشير الناس إليه  
خلقك وعند الناس من أوسط خلقك ثم قال: باب ما جاء في الشهرة حدثنا أحمد بن عيسى المصري حدثنا ابن وهب عن عمر بن الحارث وابن لهيعة عن  
عند الله. وكان ابن محيريز يقول اللهم إني أسألك ذكرا خاملا وكان الخليل بن أحمد يقول اللهم اجعلني عندك من أرفع خلقك واجعلني في نفسي من أوضع  
أسترك؟ ألم... ألم... ألم أجمل ذكرك ثم قال الفضيل إن استطعت أن لا تعرف فافعل وما عليك أن لا يثنى عليك وما عليك أن تكون مذموما عند الناس محبوبا  
الفرارون بدينهم يجمعون يوم القيامة إلى عيسى ابن مريم. وقال الفضيل بن عياض بلغني أن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة ألم أنعم عليك ألم أعطك ألم  
صلى الله عليه وسلم بيده وقال عجلت منيته وقل ترائه وقلت بواكيه وعن عبد الله بن عمرو قال: أحب عباد الله إلى الله الغرباء قيل ومن الغرباء؟ قال  
خفيف الحاذ ذو حظ من صلاة أحسن عبادة ربه وأعطاه في السر وكان غامضا في الناس لا يشار إليه بالأصابع إن صبر على ذلك قال ثم أنفذ رسول الله  
والتفت عليه حديثه وروي أيضا من حديث عبيد الله بن زحر عن علي بن زيد عن القاسم عن أبي أمامة مرفوعا قال الله: من أعطى أوليائي عندي مؤمن  
عمر بن شيبه عن ابن عائشة قال: قال عبد الله بن المبارك: ألا رب ذي طمرين في منزل غدا زرابيه مبتوثة ونمارقه قد اطردت أنواره حول قصره وأشرق  
لهم وإذا خطبوا النساء لم ينكحوا وإذا قالوا لم ينصف لهم حوائج أحدهم تتجلبل في صدره لو قسم نوره يوم القيامة بين الناس لوسعهم قال وأنشدني  
قال أبو هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من ملوك الجنة من هو أشعث أغبر ذو طمرين لا يؤبه له الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن  
عليه ذو طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره وهذا مرسل من هذا الوجه وقال أيضا حدثنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا جعفر بن سليمان حدثنا عوف قال:  
من أمتي من لو أتى باب أحدكم يسأله دينارا أو درهما أو فلسا لم يعطه ولو سأل الله الجنة لأعطاه إياها ولو سأل الدنيا لم يعطه إياها ولم يمنعه إياها لهوانه  
من الدنيا شيئا وقال أيضا حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن  
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي قال رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره لو قال اللهم إني أسألك الجنة لأعطاه الله الجنة ولم يعطه  
يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة حدثنا الوليد بن شجاع حدثنا غنام بن علي عن حميد بن عطاء الأعرج عن عبد الله بن الحارث عن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم: سمعته يقول إن اليسير من الرياء شرك وإن الله يحب الأتقياء الأخفياء الأترياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا وإذا حضروا لم  
عمر رضي الله عنه أنه دخل المسجد فإذا هو بمعاذ بن جبل يبكي عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ما يبكيك يا معاذ؟ قال حديث سمعته من

## تفسير ابن كثير

مشتتة وقال أبو بكر بن سهل التميمي حدثنا ابن أبي مريم حدثنا نافع بن يزيد عن عياش بن عباس عن عيسى بن عبد الرحمن عن زيد بن أسلم عن أبيه عن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى للأتقياء الأثرياء الذين إذا حضروا لم يعرفوا وإذا غابوا لم يفتقدوا أولئك مصابيح مجردون من كل فتنة غبراء بن سليمان عن ثابت وعلي بن زيد عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره وزاد منهم البراء بن مالك وروي أيضا عن أنس رضي الله عنه قال: بن مالك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رب أشعث ذي طمرين يصفح عن أبواب الناس إذا أقسم على الله لأبره ثم رواه من حديث جعفر مفردا ونحن نذكر منه مقاصده قال: حدثنا إبراهيم بن المنذر حدثنا عبد الله بن موسى المدني عن أسامة بن زيد ابن حفص بن عبد الله بن أنس عن جده أنس قال الطبراني أراد الحبش. فصل في الخمول والتواضع وذلك متعلق بوصية لقمان عليه السلام لابنه وقد جمع في ذلك الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا كتابا عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال: قال رسول الله اتخذوا السودان فإن ثلاثة منهم من سادات أهل الجنة: لقمان الحكيم والنجاشي وبلال المؤذن يحيى بن عبد الباقي المصيصي حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الخزاعي ثنا عثمان بن عبد الرحمن الطرائفي حدثنا أنس بن سفيان المقدسي عن خليفة بن سلام وجعل يعظ ابنه وعظته ويخرج خردلة حتى نفذ الخردل فقال يا بني لقد وعظتك موعظة لو وعظها جبل فتفطر قال فتفطر ابنه وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا إلى غيرهم. وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا عمرو بن عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار حدثنا ضمرة عن حفص بن عمر قال: وضع لقمان جرaba من خردل إلى جانبه يعني السلام ثم اجلس في ناحيتهم فلا تنطق حتى تراهم قد نطقوا فإن أفاضوا في ذكر الله فأجل سهمك معهم وإن أفاضوا في غير ذلك فتحول عنهم عبدة بن سليمان أخبرنا ابن المبارك حدثنا عبد الرحمن المسعودي عن عون بن عبد الله قال: قال لقمان لابنه يا بني إذا أتيت نادي قوم فارمهم بسهم الإسلام حدثنا عمرو بن عثمان بن ضمرة حدثنا الثري بن يحيى قال: قال لقمان لابنه يا بني إن الحكمة أجلس المساكين مجالس الملوك وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا بن مخيمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه يا بني إياك والتقنع فإنه مخوفة بالليل مذمة بالنهار وقال حدثنا أبي كان يقول إن الله إذا استودع شيئا حفظه وروى ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عيسى بن يونس عن الأوزاعي عن موسى بن سليمان عن القاسم أخبرنا ابن المبارك أخبرنا سفيان أخبرني نهشل بن مجمع الضبي عن قزعة عن ابن عمر قال: أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن لقمان الحكيم العظيم عن لقمان الحكيم وقد روي عنه من الحكم والمواعظ أشياء كثيرة فلنذكر منها أنموذجا ودستورا إلى ذلك. قال الإمام أحمد حدثنا علي بن إسحاق وقد أخرجه بقية الجماعة سوى ابن ماجه من طرق عن جعفر بن ربيعة به وفي بعض الألفاظ بالليل فالله أعلم. فهذه وصايا نافعة جدا وهي من قصص القرآن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله وإذا سمعتم نهيق الحمير فتعوزوا بالله من الشيطان فإنها رأيت شيطانا هبته كالكلب يقيء ثم يعود في قيئه وقال النسائي عند تفسير هذه الآية حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث عن جعفر بن ربيعة عن الأعرج عن أبي هريرة هو بغيض إلى الله وهذا التشبيه في هذا بالحمير يقتضي تحريمه وذمه غاية الذم لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس لنا مثل السوء العائد في أنكر الأصوات لصوت الحمير وقال مجاهد وغير واحد إن أقبح الأصوات لصوت الحمير أي غاية من رفع صوته أنه يشبه بالحمير في علوه ورفعته ومع هذا المتبسط ولا بالسريع المفرط بل عدلا وسطا بين بين. وقوله واغضض من صوتك أي لا تبألغ في الكلام ولا ترفع صوتك فيما لا فائدة فيه ولهذا قال إن وقوله واقصد في مشيك أي امشي مشيا مقتصدا ليس بالبطيء

الكتاب الحكيم وقال الحسن التوراة والزبور وقال قتادة تلك آيات الكتاب قال الكتب التي كانت قبل القرآن. وهذا القول لا أعرف وجهه ولا معناه. 2. تلك آيات الكتاب الحكيم أي هذه آيات القرآن المحكم المبين وقال مجاهد الر تلك آيات من حجة صحيحة ولا كتاب مأثور صحيح ولهذا قال تعالى ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير أي مبين مضيء. 20. وإزاحة الشبه والعلل ثم مع هذا كله ما آمن الناس كلهم بل منهم من يجادل في الله أي في توحيده وإرساله الرسل ومجادلته في ذلك بغير علم ولا مستند إياها لهم سقفا محفوظا وما خلق لهم في الأرض من قرار وأنهار وأشجار وزروع وثمار وأسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة من إرسال الرسل وإنزال الكتب نعمه عليهم في الدنيا والآخرة بأنه سخر لهم ما في السماوات من نجوم يستضيئون بها في ليلهم ونهارهم وما يخلق فيها من سحب وأمطار وثلج وبرد وجعله يقول تعالى منها خلقه على

أيها المحتجون بصنيع آبائهم أنهم كانوا على ضلالة وأنتم خلف لهم فيما كانوا فيه ولهذا قال تعالى أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير. 21. بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أي لم يكن لهم حجة إلا اتباع الآباء الأقدمين قال الله تعالى أو لو كان آبؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون أي فما ظنكم وإذا قيل لهم أي لهؤلاء المجادلين في توحيد الله اتبعوا ما أنزل الله أي على رسوله من الشرائع المطهرة قالوا في عمله: باتباع ما به أمر وترك ما عنه زجر فقد استمسك بالعروة الوثقى أي فقد أخذ موثقا من الله متينا أنه لا يعذبه وإلى الله عاقبة الأمور. 22. يقول تعالى مخبرا عمن أسلم وجهه لله أي أخلص له العمل وانقاد لأمره واتبع شرعه ولهذا قال وهو محسن أي بالله وبما جئت به فإن قدر الله نافذ فيهم وإلى الله مرجعهم فينبئهم بما عملوا أي فيجزئهم عليه إن الله عليم بذات الصدور فلا تخفى عليه خافية. 23. ومن كفر فلا يحزنك كفره أي لا تحزن عليهم يا محمد في كفرهم

النفوس كما قال تعالى إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون. 24. ثم قال تعالى نمتعهم قليلا أي في الدنيا ثم نضطرهم أي لنجئهم إلى عذاب غليظ أي فظيع صعب مشق على

## تفسير ابن كثير

ولهذا قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله أي إذا قامت عليكم الحجة باعترافكم بل أكثرهم لا يعلمون. 25  
مخبرا عن هؤلاء المشركين به أنهم يعرفون أن الله خالق السماوات والأرض وحده لا شريك له ومع هذا يعبدون معه شركاء يعترفون أنها خلق له وملك له  
يقول تعالى

أي الغني عما سواه وكل شيء فقير إليه الحميد في جميع ما خلق له الحمد في السماوات والأرض على ما خلق وشرع وهو المحمود في الأمور كلها. 26  
ثم قال تعالى لله ما في السماوات والأرض أي هو خلقه وملكه إن الله هو الغني الحميد

أي عزيز قد عز كل شيء وقهره وغلبه فلا مانع لما أراد ولا مخالف ولا معقب لحكمه حكيم في خلقه وأمره وأقواله وأفعاله وشرعه وجميع شؤونه. 27  
شجرة أقلام الآية. وهكذا روى عكرمة وعطاء بن يسار وهذا يقتضي أن هذه الآية مدنية لا مكية والمشهور أنها مكية والله أعلم وقوله إن الله عزيز حكيم  
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنها في علم الله قليل وعندكم من ذلك ما يكفيكم وأنزل الله فيما سأله عنه من ذلك ولو أن ما في الأرض من  
العلم إلا قليلا إيانا تريد أم قومك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا كما قالوا ألسنت تتلو فيما جاءك أنا قد أوتينا التوراة فيها تبيان لكل شيء؟  
بن أبي محمد عن سعيد بن جبيرة أو عكرمة عن ابن عباس أن أحبار يهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يا محمد أرايت قولك وما أوتيتم من  
عليه كما ينبغي حتى يكون هو الذي يثني على نفسه إن ربنا كما يقول وفوق ما نقول وقد روي أن هذه الآية نزلت جوابا لليهود قال ابن إسحاق حدثني محمد  
مدادا لكلمات الله والأشجار كلها أقلاما لانكسرت الأقلام وفني ماء البحر وبقيت كلمات الله قائمة لا يفنيها شيء لأن أحدا لا يستطيع أن يقدر قدره ولا يثني  
بن أنس إن مثل علم العباد كلهم في علم الله كقطرة من ماء البحور كلها وقد أنزل الله ذلك ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام الآية يقول لو كان البحر  
ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام أي لو كان شجر الأرض أقلاما ومع البحر سبعة أبحر ما كان لتنفيذ عجائب ربي وحكمته وخلقته وعلمه. وقال الربيع  
البحر مدادا وقال الله إن من أمري كذا ومن أمري كذا لنفد ماء البحر وتكسرت الأقلام. وقال قتادة قال المشركون إنما هذا كلام يوشك أن ينفذ فقال الله تعالى  
المراد بقوله بمثله آخر فقط بل بمثله ثم بمثله ثم هلم جرا لأنه لا حصر لآيات الله وكلماته قال الحسن البصري لو جعل شجر الأرض أقلاما وجعل  
لا تصدق ولا تكذب بل كما قال تعالى في الآية الأخرى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا فليس  
جاء أمثالها مددا وإنما ذكرت السبعة على وجه المبالغة ولم يرد الحصر ولا أن ثم سبعة أبحر موجودة محيطية بالعالم كما يقوله من تلقاه من الإسرائيليات التي  
الأرض جعلت أقلاما وجعل البحر مدادا وأمدته سبعة أبحر معه فكتبت بها كلمات الله الدالة على عظمتها وصفاته وجلاله لتكسرت الأقلام ونفد ماء البحر ولو  
كما أثبتت على نفسك فقال تعالى ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله أي ولو أن جميع أشجار  
الحسنى وصفاته العلا وكلماته الثامنة التي لا يحيط بها أحد ولا اطلاع لبشر على كتبها وإحصائها كما قال سيد البشر وخاتم الرسل لا أحصي ثناء عليك أنت  
يقول تعالى مخبرا عن عظمتها وكبريائه وجلاله وأسمائه

كسمعه وبصره بالنسبة إلى نفس واحدة كذلك قدرته عليهم كقدرته على نفس واحدة ولهذا قال تعالى ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة الآية. 28  
ذلك الشيء لا يحتاج إلى تكرره وتوكيده وإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة وقوله إن الله سميع بصير أي كما هو سميع لأقوالهم بصير بأفعالهم  
نفس واحدة الجميع هين عليه إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون وما أمرنا إلا واحدة كلمح البصر أي لا يأمر بالشيء إلا مرة واحدة فيكون  
وقوله تعالى ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة أي ما خلق جميع الناس وبعثهم يوم المعاد بالنسبة إلى قدرته إلا كنسبة خلق

يعلم ما في السماء والأرض ومعنى هذا أنه تعالى الخالق العالم بجميع الأشياء كقوله تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن الآية. 29  
غربت جرت بالليل في فلکها تحت الأرض حتى تطلع من مشرقها قال وكذلك القمر إسنادة صحيح وقوله وأن الله بما تعملون خبير كقوله ألم تعلم أن الله  
أبو صالح حدثنا يحيى بن أيوب عن ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس أنه قال: الشمس بمنزلة الساقية تجري بالنهار في السماء في فلکها فإذا  
الله ورسوله أعلم. قال فإنها تذهب فتسجد تحت العرش ثم تستأذن ربها فيوشك أن يقال لها ارجعي من حيث جئت وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا  
الأول بحديث أبي ذر رضي الله تعالى عنه الذي في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أبا ذر أتدري أين تذهب هذه الشمس؟ قلت  
يكون في زمن الشتاء وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى قيل إلى غاية محدودة وقيل إلى يوم القيامة وكلا المعنيين صحيح ويستشهد للقول  
النهار يعني يأخذ منه في النهار فيطول ذاك ويقصر هذا وهذا يكون زمن الصيف يطول النهار إلى الغاية ثم يشرع في النقص فيطول الليل ويقصر النهار وهذا  
يخبر تبارك تعالى أنه يولج الليل في

تقدم في أول سورة البقرة عامة الكلام على ما يتعلق بصدر هذه السورة وهو أنه سبحانه وتعالى جعل هذا القرآن هدى وشفاء ورحمة للمحسنين. 3  
ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلي الكبير أي العلي الذي لا أعلى منه الكبير الذي هو أكبر من كل شيء فكل شيء خاضع حقير بالنسبة إليه. 30  
لا يقدر أحد منهم على تحريك ذرة إلا بإذنه ولو اجتمع كل أهل الأرض على أن يخلقوا ذبابا لعجزوا عن ذلك ولهذا قال تعالى ذلك بأن الله هو الحق وأن  
أنه الحق أي الموجود الحق الإله الحق وأن كل ما سواه باطل فإنه الغني عما سواه وكل شيء فقير إليه لأن كل ما في السماوات والأرض جميع خلقه وعبده  
وقوله تعالى ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل أي إنما يظهر لكم آياته لتستدلوا بها على  
يحمل بها السفن لما جرت ولهذا قال ليريك من آياته أي من قدرته إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور أي صبار في الضراء شكور في الرخاء. 31

## تفسير ابن كثير

يخبر تعالى أنه هو الذي سخر البحر لتجري فيه الفلك بأمره أي بلطفه وتسخييره فإنه لولا ما جعل في الماء من قوة

وأبلغه. قال عمر بن معد يركب: وإنك لو رأيت أبا عمير ملأت يديك من غدر وخر وقوله كفور أي جحود للنعم لا يشكرها بل يتناساها ولا يذكرها. 32  
يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور فالختار هو الغدار قاله مجاهد والحسن وقتادة ومالك عن زيد بن أسلم وهو الذي كلما عاهد نقض عهده والختار أتم الغدر  
كان ينبغي أن يقابل ذلك بالعمل التام والدعوى في العبادة والمبادرة إلى الخيرات فمن اقتصد بعد ذلك كان مقتصرا والحالة هذه والله أعلم. وقوله تعالى وما  
ويحتمل أن يكون مرادا هنا أيضا ويكون من باب الإنكار على من شاهد تلك الأحوال والأمور العظام والآيات الباهرات في البحر ثم بعد ما أنعم عليه بالخلاص  
زيد هو المتوسط في العمل وهذا الذي قاله ابن زيد هو المراد في قوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد الآية فالمقتصد ههنا هو المتوسط في العمل  
فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد قال مجاهد أي كافر كأنه فسر المقتصد ههنا بالجاحد كما قال تعالى فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون وقال ابن  
دعوا الله مخلصين له الدين كما قال تعالى وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه وقال تعالى فإذا ركبوا في الفلك الآية قال تعالى  
ثم قال تعالى وإذا غشيهم موج كالظلل أي كالجبال والغمام

ولا أحد يرحمه كل مشفق على نفسه ولا يؤخذ إنسان عن إنسان كل يهيمه همه ويبكي عوله ويحمل وزره ولا يحمل وزره معه غيره. رواه ابن أبي حاتم. 33  
لا يتكلم فيه أحد إلا ياذن الرحمن ولا يؤخذ فيه والد عن ولده ولا ولد عن والده ولا أخ عن أخيه ولا عبد عن سيده ولا يهتم أحد به غيره ولا يحزن لحزنه  
أبكي إذ أتاني الملك فقلت له خبرني هل تشفع أرواح الصديقين للظلمة أو الآباء لأبنائهم؟ قال إن القيامة فيها فصل القضاء وملك ظاهر ليس فيه رخصة  
قال وهب بن منبه قال عزير عليه السلام لما رأيت بلاء قومي اشتد حزني وكثر همي وأرق نومي فتضرعت إلى ربي وصليت وصمت فأنا في ذلك التضرع  
عباس ومجاهد والضحاك وقتادة فإنه يفر ابن آدم ويبعده ويمنيه وليس من ذلك شيء بل كان كما قال تعالى يعدهم وبمينهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا  
ثم عاد بالموعظة عليهم بقوله فلا تغرنكم الحياة الدنيا أي لا تهلككم بالطمأنينة فيها عن الدار الآخرة ولا يغرنكم بالله الغرور يعني الشيطان. قاله ابن  
منه والخشية من يوم القيامة حيث لا يجزي والد عن ولده أي لو أراد أن يفديه بنفسه لما قبل منه وكذلك الولد لو أراد فداء والده بنفسه لم يقبل منه  
يقول تعالى منذرا للناس يوم المعاد وأمرهم بتقواه والخوف

الله عليه وسلم قال ما جعل الله منية عبد بأرض إلا جعل له إليها حاجة آخر تفسير سورة لقمان والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل. 34  
القيامة: يا رب هذا ما أودعني قال الطبراني حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر بن أيوب عن أبي المليح عن أسامة أن رسول الله صلى  
وعمر بن شبة كلاهما عن عمر بن عكرمة مرفوعا إذا كان أجل أحدكم بأرض أتت له إليها حاجة فإذا بلغ أقصى أثره قبضه الله عز وجل فتقول الأرض يوم  
الشعبي زوج أخته وهو مزوج بأخت الشعبي أيضا وقد كان ممن طلب العلم والتفقه ثم عدل إلى صناعة الشعر فعرف به وقد روى ابن ماجه عن أحمد بن ثابت  
بأيما بلدة تقدر منيته إن لا يسير إليها طائعا يبق أوردته الحافظ ابن عساكر رحمه الله في ترجمة عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث وهو أعشى همدان وكان  
نفحة أعواد تشب له وقل ذلك من زاد لمنطلق لا تأسيس على شيء فكل فتى إلى منيته سيار في عنق وكل من ظن أن الموت يخطئه معلل بأعالي من الحمق  
ابن أبي الدنيا حدثني سليمان بن أبي مسيح قال أنشدني محمد بن الحكم لأعشى همدان: فما تزود مما كان يجمعه سوى حنوط غداة البين مع خرق وغير  
الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له إليها حاجة ثم قال البزار وهذا الحديث لا نعلم أحدا يرفعه إلا عمر بن علي المقدمي. وقال  
الحافظ أبو بكر البزار حدثنا أحمد بن ثابت الجحدري ومحمد بن يحيى القطعي قالا حدثنا عمر بن علي حدثنا إسماعيل عن قيس عن عبد الله قال: قال رسول  
جعل له إليها حاجة فلم ينته حتى يقدمها ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله عنده علم الساعة إلى عليم خبير حديث آخر قال  
المؤمل بن إسماعيل حدثنا عبيد الله بن أبي حميد عن أبي المليح عن أبي عزة الهذلي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله قبض عبد بأرض  
ابن عبد الهذلي وأخرجه الترمذي من حديث إسماعيل بن إبراهيم وهو ابن علي بن علي. وقال صحيح. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عصام الأصفهاني حدثنا  
قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله قبض روح عبد بأرض جعل له فيها أو قال بها حاجة وأبو عزة هذا هو بشار بن عبيد الله ويقال  
عليه وسلم غير هذا الحديث وقد رواه أبو داود في المراسيل قاله أعلم. وقال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا أيوب عن أبي المليح عن أسامة عن أبي عزة  
الله ميتة عبد بأرض جعل له إليها حاجة وهكذا رواه الترمذي في القدر من حديث سفيان الثوري به ثم قال حسن غريب ولا يعرف لمطر عن النبي صلى الله  
أحمد حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو داود الحفري عن سفيان عن أبي إسحاق عن مطر بن عكاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قضى  
عن أبي المليح عن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جعل الله ميتة عبد بأرض إلا جعل له فيها حاجة وقال عبد الله ابن الإمام  
إليها حاجة فقال الحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير في مسند أسامة بن زيد حدثنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أيوب  
تموت أي ليس أحد من الناس يدري أين مضجعه من الأرض أفي بحر أم بر أو سهل أو جبل. وقد جاء في الحديث إذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له  
أو أسود وما هو وما تدري نفس ماذا تكسب غدا أخير أم شر ولا تدري يا ابن آدم متى تموت لعلك الميت غدا لعلك المصاب غدا وما تدري نفس بأي أرض  
أي شهر أو ليل أو نهار وينزل الغيث فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث ليلا أو نهارا ويعلم ما في الأرحام فلا يعلم أحد ما في الأرحام أذكر أم أنثى أحمر  
أشياء استأثر الله بهن فلم يطلع عليهن ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا إن الله عنده علم الساعة فلا يدري أحد من الناس متى تقوم الساعة في أي سنة أو في  
أنها قالت: من حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وقوله تعالى وما تدري نفس بأي أرض تموت قال قتادة  
مفاتيح الغيب التي قال الله تعالى وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو رواه ابن أبي حاتم وابن جرير. وقال الشعبي عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها

## تفسير ابن كثير

متى ينزل الغيث وقد علمت متى ولدت فأخبرني متى أموت فأُنزل الله عز وجل إن الله عنده علم الساعة إلى قوله عليم خبير قال مجاهد وهي الأرحام الآية وهذا إسناد صحيح وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد جاء رجل من أهل البادية فقال إن امرأتي حبلى فأخبرني ما تلد وبلادنا مجدبة فأخبرني شيء لا تعلمه؟ قال قد علمني الله عز وجل خيرا وإن من العلم ما لا يعلمه إلا الله عز وجل: الخمس إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في النهار خمس صلوات وأن تصوموا من السنة شهرا وأن تحجوا البيت وأن تأخذوا الزكاة من أغنيائكم فتردوها على فقرائكم قال فقال فهل بقي من العلم عليكم أَدْخِل؟ فأذن لي فدخلت فقلت بم أتيتنا؟ قال لم آتكم إلا بخير أتيتكم بأن تعبدوا الله وحده لا شريك له وأن تدعوا اللات والعزى وأن تصلوا بالليل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لخادمه اخرجني إليه فإنه لا يحسن الاستئذان فقول لي فليقل السلام عليكم أَدْخِل قال فسمعتة يقول ذلك فقلت السلام الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن منصور عن ربعي بن حراش عن رجل من بني عامر أنه استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أُلج؟ قال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أصحاب البنيان الحفاة الجياع العالة؟ قال العرب حديث غريب ولم يخرجوه حديث رجل من عامر روى الأمة ولدت ربتها أو ربها ورأيت أصحاب البنيان يتطاولون في البنيان ورأيت الحفاة الجياع العالة رؤوس الناس فذلك من معالم الساعة وأشراتها تموت إن الله عليم خبير ولكن إن شئت حدثتك بمعالم لها دون ذلك قال أجل يا رسول الله فحدثني. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأيت الله في خمس لا يعلمهن إلا الله إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض الإحسان أن تعمل لله كأنك تراه فإن كنت لا تراه فإنه يراك قال يا رسول الله فحدثني متى الساعة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي سبحة خير خيره وشره قال فإذا فعلت ذلك فقد آمنت؟ قال إذا فعلت ذلك فقد آمنت قال يا رسول الله حدثني ما الإحسان؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الإيمان أن تؤمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبیین وتؤمن بالموت وبالحياة بعد الموت وتؤمن بالجنة والنار والحساب والميزان وتؤمن بالقدر كله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله قال فإذا فعلت ذلك فقد أسلمت؟ قال إذا فعلت ذلك فقد أسلمت قال يا رسول الله فحدثني ما الإيمان؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الإسلام؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام أن تسلم وجهك لله عز وجل وتشهد أن لا إله إلا الله رضي الله عنهما قال: جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا فأثاء جبريل فجلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعا كفيه على ركبتي بن الخطاب في ذلك بطوله وهو من أفراد مسلم حديث ابن عباس قال الإمام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا عبد الحميد حدثنا بهز حدثنا عبد الله بن عباس دينهم ورواه البخاري أيضا في كتاب الإيمان ومسلم من طرق عن أبي حيان به وقد تكلمنا عليه في أول شرح البخاري وذكرنا ثم حديث أمير المؤمنين عمر علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام الآية ثم انصرف الرجل فقال ردوه علي فأخذوا ليردوه فلم يروا شيئا فقال هذا جبريل جاء ليعلم الناس عن أشراتها: إذا ولدت الأمة ربتها فذاك من أشراتها وإذا كان الحفاة العراة رؤوس الناس فذاك من أشراتها في خمس لا يعلمهن إلا الله. إن الله عنده قال الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال يا رسول الله متى الساعة؟ قال ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ولكن سأحدثك يا رسول الله ما الإسلام؟ قال الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقويم الصلاة وتؤتي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال يا رسول الله ما الإحسان؟ كان يوما بارزا للناس إذ أتاه رجل يمشي فقال يا رسول الله: ما الإيمان؟ قال الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه وتؤمن بالبعث الآخر قال البخاري عند تفسير هذه الآية حدثنا إسحاق عن جرير عن أبي حيان عن أبي زرة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم أكثر من خمسين مرة ورواه أيضا عن وكيع عن مسعر عن عمرو بن مرة به وهذا إسناد حسن على شرط السنن ولم يخرجوه حديث أبي هريرة نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير وكذا رواه عن محمد بن جعفر عن شعبة عن عمرو بن مرة به وزاد في آخره: قال قلت له أنت سمعته من عبد الله؟ صلى الله عليه وسلم مفاتيح كل شيء غير خمس إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري خبير حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال الإمام أحمد حدثنا يحيى عن شعبة ثني عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة قال: قال عبد الله أوتي نبيكم شيء إلا الخمس إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم به أيضا. ورواه الإمام أحمد عن غندر عن شعبة عن عمر بن محمد أنه سمع أباه يحدث عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أوتيت مفاتيح كل أن عبد الله بن عمر قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم مفاتيح الغيب خمس ثم قرأ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام انفراد سعيد الثوري به ورواه في التفسير من وجه آخر فقال حدثنا يحيى بن سليمان حدثنا ابن وهب حدثني عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر أن أباه حدثه تدرى نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير انفراد بإخراجه البخاري فرواه في كتاب الاستسقاء في صحيحه عن محمد بن يوسف الفريابي عن سفيان بن الله عليه وسلم مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما صحيح الإسناد ولم يخرجوه. حديث ابن عمر قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير هذا حديث حدثني حسين بن وافد حدثني عبد الله بن بريدة سمعت أبا بريدة يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خمس لا يعلمهن إلا الله عز وجل شبيهة بقوله تعالى وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو الآية. وقد وردت السنة بتسمية هذه الخمس مفاتيح الغيب. قال الإمام أحمد حدثنا زيد بن الحباب وكذلك لا تدري نفس ماذا تكسب غدا في دنياها وأخرها وما تدري نفس بأي أرض تموت في بلدها أو غيره من أي بلاد الله كان لا علم لأحد بذلك وهذه لا يعلم ما في الأرحام مما يريد أن يخلقه تعالى سواه ولكن إذا أمر بكونه ذكرا أو أنثى أو شقيا أو سعيدا علم الملائكة الموكلون بذلك. ومن شاء الله من خلقه

## تفسير ابن كثير

- ولا ملك مقرب لا يجليها لوقتها إلا هو وكذلك إنزال الغيث لا يعلمه إلا الله ولكن إذا أمر به علمته الملائكة الموكلون بذلك ومن شاء الله من خلقه وكذلك هذه مفاتيح الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها فلا يعلمها أحد إلا بعد إعلامه تعالى بها فعلم وقت الساعة لا يعلمه نبي مرسل
- الدار الآخرة فرغبوا إلى الله في ثواب ذلك لم يراءوا به ولا أرادوا جزاء من الناس ولا شكورا فمن فعل ذلك كذلك فهو من الذين ذكرهم في الآية التالية. 4
- بحدودها وأوقاتها وما يتبعها من نوافل راتبة وغير راتبة وآتوا الزكاة المفروضة عليهم إلى مستحقيها ووصلوا أرحامهم وقراباتهم وأيقنوا بالجزاء في وهم الذين أحسنوا العمل في اتباع الشريعة فأقاموا الصلاة المفروضة
- قال الله تعالى أولئك على هدى من ربهم أي على بصيرة وبينة ومنهج واضح جلي وأولئك هم المفلحون أي في الدنيا والآخرة. 5
- يتخذ آيات الله هزوا وقول مجاهد أولى وقوله أولئك لهم عذاب مهين أي استهانوا بآيات الله وسبيله أهينوا يوم القيامة في العذاب الدائم المستمر. 6
- العاقبة أو تعليلا للأمر القدري أي قيصوا لذلك ليكونوا كذلك وقوله تعالى ويتخذها هزوا قال مجاهد يتخذ سبيل الله هزوا يستهزئ بها وقال قتادة يعني أنه كل كلام يصد عن آيات الله واتباع سبيله وقوله ليضل عن سبيل الله أي إنما يصنع هذا للتخالف للإسلام وأهله. وعلى قراءة فتح الياء تكون اللام لام والله أعلم وقال الضحاك في قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث قال يعني الشرك وبه قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم واختار ابن جرير
- جرير من حديث عبيد الله بن زحر بنحوه ثم قال الترمذي هذا حديث غريب وضعف علي بن يزيد المذكور قلت علي وشيخه والراوي عنه كلهم ضعفاء المغنيات ولا شراؤهن وأكل أثمانهن حرام وفيهم أنزل الله عز وجل علي ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله وهكذا رواه الترمذي وابن حدثنا وكيع عن خلاد الصفار عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحل بيع الحق وما يضر على ما ينفع وقيل أراد بقوله يشتري لهو الحديث اشتراء المغنيات من الجواري قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي
- يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله علم والله لعله لا ينفق فيه مالا ولكن شراؤه استجابة بحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحسن البصري نزلت هذه الآية ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم في الغناء والمزامير: وقال قتادة قوله ومن الناس من الناس من يشتري لهو الحديث قال الغناء وكذا قال ابن عباس وجابر وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد ومكحول وعمرو بن شعيب وعلي بن نديمة. وقال مرات: حدثنا عمرو بن علي حدثنا صفوان بن عيسى أخبرنا حميد الخراط عن عمار عن سعيد بن جبير عن أبي الصهباء أنه سأل ابن مسعود عن قول الله ومن وهو يسأل عن هذه الآية ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله فقال عبد الله بن مسعود الغناء والله الذي لا إله إلا هو يرددها ثلاث
- قال أخبرنا ابن وهب أخبرني يزيد بن يونس عن أبي صخر عن ابن معاوية البجلي عن سعيد بن جبير عن أبي الصهباء البكري أنه سمع عبد الله بن مسعود قال ابن مسعود في قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله قال هو والله الغناء. روى ابن جرير حدثني يونس بن عبد الأعلى إلى ذكر الله الآية عطف بذكر حال الأشقياء الذين أعرضوا عن الانتفاع بسماع كلام الله وأقبلوا على استماع المزامير والغناء بالألحان وآلات الطرب كما بكتاب الله وينتفعون بسماعه كما قال تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم
- لما ذكر تعالى حال السعداء وهم الذين يهتدون
- صمم كأنه ما سمعها لأنه يتأذى بسماعها إذ لا انتفاع له بها ولا أرب له فيها فبشره بعذاب أليم أي يوم القيامة يؤلمه كما تألم بسماع كتاب الله وآياته. 7
- كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا أي هذا المقبل على اللهو واللعب والطرب إذا تليت عليه الآيات القرآنية ولى عنها وأعرض وأدبر وتصامم وما به من ثم قال تعالى وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا
- النعيم أي يتنعمون فيها بأنواع الملاذ والمسار من المأكول والمشارب والملابس والمساكن والمراكب والنساء والنضرة والسماع الذي لم يخطر ببال أحد. 8
- هذا ذكر مآل الأبرار من السعداء في الدار الآخرة الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وعملوا الأعمال الصالحة التابعة لشريعة الله لهم جنات
- وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمو الآية. وقوله ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا. 9
- على كل شيء وهو العزيز الذي قهر كل شيء ودان له كل شيء الحكيم في أقواله وأفعاله الذي جعل القرآن هدى للمؤمنين قل هو للذين آمنوا هدى ولا يبغون عنها حولا وقوله تعالى وعد الله حقا أي هذا كائن لا محالة لأنه من وعد الله والله لا يخلف الميعاد لأنه الكريم المنان الفعال لما يشاء القادر
- وهم في ذلك مقيمون دائما فيها لا يظعنون

## سورة 32

- كان صحيحا أن يحسب ما لكل حرف من الحروف الأربعة عشر التي ذكرناها وذلك يبلغ منه جملة كثيرة وإن حسبت مع التكرار فأطم وأعظم والله أعلم. 1
- محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فهذا الحديث مداره على محمد بن السائب الكلبي وهو ممن لا يحتج بما انفرد به ثم كان مقتضى هذا المسلك إن وإحدى وسبعون ومائتان فذلك سبعمائة وأربع سنين؟ فقالوا لقد تشابه علينا أمره فيزعمون أن هؤلاء الآيات نزلت فيهم هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات أبو ياسر لأخيه حي بن أخطب ولمن معه من الأحرار ما يدريككم لعله قد جمع هذا لمحمد كله إحدى وسبعون وإحدى وثلاثون ومائة وإحدى وثلاثون ومائتان

## تفسير ابن كثير

أربعون والراء مائتان فهذه إحدى وسبعون ومائتان ثم قال: لقد لبس علينا أمرك يا محمد حتى ما ندري أقليلا أعطيت أم كثيرا. ثم قال قوموا عنه ثم قال فهذه إحدى وثلاثون ومائتا سنة. فهل مع هذا يا محمد غيره؟ قال نعم قال ماذا قال المر قال هذه أثقل وأطول الألف واحدة واللام ثلاثون والميم إحدى وثلاثون ومائة سنة. هل مع هذا يا محمد غيره؟ قال نعم قال ما ذاك؟ قال الر قال هذا أثقل وأطول الألف واحدة واللام ثلاثون والراء مائتان فقال يا محمد هل مع هذا غيره فقال نعم قال ما ذاك؟ قال المص قال هذا أثقل وأطول الألف واحد واللام ثلاثون والميم أربعون والصاد تسعون فهذه والميم أربعون فهذه إحدى وسبعون سنة أفتدخلون في دين نبي إنما مدة ملكه وأجل أمته إحدى وسبعون سنة؟ ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الله قبلك أنبياء ما تعلمه بين لنبي منهم ما مدة ملكه وما أجل أمته غيرك. فقام حي بن أخطب وأقبل على من كان معه فقال لهم الألف واحدة واللام ثلاثون فيما أنزل الله عليك الم ذلك الكتاب؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى فقالوا جاءك بهذا جبريل من عند الله؟ فقال نعم قالوا لقد بعث فيه فقال أنت سمعته قال نعم قال فمشى حي بن أخطب في أولئك النفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ألم يذكر أنك تتلوا الكتاب لا ريب فيه فأتى أخاه بن أخطب في رجال من اليهود فقال تعلمون والله لقد سمعت محمدا يتلو فيما أنزل الله تعالى عليه الم ذلك الكتاب لا ريب عباس عن جابر بن عبد الله بن رباب قال مر أبو ياسر بن أخطب في رجال من يهود برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو فاتحة سورة البقرة الم ذلك مع ذلك أدل على بطلان هذا المسلك من التمسك به على صحته وهو ما رواه محمد بن إسحق بن يسار صاحب المغازي حدثني الكلبي عن أبي صالح عن ابن على معرفة المدد وأنه يستخرج من ذلك أوقات الحوادث والفتن والملاحم فقد ادعى ما ليس له وطار في غير مطاره وقد ورد في ذلك حديث ضعيف وهو إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم وغير ذلك من الآيات الدالة على صحة ما ذهب إليه هؤلاء لمن أمعن النظر والله أعلم. وأما من زعم أنها دالة لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين حم تنزيل من الرحمن الرحيم حم عسق كذلك يوحي الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه المص كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه الر كتاب أنزلناه إليك فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وعظمته وهذا معلوم بالاستقراء وهو الواقع في تسع وعشرين سورة ولهذا يقول تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه الم من الكلمات ما هو على حرف وعلى حرفين وعلى ثلاثة وعلى أربعة وعلى خمسة لا أكثر من ذلك قلت ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف فلا بد أن يذكر ص ن ق وحرفين مثل حم وثلاثة مثل الم وأربعة مثل الم و المص وخمسة مثل كهيعص و حمعسق لأن أساليب كلامهم على هذا في أول القرآن وإنما كررت ليكون أبلغ في التحدي والتبكي كما كررت قصص كثيرة وكرر التحدي بالصريح في أماكن قال وجاء منها على حرف واحد كقوله ذهب الشيخ الإمام العلامة أبو العباس ابن تيمية وشيخنا الحافظ المجتهد أبو الحجاج المزي وحكاه لي عن ابن تيمية. قال الزمخشري ولم ترد كلها مجموعة المذهب الرازي في تفسيره عن المبرد وجمع من المحققين وحكى القرطبي عن الفراء وقطرب نحو هذا وقرره الزمخشري في كشفه ونصره أتم نصر وإليه التي ذكرت فيها بيانا لإعجاز القرآن وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله هذا مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها وقد حكى هذا والتي تليها أعني البقرة وآل عمران مدينتان ليستا خطابا للمشركين فانتقض ما ذكروه بهذه الوجوه. وقال آخرون بل إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور لا يكون في بعضها بل غالبها ليس كذلك ولو كان كذلك أيضا لانبغي الابتداء بها في أوائل الكلام معهم سواء كان افتتاح سورة أو غير ذلك ثم إن هذه السورة إذ تواصوا بالإعراض عن القرآن حتى إذا استمعوا له تلا عليهم المؤلف منه حكاه ابن جرير أيضا وهو ضعيف أيضا لأنه لو كان كذلك لكان ذلك في جميع السور وهذا ضعيف لأن الفصل حاصل بدونها فيما لم تذكر فيه وفيما ذكرت فيه البسملة تلاوة وكتابة وقال آخرون بل ابتدئ بها لتفتح لاستماعها أسمع المشركين التي اقتضت إيراد هذه الحروف في أوائل السور ما هي مع قطع النظر عن معانيها في أنفسها فقال بعضهم إنما ذكرت ليعرف بها أوائل السور حكاه ابن جرير يجمع العلماء فيها على شيء معين وإنما اختلفوا فمن ظهر له بعض الأقوال بدليل فعليه اتباعه وإلا فالوقف حتى يتبين هذا المقام. المقام الآخر في الحكمة فقد أخطأ خطأ كبيرا فتعين أن لها معنى في نفس الأمر فإن صح لنا فيها عن المعصوم شيء قلنا به وإلا وقفنا حيث وقفنا وقلنا أننا به كل من عند ربنا ولم في هذا المقام كلاما فقال: لا شك أن هذه الحروف لم ينزلها سبحانه وتعالى عبثا ولا سدى ومن قال من الجهلة إن في القرآن ما هو تعبد لا معنى له بالكلمة الذي دقت في كل شيء حكمته. وهذه الأجناس المعدودة مكتوبة بالمذكورة منها وقد علمت أن معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله وههنا ههنا لخص بعضهم المهموسة والمجهورة ومن الرخوة والشديدة ومن المطبقة والمفتوحة ومن المستعلية والمنخفضة ومن حروف القلقة. وقد سردها مفصلة ثم قال: فسبحان والمذكور منها أشرف من المتروك وبيان ذلك من صناعة التصريف. قال الزمخشري وهذه الحروف الأربعة عشر مشتملة على أصناف أجناس الحروف يعني من أوائل السور بحذف المكرر منها أربعة عشر حرفا وهي ال م ص ر ك ه ي ع ط س ح ق ن يجمعها قولك: نص حكيم قاطع له سر. وهي نصف الحروف عدا يكتب في ا ب ت ث أي في حروف المعجم الثمانية والعشرين فيستغني بذكر بعضها عن مجموعها حكاه ابن جرير. قلت مجموع الحروف المذكورة في العربية هي حروف من حروف المعجم استغنى بذكر ما ذكر منها في أوائل السور عن ذكر بواقيها التي هي تنمة الثمانية والعشرين حرفا كما يقول القائل ابني سفيان هو أن يقول في اقتل ا ف وقال خصيف عن مجاهد أنه قال فواتح السور كلها ق و ص و حم و طسم والر وغير ذلك هجاء موضوع وقال بعض أهل والتاء من الكلمتين عن بقيتهما ولكن هذا ظاهر من سياق الكلام والله أعلم. قال القرطبي وفي الحديث من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة الحديث قال كذا وكذا فاكثفى بالياء من يفعل وقال الآخر: بالخير خيرات وان شرا ف لا أريد الشر إلا أن يقول وإن شرا فشرا ولا أريد الشر إلا أن تشاء فاكثفى بالفاء لنا فقالت قاف لا تحسبي أنا نسينا الإيجاف تعني وقفت. وقال الآخر: ما للظليم عال كيف لا ي ينقد عنه جلده إذا ي فقال ابن جرير كأنه أراد أن يقول إذا يفعل به وما أنشدوه من الشواهد على صحة إطلاق الحرف الواحد على بقية الكلمة فإن في السياق ما يدل على ما حذف بخلاف هذا كما قال الشاعر: قلنا قفي



## تفسير ابن كثير

غير أن يكون أحدهما أولى من الآخر في التقدير أو الإضرار بوضع ولا بغيره فهذا مما لا يفهم إلا بتوقيف والمسألة مختلف فيها وليس فيها إجماع حتى يحكم فيها والله أعلم. ثم إن لفظة الأمة تدل على كل من معانيها في سياق الكلام بدلالة الوضع فأما دلالة الحرف الواحد على اسم يمكن أن يدل على اسم آخر من في كل موطن على معنى واحد دل عليه سياق الكلام فأما حملة على مجموع محامله إذا أمكن فمسألة مختلف فيها بين علماء الأصول ليس هذا موضع البحث أبو العالية فإن أبا العالية زعم أن الحرف دل على هذا وعلى هذا وعلى هذا معاً ولفظة الأمة وما أشبهها من الألفاظ المشتركة في الاصطلاح إنما دل في القرآن الدهر كقوله تعالى وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أي بعد حين على أصح القولين قال فكذلك هذا. هذا حاصل كلامه موجها ولكن هذا ليس كما ذكره

وتطلق ويراد بها الجماعة كقوله تعالى وجد عليه أمة من الناس يسقون وقوله تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا وتطلق ويراد بها الحين من به الدين كقوله تعالى إنا وجدنا آباءنا على أمة وتطلق ويراد بها الرجل المطيع لله كقوله تعالى إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفاً ولم يك من المشركين وعلى صفة من صفاته وعلى مدة وغير ذلك كما ذكره الربيع بن أنس عن أبي العالية لأن الكلمة الواحدة تطلق على معاني كثيرة كلفظة الأمة فإنها تطلق ويراد منها دل على اسم من أسمائه وصفة من صفاته كما افتتح سورة كثيرة بتحميده وتسيحه وتعظيمه قال ولا مانع من دلالة الحرف منها على اسم من أسماء الله هذه الأقوال ويوفق بينها وأنه لا منافاة بين كل واحد منها وبين الآخر وأن الجمع ممكن فهي أسماء للسور ومن أسماء الله تعالى يفتتح بها السور فكل حرف واللام لطف الله والميم مجد الله والألف سنة واللام ثلاثون سنة والميم أربعون سنة. هذا لفظ ابن أبي حاتم ونحوه رواه ابن جرير ثم شرع يوجه كل واحد من فقال أعجب أنهم يظنون بأسمائه ويعيشون في رزقه فكيف يكفرون به فالألف مفتاح الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد فالألف آلاء الله مفتاح اسم من أسمائه وليس منها حرف إلا وهو من آلائه وبلائه ليس منها حرف إلا وهو في مدة أقوام وآجالهم. قال عيسى ابن مريم عليه السلام وعجب: عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى الم قال هذه الأحرف الثلاثة من التسعة والعشرين حرفاً دارت فيها الألسن كلها ليس منها حرف إلا وهو ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الم قال أما الم فهي حروف استفتحت من حروف هجاء أسماء الله تعالى. قال وأبو جعفر الرازي عن أبي الضحى عن ابن عباس: الم قال أنا الله أعلم وكذا قال سعيد بن جبيرة وقال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث ابن علي عن خالد الحذاء عن عكرمة أنه قال الم قسم. وروينا أيضاً من حديث شريك بن عبد الله بن عطاء بن السائب قال: قال عبد الله فذكر نحوه. وحكي مثله عن علي وابن عباس وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هو قسم أقسم الله به وهو من أسماء الله تعالى وروى والم فقال قال ابن عباس هي اسم الله الأعظم وقال ابن جرير وحدثنا محمد بن المثنى حدثنا أبو النعمان حدثنا شعبة عن إسماعيل السدي عن مرة الهمداني الم اسم من أسماء الله الأعظم. هكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث شعبة ورواه ابن جرير عن بنادر عن ابن مهدي عن شعبة قال سألت السدي عن حم وطس عنها في فواتح السور من أسماء الله تعالى وكذلك قال سالم بن عبد الله وإسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير وقال شعبة عن السدي بلغني أن ابن عباس قال كله لأن المتبادر إلى فهم سامع من يقول قرأت المص إنما ذلك عبارة عن سورة الأعراف لا لمجموع القرآن والله أعلم. وقيل هي اسم من أسماء الله تعالى فقال هذا يرجع إلى معنى قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنه اسم من أسماء السور فإن كل سورة يطلق عليها اسم القرآن فإنه يبعد أن يكون المص اسماً للقرآن وقال مجاهد في رواية أبي حذيفة موسى بن مسعود عن شبل عن ابن أبي نجيح عنه أنه قال الم اسم من أسماء القرآن وهكذا وقال قتادة وزيد بن أسلم ولعل أتى على الإنسان وقال سفيان الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أنه قال: الم وحم والمص وص. فواتح افتتح الله بها القرآن وكذا قال غيره عن مجاهد عليه ويعتضد لهذا بما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة الم السجدة و هل عبد الرحمن بن زيد بن أسلم إنما هي أسماء السور. قال العلامة أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري في تفسيره وعليه إطباق الأكثر ونقل عن سيبويه أنه نص رضي الله عنهم أجمعين وقاله عامر الشعبي وسفيان الثوري والربيع بن خيثم واختاره أبو حاتم بن حبان. ومنهم من فسرها واختلف هؤلاء في معناها فقال أوائل السور فمنهم من قال هي مما استأثر الله بعلمه فردوا علمها إلى الله ولم يفسرها حكاه القرطبي في تفسيره عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود صلى الله عليه وسلم لا ينم حتى يقرأ الم تنزيل السجدة و تبارك الذي بيده الملك تفرد به أحمد. قد اختلف المفسرون في الحروف المقطعة التي في ورواه مسلم أيضاً من حديث سفيان الثوري به وقال الإمام أحمد حدثنا أسود بن عامر أخبرنا الحسن بن صالح عن ليث عن أبي الزبير عن جابر قال كان النبي عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج عن أبي هريرة قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الفجر يوم الجمعة الم تنزيل السجدة و هل أتى على الإنسان سورة السجدة: روى البخاري في كتاب الجمعة حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن سعد بن إبراهيم

لا بالنسبة إلى قدرة الذي بدأهم وخلقهم من العدم الذي إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ولهذا قال تعالى بل هم بلقاء ربهم كافرون. 10 أجسامنا وتفرقت في أجزاء الأرض وذهبت أننا لفي خلق جديد أي أننا لنعود بعد تلك الحال؟ يستبعدون ذلك وهذا إنما هو بعيد بالنسبة إلى قدرهم العاجزة يقول تعالى مخبراً عن المشركين في استبعادهم المعاد حيث قالوا أنذا ضللنا في الأرض أي تمزقت

سبع مرات ينظر هل فيه أحد أمران يتوقاه. رواه ابن أبي حاتم وقوله تعالى ثم إلى ربكم ترجعون أي يوم معادكم وقيامكم من قبوركم لجزائكم. 11 بيت شعر أو مدر إلا وملك الموت يطرف به كل يوم مرتين وقال كعب الأحبار والله ما من بيت فيه أحد من أهل الدنيا إلا وملك الموت يقوم على بابه كل يوم الله محمد رسول الله في تلك الحال العظيمة وقال عبد الرزاق حدثنا محمد بن مسلم عن إبراهيم بن ميسرة قال سمعت مجاهداً يقول: ما على ظهر الأرض من بلغني أنه إنما يتصفحهم عند مواقيت الصلاة فإذا حضرهم عند الموت فإن كان ممن يحافظ على الصلاة دنا منه الملك ودفع عنه الشيطان ولقنه الملك لا إله إلا أنا أعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم والله يا محمد لو أني أردت أن أقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو الأمر بقبضها. قال جعفر

## تفسير ابن كثير

يا محمد طب نفسا وقر عينا فإني بكل مؤمن رفيق واعلم أن ما في الأرض بيت مدر ولا شعر في بر ولا بحر إلا وأنا أتصفحهم في كل يوم خمس مرات حتى الله عليه وسلم إلى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا ملك الموت أرفق بصاحبي فإنه مؤمن فقال ملك الموت: عنهما وروى ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يحيى بن أبي يحيى المقرئ حدثنا عمر بن سمرة عن جعفر بن محمد قال سمعت أبي يقول: نظر رسول الله صلى حويت له الأرض فجعلت مثل الطست تناول منها متى يشاء. ورواه زهير بن محمد عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه مرسلًا. وقاله ابن عباس رضي الله عنه قتادة وغير واحد وله أعوان وهكذا ورد في الحديث أن أعوانه ينتزعون الأرواح من سائر الجسد حتى إذا بلغت الحلقوم تنازلها ملك الموت قال مجاهد أن ملك الموت شخص معين من الملائكة كما هو المتبادر من حديث البراء المتقدم ذكره في سورة إبراهيم وقد سمي في بعض الآثار بعزرائيل وهو المشهور ثم قال تعالى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم الظاهر من هذه الآية

كما كانوا فيها كفارا يكذبون بآيات الله ويخالفون رسله كما قال تعالى ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا الآية. 12 أي إلى الدنيا نعمل صالحا إنا موقنون أي قد أيقنا وتحققنا فيها أن وعدك حق ولقاءك حق وقد علم الرب تعالى منهم أنه لو أعادهم إلى دار الدنيا لكانوا يعودون على أنفسهم بالملامة إذا دخلوا النار بقولهم لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير وهكذا هؤلاء يقولون ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا رؤوسهم أي من الحياء والخجل يقولون ربنا أبصرنا وسمعنا أي نحن الآن نسمع قولك ونطيع أمرًا ما قال تعالى أسمع بهم أبصر يوم يأتوننا وكذلك يخبر تعالى عن حال المشركين يوم القيامة وقالهم حين عاينوا البعث وقاموا بين يدي الله عز وجل حقيرين ذليلين ناكسي

مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين أي من الصنفين فدارهم النار لا محيد لهم عنها ولا محيص لهم منها نعوذ بالله وكلماته التامة من ذلك. 13 قال ههنا ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها كما قال تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا ولكن حق القول

أي بسبب كفركم وتكذيبكم كما قال في الآية الأخرى لا يذوقون فيها برذا ولا شرابا إلا حميما وغساقا إلى قوله فلن نزيدكم إلا عذابا. 14 شيئا ولا يضل عنه شيء بل من باب المقابلة كما قال تعالى فالיום ننسلكم نسيتم لقاء يومكم هذا وقوله تعالى وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون العذاب بسبب تكذيبكم به واستبعادكم وقوعه وتناسيكم له إذا عاملتموه معاملة من هو ناس له إنا ننسلكم أي سنعاملكم معاملة الناسي لأنه تعالى لا ينسى فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا أي يقال لأهل النار على سبيل التقريع والتوبيخ ذوقوا هذا

أي عن اتباعها والانقياد لها كما يفعله الجهلاء من الكفرة الفجرة قال الله تعالى إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين. 15 تعالى إنما يؤمن بآياتنا أي إنما يصدق بها الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا أي استمعوا لها وأطاعوها قولًا وفعلًا وسبحوا بحمد ربه وهم لا يستكبرون

يقول

إلى العشاء فنزلت هذه الآية تتجافى جنوبهم عن المضاجع ثم قال لا نعلم روى أسلم عن بلال سواه وليس له طريق عن بلال غير هذه الطريق. 16 بلال لما نزلت هذه الآية تتجافى جنوبهم عن المضاجع الآية كنا نجلس في المجلس وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون بعد المغرب قليل وقال البزار حدثنا عبد الله بن شبيب حدثنا الوليد بن عطاء بن الأغر حدثنا عبد الحميد بن سليمان حدثني مصعب عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: قال بصوت يسمع الخلائق سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع الآية فيقومون وهم بن إسحاق عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة جزاء مناد فنادى ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم تتجافى جنوبهم عن المضاجع الآية ثم قال حدثنا أبي حدثنا سويد بن سعيد حدثنا علي بن مسهر عن عبد الرحمن كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقال إن شئت نباتك بأبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة وقيام الرجل في جوف الليل سنان الواسطي حدثنا يزيد بن هارون حدثنا قطر بن خليفة عن حبيب بن أبي ثابت والحكم وحكيم بن جرير عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ بن جبل قال: معاذ أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع قال قيام العبد من الليل وروى ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت والحكم عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ مرفوعا بنحوه ومن حديث حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن شهر عن ورواه أيضا من حديث الثوري عن منصور بن المعتمر عن الحكم عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه ومن حديث جنة والصدقة تكف الخطيئة وقيام العبد في جوف الليل وتلا هذه الآية تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون حديث شعبة عن الحكم قال: سمعت عروة بن الزبير يحدث عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم؟ ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه في سننهم من طرق عن معمر بن وهب وقال الترمذي حسن صحيح ورواه ابن جرير من بلسانه ثم قال كف عليك هذا فقلت يا رسول الله وإنا لمؤاخذون مما نتكلم به؟ فقال ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال رسول الله فقال رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله ثم قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ فقلت بلى يا نبي الله فأخذه الليل ثم قرأ تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ جاء بما كانوا يعملون ثم قال ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ فقلت بلى يا شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة وصلاة الرجل في جوف نسير فقلت يا نبي الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله ولا تشرك به

## تفسير ابن كثير

الرزاق أخبرنا معمر عن عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن معاذ بن جبل قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فأصبحت يوما قريبا منه ونحن عندي ورهبة مما عندي حتى أهرق دمه وهكذا رواه أبو داود في الجهاد عن موسى بن إسماعيل عن حماد بن سلمة به نحوه. وقال الإمام أحمد حدثنا عبد ما عليه من الفرار وما له في الرجوع فرجع حتى أهرق دمه رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي فيقول الله عز وجل للملائكة انظروا إلى عبيدي رجع رغبة فيما ربنا من رجلين: رجل ثار من وطائه ولحافه من بين حبه وأهله إلى صلاته رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي ورجل غزا في سبيل الله تعالى فانهزموا فعلم الإمام أحمد حدثنا روح وعفان قالا حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا عطاء بن السائب عن مرة الهمداني عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عجب انشق معروف من الصبح ساطع أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات أن ما قال واقع يبيت يجافي جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالمشركون المضاجع وقال ومقدم هؤلاء وسيدهم لفخرهم الدنيا والآخرة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه وفيما رسول الله يتلو كتابه إذا جماعة يدعون ربهم خوفا وطمعا أي خوفا من وبال عقابه وطمعا في جزيل ثوابه ومما رزقناهم ينفقون فيجمعون بين فعل القربات اللازمة والمتعدية هو الصلاة بين العشاءين وعن أنس أيضا هو انتظار صلاة العتمة رواه ابن جرير بإسناد جيد وقال الضحاك وهو صلاة العشاء في جماعة وصلاة الغداة في قال مجاهد والحسن في قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع معني بذلك قيام الليل وعن أنس وعكرمة ومحمد بن المنكدر وأبي حازم وقتادة ثم قال تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يعني ذلك قيام الليل وترك النوم والاضطجاع على الفرش الوطنية

قلت قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين قال العبد يعمل سرا أسره إلى الله لم يعلم به الناس فأسر الله له يوم القيامة قرة أعين. 17 قال فدخلت على بزاد فحدث بمثل هذا الحديث قال فقلت فأين ذهبت الحسنة قال أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم الآية عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الروح الأمين قال يؤتى بحسنات العبد وسيئاته ينقص بعضها من بعض فإن بقيت حسنة واحدة وسع الله له في الجنة تعلم نفس ما أخفي لهم وقال ابن جرير حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا معتمر بن سليمان عن الحكم بن أبان عن الغطريف عن جابر بن زيد عن ابن عباس اللؤلؤ ومساكنها اللؤلؤ وأنبتها اللؤلؤ وترابها المسك وسبع وتسعون بعد ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم تلا هذه الآية فلا فضة وأرضها فضة ومساكنها فضة وأنبتها فضة وترابها المسك والثانية ذهب وأرضها ذهب ومساكنها ذهب وأنبتها ذهب وترابها المسك والثالثة لؤلؤ وأرضها وروى ابن جرير حدثنا سهل بن موسى الرازي حدثنا الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو عن أبي اليمان الهوزني أو غيره قال: الجنة مائة درجة أولها درجة مرات معهم التحف من الله من جنات عدن ما ليس في جناتهم وذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ويخبرون أن الله عنهم راض نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وقال ابن لهيعة حدثني عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير قال: تدخل عليهم الملائكة في مقدار كل يوم من أيام الدنيا ثلاث معها سبعين سنة ثم يلتفت فإذا هو بامرأة أحسن مما كان فيه فتقول له قد آن لك أن يكون لنا منك نصيب فيقول من أنت؟ فتقول أنا التي قال الله فلا تعلم في مكانه سبعين سنة ثم يلتفت فإذا هو بامرأة أحسن مما كان فيه فتقول له قد آن لك أن يكون لنا منك نصيب فيقول من أنت؟ فتقول أنا من المزيد فيمكث بن المدائني حدثنا أبو بدر بن شجاع بن الوليد حدثنا زياد بن خيثمة عن محمد بن جحادة عن عامر بن عبد الواحد قال: بلغني أن الرجل من أهل الجنة يملك الآتية ورواه الترمذي عن ابن أبي عمر وقال حسن صحيح قال ورواه بعضهم عن الشعبي عن المغيرة ولم يرفعه والمرفوع أصح قال ابن أبي حاتم حدثنا جعفر بيدي وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر قال ومصادقه من كتاب الله عز وجل فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ربي فيقول هذا لك وعشرة أمثاله معه ولك ما اشتئت نفسك ولذت عينك فيقول رضيت رب قال رب فأعلاهم منزله قال أولئك الذين أوردت غرست كرامتهم فيقال له أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول رضيت رب فيقول لك ذلك ومثله ومثله ومثله فقال في الخامسة رضيت رضيت أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال هو رجل يجيء بعدما أدخل أهل الجنة الجنة فيقال له أدخل الجنة فيقول أي رب كيف وقد أخذ الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ بن سعيد سمعا الشعبي يخبر عن المغيرة بن شعبة قال سمعته على المنبر يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال سأل موسى عليه السلام ربه عز وجل ما ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لم يخرجوه وقال مسلم أيضا في صحيحه حدثنا ابن أبي عمر وغيره حدثنا سفيان ثنا مطرف بن طريف وعبد الملك عن عقبة بن عبد الغافر عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يروي عن ربه عز وجل قال أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت بن معروف وهارون بن سعيد كلاهما عن ابن وهب به وقال ابن جرير حدثني العباس بن أبي طالب حدثنا علي بن أسد حدثنا سلام بن أبي مطيع عن قتادة ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قرأ هذه الآية تتجافى جنوبهم عن المضاجع إلى قوله يعملون وأخرجه مسلم في صحيحه عن هارون الساعدي رضي الله عنه يقول شهدت من رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا وصف فيه الجنة حتى انتهى ثم قال في آخر حديثه فيها ما لا عين رأت شر رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة به وروى الإمام أحمد حدثنا هارون حدثنا ابن وهب حدثني أبو صخر أن أبا حازم حدثه قال سمعت سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من يدخل الجنة ينعم لا يبأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابها في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب الله عليه وسلم بمثله ثم قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وقال حماد بن سلمة عن ثابت بن أبي رافع عن أبي هريرة رضي الله عنه قال حماد أحسبه ورواه الترمذي في التفسير وابن جرير من حديث عبد الرحيم بن سليمان عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى وسلم إن الله تعالى قال أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر أخرجه في الصحيحين من رواية عبد الرزاق قال انفرد به البخاري من هذا الوجه وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه عليه ثم قرأ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون قال أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح قرأ أبو هريرة قرات أعين

## تفسير ابن كثير

عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخرا من بله ما اطلعتم سفيان بن عيينة به وقال الترمذي حسن صحيح ثم قال البخاري حدثنا إسحاق بن نصر حدثنا أبو أسامة عن الأعمش حدثنا أبو صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال وحديثنا سفيان حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال الله مثله قيل لسفيان رواية قال فأبي شيء؟ ورواه مسلم والترمذي من حديث تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال أبو هريرة اقرءوا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة آية الله تعالى حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله البصري: أخفى قوم عملهم أخفى الله لهم ما لم ترعين ولم يخطر على قلب بشر. رواه ابن أبي حاتم قال البخاري قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من النعيم المقيم واللذات التي لم يطلع على مثلها أحد لما أخفوا أعمالهم كذلك أخفى الله لهم من الثواب جزاء وفاقا فإن الجزاء من جنس العمل قال الحسن وقوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة آية الله أي فلا يعلم أحد عظمة ما أخفى الله لهم في الجنات

تعالى لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة الآية ولهذا قال تعالى ههنا أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستويون أي عند الله يوم القيامة. 18  
سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون وقال تعالى أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار وقال بمن كان فاسقا أي خارجا عن طاعة ربه مكذبا لرسول الله إليه كما قال تعالى أم حسب الذين اجتروا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات يخبر تعالى عن عدله وكرمه أنه لا يساوي في حكمه يوم القيامة من كان مؤمنا بآياته متعبا لرسوله

قلوبهم بآيات الله وعملوا بمقتضاها وهي الصالحات فلهم جنات المأوى أي التي فيها المساكن والدور والغرف العالية نزلا أي ضيافة وكرامة. 19  
بن يسار والسدي وغيرهما أنها نزلت في علي بن أبي طالب وعقبة بن أبي معيط ولهذا فصل حكمهم فقال أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات أي صدقت وقد ذكر عطاء

وقوله تنزيل الكتاب لا ريب فيه أي لا شك فيه ولا مرية أنه منزل من رب العالمين. 2

لموثقة وإن الأرجل لمقيدة وإن اللهب ليرفعهم والملائكة تقمعهم وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون أي يقال لهم ذلك تقريبا وتوبيخا. 20  
فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها كقوله كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها الآية قال الفضيل بن عياض: والله إن الأيدي وأما الذين فسقوا أي خرجوا عن الطاعة

قال مالك عن زيد بن أسلم قال السدي وغيره لم يبق بيت بمكة إلا دخله الحزن على قتيل لهم أو أسير فأصيبوا أو غرموا ومنهم من جمع له الأمران. 21  
به موقوفا نحوه وعند البخاري عن ابن مسعود نحوه وقال عبد الله بن مسعود أيضا في رواية عنه العذاب الأدنى ما أصابهم من القتل والسبي يوم بدر وكذا عن أبي بن كعب في هذه الآية ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر قال القمر والدخان قد مضيا والبطشة والزام ورواه مسلم من حديث شعبة الإمام أحمد حدثني عبد الله بن عمر القواريري حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة عن قتادة عن عروة عن الحسن العوفي عن يحيى بن الجزار عن ابن أبي ليلى إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص وأبي عبيدة عن عبد الله ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر قال سنون أصابتهم وقال عبد الله بن به إقامة الحدود عليهم. وقال البراء بن عازب ومجاهد وأبو عبيدة يعني به عذاب القبر. وقال النسائي أخبرنا عمرو بن علي أخبرنا عبد الرحمن بن مهدي عن بن كعب وأبي العالية والحسن وإبراهيم النخعي والضحاك وعلقمة وعطية ومجاهد وقتادة وعبد الكريم الجزري وخصيف وقال ابن عباس في رواية عنه يعني العذاب الأكبر قال ابن عباس يعني بالعذاب الأدنى مصائب الدنيا وأسقامها وآفاتهما وما يحل بأهلها مما يبتلي الله به عباده ليتوبوا إليه وروي مثله عن أبي وقوله تعالى ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون

ظالم ينصره فقد أجرم يقول الله تعالى إنا من المجرمين منتقمون ورواه ابن أبي حاتم من حديث إسماعيل بن عياش به وهذا حديث غريب جدا. 22  
بن أمية عن معاذ بن جبل قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ثلاث من فعلهن فقد أجرم: من عقد لواء في غير حق أو عق والديه أو مشى مع وروى ابن جرير حدثني عمران بن بكار الكلاعي حدثنا محمد بن المبارك حدثنا إسماعيل بن عياش حدثنا عبد العزيز بن عبيد الله عن عبادة بن نسي عن جنادة الغرة وأعوز أشد العوز وعظم من أعظم الذنوب ولهذا قال تعالى متهددا لمن فعل ذلك إنا من المجرمين منتقمون أي سأنتقم ممن فعل ذلك أشد الانتقام. له ووضحها ثم بعد ذلك تركها وجدها وأعرض عنها وتناساها كأنه لا يعرفها. قال قتادة إياكم والإعراض عن ذكر الله فإن من أعرض عن ذكره فقد اغتر أكبر وقوله تعالى ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها أي لا أظلم ممن ذكره الله بآياته وبينها

الذي آتيناه هدى لبني إسرائيل كما قال تعالى في سورة الإسراء وآتيناه موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل أن لا تتخذوا من دوني وكيلا. 23  
إسرائيل قال جعل موسى هدى لبني إسرائيل وفي قوله فلا تكن في مرية من لقائه قال من لقاء موسى ربه عز وجل وقوله تعالى وجعلناه أي الكتاب حدثنا روح بن عبادة حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أبي العالية عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وجعلناه هدى لبني فلا تكن في مرية من لقائه أنه قد رأى موسى ولقي موسى ليلة أسري. وقال الطبراني حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا الحسن بن علي الحلواني جعدا كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى رجلا مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس ورأيت مالكا خازن النار والرجال في آيات أراهن الله إياه العالية الرياحي قال حدثني ابن عم نبيكم يعني ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أريت ليلة أسري بي موسى بن عمران رجلا آدم طولا

## تفسير ابن كثير

عن عبده ورسوله موسى عليه السلام أنه آتاه الكتاب وهو التوراة وقوله تعالى فلا تكن في مرية من لقائه قال قتادة يعني به ليلة الإسراء ثم روي عن أبي يقول تعالى مخبرا

ولهذا قال تعالى ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين وآتيناهم بينات من الأمر الآية. 24  
ألم تسمع قوله وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا قال لما أخذوا برأس الأمر صاروا رؤوسا قال بعض العلماء بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين من الخبز وقال ابن بنت الشافعي قرأ أبي على عمي أو عمي على أبي سئل سفيان عن قول علي رضي الله عنه الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد صالح قال سفيان: هكذا كان هؤلاء ولا ينبغي للرجل أن يكن إماما يقتدى به حتى يتحامى عن الدنيا قال وكيع قال سفيان لا بد للدين من العلم كما لا بد للجسد مواضعه فلا عملا صالحا ولا اعتقادا صحيحا ولهذا قال تعالى ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب قال قتادة وسفيان لما صبروا عن الدنيا وكذلك قال الحسن بن بامر الله ويدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ثم لما بدلوا وحرّفوا وأولوا سلبوا ذلك المقام وصارت قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون أي لما كانوا صابرين على أوامر الله وترك زواجه وتصديق رسله واتباعهم فيما جاءهم به كان منهم أئمة يهدون إلى الحق قوله تعالى وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا

قال هنا إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون أي من الاعتقادات والأعمال. 25

وما حل بهم بسبب تكذيبهم الرسل ونجاة من آمن بهم لآيات وعبرا ومواعظ ودلائل متناظرة أفلا يسمعون أي أخبار من تقدم كيف كان أمرهم. 26  
أفلم يسيروا في الأرض إلى قوله ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ولهذا قال ههنا إن في ذلك لآيات أي إن في ذهاب أولئك القوم ودمارهم لم ينفوا فيها كما قال فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا وقال وكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد ولهذا قال يمشون في مساكنهم أي وهؤلاء المكذبون يمشون في مساكن أولئك المكذابين فلا يرون فيها أحدا ممن كان يسكنها ويعمرها ذهبوا منها كأن بتكذيبهم الرسل ومخالفتهم إياهم فيما جاءهم به من قويم السبل فلم يبق منهم من باقية ولا عين ولا أثر هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا يقول تعالى أو لم يهد لهؤلاء المكذابين بالرسول ما أهلك الله قبلك من الأمم الماضية

والضحك وكتادة والسدي وابن زيد الأرض الجرز التي لا نبات فيها وهي مغبرة قلت وهذا كقوله تعالى وآية لهم الأرض الميتة أحييناها آياتين. 27  
مطرا لا يغني عنها شيئا إلا ما يأتيها من السيول وعن ابن عباس ومجاهد هي أرض باليمن وقال الحسن رحمه الله هي قرى فيما بين اليمن والشام وقال عكرمة صببنا الماء صبا الآية ولهذا قال ههنا أفلا يبصرون وقال ابن أبي نجیح عن رجل عن ابن عباس في قوله إلى الأرض الجرز قال هي التي لا مطر إلا تعالى أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون كما قال تعالى فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا النيل ستة عشر ذراعا في ليلة واحدة وقد قطع الله تلك السنة عن أهل مصر إلى اليوم. رواه الحافظ أبو القاسم اللالكاني الطبري في كتاب السنة له ولهذا قال إنما تجري من قبلك فلا تجري وإن كان الله الواحد هو الذي يجري فنسأل الله أن يجريك قال فألقى البطاقة في النيل فأصبحوا يوم السبت وقد أجرى الله داخل كتابي هذا فألقها في النيل فلما قدم كتابه أخذ عمرو البطاقة ففتحها فإذا فيها: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر. أما بعد فإنك إن كنت فأقاموا بؤونة والنيل لا يجري حتى هموا بالجلاء فكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب بذلك فكتب إليه عمر إنك قد أصبت بالذي فعلت وقد بعثت إليك ببطاقة فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلي والثياب أفضل ما يكون ثم ألقيناها في النيل فقال لهم عمرو إن هذا لا يكون في الإسلام إن الإسلام يهدم ما كان قبله أشهر العجم فقالوا أيها الأمير إن لنيلنا هذا سنة لا يجري إلا بها قال وما ذاك؟ قالوا إذا كانت ثنتا عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها الكريم المنان المحمود أبداً وقال ابن لهيعة عن قيس بن حجاج عن حذثة قال: لما فتحت مصر أتى أهلها عمرو بن العاص وكان أميراً بها حين دخل بؤونة من إلى ذلك الماء وذلك الطين أيضا لينبت الزرع فيه فيستغلون كل سنة على ماء جديد ممطور في غير بلادهم وطين جيد من غير أرضهم فسبحان الحكيم فيسوق الله تعالى إليها النيل بما يتحملة من الزيادة الحاصلة من أمطار بلاد الحبشة وفيه طين أحمر فيغشى أرض مصر وهي أرض سبخة مرملة محتاجة فليست هي المقصودة وحدها ولكنها مرادة قطعاً من هذه الآية فإنها في نفسها أرض رخوة غليظة تحتاج من الماء ما لو نزل عليها مطراً لتهدمت أبنيتهما ما عليها صعيداً جزاً أي يبسا لا تنبت شيئا وليس المراد من قوله إلى الأرض الجرز أرض مصر فقط بل بعض المقصود وإن مثل بها كثير من المفسرين الأنهار ويتحدر من الجبال إلى الأراضي المحتاجة إليه في أوقاته ولهذا قال تعالى إلى الأرض الجرز وهي التي لا نبات فيها كما قال تعالى وإنا لجاعلون قوله تعالى أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز يبين تعالى لطفه بخلقه وإحسانه إليهم في إرساله الماء إما من السماء أو من السبح وهو ما تحمله أي متى تنصر علينا يا محمد؟ كما تزعم أن لك وقتاً تدال علينا وينتقم لك منا فمتى يكون هذا ما نراك أنت وأصحابك إلا مختفين خائفين ذليلين. 28  
يقول تعالى مخبرا استعجال الكفار ووقوع بأس الله بهم وحلول غضبه ونقمته عليهم استبعادا وتكذيبا وعنادا ويقولون متى هذا الفتح

واستفتحوها وخاب كل جبار عنيد وقال تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا وقال تعالى إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح. 29  
وإنما المراد الفتح الذي هو القضاء والفصل كقوله فافتح بيني وبينهم فتحا الآية وكقوله قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق الآية وقال تعالى إسلام الطلقاء وقد كانوا قريبا من ألفين ولو كان المراد فتح مكة لما قبل إسلامهم لقوله تعالى قل يوم الفتح لا ينفق الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون بما عندهم من العلم الآيتين ومن زعم أن المراد هذا الفتح فتح مكة فقد أبعد النجعة وأخطأ فأفحش فإن يوم الفتح قد قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم

## تفسير ابن كثير

حل بكم بأس الله وسخطه وغضبه في الدنيا وفي الآخرة لا ينفذ الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون كما قال تعالى فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا قال الله تعالى قل يوم الفتح أي إذا

أم يقولون افتراه أي اختلقه من تلقاء نفسه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون أي يتبعون الحق. 3  
ثم قال تعالى مخبرا عن المشركين

ما ينتظرونه فيك وفي أصحابك من وبيل عقاب الله لهم وحلول عذابه بهم وحسبنا الله ونعم الوكيل. آخر تفسير سورة السجدة ولله الحمد والمنة. 30  
بكم الدوائر أم يقولون شاعر نتريص به ريب المنون وسترى أنت عاقبة صبرك عليهم وعلى أداء رسالة الله في نصرتك وتأييدك وسيجدون غيب الآيات وانتظر فإن الله سينجز لك ما وعدك وسينصرك على من خالفك إنه لا يخلف الميعاد وقوله إنهم ينتظرون أي أنت منتظر وهم منتظرون ويتريصون فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون أي عرض عن هؤلاء المشركين وبلغ ما أنزل إليك من ربك كقوله تعالى اتبع ما أوحى إليك من ربك لا إله إلا هو ثم قال تعالى

السياق. وقد علله البخاري في كتاب التاريخ الكبير فقال وقال بعضهم أبو هريرة عن كعب الأحبار وهو أصح وكذا علله غير واحد من الحفاظ والله أعلم. 4  
ابن محمد الأعمش عن ابن جريج عن إسماعيل بن أمية عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحو من هذا وطبيها وخبيثها من أجل ذلك جعل الله من بني آدم الطبيب والخبيث هكذا أورد هذا الحديث إسنادا ومتنا وقد أخرج مسلم والنسائي أيضا من حديث حجاج والمكروه يوم الثلاثاء والنور يوم الأربعاء والدواب يوم الخميس وآدم يوم الجمعة في آخر ساعة من النهار بعد العصر وخلق من أديم الأرض أحمرها وأسودها الله خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش في اليوم السابع فخلق التربة يوم السبت والجبال يوم الأحد والشجر يوم الاثنين حدثنا أبو عبيدة الحداد حدثنا الأخضر بن عجلان عن أبي جريج المكي عن عطاء عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيدي فقال إن له نظير أو شريك أو وزير أو نديد أو عدل لا إله إلا هو ولا رب سواه وقد أورد النسائي ههنا حديثا فقال: حدثنا إبراهيم بن يعقوب حدثني محمد بن الصباح على كل شيء فلا ولي لخلقه سواه ولا شفيع إلا من بعد إذنه أفلا تتذكرون يعني أيها العابدون غيره المتوكلون على من عداه تعالى وتقدس وتنزه أن يكون ثم استوى على العرش وقد تقدم الكلام على ذلك ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أي بل هو المالك لأزمة الأمور الخالق لكل شيء المدبر لكل شيء القادر يخبر تعالى أنه الخالق للأشياء فخلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام

في مسيرة خمسمائة عام وصعوده في مسيرة خمسمائة عام ولكنه يقطعها في طرفة عين. ولهذا قال تعالى في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون. 5  
ديوانها فوق سماء الدنيا ومسافة ما بينها وبين الأرض مسيرة خمسمائة سنة وسمك السماء خمسمائة سنة: وقال مجاهد وقتادة والضحاك النزول من الملك أعلى السماوات إلى أقصى تخوم الأرض السابعة كما قال تعالى الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلن ينزل الأمر بينهن الآية وترفع الأعمال إلى وقوله تعالى يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه أي ينزل أمره من

له العباد والرقاب الرحيم بعباده المؤمنين فهو عزيز في رحمته رحيم في عزته وهذا هو الكمال العزة مع الرحمة والرحمة مع العزة فهو رحيم بلا ذل. 6  
أي المدبر لهذه الأمور الذي هو شهيد على أعمال عباده يرفع إليه جليلها وحقيقتها وصغيرها وكبيرها هو العزيز الذي قد عز كل شيء فقهره وغلبه ودانت ذلك عالم الغيب والشهادة

ثم لما ذكر تعالى خلق السموات والأرض شرع في ذكر خلق الإنسان فقال تعالى وبدأ خلق الإنسان من طين يعني خلق أبا البشر آدم من طين. 7  
الذي أحسن خلق الأشياء وأتقنها وأحكمها وقال مالك عن زيد بن أسلم الذي أحسن كل شيء خلقه قال أحسن خلق كل شيء كأنه جعله من المقدم والمؤخر يقول تعالى مخبرا أنه

أي يتناسلون كذلك من نطفة تخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة. 8

السمع والأبصار والأفئدة يعني العقول قليلا ما تشكرون أي بهذه القوى التي رزقكموها الله عز وجل فالسعيد من استعملها في طاعة ربه عز وجل. 9  
ثم سواه يعني آدم لما خلقه من تراب خلقه سويا مستقيما ونفخ فيه من روحه وجعل لكم

## سورة 33

أي لا تسمع منهم ولا تستشرهم إن الله كان عليما حكيما أي فهو أحق أن تتبع أوامره وتطيعه فإنه عليم بعواقب الأمور حكيما في أقواله وأفعاله. 1  
أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وأن تترك معصية الله على نور من الله مخافة عذاب الله. قوله تعالى ولا تطع الكافرين والمنافقين هذا تنبيه بالأعلى على الأدنى فإنه تعالى إذا كان يأمر عبده ورسوله بهذا فلا تأمر من دونه بذلك بطريق الأولى والأخرى وقد قال طلق بن حبيب: التقوى من وجه آخر عن عاصم وهو ابن أبي النجود وهو أبو بهدلة به وهذا إسناد حسن وهو يقتضي أنه قد كان فيها قرآن ثم نسخ لفظه وحكمه أيضا والله أعلم. وسبعين آية فقال قط لقد رأيتهما وإنها لتعادل سورة البقرة ولقد قرأنا فيها الشيخ والشيخة إذا زنا فارجموه البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم ورواه النسائي

## تفسير ابن كثير

أحمد حدثنا خلف بن هشام حدثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن زر قال: قال لي أبي بن كعب كأيّن تقرأ سورة الأحزاب أو كأيّن تعدّها؟ قال قلت ثلاثا سورة الأحزاب: قال الإمام

نعم قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا قال فضرب وجوه أعدائه بالريح فهزمهم الريح وكذا رواه الإمام أحمد بن حنبل عن أبي عامر العقدي. 10  
أبي سعيد عن أبيه عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قلنا يوم الخندق يا رسول الله هل من شيء نقول فقد بلغت القلوب الحناجر؟ قال صلى الله عليه وسلم  
عاصم الأنصاري حدثنا أبو عامر ح وحدثنا أبي حدثنا أبو عامر العقدي حدثنا الزبير يعني ابن عبد الله مولى عثمان رضي الله عنه عن ربيع بن عبد الرحمن بن  
وسلم وأصحابه يستأصلون وأيقن المؤمنون أن ما وعد الله ورسوله حق وأنه سيظهره على الدين كله ولو كره المشركون وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن  
وأحدنا لا يقدر على أن يذهب إلى الغائط وقال الحسن في قوله عز وجل وتظنون بالله الظنونا ظنون مختلفة ظن المنافقون أن محمدا صلى الله عليه  
وتظنون بالله الظنونا ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق حتى قال معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف كان محمد يعندا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر  
الله صلى الله عليه وسلم أن الدائرة على المؤمنين وأن الله سيفعل ذلك وقال محمد بن إسحاق في قوله تعالى: وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر  
أنهم بنو قريظة وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر أي من شدة الخوف والفزع وتظنون بالله الظنونا قال ابن جرير ظن بعض من كان مع رسول  
إذا حزبه أمر صلى من حديث عكرمة بن عمار به وقوله تعالى: إذ جاءوكم من فوقكم أي الأحزاب ومن أسفل منكم تقدم عن حذيفة رضي الله عنه  
عليكم إذ جاءكم جنود فارس عليهم ريح وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا وأخرج أبو داود في سننه منه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فأسبل علي شملة وكان رسول الله إذا حزبه أمر صلى فأخبرته خبر القوم وأخبرته أنني تركتهم يرتحلون وأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله  
وهو مشتمل في شملة يصلي فوالله ما عدا أن رجعت راجعني القر وجعلت أقرقف فأومأ إلي سول الله صلى الله عليه وسلم بيده وهو يصلي فدنوت منه  
أو نحو من ذلك إذا أنا بنحو من عشرين فارسا أو نحو ذلك معتمين فقال أخبر صاحبك أن الله تعالى كفاه القوم فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
عسكرهم شبرا فوالله إني لأسمع صوت الحجارة في رحالهم وفرشهم الريح تضربهم بها ثم خرجت نحو النبي صلى الله عليه وسلم فلما انتصفت في الطريق  
ثم إني شجعت نفسي حتى دخلت العسكر فإذا أدنى الناس مني بنو عامر يقولون يا آل عامر الرحيل الرحيل لا مقام لكم. وإذا الريح في عسكرهم ما تجاوز  
قوسي لأرميه به في ضوء النار فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحدثن فيهم شيئا حتى تأتيني قال فأمسكت ورددت سهمي إلى كنانتي  
ضخم يقول بيده على النار وبمسح خاصرته ويقول الرحيل الرحيل ولم أكن أعرف أبا سفيان قبل ذلك فانتزعت سهمي من كنانتي أبيض الريش فأضعه في كبد  
الله عليه وسلم يا حذيفة لا تحدثن في القوم شيئا حتى تأتيني قال فخرجت حتى إذا دنوت من عسكر القوم نظرت في ضوء نار لهم توقد فإذا رجل أدهم  
يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته قال فوالله ما خلق الله تعالى فرعا ولا قرا في جوفي إلا خرج من جوفي فما أجد فيه شيئا قال فلما وليت قال صلى  
بخبر القوم قال وأنا من أشد الناس فرعا وأشهدهم قرا قال فخرجت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن  
فقال: من هذا؟ فقلت حذيفة قال حذيفة فتقاصرت الأرض فقلت: بلى يا رسول الله كراهية أن أقوم فقممت فقال: إنه كائن في القوم خير فأتيتني  
وسلم رجلا رجلا حتى أتى علي وما علي جنة من العدو ولا من البرد إلا مرط لأمراة ما يجاوز ركبتني قال فأتاني صلى الله عليه وسلم وأنا جاث على ركبتني  
إن بيوتنا عورة وما هي بعورة فما يستأذنه أحد منهم إلا أذن له ويأذن لهم فيتسللون ونحن ثلثمائة أو نحو ذلك إذا استقبلنا رسول الله صلى الله عليه  
أشد ظلمة ولا أشد ريحا في أصوات ربحها أمثال الصواعق وهي ظلمة ما يرى أحدنا أصبعه فجعل المنافقون يستأذنون النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون:  
ذلك لقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافون قعودا وأبو سفيان ومن معه من الأحزاب فوقنا وقريظة لليهود أسفل منا نخافهم على ذرارينا وما أتت علينا قط  
قال ذكر حذيفة رضي الله عنه مشاهدتهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جلساؤه أما والله لو شهدنا ذلك لكنا فعلنا وفعلنا. فقال حذيفة لا تمنوا  
الله عنه نحو ذلك أيضا وقد أخرجه الحاكم والبيهقي في الدلائل من حديث عكرمة بن عمار عن محمد بن عبد الله الدؤلي عن عبد العزيز ابن أخي حذيفة  
لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الخندق في ليلة باردة مطيرة ثم ذكر نحو ما تقدم مطولا. وروى بلال بن يحيى العباسي عن حذيفة رضي  
ولم ندركه ورأيتموه ولم نره فقال حذيفة رضي الله عنه ونحن نشكو إلى الله إيمانكم به ولم تروه والله لا تدري يا ابن أخي لو أدركته كيف كنت تكون  
بن بكير عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم قال إن رجلا قال لحذيفة رضي الله عنه نشكو إلى الله صحبتكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنكم أدركتموه  
وألبسني من فضل عبادة كانت عليه يصلي فيها فلم أزل نائما حتى أصبح فلما أن أصبحت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا نومان ورواه يونس  
قال فرجعت كأنما أمشي في حمام فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أصابني البرد حين فرغت وقررت فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم  
أبو سفيان يصلي ظهره بالنار فوضعت سهمي في كبد قوسي وأردت أن أرميه ثم ذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تذعروهم علي ولو رميته لأصبت  
فأتنا بخبر من القوم فلم أجد بدا إذ دعاني باسمي أن أقوم فقال: انتني بخبر القوم ولا تذعروهم علي قال فمضيت كأنما أمشي في حمام حتى أتيتهم فإذا  
الله عليه وسلم ألا رجل يأتي بخبر القوم يكون معي يوم القيامة فلم يجبه منا أحد ثم الثانية ثم الثالثة مثله ثم قال صلى الله عليه وسلم يا حذيفة قم  
عليه وسلم قاتلت معه وأبليت: فقال له حذيفة أنت كنت تفعل ذلك؟ لقد رأيتنا مع رسول الله ليلة الأحزاب في ليلة ذات ريح شديدة وقر فقال رسول الله صلى  
مسلم في صحيحه من حديث الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال: كنا عند حذيفة بن اليمان رضي الله عنه فقال له رجل لو أدركت رسول الله صلى الله  
بين رجله وطرح علي طرف المرط ثم ركع وسجد وإني لفقه فلما سلم أخبرته الخبر وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين إلى بلادهم وقد رواه  
لو شئت لقتلته بسهم قال حذيفة رضي الله عنه فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه مرحل فلما رأيته أدخلني

## تفسير ابن كثير

معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث فما أطلق عقاله إلا وهو قائم ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلي أن لا تحدث شيئا حتى تأتيني وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذه الرياح ما ترون والله ما تطمنن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا فإني مرتحل ثم قام إلى جملة وهو جنبي فقلت من أنت؟ فقال أنا فلان بن فلان ثم قال أبو سفيان يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة تفعل لا تقر لهم قرارا ولا نارا ولا بناء فقام أبو سفيان فقال يا معشر قريش لينظر كل امرئ من جلسه. قال حذيفة رضي الله عنه فأخذت بيد الرجل الذي إلى يا حذيفة اذهب فادخل في القوم فانظر ما يفعلون ولا تحدث شيئا حتى تأتينا قال فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله عز وجل تفعل بهم ما رجل من القوم من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد فلما لم يقيم أحد دعائي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني فقال رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع؟ يشترط له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجعة أسأل الله تعالى أن يكون رفيقي في الجنة فما قام الله عليه وسلم هوبا من الليل ثم التفت إلينا فقال ثم التفت إلينا فقال من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم؟ يشترط له النبي صلى الله عليه وسلم أن يرجع أدخله الله الجنة قال فما قام رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هوبا من الليل ثم التفت إلينا فقال: يا ابن أخي قال وكيف كنتم تصنعون؟ قال والله لقد كنا نجهد قال الفتى والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ولحملناه على أعناقنا. قال: قال حذيفة بن كعب القرظي قال: قال فتى من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان رضي الله عنه يا أبا عبد الله رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتموه؟ قال نعم يقول يا بني فلان إلي فيجتمعون إليه فيقول النجاء النجاء لما ألقى الله عز وجل في قلوبهم من الرعب وقال محمد بن إسحاق عن يزيد بن زياد عن محمد وقع بعض ذلك الحديد على كفي فأبعدها إلى الأرض. وقوله وجنودا لم تروها هم الملائكة زلزلتهم وألقت في قلوبهم الرعب والخوف فكان رئيس كل قبيلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال فما يلوي أحد منهم عنقه قال وكان معي ترس لي فكانت الريح تضربه علي وكان فيه حديد قال فضربته الريح حتى الله صلى الله عليه وسلم فأذن لي وقال من أتيت من أصحابي فمرهم يرجعوا قال فذهبت والريح تسفي كل شيء فجعلت لا ألقى أحدا إلا أمرته بالرجوع الله عنهما قال: أرسلني خالي عثمان بن مظعون رضي الله عنه ليلة الخندق في برد شديد وريح إلى المدينة فقال ائتنا بطعام ولحاف قال فاستأذنت رسول عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره وقال ابن جرير أيضا حدثنا يونس حدثنا ابن وهب حدثني عبيد الله بن عمر عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي فقالت الشمال إن الحرة لا تسري بالليل قال فكانت الريح التي أرسلت عليهم الصبا ورواه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الأشج عن حفص بن غياث عن داود عن جرير حدثني محمد بن المثنى حدثنا عبد الأعلى حدثنا داود عن عكرمة قال: قالت الجنوب للشمال ليلة الأحزاب انطلقني ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا قال مجاهد وهي الصبا ويؤيده الحديث الآخر نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وقال ابن الهبوب قوية حتى لم يبق لهم خيمة ولا شيء ولا توقد لهم نار ولا يقر لهم قرار حتى ارتحلوا خائبين خاسرين كما قال الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اذكروا أحد فأمر عليا رضي الله عنه فخرج إليه فتجاوزا ساعة ثم قتله علي رضي الله عنه فكان علامة على النصر. ثم أرسل الله عز وجل على الأحزاب ريحا شديدة الجاهلية ركب ومعه فوارس فاقتحموا الخندق وخلصوا إلى ناحية المسلمين فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم خيل المسلمين إليه فقال إنه لم يبرز إليه الله عليه وسلم وأصحابه قريبا من شهر إلا أنهم لا يصلون إليهم ولم يقع بينهم قتال إلا أن عمرو بن عبد ود العامري وكان من الفرسان الشجعان المشهورين في عليه وسلم فعظم الخطب واشتد الأمر وضاق الحال كما قال الله تبارك وتعالى هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا ومكتوا محاصرين للنبي صلى من النبي وذمة وهم قريب من ثمانمائة مقاتل فذهب إليهم حيي بن أخطب النضري فلم يزل بهم حتى نقضوا العهد وما لأوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم يحجب الخيالة والرجالة أن تصل إليهم وجعل النساء والذراري في أطام المدينة وكانت بنو قريظة وهم طائفة من اليهود لهم حصن شرق المدينة ولهم عهد ومن معه من المسلمين وهم نحو من ثلاثة آلاف وقيل سبعمائة فأسندوا ظهورهم إلى سلع ووجوههم إلى نحو العدو والخندق حفير ليس فيه ماء بينهم وبينهم كما قال الله تعالى إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم

الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم إنهم ابتلوا واختبروا وزلزلوا زلزالا شديدا فحينئذ ظهر النفاق وتكلم الذين في قلوبهم مرض بما في أنفسهم. 11 يقول تعالى مخبرا عن ذلك الحال حين نزل الأحزاب حول المدينة والمسلمون محصورون في غاية الجهد والضيق ورسول

فنجم نفاقه والذي في قلبه شبهة أو حسكة لضعف حاله فتنفس بما يجده من الوسواس في نفسه لضعف إيمانه وشدة ما هو فيه من ضيق الحال. 12 وإذا يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا أما المنافق

ما يحجبها من العدو فهم يخشون عليها منهم قال الله تعالى وما هي بعورة أي ليست كما يزعمون إن يريدون إلا فرارا أي هربا من الزحف. 13 نخاف عليها السراق وكذا قال غير واحد وذكر ابن إسحاق أن القائل لذلك هو أوس بن قيثي يعني اعتذروا في الرجوع إلى منازلهم بأنها عورة أي ليس دونها في مقام المراقبة فارجعوا أي إلى بيوتكم ومنازلكم ويستأن فريق منهم النبي قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما هم بنو حارثة قالوا بيوتنا للمدينة يا طيبة يا طيبة لا تقلي الكنوز أرفع أحاجرك على أحاجر القرى وقوله لا مقام لكم أي ههنا يعنون عند النبي صلى الله عليه وسلم وطابة وطيبة والمسكينة والجارية والمحبة والمحبوبة والقاصمة والمجبورة والعذراء والمرحمة. وعن كعب الأحبار قال: إنا نجد في التوراة يقول الله تعالى بن عبيد بن مهلاييل بن عوص بن عملاق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح. قاله السهيلي قال وروي عن بعضهم أنه قال: إن لها في التوراة أحد عشر اسما: المدينة تعالى إنما هي طابة هي طابة تفرد به الإمام أحمد وفي إسناده ضعف والله أعلم ويقال إنما كان أصل تسميتها يثرب برجل نزلها من العماليق يقال له يثرب



## تفسير ابن كثير

عن يزيد بن زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن البراء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله أرض بين حرتين فذهب وهلي أنها هجر فإذا هي يثرب وفي لفظ المدينة فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد حدثنا إبراهيم بن مهدي حدثنا صالح بن عمر وقوم آخرون قالوا كما قال الله تعالى وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب يعني المدينة كما جاء في الصحيح أريت في المنام دار هجرتكم

وهم لا يحافظون على الإيمان ولا يستمسكون به مع أدنى خوف وفزع هكذا فسره قتادة وعبد الرحمن بن زيد وابن جرير وهذا ذم لهم في غاية الذم. 14 إن يريدون إلا فرارا أنهم لو دخل عليهم الأعداء من كل جانب من جوانب المدينة وقطر من أقطارها ثم سئلوا الفتنة وهي الدخول في الكفر لكفروا سريعا يخبر تعالى عن هؤلاء الذين يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة

الله من قبل هذا الخوف أن لا يولوا الأدبار ولا يفرون من الزحف وكان عهد الله مسئولا أي وأن الله تعالى سيسألهم عن ذلك العهد لا بد من ذلك. 15 ثم قال تعالى يذكرهم بما كانوا عاهدوا

ذلك سببا في تعجيل أخذهم غرة ولهذا قال تعالى وإذا لا تمتنعون إلا قليلا أي بعد هربكم وفراركم قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى. 16 ثم أخبرهم أن فرارهم ذلك لا يؤخر آجالهم ولا يطول أعمارهم بل ربما كان

الله أي يمنعكم إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا أي ليس لهم ولا لغيرهم من الله مجير ولا مغيث. 17 ثم قال تعالى قل من ذا الذي يعصمكم من

إلينا أي إلى ما نحن فيه من الإقامة في الظلال والثمار وهم مع ذلك لا يأتون البأس إلا قليلا أشحة عليكم أي بخلاء بالمودة والشفقة عليكم. 18 يخبر تعالى عن إحاطة علمه بالمعوقين لغيرهم عن شهود الحرب والقائلين لإخوانهم أي أصحابهم وعشرائهم وخطائهم هلم

وهو الحمار وفي الحرب كأنهم النساء الحيض ولهذا قال تعالى أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا أي سهلا هينا عنده. 19 فهم كما قال في أمثالهم الشاعر: أفي السلم أعيار جفاء وغلظة وفي الحرب أمثال النساء العوارك أي في حال المسالمة كأنهم الحمر والأعيار جمع عير أعطونا قد شهدنا معكم وأما عند البأس فأجبن قوم وأخذله للحق وهم مع ذلك أشحة على الخير أي ليس فيهم خير قد جمعوا الجبن والكذب وقلة الخير والنجدة وهم يكذبون في ذل وقال ابن عباس رضي الله عنهما سلقوكم أي استقبلوكم وقال قتادة أما عند الغنيمة فأشح قوم وأسوأهم مقاسمة أعطونا الجبناء من القتال فإذا ذهب الخوف سلقوكم بأسنة حداد أي فإذا كان الأمن تكلموا كلاما بليغا فصيحا عاليا وادعوا لأنفسهم المقامات العالية في الشجاعة عليكم أي في الغنائم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت أي من شدة خوفه وجزعه وهكذا خوف هؤلاء وقال السدي أشحة

ولهذا قال تعالى واتبع ما يوحى إليك من ربك أي من قرآن وسنة إن الله كان بما تعملون خبيرا أي فلا تخفى عليه خافية. 2

كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا أي ولو كانوا بين أظهركم لما قاتلوا معكم إلا قليلا لكثرة جبنهم وذلتهم وضعف يقينهم والله سبحانه وتعالى العالم بهم. 20 أنبأكم أي ويودون إذا جاءت الأحزاب أنهم لا يكونون حاضرين معكم في المدينة بل في البادية يسألون عن أخباركم وما كان من أمركم مع عدوكم ولو والخور والخوف يحسبون الأحزاب لم يذهبوا بل هم قريب منهم وإن لهم عودة إليهم وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن وهذا أيضا من صفاتهم القبيحة في الجبن

الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ثم قال تعالى مخبرا عن عباده المؤمنين المصدقين بوعود الله لهم وجعله العاقبة حاصلة لهم في الدنيا والآخرة. 21 أمرهم يوم الأحزاب لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة أي هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال تعالى لمن كان يرجوا ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين ولهذا قال تعالى للذين تقلقوا وتضجروا وتزلزلوا واضطربوا في التأسى برسول الله في أقواله وأفعاله وأحواله ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته هذه الآية الكريمة أصل كبير في

قوله جلت عظمتهم وما زادهم أي ذلك الحال والضيق والشدة إلا إيمانا بالله وتسليما أي انقيادا لأوامره وطاعة لرسوله صلى الله عليه وسلم. 22 على زيادة الإيمان وقوته بالنسبة إلى الناس وأحوالهم كما قال جمهور الأئمة إنه يزيد وينقص وقد قررنا ذلك في أول شرح البخاري ولله الحمد والمنة ومعنى ورسوله من الابتلاء والاختبار والامتحان الذي يعقبه النصر القريب ولهذا قال تعالى وصدق الله ورسوله وقوله تعالى وما زادهم إلا إيمانا وتسليما دليل مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب أي هذا ما وعدنا الله وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة يعنون قوله تعالى في سورة البقرة أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم فقال تعالى ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما

عليه وما نقضوه كفعل المنافقين الذين قالوا إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار. 23 وكذا قال قتادة وابن زيد وقال بعضهم نحبه نذره: وقوله تعالى وما بدلوا تبديلا أي وما غيروا عهدهم وبدلوا الوفاء بالغدر بل استمروا على ما عاهدوا الله

## تفسير ابن كثير

فيصدق في اللقاء وقال الحسن فمنهم من قضى نحبه يعني موته على الصدق والوفاء ومنهم من ينتظر الموت على مثل ذلك ومنهم من لم يبدل تبديلا عليه وسلم يقول طلحة ممن قضى نحبه ولهذا قال مجاهد في قوله تعالى فمنهم من قضى نحبه يعني عهده ومنهم من ينتظر قال يوما فيه القتال الحماني عن إسحاق بن يحيى بن طلحة الطلحي عن موسى بن طلحة قال: قام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه فقال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول طلحة ممن قضى نحبه ورواه ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عبد الحميد طلحة بن عبيد الله عن موسى بن طلحة قال: دخلت على معاوية رضي الله عنه فلما خرجت دعاني فقال ألا أضع عندك يا ابن أخي حديثا سمعته من رسول وقال حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث يونس وقال أيضا حدثنا أحمد بن عصام الأنصاري حدثنا أبو عامر يعني العقدي حدثني إسحاق يعني ابن الترمذي في التفسير والمناقب أيضا وابن جرير من حديث يونس بن بكير عن طلحة بن يحيى عن موسى وعيسى ابني طلحة عن أبيهما رضي الله عنهما الله من هؤلاء؟ فأقبلت وعلي ثوبان أخضران حضرميان فقال أيها السائل هذا منهم وكذا رواه ابن جرير من حديث سليمان بن أيوب الطلحي به وأخرجه الأجر والذخر ثم قرأ هذه الآية من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه الآية كلها فقام إليه رجل من المسلمين فقال يا رسول عنه قال: لما أن رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد صعد المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه وعزى المسلمين بما أصابهم وأخبرهم بما لهم فيه من حدثنا سليمان بن أيوب بن سليمان حدثنا عيسى بن موسى ابن طلحة بن عبيد الله حدثني أبي عن جدي عن موسى بن طلحة عن أبيه طلحة رضي الله ولم يذكر نزول الآية ورواه ابن جرير من حديث المعتمر بن سليمان عن حميد عن أنس رضي الله عنه به: وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن الفضل العسقلاني بن هارون به وقال الترمذي حسن. وقد رواه البخاري في المغازي عن حسان بن حسان عن محمد بن طلحة عن مصرف عن حميد عن أنس رضي الله عنه به نزلت فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وأخرجه الترمذي في التفسير عن عبد بن حميد والنسائي فيه أيضا عن إسحاق بن إبراهيم كلاهما عن يزيد سعد رضي الله عنه فلم أستطع أن أصنع ما صنع فلما قتل قال فوجد فيه بضع وثمانون ضربة سيف وطعنة رمح ورمية سهم وكانوا يقولون فيه وفي أصحابه صنع هؤلاء يعني أصحابه وأبرا إليك مما جاء به هؤلاء يعني المشركين ثم تقدم فلقبه سعد يعني ابن معاذ رضي الله عنه دون أحد فقال أنا معك قال وسلم المشركين لنن أشهدني الله عز وجل قتالا للمشركين ليرين الله تعالى ما أصنع قال فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال: اللهم إني أعترز إليك مما حميد عن أنس رضي الله عنه قال إن عمه يعني أنس بن النضر رضي الله عنه غاب عن قتال بدر فقال غبت عن أول قتال قاتله رسول الله صلى الله عليه أيضا وابن جرير من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه به نحوه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا يزيد بن هارون حدثنا بدلوا تبديلا قال فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه رضي الله عنهم ورواه مسلم والترمذي والنسائي من حديث سليمان بن المقيرة به ورواه النسائي الربيع ابنة النضر فما عرفت أخي إلا ببناؤه قال فنزلت هذه الآية من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما أين واهل لريح الجنة إني أجده دون أحد قال فقاتلهم حتى قتل رضي الله عنه قال فوجد في جسده بضع وثمانون بين ضربة وطعنة ورمية فقالت أخته عمتي قال فهاب أن يقول غيرها فشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فاستقبل سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال له أنس رضي الله عنه يا أبا عمرو مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه لنن أراني الله تعالى مشهدا فيما بعد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله عز وجل ما أصنع بن المقيرة عن ثابت قال أنس: عمي أنس بن النضر رضي الله عنه سميت به لم يشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فشق عليه وقال أول رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية انفرد به البخاري من هذا الوجه ولكن له شواهد من طرق أخر قال الإمام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا سليمان محمد بن عبد الله الأنصاري حدثني أبي عن ثمامة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال نرى هذه الآية نزلت في أنس بن النضر رضي الله عنه من المؤمنين في مسنده والترمذي والنسائي في التفسير من سننهما من حديث الزهري به وقال الترمذي حسن صحيح وقال البخاري أيضا حدثنا محمد بن بشار حدثنا جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه تفرد به البخاري دون مسلم وأخرجه أحمد المصحف فقدت آية من سورة الأحزاب كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها لم أجدها إلا مع خزيمة بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه الذي وما غيروا عهد الله ولا نقضوه ولا بدلوه قال البخاري حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه قال: لما نسخنا و صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه قال بعضهم أجله وقال البخاري عهده وهو يرجع إلى الأول ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا أي لما ذكر عز وجل عن المنافقين أنهم نقضوا العهد الذي كانوا عاهدوا الله عليه لا يولون الأديار وصف المؤمنين أنهم استمروا على العهد والميثاق عن النفاق إلى الإيمان والعمل الصالح بعد الفسوق والعصيان ولما كانت رحمته ورأفته بخلقه هي الغالبة لغضبه قال إن الله كان غفورا رحيمًا . 24 بذلك عقابه وعذابه ولكن هم تحت مشيئته في الدنيا إن شاء استمر بهم على ما فعلوا حتى يلقوه فيعذبهم عليه. وإن شاء تاب عليهم بأن أرشدهم إلى النزوع بصدقهم أي بصبرهم على ما عاهدوا الله عليه وقيامهم به ومحافظةهم عليه ويعذب المنافقين وهم الناقضون لعهد الله المخالفون لأوامره فاستحقوا ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطالعكم على الغيب ولهذا قال تعالى ههنا ليجزي الله الصادقين حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم فهذا علم بالشيء بعد كونه وإن كان العلم السابق حاصلا به قبل وجوده وكذا قال الله تعالى أمر هذا بالفعل وأمر هذا بالفعل مع أنه تعالى يعلم الشيء قبل كونه ولكن لا يعذب الخلق بعلمه فيهم حتى يعملوا بما يعلمه منهم كما قال تعالى ولنبلونكم تعالى ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم أي إنما يختبر عباده بالخوف والزلازل ليميز الخبيث من الطيب فيظهر وقوله

## تفسير ابن كثير

وكان الله قويا عزيزا أي بحوله وقوته ردهم خائبين لم ينالوا خيرا وأعز الله الإسلام وأهله وصدق وعده ونصر رسوله وعيده فله الحمد والمنة. 25

الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب الآن نغزوهم ولا يغزونا وهكذا رواه البخاري في صحيحه حديث الثوري وإسرائيل عن أبي إسحاق به وقوله تعالى محمد بن إسحاق حديث صحيح كما قال الإمام أحمد حدثنا يحيى عن سفيان حدثني أبو إسحاق قال سمعت سليمان بن صرد رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يغزوهم بعد ذلك حتى فتح الله تعالى مكة. وهذا الحديث الذي ذكره المسلمون في بلادهم قال محمد بن إسحاق لما انصرف أهل الخندق عن الخندق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا لن تغزوكم قريش بعد عامكم وزلزلهم وفي قوله عز وجل وكفى الله المؤمنين القتال إشارة إلى وضع الحرب بينهم وبين قريش وهكذا وقع بعدها لم يغزهم المشركون بل غزاهم الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأحزاب فقال اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب اللهم اهزمهم وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده فلا شيء بعده أخرجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفي الصحيحين من حديث إسماعيل بن أبي خالد عن عبد يجلوهم عن بلادهم بل كفى الله وحده ونصر عبده وأعز جنده ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده ومن هم بشيء وصدق هم بفعله فهو في الحقيقة كفعله. وقوله تبارك وتعالى وكفى الله المؤمنين القتال أي لم يحتاجوا إلى منازلهم ومبارزتهم حتى مما كان في أنفسهم من الظفر والمغنم ولا في الآخرة بما تحملوه من الآثام في مبارزة الرسول صلى الله عليه وسلم بالعداوة وهمهم بقتله واستنصال جيشه أخلاط من قبائل شتى أحزاب وآراء فناسب أن يرسل عليهم الهواء الذي فرق جماعتهم وردهم خائبين خاسرين بغيظهم وحقهم لم ينالوا خيرا لا في الدنيا الريح العقيم التي أرسلها على عاد ولكن قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم سبط عليهم هواء فرق شملهم كما كان سبب اجتماعهم من الهوى وهم مخبرا عن الأحزاب لما أجلاهم عن المدينة بما أرسل عليهم من الريح والجنود الإلهية ولو أن الله جعل رسوله رحمة للعالمين لكانت هذه الريح عليهم أشد من يقول تعالى

طرق عن عبد الملك بن عمير به وقال الترمذي حسن صحيح ورواه النسائي أيضا من حديث ابن جريج عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن عطية بنحوه. 26

في فأمر بي النبي صلى الله عليه وسلم أن ينظروا هل أنبت بعد؟ فنظروني فلم يجدوني أنبت فخلى عني وألحقني بالسبي وكذا رواه أهل السنن كلهم من والنساء وقال الإمام أحمد حدثنا هشيم بن بشير أخبرنا عبد الملك بن عمير عن عطية القرظي قال عرضت على النبي صلى الله عليه وسلم يوم قريظة فشكوا شقاوة الآخرة فصارت الجملة أن هذه هي الصفقة الخاسرة ولهذا قال تعالى فريقا تقتلون وتأسرون فريقا فالذين قتلوا هم المقاتلة والأسراء هم الأصغر عليهم الحال وانقلب إليهم القاتل انشمر المشركون ففازوا بصفقة المغبون فكما راموا العز ذلوا وأرادوا استنصال المسلمين فاستؤصلوا وأضيف إلى ذلك لأنهم كانوا مالتوا المشركين على حرب النبي صلى الله عليه وسلم وليس من يعلم كمن لا يعلم وأخافوا المسلمين وراموا قتلهم ليعزوهم في الدنيا فانعكس وعكرمة وعطاء وقتادة والسدي وغيرهم من السلف ومنه سمي صياصي البقر وهي قرونها لأنها أعلى شيء فيها وقذف في قلوبهم الرعب وهو الخوف مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فعليهم لعنة الله وقوله تعالى من صياصيصهم يعني حصونهم. كذا قال مجاهد من أهل الكتاب يعني بني قريظة من اليهود من بعض أسباط بني إسرائيل كان قد نزل أبأؤهم الحجاز قديما طمعا في اتباع النبي الأمي الذي يجدونه موجزا وبسيطا ولله الحمد والمنة ولهذا قال تعالى وأنزل الذين ظاهروهم أي عاونوا الأحزاب وساعدوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين السبعمائة إلى الثمانمائة وسبى من لم ينبت منهم مع النساء وأموالهم وهذا كله مقرر مفصل بأدلته وأحاديثه وبسطه في كتاب السيرة الذي أفردناه أرقعة وفي رواية لقد حكمت بحكم الله ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأخاديد فخذت في الأرض وجيء بهم مكتفين فضرب أعناقهم وكانوا رضي الله عنه إنى أحكم أن تقتل مقاتلتهم وتسبي ذريتهم وأموالهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد حكمت بحكم الله تعالى من فوق سبعة صلى الله عليه وسلم وهو معرض بوجهه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إجلالا وإكراما وإعظاما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فقال رضي الله عنه وحكمي نافذ عليهم؟ قال نعم قال وعلى من في هذه الخيمة؟ قال نعم قال وعلى من ههنا وأشار إلى الجانب الذي فيه رسول الله ليكون أنفذ لحكمه فيهم فلما جلس قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إن هؤلاء وأشار إليهم قد نزلوا على حكمك فاحكم فيهم بما شئت فقال الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا إلى سيدكم فقام إليهم المسلمون فأنزلوه إعظاما وإكراما واحتراما له في محل ولايته لا يرد عليهم فلما أكثروا عليه قال رضي الله عنه لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم. فعرفوا أنه غير مستبقيهم فلما دنا من الخيمة التي فيها رسول فلما أقبل وهو راكب على حمار قد وطئوا له عليه جعل الأوس يلودون به ويقولون يا سعد إنهم مواليك فأحسن فيهم ويرفقونه عليهم ويعطفونه وهو ساكت تعالى دعاءه وقدر عليهم أن نزلوا على حكمه باختيارهم طلبا من تلقاء أنفسهم فعند ذلك استدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة ليحكم فيهم اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقني لها وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فافجرها ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة فاستجاب الله في أكحله أيام الخندق فكواه رسول الله صلى الله عليه وسلم في أكحله وأنزله في قبة في المسجد ليعوده من قريب وقال سعد رضي الله عنه فيما دعا به: من رسول الله صلى الله عليه وسلم فظن هؤلاء أن سعدا سيفعل فيهم كما فعل ابن أبي في أولئك ولم يعلموا أن سعدا رضي الله عنه كان قد أصابه سهم رضي الله عنه لأنهم كانوا حلفاءهم في الجاهلية. واعتقدوا أنه يحسن إليهم في ذلك كما فعل عبد الله بن أبي بن سلول في مواليه بني قينقاع حين استطلقهم رضي الله عنه. ثم نازلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصرهم خمسا وعشرين ليلة فلما طال عليهم الحال نزلوا على حكم سعد بن معاذ سيد الأوس يعنف واحدا من الفريقين وتبعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد استخلف على المدينة ابن أم مكتوم رضي الله عنه وأعطى الراية لعلي بن أبي طالب

## تفسير ابن كثير

بعضهم في الطريق وقالوا لم يرد منا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم إلا تعجيل المسير وقال آخرون لا نصليها إلا في بني قريظة فلم وكانت على أميال من المدينة وذلك بعد صلاة الظهر وقال لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة فساد الناس فأدركتهم الصلاة في الطريق فصلى وسلم أين؟ قال بني قريظة فإن الله تعالى أمرني أن أزلزل عليهم فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم من فوره وأمر الناس بالمسير إلى بني قريظة تنهض إلى بني قريظة وفي رواية فقال له عذيرك من مقاتل أوضعتم السلاح؟ قال نعم قال لكننا لم نضع أسلحتنا بعد انهض إلى هؤلاء قال صلى الله عليه عليه يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وسلم نعم قال لكن الملائكة لم تضع أسلحتنا وهذا الآن رجوعي من طلب القوم ثم قال: إن الله تبارك وتعالى يأمرك أن المرابطة في بيت أم سلمة رضي الله عنها إذ تبدي له جبريل عليه السلام معتجرا بعمامة من إستبرق على بغلة عليها قطيفة من ديباج فقال: أوضعت السلاح صفقة ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة مؤيدا منصورا ووضع الناس السلاح فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يغتسل من وعاء تلك قريظة وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ساءه وشق عليه وعلى المسلمين جدا فلما أيده الله تعالى ونصره وكبت الأعداء وردهم خائبين بأخسر يفتل في الذروة والغارب حتى أجابه واشتد له حيي إن ذهب الأحزاب ولم يكن من أمرهم شيء أن يدخل معهم في الحصن فيكون له أسوتهم فلما نقضت وغطفان وأتباعها ولا يزالون ههنا حتى يستأصلوا محمدا وأصحابه فقال له كعب بل والله أتيتني بذل الدهر ويحك يا حيي إنك مشئوم فدعنا منك فلم يزل أخطب النضري لعنه الله دخل حصنهم ولم يزل بسيدهم كعب بن أسد حتى نقض العهد وقال له فيما قال ويحك قد جنتك بعز الدهر أتيتك بقريش وأحبيشها أن بني قريظة لما قدمت جنود الأحزاب ونزلوا على المدينة نقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد وكان ذلك بسفارة حيي بن قد تقدم

ومسلم من حديث عبد الله بن نمير عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها نحا من هذا ولكنه أخصر منه وفيه دعا سعد رضي الله عنه. 27 رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع؟ قالت كانت عينه لا تدمع على أحد ولكنه كان إذا وجد فإنما هو آخذ بلحيته صلى الله عليه وسلم وقد أخرج البخاري لأعرف بكاء أبي بكر رضي الله عنه من بكاء عمر رضي الله عنه وأنا في حجرتي وكانوا كما قال الله تعالى رحما بينهم قال علقمة فقلت أي أمه فكيف كان صلى الله عليه وسلم قالت عائشة رضي الله عنها فحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما قالت فوالذي نفس محمد بيده إني فابقتي لها وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني إليك قال فانفجر كلمه وكان قد برئ منه إلا مثل الخرص ورجع إلى قبته التي ضرب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله تعالى وحكم رسوله ثم دعا سعد رضي الله عنه قال اللهم إن كنت أبقيت على نبيك من حرب قريش شيئا رسول الله صلى الله عليه وسلم احكم فيهم قال سعد رضي الله عنه فإني أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتبسبب ذراريهم وتقسب أموالهم فقال رسول الله قال أبو سعيد فلما طلع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا إلى سيدكم فأنزلوه فقال عمر رضي الله عنه سيدنا الله قال أنزلوه فأنزلوه قال الكتاب ومن قد علمت قالت فلا يرجع إليهم شيئا ولا يلتفت إليهم حتى إذا دنا من دورهم التفت إلى قومه فقال: فد أن أن لا أبالي في الله لومة لائم. قالت عليه وسلم إلى سعد بن معاذ رضي الله عنه عنه فأتني به على حمار عليه إكاف من ليف قد حمل عليه وحف به قومه فقالوا يا أبا عمرو حلفاؤك ومواليك وأهل نزل على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلوا على حكم سعد بن معاذ فنزلوا وبعث رسول الله صلى الله ليلة فلما اشتد حصارهم واشتد البلاء قيل لهم انزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستشاروا أبا لبابة بن عبد المنذر فأشار إليهم إنه الذبح قالوا مر بنا دحية الكلبي وكان دحية الكلبي يشبه لحيته وسنه ووجهه جبريل عليه السلام فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاصرهم خمسا وعشرين قالت فلبس رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته وأذن في الناس بالرحيل أن يخرجوا فمر على بني تميم وهم جيران المسجد فقال من مر بك؟ قالوا قالت فجاءه جبريل عليه السلام وأن على ثناباه لنقع الغبار فقال أو قد وضعت السلاح؟ لا والله ما وضعت الملائكة بعد السلاح! أخرج إلى بني قريظة فقاتلهم بنو قريظة فتحصنوا في صياصيمهم ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وأمر بقبة من أدم فضربت على سعد رضي الله عنه في المسجد تعالى الريح على المشركين وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا فلحق أبو سفيان ومن معه بهتامة ولحق عيينه بن بدر ومن معه بنجد ورجعت فدعا الله تعالى سعد رضي الله عنه فقال: اللهم لا تمنني حتى تفر عيني من بني قريظة قالت وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية قالت فرقا كلمه وبعث الله أو الفرار إلا إلى الله تعالى؟ قالت ورمى سعدا رضي الله عنه رجل من قريش يقال له ابن العرقه بسهم له وقال له خذها وأنا ابن العرقه فأصاب أكله فقطعه بي ساعته فدخلت فيها فرقع الرجل التسبعة عن وجهه فإذا هو طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه فقال: يا عمر ويحك إنك قد أكثرت منذ اليوم وأين التخور فقال عمر رضي الله عنه ما جاء بك؟ لعمرى والله إنك لجريئة وما يؤمنك أن يكون بلاء أو يكون تخور قالت فما زال يلومني حتى تمنيت أن الأرض انشقت إذا حان الأجل قالت ففقت فافتحمت حديقة فإذا فيها نفر من المسلمين وإذا فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفيهم رجل عليه تسبعة له تعني المغفر فأنأ تخوف على أطراف سعد قال وكان سعد رضي الله عنه من أعظم الناس وأطولهم فمر وهو يرتجز ويقول: ليث قليلا يشهد الهيجا جمل ما أحسن الموت رضي الله عنه ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مجنه قالت فجلس إلى الأرض فمر سعد رضي الله عنه وعليه درع من حديد قد خرجت منه أطرافه أبيه عن جده علقمة بن وقاص قال: أخبرتني عائشة رضي الله عنها قالت: خرجت يوم الخندق أقفو الناس فسمعت ونيد الأرض ورائي فإذا أنا بسعد بن معاذ فارس والروم وقال ابن جرير يجوز أن يكون الجميع مرادا وكان الله على كل شيء قديرا قال الإمام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا محمد بن النصور عمرو عن وقوله تعالى وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم أي جعلها لكم من قتلكم لهم وأرضا لم تطنوها قبل خيبر وقيل مكة رواه مالك عن زيد بن أسلم وقيل بنت حيي النضيرية وميمونة بنت الحارث الهلالية وزينب بنت جحش الأسدية وجويرية بنت الحارث المصطلقية رضي الله عنهن وأرضاهن أجمعين. 28

## تفسير ابن كثير

أعلم قال عكرمة وكان تحته يومئذ تسع نسوة خمس من قريش عائشة وحفصة وأم حبيبة وسودة وأم سلمة 0 وكانت تحته صلى الله عليه وسلم صفة أعطيك حقوقك وأطلق سراحك وقد اختلف العلماء في جواز تزوج غيره لهن لو طلقهن على قولين أحدهما نعم لو وقع ليحصل المقصود من السراح والله الطلاق وهذا منقطع. وقد روي عن الحسن وقتادة وغيرهما نحو ذلك وهو خلاف الظاهر من الآية فإنه قال فتعالين أمتعنك وأسرحنك سراحاً جميلاً أي بن أبي رافع عن عثمان بن علي بن الحسين عن أبيه عن علي رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خير نساء الدنيا والآخرة ولم يخيرهن من حديث زكريا بن إسحاق المكي به. وقال عبد الله بن الإمام أحمد حدثنا شريح بن يونس حدثنا علي بن هاشم بن البريد عن محمد بن عبيد الله بن علي إن الله تعالى لم يبعثني معنفاً ولكن بعثني معلماً ميسراً لا تسألني امرأة منهن عما اخترت إلا أخبرتها انفراداً بإخراجه مسلم دون البخاري فرواه هو والنسائي النبي قل لأزواجك الآية قالت عائشة رضي الله عنها أفيك أستأمر أبوي؟ بل أختار الله تعالى ورسوله وأسألك أن لا تذكر لامرأة من نسائك ما اخترت فقال الله عز وجل الخيار فبدأ بعائشة رضي الله عنها فقال إني أذكر لك أمراً ما أحب أن تعجلي فيه حتى تستأمرني أبويك قالت وما هو؟ قال فتلا عليها يا أيها وسلم ما ليس عنده فنهاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن والله لا نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا المجلس ما ليس عنده قال وأنزل هن حولي يسألنني النفقة فقام أبو بكر رضي الله عنه إلى عائشة ليضربها وقام عمر رضي الله عنه إلى حفصة كلاهما يقولان تسألان النبي صلى الله عليه وسلم عمر رضي الله عنه يا رسول الله لو رأيت ابنة زيد امرأة عمر سألتني النفقة أنفاً فوجأت عنقها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال صلى الله عليه وسلم جالس وحوله نساؤه وهو صلى الله عليه وسلم ساكت فقال عمر رضي الله عنه لأكلمن النبي صلى الله عليه وسلم لعله يضحك فقال والنبي صلى الله عليه وسلم جالس فلم يؤذن له ثم أقبل عمر رضي الله عنه فاستأذن فلم يؤذن له ثم أذن لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فدخلوا والنبي زكريا بن إسحاق عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه قال أقبل أبو بكر رضي الله عنه يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس باباه جلوس خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه فلم يعدها علينا شيئاً أخرجاه من حديث الأعمش. وقال الإمام أحمد حدثنا أبو عامر عبد الملك بن عمير حدثنا عن عائشة رضي الله تعالى عنها مثله. وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن مسلم بن صبيح عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت: ورسوله والدار الآخرة. ثم خير نساءه كله فقلن مثل ما قالت عائشة رضي الله عنهن. وأخرجه البخاري ومسلم جميعاً عن قتيبة عن الليث عن الزهري عن عروة برفاقه قالت ثم قال إن الله تبارك وتعالى قال يا أيها النبي قل لأزواجك الآيتين قالت عائشة رضي الله عنها فقلت أفي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله بي أول امرأة من نسائه فقال صلى الله عليه وسلم إني أذكر لك أمراً فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمرني أبويك قالت وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني حدثني عقيل عن الزهري أخبرني عبد الله بن عبد الله بن أبي ثور عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قالت عائشة رضي الله عنها أنزلت آية التخيير فبدأ ففتابعن كلهن فاخترن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وقال ابن أبي حاتم حدثنا يزيد بن سنان البصري حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح حدثنا الليث إلى آخر الآيتين قالت: فقلت وما الذي تقول لا تعجلي حتى تستشيرني أباك؟ فإني أختار الله ورسوله. فسر صلى الله عليه وسلم بذلك وعرض على نسائه فدخل علي فقال سأذكر لك أمراً فلا تعجلي حتى تستشيرني أباك فقلت وما هو يا رسول الله؟ قال إني أمرت أن أخيركن وتلا عليها آية التخيير محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن عمة عن عائشة رضي الله عنها قالت إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل إلى نسائه أمر أن يخيرهن الله عنهن كلهن ورواه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الأشج عن أبي أسامة عن محمد بن عمرو به قال ابن جرير وحدثنا سعيد بن يحيى الأموي حدثنا أبي حدثنا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استقرأ الحجر فقال إن عائشة رضي الله عنها قالت كذا وكذا فقلن ونحن نقول مثل ما قالت عائشة رضي الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكم أجراً عظيماً قالت فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة ولا أوامر في ذلك أبوي أبا بكر وأم رومان رضي الله عنهما قال الله عز وجل يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعنك وأسرحنك سراحاً جميلاً وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار عارض عليك أمراً فلا تفتاتي فيه بشيء حتى تعرضيه على أبويك أبي بكر وأم رومان رضي الله عنهما فقلت يا رسول الله وما هو؟ قال صلى الله عليه وسلم بن بشير عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما نزلت آية التخيير بدأ بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عائشة إني الحياة الدنيا وزينتها إلى آخر الآية قالت فقلت بل نختار الله ورسوله والدار الآخرة قال ففرح بذلك النبي صلى الله عليه وسلم وحدثنا ابن وكيع حدثنا محمد رسول الله؟ قالت فرده عليها فقالت وما هو يا رسول الله؟ قالت فرده عليها فقالت وما هو يا رسول الله؟ قالت فقراً يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الله عنها لما نزل الخيار قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم إني أريد أن أذكر لك أمراً فلا تقضي فيه شيئاً حتى تستأمرني أبويك قالت قلت وما هو يا الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها وقال ابن جرير حدثنا أحمد بن عبدة الضبي حدثنا أبو عوانة عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه قال: قالت عائشة رضي قالت ثم فعل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مثل ما فعلت وقد حكى البخاري أن معمرًا اضطرب فيه فتارة رواه عن الزهري عن أبي سلمة وتارة رواه عن أستأمر أبوي فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة وكذا رواه معلقاً عن الليث حدثني يونس عن الزهري عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها فذكره وزاد أبويك وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني برفاقه قالت ثم قال إن الله تعالى قال يا أيها النبي قل لأزواجك إلى تمام الآيتين فقلت له ففي أي هذا جاءها حين أمره الله تعالى أن يخير أزواجه قالت فبدأ بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني أذكر لك أمراً فلا عليك أن لا تستعجلي حتى تستأمرني شعيب عن الزهري قال أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرضاهن الله ورسوله والدار الآخرة فجمع الله تعالى رضي الله عنهن كلهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة. قال البخاري حدثنا أبو اليمان أخبرنا فيذهب إلى غيره ممن يحصل لهن عنده الحياة الدنيا وزينتها وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال ولهن عند الله تعالى في ذلك الثواب الجزيل فاخترن

## تفسير ابن كثير

هذا أمر من الله تبارك وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بأن يخير نساءه بين أن يفارقهن

بنت حبي النضيرية وميمونة بنت الحارث الهلالية وزينب بنت جحش الأسدية وجويرية بنت الحارث المصطلقية رضي الله عنهن وأرضاهن أجمعين. 29  
أعلم قال عكرمة وكان تحته يومئذ تسع نسوة خمس من قريش عائشة وحفصة وأم حبيبة وسودة وأم سلمة 0 وكانت تحته صلى الله عليه وسلم صفية  
أعطيك حقوقك وأطلق سراحك وقد اختلف العلماء في جواز تزوج غيره لهن لو طلقهن على قولين أصحهما نعم لو وقع ليحصل المقصود من السراح والله  
الطلاق وهذا منقطع. وقد روي عن الحسن وقتادة وغيرهما نحو ذلك وهو خلاف الظاهر من الآية فإنه قال فتعالين أمتعن وأسرحكن سراحا جميلا أي  
بن أبي رافع عن عثمان بن علي بن الحسين عن أبيه عن علي رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خير نساءه الدنيا والآخرة ولم يخيرهن  
من حديث زكريا بن إسحاق المكي به. وقال عبد الله بن الإمام أحمد حدثنا شريح بن يونس حدثنا علي بن هاشم بن البريد عن محمد بن عبيد الله بن علي  
إن الله تعالى لم يبعثني معنفا ولكن بعثني معلما ميسرا لا تسألني امرأة منهن عما اخترت إلا أخبرتها انفرادا بإخراجه مسلم دون البخاري فرواه هو والنسائي  
النبى قل لأزواجك الآية قالت عائشة رضي الله عنها أفيك أستأمر أبوي؟ بل أختار الله تعالى ورسوله وأسألك أن لا تذكر لامرأة من نسائك ما اخترت فقال  
الله عز وجل الخيار فبدأ بعائشة رضي الله عنها فقال إني أذكر لك أمرا ما أحب أن تعجلي فيه حتى تستأمرى أبويك قالت وما هو؟ قال فتلا عليها يا أيها  
وسلم ما ليس عنده فنهاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن والله لا نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا المجلس ما ليس عنده قال وأنزل  
هن حولي يسألنني النفقة فقام أبو بكر رضي الله عنه إلى عائشة ليضربها وقام عمر رضي الله عنه إلى حفصة كلاهما يقولان تسألان النبي صلى الله عليه وسلم  
عمر رضي الله عنه يا رسول الله لو رأيت ابنة زيد امرأة عمر سألتني النفقة أنفا فوجأت عنقها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال  
صلى الله عليه وسلم جالس وحوله نساؤه وهو صلى الله عليه وسلم ساكت فقال عمر رضي الله عنه لأكلمن النبي صلى الله عليه وسلم لعله يضحك فقال  
والنبي صلى الله عليه وسلم جالس فلم يؤذن له ثم أقبل عمر رضي الله عنه فاستأذن فلم يؤذن له ثم أذن لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فدخلا والنبي  
زكريا بن إسحاق عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه قال أقبل أبو بكر رضي الله عنه يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس باباه جلوس  
خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه فلم يعدها علينا شيئا أخرجاه من حديث الأعمش. وقال الإمام أحمد حدثنا أبو عامر عبد الملك بن عمير حدثنا  
عن عائشة رضي الله تعالى عنها مثله. وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن مسلم بن صبيح عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت:  
ورسوله والدار الآخرة. ثم خير نساءه كله فقلن مثل ما قالت عائشة رضي الله عنهن. وأخرجه البخاري ومسلم جميعا عن قتيبة عن الليث عن الزهري عن عروة  
بفراقه قالت ثم قال إن الله تبارك وتعالى قال يا أيها النبي قل لأزواجك الآيتين قالت عائشة رضي الله عنها فقلت أفي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله  
بي أول امرأة من نسائه فقال صلى الله عليه وسلم إني أذكر لك أمرا فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمرى أبويك قالت وقد علم أن أبوي لم يكونا بأمراني  
حدثني عقيل عن الزهري أخبرني عبد الله بن عبد الله بن أبي ثور عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قالت عائشة رضي الله عنها أنزلت آية التخيير فبدأ  
فتتابعن كلهن فاخترن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وقال ابن أبي حاتم حدثنا يزيد بن سنان البصري حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح حدثني الليث  
إلى آخر الآيتين قالت: فقلت وما الذي تقول لا تعجلي حتى تستشيرى أباك؟ فإني أختار الله ورسوله. فسر صلى الله عليه وسلم بذلك وعرض على نساءه  
فدخل علي فقال سأذكر لك أمرا فلا تعجلي حتى تستشيرى أباك فقلت وما هو يا رسول الله؟ قال إني أمرت أن أخيركن وتلا عليها آية التخيير  
محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن عمرة عن عائشة رضي الله عنها قالت إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل إلى نساءه أمر أن يخيرهن  
الله عنهن كلهن ورواه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الأشج عن أبي أسامة عن محمد بن عمرو به قال ابن جرير وحدثنا سعيد بن يحيى الأموي حدثنا أبي حدثنا  
فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استقرأ الحجر فقال إن عائشة رضي الله عنها قالت كذا وكذا فقلن ونحن نقول مثل ما قالت عائشة رضي  
الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما قالت فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة ولا أوامر في ذلك أبوي أبا بكر وأم رومان رضي الله عنهما  
قال الله عز وجل يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وأسرحكن سراحا جميلا وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار  
عارض عليك أمرا فلا تفتاتي فيه بشيء حتى تعرضيه على أبويك أبي بكر وأم رومان رضي الله عنهما فقلت يا رسول الله وما هو؟ قال صلى الله عليه وسلم  
بن بشير عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما نزلت آية التخيير بدأ بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عائشة إني  
الحياة الدنيا وزينتها إلى آخر الآية قالت فقلت بل نختار الله ورسوله والدار الآخرة قال ففرح بذلك النبي صلى الله عليه وسلم وحدثنا ابن وكيع حدثنا محمد  
رسول الله؟ قالت فرددها فقلت وما هو يا رسول الله؟ قالت فرددها فقلت وما هو يا رسول الله؟ قالت فقرا يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن  
الله عنها لما نزل الخيار قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم إني أريد أن أذكر لك أمرا فلا تقضي فيه شيئا حتى تستأمرى أبويك قالت قلت وما هو يا  
الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها وقال ابن جرير حدثنا أحمد بن عبدة الضبي حدثنا أبو عوانة عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه قال: قالت عائشة رضي  
قالت ثم فعل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مثل ما فعلت وقد حكى البخاري أن معمرا اضطرب فيه فتارة رواه عن الزهري عن أبي سلمة وتارة رواه عن  
أستأمر أبوي فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة وكذا رواه معلقا عن الليث حدثني يونس عن الزهري عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها فذكره وزاد  
أبويك وقد علم أن أبوي لم يكونا بأمراني بفراقه قالت ثم قال إن الله تعالى قال يا أيها النبي قل لأزواجك إلى تمام الآيتين فقلت له ففي أي هذا  
جاءها حين أمره الله تعالى أن يخير أزواجه قالت فبدأ بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني أذكر لك أمرا فلا عليك أن لا تستعجلي حتى تستأمرى  
شعيب عن الزهري قال أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

## تفسير ابن كثير

وأرضاهن الله ورسوله والدار الآخرة فجمع الله تعالى رضي الله عنهن كلهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة. قال البخاري حدثنا أبو اليمان أخبرنا  
فيذهبن إلى غيره ممن يحصل لهن عنده الحياة الدنيا وزينتها وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال ولهن عند الله تعالى في ذلك الثواب الجزيل فاخترن  
هذا أمر من الله تبارك وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بأن يخير نساءه بين أن يفارقهن

ولهذا قال تعالى واتبع ما يوحى إليك من ربك أي من قرآن وسنة إن الله كان بما تعملون خبيراً أي فلا تخفى عليه خافية. 3

عن زيد بن أسلم يضاعف لها العذاب ضعفين قال في الدنيا والآخرة: وعن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وكان ذلك على الله يسيراً أي سهلاً هيناً. 30  
أن يجعل الذنب لو وقع منهن مغلاً صيانةً لجنايها وحجابهن الرفيع ولهذا قال تعالى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين قال مالك  
إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين لو أراد الله أن يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار فلما كانت محلتهن رفيعة ناسب  
الوقوع كقوله تعالى: ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك وكقوله عز وجل ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون قل  
دون سائر النساء بأن من يأت منهن بفاحشة مبينة. قال ابن عباس رضي الله عنهما: وهي النشوز وسوء الخلق وعلى كل تقدير فهو شرط والشرط لا يقتضي  
صلى الله عليه وسلم اللاتي اخترن الله ورسوله والدار الآخرة واستقر أمرهن تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم فناسب أن يخبرهن بحكمهن وتخصيصهن  
يقول تعالى واعظاً نساء النبي

فإنهن في منازل رسول الله صلى الله عليه وسلم في أعلى عليين فوق منازل جميع الخلائق في الوسيلة التي هي أقرب منازل الجنة إلى العرش. 31  
ثم ذكر عدله وفضله في قوله: ومن يقنت منكن لله ورسوله أي تطع الله ورسوله وتستجب نواصيها وأجرها مرتين وأعدنا لها رزقاً كريماً أي في الجنة  
ابن زيد قولاً حسناً جميلاً معروفاً في الخير ومعنى هذا أنها تخاطب الأجانب بكلام ليس فيه ترخيم أي لا تخاطب المرأة الأجانب كما تخاطب زوجها. 32  
بالقول قال السدي وغيره يعني بذلك ترقيق الكلام إذا خاطب الرجل الرجال ولهذا قال تعالى: فيطمع الذي في قلبه مرض أي دغل وقلن قولاً معروفاً قال  
صلى الله عليه وسلم بأنهن إذا اتقين الله عز وجل كما أمرهن فإنه لا يشبههن أحد من النساء ولا يلحقهن في الفضيلة والمنزلة ثم قال تعالى: فلا تخضعن  
هذه آداب أمر الله تعالى بها نساء النبي صلى الله عليه وسلم ونساء الأمة تبع لهن في ذلك فقال تعالى مخاطباً لنساء النبي

فيه من تدبر القرآن أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم داخلات في قوله تعالى: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً. 33  
أرجح جمعا بينها وبين الرواية التي قبلها وجمعا أيضاً بين القرآن والأحاديث المتقدمة إن صحت فإن في بعض أسانيدنا نظراً والله أعلم ثم الذي لا يشك  
أراد تفسير أهل المذكورين في الحديث الذي رواه إنما المراد بهم آل الذين حرموا الصدقة أو أنه ليس المراد بالأهل الأزواج فقط بل هم مع آلهم وهذا الاحتمال  
فترجع إلى أبيها وقومها أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده هكذا وقع في هذه الرواية والأولى أولى والآخر بها أخرى وهذه الثانية تحتل أنه  
بن أرقم رضي الله عنه فذكر الحديث بنحو ما تقدم وفيه فقلت له من أهل بيته نساؤه؟ قال لا وإيم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها  
الله عنهما قال كل هؤلاء حرم الصدقة بعده؟ قال نعم ثم رواه عن محمد بن الريان عن حسان بن إبراهيم عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن حبان عن زيد  
نساؤه من أهل بيته؟ قال نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده قال ومن هم؟ قال هم: آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس رضي  
على كتاب الله عز وجل ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي ثلاثاً فقال له حصين ومن أهل بيته يا زيد؟ ليس  
الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله تعالى فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث  
قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً خطيباً بماء يدرى خما بين مكة والمدينة فحمد الله تعالى وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: أما بعد ألا أيها  
يا ابن أخي والله لقد كبرت سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعني من رسول الله صلى الله عليه وسلم فما حدثكم فاقبلوا وما لا فلا تكفلوا فيه ثم  
الله عليه وسلم وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت خلفه لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال  
انطلقت أنا وحصين بن سرة وعمر بن مسلمة إلى زيد بن أرقم رضي الله عنه فلما جلسنا إليه قال له حصين لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً رأيت رسول الله صلى  
مسلم في صحيحه حدثني زهير بن حرب وشجاع بن مخلد عن ابن أبي عمير قال زهير حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثني أبو حيان حدثني يزيد بن حبان قال  
الله عليه وسلم حين نزل عليه الوحي فأخذ علي وأبيه وفاطمة رضي الله عنهم فأدخلهم تحت ثوبه ثم قال رب هؤلاء أهلي وأهل بيتي حديث آخر وقال  
جرير حدثنا ابن المثنى حدثنا أبو بكر الحنفي حدثنا بكير بن مسمار قال سمعت عامر بن سعد رضي الله عنه قال: قال سعد رضي الله عنه قال رسول الله صلى  
تقدم وروى ابن أبي حاتم من حديث هارون بن سعد العجلي عن عطية عن أبي سعيد رضي الله عنه موقوفاً والله سبحانه وتعالى أعلم حديث آخر قال ابن  
يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً قد تقدم أن فضيل بن مرزوق رواه عن عطية عن أبي سعيد عن أم سلمة رضي الله عنها كما  
عن عطية عن أبي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت هذه الآية في خمسة: في وفي علي وحسن وحسين وفاطمة إنما  
وأنا من أهل بيتك؟ فقال تنحي فإنك على خير حديث آخر قال ابن جرير حدثنا ابن المثنى حدثنا بكير بن يحيى بن أبان العنزي حدثنا مندل عن الأعمش  
وحسن وحسينا رضي الله عنهما فألقى عليهم ثوباً فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً قالت فدنوت منهم فقلت يا رسول الله  
كان من أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت تحته ابنته وأحب الناس إليه؟ لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا علياً وفاطمة  
حوشب رضي الله عنه عن ابن عم له قال: دخلت مع أبي علي عائشة رضي الله عنها فسألته عن علي رضي الله عنه فقالت رضي الله عنها: تسألني عن رجل

## تفسير ابن كثير

بن أبي شيبه عن محمد بن بشر به طريق أخرى قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا شريح بن يونس أبو الحارث حدثنا محمد بن يزيد عن العوام يعني ابن عنها فأدخلها معه ثم جاء علي رضي الله عنه فأدخله معه ثم قال إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ورواه مسلم عن أبي بكر رضي الله عنها ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن رضي الله عنه فأدخله معه ثم جاء الحسين فأدخله معه ثم جاءت فاطمة رضي الله الله عنها بنحو ذلك حديث آخر قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا محمد بن بشر عن زكريا عن مصعب بن شيبه عن صفية بنت شيبه قالت: قالت عائشة أحمد بن محمد الطوسي عن عبد الرحمن بن صالح عن محمد بن سليمان الأصبهاني عن يحيى بن عبيد المكي عن عطاء عن عمر بن أبي سلمة عن أمه رضي وجل ثم قال: هؤلاء أهل بيتي قالت أم سلمة رضي الله عنها فقلت يا رسول الله أدخلني معهم فقال أنت من أهلي طريق أخرى رواها ابن جرير أيضا على سلمة رضي الله عنها قالت إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع عليا وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم ثم أدخلهم تحت ثوبه ثم جأ إلى الله عز حدثنا أبو كريب حدثنا خالد بن مخلد حدثني موسى بن يعقوب حدثني هاشم بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص عن عبد الله بن وهب بن زمعة قال أخبرني أم رواها ابن جرير أيضا عن أبي كريب عن وكيع عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن أم سلمة رضي الله عنها بنحوه طريق أخرى قال ابن جرير أنت من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قالت وفي البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم طريق أخرى يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا قالت وأنا جالسة على باب البيت فقلت يا رسول الله ألتست من أهل البيت؟ فقال إنك إلى خير حدثنا أبو كريب حدثنا الحسن بن عطية حدثنا فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد عن أم سلمة رضي الله عنها قالت إن هذه الآية نزلت في بيتي إنما خميسة سوداء وقال اللهم إليك لا إلى النار أنا وأهل بيتي قالت فقلت وأنا يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وسلم وأنت طريق أخرى قال ابن جرير فأخذ الصبيين فوضعهما في حجره فقبلهما واعتنق عليا رضي الله عنه بإحدى يديه وفاطمة رضي الله عنها باليد الأخرى وقبل فاطمة وقبل علي وأغدق عليهم وسلم قومي فتنحي عن أهل بيتي قالت فقمت فتنحيت في البيت قريبا فدخل علي وفاطمة ومعهما الحسن والحسين رضي الله عنهم وهما صبيان صغيران قالت: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي يوما إذ قالت الخادم إن فاطمة وعلي رضي الله عنهما بالسدة قالت فقال لي رسول الله صلى الله عليه عليه خير طريق أخرى قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عوف عن أبي المعدل عن عطية الطفاوي عن أبيه قال إن أم سلمة رضي الله عنها حدثته أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فنزلت هذه الآية حين اجتمعوا على البساط قالت فقلت يا رسول الله وأنا؟ قالت فوالله ما أنعم وقال إنك إلى وسلم وأمه رضي الله عنها ثم جاء علي رضي الله عنه فلم أستطع أن أحجبه فاجتمعوا فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بكساء كان عليه ثم قال هؤلاء أن أحجبه عن أبيها ثم جاء الحسن رضي الله عنه فلم أستطع أن أمنعه أن يدخل على جده وأمه وجاء الحسين فلم أستطع أن أحجبه عن جده صلى الله عليه عليه أهل البيت ويطهركم تطهيرا قالت أم سلمة جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيتي فقال: لا تأذني لأحد فجاءت فاطمة رضي الله عنها فلم أستطع عن حكيم بن سعد قال ذكرنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند أم سلمة رضي الله عنها فقالت في بيتي نزلت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ربه فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا طريق أخرى قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا عبد الله بن عبد القدوس عن الأعمش الله عليه وسلم يده إلى كساء كان على المنامة فمدّه وبسطه وأجلسهم عليه ثم أخذ بأطراف الكساء الأربعة بشماله فضمه فوق رؤوسهم وأومأ بيده اليمنى إلى فجاءت إلى علي رضي الله عنه فقالت أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت وابنك قالت أم سلمة رضي الله عنه تعالى عنها فلما رآهم مقبلين مد صلى على طبق فوضعتها بين يديه صلى الله عليه وسلم فقال: أين ابن عمك وابنك؟ فقالت رضي الله عنها في البيت فقال صلى الله عليه وسلم ادعهم عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن أم سلمة رضي الله عنها قالت جاءت فاطمة رضي الله عنها إلى رسول الله ببرمة لها قد صنعت فيها عصيدة تحملها في إنسانه من لم يسم وهو شيخ عطاء وبقية رجاله ثقات طريق أخرى قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا مصعب بن المقدام حدثنا سعيد بن زربي أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت فأدخلت رأسي البيت فقلت وأنا معكم يا رسول الله؟ فقال إنك إلى خير إنك إلى خير البيت ويطهركم تطهيرا قالت رضي الله عنها فأخذ صلى الله عليه وسلم فضل الكساء فغطاهم به ثم أخرج يده فألوى بها إلى السماء ثم قال اللهم هؤلاء منامة له وكان تحتها صلى الله عليه وسلم كساء خيبري قالت وأنا في الحجرة أصلي فأنزل الله عز وجل هذه الآية إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل لها صلى الله عليه وسلم ادعي زوجك وابنك قالت فجاء علي وحسن وحسين رضي الله عنهم فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة وهو على من سمع أم سلمة رضي الله عنها تذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في بيتها فأتته فاطمة رضي الله عنها ببرمة فيها خزيرة فدخلت عليه بها فقال قال فوالله إنها لأوثق عمل عندي. حديث آخر قال الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن نمير حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء بن أبي رباح حدثني وسلم عليهم كساء له ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قلت يا رسول الله وأنا؟ قال صلى الله عليه وسلم وأنت اجلس حتى أخبرك عن هذا الذي شتموه إني عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء علي وفاطمة وحسن وحسين رضي الله عنهم فألقى صلى الله عليه عليه بن حرب عن كلثوم المحاربي عن شداد بن أبي عمار قال إني لجالس عند وائلة بن الأسقع رضي الله عنه إذ ذكروا علي رضي الله عنه فشتموه فلما قاموا قال عليه وسلم وأنت من أهلي قال وائلة رضي الله عنه وإنها من أرجى ما أرتجى ثم رواه أيضا عن عبد الأعلى بن واصل عن الفضل بن دكين عن عبد السلام الوليد بن مسلم عن أبي عمرو الأزاعي بسنده نحوه زاد في آخره قال وائلة رضي الله عنه فقلت وأنا يا رسول الله صلى الله عليه عليك من أهلك؟ قال صلى الله عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي وأهل بيتي أحق. وقد رواه أبو جعفر بن جرير عن عبد الكريم بن أبي عمير عن حسنا وحسينا رضي الله عنه ما كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليهم ثوبه أو قال كساءه ثم تلا صلى الله عليه وسلم هذه الآية إنما يريد الله ليذهب



## تفسير ابن كثير

عليه وسلم ومعه علي وحسن وحسين رضي الله عنهم أخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل فادنى عليا وفاطمة رضي الله عنهما وأجلسهما بين يديه وأجلس قال أتيت فاطمة رضي الله عنها أسأله عن علي رضي الله عنه فقال توجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلست أنتظره حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فشتموه فشتمته معهم فلما قاموا قال لي شتمت هذا الرجل؟ قلت قد شتموه فشتمته معهم ألا أخبرك بما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلت بلى أيضا حدثنا محمد بن مصعب حدثنا الأوزاعي حدثنا شداد بن عمار قال دخلت على وائلة بن الأسقع رضي الله عنه وعنده قوم فذكروا عليا رضي الله عنه الصلاة الصلاة إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيرا أبو داود الأعمى هو نفيق بن الحارث كذاب حديث آخر وقال الإمام أشهر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا طلع الفجر جاء إلى باب علي وفاطمة رضي الله عنهما فقال غريب حديث آخر قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا أبو نعيم حدثنا يونس عن أبي إسحاق أخبرني أبو داود عن أبي الحمراء قال: رابطة المدينة سبعة يقول الصلاة يا أهل البيت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيرا ورواه الترمذي عن عبد بن حميد عن عفان به وقال حسن علي بن زيد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمر بباب فاطمة رضي الله عنه ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر فقط دون غيرهن ففي هذا نظر فإنه قد وردت أحاديث تدل على أن المراد أعم من ذلك الحديث الأول حدثنا الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد أخبرنا عكرمة من شاء باهله أنها نزلت في شأن نساء النبي صلى الله عليه وسلم فإن كان المراد أنهن كن سبب النزول دون غيرهن فصحيح وإن أريد أنهن المراد عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت قال نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم خاصة وقال الله عليه وسلم خاصة وهكذا روى ابن أبي حاتم قال حدثنا علي بن حرب الموصلي حدثنا زيد بن الحباب حدثنا حسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة على الصحيح وروى ابن جرير عن عكرمة أنه كان ينادي في السوق إنا يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيرا نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في أهل البيت ههنا لأنهن سبب نزول هذه الآية وسبب النزول داخل فيه قول واحد إما وحده على قول أو مع غيره الله ورسوله وهذا من باب عطف العام على الخاص. وقوله تعالى: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيرا وهذا نص في الله ورسوله نهاهن أولا عن الشر ثم أمرهن بالخير من إقامة الصلاة وهي عبادة الله وحده لا شريك له وإيتاء الزكاة وهي الإحسان إلى المخلوقين وأطعن فتحولوا إليهن فنزلوا معهن وظهرت الفاحشة فيهن فهو قول الله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وقوله تعالى: وأقم الصلاة وآتين الزكاة وأطعن فيتبرج النساء للرجال قال ويتبرجن الرجال لهن وإن رجلا من أهل الجبل هجم عليهم في عيدهم ذلك فرأى النساء وصباحتهن فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك شيئا من مثل الذي يزمز فيه الرعاء فجاء فيه بصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حوله فانتابوهم يسمعون إليه واتخذوا عيدا يجتمعون إليه في السنة دمامة وكان نساء السهل صباحا وفي الرجال دمامة وإن إبليس لعنه الله أتى رجلا من أهل السهل في صورة غلام فأجر نفسه منه فكان يخدم فاتخذ إبليس قال كانت فيما بين نوح وإدريس وكانت ألف سنة وإن بطنين من ولد آدم كان أحد يسكن السهل والآخر يسكن الجبل وكان رجال الجبل صباحا وفي النساء إسماعيل حدثنا داود يعني ابن أبي الفرات حدثنا علي بن أحمر عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال تلا هذه الآية ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى تشده فيواري قلاندها وقرطها وعنقها ويبدو ذلك كله منها وذلك التبرج ثم عمت نساء المؤمنين في التبرج. وقال ابن جرير حدثني ابن زهير حدثنا موسى بن وكانت لهن مشية وتكسر وتغنج فهني الله تعالى عن ذلك وقال مقاتل بن حيان ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى والتبرج أنها تلقي الخمار على رأسها ولا قال مجاهد كانت المرأة تخرج تمشي بين يدي الرجال فذلك تبرج الجاهلية. وقال قتادة ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى يقول إذا خرجتن بن بيوتكن في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها وهذا إسناد جيد وقوله تعالى: ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى بيتها ورواه الترمذي عن بندار عن عمرو بن عاصم به نحوه. وروى البزار بإسناده المتقدم وأبو داود أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: صلاة المرأة عن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان وأقرب ما تكون بروحة ربها وهي في قعر المسيب وهو رجل من أهل البصرة مشهور. وقال البزار أيضا حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عمرو بن عاصم حدثنا همام عن قتادة عن مورك عن أبي الأحوص الله عليه وسلم من قعدت أو كلمة نحوها منكن في بيتها فإنها تدرك عمل المجاهدين في سبيل الله تعالى ثم قال لا نعم. رواه عن ثابت إلا روح بن وسلم فقلن يا رسول الله ذهب الرجال بالفضل والجهاد في سبيل الله تعالى فمالنا عمل ندرك به عمل المجاهدين في سبيل الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا حميد بن مسعدة حدثنا أبو رجاء الكلبى روح بن المسيب ثقة حدثنا ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه قال: جنن النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وليخرجن وهن ثفلات وفي رواية وبيوتهن خير لهن وقال الحافظ أبو بكر البزار وقوله تعالى: وقرن في بيوتكن أي الزمن بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة ومن الحوائج الشرعية الصلاة في المسجد بشرطه كما في قوله تعالى إن الله كان لطيفا خبيرا يعني لطيفا باستخراجها خبيرا بموضعها ورواه ابن أبي حاتم ثم قال وكذا روى الربيع بن أنس عن قتادة 34 بكن إذ اختاركن لرسوله أزواجا وقال قتادة وأذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة قال يمتن عليهن بذلك رواه ابن جرير وقال عطية العوفي فاشكرن الله على ذلك واحمدنه إن الله كان لطيفا خبيرا أي ذا لطف بكن إذ جعلكن في البيوت التي تتلى فيها آيات الله والحكمة وهي السنة خبيرا بكن وأنكن أهل لذلك أعطاكم ذلك وخصكن بذلك قال ابن جرير رحمه الله وأذكروا نعمة الله عليكم بأن جعلكن في بيوت تتلى فيها آيات الله والحكمة عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيرا قال نعم ولأنتم هم؟ قال نعم وقوله تعالى: إن الله كان لطيفا خبيرا أي بلطفه بكن بلغتن هذه المنزلة وبخبرته إلا وهو يحن بكاء وقال السدي عن أبي الديلم قال: قال علي بن الحسين رضي الله عنهما لرجل من أهل الشام أما قرأت في الأحزاب إنما يريد الله ليذهب

## تفسير ابن كثير

أهل البيت الذي قال الله تعالى إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيرا قال فما زال يقولها حتى ما بقي أحد من أهل المسجد ساجد قال فيزعمون أن الطعنة وقعت في وركه فمرض منها أشهراً ثم برأ فقع على المنبر فقال: يا أهل العراق اتقوا الله فينا فإننا أمراؤكم وضيغانكم ونحن قتل علي رضي الله عنها قال: فبينما هو يصلي إذ وثب عليه رجل قطعنه بخنجره فزعم حصين أنه بلغه أن الذي طعنه رجل من بني أسد وحسن رضي الله عنه قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الوليد حدثنا أبو عوانة عن حصين بن عبد الرحمن عن ابن جميلة قال إن الحسن بن علي رضي الله عنها استخلف حين كما ورد في الأحاديث الآخر ولكن إذا كان ذلك أسس على التقوى من أول يوم فمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بتسميته بذلك والله أعلم وقد صلى الله عليه وسلم لما سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم فقال: هو مسجدي هذا فهذا من هذا القبيل فإن الآية إنما نزلت في مسجد قباء العلية ولكن إذا كان أزواجه من أهل بيته فقرابته أحق بهذه التسمية كما تقدم في الحديث وأهل بيتي أحق وهذا يشبه ما ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله بعض العلماء رحمه الله لأنه لم يتزوج بكرا سواها ولم ينم معها رجل في فراشها سواه و رضي الله عنها فناسب أن تخصص بهذه المزية وأن تفرد بهذه المرتبة من هذه الرحمة العظيمة فإنه لم ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي في فرائض امرأة سواها كما نعى على ذلك صلوات الله وسلامه عليه قال من بين الناس أن الوحي ينزل في بيوتكن دون سائر الناس وعائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها أولاهن بهذه النعمة وأحظاهن بهذه الغنيمة وأخصهن بما ينزل الله تبارك وتعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم في بيوتكن من الكتاب والسنة قاله قتادة وغير واحد واذكرن هذه النعمة التي خصصتن بها فإن سياق الكلام معهن ولهذا قال تعالى بعد هذا كله واذكرنا ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة أي واعملن

الله لهم مغفرة وأجرا عظيما خبر عن هؤلاء المذكورين كلهم أي أن الله تعالى قد أعد لهم أي هيا لهم مغفرة منه لذنوبهم وأجرا عظيما وهو الجنة. 35 في كثرة الذكر عند قوله تعالى في هذه السورة يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا الآية إن شاء الله تعالى وقوله تعالى أعد لله ذكرا فقال أبو بكر لعمر رضي الله عنه ذهب الذاكرون بكل خير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنذكر إن شاء الله تعالى بقية الأحاديث الواردة أكثر أجرا؟ قال صلى الله عليه وسلم أكثرهم لله عز وجل ذكرا ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقة كل ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثرهم الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن رجلا سأله فقال أي المجاهدين أعظم أجرا يا رسول الله؟ قال أكثرهم لله تعالى ذكرا قال فأبي الصائمين بلى يا رسول الله قال ذكر الله عز وجل وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا زيان بن فايد عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه رضي أعمالكم وأزكاها عند مليكم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من تعاطي الذهب والفضة ومن أن تلقوا عدوكم غدا فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا ما عمل آدمي عملا قط أنجى له من عذاب الله تعالى من ذكر الله عز وجل وقال معاذ رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بخير سلمة عن زياد بن أبي زياد مولى عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة قال: إنه بلغني عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمحلقين قالوا والمقصرين قال والمقصرين تفرد به من هذا الوجه ورواه مسلم دون آخره وقال الإمام أحمد حدثنا حجين بن المثنى حدثنا عبد العزيز بن أبي وما المفردون؟ قال صلى الله عليه وسلم والذاكرون الله كثيرا والذاكرات ثم قال صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للمحلقين قالوا والمقصرين قال اللهم اغفر أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في طريق مكة فأتى على جمدان فقال هذا حمدان سيروا فقد سبق المفردون قالوا والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكرون الله تعالى أفضل منه وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم عن العلاء عن أبيه عن درجة عند الله تعالى يوم القيامة؟ قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات قال قلت يا رسول الله ومن الغاзи في سبيل الله تعالى؟ قال لو ضرب بسيفه في الكفار بمثله وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أي العباد أفضل وقد رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث الأعمش عن الأعرابي مسلم عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا أيقظ الرجل امرأته من الليل فصليا ركعتين كانا تلك الليلة من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات كثيرا والذاكرات قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام: بن عبيد الله حدثنا محمد بن جابر عن علي بن الأقرع عن الأغبر أبي مسلم عن أبي سعيد الخدري هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون وقوله تعالى والذاكرين الله يستطيع فعلية بالصوم فإنه له وجاء ناسب أن يذكر بعده والحافظين فروجهم والحافظات أي عن المحارم والمأثم إلا عن المباح كما قال عز وجل والذين العون على كسر الشهوة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم الردينة طبعها وشرعا كما قال سعيد بن جبيرة من صام رمضان وثلاثه أيام من كل شهر دخل في قوله تعالى والصائمين والصائمات ولما كان الصوم من أكبر الحث عليها كثيرة جدا له موضع بذاته والصائمين والصائمات وفي الحديث الذي رواه ابن ماجه والصوم زكاة البدن أي يزكيه ويظهره وينقيه من الأخلاط فذكر منهم رجل تصدق بصدقه فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه وفي الحديث الآخر والصدقة تطفي الخطيئة كما يطفى الماء النار والأحاديث في الذين لا كسب لهم ولا كاسب يعطون من فضول الأموال طاعة وإحسانا إلى خلقه وقد ثبت في الصحيحين سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ومراقبته كما في الحديث اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك والمتصدقين والمتصدقات الصدقة هي الإحسان إلى الناس المحاييج الضعفاء أسهل منه وهو صدق السجية وثباتها والخاصعين والخشوع السكون والطمانينة والتؤدة والوقار والتواضع والحامل عليه الخوف من الله تعالى وهي الصبر على المصائب والعلم بأن المقدر كائن لا محاله وتلقي ذلك بالصبر والثبات وإنما الصبر عند الصدمة الأولى أي أصعبه في أول وهلة ثم ما بعده عند الله صديقا ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا والأحاديث فيه كثيرة جدا والصابرين والصابرات هذه سجية الأثبات

## تفسير ابن كثير

إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عنه تجرب عليه كذبة لا في الجاهلية ولا في الإسلام وهو علامة على الإيمان كما أن الكذب أمانة على النفاق ومن صدق نجا عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي يرتقي إليها وهو الإيمان ثم القنوت ناشئ عنهما والصادقين والصادقات هذا في الأقوال فإن الصدق خصلة محمودة ولهذا كان بعض الصحابة رضي الله تعالى وله من في السموات والأرضي كل له قانتون يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين وقوموا لله قانتين فالإسلام بعده مرتبة البخاري وقوله تعالى والقانتين والقانتات القنوت هو الطاعة في سكون أمن هو قانت أثناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه وقال الصحيحين لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن فسلبه الإيمان ولا يلزم من ذلك كفره بإجماع المسلمين فدل على أنه أخص منه كما قررناه في أول شرح دليل على أن الإيمان غير الإسلام وهو أخص منه لقوله تعالى قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وفي القرآن ولم تذكر بشيء أما فيما ما يذكر؟ فأنزل الله تعالى إن المسلمين والمسلمات الآية فقوله تعالى إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات فأنزل الله تعالى إن المسلمين والمسلمات الآية وحدثنا بشر حدثنا سعيد عن قتادة قال دخل نساء على نساء النبي فقلن قد ذكركن الله تعالى العمري حدثنا أبو كدينة يحيى بن المهلب عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس قال: قال النساء للنبي ما له يذكر المؤمنين ولا يذكر المؤمنات يا رسول الله يذكر الرجال ولا نذكر فأنزل الله تعالى إن المسلمين والمسلمات الآية حديث آخر قال ابن جرير حدثنا أبو كريب قال حدثنا سنان بن مظاهر نذكر؟ فأنزل الله تعالى إن المسلمين والمسلمات الآية طريق أخرى قال سفيان الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: قالت أم سلمة رضي الله عنها محمد بن عمرو عن أبي سلمة أن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب حدثه عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله أذكر الرجال في كل شيء ولا في القرآن والنساء لا يذكرون؟ فأنزل الله تعالى إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات وقد رواه ابن جرير عن أبي كريب عن أبي معاوية عن عبد الله بن شريك عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم يا نبي الله مالي أسمع الرجال يذكرون آخر الآية وهكذا رواه النسائي وابن جرير من حديث عبد الواحد بن زياد به مثله طريق أخرى عنها قال النسائي أيضا حدثنا محمد بن حاتم حدثنا يزيد أخبرنا حجرة بيتي فجعلت سمعي عند الجريد فإذا هو يقول عند المنبر يا أيها الناس إن الله تعالى يقول إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات إلى ما لنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال؟ قالت فلم ير عني منه ذات يوم إلا ونداؤه على المنبر قالت وأنا أسرح شعري فلففت شعري ثم خرجت إلى حجرتي حدثنا عمان بن حكيم حدثنا عبد الرحمن بن شعبة قال سمعت أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم تقول قلت للنبي صلى الله عليه وسلم قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد بن زياد

ذلك فقال ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا كقوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم . 36 في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما وفي الحديث والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به ولهذا شدد في خلاف بشيء فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد ههنا ولا رأي ولا قول كما قال تبارك وتعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا عنه وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم فهذه الآية عامة في جميع الأمور وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله لهم الخيرة من أمرهم وقال ابن جرير أخبرني عامر بن مصعب عن طاوس قال إنه سأل ابن عباس عن ركعتين بعد العصر فنهاه وقرأ ابن عباس رضي الله لما قالت في خدرها أتردون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره؟ نزلت هذه الآية وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون أيم أنفق منها هكذا أورده الإمام أحمد بطوله وأخرج منه مسلم والنسائي في الفضائل قصة قتله وذكر الحافظ أبو عمر بن عبد البر الاستيعاب أن الجارية الله بن أبي طلحة ثابت هل تعلم ما دعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: قال اللهم صب عليها صبا ولا تجعل عيشها كدا وكذا كان فما كان في الأنصار صلى الله عليه وسلم ثم وضعه في قره ولم يذكر أنه غسله رضي الله عنه قال ثابت رضي الله عنه فما كان في الأنصار أيم أنفق منها وحدث إسحاق بن عبد فقام عليه فقال قتل سبعة وقتلوه هذا مني وأنا منه مرتين أو ثلاثا ثم وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ساعده وحفر له ماله سرير إلا ساعد النبي فطلبوه فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه فقالوا يا رسول الله ها هو ذا إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا نفقد فلانا ونفقد فلانا قال صلى الله عليه وسلم انظروا هل تفقدون من أحد قالوا لا قال لكنني أفقد جليبيبا قال صلى الله عليه وسلم فاطلبوه في القتلى فقال شأنك بها فزوجها جليبيبا قال فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة له فلما أفاء الله عليه قال لأصحابه رضي الله عنهم هل تفقدون من أحد؟ فأخبرها أمها قالت أتردون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره؟ ادفعوني إليه فإنه لن يضيعني فانطلق أبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنه أجليبيب ابنه؟ ألا لعمر الله لا نزوجه فلما أراد أن يقوم ليأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره بما قالت أمها قالت الجارية من خطبني إليكم؟ أمها فأتى أمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب ابنتك فقالت نعم ونعمة عين فقال إنه ليس يخطبها لنفسه إنما يخطبها لجليبيب فقالت أجليبيب الأنصار زوجني ابنتك قال نعم وكرامة يا رسول الله ونعمة عين فقال إني لست أريدها لنفسني قال فلما قال رسول الله؟ قال لجليبيب فقال يا رسول الله أشاور قالت وكانت الأنصار إذا كان لأحدهم أيم لم يزوجه حتى يعلم هل للنبي صلى الله عليه وسلم فيها حاج أم لا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل من أبي برزة الأسلمي قال إن جليبيبا كان امرأ يدخل على النساء يمر بهن ويلاعبهن فقلت لامرأتي لا تدخلن عليكن جليبيبا فإنه إن دخل عليكن لأفعلن ولأفعلن أنس رضي الله عنه فلقد رأيته وأنها لمن أنفق بيت بالمدينة وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد يعني ابن سلمة عن ثابت عن كنانة بن نعيم العدوي عن رضيناه قال صلى الله عليه وسلم فإني قد رضيته قال فزوجها ثم فرغ أهل المدينة فركب جليب فوجدوه قد قتل وحوله ناس من المشركين قد قتلهم قال

## تفسير ابن كثير

أمره إن كان قد رضى لكم فأنكحوه قال فكأنها جلت عن أبويها وقالوا صدقت فذهب أبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن كنت رضىته فقد وفلان قال والجارية في سترها تسمع قال فانطلق الرجل يريد أن يخبر رسول الله بذلك فقالت الجارية أتريدون أن تردوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم فنعم إذا قال فانطلق الرجل إلى امرأته فذكر ذلك لها فقالت لاها الله إذن ما وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا جليبيبا وقد منعناها من فلان البناني عن أنس رضي الله عنه قال خطب النبي صلى الله عليه وسلم على جلييب امرأة من الأنصار إلى أبيها فقال حتى استأمر أمها فقال النبي صلى الله عليه وسلم آخر الآية قال أمر أجمع من هذا النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم قال فذاك خاص وهذا أجمع وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ثابت هي وأخوها وقال إنما أردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجنا عبده قال فنزل القرآن وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً إلى بعد صلح الحديبية فوهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قبلت فزوجها زيد بن حارثة رضي الله عنه يعني والله أعلم بعد فراقه زينب فسخطت الله عنه امتنعت ثم أجابت وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها وكانت أول من هاجر من النساء يعني مجاهد وقتادة ومقاتل ابن حيان أنها نزلت في زينب بنت جحش رضي الله عنها حين خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم على مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه فاستنكفت منه وقالت أنا خير منه حسبا وكانت امرأة فيها حدة فأنزل الله تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة الآية كلها وهكذا قال قد أنكحت نفسي وقال ابن لهيعة عن أبي عمرة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش لزيد الله ورسوله الآية قالت قد رضىته لي يا رسول الله منكحا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قالت إذا لأعصى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت يا رسول الله أؤمر في نفسي؟ فبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى حارثه رضي الله عنه فدخل على زينب بنت جحش الأسدية رضي الله عنها فخطبها فقالت لست بناكحت رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى فانكحيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة الآية وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق ليخطب على فتاه زيد بن قال العوفي

الأمر الذي وقع قد قدره الله تعالى وحتمه وهو كائن لا محالة كانت زينب رضي الله عنها في علم الله ستصير من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم. 37 في آية التحريم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم ليحترز من الابن الدعي فإن ذلك كان كثيرا فيهم وقوله تعالى وكان أمر الله مفعولا أي وكان هذا زاد ذلك بيانا وتأكيذا بوقوع تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش رضي الله عنها لما طلقها زيد بن حارثة رضي الله عنه ولهذا قال تعالى فكان يقال زيد بن محمد فلما قطع الله تعالى هذه النسبة بقوله تعالى وما جعل أدعياءكم أبناءكم إلى قوله تعالى ادعوه لهم لأبائهم هو أقسط عند الله ثم ذلك لئلا يبقى حرج على المؤمنين في تزويج مطلقات الأدياء وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة قد تبنى زيد بن حارثة رضي الله عنه وإن السفير جبريل عليه السلام وقوله تعالى لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهم وطرا أي إنما أبحنا لك تزويجها وفعلنا الله عنها تقول للنبي صلى الله عليه وسلم إني لأدلي عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدلي بهن: إن جدي وجدك واحد وإني أنكحنيك الله عز وجل من السماء أنا التي نزل عزري من السماء فاعترفت لها زينب رضي الله عنها وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن المغيرة عن الشعبي قال: كانت زينب رضي الله بن جحش قال تفاخرت زينب وعائشة رضي الله عنهما فقالت زينب رضي الله عنها أنا التي نزل تزويجي من السماء وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فتقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات وقد قدمنا في سورة النور عن محمد بن عبد والنسائي من طرق عن سليمان ابن المغيرة به وقد روى البخاري رحمه الله عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال إن زينب بنت جحش رضي الله عنها كانت البيت فذهب أدخل معه فألقى الستر بيني وبينه ونزل الحجاب ووعظ القوم بما وعظوا به لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم الآية كلها ورواه مسلم الله واتبعته فجعل يتتبع حجر نسائه يسلم عليهن ويقلن يا رسول الله كيف وجدت أهلك؟ فما أدري أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أو أخبر فانطلق حتى دخل رأيتنا حين دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأطعمنا عليها الخبز واللحم فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول أرسلني رسول الله يذكرك قالت ما أنا بصانعة شيئا حتى أوامر ربي عز وجل فقامت إلى مسجدتها ونزل القرآن وجاء رسول الله فدخل عليها بغير إذن ولقد عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها وأقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهري ونكصت على عقبي وقلت يا زينب أبشري عدة زينب رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة اذهب فاذكرها علي فانطلق حتى أتاها وهي تخمر عجينا قال فلما رأيتها مهر ولا شهود من البشر قال الإمام أحمد حدثنا هاشم يعني ابن القاسم أخبرنا النضر حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال لما انقضت هو الحاجة والأرب أي لما فرغ منها وفارقها زوجها وكان الذي ولي تزويجها منه هو الله عز وجل بمعنى أنه أوحى أن يدخل عليها بلا ولي ولا عقد ولا من كتاب الله تعالى لكتم وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه وقوله تعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكمها الوطر قال نحو ذلك وقال ابن جرير حدثني إسحاق بن شاهين حدثني خالد عن داود عن عامر عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لو كنتم محمد شيئا مما أوحى إليه زيد رضي الله عنه ليشكوهوا إليه قال اتق الله وأمسك عليك زوجك فقال قد أخبرتك أنني مزوجها وتخفي في نفسك ما الله مبديه وهكذا روي عن السدي أنه يقول الحسن في قوله تعالى وتخفي في نفسك ما الله مبديه فذكرت له فقال لا ولكن الله تعالى أعلم نبيه أنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها فلما أتاه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن حاتم بن مرزوق حدثنا ابن عبيدة عن علي بن زيد بن جدعان قال سألتني علي بن الحسين رضي الله عنهما ما ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال إن هذه الآية وتخفي في نفسك ما الله مبديه نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة رضي الله عنهما

## تفسير ابن كثير

الله عنه فيه غرابة تركنا سياقه أيضا وقد روى البخاري أيضا بعضه مختصرا فقال: حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا يعلى بن منصور عن حماد بن زيد حدثنا رضي الله عنهم أحبنا أن نضرب عنها صفحا لعدم صحتها فلا نوردها وقد روى الإمام أحمد ههنا أيضا حديث من رواية حماد بن زيد عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال الله تعالى وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ذكر ابن أبي حاتم وابن جرير ههنا آثارا عن بعض السلف فمكنت عنده قريبا من سنة أو فوقها ثم وقع بينهما فجاء زيد يشكوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل رسول الله يقول له أمسك عليك زوجك وأمها أُميمة بنت عبد المطلب وأصدقها عشرة دنانير وستين درهما وخمارا وملحفة ودرعا وخمسين مدا من طعام وعشرة أمداد من تمر قاله مقاتل بن حيان بن زيد بن حارثة الذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج به بابتة عمته زينب بنت جحش الأسدية رضي الله عنها أي أهلك أحب إليك؟ قال صلى الله عليه وسلم أحب أهلي إلي فاطمة بنت محمد قال يا رسول الله ما نسألك عن فاطمة قال صلى الله عليه وسلم فأسامة فقال صلى الله عليه وسلم أتدري ما حاجتهما؟ قلت لا يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم لكني أدري قال فأذن لهما قال يا رسول الله جنناك لتخبرنا بن أبي طالب رضي الله عنهما فقال لا أسامة استأذن لنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأتيت رسول الله فأخبرته فقلت علي والعباس يستأذنان معمر حدثنا أبو داود حدثنا أبو عوانة أخبرني عمر بن أبي سلمة عن أبيه قال حدثني أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: كنت في المسجد فأتاني العباس وعلي عن سعيد بن محمد الوراق ومحمد بن عبيد عن وائل بن داود عن عبد الله البهي عنها وقال البزار حدثنا خالد بن يوسف حدثنا أبو عوانة ح وحدثنا محمد بن الحب ابن الحب قالت عائشة رضي الله عنها ما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية إلا أمره عليهم ولو عاش بعده لاستخلفه رواه الإمام أحمد الرسول وأنعمت عليه أي بالعق من الرق وكان سيدا كبير الشأن جليل القدر حبيبا إلى النبي صلى الله عليه وسلم يقال له الحب ويقال لابنه أسامة يقول تعالى مخبرا عن نبيه قال لمولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه وهو الذي أنعم الله عليه أي بالإسلام ومتابعة

كان قد تنباه وكان أمر الله قدرا مقدورا أي وكان أمره الذي يقدره كائنا لا محالة وواقعا لا محيد عنه ولا معدل فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. 38  
الله تعالى في الأنبياء قبله لم يكن ليأمرهم بشيء وعليهم في ذلك حرج وهذا رد على من توهم من المنافقين نقصا في تزويجه امرأة زيد مولاه ودعيه الذي أحل له وأمره به من تزويج زينب رضي الله عنها التي طلقها دعيه زيد بن حارثة رضي الله عنه وقوله تعالى سنة الله في الذين خلوا من قبل أي هذا حكم يقول تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له أي فيما

أيضا عن عبد الرزاق عن الثوري عن زيد عن عمرو بن مرة ورواه ابن ماجه عن أبي كريب عن عبد الله بن نمير وأبي معاوية كلاهما عن الأعمش به. 39  
لا يحقرن أحدكم نفسه أن يرى أمر الله فيه مقال ثم لا يقوله فيقول الله ما يمنك أن تقول منه فيقول رب خشيت الناس فيقول فأنأ أحق أن يخشى ورواه الإمام أحمد حدثنا ابن نمير أخبرنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ورثة كل خلف عن سلفهم إلى زماننا هذا فبنورهم يقتدي المهتدون وعلى منهجهم يسلك الموفقون فنسأل الله الكريم المنان أن يجعلنا من خلفهم قال أصحابه رضي الله عنهم بلغوا عنه كما أمرهم به في جميع أقواله وأفعاله وأحواله في ليله ونهاره وحضره وسفره وسره وعلايته فرضي الله عنهم وأرضاهم بعث إلى جميع الخلق عربهم وعجمهم قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا ثم ورث مقام البلاغ عنه أمته من بعده فكان أعلى من قام بها بعده إلى جميع أنواع بني آدم وأظهر الله تعالى كلمته ودينه وشرعه على جميع الأديان والشرائع فإنه قد كان النبي قبله إنما يبعث إلى قومه خاصة وأما هو فإنه ناصر ومعين وسيد الناس في هذا المقام: بلى وفي كل مقام محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه قام بأداء الرسالة وإبلاغها إلى أهل المشارق والمغارب ويؤدون بها ماناتها ويخشونه أي يخافونه ولا يخافون أحدا سواه فلا تمنعهم سطوة أحد عن إبلاغ رسالات الله تعالى وكفى بالله حسيبا أي وكفى بالله يمدح تبارك وتعالى الذين يبلغون رسالات الله أي إلى خلقه

آخر ابنك وكذا قال مجاهد وقتادة وابن زيد أنها نزلت في زيد بن حارثة رضي الله عنه وهذا يوافق ما قدمناه من التفسير والله سبحانه وتعالى أعلم. 4  
الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري في قوله ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه قال بلغنا أن ذلك كان في زيد بن حارثة ضرب له مثل يقول ليس ابن رجل حميد وعن أحمد بن يونس كلاهما عن زهير وهو ابن معاوية به ثم قال وهذا حديث حسن وكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث زهير به. وقال عبد معهم فأنزل الله تعالى: ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وهكذا رواه الترمذي عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي عن صاعد الحراني عن عبد بن جوفه ما عنى بذلك؟ قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما يصلي فخطر خطرة فقال المنافقون الذين يصلون معه ألا ترون له قلبين قلبا معكم وقلبا حدثنا حسن حدثنا زهير عن قابوس يعني ابن أبي ظبيان قال إن أباه حدثه قال قلت لابن عباس: رأيت قول الله تعالى: ما جعل الله لرجل من قلبين في بعقل وافر فأنزل الله تعالى هذه الآية ردا عليه. هكذا روى العوفي عن ابن عباس وقاله مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة واختاره ابن جرير. وقال الإمام أحمد يهدي السبيل أي الصراط المستقيم وقد ذكر غير واحد أن هذه الآية نزلت في رجل من قريش كان يقال له ذو القلبين وأنه كان يزعم أن له قلبين كل منهما له أبوان كما لا يمكن أن يكون للبشر الواحد قلبان والله يقول الحق وهو يهدي السبيل قال سعيد بن جبير يقول الحق أي العدل وقال قتادة وهو شيء عليم وقال ههنا ذلك قولكم بأفواهكم يعني تبنيكم لهم قول لا يقتضي أن يكون ابنا حقيقيا فإنه مخلوق من صلب رجل آخر فما يمكن أن يكون بقوله تعالى: وما جعل أديعاءكم أبناءكم كما قال تعالى في أثناء السورة ما كان محمد أبأ أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل النبي صلى الله عليه وسلم كان النبي صلى الله عليه وسلم قد تنباه قبل النبوة فكان يقال له زيد بن محمد فأراد الله تعالى أن يقطع هذا الإلحاق وهذه النسبة أمهاتهم إلا اللاتي ولدنهم الآية. وقوله تعالى: وما جعل أديعاءكم أبناءكم هذا هو المقصود بالنفي فإنها نزلت في شأن زيد بن حارثة رضي الله عنه مولى

## تفسير ابن كثير

إذا تنباه فدعاه ابنا له فقال ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم كقوله عز وجل ما هن أمهاتهم إن وهو أنه كما لا يكون للشخص الواحد قلبان في جوفه ولا تصير زوجته التي يظاهر منها بقوله أنت علي كظهر أمي أما له كذلك لا يصير الدعي ولدا للرجل يقول تعالى موطننا قبل المقصود المعنوي أمرا معروفا حسيا

مع ما يؤيدون به من الخوارق للعادات والأدلة الواضحات والبراهين الباهرات فصولات الله وسلامه عليهم دائما مستمرا ما دامت الأرض والسموات. 40  
أقيم الآية وهذا بخلاف حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فإنهم في غاية البر والصدق والرشد والاستقامة والعدل فيما يقولونه ويأمرون به وينهون عنه لهم فيه من المقاصد إلى غيره ويكون في غاية الإفك والفجور في أقوالهم وأفعالهم كما قال تعالى: هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك والمؤمنون بكذب من جاء بها وهذا من تمام لطف الله تعالى بخلقه فإنهم بضرورة الواقع لا يأمرهم بمعروف ولا ينهون عن منكر إلا على سبيل الاتفاق أولا لعنهما الله وكذلك كل مدع لذلك إلى يوم القيامة حتى يخطبوا بالمسيح الدجال فكل واحد من هؤلاء الكذابين يخلق الله تعالى معه من الأمور ما يشهد العلماء وتعالى على يد الأسود العنسي باليمن ومسيلمة الكذاب باليمامة من الأحوال الفاسدة والأقوال الباردة ما علم كل ذي لب وفهم وحجى أنهما كاذبان ضالان فهو كذاب أفاك دجال ضال مضل ولو تحرق وشعبذ وأتى بأنواع السحر والطلاسم والنيرنجيات فكلها محال وضلال عند أولي الأبواب كما أجرى الله سبحانه الحنيف له وقد أخبر الله تبارك وتعالى في كتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم في السنة المتواترة عنه أنه لا نبي بعده ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده والأحاديث في هذا كثيرة فمن رحمة الله تعالى بالعباد إرسال محمد صلى الله عليه وسلم إليهم ثم من تشريفه لهم ختم الأنبياء والمرسلين به وإكمال الدين ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة عن عبد الله بن شريح الخولاني عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما فذكر مثله سواء ما دمت فيكم فإذا ذهب بي فعليكم بكتاب الله تعالى أحلوا حلاله وحرّموا حرامه تفرد به الإمام أحمد ورواه الإمام أحمد أيضا عن يحيى بن إسحاق عن الأُمي ثلثا ولا نبي بعدي أوتيت فواتح الكلم وجوامعه وخواتمه وعلمت كم خزنة النار وحملة العرش وتجاوز بي وعوفيت وعوفيت أمتي فاسمعوا وأطيعوا عبد الله بن هبيرة عن عبد الرحمن بن جبير قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما كالمودع فقال أنا محمد النبي الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي أخرجه في الصحيحين وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن إسحاق حدثنا ابن لهيعة عن عن أبيه رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن لي أسماء: أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله تعالى بي الكفر وأنا قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته حديث آخر قال الزهري أخبرنا محمد بن جبير بن مطعم أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا معاوية بن صالح حدثنا سعيد بن سويد الكلبي عن عبد الأعلى بن هلال السلمي عن العرابض بن سارية رضي الله عنه فأتتها إلا موضع لبنة واحدة فجئت أنا فأتمت تلك اللبنة ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وأبي كريب كلاهما عن أبي معاوية به حديث آخر قال الإمام حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى دارا كافة وختم بي النبيون ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث إسماعيل ابن جعفر وقال الترمذي حسن صحيح حديث آخر قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية رضي الله عليه وسلم قال فضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا وأرسلت إلى الخلق الإمام مسلم حدثنا يحيى بن أيوب وقتيبة وعلي بن حجر قالوا حدثنا إسماعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى ههنا لبنة فيتم بنيانك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنت أنا اللبنة أخرجه من حديث عبد الرزاق حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضا قال من قبلي كمثل رجل ابتنى بيوتا فأكملها وأحسنها وأكملها إلا موضع لبنة من زاوية من زواياها فجعل الناس يطوفون ويعجبهم البنیان ويقولون ألا وضعت حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن مثلي ومثل الأنبياء صلى الله عليه وسلم لا نبوه بعدي إلا المبشرات قيل وما المبشرات يا رسول الله؟ قال: الرؤيا الحسنة أو قال الرؤيا الصالحة حديث آخر قال الإمام أحمد آخر قال الإمام أحمد حدثنا يونس بن محمد حدثنا حماد بن زيد حدثنا عفان بن عبيد الراسي قال سمعت أبا الطفيل رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل النبيين كمثل رجل بنى دارا فأتتها إلا لبنة واحدة فجئت أنا فأتمت تلك اللبنة انفرد به مسلم من رواية الأعمش به حديث من هذا الوجه حديث آخر قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله اللبنة فأنا موضع اللبنة ختم بي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ورواه البخاري ومسلم والترمذي من طرق عن سليم بن حيان به وقال الترمذي صحيح غريب الله صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى دارا فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة فكان من دخلها فنظر إليها قال ما أحسنها إلا موضع هذه حديث المختار بن فلفل حديث آخر قال أبو داود الطيالسي حدثنا مسلم بن حيان عن سعيد بن مينا عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول قال رؤيا الرجل المسلم وهي جزء من أجزاء النبوة وهكذا رواه الترمذي عن الحسن بن محمد الزعفراني عن عفان بن مسلم به وقال صحيح غريب من الله عليه وسلم إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي قال فشق ذلك على الناس فقال ولكن المبشرات قالوا يا رسول الله وما المبشرات؟ حديث آخر قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا المختار بن فلفل حدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى بالبنیان ويعجبون منه ويقولون لو تم موضع هذه اللبنة؟ فأنا في النبيين موضع تلك اللبنة ورواه الترمذي عن بNDAR عن أبي عامر العقدي به وقال حسن صحيح الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثلي في النبيين كمثل رجل بنى دارا فأحسنها وأكملها وترك فيها موضع لبنة لم يضعها فجعل الناس يطوفون رضي الله عنهم قال الإمام أحمد حدثنا أبو عامر الأزدي حدثنا زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه رضي

## تفسير ابن كثير

أخص من مقام النبوة فإن كل رسول نبي ولا ينعكس وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث جماعه من الصحابة عز وجل الله أعلم حيث يجعل رسالته فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بالطريق الأولى والأخرى لأن مقام الرسالة الله عنها حتى أصيبت به صلى الله عليه وسلم ثم ماتت بعده لسته أشهر وقوله تعالى ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما كقوله وكان له صلى الله عليه وسلم من خديجة أربع بنات: ينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة رضي الله عنهم أجمعين فمات في حياته ثلاث وتأخرت فاطمة رضي الله عنها وسلم ولد له القاسم الطيب والظاهر من خديجة رضي الله عنها فماتوا صغارا وولد له صلى الله عليه وسلم إبراهيم من ماريه القبطية فمات أيضا رضيها من رجالكم نهى أن يقال بعد هذا زيد بن محمد أي لم يكن أباه وإن كان قد تبناه فإنه صلى الله عليه وسلم لم يعيش له له ذكر حتى بلغ الحلم فإنه صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ما كان محمدا أبا أحد

الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم بالليل والنهار في البر والبحر وفي السفر والحضر والغنى والفقر والسقم والصحة والسر والعلانية وعلى كل حال. 41 لها حدا معلوما ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر فإن الله تعالى لم يجعل له حدا ينتهي إليه ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على تركه فقال: اذكروا القيامة وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: واذكروا الله ذكرا كثيرا إن الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل يحدث عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من قوم جلسوا مجلسا لم يذكروا الله تعالى فيه إلا رأوه حسرة يوم كثيرا حتى يقول المنافقون أنكم تراءون وقال الإمام أحمد حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا شداد أبو طلحة الراسبي سمعت أبا الوزاع جابر بن عمرو بن أبي جعفر عن عقبة بن أبي شبيب الراسبي عن أبي الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذكروا الله ذكرا أكثروا ذكر الله تعالى حتى يقولوا مجنون وقال الطبراني حدثنا عبد الله بن أحمد حدثنا عقبة بن مكرم العمى حدثنا سعيد بن سفيان الجحدري حدثنا الحسن وهب عن عمرو بن الحارث قال: إن دراجا أبا السمع حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى وروى الترمذي وابن ماجه الفصل الثاني من حديث معاوية بن صالح به وقال الترمذي حديث حسن غريب وقال الإمام أحمد حدثنا شريح حدثنا ابن طال عمره وحسن عمله وقال الآخر يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علينا فمروني بأمر أتشبه به قال صلى الله عليه وسلم لا يزال لسانك رطبا بذكر قال سمعت عبد الله بن بشر يقول جاء أعرابيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما يا رسول الله أي الناس خير؟ قال صلى الله عليه وسلم من بن فضالة عن أبي سعيد المري عن أبي هريرة رضي الله عنه فذكره وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية بن صالح عن عمرو بن قيس بن فضالة عن أبي سعيد الحمصي عن أبي هريرة رضي الله عنه فذكر مثله وقال غريب وهكذا رواه الإمام أحمد أيضا عن أبي النضر هاشم بن القاسم عن فرج وسلم لا أدعه: اللهم اجعلني أعظم شرك وأتبع نصيحتك وأكثر ذكرك وأحفظ وصيتك ورواه الترمذي عن يحيى بن موسى عن وكيع عن أبي فضالة الفرج عن الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا روح بن فضالة عن أبي سعيد الحمصي قال: سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول: دعاء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث زياد بن أبي زياد مولى عبد الله بن عباس أنه بلغه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه فآله أعلم وقال الله عنه به قال الترمذي ورواه بعضهم عنه فأرسله قلت وقد تقدم هذا الحديث عند قوله تعالى والذاكرين الله كثيرا والذاكرات في مسند الإمام أحمد الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الله بن سعيد بن أبي هند عن زياد مولى ابن عباس عن أبي بحريه واسمه عبد الله بن قيس البراغمي عن أبي الدرداء رضي والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا وما هو يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وسلم ذكر الله عز وجل وهكذا رواه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب في ذلك من جزيل الثواب وجميل المآب قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد عن عبد الله بن سعيد حدثني مولى بن عباس عن أبي بحريه عن أبي الدرداء يقول تعالى أمرا عباده المؤمنين بكثرة ذكركم لربهم تبارك وتعالى المنعم عليهم بأنواع النعم وصنوف المنن لما لهم

أي عند الصباح والمساء كقوله عز وجل فسبحان الله حين تمشون وحين تسبحون وله الحمد في السموات والأرض عشيا وحين تظهرون . 42 كالنسائي والمعمري وغيرهما ومن أحسن الكتب المؤلفة في ذلك كتاب الأذكار للشيخ محي الدين النووي رحمه الله وقوله تعالى وسبحوه بكرة وأصيلا والآثار في الحث على ذكر الله تعالى كثيرة جدا وفي هذه الآية الكريمة الحث على الإكثار من ذلك وقد صنف الناس في الأذكار المتعلقة بأناء الليل والنهار وقال عز وجل وسبحوه بكرة وأصيلا فإذا فعلتم ذلك صلى عليكم هو وملائكته والأحاديث والآيات

صلى الله عليه وسلم أتروا هذه تلقي ولدها في النار وهي تقدر على ذلك؟ قالوا لا قال صلى الله عليه وسلم فوالله لله أرحم بعباده من هذه بولدها. 43 أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى امرأة من السبي قد أخذت صبيا لها لصقته إلى صدرها وأرضعته فقال عليه وسلم وقال لا والله لا يلقي حبيبه في النار إسناده على شرط الصحيحين ولم يخرججه أحد من أصحاب الكتب الستة ولكن في صحيح الإمام البخاري عن ولدها أن يوطأ فأقبلت تسعى وتقول ابني ابني وسعت فأخذته فقال القوم يا رسول الله ما كانت هذه لتلقي ابنها في النار قال فخفضهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حميد عن أنس رضي الله عنه قال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه رضي الله عنهم وصبي في الطريق فلما رأت أمه القوم خشيت على الفرع الأكبر وأمر ملائكته يتلقونهم بالبشارة بالفوز بالجنة والنجاة من النار وما ذاك إلا لمحبتهم لهم ورأفته بهم قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن أبي عدي عن الذي جهله غيرهم وبصرهم الطريق الذي ضل عنه وحاد عنه من سواهم الدعاة إلى الكفر أو البدعة وأتباعهم من الطعام وأما رحمته بهم في الآخرة فأمّنهم من ملائكته لكم يخرجكم من ظلمات الجهل والضلال إلى نور الهدى واليقين وكان بالمؤمنين رحيمًا أي في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فإنه هداهم إلى الحق

## تفسير ابن كثير

وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم وقهم السيئات الآية وقوله تعالى: ليخرجهم من الظلمات إلى النور أي بسبب رحمته بكم وثنائه عليكم ودعاء آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم من الملائكة فبمعنى الدعاء للناس والاستغفار كقوله تبارك وتعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين أبي العالية ورواه أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عنه وقال غيره الصلاة من الله عز وجل الرحمة وقد يقال لا منافاة بين القولين والله أعلم وأما الصلاة تعالى من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في مالا ذكرته في مالا خير منه والصلاة من الله تعالى ثناؤه على العبد عند الملائكة حكاه البخاري عن أياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون وقال النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى: هو الذي يصلي عليكم وملائكته هذا تهيج إلى الذكر أي أنه سبحانه يذكركم فاذكروه أنتم كقوله عز وجل كما أرسلنا فيكم رسول منكم يتلوا عليكم وقوله

يعني الجنة وما فيها من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمناجك والملاذ والمناظر مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. 44 وقد يستدل له بقوله تعالى دعواهم فيها سبحانه اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين وقوله تعالى: وأعد لهم أجرا كريما قال الله عز وجل سلام قول من رب رحيم وزعم قتادة أن المراد أنهم يحيي بعضهم بعضا بالسلام يوم يلقون الله في الدار الآخرة واختاره ابن جرير: قلت وقوله تعالى: تحيتهم يوم يلقونه سلام الظاهر أن المراد والله أعلم تحيتهم أي من الله تعالى يوم يلقونه سلام أي يوم يسلم عليهم كما على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وقوله عز وجل ومبشرا ونذيرا أي بشيرا للمؤمنين بجزييل الثواب ونذيرا للكافرين من وبيل العقاب. 45 منيرا بالقرآن فقوله تعالى: شاهدا أي لله بالوحدانية وأنه لا إله غيره وعلى الناس بأعمالهم يوم القيامة وجئنا بك على هؤلاء شهيدا كقوله: لتكونوا شهداء وقال في آخره فإنه قد أنزل علي يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا على أمتك ومبشرا بالجنة ونذيرا من النار وداعيا إلى شهادة أن لا إله إلا الله بإذنه وسراجا ورواه الطبراني عن محمد بن نصر بن حميد البزار البغدادي عن عبد الرحمن بن صالح الأزدي عن عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله العرزمي بإسناده مثله عليا ومعاذ رضي الله عنهما أن يسيرا إلى اليمن فقال انطلقا فبشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا إنه قد أنزل علي يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا عن شيبان النحوي أخبرني قتادة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وقد كان أمر أبي حاتم عن وهب بن منبه اليماني رحمه الله ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الرحمن بن صالح حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله القرشي عن المنكر وقيميون الصلاة ويؤتون الزكاة ويوفون بعهدهم أختم بهم الخير الذي بدأته بأولهم ذلك فضلي أوتيه من أشياء وأنا ذو الفضل العظيم هكذا رواه ابن لهم وأجعل دائرة السوء على من خلفهم أو بغى عليهم أو أراد أن ينتزع شيئا مما في أيديهم أجعلهم ورثة لنبيهم والداعية إلى ربهم يأمرهم بالمعروف وينهون ليوث بالنهار وأجعل في أهل بيته وذريته السابقين والصدقيين والشهداء والصالحين أمته من بعده يهدون بالحق وبه يعدلون وأعز من نصرهم وأيد من دعا ويخرجون من ديارهم ابتغاء مرضاتي ألؤفا يظهرون الوجوه والأطراف ويشدون الثياب في الأنصاف قربانهم دماؤهم وأنا جيلهم في صدورهم رهبان بالليل والثناء والتكبير والتوحيد في مساجدهم ومجالسهم ومضاجعهم ومنقلبهم ومثواهم يصلون لي قياما وقعودا ويقاثلون في سبيل الله صفوفًا وزحفا وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر موحدين مؤمنين مخلصين مصدقين لما جاءت به رسلهم ألهمهم التسبيح والتحميد به بعد القلة وأغني به بعد العيلة وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف به بين أمم متفرقة وقلوب مختلفة وأهواء متشتتة وأستنقذ به فئاما من الناس عظيمة من الهلكة شريعته والعدل سيرته والهدى إمامه والإسلام ملته وأحمد اسمه أهدي به بعد الضلال وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به بعد الخمالة وأعرف به بعد النكرة وأكثر أمر جميل وأهب له كل خلق كريم وأجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة منطقة والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والحق لم يطفئه من سكينته ولو يمشي على القصب لم يسمع من تحت قدميه أبعثه مبشرا ونذيرا لا يقول أفتح به أعينا كمها وأذانا صما وقلوبا غلفا أسدده لكل أن قم في قومك بني إسرائيل فإني منطلق لسانك بوحى وأبعث أميا من الأمين أبعثه ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق لو يمر إلى جنب سراج وقال سعيد عن هلال عن عطاء عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه وقال وهب بن منبه إن الله تعالى أوحى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له شعيباء: عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو به ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن عبد الله بن رجاء عن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون به وقال البخاري في البيوع بن سنان عن فليح بن سليمان عن هلال بن علي به ورواه في التفسير عن عبد الله بن قيس بن رجاء عن ابن صالح عن عبد العزيز بن أبي سلمة عن هلال بن ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله فيفتح بها أعينا عميا وأذانا صما وقلوبا غلفا وقد رواه البخاري في البيوع عن محمد ونذيرا وحرزا للأمين فأنت عبيد ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال أجل والله إنه لموصوف في التوراة بعض صفته في القرآن يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا حدثنا موسى بن داود حدثنا فليح بن سليمان حدثنا هلال بن علي عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما فقلت أخبرني قال الإمام أحمد

للخلق إلى عبادة ربهم عن أمره لك بذلك وسراجا منيرا أي وأمرك ظاهر فيما جئت به من الحق كالشمس في إشراقها وإضاءتها لا يجحدها إلا معاند. 46 وقوله جلت عظمتها وداعيا إلى الله بإذنه أي داعيا

لا يوجد تفسير لهذه الآية 47



## تفسیر ابن کثیر

ودع أذاهم أى اصفح وتجاوز عنهم وكل أمرهم إلى الله تعالى فإن فيه كفاية لهم ولهذا قال جل جلاله وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا . 48

وقوله جل وعلا ولا تطع الكافرين والمنافين ودع أذاهم أى لا تطعمهم وتسمع منهم فى الذى يقولونه

طلحة رضي الله عنهما إن كان سمي لها صداق فليس لها إلا النصف وإن لم يكن سمي لها صداق أمتعها على قدر عسره ويسره وهو السراح الجميل. 49

عليه وسلم تزوج أميمة بنت شراحيل فلما أن دخلت عليه بسط يده إليها فكأنها كرهت ذلك فأمر أبا أسيد أن يجهزها ويكسوها ثوبين رازقين. قال علي بن أبي وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين وفي صحيح البخاري عن سهل بن سعد وأبي أسيد رضي الله عنهما قالا: إن رسول الله صلى الله فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم وقال عز وجل لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره المتعة ههنا أعم من أن تكون نصف الصداق المسمى أو المتعة الخاصة إن لم يكن قد سمي لها قال الله تعالى وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد من هذا إلا المتوفي عنها زوجها فإنها تعدت منه أربعة أشهر وعشرا لأن لم يكن دخل بها بالإجماع أيضا وقوله تعالى: فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا عليهن من عدة تعتدونها هذا أمر مجمع عليه بين العلماء أن المرأة إذا طلقت قبل الدخول بها لا عدة عليها فتذهب فتتزوج في فورها من شئت ولا يستثنى روى ابن ماجه عن علي عن المسور بن مخرمة رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: لا طلاق قبل النكاح وقوله عز وجل: فما لكم وسلم لا طلاق لابن آدم قيم لا يملك رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وقال الترمذي هذا حديث حسن وهو أحسن شيء روي في هذا الباب وهكذا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن فلا طلاق قبل النكاح وقد ورد الحديث بذلك عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه ثم طلقتموهن ألا ترى أن الطلاق بعد النكاح وهكذا روى محمد بن إسحاق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال الله تعالى بن إسماعيل الأحمسي حدثنا وكيع عن مطر عن الحسن بن مسلم بن ينيق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إنما قال الله عز وجل إذا نكحتم المؤمنات إذا قال كل امرأة أتزوجها فهي طالق قال ليس بشي من أجل أن الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن الآية وحدثنا محمد المروزي حدثنا النضر بن شميل حدثنا يونس يعني ابن أبي إسحاق قال سمعت آدم مولى خالد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال رحمه الله كل امرأة يتزوجها بعد هذا الكلام تطلق منه فأما الجمهور فاحتجوا على عدم وقوع الطلاق بهذه الآية قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن منصور فلانة فهي طالق فعندهما متى تزوجها طلقت منه واختلقا فيما إذا قال كل امرأة أتزوجها فهي طالق فقال مالك: لا تطلق حتى يعين المرأة وقال أبو حنيفة بن حنبل وطائفة كثيرة من السلف والخلف رحمهم الله تعالى وذهب مالك وأبو حنيفة رحمهما الله تعالى إلى صحة الطلاق قبل النكاح فيما إذا قال إن تزوجت تقدمه نكاح لأن الله تعالى قال إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن فعقب النكاح بالطلاق فدل على أنه لا يصح ولا يقع قبله وهذا مذهب الشافعي وأحمد ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد ابن المسيب والحسن البصري وعلي بن الحسين زين العابدين وجماعة من السلف بهذه الآية على أن الطلاق لا يقع إلا إذا لإباحة طلاق المرأة قبل الدخول بها وقوله تعالى المؤمنات خرج مخرج الغالب إذ لا فرق في الحكم بين المؤمنة والكتانية في ذلك بالاتفاق وقد استدل العقد والوطء بعده إلا في هذه الآية فإنه استعمل في العقد وحده لقوله تبارك وتعالى إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وفيها دلالة القرآن آية أصرح في ذلك منها وقد اختلفوا في النكاح هل هو حقيقة في العقد وحده أو في الوطء أو فيهما؟ على ثلاثة أقوال واستعمال القرآن إنما هو في هذه الآية الكريمة فيها أحكام كثيرة منها إطلاق النكاح على العقد وحده وليس في

قال معمر كما أطرت النصارى ابن مريم رواه في الحديث الآخر ثلاث في الناس كفر الطعن في النسب والنياحة على الميت والاستسقاء بالنجوم. 5

ترغبوا عن آبائكم وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تطروني كما أطري عيسى ابن مريم عليه السلام فإنما أنا عبد الله فقولوا عبده ورسوله وربما معه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فرجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده من قال قد كنا نقرأ ولا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن أخبرنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس عن عمر رضي الله عنه أنه قال: إن الله تعالى بعث محمداً بالحق وأنزل وفي الحديث المتقدم من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلمه إلا كفر وفي القرآن المنسوخ فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفوراً رحيماً أي وإنما الإثم على من تعمد الباطل كما قال عز وجل: لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم الآية فله أجر وفي الحديث الآخر إن الله تعالى رفع عن أمي الخطأ والنسيان والأمر الذي يكرهون عليه وقال تبارك وتعالى ههنا وليس عليكم جناح فيما وفي صحيح البخاري عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإن اجتهد فأخطأ أمراً عباده أن يقولوا ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا وثبت في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال الله عز وجل قد فعلت بعضهم إلى غير أبيه في الحقيقة خطأ بعد الاجتهاد واستفراغ الوسع فإن الله تعالى قد وضع الحرج في الخطأ ورفع إثمهم كما أرشد إليه في قوله تبارك وتعالى ادعوهم لبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم ثم قال تعالى: وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به أي إذا نسبتهم لانتمى إليه وقد جاء في الحديث من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم إلا كفر وهذا تشديد وتهديد ووعيد أكيد في التبري من النسب المعلوم ولهذا قال تعالى: فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم فأنما ممن لا يعرف أبوه فأنما من إخوانكم في الدين قال أبي: والله إنني لأظنه أنه لو علم أن أباه كان حماراً يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن عينة عن عبد الرحمن بن أبيه قال: قال أبو بكر رضي الله عنه قال الله عز وجل: ادعوهم لبائهم هو أقسط عند الله حكم بالحق وأرضى كلا من المتنازعين وقال يزيد رضي الله عنه أنت أخونا ومولانا كما قال تعالى: فإخوانكم في الدين ومواليكم وقال ابن جرير حدثنا رضي الله عنه أشبهت خلقى وخلقى وقال يزيد رضي الله عنه أنت أخونا ومولانا ففى هذا الحديث أحكام كثيرة من أحسنها أنه صلى الله عليه وسلم

## تفسير ابن كثير

يعني أسماء بنت عميس فقضى بها النبي صلى الله عليه وسلم لخالتها وقال: الخالة بمنزلة الأم وقال لعلي رضي الله عنه أنت مني وأنا منك وقال لجعفر في أيهم يكفلها فكل أدلى بحجة فقال علي رضي الله عنه أنا أحق بها وهي ابنة عمي وقال زيد ابنة أخي وقال جعفر بن أبي طالب ابنة عمي وخالتها تحتي عنها تنادي يا عم يا عم فأخذها علي رضي الله عنه وقال لفاطمة رضي الله عنها دونك ابنة عمك فاحتلمتها فاختصم فيها علي وزيد وجعفر رضي الله عنهم الدين ومواليهم أي عوضا عما فاتهم من النسب ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خرج من مكة عام عمرة القضاء وتبعتهم ابنة حمزة رضي الله وقوله عز وجل: فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم أمر تعالى برد أنساب الأدياء إلى آبائهم إن عرفوا فإن لم يعرفوا فهم إخوانهم في عبد الله اليشكري عن الجعد أبي عثمان البصري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني ورواه أبو داود والترمذي وقوله ادعوهم لأبائهم في شأن زيد بن حارثة رضي الله عنه وقد قتل في يوم مؤتة سنة ثمان وأيضاً في صحيح مسلم من حديث أبي عوانة الوضاح بن ويقول أبيني لا ترموا الجمرة حتى تطلع الشمس قال أبو عبيدة وغيره أبيني تصغير ابني وهذا ظاهر الدلالة فإن هذا كان في حجة الوداع سنة عشر. العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أغلمة بني عبد المطلب على حمرات لنا من جمع فجعل يلبخ أفخاذنا والتجيب فليس مما نهى عنه في هذه الآية بدليل ما رواه الإمام أحمد وأهل السنن إلا الترمذي من حديث سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل عن الحسن فممنزل منزلة ابن الصلب شرعاً بقوله صلى الله عليه وسلم في الصحيحين حرّموا من الرضاة ما يحرم من النسب أما دعوة الغير ابناً على سبيل التكريم منهن وطرا وقال تبارك وتعالى في آية التحريم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم احترازاً عن زوجة الدعي فإنه ليس من الصلب فأما الابن من الرضاة صلى الله عليه وسلم بزینب بنت جحش مطلقة زيد بن حارثة رضي الله عنه وقال عز وجل لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا حذيفة من ذلك شيئاً فقال صلى الله عليه وسلم أرضعوه تحرمي عليه الحديث ولهذا لما نسخ هذا الحكم أباح تبارك وتعالى زوجه الدعي وتزوج رسول الله أبي حذيفة رضي الله عنهما: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا كنا ندعو سالماً ابناً وإن الله قد أنزل ما أنزل وإنه كان يدخل علي وإنني أجد في نفس أبي والتسائي من طرق عن موسى بن عقبة به وقد كانوا يعاملونهم معاملة الأبناء من كل وجه في الخلوة بالمحارم وغير ذلك ولهذا قالت سهلة بنت سهيل امرأة عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله وأخرجه مسلم والترمذي البخاري رحمه الله حدثنا يعلى بن أسد حدثنا عبد العزيز بن المختار عن موسى بن عقبة قال حدثني سالم عن عبد الله بن عمر قال إن زيد بن حارثة رضي الله كان في ابتداء الإسلام من جواز ادعاء الأبناء الأجانب وهم الأدياء فأمر تبارك وتعالى برد نسبهم إلى آبائهم في الحقيقة وأن هذا هو العدل والقسط والبر. قال وقوله عز وجل: ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله هذا أمر ناسخ لما

الإمام واشترط الولي والمهر والشهود عليهم وهم الأمة وقد رخصنا لك فلم نوجب عليك شيئاً منه لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفوراً رحيماً . 50 أبي بن كعب ومجاهد والحسن وابتدأ في قوله قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم أي من حصرهم في أربع نسوة حرائر وما شاءوا ليس لامرأة تهب نفسها لرجل بغير ولي ولا مهر إلا للنبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيماهم قال له أن يتزوج بغير صداق ولا ولي ولا شهود كما في قصة زينب بنت جحش رضي الله عنها ولهذا قال قتادة في قوله خالصة لك من دون المؤمنين يقول سواء في تقرير المهر وثبوت مهر المثل في المفوضة لغير النبي صلى الله عليه وسلم فأما هو عليه السلام فإنه لا يجب عليه للمفوضة شيء ولو دخل بها لأن الله صلى الله عليه وسلم في تزويج بنت واشق لما فوضت فحكم لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بصداق مثلها لما توفي عنها زوجها والموت والدخول حتى يعطيها شيئاً وكذا قال مجاهد والشعبي وغيرهما أي إنها إذا فوضت المرأة نفسها إلى رجل فإنه متى دخل بها وجب عليه بها مهر مثلها كما حكم به رسول يستنكحها أي إن اختار ذلك وقوله تعالى خالصة لك من دون المؤمنين قال عكرمة أي لا تحل الموهوبة لغيرك ولو أن امرأة وهبت نفسها لرجل لم تحل له عن يونس بن بكير أي أنه لم يقبل واحدة ممن وهبت نفسها له وإن ذلك مباح له ومخصوصاً به لأنه مردود إلى مشيئته كما قال الله تعالى إن أراد النبي أن عنبسة بن الأزهر عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة وهبت نفسها له ورواه ابن جرير عن أبي كريب جناح عليك قلت ما أرى ربك إلا يسارع في هواك وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن منصور الجعفي حدثنا يونس بن بكير عن أنفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم وأقول أتهب المرأة نفسها؟ فلما أنزل الله تعالى ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا الله عليه وسلم كثير كما قال البخاري حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا أبو أسامة قال حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت كنت أغار من اللاتي وهبن المسلمين هي زينب بنت خزيمة الأنصارية وقد ماتت عند النبي صلى الله عليه وسلم في حياته فإله أعلم والغرض من هذا أن اللاتي وهبن أنفسهن للنبي صلى عن قتادة عن ابن عباس وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي قال هي ميمونه بنت الحارث فيه انقطاع هو مرسل والمشهور أن زينب التي كانت تدعى أم منه وزينب بنت جحش الأسدية والسبيتين صفية بنت حيي بن أخطب وجويرية بنت الحارث بن عمرو بن المصطلق الخزاعية وقال سعيد بن أبي عروبة للنبي صلى الله عليه وسلم وزينب أم المساكين وامرأة من بني بكر بن كلاب من القرظيات وهي التي اختارت الدنيا وامرأة من بني الجون وهي التي استعادت وعائشة وحفصة وأم حبيبة وسودة وأم سلمة وثلاثة من بني عامر بن صعصعة وامرأتين من بني هلال بن عامر ميمونه بنت الحارث وهي التي وهبت نفسها حدثنا وكيع حدثنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب وعمر بن الحكم وعبد الله بن عبيدة قالوا: تزوج رسول الله ثلاث عشرة امرأة ستاً من قريش: خديجة الله عليه وسلم وكانت امرأة صالحة فيحتمل أن أم سليم هي خولة بنت حكيم أو هي امرأة أخرى وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية له عن سعيد بن عبد الرحمن عن هشام عن أبيه كنا نتحدث أن خولة بنت حكيم كانت وهبت لرسول الله صلى

## تفسير ابن كثير

ابن وهب عن سعيد بن عبد الرحمن وابن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه أن خولة بنت حكيم بن الأوقص من بني سليم كانت من اللاتي وهبن أنفسهن حدثنا ابن أبي الوضاح يعني محمد بن مسلم عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم خولة بنت حكيم وقال تزل تمدحها حتى ذكرت أنها لم تصدع ولم تشك شيئا قط فقال لا حاجة لي في ابنتك لم يخرجوه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا منصور بن أبي مزاحم عن أنس بن مالك أن امرأة أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ابنة لي كذا وكذا فذكرت من حسننها وجمالها فأثرتك بها فقال قد قبلتها فلم بإخراجه البخاري من حديث مرحوم بن عبد العزيز عن ثابت البناني عن أنس به: وقال أحمد أيضا حدثنا عبد الله بن بكير حدثنا سنان بن ربيعة عن الحزرمي النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا نبي الله هل لك في حاجة فقالت ابنته ما كان أقل حياءها فقال هي خير منك رغبت في النبي فعرضت عليه نفسها انفرد القرآن أخرجاه من حديث مالك وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا مرحوم سمعت ثابتا يقول: كنت مع أنس جالسا وعنده ابنه له فقال أني جاءت أمراؤه إلى النبي صلى الله عليه وسلم هل معك من القرآن شيء؟ قال نعم سورة كذا وسورة كذا السور يسميها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم زوجتكما: بما معك من الله صلى الله عليه وسلم إن أعطيتها إزارك جلست لا إزار لك فالتمس شيئا فقال لا أجد شيئا فقال التمس ولو خاتما من حديد فالتمس فلم يجد شيئا فقال له يا رسول الله زوجنيها إن لم يكن لك بها حاجة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل عندك من شيء تصدقها إياه؟ فقال ما عندي إلا إزاري هذا فقال رسول عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءته امرأة فقالت يا رسول الله إني قد وهبت نفسي لك فقامت قياما طويلا فقام رجل فقال بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين وقال ههنا وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي الآية وقد قال الإمام أحمد حدثنا إسحاق أخبرنا مالك عن أبي حازم كقوله تعالى إخبارا عن نوح إنه قال لقومه ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم وكقول موسى يا قوم إن كنتم آمنتم أن يستنكحها خالصة لك الآية أي ويحل لك أيها النبي المرأة المؤمنة إن وهبت نفس لك أن تتزوجها بغير مهر إن شئت ذلك وهذه الآية توالي فيها شرطان اللاتي هاجرن معك أي أسلمن وقال الضحاك قرأ ابن مسعود واللاتي هاجرن من معك وقوله تعالى وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي بن أبي خالد عن أبي صالح عنها بنحوه ورواه الترمذي في جامعه وهكذا قال أبو رزين وقتادة أن المراد من هاجر معه إلى المدينة وفي رواية عن قتادة فلم أكن أحل له لم أكن ممن هاجر معه كنت من الطلقاء ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن عبيد الله بن موسى به ثم رواه ابن أبي حاتم من حديث إسماعيل أحلنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك قالت بن موسى حدثنا إسرائيل عن السدي عن أبي صالح عن أم هانئ قالت خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت إليه فعذرني ثم أنزل الله تعالى: إنا الظلمات والنور وله نظائر كثيرة وقوله تعالى: اللاتي هاجرن معك قال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا محمد بن عمار بن الحارث الرازي حدثنا عبيد الله عماتك وبنات خالك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك لشره وجمع الإنثاء لنقصهن كقوله: عن اليمين والشمال يخرجهم من الظلمات إلى النور وجعل فأباح بنت العم والبنت الخال والخالة وتحريم ما فرطت فيه اليهود من إباحة بنت الأخ والأخت وهذا شنيع فظيع وإنما قال وبنات عمك وبنات إلا إذا كان الرجل بينه وبينها سبعة أجداد فصاعدا واليهود يتزوج أحدهم بنت أخيه وبنت أخته فجاءت هذه الشريعة الكاملة الطاهرة بهدم إفراط النصارى الله عنهما وقوله تعالى: وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك الآية هذا عدل وسط بين الإفراط والتفريط فإن النصارى لا يتزوجون المرأة وقد ملك صفة وجورية فأعتقهما وتزوجهما وملك ربحانه بنت شمعون النضرية ومارية القبطية أم ابنه إبراهيم عليهما السلام وكانت من السرياني رضي كتابتها إلى ثابت بن قيس بن شماس وتزوجها 0 أجمعين وقوله تعالى وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك أي وأباح لك التسري مما أخذت من المغانم الله تعالى أربعمئة دينار وإلا صفة بنت حيي فإنه اصطفاها من سبي خيبر ثم أعتقها وجعل عتقها صداقها وكذلك جويرية بنت الحارث المصطلقية أدى عنها واحد وقد كان مهره لنسائه اثنتي عشرة أوقية ونشأ وهو نصف أوقية فالجميع خمسماية درهم إلا أم حبيبة بنت أبي سفيان فإنه أمهرها عنه النجاشي رحمه يقول تعالى مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم بأنه قد أحل له من النساء أزواجه اللاتي أعطاهن مهورهن وهى الأجور ههنا كما قاله مجاهد وغير أملك يعني القلب وإسناده صحيح ورجاله كلهم ثقات ولهذا عقب ذلك بقوله تعالى وكان الله عليما أي بضماائر السرائر حلما أي يحلم ويغفر. 51 ثم يقول اللهم هذا فعلي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك ورواه أهل السنن الأربعة من حديث حماد بن سلمة وزاد أبو داود بعد قوله فلا تلمني فيما حدثنا يزيد حدثنا حماد بن سلمة عن أيوب عن أبي قلابة عن عبد الله بن يزيد عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل بينهن وإنصافك لهن وعدلك فيهن وقوله تعالى والله يعلم ما في قلوبكم أي من الميل إلى بعضهن دون بعض مما لا يمكن دفعه كما قال الإمام أحمد هذا إن تقسم لهن اختيارا منك لا أنه على سبيل الوجوب فرحن بذلك واستبشرن به وحملن جميلتك في ذلك واعترفن بملكك عليهن في قسمتك لهن وتسويتك ويرضين بما آتيتهن كلهن أي إذا علمن أن الله قد وضع عنك الحرج في القسم فإن شئت قسمت وإن شئت لم تقسم لا جناح عليك في أي ذلك فعلت ثم مع مخير فيهن إن شاء قسم وإن شاء لم يقسم وهذا الذي اختاره حسن جيد قوي وفيه جمع بين الأحاديث ولهذا قال تعالى ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن من ذلك عدم وجود القسم وحديثها الأول يقتضي أن الآية نزلت في الواهبات ومن ههنا اختار ابن جرير أن الآية عاما في الواهبات وفي النساء اللاتي عنده أنه جناح عليك فقلت لها ما كنت تقولين؟ فقالت كنت أقول إن كان ذلك إلي فإني لا أريد يا رسول الله أن أؤثر عليك أحدا فهذا الحديث عنها يدل على أن المراد الله صلى الله عليه وسلم كان يستأذن في اليوم المرأة منا بعد أن نزل هذه الآية ترجى من تشاء منهن وتؤوى إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا وسلم واحتجوا بهذه الآية الكريمة وقال البخاري حدثنا حبان بن موسى حدثنا عبد الله هو ابن المبارك أخبرنا عاصم الأحول عن معاذ عن عائشة عن رسول ومع هذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقسم لهن ولهذا ذهب طائفة من الفقهاء من الشافعية وغيرهم إلى أنه لم يكن القسم واجبا عليه صلى الله عليه وسلم

## تفسیر ابن کثیر

وتؤخر من شئت وتجامع من شئت وتترك من شئت هكذا يروى عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وأبي رزین وعبد الرحمن بن زید أن أسلم وغيرهم لم ينجح بعده منهم أم شريك وقال آخرون بل المراد بقوله ترجي من تشاء منهم الآية أي من أزواجك لا حرج عليك أن تترك القسم لهن فتقدم من شئت عليك قال عامر الشعبي في قوله تعالى ترجي من تشاء منهم الآية كن نساء وهبن أنفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم فدخل ببعضهن وأرجأ بعضهن أي من شئت قبلتها ومن شئت رددتها ومن رددتها فأنت فيها أيضا بالخيار بعد ذلك إن شئت عدت فيها فأوبيتها ولهذا قال ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح رواه من حديث أبي أسامة عن هشام بن عروة فدل هذا على أن المراد بقوله ترجي أي تؤخر من تشاء منهم أي من الواهبات وتؤوي إليك من تشاء نفسها بغير صداق؟ فأنزل الله عز وجل ترجي من تشاء منهم وتؤوي إليك من تشاء الآية قالت إنى أرى ربك يسارع لك في هواك وقد تقدم أن البخاري بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تغير من النساء اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ألا تستحي المرأة أن تعرض قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن بشر حدثنا هشام

مطاع لأنه على ما ترين لسيد قومه ثم قال البزار: إسحاق بن عبد الله لين الحديث جدا وإنما ذكرناه لأننا لم نحفظه إلا من هذا الوجه وبيننا العلة فيه. 52 عليه وسلم هذه عائشة أم المؤمنين قال أفلا أنزل لك عن أحسن الخلق؟ قال يا عبينة إن الله قد حرم ذلك فلما أن خرج قالت عائشة من هذا؟ قال هذا أحق عليه وسلم فأين الاستئذان؟ فقال يا رسول الله ما استأذنت على رجل من مضر منذ أدركت ثم قال من هذه الحميراء إلى جنبك؟ فقال رسول الله صلى الله أزواج ولو أعجبك حسنهن قال فدخل عبينة بن حصن الفزاري على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة فدخل بغير إذن فقال له رسول الله صلى الله كان البدل في الجاهلية أن يقول الرجل للرجل بادلني امرأتك وأبادلك بامرأتي أي تنزل لي عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي فأنزل الله ولا أن تبدل بهن من إبراهيم بن نصر حدثنا مالك بن إسماعيل ثنا عبد السلام بن حرب عن إسحاق بن عبد الله القرشي عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال: فنهاه عن الزيادة عليهن إن طلق واحدة منهن واستبدال غيرها بها إلا ما ملكت يمينه وقد روى الحافظ أبو بكر البزار حديث مناسبا ذكره ههنا فقال حدثنا ثم راجعك من أجلي والله لئن كان طلقك مرة أخرى لا أكلمك أبدا ورجاله على شرط الصحيحين وقوله تعالى ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن عن الأعمش عن أبي صالح عن ابن عمر قال: دخل عمر على حفصة وهي تبكي فقال ما يبكيك؟ لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم طلقك إنه كان طلقك مرة ابن عباس عن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة ثم راجعها وهذا إسناد قوي وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو كريب حدثنا يونس بن بكير وابن ماجه وابن حبان في صحيحه من طرق عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن صالح بن صالح بن حيي عن سلمة أن بن كحيل عن سعيد بن جبيرة عن نزول قوله تعالى وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا الآية وأما قضية حفصة فروى أبو داود والنسائي ولا يدل ذلك على أنه لا يطلق واحدة منهن من غير استدلال فالله أعلم فأما قضية سودة ففي الصحيح عن عائشة رضي الله تبارك وتعالى عنها وهي سب من أن هذا كان قبل نزول الآية صحيح ولكن لا يحتاج إلى ذلك فإن الآية إنما دلت على أنه لا يتزوج بمن عدا اللواتي في عصمته وأنه لا يستبدل بهن غيرهن سودة حتى وهبت يومها لعائشة ثم أجاب بأن هذا كان قبل نزول قوله تعالى لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج الآية وهذا الذي قال منهم روى عنه هذا وهذا ولا منافاة والله أعلم ثم أورد ابن جرير على نفسه ما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة ثم راجعها وعزم على فراق الآية عامة فيمن ذكر من أصناف النساء وفي النساء اللواتي في عصمته وكن تسعة وهذا الذي قاله جيد ولعله مراد كثير ممن حكينا عنه من السلف فإن كثيرا ونساء من بنات العم والعمة والخال والخالة إن شاء ثلاث مائة وقال عكرمة لا يحل لك النساء من بعد أي إلي سمي الله واختار ابن جرير رحمه الله أن لك من مسلمة ولا يهودية ولا نصرانية ولا كافرة وقال أبو صالح لا يحل لك من النساء بعد أمر أن لا يتزوج أعرابية ولا عربية ويتزوج بعد من نساء تهامة إلى قوله تعالى خالصة لك من دون المؤمنين وحرم ما سوى ذلك من أصناف النساء وقال مجاهد لا يحل لك النساء من بعد أي من بعد ما سمي للنبي وحرم كل ذات دين غير الإسلام ثم قال ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله الآية وقال تعالى يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك فأحل الله فتياتكم المؤمنات وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها من طرق عن داود به وروى الترمذي عن ابن عباس قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصناف النساء إلا ما كان من المؤمنات المهاجرات بقوله تعالى فقال تعالى يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك إلى قوله تعالى إن وهبت نفسها للنبي ثم قيل له لا يحل لك النساء من بعد ورواه عبد الله بن أحمد عليه وسلم توفيق أما كان له أن يتزوج؟ فقال وما يمنعه من ذلك؟ قال قلت قول الله تعالى لا يحل لك النساء من بعد فقال إنما أحل الله له ضربا من النساء حدثنا ابن علية عن داود بن أبي هند حدثني محمد بن أبي موسى عن زياد عن رجل من الأنصار قال قلت لأبي بن كعب أرأيت لو أن أزواج النبي صلى الله في رواية عنه وعكرمة والضحاك في رواية وأبي رزبن في رواية عنه وأبي صالح والحسن وقتادة في رواية والسدي وغيرهم قال ابن جرير حدثنا يعقوب وما ملكت يمينك وبنات العم والعمة والخال والخالات والواهبه وما سوى ذلك من أصناف النساء فلا يحل لك وهذا ما روي عن أبي بن كعب ومجاهد والله أعلم وقال آخرون بل معنى الآية لا يحل لك النساء من بعد أي ن بعد ما ذكرنا لك من صفة النساء اللاتي أحللنا لك من نسائك اللاتي آتيت أجورهن محرم وذلك قول الله تعالى ترجي من تشاء منهن الآية فجعلت هذه ناسخة للتي بعدها في التلاوة كأيتي عدة الوفاة في البقرة الأولى ناسخة للتي بعدها مولى عمر بن عبد الله بن وهب بن زمعة عن أم سلمة أنها قالت: لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل الله له أن يتزوج من النساء ما شاء إلا ذات وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبد الرحمن بن عبد الملك بن شيبه حدثني عمر بن أبي بكر حدثني المغيرة بن عبد الرحمن الخزاعي عن أبي النضر صلى الله عليه وسلم حتى أحل الله له النساء ورواه أيضا من حديث ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة ورواه الترمذي والنسائي في سننهما

## تفسير ابن كثير

لتكون المنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم عليهن قال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن عمرو عن عطاء عن عائشة رضي الله عنها قالت ما مات رسول الله حسنهن إلا الإمام والسراي فلا حرج عليه فيهن ثم إنه تعالى رفع عنه الحرج في ذلك ونسخ حكم هذه الآية وأباح له التزوج ولكن لم يقع منه بعد ذلك تزوج فلما اخترن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جزائهن أن الله تعالى قصره عليهن وحرم عليه أن يتزوج بغيرهن أو يستبدل بهن أزواجا غيرهن ولو أعجبه صلى الله عليه وسلم ورضا عنهن على حسن صنيعهن في اختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة لما خيرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم في الآية ذكر غير واحد من العلماء كابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة وابن زيد وابن جرير وغيرهم أن هذه الآية نزلت مجازاة لأزواج النبي

قومها قال فاطمأن أبو بكر رضي الله عنه عنه وسكن وقد عظم الله تبارك وتعالى ذلك وشدد فيه وتوعد عليه بقوله إن ذلكم كان عند الله عظيما . 53 فقال له عمر يا خليفة رسول الله إنها ليست من نسائه إنها لم يخيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يحجبها وقد برأها الله منه بالردة التي ارتدت مع أن نبي الله صلى الله عليه وسلم مات وقد ملك قبيلة ابنة الأشعث يعني ابن قيس زوجها عكرمة بن أبي جهل بعد ذلك فشق ذلك على أبي بكر مشقة شديدة طلقها قبل أن يدخل بها فما تعلم في حلها لغيره والحالة هذه نزاعا والله أعلم وقال ابن جرير حدثني محمد بن المثنى حدثنا عبد الوهاب حدثنا داود عن عامر فيمن دخل بها ثم طلقها في حياته هل يحل لغيره أن يتزوجها؟ على قولين مأخذهما هل دخلت هذه في عموم قوله من بعده أم لا فأما من تزوجها ثم عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أزواجه أنه يحرم على غيره تزوجها من بعده لأنهن أزواجه في الدنيا والآخرة وأمهات المؤمنين كما تقدم واختلفوا وذكر بسنده عن السدي أن الذي عزم على ذلك طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه حتى نزل التنبيه على تحريم ذلك ولهذا أجمع العلماء قاطبة على أن من توفي يتزوج بعض نساء النبي صلى الله عليه وسلم بعده قال رجل لسفيان أهي عائشة؟ قال قد ذكروا ذلك وكذا قال مقاتل بن حيان وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم أبي حماد حدثنا مهران عن سفيان عن داود بن هند عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله قال نزلت في رجل هم أن كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن لو أطاع فيكن ما رأته عينا فنزل الحجاب ذلكم أظهر لقلوبكم وقلوبهن أي هذا الذي أمرتكم به وشرعته لكم من الحجاب أظهر وأطيب وقوله تعالى وما أبي كثير عن مجاهد عن عائشة قالت: كنت أكل مع النبي صلى الله عليه وسلم حيسا في قعب فمر عمر فدعاه فأكل فأصاب أصبعه أصبعي فقال حسن أو أوه يريد تناولها منهن فلا ينظر إليهن ولا يسألهن حاجة إلا من وراء حجاب وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن مسعر عن موسى بن عنه ثم قال تعالى وإذا سألتهم متاعا فاسألوهن من وراء حجاب أي وكما نهيتكم عن الدخول عليهن كذلك لا تنظروا إليهن بالكلية ولو كان لأحدكم حاجة ينهاهن عن ذلك من شدة حيائه عليه السلام حتى أنزل الله علم النهي عن ذلك ولهذا قال تعالى والله لا يستحي من الحق أي وكما نهيتكم عن ذلك وزجركم رسول الله كما قال تعالى إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم وقيل المراد إن دخولكم منزله بغير إذنه كان يشق عليه ويتأذى به ولكن كان يكره أن في الأرض ولهذا قال تعالى ولا مستأنسين لحديث أي كما وقع لأولئك نفر الثلاثة الذين استرسل بهم الحديث ونسوا أنفسهم حتى شق ذلك على عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دعيت إلى ذراع لأجبت ولو أهدى إلى كراع لقبلت فإذا فرغتم من الذي دعيت إليه فخففوا عن أهل المنزل وانتشروا ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعا أحدكم أخاه فليجب عرسا كان أو غيره وأصله في الصحيحين وفي الصحيح أيضا في ذلك كتابا في ذم الطفيلين وذكر من أخبارهم أشياء يطول إيرادها ثم قال تعالى ولكن إذا دعيت فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا وفي صحيح مسلم عن قارب الاستواء تعرضتم للدخول فإن هذا مما يكرهه الله ويذمه وهذا دليل على تحريم التطفيل وهو الذي تسميه العرب الضيفان وقد صنف الخطيب البغدادي تعالى إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه قال مجاهد وقتادة وغيرهما أي غير متحيين نضجه واستواءه أي لا ترقبوا الطعام إذا طبخ حتى إذا الأمة فأمرهم بذلك وذلك من إكرامه تعالى هذه الأمة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إياكم والدخول على النساء الحديث ثم استثنى من ذلك فقال المؤمنين أن يدخلوا منازل رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير إذن كما كانوا قبل ذلك يصنعون في بيوتهم في الجاهلية وابتداء الإسلام حتى غار الله لهذه الله إليه ثم رفع عنه وإن العرق في يده ما وضعه فقال إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن لفظ البخاري فقوله تعالى لا تدخلوا بيوت النبي حظه على الله صلى الله عليه وسلم في بيته وإنه ليتعشى وفي يده عرق فدخلت فقلت يا رسول الله إني خرجت لبعض حاجتي فقال لي عمر كذا وكذا قالت فأوحى امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها فرأها عمر بن الخطاب فقال يا سودة أما والله ما تخفين علينا فانظري كيف تخرجين قالت فانكفأت راجعة ورسول رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرجت سودة بعد ما ضرب الحجاب لحاجتها وكانت الأعلى: قد عرفناك يا سودة حرصا على أن ينزل الحجاب قالت فأنزل الله الحجاب هكذا وقع في هذه الرواية والمشهور أن هذا كان بعد نزول الحجاب كما فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليفعل فخرجت سودة بنت زمعة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة طويلة فناداها عمر بصوته أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع وهو صعيد أفيح وكان عمر يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم احجب نساءك به وقال ابن جرير حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن أخي ابن وهب حدثني عمي عبد الله بن وهب حدثني يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: إن ووعظ القوم بما وعظوا به قال هاشم في حديثه لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم الآية وفد أخرجه مسلم والنسائي من حديث جعفر بن سليمان أتاها قال تخمر عجيبتها فلما رأيتهما عظمت في صدري وذكر تمام الحديث كما قدمناه عند قوله تعالى فلما قضى زيد منها وطرا وزاد في آخره بعد قوله: حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد اذهب فاذكرها على قال فانطلق زيد حتى بنحو ذلك ولم يخرجوه ورواه ابن جرير من حديث عمرو بن سعيد ومن حديث الزهري عن أنس بنحو ذلك وقال الإمام أحمد حدثنا بهز وهاشم بن القاسم قالا

## تفسير ابن كثير

والترمذي من طريقين آخرين عن بيان بن بشر الأحمسي الكوفي عن أنى بنحوه ورواه ابن أبي حاتم أيضا من حديث أبي نضرة العبدى عن أنس بن مالك عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن عمر عن الجعد به وقد روى هذا الحديث عبد الله بن المبارك عن شريك عن بيان بن بشر عن أنس بنحوه ورواه البخاري به وقال الترمذي حسن وعلقه البخاري في كتاب النكاح فقال: وقال إبراهيم بن طهمان عن الجعد أبي عثمان عن أنس فذكر نحوه ورواه مسلم أيضا بيوت النبي الآيات قال أنس فقراهن علي قبل الناس فأنا أحدث الناس بهن عهدا وقد رواه مسلم والترمذي والنسائي جميعا عن قتيبة عن جعفر بن سليمان البيت وأنا في الحجرة فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته يسيرا وأنزل الله عليه القرآن فخرج وهو يتلو هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا على حجره وعلى نسائه فلما رأوه قد جاء ظنوا أنهم قد ثقلوا عليه ابتدروا الباب فخرجوا وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أرحى الستر ودخل فأطالوا الحديث فشقوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أشد الناس حياء ولو أعلموا كان ذلك عليهم عزيزا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وتخلف رجال يتحدثون في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم التي دخل بها معهم مولية وجهها إلى الحائط ويأكلون حتى أكلوا كلهم فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفعه قال فجئت فأخذت التور فنظرت فيه فما أدري أهو حين وضعت أكثر أم حين أخذت الله عليه وسلم جيء به فجئت به إليه فوضع يده عليه ودعا وقال ما شاء الله ثم قال ليتحلل عشرة عشرة وليسما وليأكل كل إنسان مما يليه فجعلوا يسمون من المسلمين فجئت والبيت والصفة والحجرة ملأى من الناس فقلت يا أبا عثمان كم كانوا؟ فقال كانوا زهاء ثلاث مائة قال أنس فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنظر إليه قال ضعه فوضعت في ناحية البيت ثم قال اذهب فادع فلانا وفلانا فسمي رجلا كثيرا وقال ومن لقيت من المسلمين فدعوت من قال ومن لقيت هذا منا له قليل قال أنس والناس يومئذ في جهد فجئت به فقلت يا رسول الله بعث بهذا أم سليم إليك وهي تقرئك السلام وتقول أخبره أن هذا منا له قليل الله عليه وسلم ببعض نسائه فصنعت أم سليم حيسا ثم جعلته في تور فقالت اذهب بهذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقرئه مني السلام وأخبره أن عن أنس وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو المغفر حدثنا جعفر بن سليمان عن الجعد أبي عثمان اليشكري عن أنس بن مالك قال: أعرس رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن بكر السهمي عن حميد عن أنس بنحو ذلك وقال رجلان انفرد به من هذا الوجه وقد تقدم في أفراد مسلم من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت آية الحجاب انفرد به البخاري من بين أصحاب الكتب الستة سوى النسائي في اليوم والليلة من حديث عبد الوارث سم رواه عن إسحاق هو ابن منصور عن حجرة عائشة فما أدري أخبرته أم أخبر أن القوم خرجوا فرجع حتى إذا وضع رجله في أسكفة الباب داخله والأخرى خارجه أرحى الستر بيني وبينه وأنزلت له كما قالت عائشة ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم فإذا ثلاثة رهط في البيت يتحدثون وكان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الحياء فخرج منطلقا نحو ورحمة الله وبركاته قالت وعليك السلام ورحمة الله وكيف وجدت أهلك يا رسول الله بارك الله لك؟ فتقرى حجر نسائه كلهن يقول لهن كما يقول لعائشة ويقلن طعامكم وبقي ثلاثة رهط يتحدثون في البيت فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق إلى حجرة عائشة رضي الله عنها لا فقال السلام عليكم أهل البيت داعيا فيجيء قوم فيأكلون ويخرجون ثم يجيء قوم فيقولون ويخرجون فدعوت حتى ما أجد أحدا أدعوه فقلت يا رسول الله ما أجد أحدا أدعوه قال ارفعوا حدثنا عبد الوارث حدثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال: بنى النبي صلى الله عليه وسلم بزینب بنت جحش بخبز ولحم فأرسلت على الطعام والنسائي من طرق عن معتمر بن سليمان به ثم رواه البخاري منفردا به من حديث أيوب عن أبي قلابة عن أنس رضي الله عنه بنحوه ثم قال حدثنا أبو معمر لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا الآية وقد رواه أيضا في موضع آخر ومسلم فجئت فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم أنهم قد انطلقوا فجاء حتى دخل فذهبت أدخل فألقي الحجاب بيني وبينه فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا للقيام فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام فلما قام قام من قام وقعد ثلاثة نفر فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ليدخل فإذا القوم جلوس ثم إنهم قاموا فانطلقوا مجلزا عن أنس بن مالك رضي الله عنهما قال: لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون فإذا هو يتهيا بن المنى وخليفة بن خياط أن ذلك كان في سنة ثلاث فإله أعلم قال البخاري حدثنا محمد بن عبد الله الرقاشي حدثنا معتمر بن سليمان سمعت أبي حدثنا أبو بزینب بنت جحش التي تولى الله تعالى تزويجها بنفسه وكان ذلك في ذي القعدة من السنة الخامسة في قول قتادة والواقدي وغيرهما وزعم أبو عبيدة معمر الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل الله آية الحجاب وكان وقت نزولها في صبيحة عرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية لمسلم ذكر أسارى بدر وهي قضية رابعة وقد قال البخاري حدثنا مسدد عن يحيى عن حميد أن أنس بن مالك قال: قال عمر بن الخطاب يا رسول الله فأنزل الله آية الحجاب وقلت لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم لما تملأن عليه في الغيرة عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن فنزلت كذلك لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فأنزل الله تعالى واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وقلت يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو حجبتهن شرعية وهى مما وافق تنزيلها قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما ثبت ذلك في الصحيحين عنه أنه قال وافق ربي عز وجل في ثلاث قلت يا رسول الله هذه آية الحجاب وفيها أحكام وآداب

بكل شيء عليم أي مهما تكنه ضائركم وتنطوي عليه سرائركم فإن الله يعلمه فإنه لا تخفى عليه خافية يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور . 54

ثم قال إن تبدوا شيئا أو تخفوه فإن الله كان

تعالى: واتقين الله إن الله كان على كل شيء شهيدا أي واخشينه في الخلوة والعلاية فإنه شهيد على كل شيء لا تخفى عليه خافية فراقبن الرقيب. 55

يعني به أرقاءهن من الذكور والإناث كما تقدم التنبيه عليه وإيراد الحديث فيه قال سعيد بن المسيب إنما يعني به الإمام فقط رواه ابن أبي حاتم وقوله لأبناهما وكرها أن تضع خمارها عند خالها وعمها وقوله تعالى: ولا نساھن يعني بذلك عدم الاحتجاب من النساء المؤمنات وقوله تعالى وما ملكت أيمانھن

## تفسير ابن كثير

منهال حدثنا حماد حدثنا داود عن الشعبي وعكرمة في قوله تعالى: لا جناح عليهن في آبائهن الآية قلت ما شأن العم والخال لم يذكر؟ قال لأنهما ينعنانهما العم والخال في هاتين الآيتين؟ فأجاب عكرمة والشعبي بأنهما لم يذكرنا لأنهما قد يصفان ذلك لبنيهما قال ابن جرير حدثني محمد بن المثنى حدثنا حجاج بن لم يظهرها على عورات النساء وفيها زيادات على هذه وقد تقدم تفسيرها والكلام عليها بما أغنى عن إعادته ههنا وقد سأل بعض السلف فقال: لم لم يذكر أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني أخواتهن أو نساكنهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين بالحجاب من الأجانب بين أن هؤلاء الأقارب لا يجب الاحتجاب منهم كما استثناهم في سورة النور عند قوله تعالى ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن لما أمر تبارك وتعالى النساء

والمكروه هو ما ورد فيه نهي مقصود قال أصحابنا والمعتد في ذلك أن الصلاة صارت مخصوصة في لسان السلف بالأنبياء كما أن قولنا عز وجل 56 أقوال حكاه الشيخ أبو زكريا النووي في كتاب الأذكار ثم قال والصحيح الذي عليه الأكثر أن مكروه كراهة تنزيه لأنه شعار أهل البدع وقد نهينا عن شعارهم من يعتقدون فيهم فلا يقتدى بهم في ذلك والله أعلم ثم اختلف المانعون من ذلك هل هو من باب التحريم أو الكراهة التنزيهية أو خلاف الأولى؟ على ثلاثة شعار لآل أبي أوفى ولا لجابر وامراته وهذا مسلك حسن وقال آخرون لا يجوز ذلك لأن الصلاة على غير الأنبياء قد صارت من شعار أهل الأهواء يصلون على لا يقال قال محمد عز وجل وإن كان عزيزا جليلا لأن هذا من شعار ذكر الله عز وجل وحملوا ما ورد في ذلك من الكتاب والسنة على الدعاء لهم ولهذا لم يثبت قد صار شعارا للأنبياء إذا ذكروا فلا يلحق بهم غيرهم فلا يقال قال أبو بكر صلى الله عليه وسلم وقال علي صلى الله عليه وسلم وإن كان المعنى صحيحا كما أن امرأته قالت يا رسول الله صل علي وعلى زوجي فقال صلى الله عليه وسلم وعلى زوجك قال الجمهور من العلماء لا يجوز أفراد غير الأنبياء بالصلاة لأن هذا صلى الله عليه وسلم إذا أتاه قوم بصدقته قال اللهم صل عليهم فأتاه أبي بصدقته فقال اللهم صل علي آل أبي أوفى أخرجه في الصحيحين وبحديث جابر صلوات من ربهم ورحمة وبقوله خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم الآية وبحديث عبد الله بن أبي أوفى قال: كان رسول الله النزاع فيما إذا أفرد غير الأنبياء بالصلاة عليهم فقال قائلون يجوز ذلك واحتجوا بقول الله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته ويقول أولئك عليهم وأما الصلاة على غير الأنبياء فإن كانت على سبيل التبعية كما تقدم في الحديث اللهم صل على محمد وآله وأزواجه وذريته فهذا جائز بالإجماع وإنما وقع الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله كثيرا ما يكتب اسم النبي صلى الله عليه وسلم من غير ذكر الصلاة عليه كتابة قال: وبلغني أنه كان يصلي عليه لفظا فصل روي نحوه عن أبي بكر وابن عباس ولا يصح من ذلك شيء والله أعلم وقد ذكر الخطيب البغدادي في كتابه الجامع لأدب الراوي والسماع قال: رأيت بخط وليس هذا الحديث بصحيح من وجوه كثيرة وقد روي من حديث أبي هريرة ولا يصح أيضا قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي شيخنا أحسبه موضوعا وقد عن نهشل عن الضحاك عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الصلاة جارية له ما دام اسمي في ذلك الكتاب أعلم مسألة وقد استحَب أهل الكتابة أن يكرر الكاتب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كلما كتبه وقد ورد في الحديث من طريق كادح بن رحمة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا طنت أذن أحدكم فليذكرني وليصل علي وليقل ذكر الله من ذكرني بخير إسناده غريب وفي ثبوته نظر والله محمد بن إسحاق بن خزيمة قد رواه في صحيحه فقال: حدثنا زياد بن يحيى حدثنا معمر بن محمد بن عبيد الله عن علي بن أبي رافع عن أبيه عن أبي رافع رواه عبد الرزاق عن الثوري عن موسى بن عبيدة الزبيدي به ومن ذلك أنه يستحب الصلاة عليه عند طنين الأذن إن صح الخبر في ذلك على أن الإمام أبا بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلوا على أنبياء الله ورسله فإن الله بعثهم كما بعثني. في إسناده ضعيفان وهما عمرو بن هارون وشيخه والله أعلم وقد حديث آخر قال إسماعيل القاضي حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي حدثنا عمرو بن هارون عن موسى بن عبيدة عن محمد بن ثابت عن أبي هريرة أن الجمهور وقالوا هذا موطن يفرد فيه ذكر الله تعالى كما عند الأكل والدخول والوقوع وغير ذلك مما لم ترد فيه السنة بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم مع ذكر الله عند الذبح واستأنسوا بقوله تعالى ورفعنا لك ذكرك قال بعض المفسرين يقول الله تعالى لا أذكر إلا ذكرت معي وخالهم في ذلك وثناء عليه وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ومسألة لنفسك وعلى المروة مثل ذلك. إسناده جيد حسن قوي قالوا ويستحب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عنه يقول: إذا قدمتم فطوفوا بالبيت سبعا وصلوا عند المقام ركعتين ثم ائتوا الصفا فقوموا عليه من حيث ترون البيت فكبروا سبع مرات تكبيرا بين حمد الله وقال إسماعيل القاضي حدثنا عارم بن الفضل حدثنا عبد الله بن المبارك حدثنا زكريا عن الشعبي عن وهب بن الأجدع قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله بن محمد بن زائدة عن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق قال كان يؤمر الرجل إذا فرغ من تلبيته أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم على كل حال مرفوعا قال أصحابنا ويستحب للمحرم إذا لبى وفرغ من تلبيته أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم لما رواه الشافعي والدارقطني من رواية صالح قبري سمعته ومن صلى علي من بعيد بلغته ففي إسناده نظر تفرد به محمد بن مروان السدي الصغير وهو متروك عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة السلام وهكذا رواه النسائي من حديث سفيان الثوري وسليمان بن مهران الأعمش كلاهما عن عبد الله بن السائب به فأما الحديث الآخر من صلى علي عند سفيان عن عبد الله بن السائب عن زاذان عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي إلا قال ذلك الملكان غفر الله لك ويقول الله وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين. غريب جدا وإسناده به ضعف شديد وقد قال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن وجل وكل بي ملكين لا أذكر عند عبد مسلم فيصلي علي إلا قال ذلك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ولا يصلي علي أحد الله عليه وسلم أرأيت قول الله عز وجل إن الله وملائكته يصلون على النبي فقال إن هذا هو المكتوم ولولا أنكم سألتموني عنه ما أخبرتكم إن الله عز الحميد الطحان أخبرنا يزيد بن هارون بن أبي شيبان عن الحكم بن عبد الله بن الخطاب عن أم أنيس بنت الحسن بن علي عن أبيها قال: قال رسول الله صلى

## تفسیر ابن کثیر

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلوا علي حيثما كنتم فإن صلاتكم تبليغي ثم قال الطبراني حدثنا العباس بن حمدان الأصبهاني حدثنا شعيب بن عبد رشدين المصري حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا محمد بن جعفر أخبرني حميد بن أبي زينب عن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم عن أبيه : يا هذا ما أنت ورجل بالأندلس منه إلا سواء أي الجميع يبيلغه صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين وقال الطبراني في معجمه الكبير حدثنا أحمد بن قبيورا وصلوا علي حيثما كنتم فإن صلاتكم تبليغي فلعله رآهم يسيئون الأدب برفع أصواتهم فوق الحاجة فنهاهم وقد روي أنه رأى رجلا ينتاب القبر فقال له سهيل عن الحسن بن الحسن بن علي قال رأى قوما عند القبر فنهاهم وقال إن النبي صلى الله عليه وسلم . قال لا تتخذوا قبوري عيدا ولا تتخذوا بيوتكم فتبليغي صلاتكم وسلامكم. في إسناده رجل مبهم لم يسم وقد روي من وجه آخر مرسلًا قال عبد الرزاق في مصنفه عن الثوري عن ابن عجلان عن رجل يقال بن الحسين أخبرني أبي عن جدي أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا قبوري عيدا ولا تجعلوا بيوتكم قبورا صلوا علي وسلموا حيثما كنتم ما يحملك على هذا ؟ قال أحب السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له علي بن الحسين هل لك أن أحدثك حديثا عن أبي ؟ قال نعم فقال له علي علي أن رجلا كان يأتي كل غداة فيزور قبر النبي صلى الله عليه وسلم ويصلي عليه ويضع من ذلك ما اشتهر عليه علي بن الحسين فقال له علي بن الحسين حدثنا إسماعيل بن أبي أويس حدثنا جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا قبوري عيدا ولا تجعلوا بيوتكم قبورا وصححه النووي أيضا وقد روي من وجه آخر عن علي رضي الله عنه قال القاضي إسماعيل بن إسحاق في كتابه فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ولا تجعلوا قبوري عيدا وصلوا علي فإن صلاتكم تبليغي حيثما كنتم تفرد به أبو داود أيضا وقد رواه الإمام أحمد عن شريح عن عبد الله بن نافع وهو الصانع به قال : قرأت على عبد الله بن نافع أخبرني ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم قبورا ما منكم من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام تفرد به أبو داود وصححه النووي في الأذكار ثم قال أبو داود حدثنا أحمد بن صالح ابن عوف هو محمد بن المقرئ حدثنا حيوة عن أبي صخر حميد بن زياد عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كالأذان والصلاة هذا مذهب الشافعي وأحمد رحمهما الله ومن ذلك أنه يستحب الصلاة والسلام عليه عند زيارة قبره صلى الله عليه وسلم قال أبو داود حدثنا عليه وسلم يوم الجمعة على المنبر في الخطبتين ولا تصح الخطبتان إلا بذلك لأنها عبادة وذكر الله شرط فيها فوجب ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم فيها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا كان يوم الجمعة وليلة الجمعة فأكثرُوا الصلاة علي هذا مرسل وهكذا يجب على الخطيب أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم لا تأكل الأرض جسد من كلمه روح القدس مرسل حسن والنووي في الأذكار وقال القاضي وقال الشافعي أخبرنا إبراهيم بن محمد أخبرنا صفوان بن سليم عن الحسن البصري فقال إسماعيل القاضي حدثنا سليمان بن حرب حدثنا جرير بن حازم سمعت الحسن البصري يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم في الأمر بالإكثار من الصلاة عليه ليلة الجمعة ومن الجمعة ولكن في إسنادهما ضعف والله أعلم وروي مرسلًا الله حي يرزق هذا حديث غريب من هذا الوجه وفيه انقطاع بين عبادة بن نسي وأبي الدرداء فإنه لم يدركه والله أعلم وقد روى البيهقي من حديث أبي أمامة الملائكة لأن أحدا لا يصلي علي فيه إلا عرضت علي صلاته حتى يفرغ منها قال قلت وبعد الموت ؟ قال إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء فنبي بن أبي هلال عن زيد بن أيمن عن عبادة بن نسي عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثرُوا الصلاة علي يوم الجمعة فإنه مشهود تشهدده والنووي في الأذكار حديث آخر قال أبو عبد الله بن ماجه حدثنا عمرو بن سودة المصري حدثنا عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن سعيد أن تأكل أجساد الأنبياء ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث حسين بن علي الجعفي وقد صحح هذا الحديث ابن خزيمة وابن حبان والدارقطني علي من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علي قالوا يا رسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت ؟ يعني وقد بليت قال إن الله حرم على الأرض التقفي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثرُوا عليه يوم الجمعة وليلة الجمعة قال الإمام أحمد حدثنا حسين بن علي الجعفي عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن أبي الأشعث الصنعاني عن أوس بن أوس وأنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت تباركت ربنا وتعاليت وزاد النسائي في سننه بعد هذا وصلى الله على محمد ومن ذلك أنه يستحب الإكثار من الصلاة أقولهن في الوتر اللهم اهْدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما أعطيت وقتني شر ما قضيت فإنك تقضي ولا يقضى عليك وأهل السنن وابن خزيمة وابن حبان والحاكم من حديث أبي الجوزاء عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال : علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات اجعلوني في أول الدعاء وفي وسط الدعاء وفي آخر الدعاء وهذا حديث غريب وموسى بن عبيدة ضعيف الحديث ومن أكد ذلك دعاء القنوات لما رواه أحمد لا تجعلوني كقدح الراكب إذا علق تعاليقه أخذ قدحه فملأه من الماء فإن كان له حاجة في الوضوء توضأ وإن كان له حاجة في الشرب شرب وإلا أهرق ما فيه حيث قال : حدثنا جعفر بن عون أخبرنا موسى بن عبيدة عن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم عن أبيه قال : قال جابر قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي فلا تجعلوني كفمر الراكب صلوا علي أول الدعاء وآخره وأوسطه وهذه الزيادة إنما تروى من رواية جابر بن عبد الله في مسند الإمام عبد بن حميد الكشي عن عمر مرفوعا وكذا رواه رزين بن معاوية في كتابه مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد حتى يصل من شيء حتى تصلني على نبيك وكذا رواه أيوب بن موسى عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب ورواه معاذ بن الحارث عن أبي قرة سعيد بن المسيب حدثنا أبو داود حدثنا النضر بن سهيل عن أبي قرة الأسدي عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب قال : الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد ذلك ثم تركه فقال حذيفة وأبو موسى صدق أبو عبد الرحمن إسناده صحيح ومن ذلك أنه يستحب ختم الدعاء بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم قال الترمذي وتفعل مثل ذلك ثم تكبر وتفعل مثل ذلك ثم تقرأ ثم تكبر وترتكب ثم تقوم فتقرأ وتحمد ربك وتصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل



## تفسير ابن كثير

إن هذا العيد قد دنا فكيف التكبير فيه ؟ قال عبد الله فتكبر تكبيرة تفتتح بها الصلاة وتحمد ربك وتصلي على النبي ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك ثم تكبر هشام الدستوائي حدثنا حماد بن أبي سليمان عن إبراهيم عن علقمة أن ابن مسعود وأبا موسى وحذيفة خرج عليهم الوليد بن عقبة يوما قبل العيد فقال لهم في الصلاة على الجنائز فذكره وهكذا روي عن أبي هريرة وابن عمر والشعبي ومن ذلك في صلاة العيد قال إسماعيل القاضي حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا علي الصحيح ورواه إسماعيل القاضي عن محمد بن المثنى عن عبد الأعلى عن معمر عن الزهري عن أبي أمامة بن سهل عن سعيد بن المسيب أنه قال : السنة وفي التكبيرات لا يقرأ في شيء منها ثم يسلم سرا في نفسه ورواه النسائي عن أبي أمامة نفسه أنه قال من السنة فذكره وهذا من الصحابي في حكم المرفوع الصلاة على الجنائز أن يكبر الإمام ثم يقرأ بفاتحة الكتاب بعد التكبيرة الأولى سرا في نفسه ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويخلص الدعاء للجنائز الله حدثنا مطرف بن مازن عن معمر عن الزهري أخبرني أبو أمامة بن سهل بن حنيف أنه أخبره رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن السنة في وفي الثانية أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وفي الثالثة يدعو للميت وفي الرابعة يقول اللهم لا تحرمننا أجره ولا تفتننا بعده قال الشافعي رحمه واحدا وهل تستحب ؟ على قولين للشافعي ومن ذلك الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في صلاة الجنائز فإن السنة أن يقرأ في التكبيرة الأولى فاتحة الكتاب الصلاة فقد قدمنا الكلام عليها في التشهد الأخير ومن ذهب إلى ذلك من العلماء منهم الشافعي رحمه الله وأكرمه وأما التشهد الأول فلا تجب فيه قولا بن الحسين قال قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : إذا مررت بالمساجد فصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم وأما الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك وقال إسماعيل القاضي حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا سفيان بن عمرو التميمي عن سليمان الضبي عن علي صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم ثم قال اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وإذا خرج صلى على محمد وسلم ثم قال حدثنا ليث بن أبي سليم عن عبد الله بن الحسن عن أمه فاطمة بنت الحسين عن جدته فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : كان رسول الله إبراهيم وموسى عليهم السلام إسناده جيد قوي صحيح ومن ذلك عند دخول المسجد والخروج منه للحديث الذي رواه الإمام أحمد حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثني معمر عن ابن طاوس عن أبيه سمعت ابن عباس يقول : اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته العليا وأعطه سؤله في الآخرة والأولى كما آتيت المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي وهذا إسناده بأس به ولم يخرجوه أثر حسن قال إسماعيل القاضي حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن زياد بن نعيم عن ورقاء الحضرمي عن رويغ بن ثابت الأنصاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى على محمد وقال اللهم أنزله المقعد محمد بن أبي بكر عن معتمر عن ليث وهو ابن أبي سليم به وكذا الحديث الآخر قال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا بكر بن سودة علي زكاة لكم وسلوا الله لي الوسيلة قال فإما حدثنا وإما سألتناه قال الوسيلة أعلى درجة في الجنة لا ينالها إلا رجل وأرجو أن أكون أنا ذلك الرجل ثم رواه عن حرب حدثنا سعيد بن زيد عن ليث عن كعب هو كعب الأحبار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا علي فإن صلاتكم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الله لي الوسيلة حقت عليه شفاعتي يوم القيامة حديث آخر قال إسماعيل القاضي حدثنا سليمان بن علقمة طريق أخرى قال إسماعيل القاضي حدثنا محمد بن أبي بكر حدثنا عمرو بن علي عن أبي بكر الجشمي عن صفوان بن سليم عن عبد الله بن عمرو إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعاة وأخرجهم مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث كعب بن إذا سمعتم مؤذنا فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي حدثنا حيوة حدثنا كعب بن علقمة أنه سمع عبد الرحمن بن جبير يقول إنه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص يقول إنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمر بالصلاة عليه في أوقات كثيرة فمنها واجب ومنها مستحب على ما نبينه فمنه بعد النداء للصلاة للحديث الذي رواه الإمام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن زاد على المرة والواجب فيه مرة كالشهادة له بالنبوة وما زاد على ذلك فمندوب ومرغب فيه من سنن الإسلام وشعار أهله قلت وهذا قول غريب فإنه قد ورد حكى الإجماع على وجوب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في الجملة قال وقد حكى الطبري أن محمدا بن النضر وادعى فيه الإجماع قال ولعله فيما أنه إنما تجب الصلاة عليه عليه الصلاة والسلام في العمر مرة واحدة امتثالا لأمر الآية ثم هي مستحبة في كل حال وهذا هو الذي نصره القاضي عياض بعدما قوم يقدعون ثم يقومون ولا يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم إلا كان عليهم يوم القيامة حسرة وإن دخلوا الجنة لما يرون من الثواب وحكي عن بعضهم روي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجه وقد رواه إسماعيل القاضي من حديث شعبة عن سليمان عن ذكوان عن أبي سعيد قال ما من الإمام أحمد عن حجاج ويزيد بن هارون كلاهما عن ابن أبي ذئب عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة مرفوعا مثله ثم قال الترمذي هذا حديث حسن وقد قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة يوم القيامة فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم تفرد به الترمذي من هذا الوجه ورواه الذي رواه الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما جلس أعلم وذهب آخرون إلى أنه تجب الصلاة عليه في المجلس مرة واحدة ثم لا تجب في بقية ذلك المجلس بل تستحب نقله الترمذي عن بعضهم ويتأيد بالحديث عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسي الصلاة علي أخطأ طريق الجنة وهذا مرسل يتقوى بالذي قبله والله عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسي الصلاة علي أخطأ طريق الجنة. جنادة ضعيف ولكن رواه إسماعيل القاضي من غير وجه منهم الطحاوي والحليمي ويتقوى بالحديث الآخر الذي رواه ابن ماجه حدثنا جنادة بن المغلس حدثنا حماد بن زيد حدثنا عمرو بن دينار عن جابر بن زيد عندك الكبر أحدهما أو كلاهما وهذا الحديث والذي قبله دليل على وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكر وهو مذهب طائفة من العلماء هريرة قال الترمذي وفي الباب عن جابر وأنس قلت وابن عباس وكعب بن عجرة وقد ذكرت طرق هذا الحديث في أول كتاب الصيام عند قوله : إما يبلغن

## تفسير ابن كثير

بن عبيد الله حدثنا ابن أبي حازم عن كثير بن زيد عن الوليد بن رباح عن أبي هريرة مرفوعا بنحوه ورواه من حديث محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخله الجنة ثم قال حسن غريب قلت وقد رواه البخاري في الأدب عن محمد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم أنف رجل دخل عليه شهر أن أذكر عنده فلا يصلي علي حديث آخر قال الترمذي حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا ربعي بن إبراهيم عن عبد الرحمن بن إسحاق عن سعيد آخر مرسل قال إسماعيل وحدثنا سليمان بن حرب حدثنا جرير بن حازم سمعت الحسن يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسب امرئ من البخل من أهل دمشق عن عوف بن مالك عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أبخل الناس من ذكرت عنده فلم يصل علي حديث ومنهم من جعله من مسند علي نفسه حديث آخر قال إسماعيل القاضي حدثنا حجاج بن منهال حدثنا حماد بن سلمة عن معبد بن بلال العنزي حدثنا رجل أبو سعيد فلم يصل علي ورواه الترمذي من حديث سليمان بن بلال ثم قال هذا حديث حسن غريب صحيح ومن الرواة من جعله من سند الحسين بن علي عن عبد الله بن علي بن الحسين عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : البخيل من ذكرت عنده ثم لم يصل علي وقال عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات حديث آخر قال الإمام أحمد حدثنا عبد الملك بن عمرو وأبو سعيد حدثنا سليمان بن بلال عن عمارة بن غزية يونس بن عمرو عن يونس بن أبي إسحاق عن يزيد بن أبي مريم عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي صلاة واحدة صلى الله المغيرة بن مسلم الخراساني عن أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي عن أنس به حديث آخر عن أنس قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن فضيل حدثنا ذكرت عنده فليصل علي ومن صلى علي مرة واحدة صلى الله عليه عشرا ورواه النسائي في اليوم والليلة من حديث أبي داود الطيالسي عن أبي سلمة وهو وحرما حرامه حديث آخر قال أبو داود الطيالسي حدثنا أبو سلمة الخراساني حدثنا أبو إسحاق عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من وعلمت كم خزنة النار وحملة العرش وتجاوز بي عوفيت وعوفيت أمتي فاسمعوا وأطيعوا ما دمت فيكم فإذا ذهب بي فعليكم بكتاب الله أحلوا حلاله خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما كالمودع فقال أنا محمد النبي الأمي قاله ثلاث مرات ولا نبي بعدي أوتيت فواتح الكلام وخواتمه وجوامعه : من صلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة واحدة صلى الله عليه وملائكته لها سبعين صلاة فليقل عبد من ذلك أو ليكثر وسمعت عبد الله بن عمرو يقول الإمام أحمد حدثنا يحيى بن إسحاق حدثنا ابن لهيعة عن عبد الرحمن بن مريح الخولاني سمعت أبا قيس مولى عمرو بن العاص سمعت عبد الله بن عمرو يقول من الجنة فسألناه أو أخبرنا فقال هي درجة في أعلى الجنة وهي لرجل وأنا أرجو أن أكون ذلك الرجل في إسناده بعض من تكلم فيه حديث آخر قال حدثنا داود بن علي عن ليث عن مجاهد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا علي فإنها زكاة لكم وسلوا الله لي الدرجة الوسيلة رجل وأرجو أن أكون أنا هو تفرد به أحمد وقد رواه البزار من طريق مجاهد عن أبي هريرة بنحوه فقال حدثنا محمد بن إسحاق البكالي حدثنا عثمان بن سعيد عن ليث عن كعب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال صلوا علي فإنها زكاة لكم وسلوا الله لي الوسيلة فإنها درجة في أعلى الجنة ولا ينالها إلا صحيح وفي الباب عن عبد الرحمن بن عوف وعامر بن ربيعة وعمار وأبي طلحة وأنس وأبي بن كعب : وقال الإمام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا شريك عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشرا قال الترمذي هذا حديث حسن مثله وهذا أيضا إسناده جيد ولم يخرجوه حديث آخر روى مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث إسماعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن قال أجل أتاني أت من ربي عز وجل فقال من صلى عليك من أمتك صلاة كتب الله له بها عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات ورد عليه قال أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما طيب النفس يرى في وجهه البشر قالوا يا رسول الله أصبحت اليوم طيب النفس يرى في وجهك البشر ثابت عن أنس عن أبي طلحة بنحوه طريق أخرى قال الإمام أحمد حدثنا شريح حدثنا أبو معشر عن إسحاق بن كعب بن عجرة عن أبي طلحة الأنصاري بلى ورواه النسائي من حديث حماد بن سلمة به وقد رواه إسماعيل القاضي عن إسماعيل بن أبي أويس عن أخيه عن سليمان بن بلال عن عبيد الله بن عمر عن يا محمد أما يرضيك أن ربك عز وجل يقول إنه لا يصلي عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرا ؟ قلت عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والسرور يرى في وجهه فقالوا يا رسول الله إنا لنرى السرور في وجهك فقال إنه أتاني الملك فقال الخطاب بنحوه حديث آخر قال الإمام أحمد حدثنا أبو كامل حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت بن سليمان مولى الحسن بن علي عن عبد الله بن أبي طلحة عن سلمة بن وردان عن أنس عن عمر بنحوه ورواه أيضا يعقوب بن حميد عن أنس بن عياض عن سلمة بن وردان عن مالك بن أوس بن الحدثان عن عمر بن صلوات ورفع له عشر درجات وقد اختار هذا الحديث الحافظ الضياء المقدسي في كتابه المستخرج على الصحيحين وقد رواه إسماعيل القاضي عن القعنبى الله عليه وسلم رأسه فقال أحسنت يا عمر حين وجدته ساجدا فتتحيته عني إن جبريل أتاني فقال من صلى عليك من أمتك واحدة صلى الله عليه عشر حاجة فلم يجد أحدا يتبعه ففرغ عمر فاتاه بمطهرة من خلفه فوجد النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا في مشربة فتتحيته عنه من خلفه حتى رفع النبي صلى عبيد الله بن عمر عن الحكم بن عبيدة عن إبراهيم النخعي عن الأسود بن يزيد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحمن حديث آخر قال أبو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عبد الرحيم بن بجير بن عبد الله بن معاوية بن بجير بن ريان حدثنا يحيى بن أيوب حدثنا إسحاق القاضي في كتابه عن يحيى بن عبد الحميد عن الدراوردي عن عمرو بن عبد الواحد عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف به ورواه من وجه آخر عن عبد إن جبريل أتاني فبشرني أن الله عز وجل يقول لك من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه فسجدت لله عز وجل شكرا ورواه إسماعيل بن منه ثم جلست فرفع رأسه فقال من هذا ؟ قلت عبد الرحمن قال ما شأنك ؟ قلت يا رسول الله سجدت سجدة خشيت أن يكون الله قبض روحك فيها فقال

## تفسير ابن كثير

: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوجه نحو صدفته فدخل فاستقبل القبلة فخر ساجدا فأطال السجود حتى ظننت أن الله قد قبض نفسه فيها فدنوت أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا سليمان بن بلال حدثنا عمرو بن أبي عمر عن عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن بن عوف عن عبد الرحمن بن عوف قال جبريل عليه السلام قال لي ألا أبشرك إن الله عز وجل يقول من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه طريق أخرى قال الإمام أحمد حدثنا فأطال السجود حتى خفت أو خشيت أن يكون قد توفاه الله أو قبضه : قال فجئت أنظر فرفع رأسه فقال مالك يا عبد الرحمن ؟ قال فذكرت ذلك له فقال إن أبي عمر عن أبي الحويرث عن محمد بن جبير بن مطعم عن عبد الرحمن بن عوف قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعته حتى دخل نخلا فسجد وأخرتك حديث آخر قال الإمام أحمد حدثنا أبو سلمة منصور بن سلمة الخزاعي ويونس هو ابن محمد قالا حدثنا ليث عن يزيد بن الهاد عن عمرو بن الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي عن أبيه قال : قال رجل يا رسول الله أرأيت إن جعلت صلاتي كلها عليك ؟ قال إذن يكفيك الله ما أهمك من دنياك فهو خير لك قلت أجعل لك صلاتي كلها قال إذن تكفي همك ويغفر لك ذنبك ثم قال هذا حديث حسن وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن عبد من صلاتي ؟ قال ما شئت قلت الربع قال ما شئت فإن زدت فهو خير لك قلت فالنصف قال ما شئت فإن زدت فهو خير لك قلت فالثلاثين قال ما شئت فإن زدت اذكروا الله اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه قال أبي قلت يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال يا أيها الناس صلى الله عليه وسلم الثلثان قال أفأجعل لك صلاتي كلها قال إذن يغفر الله ذنبك كله وقد رواه الترمذي بنحوه فقال حدثنا هناد حدثنا قبيصة حدثنا سفيان أبي يا رسول الله إني أصلي من الليل أفأجعل لك ثلث صلاتي ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشطر قال أفأجعل لك شطر صلاتي ؟ قال رسول الله بن أبي بن كعب عن أبيه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج في جوف الليل فيقول جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه فقال عمن أسنده قال لا أدري حديث آخر قال إسماعيل القاضي حدثنا سعيد بن سلام العطار حدثنا سفيان الثوري عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن محمد بن عقيل عن أبيه قال : قال إن شئت قال ألا أجعل دعائي لك كله قال إذن يكفيك الله هم الديننا وهم الآخرة فقال شيخ كان بمكة يقال له منيع لسفيان أت من ربي فقال لي ما من عبد يصلي عليك صلاة إلا صلى الله عليه بها عشرا فقام إليه رجل فقال يا رسول الله ألا أجعل نصف دعائي لك ؟ قال إن شئت حديث آخر قال إسماعيل القاضي حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن يعقوب بن زيد بن طلحة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة تفرد بروايته الترمذي رحمه الله ثم قال هذا حديث حسن غريب حدثنا بNDAR حدثنا محمد بن خالد بن عثمة حدثني موسى بن يعقوب الزمعي حدثني عبد الله بن كيسان أن عبد الله بن شداد أخبره عن عبد الله بن مسعود علي صلاة لم تزل الملائكة تصلي عليه ما صلى علي فليقل عبد من ذلك أو ليكثر ورواه ابن ماجه من حديث شعبة به حديث آخر قال أبو عيسى الترمذي بن جعفر أخبرنا شعبة عن عاصم بن عبيد الله قال : سمعت عبد الله بن عامر بن ربيعة يحدث عن أبيه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى عليه وسلم حجرت واسعا وحكى القاضي عياض عن جمهور المالكية منعه قال وأجازه أبو محمد بن أبي زيد حديث آخر قال الإمام أحمد حدثنا محمد النبي صلى الله عليه وسلم كما هو قول الجمهور وبعضه حديث الأعرابي الذي قال : اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد بهذا الحديث من ذهب إلى جواز الترحم على فكيف الصلاة عليك قال : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد وارحم محمدا وآل محمد كما رحمت على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما فقال أنبأني من سمع ابن عباس يقول هكذا أنزل فقلنا أو قالوا يا رسول الله علمنا السلام عليك آخر قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا مالك بن إسماعيل حدثنا أبو إسرائيل عن يونس بن خباب قال خطبنا بفارس فقال : إن الله وملائكته يصلون وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وهذا موقوف وقد روى إسماعيل القاضي عن عبد الله بن عمرو أو عمر على الشك من الراوي قريبا من هذا حديث اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه به الأولون والآخرين الله عليه وسلم فأحسنوا الصلاة عليه فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه قال قالوا له علمنا قال قولوا : اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركتك على سيد عبد الله حدثنا المسعودي عن عون بن عبد الله عن أبي فاختة عن الأسود بن يزيد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال إذا صليتم على رسول الله صلى كان علي رضي الله عنه يعلمنا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيقول اللهم داحي المدحوات وذكره . حديث آخر قال ابن ماجه حدثنا زياد عن يدرك عليا كذا قال وقد روى الحافظ أبو القاسم الطبراني هذا الأثر عن محمد بن علي الصائغ عن سعيد بن منصور حدثنا نوح بن قيس عن سلامة الكندي قال جمعه في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن في إسناده نظرا قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي : سلامة الكندي هذا ليس بمعروف ولم . وحجة وبرهان عظيم هذا مشهور من كلام علي رضي الله عنه وقد تكلم عليه ابن قتيبة في مشكل الحديث وكذا أبو الحسن أحمد بن فارس اللغوي في جزء الملوك اللهم أعل على بناء الناس بناء وأكرم مثواه لديك ونزله وأتمم له نوره واجزه من ابتعائك له مقبول الشهادة مرضي المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل وبعيتك نعمة ورسولك بالحق رحمة , اللهم أفسح له في عدنك واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهتات غير مكدرات من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك القلوب بعد خوضات الفتن والإثم وأبهج موضحات الأعلام ونانرات الأحكام ومنيرات الإسلام فهو أمينك المأمون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين مرضاتك غير نكل في قدم ولا وهن في عزم واعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ أمرك حتى أوري قبسا لقابس , آلاء الله تصل بأهله أسبابه به هديت

## تفسير ابن كثير

على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق والدامغ لجيшат الأباطيل كما حمل فاضطلع بأمرك بطاعتك مستوفزا في الناس هذا الدعاء اللهم داحي المدحوات وبارئ المسموكات وجبار القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك ورأفة تحننك موقوف رويناه من طريق سعيد بن منصور ويزيد بن هارون وزيد بن الحباب ثلاثتهم عن نوح بن قيس حدثنا سلامة الكندي أن عليا رضي الله عنه كان يعلم وبركاتك على محمد وعلى آل محمد كما جعلتها على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد أبو داود الأعمى اسمه نقيع بن الحارث متروك . حديث آخر إسماعيل عن أبي داود الأعمى عن بريدة قال : قلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك ؟ قال قولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك من رواية أخيه أبي بن عباس ولكن في ذلك نظر وإنما يعرف من رواية عبد المهيمن والله أعلم حديث آخر قال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه ولا صلاة لمن لم يصل على النبي ولا صلاة لمن لم يحب الأنصار ولكن عبد المهيمن هذا متروك وقد رواه الطبراني رواه ابن ماجه من رواية عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد الساعدي عن أبيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا صلاة لمن لا وضوء عجل هذا ثم دعاه فقال له أو لغيره إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد الله عز وجل والثناء عليه ثم ليصل على النبي ثم ليدع بعد بما شاء وكذا الحديث الذي عبده رضي الله عنه قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته لم يمجّد الله ولم يصل على النبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما من رواية حيوة بن شريح المصري عن أبي هانئ حميد بن هانئ عن عمرو بن مالك أبي علي الحسيني عن فضالة بن إجماع على خلافه في هذه المسألة لا قديما ولا حديثا والله أعلم ومما يؤيد ذلك الحديث الآخر الذي رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وصححه والنسائي والله أعلم والغرض أن الشافعي رحمه الله يقول بوجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة سلفا وخلفا كما تقدم ولله الحمد والمنة فلا إمام الحرمين وصاحبه الغزالي قولاً عن الشافعي والصحيح أنه وجه على أن الجمهور على خلافه وحكوا الإجماع على خلافه وللقول بوجوبه ظواهر الحديث كما علمهم أن يقولوا لما سأله وحتى أن بعض أصحابنا أوجب الصلاة على آله وممن حكاه البندنجي وسليم الرازي وصاحبه نصر بن إبراهيم المقدسي ونقله الإمام محمد بن إبراهيم المعروف بابن المواز المالكي رحمهم الله تعالى حتى إن بعض أئمة الحنابلة أوجب أن يقال في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم الشافعي لا خلاف عنه في ذلك ولا بين أصحابه أيضا وإليه ذهب الإمام أحمد أخيرا فيما حكاه عنه ابن زرة الدمشقي به وبه قال إسحاق بن راهويه والفقهاء الحديث عن جماعة من الصحابة منهم ابن مسعود وأبو مسعود البصري وجابر بن عبد الله ومن التابعين الشعبي وأبو جعفر الباقر ومقاتل بن حيان وإليه ذهب في ذلك وقال ما لم يحط به علما فإننا قد رويناه وجوب ذلك والأمر بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة كما هو ظاهر الآية ومفسر بهذا خلافه أبو جعفر الطبري والطحاوي والخطابي وغيرهم فيما نقله القاضي عياض عنهم وقد تعسف هذا القائل في رده على الشافعي وتكلف في دعواه الإجماع صلاته وقد شرع بعض المتأخرين من المالكية وغيرهم يشنع على الإمام الشافعي في اشتراطه ذلك في الصلاة ويزعم أنه قد تفرّد بذلك وحكى الإجماع على بمثله ومن ههنا ذهب الشافعي رحمه الله إلى أنه يجب على المصلي أن يصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم في التشهد الأخير فإن تركه لم تصح فكيف نصلي عليك إذا نحن صلينا في صلاتنا فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وذكره ورواه الشافعي رحمه الله في مسنده عن أبي هريرة محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم التيمي عن محمد بن عبد الله بن زيد بن عبد ربه عن أبي مسعود البصري أنهم قالوا يا رسول الله أما السلام فقد عرفناه وابن جرير من حديث مالك به وقال الترمذي حسن صحيح وروى الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن خزيمة وابن حبان والحاكم في مستدركه من حديث وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم وقد رواه أبو داود والترمذي والنسائي صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا أنه لم يسأله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك ؟ قال فسكت رسول الله أخبرني محمد بن عبد الله بن زيد الأنصاري قال وعبد الله بن زيد هو الذي كان أرى النداء بالصلاة أخبره عن أبي مسعود الأنصاري قال : أتانا رسول الله صلى بقية الجماعة سوى الترمذي من حديث مالك به حديث آخر قال مسلم حدثنا يحيى بن يحيى التميمي قال : قرأت على مالك عن نعيم بن عبد الله المجرم اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد وقد أخرجه عبد الرحمن مالك عن عبد الله بن أبي بكر عن أبيه عن عمرو بن سليم أنه قال أخبرني أبو حميد الساعدي أنهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم وأخرج النسائي من حديث ابن الهاد به حديث آخر قال الإمام أحمد قرأت على : على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم حدثنا إبراهيم بن حمزة حدثنا ابن أبي حازم عن يزيد يعني ابن الهاد وقال كما صليت على إبراهيم قولوا اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم قال أبو صالح عن الليث بن يوسف حدثنا الليث عن ابن الهاد عن عبد الله بن خباب عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قلنا يا رسول الله هذا السلام فكيف نصلي عليك : قال التشهد الذي كان يعلمهم إياه كما كان يعلمهم السورة من القرآن وفيه السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته حديث آخر قال البخاري حدثنا عبد الله إبراهيم إنك حميد مجيد وكان عبد الرحمن بن أبي ليلى يقول وعلينا معهم ورواه الترمذي بهذه الزيادة ومعنى قولهم أما السلام عليك فقد عرفناه هو الذي في قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وعلى آل إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قال : قلنا يا رسول الله قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك ؟ وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسين بن عرفة حدثنا هشيم بن بشير عن يزيد بن أبي زياد حدثنا عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة قال لما نزلت

## تفسير ابن كثير

قد أخرجه الجماعة في كتبهم من طرق متعددة عن الحكم وهو ابن عتيبة زاد البخاري وعبد الله بن عيسى كلاهما عن عبد الرحمن بن أبي ليلى فذكرهم وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد وهذا الحديث هدية ؟ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله قد علمنا أو عرفنا كيف السلام عليك فكيف الصلاة ؟ فقال قولوا اللهم صل على محمد إنك حميد مجيد وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الحكم قال : سمعت ابن أبي ليلى قال لقيني كعب بن عجرة فقال ألا أهدي لك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم بن يحيى بن سعيد أخبرنا أبي عن مسعر عن الحكم عن ابن أبي ليلى عن كعب بن عجرة قال : قيل يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف الصلاة ؟ الله عليه وسلم بالأمر بالصلاة عليه وكيفية الصلاة عليه ونحن نذكر منها إن شاء الله ما تيسر والله المستعان قال البخاري عند تفسير هذه الآية حدثنا سعيد بن جابر وقد سألته أن يصلي عليها وعلى زوجها صلى الله عليه وعلى زوجها وعلى زوجك وقد جاءت الأحاديث المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوات من ربهم الآية وفي الحديث إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف وفي الحديث الآخر اللهم صل على آل أبي أوفى وقال رسول الله وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذي يصلي عليكم وملائكته الآية وقال تعالى : وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وقد أخبر سبحانه وتعالى بأنه يصلي على عباده المؤمنين في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا يصلي ربك فقل نعم أنا أصلي وملائكتي على أنبيائي ورسلي فأنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها جعفر يعني ابن المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن بني إسرائيل قالوا لموسى عليه السلام هل يصلي ربك ؟ فناده ربه عز وجل : يا موسى سألوكم هل أهل العالمين العلوي والسفلي جميعا وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثني أبي عن أبيه عن أشعث بن إسحاق عن في الملاء الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين وأن الملائكة تصلي عليه ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من على النبي قال صلاته تبارك وتعالى سبوح قدوس سبقت رحمتي غضبي والمقصود من هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو الأودي حدثنا وكيع عن الأعمش عن عمرو بن مرة قال الأعمش أراه عن عطاء بن أبي رباح إن الله وملائكته يصلون سواء رواهما ابن أبي حاتم وقال أبو عيسى الترمذي وروي عن سفيان الثوري وغير واحد من أهل العلم قالوا : صلاة الرب الرحمة وصلاة الملائكة الاستغفار البخاري عنهما وقد رواه أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية كذلك وروي مثله عن الربيع أيضا وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس كما قاله صلوا عليه وسلموا قال البخاري : قال أبو العالية صلاة الله تعالى ثناؤه عليه عند الملائكة ، صلاة الملائكة الدعاء ، وقال ابن عباس : يصلون يبركون هكذا علقه إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا

رواه الترمذي من حديث عبيدة بن أبي رائطة عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن المغفل به ثم قال وهذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. 57 غرضي بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاني فقد آذاني ومن آذى الله يوشك أن يأخذه وقد الحذاء المجاشعي عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الرحمن بن المغفل المزني قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله في أصحابي لا تتخذوهم كل من آذاه بشيء ومن آذاه فقد آذى الله كما أن من أطاعه فقد أطاع الله كما قال الإمام أحمد حدثنا يونس حدثنا إبراهيم بن سعد عن عبيدة بن أبي رائطة إن الذين يؤذون الله ورسوله نزلت في الذين طعنوا على النبي صلى الله عليه وسلم في تزويجه صفية بنت حيي بن أخطب والظاهر أن الآية عامة في وإنما الفاعل لذلك هو الله عز وجل فهي عن ذلك هكذا قرره الشافعي وأبو عبيدة وغيرهما من العلماء رحمهم الله وقال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى يسب الدهر وأنا الدهر أقلب ليله ونهاره ومعنى هذا أن الجاهلية كانوا يقولون يا خيبة الدهر فعل بنا كذا وكذا فيسندون أفعال الله تعالى إلى الدهر ويسبونه من حديث سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل: يؤذيني ابن آدم ذلك وإيذاء رسوله بعبث أو بنقص عيادا بالله من ذلك قال عكرمة في قوله تعالى إن الذين يؤذون الله ورسوله نزلت في المصورين وفي الصحيحين يقول تعالى متهددا ومتوعدا من آذاه بمخالفة أوامره وارتكاب زواجره وإصراره على

أعلم قال أربى الربا عند الله استحلال عرض امرئ مسلم ثم قرأ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً . 58 معاوية بن هشام عن عمار بن أنس عن ابن أبي مليكة عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه أي الربا أربى عند الله قالوا الله ورسوله ما تقول فقد بهته وهكذا رواه الترمذي عن قتبية عن الدراودي به ثم قال حسن صحيح وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سلمة حدثنا أبو كريب حدثنا هريرة أنه قيل يا رسول الله ما الغيبة ؟ قال ذكرك أخاك بما يكره قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه الحقيقة منكسو القلوب يذمون الممدوحين ويمدحون المذمومين وقال أبو داود حدثنا القعنبي حدثنا عبد العزيز يعني ابن محمد عن العلاء عن أبيه عن أبي وجل قد أخبر أنه قد رضى عن المهاجرين والأنصار ومدحهم وهؤلاء الجهلة الأغبياء يسبونهم وينتقصونهم ويذكرون عنهم ما لم يكن ولا فعلوه أبدا فهم في هذا الوعيد الكفرة بالله ورسوله ثم الرافضة الذين ينتقصون الصحابة ويعيبونهم بما قد برأهم الله منه ويصفونهم بنقيض ما أخبر الله عنهم فإن الله عز احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً وهذا هو البهت الكبير أن يحكى أو ينقل عن المؤمنين والمؤمنات ما لم يفعلوه على سبيل العيب والتنقص لهم ومن أكثر من يدخل وقوله تعالى والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا أي ينسبون إليهم ما هم برآء منه لم يعملوه ولم يفعلوه فقد

أنهن حرائر فلا يتعرض لهن فاسق بأذى ولا ريبة وقوله تعالى وكان الله غفورا رحيما أي لما سلف في أيام الجاهلية حيث لم يكن عندهن علم بذلك. 59

## تفسير ابن كثير

ذلك منهم فإذا رأوا المرأة عليها جلباب قالوا هذه حرة فكفوا عنها فإذا رأوا المرأة ليس عليها جلباب قالوا هذه أمة فوثبوا عليها وقال مجاهد يتجلبن فيعلم إلى طرق المدينة فيعرضون للنساء وكانت مساكن أهل المدينة ضيقة فإذا كان الليل خرج النساء إلى الطرق يقضين حاجتهن فكان أولئك الفساق يبتغون وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين قال كان ناس من فساق أهل المدينة يخرجون بالليل حين يختلط الظلام وقوله ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين أي إذا فعلن ذلك عرفهن أنهن حرائر لسن بإماء ولا عواهر قال السدي في قوله تعالى يا أيها النبي قل لأزواجك وروي عن سفيان الثوري أنه قال: لا بأس بالنظر إلى زينة نساء أهل الذمة وإنما نهى عن ذلك لخوف الفتنة لا لحرمتهم واستدل بقوله تعالى ونساء المؤمنين الجلاب لأنة يكره لهن أن يتشبهن بالحرائر المحصنات وقد قال الله تعالى يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبن حدثني الليث حدثنا يونس بن يزيد قال وسألناه يعني الزهري هل على الوليدة خمار متزوجة أو غير متزوجة؟ قال عليها الخمار إن كانت متزوجة وتنهى عن عليهن من جلابيبن خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من السكينة وعليهن أكسية سود يلبسهنها وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو صالح حدثنا أبو عبد الله الطبراني فيما كتب إلي حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن خيثم عن صفية بنت شيبة عن أم سلمة قالت لما نزلت هذه الآية يدنين الله عز وجل يدنين عليهن من جلابيبن فغطى وجهه ورأسه وأبرز عينه اليسرى وقال عكرمة تغطي ثغرة نحرها بجلابها تدنيه عليها وقال ابن أبي حاتم إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب ويبدن عينا واحدة وقال محمد بن سيرين سألت عبيدة السلماني عن قول امرأة من هذيل ترثي قتيلا لها: تمشي النصور إليه وهي لاهية مشي العذاري عليهن الجلابيب قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أمر الله نساء المومنين وعبيدة وقتادة والحسن البصري وسعيد بن جبيرة وإبراهيم النخعي وعطاء الخراساني وغير واحد وهو بمنزلة الإزار اليوم قال الجوهري الجلاب الملحفة قالت أزواجه وبناته لشرفهن بأن يدنين عليهن من جلابيبن لبتميزن عن سمات نساء الجاهلية وسمات الإمام والجلباب هو الرداء فوق الخمار قاله ابن مسعود يقول تعالى أمرا رسوله صلى الله عليه وسلم تسليما أن يأمر النساء المؤمنات المسلمات خاصة

قد شرع خلافه في وقت لما له في ذلك من الحكمة البالغة وهو يعلم أنه سبحانه إلى ما هو جار في قدره الأزلي وقضائه القدري الشرعي والله أعلم. 6 الحكم وهو أن أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض حكم من الله مقدر مكتوب في الكتاب الأول الذي لا يبدل ولا يغير. قاله مجاهد وغير واحد وإن كان تعالى إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا أي ذهب الميراث وبقي النصر والبر والصلة والإحسان والوصية وقوله تعالى: كان ذلك في الكتاب مسطورا أي هذا يرى فوالله يا بني لو مات يومئذ عن الدنيا ما ورثه غيري حتى أنزل الله تعالى هذه الآية فينا معشر قريش والأنصار خاصة فرجعنا إلى مواريتنا. وقوله تعالى: من بني زريق بن سعد الزرقي ويقول بعض الناس غيره قال الزبير رضي الله عنه وواخيت أنا كعب بن مالك فجئته فابتعلته فوجدت السلاح قد ثقله فيما الأنصار نعم الإخوان فواخيئناهم ووارثناهم فأخى أبو بكر رضي الله عنه خارجة بن زيد وأخى عمر رضي الله عنه فلانا وأخى عثمان رضي الله عنه رجلا الله عز وجل فينا خاصة معشر قريش والأنصار وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض وذلك أنا معشر قريش لما قدمنا المدينة قدمنا ولا أموال لنا فوجدنا أبي حدثنا أحمد بن أبي بكر المصعبي من ساكني بغداد عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال أنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا قال سعيد بن جبيرة وغير واحد من السلف والخلف. وقد أورد فيه ابن أبي حاتم حديث عن الزبير بن العوام فقال حدثنا من التوارث بالحلف والمؤاخاة التي كانت بينهم كما قال ابن عباس وغيره: كان المهاجري يرث الأنصاري دون قراباته وذوي رحمه للأخوة التي أخى بينهما أولى ببعض في كتاب الله أي في حكم الله من المؤمنين والمهاجرين أي القرابات أولى بالتوارث من المهاجرين والأنصار وهذه ناسخة لما كان قبلها ما جاء من حديث ابن عجلان والوجه الثاني أنه لا يقال ذلك واحتجوا بقوله تعالى: ما كان محمد أباً أحد من رجالكم. وقوله تعالى: وأولوا الأرحام بعضهم أعلمكم فإذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستبرأها ولا يستطب بيمينه وكان يأمر بثلاثة أحجار ويهني عن الروث والرمة. وأخرجه النسائي وابن عجلان عن محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أنا لكم بمنزلة الوالد مذهب الشافعي رضي الله عنه حكاه البغوي وغيره واستأنسوا عليه بالحديث الذي رواه أبو داود رحمه الله حدثنا عبد الله بن محمد النفيلي حدثنا ابن المبارك عنهم أنهما قرأ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم وروي نحو هذا عن معاوية ومجاهد وعكرمة والحسن وهو أحد الوجهين في صح عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لا يقال ذلك وهذا أصح الوجهين في مذهب الشافعي رضي الله عنه. وقد روي عن أبي بن كعب وابن عباس رضي الله رضي الله عنهم ونص الشافعي رضي الله عنه على أنه لا يقال ذلك وهل يقال لهن أمهات المؤمنات فيدخل النساء في جمع المذكر السالم تغليبا؟ فيه قولان كما هو منصوص الشافعي رضي الله عنه في المختصر وهو من باب إطلاق العبارة لا إثبات الحكم وهل يقال لمعاوية وأمثلة خال المؤمنين؟ فيه قولان للعلماء والتوقيير والإكرام والإعظام ولكن لا تجوز الخلوة بهن ولا ينتشر التحريم إلى بناتهن وأخواتهن بالإجماع وإن سمي بعض العلماء بناتهن أخوات المؤمنين رجل مات وترك ديناً فإلى ومن ترك مالا فهو لورثته رواه أبو داود عن أحمد بن حنبل به نحوه وقوله تعالى: وأزواجه أمهاتهم أي في الحرمة والاحترام أولى بالمؤمنين من أنفسهم عن أبي سلمة عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول أنا أولى بكل مؤمن من نفسه فأياها أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري في قوله: النبي فليأتني فأنا مولاه تفرد به البخاري ورواه أيضا في الاستقراض وابن جرير وابن أبي حاتم من طرق عن فليح به مثله ورواه أحمد من حديث أبي حصين عن أولى الناس به في الدنيا والآخرة اقرءوا إن شئتم النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فأياها مؤمن ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا وإن ترك ديناً أو ضيعا بن فليح حدثنا أبي عن هلال بن علي عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مؤمن إلا وأنا

## تفسير ابن كثير

الآن يا عمر ولهذا قال تعالى في هذه الآية النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وقال البخاري عند هذه الآية الكريمة حدثنا إبراهيم بن المنذر حدثنا محمد إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك فقال يا رسول الله والله لأنت أحب إلي من كل شيء حتى من نفسي فقال لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين وفي الصحيح أيضا أن عمر رضي الله عنه قال: يا رسول الله والله لأنت أحب تعالى: فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما وفي الصحيح والذي نفسي بيده علم الله تعالى شفقة رسوله صلى الله عليه وسلم: على أمته ونصحه لهم فجعله أولى بهم من أنفسهم وحكمه فيهم كان مقدما على اختيارهم لأنفسهم كما قال قد

علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أي لنسلطنك عليهم وقال قتادة لحرشك بهم وقال السدي لنعلمنك بهم ثم لا يجاورونك فيها أي في المدينة. 60 والمرجعون في المدينة يعني الذين يقولون جاء الأعداء وجاءت الحروب وهو كذب وافتراء لأن لم ينتهوا عن ذلك ويرجعوا إلى الحق لغربك بهم قال ثم قال تعالى متوعدا للمنافقين وهم الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر والذين في قلوبهم مرض قال عكرمة وغيره هم الزناة ههنا ملعونين حال منهم في مدة إقامتهم في المدينة مدة قريبة مطرودين مبعدين أينما تقفوا أي وجدوا أخذوا لذلتهم وقتلهم وقتلوا تقتيلا . 61 إلا قليلا

وكفرهم ولم يرجعوا عما هم فيه أن أهل الإيمان يسلطون عليهم ويقهرونهم ولن تجد لسنة الله تبديلا أي وسنة الله في ذلك لا تبدل ولا تغير. 62 ثم قال تعالى سنة الله في الذين خلوا من قبل أي هذه سنته في المنافقين إذا تمردوا على نفاقهم قريبا كما قال تعالى: اقتربت الساعة وانشق القمر وقال اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون وقال أتى أمر الله فلا تستعجلوه . 63 الله تعالى في سورة الأعراف وهي مكية وهذه مدنية فاستمر الحال في رد علمها إلى الذي يقيمها لكن أخبره أنها قريبة بقوله وما يدريك لعل الساعة تكون يقول تعالى مخبرا لرسوله صلوات الله وسلامه عليه أنه لا علم له بالساعة وإن سأله الناس عن ذلك وأرشد أنه يرد علمها إلى الله عز وجل كما قال ثم قال تعالى: إن الله لعن الكافرين أي أبعدهم عن رحمته وأعد لهم سعيرا أي في الدار الآخرة.. 64 أبدا أي ماكثين مستمرين فلا خروج لهم منها ولا زوال لهم عنها لا يجدون وليا ولا نصيرا أي وليس لهم مغيث ولا معين ينقذهم مما هم فيه. 65 خالدين فيها

يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا وليتا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا . 66 يقولون وهم كذلك يتمنون أن لو كانوا في الدار الدنيا ممن أطاع الله وأطاع الرسول كما أخبر الله عنهم في حال العرصات بقوله ويوم يعرض الظالم على ثم قال يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول أي يسحبون في النار على وجوههم وتلوى وجوههم على جهنم ابن أبي حاتم أي اتبعنا السادة وهم الأمراء والكبراء من المشيخة وخالفنا الرسل واعتقدنا أن عندهم شيئا وأنهم على شيء فإذا هم ليسوا على شيء. 67 أطاعوا الله وأطاعوا الرسول في الدنيا وقالوا ربنا إنا أطعنا ساداتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا وقال طاوس: سادتنا يعني الأشراف وكبراءنا يعني العلماء رواه وقال تعالى: ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وهكذا أخبر عنهم في حالتهم هذه أنهم يودون أن لو كانوا يا معشر الأنصار أتريدون أن تقولوا لربنا إذا لقيناه ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا أتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا ؟ 68 حدثنا علي بن هشام عن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه في تسمية من شهد مع علي رضي الله عنه الحجاج بن عمرو بن غزية وهو الذي كان يقول عند اللقاء مخير بين القراءتين أيتهما قرأ أحسن وليس له الجمع بينهما والله أعلم وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا ضرار بن صرد وكبير وكلاهما بمعنى صحيح واستحب بعضهم أن يجمع الداعي بين اللفظين في دعائه وفي ذلك نظر بل الأولى أن يقول هذا تارة وهذا تارة كما أن القارئ اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم أخرجه في الصحيحين يروى كثيرا الموحدة وقرأ آخرون بالثاء المثلثة وهما قريبا المعنى كما في حديث عبد الله بن عمرو أن أبا بكر قال يا رسول الله علمني دعاء أدعو به في صلاتي قال: قل ربنا أتهم ضعفين من العذاب أي بكفرهم وإغوائهم إيانا والعنهم لعنا كبيرا قرأ بعض القراء بالباء

بعضهم من وجاهته العظيمة عند الله أنه شفع في أخيه هارون أن يرسله الله معه فأجاب الله سؤاله فقال ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا . 69 عز وجل قال الحسن البصري كان مستجاب الدعوة عند الله وقال غيره من السلف لم يسأل الله شيئا إلا أعطاه ولكن منع الرؤية لما يشاء الله عز وجل وقال الوليد بن أبي هشام به مختصرا أيضا فزاد في إسناده السدي ثم قال غريب من هذا الوجه وقوله تعالى: وكان عند الله وجيها أي له وجهة وجهه عند ربه أنه قال زيد بن زائدة ورواه أيضا عن محمد بن إسماعيل عن عبد الله بن محمد عن عبيد الله بن موسى وحسين بن محمد كلاهما عن إسرائيل عن السدي عن الوليد بن أبي هشام به مختصرا لا يبلغني أحد عن أحد شيئا إني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدروكذا رواه الترمذي في المناقب عن الذهلي سواء إلا قال دعنا منك لقد أودى موسى بأكثر من هذا فصبروقد رواه أبو داود في الأدب عن محمد بن يحيى الذهلي عن محمد بن يوسف الفريابي عن إسرائيل عن إنك قلت لنا: لا يبلغني أحد عن أصحابي شيئاواني مررت بفلان وفلان وهما يقولان كذا وكذا فأحمر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وشق عليه ثم يقول لصاحبه والله ما أراد محمد بقسمته وجه الله ولا الدار الآخرة قال فثبت حتى سمعت ما قال ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول

## تفسير ابن كثير

أحد عن أحد من أصحابي شيئا فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم مال فقسمة قال فمررت برجلين وأحدهما بن يونس عن الوليد بن أبي هشام مولى همدان عن زيد بن زائدة عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه لا يبلغني أوزي بأكثر من هذا فصبر أخرجه في الصحيحين من حديث سليمان بن مهران الأعمش به طرق أخرى قال الإمام أحمد حدثنا حجاج سمعت إسرائيل يا عدو الله أما لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فاحمر وجهه ثم قال رحمة الله على موسى فقد عن شقيق عن عبد الله قال: قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قسما فقال رجل من الأنصار إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله قال فقلت المراد فلا قول أولى من قول الله عز وجل قلت يحتمل أن يكون الكل مرادا وأن يكون معه غيره والله أعلم قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش جعله أصم أبكم وهكذا رواه ابن جرير عن علي بن موسى الطوسي عن عباد بن العوام به ثم قال وجائز أن يكون هذا هو المراد بالأذى وجائز أن يكون الأول هو كان ألين لنا منك وأشد حياء فأدوه من ذلك فأمر الله الملائكة فحملته فمروا على مجالس بني إسرائيل فتكلمت بموته فما عرف موضع قبره إلا الرخم وإن الله رضي الله عنه في قوله: فبرأه الله مما قالوا قال سعد موسى وهارون الجبل فمات هارون عليه السلام فقال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام أنت قتلته ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد بن العوام عن سفیان بن حسين عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب ثيابه حتى صارت بحذاء مجالس بني إسرائيل فنظروا إلى موسى كأحسن الرجال أو كما قال فذلك قوله: فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها وقال قال الماء ليغتسل فوضع ثيابه على صخرة وكان لا يكاد تبدو عورته فقال بنو إسرائيل إن موسى آدر أوبه أفة يعنون أنه لا يضع ثيابه فاحتملت الصخرة حدثنا يحيى بن حماد حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: كان موسى عليه السلام رجلا حييا وأنه أتى أحسبه فبرأه الله مما قالوا وهكذا رواه العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما سواء. وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا روح بن حاتم وأحمد بن المعلى الآدمي قالا ويغتسل فوضع ثيابه على صخرة فخرجت الصخرة تشد بثيابه وخرج يتبعها عريانا حتى انتهت به مجالس بني إسرائيل قال فرأوه ليس بأدر فذلك قوله: المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير وعبد الله بن الحارث عن ابن عباس في قوله لا تكونوا كالذين آذوا موسى قال: قال قومه له إنك أدر فخرج ذات يوم الثوري عن جابر الجعفي عن عامر الشعبي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحو هذا وهكذا رواه من حديث سليمان بن مهران الأعمش عن لا يكاد يرى من جلده شيء استحياء منه ثم ساق الحديث كما رواه البخاري مطولا ورواه عنه في تفسيره عن روح عن عوف به ورواه ابن جرير من حديث آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن موسى كان رجلا حييا ستيرا حدثنا عوف عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم وخلاس ومحمد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في هذه الآية يا أيها الذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها وهذا سياق حسن مطول وهذا الحديث من أفراد البخاري دون مسلم وقال الإمام أحمد حدثنا روح ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربا بعصاه فوالله إن بالحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثة أو أربعة أو خمسا قال فذلك قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين الحجر فجعل يقول: ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى إلى ملا من بني إسرائيل فرأوه عريانا أحسن ما خلق الله عز وجل وأبراه مما يقولون وقام الحجر فأخذ قالوا لموسى عليه السلام فخلا يوما وحده فخلع ثيابه على حجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل على ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب استحياء منه فأذاه من بني إسرائيل فقالوا ما يتستر هذا التستر إلا من عيب في جلده إما برص وإما أدرة وإما أفة وإن الله عز وجل أراد أن يبرئه مما أحاديث الأنبياء بهذا السند بعينه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن موسى عليه السلام كان رجلا حيا ستيرا لا يرى من جلده شيء تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها هكذا أورد هذا الحديث ههنا مختصرا جدا وقد رواه في عبادة حدثنا عوف عن الحسن ومحمد وخلاس عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن موسى كان رجلا حييا وذلك قوله قال البخاري عند تفسير هذه الآية حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا روح بن

وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وهذا قول مجاهد أيضا وقال ابن عباس الميثاق الغليظ العهد. 7 لو سويت بين عبادك فقال إني أحببت أن أشكر. ورأى فيهم الأنبياء مثل السرج عليهم النور وخصوا بميثاق آخر من الرسالة والنبوة وهو الذي يقول الله تعالى عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال: ورفع أباهم آدم فنظر إليهم يعني ذريته وإن فيهم الغني والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال: رب موقوف وحمة فيه ضعف وقد قيل إن المراد بهذا الميثاق الذي أخذ منهم حين أخرجوا في صورة الذر من صلب آدم عليه السلام كما قال أبو جعفر الرازي رضي الله عنه قال: خيار ولد آدم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وخيرهم محمد صلى الله عليه وسلم. عن قتادة موقوفا والله أعلم. وقال أبو بكر البزار حدثنا عمرو بن علي حدثنا أبو أحمد حدثنا حمزة الزيات حدثنا عدي بن ثابت عن أبي حازم عن أبي هريرة النبيين في الخلق وآخرهم في البعث فبدأ بي قبلهم سعيد بن بشير فيه ضعف وقد رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به مرسلا وهو أشبه ورواه بعضهم الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله تعالى وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم كنت أول صلوات الله عليهم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة الدمشقي حدثنا محمد بن بكر حدثنا سعيد بن بشير حدثني قتادة عن الحسن عن أبي هريرة رضي من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم فبدأ في هذه الآية بالخاتم لشرفه صلوات الله عليه ثم رتبهم بحسب وجودهم ولا تتفرقوا فيه فذكر الطرفين والوسط الفاتح والخاتم ومن بينهما على الترتيب فهذه هي الوصية التي أخذ عليهم الميثاق بها كما قال تعالى: وإذ أخذنا أيضا في هذه الآية وفي قوله تعالى: شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين



## تفسیر ابن کثیر

والميثاق أخذ عليهم بعد إرسالهم وكذلك هذا ونص من بينهم على هؤلاء الخمسة وهم أولوا العزم وهو من باب عطف الخاص على العام وقد صرح بذكرهم ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين فهذا العهد والعهد والميثاق في إقامة دين الله تعالى وإبلاغ رسالته والتعاون والتناصر والاتفاق كما قال تعالى: إذ أخذ الله ميثاق الأنبياء لما أتيتكم من كتاب وحكمة يقول تعالى مخبرا أولي العزم الخمسة وبقية الأنبياء أنه أخذ عليهم

يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين بتقواه وأن يعبدوه عبادة من كأنه يراه وأن يقولوا قولاً سديداً أي مستقيماً لا اعوجاج فيه ولا انحراف. 70

أكرم الناس فليتنق الله قال عكرمة القول السديد لا إله إلا الله وقال غيره السديد الصدق وقال مجاهد هو السداد وقال غيره هو الصواب والكل حق. 71  
أمنوا اتقوا الله وقلوا قولا سديدا الآية غريب جدا وروى عبد الرحيم بن زيد العمي عن أبيه عن محمد بن كعب عن ابن عباس موقوفا: من سره أن يكون  
عيسى بن سبرة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر إلا سمعته يقول يا أيها الذين  
أن أمركي أن تتقين الله وتقلن قولا سديدا وقال ابن أبي الدنيا في كتاب التقوى حدثنا محمد بن عباد بن موسى حدثنا عبدالعزيز بن عمران الزهري حدثنا  
صلاة الظهر فلما انصرف أوماً إلينا بيده فجلسنا فقال إن الله تعالى أمرني أن أمركم أن تتقوا الله وتقولوا قولا سديدا ثم أتى النساء فقال إن الله أمرني  
قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو بن عوف حدثنا خالد عن ليث عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم  
منهم في المستقبل يلهمهم التوبة منها ثم قال تعالى: ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما وذلك أنه يجاز من نار الجحيم ويصير إلى النعيم المقيم.  
ووعدهم أنهم إذا فعلوا ذلك أثابهم عليه بأن يصلح لهم أعمالهم أي يوفقهم للأعمال الصالحة وأن يغفر لهم الذنوب الماضية وما قد يقع

الطائي عن ابن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف بالأمانة فليس منا تفرد به أبو داود رحمه الله. 72

الخطاب ينهى عن الحلف بالأمانة أشد النهي وقد ورد في ذلك حديث مرفوع قال أبو داود حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس حدثنا زهير حدثنا الوليد بن ثعلبة مع زياد بن حدير من الجابية فقلت في كلامي لا والأمانة فجعل زياد يبكي ويبكي فظننت أنني أتيت أمرا عظيما فقلت له أكان يكره هذا؟ قال نعم: كان عمر بن عن الحلف بالأمانة قال عبد الله بن المبارك في كتاب الزهد حدثنا شريك عن أبي إسحاق الشيباني عن خناس بن سحيم أو قال جبلة بن سحيم قال أقبلت فاتك من الدنيا حفظ أمانة وصدق حديث وحسن خليقة وعفة طعمة فزاد في الإسناد ابن حجرية وجعله في مسند ابن عمر رضي الله عنهما وقد ورد النهي بن أبي مريم حدثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن ابن حجرية عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع إذا كن فيك فلا عليك ما عمرو بن العاص رضي الله عنهما وقد قال الطبراني في مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما حدثنا يحيى بن أيوب العلاف المصري حدثنا سعيد وسلم قال: أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا حفظ أمانة وصدق حديث وحسن خليقة وعفة طعمة هكذا رواه الإمام أحمد في مسند عبد الله بن الأعمش به. وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد الحضرمي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه كان مسلما ليردنه على دينه وإن كان نصرانيا أو يهوديا ليردنه على ساعيه فأما اليوم فما كنت أباع منكم إلا فلانا وفلانا وأخرجاه في الصحيحين من حديث يقال إن في بني فلان رجلا أميناً حتى يقال للرجل ما أجلده وأظرفه وأعقله وما في قلبه حبة خردل من إيمان ولقد أتى علي زمان وما أبالي أياكم بايعت إن كجمر دحرجته على رجلك تراه منتبرا وليس فيه شيء قال: ثم أخذ حصى فدحرجه على رجله قال فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدي الأمانة حتى الرجال ثم نزل القرآن فعملوا من القرآن وعلموا من السنة. ثم حدثنا عن رفع الأمانة فقال: ينأى الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر المجل وهب عن حذيفة رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الأمانة في الصلاة وفي كل شيء إسناده جيد ولم يخرجوه ومما يتعلق بالأمانة الحديث الذي رواه الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن زيد بن عبد الله؟ فقال صدق وقال شريك وحدثنا عياش العامري عن زاذان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه ولم يذكر الأبدین قال والأمانة في الصلاة والأمانة في الصوم والأمانة في الوضوء والأمانة في الحديث وأشد ذلك الودائع فلقيت البراء فقلت ألا تسمع ما يقول أخوك حتى ينتهي إلى قعرها فيجدها هنالك كهينتها فيحملها فيضعها على عاتقه فيصعد بها إلى شفير جهنم حتى إذا رأى أنه قد خرج زلت قدمه فهو في أثرها أبد أي يا رب وقد ذهبت الدنيا؟ فيقال له أدامتلك فيقول أي يا رب وقد ذهبت الدنيا؟ فيقول اذهبوا به إلى أمه الهاوية فيذهب به إلى الهاوية فهو فيها يكفر الذنوب كلها أو قال يكفر كل شيء إلا الأمانة يؤتي بصاحب الأمانة فيقال له أدامتلك فيقول أي يا رب وقد ذهبت الدنيا؟ فيقال له أدامتلك فيقول عن شريك عن الأعمش عن عبد الله بن السائب عن زاذان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: القتل في سبيل الله بن عبد الرحمن العنبري عن عبيد الله بن عبد المجيد الحنفي عن أبي العوام عمر بن داود القطان به وقال ابن جرير أيضا حدثنا تميم بن المنتصر أخبرنا إسحاق يا أبا الدرداء وما أداء الأمانة؟ قال رضي الله عنه الغسل من الجنابة فإن الله تعالى لم يأمن ابن آدم على شيء من دينه غيره وهكذا رواه أبو داود عن محمد الخمس على وضوئهن وركوعهن وسجودهن ومواقيتهن وأعطى الزكاة من ماله طيب النفس بها وكان يقول وإيم الله لا يفعل ذلك إلا مؤمن وأدى الأمانة قالوا عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس من جاء بهن يوم القيامة مع إيمان دخل الجنة: من حافظ على الصلوات ابن جرير حدثنا محمد بن خلف العسقلاني حدثنا عبيد الله بن عبد المجيد الحنفي حدثنا أبو العوام القطان حدثنا قتادة وأبان بن أبي عياش عن خليل العصري ولا يغفل إلا تارك فالحذر أيها الناس وإياكم والوسواس الخناس فإنما يبلوكم أياكم أحسن عملا هذا حديث غريب جدا وله شواهد من وجوه أخرى ثم قال قلوب الناس ثم يرفع الوفاء والعهد والذمم وتبقى الكتب فعالم يعمل وجاهل يعرفها وينكرها ولا يحملها حتى وصل إلى وإلى أمتي ولا يهلك على الله إلا هالك

## تفسير ابن كثير

مما يأتون وما يجتنبون وهي الحجج عليهم إلا بينة لهم فليس أهل لسان إلا وهم يعرفون الحسن والقبیح ثم الأمانة أول شيء يرفع ويبقى أثرها في جذور نبي ومنهم نبي رسول ونزل القرآن وهو كلام الله وأنزلت العجمية والعربية فعلموا أمر القرآن وعلموا أمر السنن بأسنتهم ولم يدع الله تعالى شيئا من أمره النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الأمانة والوفاء نزلتا على ابن آدم مع الأنبياء فأرسلوا به فمنهم رسول الله ومنهم ابن جرير حدثني سعيد بن عمرو السكوني حدثنا بقية حدثنا عيسى بن إبراهيم عن موسى بن أبي حبيب عن الحكم بن عمير رضي الله عنه وكان من أصحاب خشيت أن تنظر إلى ما لا يحل لك فأرخ عليه حجابيه وأجعل للسانك بابا وغلقا فإذا خشيت فأغلق وأجعل لفرجك لباسا فلا تكشفه إلا على ما أحلت لك وقال ولا عقابا قال وعرضها الله تبارك وتعالى على آدم فقال بين أذني وعاتقي قال ابن زيد فقال الله تعالى له: أما إذا تحملت هذا فسأعينك أجعل لبصرك حجابا فإذا قال إن الله تعالى عرض عليها الأمانة أن يفترض عليهم الدين ويجعل لهم ثوابا وعقابا ويستأمنهم على الدين فقلن لا نحن مسخرات لأمر لا نريد ثوابا حازم نحو هذا وقال ابن جرير حدثنا يونس حدثنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله تعالى: إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال الآية فإذا نازعناك إلى ما أكره فأطبق ومعينك على لسانك بطبقتين فإذا نازعك إلى ما أكره فأطبق ومعينك على فرجك بلباس فلا تكشفه إلى ما أكره ثم روي عن أبي الآية إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض الآية قال الإنسان بين أذني وعاتقي فقال الله عز وجل إني معينك عليها إني معينك على عينيك بطبقتين بالعمل ولا نريد الثواب ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هارون بن زيد بن أبي الزرقاء الموصلي حدثنا أبي حدثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم في هذه في عاقبة. أمره وهكذا قال ابن جرير وعن ابن أشوع أنه قال لما عرض الله عليهم حمل الأمانة ضججن إلى الله ثلاثة أيام ولياليهن وقلن ربنا لا طاقة لنا وأجريت في الأنهار وسكان الأرض وما ذكر وما أريد ثوابا ولا أحمل فريضة وقالت الجبال مثل ذلك قال الله تعالى: وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا السموات فقالت يا رب حملتني الكواكب وسكان السماء وما ذكر وما أريد ثوابا ولا أحمل فريضة قال وعرضها على الأرض فقالت يا رب غرست في الأشجار قال رضيت يا رب وأتحمّلها فقال الله عز وجل عند ذلك قد حملتها فذلك قوله تعالى: وحملها الإنسان رواه ابن أبي حاتم وعن مجاهد أنه قال عرضها على مطيعين لا نعصيك في شيء أمرتنا به ثم قرب آدم فقال له أتحمّل هذه الأمانة وترعاها حق رعايتها وأسأت فإني معذبك ومعاقبك وأنزل النار على الأرضين فقال لهم: أتحمّلن هذه الأمانة وتقبلنها مني وأعطيكن الفضل والكرامة في الدنيا؟ فقلن لا صبر لنا على هذا يا رب ولا نطيعك ولكننا لك سامعين لهم أتحمّلن هذه الأمانة ولكن على الفضل والكرامة والثواب في الجنة؟ فقلن يا رب إنا لا نستطيع هذا الأمر وليس بنا قوة ولكننا لك مطيعين ثم عرض الأمانة وقال مقاتل بن حيان إن الله تعالى حين خلق خلقه جمع بين الإنسان والجن والسموات والأرض والجبال فبدأ بالسموات فعرض عليهن الأمانة وهي الطاعة فقال على الجبال الشم الشوامخ الصعاب الصلاب قال قيل لها هل تحملين الأمانة وما فيها؟ قالت وما فيها؟ قال لها إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت قالت: لا شدت بالأوتاد وذللت بالمهاد قال فقيل لها هل تحملين الأمانة وما فيها؟ قالت وما فيها؟ قال قيل لها إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت قالت: لا ثم عرضها فقيل لها هل تحملين الأمانة وما فيها؟ قالت وما فيها؟ قال قيل لها إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت قالت: لا ثم عرضها على الأرضين السبع الشداد التي أنه تلا هذه الآية إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال قال عرضها على السبع الطباق الطرائق التي زينت بالنجوم وحملة العرش العظيم حدثنا أبي حدثنا عبد العزيز بن المغيرة البصري حدثنا حماد بن واقد يعني أبا عمر الصفار سمعت أبا معمر يعني عون بن معمر يحدث عن الحسن يعني البصري والنواهي بشرطها وهو أنه إن قام بذلك أثيب لأن تركها عوقب فقبلها الإنسان على ضعفه وجهله وظلمه إلا من وفق الله وبالله المستعان قال ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم قال الأمانة ثلاثة الصلاة والصوم والاعتسال من الجنابة وكل هذه الأقوال لا تنافي بينها بل هي متفقة وراجعة إلى أنها التكليف وقبول الأوامر قال: قال أبي بن كعب من الأمانة أن المرأة أؤتمنت على فرجها وقال قتادة الأمانة الدين والفرائض والحدود وقال بعضهم الغسل من الجنابة وقال مالك قال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك والحسن البصري وغير واحد: إن الأمانة هي الفرائض وقال آخرون هي الطاعة وقال أعمش عن أبي الضحى عن مسروق بين العصر إلى الليل من ذلك اليوم حتى أصاب الخطيئة وقد روى الضحاك عن ابن عباس قريبا من هذا وفيه نظر وانقطاع بن الضحاك وبينه والله أعلم وهكذا والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها قال عرضت على آدم فقال خذها بما فيها فإن أطعت غفرت له وإن عصيت عذبتك قال قبلت فما كان إلا مقدار ما ابن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض لدين الله أن لا يقوموا بها ثم عرضها على آدم فقبلها بما فيها وهو قوله تعالى: وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا أي غرا بأمر الله وقال ابن جرير حدثنا الأمانة الفرائض عرضها الله على السموات والأرض والجبال إن أدوها أثابهم وإن ضيعوها عذبهم ففكروها ذلك وأشفقوا عليه من غير معصية ولكن تعظيما إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت فأخذها آدم فحملها فذلك قوله تعالى: وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: يعرضها على آدم فلم يطقها فقال لآدم: إني قد عرضت الأمانة على السموات والأرض والجبال فلم يطقنها فهل أنت أخذ بما فيها؟ قال يا رب وما فيها؟ قال قال العوفي عن ابن عباس يعني بالأمانة الطاعة عرضها عليهم قبل أن

المؤمنين من الخلق الذين آمنوا بالله وملأته وكتبه ورسله العاملين بطاعته وكان الله غفورا رحيمًا آخر تفسير سورة الأحزاب والله الحمد والمنة. 73 متابعة لأهل والمشركون والمشركات وهم الذين ظاهروهم وباطنهم على الشرك بالله ومخالفة رسله ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات أي ويرحم والمشركات أي إنما حمل بني آدم الأمانة وهي التكليف ليعذب الله المنافقين منهم والمنافقات وهم الذين يظهرون الإيمان خوفا من أهله ويبطنون الكفر وقوله تعالى: ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين

## تفسير ابن كثير

والمعاندين والمارقين والقاسطين فما جاءت به الرسل هو الحق ومن خالفهم فهو على الضلال كما يقول أهل الجنة لقد جاءت رسل ربنا بالحق. 8  
قد بلغوا رسالات ربهم ونصحوا الأمم وأفصحوا لهم عن الحق المبين الواضح الجلي الذي لا لبس فيه ولا شك ولا امتراء وإن كذبهم من كذبهم من الجهلة  
الصادقين عن صدقهم قال مجاهد المبلغين المؤدين عن الرسل وقوله تعالى وأعد للكافرين أي من أممهم عذابا أليما أي موجعا فنحن نشهد أن الرسل  
وقوله تعالى ليسأل

وحفر وكان في حفره ذلك آيات ودلائل واضحات وجاء المشركون فنزلوا شرقي المدينة قريبا من أحد ونزلت طائفة منهم في أعالي أرض المدينة. 9  
حول المدينة مما يلي الشرق وذلك بإشارة سلمان الفارسي رضي الله عنه فعلم المسلمون فيه واجتهدوا ونقل معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب  
بن حرب وعلى غطفان عيينة بن حصن بن بدر والجميع قريب من عشرة آلاف فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمسيرهم أمر المسلمين بحفر الخندق  
النصر والإعانة فأجابوهم إلى ذلك ثم خرجوا إلى غطفان فدعوه فاستجابوا لهم أيضا وخرجت قريش في أحابيشها ومن تابعها وقاندتهم أبو سفيان صخر  
أبي الحقيق وسلام بن مشكم وكنانة بن الربيع خرجوا إلى مكة فاجتمعوا بأشراف قريش وأبوهم على حرب النبي صلى الله عليه وسلم ووعدوهم من أنفسهم  
وكان سبب قدوم الأحزاب أن نفرا من أشرف يهود بني النضير الذين كانوا قد أجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى خيبر منهم سلام بن  
عام تألبوا عليهم وتحزبوا وذلك عام الخندق وذلك في شوال سنة خمس من الهجرة على الصحيح المشهور وقال موسى بن عقبة وغيره كان في سنة أربع  
يقول تعالى مخبرا عن نعمته وفضله وإحسانه إلى عباده المؤمنين في صرفه أعداءهم وهزمه إياهم

## سورة 34

وأفعاله وشرعه وقدره الخبير الذي لا تخفى عليه خافية ولا يغيب عنه شيء وقال مالك عن الزهري خبير بخلقه حكيم بأمره ولهذا قال عز وجل. 1  
وإن لنا للآخرة والأولى ثم قال عز وجل وله الحمد في الآخرة فهو المعبود أبدا المحمود على طول المدى وقوله تعالى: وهو الحكيم أي في أقواله  
وإليه ترجعون ولهذا قال تعالى ههنا الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض أي الجميع ملكه وعبيده وتحت تصرفه وقهره قال تعالى:  
المتفضل على أهل الدنيا والآخرة المالك لجميع ذلك الحاكم في جميع ذلك كما قال تعالى وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم  
يخبر تعالى عن نفسه الكريمة أن له الحمد المطلق في الدنيا والآخرة لأنه المنعم  
وألنا له الحديد قال الحسن البصري وقتادة والأعمش وغيرهم كان لا يحتاج أن يدخله نار ولا يضربه بمطرقة بل كان يقتله بيده مثل الخيوط ولهذا. 10  
اللفظ في اللغة لكنه بعيد في معنى الآية ههنا والصواب أن المعنى في قوله تعالى أوبي معه أي رجعي معه مسبحة كما تقدم والله أعلم وقوله تعالى:  
أوبي معه أي سيرني معه بالنهار كله والتأويب سير النهار كله والإسآد سير الليل كله وهذا لفظه وهو غريب جدا لم أره لغيره وإن كان له مساعدة من حيث  
الترجيع فأمرت الجبال والطير أن ترجع معه بأصواتها وقال أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي في كتابه الجمل في باب النداء منه يا جبال  
تعالى أوبي أي سبحي قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد وزعم أبو ميسرة أنه بمعنى سبحي بلسان الحبشة وفي هذا نظر فإن التأويب في اللغة هو  
مزمارة من مزامير آل داود وقال أبو عثمان النهدي ما سمعت صوت صنح ولا بربط ولا وتر أحسن من صوت أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ومعنى قوله  
وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع صوت أبي موسى الأشعري رضي الله عنه يقرأ من الليل فوقف فاستمع لقراءته ثم قال: لقد أوتي هذا  
من الصوت العظيم الذي كان إذا سبح به تسبح معه الجبال الراسيات الصم الشامخات وتقف له الطيور السارحات والغاديات والرامحات وتجاوبه بأنواع اللغات  
به على عبده ورسوله داود عليه الصلاة والسلام مما آتاه من الفضل المبين وجمع له بين النبوة والملك المتمكن والجنود ذوي العدد والعدد وما أعطاه ومنحه  
يخبر تعالى عما أنعم

صالحا أي في الذي أعطاكم الله تعالى من النعم إنني بما تعملون بصير أي مراقب لكم بصير بأعمالكم وأقوالكم لا يخفى علي من ذلك شيء. 11  
صوته عليه السلام وكان شديد الاجتهاد وكان إذا افتتح الزبور بالقراءة كأنما ينفخ في المزامير وكان قد أعطي سبعين مزمارة في حلقه وقوله تعالى واعملوا  
من حسن الصوت إنه كان إذا قرأ الزبور تجتمع الوحوش إليه حتى يؤخذ بأعناقها وما تنفر وما صنعت الشياطين المزامير والبرابط والصنوج إلا على أصناف  
فتصدق بثلاثها واشترى بثلاثها ما يكفيه وعياله وأمسك الثلث يتصدق به يوما بيوم إلى أن يعمل غيرها وقال إن الله تعالى أعطى داود شيئا لم يعطه غيره  
الدروع وهو أول من عملها فقال الله تعالى: أن اعمل سابغات وقدر في السرد يعني مسامير الحلق قال وكان عمل الدرع فإذا ارتفع من عمله درع باعها  
نصب داود عليه السلام إلى ربه عز وجل في الدعاء أن يعلمه عملا بيده يستغني به ويعني به عياله فالأن الله عز وجل له الحديد وعلمه صنعة الدروع فعلم  
فقال هو خير الناس لنفسه ولأتمته إلا أن فيه خصلة لو لم تكن فيه كان كاملا قال ما هي؟ قال يأكل ويطعم عياله من مال المسلمين يعني بيت المال فعند ذلك  
خيرا في عبادته وسيرته وعدله عليه السلام قال وهب حتى بعث الله تعالى ملكا في صورة رجل فلقه داود عليه الصلاة والسلام فسأله كما كان يسأل غيره  
وفيه كلام عن أبي إلياس عن وهب بن منبه ما مضمونه أن داود عليه السلام كان يخرج متنكرا فيسأل الركبان عنه وعن سيرته فلا يسأل أحدا إلا أثنى عليه  
الشاعر: وعليهما مسرودتان قضاهما داود أو صنع السوابغ تبع وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة داود عليه الصلاة والسلام من طريق إسحاق بن بشر  
عن قتادة وغير واحد وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس السرد: هو حلق الحديد وقال بعضهم يقال درع مسرودة إذا كانت مسمورة الحلق واستشهد بقول

## تفسير ابن كثير

وقدر في السرد لا تدق المسمار فيقلق في الحلقة ولا تغلظه فيقصمها واجعله بقدر وقال الحكم بن عيينة لا تغلظه فيقصم ولا يدفه فيقلق وهكذا روي  
يطعم بها بني إسرائيل خبز الحواري وقد ر في السرد هذا إرشاد من الله تعالى لنبيه داود عليه السلام في تعليمه صنعة الدروع قال مجاهد في قوله تعالى  
حدثنا ابن سماعة حدثنا ابن ضمرة عن ابن شاذب قال: كان داود عليه السلام يرفع في كل يوم درعا فيبيعها بستة آلاف درهم ألفين له ولأله وأربعة آلاف درهم  
قال تعالى: أن اعمل سابعات وهي الدروع قال قتادة وهو أول من عملها من الخلق وإنما كانت قبل ذلك صفائح وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين  
هؤلاء مؤمنون وهم شركاءهم في الثواب والعقاب ومن كان من هؤلاء وهؤلاء مؤمنا فهو ولي الله تعالى ومن كان من هؤلاء وهؤلاء كافرا فهو شيطان. 12  
أبي حدثنا علي بن هاشم بن مرزوق حدثنا سلمة يعني ابن الفضل عن إسماعيل عن الحسن قال الجن ولد إبليس والإنس ولد آدم ومن هؤلاء مؤمنون ومن  
ثلاثة أصناف صنف يظلمهم الله بظل عرشه يوم القيامة وصنف كالأنعام بل هم أضل سبيلا وصنف في صور الناس على قلوب الشياطين وقال أيضا حدثنا  
أصناف صنف لهم الثواب وعليهم العقاب وصنف طيارون فيما بين السماء والأرض وصنف حيات وكلاب قال بكر بن مضر ولا أعلم إلا أنه قال حدثني أن الإنس  
ويظعنون رفعه غريب جدا وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا حرملة حدثنا ابن وهب أخبرني بكر بن مضر عن محمد بن بحير عن ابن أنعم أنه قال: الجن ثلاثة  
رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الجن على ثلاثة أصناف صنف لهم أجنحة يطبسون في الهواء وصنف حيات وكلاب وصنف يحلون  
وقد ذكر ابن أبي حاتم ههنا حديثا غريبا فقال حدثنا أبي حدثنا أبو صالح حدثنا معاوية بن صالح عن أبي الزهراء عن جبير بن نفير عن أبي ثعلبة الخشني  
لهم بمشيئته ما يشاء من البنائيات وغير ذلك ومن يزغ منهم عن أمرك أي ومن يعدل ويخرج منهم عن الطاعة نذقه من عذاب السعير وهو الحريق  
السدي وإنما أسيلت له ثلاثة أيام وقوله تعالى: ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه أي وسخرنا له الجن يعملون بين يديه بإذن ربه أي بقدره وتسخيره  
بن أسلم وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد القطر النحاس قال قتادة وكانت باليمن فكل ما يصنع الناس مما أخرج الله تعالى لسليمان عليه السلام قال  
شهر كامل للمسرع وقوله تعالى وأسلنا له عين القطر قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة وعطاء الخراساني وقتادة والسدي ومالك عن زيد  
على بساطه من دمشق فينزل باصطخر يتغذى بها ويذهب رائحا من اصطخر فبيبت بكابل وبين دمشق واصطخر شهر كامل للمسرع وبين اصطخر وكابل  
أنعم به على داود عطف بذكر ما أعطى ابنه سليمان عليهما السلام من تسخير الريح له تحمل بساطه غدوها شهر ورواحها شهر قال الحسن البصري كان يغدو  
لما ذكر تعالى ما

داود يا رب كيف أشكرك والشكر نعمة منك ؟ قال الآن شكرتني حين قلت إن النعمة مني وقوله تعالى: وقليل من عبادي الشكور إخبار عن الواقع. 13  
جدا وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا عمران بن موسى حدثنا أبو زيد قبيصة بن إسحاق الرقي قال: قال فضيل في قوله تعالى: اعملوا آل داود شكرا قال  
يا بني لا تكثر النوم بالليل فإن كثرة النوم بالليل تترك الرجل فقيرا يوم القيامة وروى ابن أبي حاتم عن داود عليه الصلاة والسلام ههنا أثرا غريبا مطولا  
حدثنا يوسف بن محمد بن المنكر عن أبيه عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قالت أم سليمان بن داود عليهم السلام لسليمان  
وينام سدسه وأحب الصيام إلى الله تعالى صيام داود كان يصوم يوم ويفطر يوم ولا يفر إذا لاقى وقد روى أبو عبد الله بن ماجه من حديث سعيد بن داود  
من عبادي الشكور وفي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: إن أحب الصلاة إلى الله تعالى صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه  
على أهله وولده ونسائه الصلاة فكان لا تأتي عليهم ساعة من الليل والنهار إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي فغمرتهم هذه الآية اعملوا آل داود شكرا وقليل  
الله تعالى قولاً وعملاً قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن أبي بكر حدثنا جعفر يعني ابن سليمان عن ثابت البناني قال كان داود عليه السلام قد جزأ  
عن محمد بن كعب القرظي قال الشكر تقوى الله تعالى والعمل الصالح وهذا يقال لمن هو متلبس بالفعل. وقد كان آل داود عليهم السلام كذلك قائمين بشكر  
المحجبا قال أبو عبد الرحمن السلمي الصلاة شكر والصيام شكر وكل خير تعمله لله عز وجل شكر وأفضل الشكر الحمد رواه ابن جرير وروى هو وابن أبي حاتم  
أنه مفعول له وعلى التقديرين فيه دلالة على أن الشكر يكون بالفعل كما يكون بالقول والنية كما قال الشاعر: أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير  
عكرمة أضافها منها وقوله تعالى: اعملوا آل داود شكرا أي وقلنا لهم اعملوا شكرا على ما أنعم به عليكم في الدين والدنيا وشكرا مصدر من غير الفعل أو  
والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم والقدر الراسيات أي الثابتات في أماكنها لا تتحرك ولا تتحول عن أماكنها لعظمها كذا قال مجاهد والضحاك وغيرهما وقال  
الشيخ العراقي تفهق وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما كالجواب أي كالجوبة من الأرض وقال العوفي عنه كالحياض وكذا قال مجاهد  
كالجواب وقدور راسيات الجواب جمع جابية وهي الحوض الذي يجبى فيه الماء كما قال الأعشى ميمون بن قيس: تروح على آل المحلي جفنة كجابية  
المساكن وأما التماثل فقال عطية العوفي والضحاك والسدي التماثل الصور قال مجاهد وكانت من نحاس وقال قتادة من طين وزجاج وقوله تعالى: وجفان  
أشرف شيء في المسكن وصدرة وقال مجاهد المحاريب ببيان دون القصور وقال الضحاك هي المساجد وقال قتادة هي القصور والمساجد وقال ابن زيد هي  
وقوله تعالى: يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل أما المحاريب فهي البناء الحسن وهو

إلا دابة الأرض تأكل منسأته قال أصبغ بلغني عن غيره أنها قامت سنة تأكل منها قبل أن يخمر وذكر غير واحد من السلف نحو من هذا والله أعلم. 14  
فدخلت فيها فأكلتها حتى إذا أكلت جوف العصا ضعفت وثقل عليها فخر ميتا فلما رأت ذلك الجن انفضوا وذهبوا قال فذلك قوله تعالى: ما لهم على موته  
فرارا من ملك الموت قال والجن تعمل بين يديه وينظرون إليه يحسبون أنه حي قال فبعث الله عز وجل دابة الأرض قال والدابة تأكل العيدان يقال لها القادح  
فهبوا عليه صرحا من قوارير وليس له باب فقام يصلي فاتكأ على عصاه قال فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متكئ على عصاه ولم يصنع ذلك  
تأكل منسأته قال: قال سليمان عليه السلام لملك الموت إذا أمرت بي فأعلمني فاتاه فقال: يا سليمان قد أمرت بك قد بقيت لك سويعة فدعا الشياطين

## تفسير ابن كثير

الحق والباقي لا يصدق ولا يكذب وقال ابن وهب وأصعب بن الفرّج عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تبارك وتعالى ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأتئها به الشياطين شكرا لها وهذا الأثر والله أعلم إنما هو مما تلقى من علماء أهل الكتاب وهي وقف لا يصدق منه إلا ما وافق الحق ولا يكذب منها إلا ما خالف سقيناك أطيب الشراب ولكننا سننقل إليك الماء والطين قال فهم ينقلون إليها ذلك حيث كانت قال ألم تر إلى الطين الذي يكون في جوف الخشب؟ فهو ما المهيّن يقول تبين أمرهم للناس أنهم كانوا يكذبونهم ثم إن الشياطين قالوا للأرض لو كنت تأكلين الطعام أتيناك بأطيب الطعام ولو كنت تشربين الشراب سنة يعملون له وذلك قول الله عز وجل ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب يدينون له من بعد موته حولا كاملا فأيقن الناس عند ذلك أن الجن كانوا يكذبونهم ولو أنهم يطلعون على الغيب لعلموا بموت سليمان ولم يلبثوا في العذاب مات فوضعوا الأرض على العصا فأكلت منها يوما وليلة ثم حسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وهي في قراءة ابن مسعود رضي الله عنه فمكثوا فسقط ميتا فخرج فأخبر الناس أن سليمان قد مات ففتحوا عليه فأخرجوه ووجدوا منسأته وهي العصا بلسان الحبشة قد أكلتها الأرض ولم يعلموا منذ كم عليه السلام في المحراب إلا احترق فمر ولم يسمع صوت سليمان ثم رجع فلم يسلم ثم رجع فوقع في البيت ولم يحترق ونظر إلى سليمان عليه السلام يقول ألسنت جلدنا إن دخلت فخرجت إن ذلك الجانب فيدخل حتى يخرج من الجانب الآخر فدخل شيطان من أولئك فمر ولم يكن شيطان ينظر إلى سليمان له يخافون أن يخرج عليهم فيعاقبهم وكانت الشياطين تجتمع حول المحراب وكان المحراب له كوى بين يديه وخلفه فكان الشيطان الذي يريد أن يخلع هلاكي وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها في حائط له ثم دخل المحراب فقام يصلي متكئا على عصاه فمات ولم تعلم به الشياطين وهم في ذلك يعملون قالت أنا الخروبة قال ولأي شيء نبت؟ قالت نبت لخراب هذا المسجد قال سليمان عليه الصلاة والسلام ما كان الله ليخبره وأنا حي أنت التي على وجهك اسمي كذا وكذا فإن كانت لغرس غرسها وإن كانت تنبت دواء قالت نبت دواء كذا وكذا فيجعلها كذلك حتى تنبت شجرة يقال لها الخروبة فسألها ما اسمك في المرة التي توفي فيها فكان بدء ذلك أنه لم يكن يوم يصبح فيه إلا ينبت الله في بيت المقدس شجرة فيأتئها فيسألها فيقول ما اسمك فتقول الشجرة كان سليمان عليه الصلاة والسلام يتحرر في بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر فيدخل فيه ومعه طعامه وشرابه فأدخله مالك عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود رضي الله عنه وعن ناس من أصحاب رسول الله رضي الله عنهم قال: وفي رفعه غرابة ونكارة والأقرب أن يكون موقوفا وعطاء بن أبي مسلم الخراساني له غرابات وفي بعض حديثه نكارة وقال السدي في حديث ذكره عن أبي في العذاب المهيّن قال وكان ابن عباس يقرؤها كذلك قال فشكرت الجن للأرض فكانت تأتئها بالماء وهكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث إبراهيم بن طهمان به الإنسان أن الجن لا يعلمون الغيب فنحتتها عصا فتوكأ عليها حولا ميتا والجن تعمل فأكلتها الأرض فتبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولا شجرة نابتة بين يديه فقال لها ما اسمك؟ قالت الخروب قال لأي شيء أنت؟ قالت لخراب هذا البيت فقال سليمان عليه السلام اللهم عم على الجن موتي حتى يعلم شجرة نابتة بين يديه فيقول كذا فيقول لأي شيء أنت فإن كانت تغرس غرس وتنت فيقول كذا فيقول لأي شيء أنت؟ قالت لخراب هذا البيت فقال سليمان عليه السلام اللهم عم على الجن موتي حتى يعلم عن عطاء عن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: كان نبي الله سليمان عليه السلام إذا صلى رأى ورد في ذلك حديث مرفوع غريب وفي صحته نظر قال ابن جرير حدثنا أحمد بن منصور حدثنا موسى بن مسعود حدثنا أبو حذيفة حدثنا إبراهيم بن طهمان وسقط إلى الأرض وعلم أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة تبينت الجن والإنس أيضا أن الجن لا يعلمون الغيب كما كانوا يتوهمون ويوهمون الناس ذلك قد وهي منسأته كما قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والحسن وقتادة وغير واحد مدة طويلة نحو من سنة فلما أكلتها دابة الأرض وهي الأرض ضعفت يذكر تعالى كيفية موت سليمان عليه السلام وكيف عمى الله موته على الجان المسخرين له في الأعمال الشاهقة فإنه مكث متوكئا على عصاه

وشمال أي من ناحيتي الجبلين والبلدة بين ذلك كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور أي غفور لكم إن استمررتهم على التوحيد. 15 الهواء وصحة المزاج وعناية الله بهم ليوحدوه ويعبدوه كما قال تبارك وتعالى: لقد كان لسبأ في مسكنهم آية ثم فسرنا بقوله عز وجل: جنتان عن يمين وبين صنعاء ثلاث مراحل ويعرف بسد مأرب وذكر آخرون أنه لم يكن ببلدهم شيء من الذباب ولا البعوض ولا البراغيت ولا شيء من الهوام وذلك لاعتماد تخترف فيه الثمار فيتساقط من الأشجار في ذلك ما يملؤه من غير أن يحتاج إلى كلفة ولا قطاف لكثرت ونضجه واستوائه وكان هذا السد بمأرب بلدة بينها في غاية ما يكون من الكثرة والحسن كما ذكر غير واحد من السلف منهم قتادة أن المرأة كانت تمشي تحت الأشجار وعلى رأسها مكتل أو زنبيل وهو الذي أمطارهم وأوديتهم فعمد ملوكهم الأقدام فبنوا بينهما سدا عظيما محكما حتى ارتفع الماء وحكم على حافات ذينك الجبلين فغرسوا الأشجار واستغلوا الثمار تعالى عليهم سيل العرم منهم من أقام ببلادهم ومنهم من نزع عنها إلى غيرها. وكان من أمر السد أنه كان الماء يأتيهم من بين جبلين وتجتمع إليه أيضا سيول والأقل والأكثر كما هو مقرر مبين في مواضعه من كتب النسب ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم: فتيا من منهم ستة وتشاء منهم أربعة أي بعد ما أرسل الله عشرة من العرب أي كان من نسله هؤلاء العشرة الذين يرجع إليهم أصول القبائل من عرب اليمن لا أنهم ولدوا من صلبه بل منهم من بينه وبينه الأبوان والثلاثة إنه قريب من المشلل كما قال حسان بن ثابت رضي الله عنه: ما سألت فإنا معشر نجب الأزد نسبنا والماء غسان ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم: ولد له بيثرب لما تفرقت سبأ في البلاد حين بعث الله عز وجل عليهم سيل العرم ونزلت طائفة منهم بالشام وإنما قيل لهم غسان بماء نزلوا عليه قيل باليمن وقيل من أسلم ينتزلون فقال ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميا فأسلم قبيلة من الأنصار والأنصار أوسها وخزرجها من غسان من عرب اليمن من سبأ نزلوا الثالث كان من سلالة الخليل عليه الصلاة والسلام ليس هذا بالمشهور عندهم والله أعلم ولكن في صحيح البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بنفر الرواة ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم: كان رجلا من العرب يعني العرب العاربة الذين كانوا قبل الخليل عليه الصلاة والسلام سام بن نوح وعلى القول

## تفسير ابن كثير

به على ثلاث طرائق أيضا وقد ذكر ذلك مستقصى الحافظ أبو عمر بن عبد البر النمري رحمة الله تعالى عليه في كتابه المسمى الإنباه على ذكر أصول القبائل أيضا في كيفية اتصال نسبه به على ثلاث طرائق أيضا والثالث أنه من سلالة إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام واختلفوا في كيفية اتصال نسبه أنه من سلالة إرم بن سام بن نوح واختلفوا في كيفية اتصال نسبه به على ثلاث طرائق والثاني أنه من سلالة عابر وهو هود عليه الصلاة والسلام واختلفوا وبكل رام متى يظهر فكونوا ناصريه ومن يلقاه يبلغه سلامي ذكر ذلك الهمداني في كتاب الإكليل واختلفوا في قحطان على ثلاثة أقوال أحدها الملك فينا باقتسام ويملك بعد قحطان نبي تقي مخبت خير الأنام يسمى أحمد ياليت أني أعمر بعد مبعثه بعام فأعضده وأجوبه بنصري بكل مدجج وقال في ذلك شعرا: سيملك بعدنا ملك عظيم نبي لا يرخص في الحرام ويملك بعده منهم ملوك يدينوه القياد بكل دامي ويملك بعدهم منا ملوك يصير لأنه أول من غنم في الغزو فأعطى قومه فسمي الرائش والعرب تسمي المال ريشا ورياشا وذكروا أنه بشر برسول الله صلى الله عليه وسلم في زمانه المتقدم علماء النسب منهم محمد بن إسحاق اسم سبأ عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان وإنما سمي سبأ لأنه أول من سبأ في العرب وكان يقال له الرائش عن يزيد بن حصين عن تميم الداري رضي الله عنه قال إن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن سبأ فذكر مثله فقوي هذا الحديث وحسن قال حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا أحمد بن زهير حدثنا عبد الوهاب بن نجدة الحوطي حدثنا ابن كثير هو عثمان بن كثير عن الليث بن سعد عن موسى بن علي أبي كريب وعبد بن حميد قال حدثنا أبو أسامة فذكره أبسط من هذا ثم قال هذا حديث حسن غريب وقال أبو عمر بن عبد البر حدثنا عبد الوارث بن سفيان فكتدة والأشعريون والأزد ومذحج وحمير وأنمار فقال رجل ما أنمار؟ قال صلى الله عليه وسلم: الذين منهم خثعم وبجيلة ورواه الترمذي في جامعه عن وسلم ليس بأرض ولا امرأة ولكنه رجل ولد له عشرة من الولد فتيامن ستة وتشاءم أربعة فأما الذين تشاءموا فلخم وجذام وعاملة وغسان وأما الذين تيامنوا حدثنا أبو سبرة النخعي عن فروة بن مسيك الغطيفي رضي الله عنه قال: قال رجل يا رسول الله أخبرني عن سبأ ما هو أرض أم امرأة؟ قال صلى الله عليه وسلم: نزول الآية بالمدينة والسورة مكية كلها والله سبحانه وتعالى أعلم. طريق أخرى قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا أبو أسامة حدثنا الحسن بن الحكم ستة والشام أربعة أما اليمانيون فمذحج وكندة والأزد والأشعريون وأنمار وحمير غير ما حلها وأما الشام فلخم وجذام وغسان وعاملة فيه غرابية من حيث ذكر الذي قبله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن سبأ؟ ما هو أبلد أم رجل أم امرأة؟ قال صلى الله عليه وسلم: بل رجل ولد له عشرة فسكن اليمن منهم الله عليه وسلم: ما أمرت فيهم بشيء بعد فأنزلت هذه الآية لقد كان لسبأ في مسكنهم آية الآيات فقال له رجل يا رسول الله ما سبأ؟ فذكر مثل الحديث قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن سبأ قوم كان لهم عز في الجاهلية وإني أخشى أن يرتدوا عن الإسلام أفأقاتلهم فقال صلى عبد الرحمن بأفريقية فقال يوما ما أظن قوما بأرض إلا وهم من أهلها فقال علي بن أبي رباح كلا قد حدثني فلان أن فروة بن مسيك الغطيفي رضي الله عنه قال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب حدثني ابن لهيعة عن توبة بن نمير عن عبد العزيز بن يحيى أنه أخبره قال كنا عند عبيدة بن عن عمه أو عن أبيه شك أسباط قال قدم فروة بن مسيك رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره طريق أخرى لهذا الحديث: أيضا إسناد حسن وإن كان فيه أبو جناب الكلبي وقد تكلموا فيه لكن رواه ابن جرير عن أبي كريب عن العنقري عن أسباط بن نصر عن يحيى بن هانئ المرادي فتيامن ستة وتشاءم أربعة تيامن الأزد والأشعريون وحمير وكندة ومذحج وأنمار الذين يقال لهم بجيلة وخثعم وتشاءم لخم وجذام وعاملة وغسان وهذا لا تقاتلهم حتى تدعوهم إلى الإسلام فقلت يا رسول الله أرايت سبأ واد هو أو جبل أو ما هو؟ قال صلى الله عليه وسلم: لا بل هو رجل من العرب ولد له عشرة الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أقاتل بمقبل قومي مدبرهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم فقاتل بمقبل قومك مدبرهم فلما وليت دعائي فقال: حدثنا يزيد بن هارون حدثنا أبو حباب عن يحيى بن أبي حية الكلبي عن ابن هارون عن عروة عن فروة بن مسيك رضي الله عنه قال أتيت رسول الله صلى من حديث ابن لهيعة عن علقمة بن ولة عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكر نحوه وقد روي نحوه من وجه آخر وقال الإمام أحمد أيضا وعبد بن حميد بن موسى عن ابن لهيعة به وهذا إسناد حسن ولم يخرجوه وقد رواه الحافظ أبو عمر بن عبد البر في كتاب القصد والأهم بمعرفة أصول أنساب العرب والعجم ستة وبالشام منهم أربعة فأما اليمانيون فمذحج وكندة والأزد والأشعريون وأنمار وحمير وأما الشامية فلخم وجذام وعاملة وغسان ورواه عن عبد عن الحسن إن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبأ ما هو أرجل أم امرأة أم أرض؟ قال صلى الله عليه وسلم: بل هو رجل ولد له عشرة فسكن اليمن منهم قريبا وبه الثقة قال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة عن عبد الرحمن بن ولة قال سمعت ابن عباس يقول كذلك ما شاء الله تعالى ثم أعرضوا عما أمروا به فعوقبوا بإرسال السيل والتفرق في البلاد أيدي سبأ شذر مذر كما سيأتي إن شاء الله تعالى تفصيله وبيانه في بلادهم وعيشهم واتساع أرزاقهم وزروعهم وثمارهم وبعث الله تبارك وتعالى إليهم الرسل تأمرهم أن يأكلوا من رزقه ويشكروه بتوحيده وعبادته فكانوا كانت سبأ ملوك اليمن وأهلها وكانت التبابعة منهم وبلقيس صاحبة سليمان عليه الصلاة والسلام من جملتهم وكانوا في نعمة وغبطة

إلى شجر الأراك والطرقاء والسدر ذي الشوك الكثير والتمر القليل وذلك بسبب كفرهم وشركهم بالله وتكذيبهم الحق وعدولهم عنه إلى الباطل ولهذا 16 هو السدر قال وشيء من سدر قليل فهذا الذي صار أمر تينك الجنتين إليه بعد الثمار النضيجة والمناظر الحسنة والظلال العميقة والأنهار الجارية تبدلت ابن عباس هو الطرفاء وقال غيره هو شجر يشبه الطرفاء وقيل هو السمر والله أعلم وقوله وشيء من سدر قليل لما كان أجود هذه الأشجار المبدل بها جنتين ذواتي أكل خمت فإن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وعطاء الخراساني والحسن وقتادة والسدي وهو الأراك وأكلة البربر وأثل قال العوفي عن عن الأشجار التي في الجبلين عن يمين وشمال فيبست وتحطمت وتبدلت تلك الأشجار المثمرة الأفيقة النضرة كما قال الله تبارك وتعالى وبدلناهم بجنتيهم إذا ضعف ووهى وجاءت أيام السيول صدم الماء البناء فسقط فانساب الماء في أسفل الوادي وخرب ما بين يديه من الأبنية والأشجار وغير ذلك ونضب الماء

## تفسير ابن كثير

عنده السنابير برهة من الزمان فلما جاء القدر غلبت الفأر السنابير وولجت إلى السد فنقبتة فانهار عليهم وقال قتادة وغيره الجرد هو الخلد نقبت أسافله حتى عليهم بعث على السد دابة من الأرض يقال لها الجرد نقبتة قال وهب بن منبه وقد كانوا يجدون في كتبهم أن سبب خراب هذا السد هو الجرد فكانوا يرصدون الجامع وسعيد كرز حكى ذلك السهيلي وذكر غير واحد منهم ابن عباس وهب بن منبه وفتادة والضحاك أن الله عز وجل لما أراد عقوبتهم بإرسال العرم تعالى: فأرسلنا عليهم سيل العرم المراد بالعرم المياه وقيل الوادي وقيل الجرد وقيل الماء الغزير فيكون من باب إضافة الاسم إلى صفته مثل مسجد وقال محمد بن إسحاق عن وهب بن منبه بعث الله تعالى إليهم ثلاثة عشر نبيا وقال السدي أرسل الله عز وجل إليهم اثني عشر ألف نبي والله أعلم وقوله وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتمون ما أنعم به عليهم وعدلوا إلى عبادة الشمس من دون الله كما قال الهمدني سليمان عليه الصلاة والسلام وجئتكم من سبأ بنبا يقين إن وجدت امرأة تملكهم وقوله تعالى فأعرضوا أي عن توحيد الله وعبادته وشكره على

جزاء المعصية الوهن في العبادة والضيق في المعيشة والتعسر في اللذة قيل وما التعسر في اللذة؟ قال لا يصادف لذة حلالا إلا جاءه من ينغصه إياها. 17 حدثنا أبو عمر بن النحاس الرملي حدثنا حجاج بن محمد حدثنا أبو البيداء عن هشام بن صالح التغلبي عن ابن خيرة وكان من أصحاب علي رضي الله عنه قال: إلا الكفور وقال الحسن البصري صدق الله العظيم لا يعاقب بمثل فعله إلا الكفور وقال طاوس لا يناقش إلا الكفور وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين قال تعالى ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور أي عاقبناهم بكفرهم قال مجاهد ولا يعاقب

وقدرنا فيها السير أي جعلناها بحسب ما يحتاج المسافرون إليه سيرا فيها ليالي وأياما آمنين أي الأمن حاصل لهم في سيرهم ليلا ونهارا. 18 عنه أيضا هي قرى عربية بين المدينة والشام قرى ظاهرة أي بينة واضحة يعرفها المسافرون يقبلون في واحدة ويبيتون في أخرى ولهذا قال تعالى: الشام يعنون أنهم كانوا يسيرون من اليمن إلى الشام في قرى ظاهرة متواصلة وقال العوفي عن ابن عباس القرى التي باركنا فيها بيت المقدس وقال العوفي هي قرى بصنعاء وكذا قال أبو مالك وقال مجاهد والحسن وسعيد بن جبير ومالك عن زيد بن أسلم وفتادة والضحاك والسدي وابن زيد وغيرهم يعني قرى وثمرها وقيل في قرية ويبيت في أخرى بمقدار ما يحتاجون إليه في سيرهم ولهذا قال تعالى وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قال وهب بن منبه والقرى المتواصلة المتقاربة بعضها من بعض مع كثرة أشجارها وزروعها وثمارها بحيث أن مسافرهم لا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء بل حيث نزل وجد ماء يذكر تعالى ما كانوا فيه من النعمة والغبطة والعيش الهنيء الرغيد والبلاد المرضية والأماكن الآمنة

عن سفيان عن قتادة إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور قال كان مطرف يقول: نعم العبد الصبار الشكور الذي إذا أعطي شكر وإذا ابتلي صبر. 19 تعالى له قضاء إلا كان خيرا له إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن. قال عبد حدثنا يونس السبيعي به وهو حديث عزيز من رواية عمر بن سعد عن أبيه ولكن له شاهد في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عجا للمؤمن لا يقضي الله أصابته مصيبة حمد ربه وصبر يؤجر المؤمن في كل شيء حتى في اللقمة يرفعها إلى في امرأته. وقد رواه النسائي في اليوم واللييلة من حديث أبي إسحاق أبيه هو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجب من قضاء الله تعالى للمؤمن إن أصابه خير حمد ربه وشكر وإن شكور على النعم. قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن وعبد الرزاق المعني قال أخبرنا سفيان عن أبي إسحاق عن العيزار بن حريث عن عمر بن سعد عن في هذا الذي حل بهؤلاء من النعمة والعذاب وتبديل النعمة وتحويل العافية عقوبة على ما ارتكبوه من الكفر والاتام لعبرة ودلالة لكل عبد صبار على المصائب الزورع وأعابها على سعة ماؤهم إذ قسم فصاروا أيادي ما يقدرن منه على شرب طفل فطم وقوله تعالى إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور أي إن أعشى بني قيس بن ثعلبة واسمه ميمون بن قيس: وفي ذلك للمؤتسي أسوة ومأرب قفى عليها العرم رجام بنته لهم حمير إذا جاء ماؤهم لم يرم فأروى فلحقوا بتهامة وأما الأزد فلحقوا بعمان فمزقهم الله كل ممزق. رواه ابن أبي حاتم وابن جرير ثم قال محمد بن إسحاق حدثني أبو عبيدة قال: قال الأعشى ذلك فالله أعلم أي ذلك كان. وقال سعيد عن قتادة عن الشعبي: أما غسان فلحقوا بعمان فمزقهم الله كل ممزق بالشام وأما الأنصار فلحقوا بيثرب وأما خزاعة ومن كان منهم بالعراق قال ابن إسحاق وقد سمعت بعض أهل العلم يقول إنما قالت هذه المقالة طريقة امرأة عمرو بن عامر وكانت كاهنة فرأت في كهانتها وهما هذان الحيان من الأنصار ومن كان منكم يريد خمرا وخميرا وزهبا وحريرا وملكا وتأميرا فليلق بكوثي وبصرى فكانت غسان بنو جفنة ملوك الشام وحرما آمنا فليلق بالأرزين فكانت خزاعة ومن كان منكم يريد الراسيات في الوحل المطمعات في المحل فليلق بيثرب ذات النخل فكانت الأوس والخزرج فكانت وادعة بن عمرو ومن كان منكم ذا هم مدن وأمر دغن فليلق بأرض شن فكانت عوف بن عمرو هم الذين يقال لهم بارق ومن كان منكم يريد عيشا أنيا قومه سيمزقون ويباعد بين أسفارهم فقال لهم إنى قد علمت أنكم ستمزقون فمن كان منكم ذا هم بعيد وحمل شديد ومزاد حديد فليلق بكاس أو كرود قال رواه ابن أبي حاتم وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد أخبرنا سلمة عن ابن إسحاق قال يزعمون أن عمرو بن عامر وهو عم القوم كان كاهنا فرأى في كهانتة أن الآيات وقد ذكر السدي قصة عمرو بن عامر بنحو مما ذكر محمد بن إسحاق إلا أنه قال فأمر ابن أخيه مكان ابنه إلى قوله فباع ماله وارتحل بأهله فتنفروا والخزرج يثرب ونزلت خزاعة مرا ونزلت أزد السراة ونزلت أزد عمان عمان ثم أرسل الله تعالى على السد السيل فهدمه وفي ذلك أنزل الله عز وجل هذه تلعبوا بغسان حتى طردوا كل مطرد وهذا البيت من قصيدة له قال ثم ارتحلوا عنهم فتنفروا في البلدان فنزل آل جفنة بن عمرو بن عامر الشام ونزلت الأوس نزلوا بلاد عك مجتازين يرتادون البلدان فحاربهم عك وكانت حربهم سجلا ففي ذلك يقول عباس بن مرداس السلمى رضي الله عنه: رعى بن عدنان الذين اغتبنوا غصبة عمرو فاشتروا منه أمواله وانتقل هو في ولده وولد ولده وقالت الأسد لا تتخلف عن عمرو بن عامر فباعوا أموالهم وخرجوا معه فساروا حتى

## تفسير ابن كثير

إذا أغلظ له لطمه أن يقوم إليه فيلطمه ففعل ابنه ما أمره به فقال عمرو: لا أقيم ببلد لطم وجهي فيها أصغر ولدي وعرض أمواله فقال أشراف من أشراف اليمن مأرب الذي كان يحبس عنهم الماء فيصرفونه حيث شاءوا من أرضهم فعلم أنه لا بقاء للسدد على ذلك فاعتزم على النقلة عن اليمن وكاد قومه فأمر أصغر ولده بلاد اليمن بسبب استنشاره بإرسال العرم عليهم فقال: وكان سبب خروج عمرو بن عامر من اليمن فيما حدثني به أبو زيد الأنصاري أنه رأى جرذا يحفر في سد بن عامر أحد رؤساء اليمن وكبراء سبأ وكهانهم وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يسار في أول السيرة ما كان من أمر عمرو بن عامر الذي كان أول من خرج من أصحابهم واستقامت الأوس والخزرج حتى نزلوا المدينة وتوجه أهل عمان إلى عمان وتوجهت غسان إلى بصرى هذا أثر غريب عجيب وهذا الكاهن هو عمرو وبنو عثمان إلى يثرب ذات النخل قال فأتوا على بطن مر فقال بنو عثمان هذا مكان صالح لا ينبغي به بدلا فأقاموا به فسموا لذلك خزاعة لأنهم انخرعوا من في المحل المغمات في القحل فليحلق بيثرب ذات نخل فأطاعه قومه فخرج أهل عمان إلى عمان وخرجت غسان إلى بصرى وخرجت الأوس والخزرج بعيدا فليحلق بعمان ومن أراد منكم الخمر والخمير والعصير وكلمة قال إبراهيم لم أحفظها فليحلق ببصري ومن أراد الراسخات في الوحل المطعمات دوره وأرضه وعقاره فلما صار الثمن في يده وأحرزه قال: أي قوم إن العذاب قد أظلكم وزوال أمركم قد دنا فمن أراد منكم دارا جديدا وحمى شديدا وسفرا قبل أن تذبحه قال فإذا كان الحديث هكذا فإني لا أرى أن أقيم ببلد يحال بيني وبين ابني فيه اشتروا مني دوري اشتروا مني أرضي فلم يزل حتى باع تذبح ابنك؟ لطمه أو اصنع ما بدا لك قال فأبى قال فأرسلوا إلى أخواله فأعلموهم ذلك فجاء أخواله فقالوا خذ منا ما بدا لك فأبى إلا أن يذبحه قالوا فلتموتن فأجابه فلم يزل ذلك بينهما حتى تناوله أبوه فطمه فوثب على أبيه فطمه فقال ابني يطممني؟ علي بالشفرة قالوا ما تصنع بالشفرة؟ قال أذبحه قالوا تريد أن وأمر شديد قال يا بني قد حدث أمر لا بد منه فلم يزل به حتى وافاه على ذلك فلما أصبحوا واجتمع الناس قال يا بني افعل كذا وكذا فأبى فانتهره أبوه لرجل من بنيه وهو أعزهم أخوالا يا بني إذا كان غدا وأمرتكم بأمر فلا تفعله فإذا انتهرتكم فانتهرني فإذا لطمتك فاطمني قال يا أبت لا تفعل إن هذا أمر عظيم السماء فكان فيهم رجل كاهن شريف كثير المال وأنه خبر أن زوال أمرهم قد دنا وأن العذاب قد أظلمهم فلم يدر كيف يصنع لأنه كان له مال كثير من عقار فقال جنتان عن يمين وشمال إلى قوله تعالى فأرسلنا عليهم سيل العرم وكانت فيهم كهنة وكانت الشياطين يسترقون السمع فأخبروا الكهنة بشيء من أخبار يحيى بن سعيد القطان حدثنا إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال سمعت أبي يقول سمعت عكرمة يحدث أهل سبأ قال لقد كان لسبأ في مسكنهم آية تفرقوا في البلاد ههنا وههنا ولهذا تقول العرب في القوم إذا تفرقوا تفرقوا أيدي سبأ وأيادي سبأ وتفرقوا شذر مذر وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد بن ومزقناهم كل ممزق أي جعلناهم حديثا للناس وسمرًا يتحدثون به من خبرهم وكيف مكر الله بهم وفرق شملهم بعد الاجتماع والألفة والعيش الهنيء الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون وقال تعالى في حق هؤلاء فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم أي بكفرهم فجعلناهم أحاديث وكم أهلكتنا من قرية بطرت معيشتها وقال تعالى: وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها قال لهم أئستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله وقال عز وجل مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها مع أنهم كانوا في عيش رغيد في من وسلوى وما يشتهون من مأكول ومشارب وملابس مرتفعة ولهذا وغير واحد وأحبوا مفاوز ومهامه يحتاجون في قطعها إلى الزاد والرواحل والسير في الحرور والمخاوف كما طلب بنو إسرائيل من موسى أن يخرج الله لهم فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم وقرأ آخرون بعد بين أسفارنا وذلك أنهم بطروا هذه النعمة كما قاله ابن عباس ومجاهد والحسن أي من الأعمال الصالحة وغير ذلك وهو الرحيم الغفور أي الرحيم بعباده فلا يعاجل عصاتهم بالعقوبة الغفور عن ذنوب التائبين إليه المتوكلين عليه. 2 في أجزاء الأرض والحب المبذور والكامن فيها ويعلم ما يخرج من ذلك عدده وكيفيته وصفاته وما ينزل من السماء أي من قطر ورزق وما يعرج فيها يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها أي يعلم عدد القطر النازل

وقوله تعالى وربك على كل شيء حفيظ أي ومع حفظه ضل من ضل من اتباع إبليس وبحفظه وكلاءته سلم من سلم من المؤمنين أتباع الرسل. 20 في شك أي إنما سلطناه عليهم ليظهر أمر من هو مؤمن بالآخرة وقيامها والحساب فيها والجزاء فيحسن عبادة ربه عز وجل في الدنيا بمن هو منها في شك. البصري والله ما ضربهم بعضا ولا أكرههم على شيء وما كان إلا غرورا وأماني دعاهم إليها فأجابوه. وقوله عز وجل إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها يستغفرني إلا غفرت له رواه ابن أبي حاتم. وقوله تبارك وتعالى: وما كان له عليهم من سلطان قال ابن عباس رضي الله عنهما أي من حجة وقال الحسن دام فيه الروح أعدوه وأمنيه وأخذعه فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لا أحجب عنه التوبة ما لم يغرغر بالموت ولا يدعوني إلا أجبتة ولا يسألني إلا أعطيتة ولا وكان ذلك ظنا من إبليس فأنزل الله عز وجل: ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين فقال عند ذلك إبليس لا أفارق ابن آدم ما لما أهبط الله آدم عليه الصلاة والسلام من الجنة ومعه حواء هبط إبليس فرحا بما أصاب منها وقال إذا أصبت من الأبوين ما أصبت فالذرية أضعف وأضعف إلا قليلا وقال ثم لاتبينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين والآيات في هذا كثيرة وقال الحسن البصري تعالى: إخبارا عن إبليس حين امتنع من السجود لآدم عليه الصلاة والسلام ثم قال أرايتك هذا الذي كرمتم علي لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته وعن أمثالهم ممن اتبع إبليس والهوى وخالف الرشاد والهدى فقال ولقد صدق عليهم إبليس ظنه قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره هذه الآية كقولهم يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شيء حفيظ لما ذكر تعالى قصة سبأ وما كان من أمرهم في اتباعهم الهوى والشيطان أخبر عنهم

وقوله تعالى وربك على كل شيء حفيظ أي ومع حفظه ضل من ضل من اتباع إبليس وبحفظه وكلاءته سلم من سلم من المؤمنين أتباع الرسل. 21 في شك أي إنما سلطناه عليهم ليظهر أمر من هو مؤمن بالآخرة وقيامها والحساب فيها والجزاء فيحسن عبادة ربه عز وجل في الدنيا بمن هو منها في شك.



## تفسير ابن كثير

البصري والله ما ضربهم بعضا ولا أكرههم على شيء وما كان إلا غرورا وأماني دعاهم إليها فأجابوه. وقوله عز وجل: **إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها يستغفرني إلا غفرت له رواه ابن أبي حاتم.** وقوله تبارك وتعالى: **وما كان له عليهم من سلطان** قال ابن عباس رضي الله عنهما أي من حجة وقال الحسن **دام فيه الروح أعدوه وأمنه وأخذعه فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لا أحجب عنه التوبة ما لم يفرغ بالموت ولا يدعوني إلا أجبتة ولا يسألني إلا أعطيتة ولا وكان ذلك ظنا من إبليس فأنزل الله عز وجل: ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين** فقال عند ذلك إبليس لا أفارق ابن آدم ما لما أهبط الله آدم عليه الصلاة والسلام من الجنة ومعه حواء هبط إبليس فرحا بما أصاب منهما وقال إذا أصبت من الأبوين ما أصبت فالذرية أضعف وأضعف إلا قليلا وقال **ثم لاثنين من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين والآيات في هذا كثيرة** وقال الحسن البصري **تعالى: إخبارا عن إبليس حين امتنع من السجود لآدم عليه الصلاة والسلام ثم قال أرايتك هذا الذي كرمته علي لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته وعن أمثالهم ممن اتبع إبليس والهوى وخالف الرشاد والهدى فقال ولقد صدق عليهم إبليس ظنه** قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره هذه الآية كقولهم **يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شيء حفيظ** لما ذكر تعالى قصة سبأ وما كان من أمرهم في اتباعهم الهوى والشيطان أخبر عنهم

من ظهير يستظهر به في الأمور بل الخلق كلهم فقراء إليه عبيد لديه قال قتادة في قوله عز وجل **وما له منهم من ظهير** من عون يعينه بشيء. 22 قاطمير. وقوله تعالى **وما لهم فيهما من شرك** أي لا يملكون شيئا استقلالاً ولا على سبيل الشركة **وما له منهم من ظهير** أي وليس لله من هذه الأنداد أي من الآلهة التي عبدت من دونه لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض كما قال تبارك وتعالى: **والذين تدعون من دونه ما يملكون من الأحد الفرد الصمد الذي لا نظير له ولا شريك له بل هو المستقل بالأمر وحده من غير مشارك ولا منازع ولا معارض** فقال قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله بين تبارك وتعالى أنه الإله الواحد

الله تعالى إلى محمد صلى الله عليه وسلم بعد الفترة التي كانت بينه وبين عيسى عليه الصلاة والسلام ولا شك أن هذا أولى ما دخل في هذه الآية. 23 بالتام عن الوليد بن مسلم رحمه الله وقد روى ابن أبي حاتم من حديث العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن قتادة أنهما فسرا هذه الآية بابتداء إحياء السماء والأرض وكذا رواه ابن جرير وابن خزيمة عن زكريا بن أبان المصري عن نعيم بن حماد به. وقال ابن أبي حاتم سمعت أبي يقول: ليس هذا الحديث قال ربنا يا جبريل؟ فيقول عليه السلام قال الحق وهو العلي الكبير فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله تعالى من رأسه جبريل عليه الصلاة والسلام فيكلمه الله من وحيه بما أراد فيمضي به جبريل عليه الصلاة والسلام على الملائكة كلما مر بسماء سماء يسأله ملائكتها ماذا فإذا تكلم أخذت السموات منه رجفة أو قال رعدة شديدة من خوف الله تعالى فإذا سمع بذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجدا فيكون أول من يرفع عن رجاء بن حيوة عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله تبارك وتعالى أن يوحى بأمره تكلم بالوحي بن سيار الرمادي والسياق لمحمد بن عوف قال حدثنا نعيم بن حماد حدثنا الوليد هو ابن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن عبد الله بن أبي زكريا الله عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رجل من الأنصار رضي الله عنه والله أعلم. حديث آخر قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عوف وأحمد بن منصور في التفسير من حديث الزبيدي عن الزهري به ورواه الترمذي فيه عن الحسين بن حريث عن الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رجل من الأنصار به وقال يونس عن رجال من الأنصار رضي الله عنهم وكذا رواه النسائي فيه ويزيدون هكذا رواه الإمام أحمد وقد أخرجه مسلم في صحيحه من حديث صالح بن كيسان والأوزاعي ويونس ومعلق بن عبيد الله أربعتهم عن؟ فيخبرونهم ويخبر أهل كل سماء سماء حتى ينتهي الخبر إلى هذه السماء وتخطف الجن السمع فيرمون فما جاء به على وجهه فهو حق ولكنهم يفرقون الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح السماء الدنيا ثم يستخبر أهل السماء الذين يلون حملة العرش فيقول الذين يلون حملة العرش لحملة العرش ماذا قال ربكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته ولكن ربنا تبارك وتعالى إذا قضى أمرا سبح حملة العرش ثم سبح أهل السماء؟ قالوا كنا نقول يولد عظيم أو يموت عظيم. قلت للزهري أكان يرمى بها في الجاهلية؟ قال نعم ولقد غلظت حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم قال: وسلم جالسا في نفر من أصحابه قال عبد الرزاق قال حدثنا معمر أخبرنا الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس رضي الله عنه ما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا محمد بن جعفر وعبد الرزاق قال حدثنا معمر أخبرنا الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس رضي الله عنه ما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الوجه وقد رواه ابن داود والترمذي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة به والله أعلم حديث آخر قال الإمام أحمد ألقاها قبل أن يدرکه فيكذب معها مائة كذبة فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا وكذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء انفرد بإخراجه أصابعه فيسمع الكلمة فيلقها إلى من تحته ثم يلقها الآخر إلى من تحته حتى يلقها على لسان الساحر أو الكاهن وربما أدركه الشهاب قبل أن يلقها وربما قال ربكم؟ قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترق السمع ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض ووصف سفيان بيده فحرفها ونشر بين الله عليه وسلم قال إذا قضى الله تعالى الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا هذه الآية الكريمة في صحيحه حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو قال: سمعت عكرمة قال سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول إن نبي الله صلى الأول أن الضمير عائد على الملائكة وهذا هو الحق الذي لا مربة فيه لصحة الأحاديث فيه والآثار ولنذكر منها طرفا يدل على غيره. قال البخاري عند تفسير يضلهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير قال وهذا في بني آدم هذا عند الموت أقروا حين لا ينفعهم الإقرار وقد اختار ابن جرير القول والتكذيب وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم حتى إذا فزع عن قلوبهم يعني ما فيها من الشك قال فزع الشيطان عن قلوبهم وفارقهم وأمانيهم وما كان

## تفسير ابن كثير

قال ابن أبي نجيج عن مجاهد حتى إذا فزع عن قلوبهم كشف عنها الغطاء يوم القيامة. وقال الحسن حتى إذا فزع عن قلوبهم يعني ما فيها من الشك مما كانوا فيه من الغفلة في الدنيا ورجعت إليهم عقولهم يوم القيامة قالوا ماذا قال ربكم ؟ فقيل لهم الحق وأخبروا به مما كانوا عنه لاهين في الدنيا ولا نقصان وهو العلي الكبير. وقال آخرون بل معنى قوله تعالى حتى إذا فزع عن قلوبهم يعني المشركين عند الاحتضار ويوم القيامة إذا استيقظوا العرش للذين يلوونهم ثم الذين يلوونهم لمن تحتهم حتى ينتهي الخبر إلى أهل السماء الدنيا ولهذا قال تعالى قالوا الحق أي أخبروا بما قال من غير زيادة عن قلوبهم وقرأ بعض السلف وجاء مرفوعا إذا فرغ بالغين المعجزة ويرجع إلى الأول فإذا كان كذلك سأل بعضهم بعضا ماذا قال ربكم ؟ فيخبر بذلك حملة السلمي والشعبي وإبراهيم النخعي والضحاك والحسن وقتادة في قوله عز وجل حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق يقول خلى ابن مسعود رضي الله عنه ومسروق وغيرهما حتى إذا فزع عن قلوبهم أي زال الفزع عنها قال ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وأبو عبد الرحمن قالوا الحق وهذا أيضا مقام رفيع في العظمة وهو أنه تعالى إذا تكلم بالوحي فسمع أهل السموات كلامه أرعدوا من الهيبة حتى يلحقهم مثل الغشي. قاله أحصياها الآن ثم يقال يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع الحديث بتمامه. وقوله تعالى حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم أنه حين يقوم المقام المحمود ليشفع في الخلق كلهم أن يأتي ربهم لفصل القضاء قال فأسجد لله تعالى فيدعني ما شاء الله أن يدعني ويفتح علي بمحامد لا ارتضى وهم من خشيته مشفقون ولهذا ثبت في الصحيحين من غير وجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد ولد آدم وأكبر شافع عند الله تعالى إلا بإذنه وقال جل وعلا وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى وقال تعالى: ولا يشفعون إلا لمن لمن أذن له أي لعظمته وجلاله وكبريائه لا يجترئ أحد أن يشفع عنده تعالى في شيء إلا بعد إذنه له في الشفاعة كما قال عز وجل من ذا الذي يشفع عنده قال تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده إلا

والله ما نحن وإياكم على أمر واحد إن أحد الفريقين لمهتد وقال عكرمة وزيد بن أبي مريم معناها إنا نحن لعلى هدى وإنكم لفي ضلال مبين. 24 عليه من الشرك بالله تعالى ولهذا قال وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين. قال قتادة قد قال ذلك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم للمشركين والآخر محق لا سبيل إلى أن تكونوا أنتم ونحن على الهدى أو على الضلال بل واحد منا مصيب ونحن قد أقمنا البرهان على التوحيد فدل على بطلان ما أنتم الزرع إلا الله فكذلك فليعلموا أنه لا إله غيره وقوله تعالى وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين هذا من باب اللف والنشر أي واحد من الفريقين مبطل يقول تعالى مقررًا تفرد بالخلق والرزق وانفراده بالإلهية أيضا فكما كانوا يعترفون بأنهم لا يرزقهم من السماء والأرض أي بما ينزل من المطر وينبت من وقال عز وجل قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين . 25 ونحن منكم وإن كذبتم فنحن برء منكم وأنتم برء منا كما قال تعالى فإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون . أجرنا ولا نسئل عما تعملون معناه التبري منهم أي لستم منا ولا نحن منكم بل ندعوكم إلى الله تعالى وإلى توحيدة وإفراد العبادة له فإن أجبتهم فأنتم منا وقوله تعالى قل لا تسئلون عما

كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون ولهذا قال عز وجل وهو الفتاح العليم أي الحاكم العادل العالم بحقائق الأمور. 26 لمن العزة والنصرة والسعادة الأبدية كما قال تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون وأما الذين القيامة يجمع بين الخلائق في صعيد واحد ثم يفتح بيننا بالحق أي يحكم بيننا بالعدل فيجزئ كل عامل بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر وستعلمون يومئذ وقوله تعالى: قل يجمع بيننا ربنا أي يوم

نو العزة الذي قد قهر بها كل شيء وغلبت كل شيء الحكيم في أفعاله وأقواله وشرعه وقدره تبارك وتعالى وتقديس عما يقولون علوا كبيرا والله أعلم. 27 له عدلا كلا أي ليس له نظير ولا نديد ولا شريك ولا عدل ولهذا قال تعالى: بل هو الله . أي الواحد الأحد الذي لا شريك له العزيز الحكيم أي وقوله تبارك وتعالى: قل أروني الذين ألحقتم به شركاء أي أروني هذه الآلهة التي جعلتموها لله أندادا وصيرتموها

قال مجاهد يعني الجن والإنس وقال غيره يعني العرب والعجم والكل صحيح. ثم قال عز وجل مخبرا عن الكفار في استبعادهم قيام الساعة. 28 وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة وفي الصحيح أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت إلى الأسود والأحمر بالربعية مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة قد ثبت في الصحيحين رفعه عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت لهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم وما أرسلناك إلا كافة للناس فأرسله الله تعالى إلى الجن والإنس. وهذا الذي قاله ابن عباس رضي الله عنهما أهل السماء وعلى الأنبياء. قالوا يا ابن عباس فبم فضله الله على الأنبياء ؟ قال رضي الله عنه إن الله تعالى قال وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين بن عمر العدني حدثنا الحكم يعني ابن أبان عن عكرمة قال سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول: إن الله تعالى فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على صلى الله عليه وسلم إلى العرب والعجم فأكرمهم على الله تبارك وتعالى أطوعهم لله عز وجل. وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابن عبد الله الظهراني حدثنا حفص عن سبيل الله قال قال محمد بن كعب في قوله تعالى وما أرسلناك إلا كافة للناس يعني إلى الناس عامة وقال قتادة في هذه الآية أرسل الله تعالى محمدا وتندر من عصاك بالنار ولكن أكثر الناس لا يعلمون كقوله عز وجل وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك

## تفسير ابن كثير

قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا بشيرا ونذيرا أي تبشر من أطاعك بالجنة لعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم تسليما وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا أي إلا إلى جميع الخلق من المكلفين كقوله تبارك وتعالى: يقول تعالى

إن كنتم صادقين وهذه الآية كقوله عز وجل يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق الآية ثم قال. 29 ويقولون متى هذا الوعد

وتفرقت وتمزقت فهو عالم أين ذهب وأين تفرقت ثم يعيدها كما بدأها أول مرة فإنه بكل شيء عليم ثم بين حكمته في إعادة الأبدان وقيام الساعة. 30 من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين قال مجاهد وقتادة لا يعزب عنه لا يغيب عنه أي الجميع مندرج تحت علمه فلا يخفى عليه شيء فالعظام وإن تلاشت فقال تعالى: قل بلى وربى لتأتينكم ثم وصفه بما يؤكد ذلك ويقرره فقال: عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر وربى لتأتينكم والثالثة في سورة التغابن وهي قوله تعالى: زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير عليه السلام وهي قوله تعالى: ويستنبئونك أحق هو قل إي وربى إنه لحق وما أنتم بمعجزين والثانية هذه وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى لهن مما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقسم بربه العظيم على وقوع المعاد لما أنكره من أنكره من أهل الكفر والعناد فإحداهن في سورة يونس هذه إحدى الآيات الثلاث التي لا رابع

كما قال تعالى: إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر وقال عز وجل: وما تؤخره إلا لأجل معدود يوم يأتي لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد. 30 قال تعالى: قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون أي لكم ميعاد مؤجل ممدود لا يزداد ولا ينقص فإذا جاء فلا يؤخر ساعة ولا يقدم من أنا دعوناكم فاتبعتمونا من غير دليل ولا برهان وخالفتم الأدلة والبراهين والحجج التي جاءت بهم الرسل لشهوتكم واختياركم لذلك ولهذا قالوا. 31 لكننا اتبعنا الرسل وآمنا بما جاءونا به فقال لهم القادة والسادة وهم الذين استكبروا أنحن صدناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم ؟ أي نحن ما فعلنا بكم أكثر بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا وهم الأتباع للذين استكبروا منهم وهم قادتهم وسادتهم لولا أنتم لكننا مؤمنين أي لولا أنتم تصدونا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه قال الله عز وجل متهددا لهم ومتوعدا ومخبرا عن مواقفهم الذليلة بين يديه في حال تخاصمهم وتحاجهم يرجع يخبر تعالى عن تمادي الكفار في طغيانهم وعنادهم وإصرارهم على عدم الإيمان بالقرآن وبما أخبر به من أمر المعاد ولهذا قال تعالى وقال الذين كفروا من أنا دعوناكم فاتبعتمونا من غير دليل ولا برهان وخالفتم الأدلة والبراهين والحجج التي جاءت بهم الرسل لشهوتكم واختياركم لذلك ولهذا قالوا. 32 لكننا اتبعنا الرسل وآمنا بما جاءونا به فقال لهم القادة والسادة وهم الذين استكبروا أنحن صدناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم ؟ أي نحن ما فعلنا بكم أكثر بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا وهم الأتباع للذين استكبروا منهم وهم قادتهم وسادتهم لولا أنتم لكننا مؤمنين أي لولا أنتم تصدونا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه قال الله عز وجل متهددا لهم ومتوعدا ومخبرا عن مواقفهم الذليلة بين يديه في حال تخاصمهم وتحاجهم يرجع يخبر تعالى عن تمادي الكفار في طغيانهم وعنادهم وإصرارهم على عدم الإيمان بالقرآن وبما أخبر به من أمر المعاد ولهذا قال تعالى وقال الذين كفروا ثم قال ويحك فكيف به لو جمع هذا كله عليه فجعل القيد في رجله والغل في يديه والسلسلة في عنقه ثم أدخل النار وأدخل المغار ؟ اللهم سلم. 33 الخشني قال ما في جهنم دار ولا مغار ولا غل ولا قيد ولا سلسلة إلا اسم صاحبها عليها مكتوب قال فحدثته أبا سليمان يعني الداراني رحمة الله عليه فبكى تلقاهم ليهيأ ثم لفحتهم لفحة فلم يبق لحم إلا سقط على العرقوب وحدثنا أبي حدثنا أحمد بن أبي الحواري حدثنا الطيب أو الحسن عن الحسن بن يحيى عن أبي سنان ضرار بن صرد عن عبد الله بن أبي الهذيل عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن جهنم لما سيق إليها أهلها بحسبهم وللأتباع بحسبهم قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون. قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا فروة بن أبي المغراء حدثنا محمد بن سليمان بن الأصبهاني في أعناق الذين كفروا وهي السلاسل التي تجمع أيديهم مع أعناقهم هل يجزون إلا ما كانوا يعملون أي إنما نجازيكم بأعمالكم كل بحسبه للقادة عذاب وتقيموا لنا شبيها وأشياء من المحال تزلون بها وأسروا الندامة لما رأوا العذاب أي الجميع من السادة والأتباع كل ندم على ما سلف منه وجعلنا الأغلال يقول بل مكركم بالليل والنهار وكذا قال مالك عن زيد بن أسلم مكركم بالليل والنهار إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا أي نظراء وآلهة معه تمكرون بنا ليلا ونهارا وتغروننا وتمنوننا وتخبرونا أنا على هدى وأنا على شيء فإذا جميع ذلك باطل وكذب ومين قال قتادة وابن زيد بل مكر الليل والنهار بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار أي بل كنتم

المسائل قال فيها وسألتك أضعفاء الناس اتبعه أم أشرافهم فزعمت بل ضعفاؤهم وهم أتباع الرسل. وقوله تبارك وتعالى إخبارا عن المترفين المكذبين. 34 به كافرون الآية قال فأرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل قد أنزل تصديق ما قلت وهكذا قال هرقل لأبي سفيان حين سأله عن تلك علمك بذلك ؟ قال إنه لم يبعث نبي إلا اتبعه أراذل الناس ومساكينهم قال فنزلت هذه الآية وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم أو بعض الكتب قال فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إلام تدعو؟ قال: أدعو إلى كذا وكذا قال أشهد أنك رسول الله قال صلى الله عليه وسلم وما يسأله ما فعل. فكتب إليه أنه لم يتبعه أحد من قريش إنما اتبعه أراذل الناس ومساكينهم قال فترك تجارته ثم أتى صاحبه فقال دلني عليه قال وكان يقرأ الكتب عن سفيان عن عاصم عن أبي رزين قال كان رجلان شريكان خرج أحدهما إلى الساحل وبقي الآخر فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى صاحبه

## تفسير ابن كثير

في الشر إنا بما أرسلتم به كافرون أي لا نؤمن به ولا نتبعه. قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا هارون بن إسحاق حدثنا محمد بن عبد الوهاب أرسلنا في قرية من نذير أي نبي أو رسول إلا قال مترفوها وهم أولوا النعمة والحشمة والثروة والرياسة قال قتادة هم جابريتهم وقادتهم ورؤوسهم مجرميها ليمكروا فيها وقال جل وعلا وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا وقال جل وعلا ههنا وما عز وجل وكذلك فتننا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين وقال تعالى: وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر صالح للذين استضعفوا لمن آمن منهم أن تعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون وقال ضعفاؤهم كما قال قوم نوح عليه الصلاة والسلام أنؤمن لك واتبعك الأرذلون وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وقال الكبراء من قوم يقول تعالى مسلينا لنبيه صلى الله عليه وسلم وأمرنا له بالتأسي بمن قبله من الرسل ومخبره بأنه ما بعث نبيا في قرية إلا كذبه مترفوها واتبعه

عز وجل عن صاحب تينك الجنيتين أنه كان ذا مال وثمر وولد ثم لم يغن عنه شيئا بل سلب ذلك كله في الدنيا قبل الآخرة ولهذا قال عز وجل ها هنا. 35 ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع أن أزيد كلا إنه كان لآياتنا عنيدا سأرهقه صعودا وقد أضر الله لا يشعرون وقال تبارك وتعالى: فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزحق أنفسهم وهم كافرون وقال عز وجل ما كان ليعطيهم هذا في الدنيا ثم يعذبهم في الآخرة وهيهات لهم ذلك قال الله تعالى أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين أي افتخروا بكثرة الأموال والأولاد واعتقدوا أن ذلك دليل على محبة الله تعالى لهم واعتنائهم بهم وأنه المال لمن يحب ومن لا يحب فيفقر من يشاء ويغني من يشاء وله الحكمة التامة البالغة والحجة القاطعة الدامغة ولكن أكثر الناس لا يعلمون ثم. 36 قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أي يعطي

وبطونها من ظهورها فقال أعرابي لمن هي ؟ قال صلى الله عليه وسلم لمن طيب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام. 37 عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن في الجنة لغرفا ترى ظهورها من بطونها آمنون من كل بأس وخوف وأذى ومن كل شر يحذر منه. قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا فروة بن أبي المغراء الكندي حدثنا القاسم وعلي بن مسهر عن فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا أي تضاعف لهم الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف وهم في الغرفات آمنون أي في منازل الجنة العالية ماجة من حديث كثير بن هشام عن جعفر بن برقان به. ولهذا قال الله تعالى: إلا من آمن وعمل صالحا أي إنما يقرّبكم عندنا زلفى الإيمان والعمل الصالح الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ورواه مسلم وابن زلفى أي ليست هذه دليلا على محبتنا لكم ولا اعتنائنا بكم. قال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا كثير حدثنا جعفر حدثنا يزيد بن الأصم عن أبي هريرة رضي قال تعالى: وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا

أي يسعون في الصد عن سبيل الله واتباع رسله والتصديق بآياته فأولئك في العذاب محضرون أي جميعهم مجزيون بأعمالهم فيها بحسبهم. 38 والذين يسعون في آياتنا معاجزين

بن يزيد قال: قال مجاهد لا يتأولن أحدكم هذه الآية وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه إذا كان عند أحدكم ما يقيمه فليقصد فيه فإن الرزق مقسوم. 39 معروف فعد به على أخيك وإلا فلا تزده هلاكا إلى هلاكه هذا حديث غريب من هذا الوجه وفي إسناده ضعف وقال سفيان الثوري عن أبي يونس الحسن وفي الحديث شرار الناس يبابيعون كل مضطر ألا إن بيع المضطرين حرام ألا إن بيع المضطرين حرام أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله إن كان عندك ألا إن بعد زمانكم هذا زمان عضوض بعض الموسر على ما في يده حذار الإنفاق قال الله تعالى: وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين الموصلي حدثنا روح بن حاتم حدثنا هشيم عن الكوثر بن حكيم عن مكحول قال بلغني عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زمان عضوض بعض الموسر على ما في يده حذار الإنفاق ثم تلا هذه الآية وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين وقال الحافظ أبو يعلى الفلاس حدثنا هشيم عن الكوثر بن حكيم عن مكحول قال بلغني عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا إن بعد زمانكم هذا أعط منقفا خلفا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنفق بلالا ولا تخش من ذي العرش إقلالا وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي عن يزيد بن عبد العزيز كما ثبت في الحديث يقول الله تعالى أنفق أنفق عليك وفي الحديث أن ملكين يصبحان كل يوم يقول أحدهما اللهم أعط ممسكا تلفا ويقول الآخر: اللهم وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه أي مهما أنفقتم من شيء فيما أمركم به وأباحه لكم فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل وفي الآخرة بالجزاء والثواب في الدنيا كما قال صلى الله عليه وسلم قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه رواه مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وقوله تعالى: الدنيا هذا فقير مدقع وهذا غنى موسع عليه فكذلك هم في الآخرة هذا في الغرفات في أعلى الدرجات وهذا في الغمرات في أسفل الدرجات وأطيب الناس وله في ذلك من الحكمة ما لا يدركها غيره كما قال تعالى: انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا أي كما هم متفاوتون في يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له أي بحسب ماله في ذلك من الحكمة يبسط على هذا من المال كثيرا ويضيق على هذا ويقتر على هذا رزقه جدا وقوله تعالى: قل إن ربي

الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون وقال تعالى: أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار. 4

## تفسير ابن كثير

رسله أولئك لهم عذاب من رجز أليم أي لينعم السعداء من المؤمنين ويعذب الأشقياء من الكافرين كما قال عز وجل: لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة الذين آمنوا و عملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في الصد عن سبيل الله تعالى وتكذيب بقوله تعالى:

40 الصلاة والسلام أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق وهكذا تقول الملائكة. 40 كانوا يعبدون أي أنتم أمرتم هؤلاء بعبادتهم كما قال تعالى في سورة الفرقان أنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل وكما يقول لعيسى عليه الخلائق فيسأل الملائكة الذين كان المشركون يزعمون أنهم يعبدون الأنداد التي هي على صورهم ليقرّبوهم إلى الله زلفى فيقول للملائكة هؤلاء إياكم يخبر تعالى أنه يقرع المشركين يوم القيامة على رؤوس

وأصلوهم أكثرهم بهم مؤمنون كما قال تبارك وتعالى إن يدعون من دونه إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطانا مريدا لعنه الله قال الله عز وجل. 41 معك إله أنت ولينا من دونهم أي نحن عبيدك ونبرأ إليك من هؤلاء بل كانوا يعبدون الجن يعنون الشياطين لأنهم هم الذين زينوا لهم عبادة الأوثان سبحانه أي تعاليت وتقدست عن أن يكون

لا يملكون لكم نفعاً ولا ضراً ونقول للذين ظلموا وهم المشركون ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون أي يقال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا. 42 لا يملك بعضكم لبعض نفعاً ولا ضراً أي لا يقع لكم نفع ممن كنتم ترجون نفعه اليوم من الأنداد والأوثان التي ادخرتم عبادتها لشدائدكم وكرهكم اليوم فاليوم

باطل عليهم وعلى آباؤهم لعائن الله تعالى وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى يعنون القرآن وقال الذين كفروا لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين. 43 رسوله صلى الله عليه وسلم قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم يعنون أن دين آباؤهم هو الحق وأن ما جاءهم به الرسول عندهم يخبر تعالى عن الكفار أنهم يستحقون منه العقوبة والأليم من العذاب لأنهم كانوا إذا تتلى عليهم آياته بينات يسمعونها غضة طرية من لسان

وسلم وقد كانوا يودون ذلك ويقولون لو جاءنا نذير أو أنزل علينا كتاب لكننا أهدى من غيرنا فلما من الله عليهم بذلك كذبوه وجحدوه وعاندوه ثم. 44 آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير أي ما أنزل الله على العرب من كتاب قبل القرآن وما أرسل إليهم نبيا قبل محمد صلى الله عليه قال الله تعالى وما

عنهم عذاب الله ولا رده بل دمر الله عليهم لما كذبوا رسله ولهذا قال فكذبوا رسلي فكيف كان نكير أي فكيف كان عقابي ونكالي وانتصاري لرسلي. 45 بآيات الله وحق بهم ما كانوا به يستهزئون أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة أي وما دفع ذلك قال تعالى ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون الذين من قبلهم أي من الأمم وما بلغوا معشار ما آتيناهم قال ابن عباس رضي الله عنهما أي من القوة في الدنيا وكذا قال قتادة والسدي وابن زيد كما قال تعالى وكذب

ثلاث مرات وبهذا الإسناد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة جميعا إن كادت لتسبقني تفرد به الإمام أحمد في مسنده. 46 رجلا يترأى لهم فيبينما هو كذلك أبصر العدو فأقبل لينذرهم وخشي أن يدركه العدو قبل أن ينذر قومه فأهوى بثوبه أيها الناس أوتيتم أيها الناس أوتيتم فقال: أيها الناس ألدرون ما مثلي ومثلكم ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال صلى الله عليه وسلم إنما مثلي ومثلكم مثل قوم خافوا عدوا يأتهم فيعتوا أبو نعيم حدثنا بشير بن المفاجر حدثني عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال: خرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فنادى ثلاث مرات لهب تبا لك ألهذا جمعنا فأنزل الله عز وجل تبت يدا أبي لهب وتب وقد تقدم عند قوله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين. وقال الإمام أحمد حدثني لو أخرتكم أن العدو يصحبكم أو يمسيكم أما كنتم تصدقوني قالوا بلى ! قال صلى الله عليه وسلم فإنني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: سعد النبي صلى الله عليه وسلم الصفا ذات يوم فقال يا صباحاه فاجتمعت إليه قريش فقالوا مالك ؟ فقال أرايتم إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد قال البخاري عندها حدثنا علي بن عبد الله حدثنا محمد بن حازم حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن بالقيام في الصلاة في جماعة وفرادى بعيد ولعله مقحم في الحديث من بعض الرواة فإن أصله ثابت في الصحاح وغيرها والله أعلم. وقوله تعالى: إن هو فيها حيث أدركتني الصلاة قال الله تعالى: أن تقوموا لله مثنى وفردى وأعنت بالرعب مسيرة شهر بين يدي فهو حديث ضعيف الإسناد وتفسير الآية قبلي يجمعون غنائمهم فيحرقونها وبعثت إلى كل أحمر وأسود وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا أقيم بالصعيد وأصلي رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول أعطيت ثلاثا لم يعطهن أحد قبلي ولا فخر: أحلت لي الغنائم ولم تحل لمن قبلي كانوا فأما الحديث الذي رواه ابن أبي حاتم حدثنا أبي هشام بن عمار حدثنا صدقة بن خالد حدثنا عثمان بن أبي العاتكة عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة أن تقوموا لله مثنى وفردى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة هذا معنى ما ذكره مجاهد ومحمد بن كعب والسدي وقتادة وغيرهم وهذا هو المراد من الآية ثم تفكروا أي ينظر الرجل لنفسه في أمر محمد صلى الله عليه وسلم ويسأل غيره من الناس عن شأنه إنه أشكل عليه ويتفكر في ذلك ولهذا قال تعالى: ما بصاحبكم من جنة أي تقوموا قياما خالصا لله عز وجل من غير هوى ولا عصبية فيسأل بعضكم بعضا هل بمحمد من جنون فينصح بعضكم بعضا

## تفسير ابن كثير

تبارك وتعالى قل يا محمد لهؤلاء الكافرين الزاعمين أنك مجنون إنما أعظكم بواحدة أي إنما أمركم بواحدة وهي أن تقوموا لله مثنى وفردى ثم تفكروا يقول

ذلك من عند الله وهو على كل شيء شهيد أي عالم بجميع الأمور بما أنا عليه من إخباري عنه بإرساله إليكم وما أنتم عليه. وقوله عز وجل: 47 فهو لكم أي لا أريد منكم جعلاً ولا عطاء على أداء رسالة الله عز وجل إليكم ونصحي إياكم وأمركم بعبادة الله إن أجري إلا على الله أي إنما أطلب ثواب يقول تعالى أمراً رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين ما سألتكم من أجر

على من يشاء من عباده أو يرسل الملك إلى من يشاء من عباده من أهل الأرض وهو علام الغيوب فلا تخفى عليه خافية في السموات ولا في الأرض. 48 قل إن ربي يقذف بالحق علام الغيوب كقوله تعالى: يلقي الروح من أمره

قتادة والسدي أن المراد بالباطل ها هنا إبليس أنه لا يخلق أحداً ولا يعيده ولا يقدر على ذلك وهذا وإن كان حقاً ولكن ليس هو المراد ههنا والله أعلم. 49 الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عبد الله بن سبرة عن ابن مسعود رضي الله عنه به أي لم يبق للباطل مقالة ولا رئاسة ولا كلمة وزعم الباطل إن الباطل كان زهوقاً قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وحده عند هذه الآية كلهم من حديث صلى الله عليه وسلم المسجد الحرام يوم الفتح ووجد تلك الأصنام منصوبة حول الكعبة جعل يطعن الصنم منها بسية قوسه ويقرأ وقل جاء الحق وزهق الحق من الله والشرع العظيم وذهب الباطل زهق واضمحل كقوله تعالى: بل نقذف بالباطل فیدمغه فإذا هو زاهق ولهذا لما دخل رسول الله وقوله تبارك وتعالى قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد أي جاء

الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون وقال تعالى: أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار. 5 رسله أولئك لهم عذاب من رجز أليم أي لينعم السعداء من المؤمنين ويعذب الأشقياء من الكافرين كما قال عز وجل: لا يستوي أصحاب النار وأصحاب ليحزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في آياتنا معاجزين أي سعوا في الصد عن سبيل الله تعالى وتكذيب بقوله تعالى:

الداعي إذا دعاه وقد روى النسائي ههنا حديث أبي موسى الذي في الصحيحين إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنما تدعون سميعاً قريباً مجيباً. 50 يكن صواباً فمن الله وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه. وقوله تعالى: إنه سميع قريب أي سميع لأقوال عباده قريب مجيب دعوة والبيان والارشاد ومن ضل فإنما يضل من تلقاء نفسه كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لما سئل عن تلك المسئلة في المفوضة أقول فيها برأيي فإن إن ضللت فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي أي الخير كله من عند الله وفيما أنزله الله عز وجل من الوحي والحق المبين فيه الهدى وقوله تبارك وتعالى قل

بين مكة والمدينة في أيام بني العباس رضي الله عنهم. ثم أورد في ذلك حديثاً موضوعاً بالكلية ثم لم ينبه على ذلك وهذا أمر عجيب غريب منه. 51 بدر والصحيح أن المراد بذلك يوم القيامة وهو الطامة العظمى وإن كان ما ذكر متصلاً بذلك وحكى ابن جرير عن بعضهم قال إن المراد بذلك جيش يخسف بهم مجاهد وعطية العوفي وقتادة من تحت أقدامهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك يعني عذابهم في الدنيا وقال عبد الرحمن بن زيد يعني قتلهم يوم وزر لهم ولا ملجأ وأخذوا من مكان قريب أي لم يمكنوا أن يمعنوا في الهرب بل أخذوا من أول وهلة. قال الحسن البصري حين خرجوا من قبورهم وقال يقول تبارك وتعالى ولو ترى يا محمد إذ فزع هؤلاء المكذبون يوم القيامة فلا فوت أي فلا مفر لهم ولا

وقال ابن عباس رضي الله عنهما طلبوا الرجعة إلى الدنيا والتوبة مما هم فيه وليس بحين رجعة ولا توبة. وكذا قال محمد بن كعب القرظي رحمه الله. 52 التناوش تناولهم الإيمان وهم في الآخرة وقد انقطعت عنهم الدنيا وقال الحسن البصري أما إنهم طلبوا الأمر من حيث لا ينال تعاطوا الإيمان من مكان بعيد الآخرة لا سبيل لهم إلى قبول الإيمان كما لا سبيل إلى حصول الشيء لمن يتناوله من بعيد. قال مجاهد وأنى لهم التناوش قال التناول لذلك وقال الزهري وقد بعدوا عن محل قبوله منهم وصاروا إلى الدار الآخرة وهي دار الجزاء لا دار الابتلاء فلو كانوا آمنوا في الدنيا لكان ذلك نافعهم ولكن بعد مصيرهم إلى الدار رؤوسهم عند ربه ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون ولهذا قال تعالى وأنى لهم التناوش من مكان بعيد أي كيف لهم تعاطي الإيمان وقالوا آمنا به أي يوم القيامة يقولون آمنا بالله وملانكته وكتبه ورسله كما قال تعالى: ولو ترى إذ المجرمون ناكسو

الباطلة ويكذبون بالبعث والنشور والمعاد ويقولون إن نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين قال قتادة ومجاهد يرحمون بالظن لا بعث ولا جنة ولا نار. 53 قال بالظن قلت كما قال تعالى: رجماً بالغيب فتارة يقولون شاعر وتارة يقولون كاهن وتارة يقولون ساحر وتارة يقولون مجنون إلى غير ذلك من الأقوال لهم الإيمان في الآخرة وقد كفروا بالحق في الدنيا وكذبوا الرسل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد قال مالك عن زيد بن أسلم ويقذفون بالغيب وقوله تعالى: وقد كفروا به من قبل أي كيف يحصل

إياكم والشك والريبة فإن من مات على شك بعث عليه ومن مات على يقين بعث عليه. آخر تفسير سورة سبأ والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب. 54 الكافرون. وقوله تبارك وتعالى إنهم كانوا في شك مريب أي كانوا في الدنيا في شك وريبة فلماذا لم يتقبل منهم الإيمان عند معاينة العذاب. قال قتادة منهم فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفروا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك

## تفسير ابن كثير

بينه وبين ما يشتهي. وقوله تعالى: كما فعل بأشياءهم من قبل أي كما جرى للأمم الماضية المكذبة بالرسول لما جاءهم بأس الله تمنوا أن لو آمنوا فلم يقبل وفي حقه بمعنى أن الكفار كلهم يتوفون وأرواحهم متعلقة بالحياة الدنيا كما جرى لهذا المغرور المفتون ذهب يطلب مراده فجاءه ملك الموت فجأة بغتة وحيل في هذا المكان ثم أصبح به إلى نار جهنم قال ففيه نزلت هذه الآية وحيل بينهم وبين ما يشتهون الآية هذا أثر غريب وفي صحته نظر وتنزيل الآية عليه الله تعالى فأخذت بيده فقام يسعى حتى ما أراه فقال له الفتى هذا عمر الأبعد نقد وأنا ملك الموت وأنا المرأة التي أتتك أمرني الله تعالى بقبض روح الأبعد وأزكاه له. قال ثم أقبلت حتى إذا انفرج بي السبيل إذا أنا برجل مستقل على قفاه قال يا عبد الله ادن مني فخذ بيدي وأقعدني فوالله ما قعدت منذ خلقتني الله عليه صالح عمله فلم يقبله قال ثم أقبلت حتى إذا انفرج بي السبيل إذا أنا برجل يبذر بذرا فيستحصد فإذا حنطة طيبة قال هذا رجل قبل الله صالح عمله بها قال ثم أقبلت حتى إذا انفرج بي السبيل إذا أنا برجل يمتح على قلبه كلما أخرج دلو به صبه في الحوض فانساب الماء راجعا إلى القلب قال هذا رجل رد وأما الذي قد أخذ بقرنيها فهو يعالج من عيشها ضيقا وأما الذي أخذ بذنبها فقد أدبرت عنه وأما الذي ركبها فقد تركها وأما الذي يحلبها فيخ بخ ذهب ذلك رجل قد أخذ بقرنيها وإذا رجل قد أخذ بذنبها وإذا راكب قد ركبها وإذا رجل يحتلبها فقال أما العنز فهي الدنيا والذين أخذوا بقوائمها يتساقطون من عيشها آخر الزمان القاص يعلم الناس العلم ثم يخالفهم إلى معاصي الله تعالى قال ثم أقبلت حتى إذا انفرج بي السبيل إذا أنا بعنز وإذا يقوم قد أخذوا بقوائمها وإذا فإذا أنا برجل قائم على عين يغرف لكل إنسان من الماء فإذا تصدعوا عنه صب في جرتهم فلم تعلق جرتهم من الماء بشيء قال لست تدرك هذا هذا يكون في يكون في آخر الزمان يقل الرجال ويكثر النساء حتى أن الرجل ليخطب المرأة فتدعوه العشر والعشرون إلى أنفسهن قال ثم أقبلت حتى إذا انفرج بي السبيل غصن من شجرة منها ناضرة فأردت قطعة فنادتني شجرة أخرى يا عبد الله مني فخذ حتى ناداني الشجر أجمع: يا عبد الله مني فخذ فقال لست تدرك هذا هذا الزمان ملك يجمع صامت الناس كلهم حتى إذا ظن أنه لم يترك شيئا فتح فاه يلتهم الزيادة قال ثم أقبلت حتى إذا انفرج بي السبيل إذا أنا بشجر فأعجبني بي السبيل إذا أنا بمائة عنز حفل وإذا فيها جدي يمصها فإذا أتى عليها وظن أنه لم يترك شيئا فتح فاه يلتهم الزيادة فقال لست تدرك هذا هذا يكون في آخر ينبحن في بطنها فقال له الشاب لست تدرك هذا هذا يكون في آخر الزمان يقاعد الغلام المشيخة في مجلسهم ويسرهم حديثه قال ثم أقبلت حتى إذا انفرج أن لا بأس علي لهالتي الذي رأيت قال ما رأيت ؟ قال أقبلت حتى إذا انفرج بي السبيل إذا أنا بكلبة فاتحة فاهها ففزع فتوثب فإذا أنا من ورائها وإذا جراؤها ؟ فقال أنا الإسرائيلي قال فما حاجتك ؟ قال دعيتني صاحبة هذا القصر إلى نفسها قال صدقت قال فهل رأيت في الطريق هولا ؟ قال نعم ولولا أنها أخبرتني فلما كان من الغد تزود زاد يوم وانطلق فانتهي إلى قصر فقرع رتاجة فخرج إليه شاب من أحسن الناس وجهها وأطيبهم أرجا أي ريحا فقال من أنت يا عبد الله بع ؟ قالت لا قال فهل لك إلى أن أتزوجك ؟ قالت إني امرأة منك على مسيرة ميل فإذا كان غد فتزود زاد يوم واثنتي وإن رأيت في طريقك هولا فلا يهولنك قالت فلك هذا القصر وهذا المال ؟ فقال نعم. قالت فهل لك من زوجة ؟ قال لا. قالت فكيف يهنيك العيش ولا زوجة لك ؟ قال قد كان ذاك قال فهل لك من فبينما هو ذات يوم جالس إذ شملت عليه ريح بامرأة من أحسن الناس وجهها وأطيبهم أرجا أي ريحا فقالت من أنت يا عبد الله ؟ فقال أنا امرؤ من بني إسرائيل تعالى عز وجل فلما رأى ذلك أخوات أبيه أتوا الفتى فعذله ولاموه فضجر الفتى فباع عقاره بصامت ثم رحل فأتى عينا بحاجة فسرح فيها ماله وابتنى قصرا إلى آخر الآية قال كان رجل من بني إسرائيل فاتحا إن يتح الله تعالى له مالا فمات فورثه ابن له تافه أي فاسد فكان يعمل في مال الله تعالى بمعاصي الله منصور الأنباري عن الرقي بن قطامي عن سعيد بن طريف عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله عز وجل وحيل بينهم وبين ما يشتهون الآخرة فمنعوا منه. وقد ذكر ابن أبي حاتم ههنا أثرا غريبا عجيبا جدا فلنذكره بطوله فإنه قال: حدثنا محمد بن يحيى حدثنا بشر بن حجر الشامي حدثنا علي بن بن أنس رضي الله عنهم وهو قول البخاري وجماعة والصحيح أنه لا منافاة بين القولين فإنه قد حيل بينهم وبين شهواتهم في الدنيا وبين ما طلبوه في اختيار ابن جرير رحمه الله. وقال مجاهد وحيل بينهم وبين ما يشتهون من هذه الدنيا من مال وزهرة وأهل وروي نحوه عن ابن عمر وابن عباس والربيع وحيل بينهم وبين ما يشتهون قال الحسن البصري والضحاك وغيرهما يعني الإيمان وقال السدي وحيل بينهم وبين ما يشتهون وهي التوبة وهذا وقوله تعالى:

المنيع الجناب الذي لا يغالب ولا يمانع بل قد قهر كل شيء وغلبه الحميد في جميع أقواله وأفعاله وشرعه وقدره وهو المحمود في ذلك كله جل وعلا. 6 في كتاب الله إلى يوم البعث وهذا يوم البعث ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليهم من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد العزيز هو في الدنيا رأوه حينئذ عين اليقين ويقولون يومئذ أيضا لقد جاءت رسل ربنا بالحق يقال أيضا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون لقد لبثتم معطوفة على التي قبلها وهي أن المؤمنين بما أنزل على الرسل إذا شاهدوا قيام الساعة ومجازاة الأبرار والفجار بالذي كانوا قد علموه من كتب الله تعالى وقوله تعالى: ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليهم من ربك هو الحق هذه حكمة أخرى من قسمين إما أن يكون قد تعمد الافتراء على الله تعالى أنه قد أوحى إليه ذلك أو أنه لم يتعمد لكن لبس عليه كما لبس على المعتوه والمجنون ولهذا. 7 فيها كل مذهب وتمزقت كل ممزق إنكم أي بعد هذا الحال لفي خلق جديد أي تعودون أحياء ترزقون بعد ذلك وهو في هذا الإخبار لا يخلو أمره صلى الله عليه وسلم في إخباره بذلك وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق أي تفرقت أجسادكم في الأرض وذهبت هذا إخبار من الله عز وجل عن استبعاد الكفرة الملحدين قيام الساعة واستهزائهم بالرسول

كما قال عز وجل والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون والأرض فرشناها فنعم الماهدون قال عبد بن حميد أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة. 8 السموات والأرض فقال تعالى: أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض أي حيثما توجهوا وذهبوا فالسماء مظلة عليهم والأرض تحتهم

## تفسير ابن كثير

الأغبياء في العذاب أي الكفر المفضي بهم إلى عذاب الله تعالى والضلال البعيد من الحق في الدنيا ثم قال تعالى منها لهم على قدرته في خلق والضلال البعيد أي ليس الأمر كما زعموا ولا كما ذهبوا إليه بل محمد صلى الله عليه وسلم هو الصالح البار الراشد الذي جاء بالحق وهم الكذبة الجهلة قالوا: أفترى على الله كذبا أم به جنة قال الله عز وجل رادا عليهم بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وقال تعالى: لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون . 9 في ارتفاعها واتساعها وهذه الأرضين في انخفاضها وأطوالها وأعراضها إنه لقادر على إعادة الأجسام ونشر الرميم من العظام كما قال تعالى: أوليس إلى خلق السموات والأرض لدلالة لكل عبد فطن ليبب رجاء إلى الله على قدرة الله تعالى على بعث الأجساد ووقوع المعاد لأن من قدر على خلق هذه السموات وعفونا ثم قال إن في ذلك لآية لكل عبد منيب قال معمر عن قتادة منيب تائب وقال سفيان عن قتادة المنيب المقبل إلى الله تعالى أي إن في النظر وقوله تعالى: إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء أي لو شئنا لفعلنا بهم ذلك بظلمهم وقدرتنا عليهم ولكن نؤخر ذلك لحملنا يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض قال إنك إن نظرت عن يمينك أو عن شمالك أو من بين يديك أو من خلفك رأيت السموات والأرض. أقلم

## سورة 35

يشاء يعني حسن الصوت رواه عن الزهري البخاري في الأدب وابن أبي حاتم في تفسيره وقرئ في الشاذ يزيد في الحلق بالحاء المهملة والله أعلم. 1 في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير قال السدي يزيد في الأجنحة وخلقهم ما يشاء وقال الزهري وابن جريج في قوله تعالى: يزيد في الخلق ما رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام ليلة الإسراء وله ستمائة جناح بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب ولهذا قال جل وعلا يزيد ما أمروا به سريعا مثنى وثلاث ورباع أي منهم من له جناحان ومنهم من له ثلاثة ومنهم من له أربعة ومنهم من له أكثر من ذلك كما جاء في الحديث أن القرآن فاطر السموات والأرض فهو خالق السموات والأرض. وقوله تعالى: جاعل الملائكة رسلا أي بينه وبين أنبيائه أولي أجنحة أي يطيطرون بها ليلغوا أحدهما لصاحبه أنا فطرتها أي بدأتها وقال ابن عباس رضي الله عنهما أيضا فاطر السموات والأرض أي بديع السموات والأرض وقال الضحاك كل شيء في عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كنت لا أدري ما فاطر السموات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال قال سفيان الثوري

لا يروج أمره ويستمر إلا على غبي أما المؤمنون المتفلسون فلا يروج ذلك عليهم بل ينكشف لهم عن قريب وعالم الغيب لا تخفى عليه خافية. 10 ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله تعالى على صفحات وجهه وفلتات لسانه وما أسر أحد سريرة إلا كساه الله تعالى رداءها إن خيرا فخير وإن شرا فشر فالمرائي داخلون بطريق الأولى ولهذا قال تعالى: لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور أي يفسد ويبطل ويظهر زيفهم عن قريب لأولي البصائر والنهي فإنه وهم بغضاء إلى الله عز وجل يراءون بأعمالهم ولا يذكرون الله إلا قليلا وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم هم المشركون والصحيح أنها عامة والمشركون والذين يملكون السيئات قال مجاهد وسعيد بن جبير وشهر بن حوشب هم المرءون بأعمالهم يعني يملكون بالناس يوهمون أنهم في طاعة الله تعالى بن أنس وشهر بن حوشب وغير واحد وقال إياس بن معاوية القاضي لولا العمل الصالح لم يرفع الكلام وقال الحسن وقاتلة لا يقبل قول إلا بعمل. وقوله تعالى كلامه على عمله فكان أولى به وكذا قال مجاهد العمل الصالح يرفعه الكلام الطيب وكذا قال أبو العالية وعكرمة وإبراهيم النخعي والضحاك والسدي والربيع والعمل الصالح أداء الفريضة فمن ذكر الله تعالى في أداء فرائضه حمل عمله ذكر الله تعالى يصعد به إلى الله عز وجل ومن ذكر الله تعالى ولم يؤد فرائضه رد عنه به. وقوله تعالى: والعمل الصالح يرفعه قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما الكلم الطيب ذكر الله تعالى يصعد به إلى الله عز وجل خلف عن يحيى بن سعيد القطان عن موسى بن أبي مسلم الطحان عن عون بن عبدالله بن عتبة بن مسعود عن أبيه أو عن أخيه عن النعمان بن بشير رضي الله حول العرش لهن دوي كدوي النحل يذكرن بصاحبهن ألا يحب أحدكم أن لا يزال له عند الله شيء يذكر به وهكذا رواه ابن ماجة عن أبي بكر بن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين يذكرون الله من جلال الله من تسبيحه وتكبيره وتحميدته وتهليله يتعاطفن رحمة الله عليه وقد روي مرفوعا. قال الإمام أحمد حدثنا ابن نمير حدثنا موسى يعني ابن أبي مسلم الطحان عن عون بن عبدالله عن أبيه أو عن أخيه عن الله والحمد لله ولا إلا الله والله أكبر لدويا حول العرش كدوي النحل يذكرن لصاحبهن والعمل الصالح في الخزان وهذا إسناد صحيح إلى كعب الأحبار الطيب والعمل الصالح يرفعه وحدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علية أخبرنا سعيد الجريدي عن عبدالله بن شقيق قال: قال كعب الأحبار إن لسبحان بهن إلى السماء فلا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يجيء بهن وجه الله عز وجل ثم قرأ عبدالله رضي الله عنه إليه يصعد الكلم ذلك من كتاب الله تعالى إن العبد المسلم إذا قال سبحان الله وبحمده والحمد لله ولا إلا الله والله أكبر تبارك الله أخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه ثم صعد عبدالله المسعودي عن عبدالله بن المخارق عن أبيه المخارق بن سليم قال: قال لنا عبدالله هو ابن مسعود رضي الله عنه إذا حدثناكم بحديث أتيناكم بتصديق الطيب يعني الذكر والتلاوة والدعاء قاله غير واحد من السلف. وقال ابن جرير حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي أخبرني جعفر بن عون عن عبدالرحمن بن أي فليتعرز بطاعة الله عز وجل وقيل من كان يريد علم العزة لمن هي فإن العزة لله جميعا وحكاها ابن جرير. وقوله تبارك وتعالى: إليه يصعد الكلم



## تفسير ابن كثير

ولكن المنافقين لا يعلمون قال مجاهد من كان يريد العزة بعبادة الأوثان فإن العزة لله جميعا وقال قتادة من كان يريد العزة فإن العزة لله جميعا المؤمنين أيبغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا وقال عز وجل ولا يحزنك قولهم إن العزة لله جميعا وقال جل جلاله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فليزلم طاعة الله تعالى فإنه يحصل له مقصوده لأن الله تعالى مالك الدنيا والآخرة وله العزة جميعا كما قال تعالى: الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون وقوله تعالى: من كان يريد العزة فلله العزة جميعا أي من كان يحب أن يكون عزيزا في الدنيا والآخرة

وجل إن ذلك على الله يسير أي سهل عليه يسير لديه علم بذلك وبتفصيله في جميع مخلوقاته فإن علمه شامل للجميع لا يخفى عليه شيء منها. 11 تعالى لا يؤخر نفسا إذا جاء أجلها وإنما زيادة العمر بالذرية الصالحة يرزقها العبد فيدعون له من بعده فيلحقه دعاؤهم في قبره فذلك زيادة العمر وقوله عز بن عطاء عن مسلمة بن عبد الله عن عمه أبي مسجعة بن ربعي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: ذكرنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن الله حديث يونس بن يزيد الإيلي به. وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين بن الوليد حدثنا الوليد بن عبد الملك بن عبد الله أبو سرح حدثنا عثمان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه وقد رواه البخاري ومسلم وأبو داود من هذه الآية الكريمة حدثنا أحمد بن يحيى بن أبي زيد بن سليمان قال سمعت ابن وهب يقول حدثني يونس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك رضي الله عنه عند الله تعالى في كتابه. نقله ابن جرير عن أبي مالك وإليه ذهب السدي وعطاء الخراساني واختار ابن جرير الأول وهو كما قال وقال النسائي عند تفسير عمره وهو ذهابه قليلا قليلا الجميع معلوم عند الله تعالى سنة بعد سنة وشهرا بعد شهر وجمعة بعد جمعة ويوما بعد يوم وساعة بعد ساعة الجميع مكتوب عمر ولهذا عمر هو أنقص من عمره فكل ذلك مكتوب لصاحبه بالغ ما بلغ وقال بعضهم بل معناه وما يعمر من معمر أي ما يكتب من الأجل ولا ينقص من قبل ستين سنة وقال مجاهد وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب أي في بطن أمه يكتب له ذلك لم يخلق الخلق على عمر واحد بل لهذا تمام وقال عبدالرحمن في تفسيرها ألا ترى الناس يعيش الإنسان مائة سنة وآخر يموت حين يولد فهذا هذا وقال قتادة والذي ينقص من عمره فالذي يموت عنده وهكذا قال الضحاك بن مزاحم وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه ولا ينقص من عمره إلا في كتاب قال ما لفظت الأرحام من الأولاد من غير يبلغ العمر ولكن ينتهي إلى الكتاب الذي كتبت له فذلك قوله تعالى: ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير يقول كل ذلك في كتاب والحياة إلا وهو بالغ ما قدرت له من العمر وقد قضيت ذلك له فإنما ينتهي إلى الكتاب الذي قدرت لا يزداد عليه وليس أحد قدرت له أنه قصير العمر والحياة عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير يقول ليس أحد قضيت له بطول العمر تعالى لا ينقص من عمره وإنما عاد الضمير على الجنس قال ابن جرير وهذا كقولهم عندي ثوب ونصفه أي ونصف ثوب آخر وروي من طريق العوفي عن ابن من العمر الطويل يعلمه وهو عنده في الكتاب الأول وما ينقص من عمره الضمير عائد على الجنس لا على العين لأن الطويل العمر في الكتاب وفي علم الله شيء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال وقوله عز وجل وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب أي ما يعطي بعض النطف في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين وقد تقدم الكلام على قوله تعالى: الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل إليها وقوله عز وجل وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه أي هو عالم بذلك لا يخفى عليه من ذلك شيء بل ما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة خلق أبيكم آدم من تراب ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين ثم جعلكم أزواجا أي ذكرا وأنثى لطفًا منه ورحمة أن جعل لكم أزواجا من جنسكم لتسكنوا وقوله تبارك وتعالى والله خلقكم من تراب ثم من نطفة أي ابتداء

فيه كيف شئتم وتذهبون أين أردتم ولا يمتنع عليكم شيء منه بل بقدرته قد سخر لكم ما في السموات وما في الأرض الجميع من فضله ورحمته. 12 أي بأسفاركم بالتجارة من قطر إلى قطر. وإقليم إلى إقليم ولعلكم تشكرون أي تشكرون ربكم على تسخيركم هذا الخلق العظيم وهو البحر تتصرفون مقدمهما المسنم الذي يشبه جؤجؤ الطير وهو صدره وقال مجاهد تمخر الرياح السفن ولا يمخر الرياح من السفن إلا العظام وقوله جلا وعلا لتبتغوا من فضله كما قال عز وجل يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله جل وعلا وترى الفلك فيه مواخر أي تمخره وتشقه بحيزومها وهو وإنما تكون مألحة زعافا مرة ولهذا قال وهذا ملح أجاج أي مر ثم قال تعالى: ومن كل تأكلون لحما طريا يعني السمك وتستخرجون حلية تلبسونها الأقاليم والأمصار وال عمران والبراري والقفار وهي عذبة سائغ شرابها لمن أراد ذلك وهذا ملح أجاج أي مر وهو البحر الساكن الذي تسير فيه السفن الكبار منها على قدرته العظيمة في خلقه الأشياء المختلفة خلق البحرين العذب الزلال وهو هذه الأنهار السارحة بين الناس من كبار وصغار بحسب الحاجة إليها في يقول تعالى

العوفي والحسن وفتادة وغيرهم القطمير هو: اللقافة التي تكون على نواة التمرة أي لا يملكون من السموات والأرض شيئا ولا بمقدار هذا القطمير. 13 والأنداد التي هي على صورة من تزعمون من الملائكة المقربين ما يملكون من قطمير قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة وعطاء عطية يجري لأجل مسمى أي إلى يوم القيامة ذلكم الله ربكم أي الذي فعل هذا هو الرب العظيم الذي لا إله غيره والذين تدعون من دونه أي من الأصنام أي والنجوم السيارات والثوابت الناقبات بأضوائهن أجرام السموات الجميع يسيرون بمقدار معين. وعلى منهاج مقنن محرر تقديرا من عزيز عليم كل ويأخذ من طول هذا فيزيده في قصر هذا فيعتدلان ثم يأخذ من هذا في هذا فيطول هذا ويقصر هذا ثم يتقارضان صيفا وشتاء وسخر الشمس والقمر وهذا أيضا من قدرته التامة وسلطانه العظيم في تسخير الليل بظلامه والنهار بضياهه

ولا ينبئك مثل خبير أي ولا يخبرك بعواقب الأمور ومآلها وما تصير إليه مثل خبير بها قال قتادة يعني نفسه تبارك وتعالى أخبر بالواقع لا محالة. 14

## تفسير ابن كثير

كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين وقال تعالى: واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكنون عليهم ضدا وقوله تعالى بشرككم أي يتبرءون منكم كما قال تعالى: ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعايتهم غافلون وإذا حشر الناس من دون الله لا تسمع دعاءكم لأنها جماد لا أرواح فيها ولو سمعوا ما استجابوا لكم أي لا يقدرين على شيء مما تطلبون منها ويوم القيامة يكفرون ثم قال تعالى: إن تدعوهم لا يسمعون دعاءكم يعني الآلهة التي تدعونها

بالذات ولهذا قال عز وجل والله هو الغني الحميد أي هو المنفرد بالغنى وحده لا شريك له وهو الحميد في جميع ما يفعله ويقوله ويقدره وبشرعه. 15 كلها إليه وتذلها بين يديه فقال تعالى: يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله أي هم محتاجون إليه في جميع الحركات والسكنات وهو تعالى الغني عنهم يخبر تعالى بغنائه عما سواه وبافتقار المخلوقات

وقوله تعالى: إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد أي لو شاء لأذهبكم أيها الناس وأتى يقوم غيركم. 16

ولهذا قال تعالى: وما ذلك على الله بعزيز وما هذا عليه بصعب ولا ممتنع. 17

فإنما يعود نفعه على نفسه وإلى الله المصير أي وإليه المرجع والمآب وهو سريع الحساب وسيجزى كل عامل بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر. 18 وأقاموا الصلاة أي إنما يتعظ بما جنت به أو لو البصائر والنهي الخائفون من ربهم الفاعلون ما أمرهم به ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه أي ومن عمل صالحا أبي حاتم رحمه الله عن أبي عبد الله الظهراني عن حفص بن عمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة به ثم قال تبارك وتعالى: إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ويقول تعالى: يوم يفر المرء من أخيه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه رواه ابن طلبت ولكني لا أطيق أن أعطيك شيئا إنى أتخوف مثل الذي تتخوف يقول الله تعالى: وإن تدع مثقلة إلى حملها الآية ويقول تبارك وتعالى: لا يجزي والد فيقول يا فلانة أو يا هذه أي زوج كنت لك فتثني خيرا فيقول لها إنى أطلب إليك حسنة واحدة تهيبها لي لعلني أنجو بها مما ترين. قال فتقول ما أيسر ما ذرة من حسناتك أنجو بها مما ترى فيقول له ولده يا أبت ما أيسر ما طلبت ولكني أتخوف مثل ما تتخوف فلا أستطيع أن أعطيك شيئا ثم يتعلق بزوجه منزل دون منزله وهو في النار وإن الوالد ليتعلق بولده يوم القيامة فيقول يا بني أي والد كنت لك؟ فيثني خيرا فيقول له يا بني إنى قد احتجت إلى مثقال يوم القيامة فيقول له يا مؤمن إن لي عندك يدا قد عرفت كيف كنت لك في الدنيا وقد احتجت إليك اليوم فلا يزال المؤمن يشفع له عند ربه حتى يردّه إلى قوله تعالى: وإن تدع مثقلة إلى حملها الآية قال هو الجار يتعلق بجاره يوم القيامة فيقول يا رب سل هذا لم كان يغلق بابي دوني وإن الكافر ليتعلق بالمؤمن عليها من الأوزار أو بعضه لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى أي وإن كان قريبا إليها حتى ولو كان أباه أو ابنها كل مشغول بنفسه وحاله قال عكرمة في وقوله تعالى: ولا تزر وازرة وزر أخرى أي يوم القيامة وإن تدع مثقلة إلى حملها أي وإن تدع نفس مثقلة بأوزارها إلى أن تساعد على حمل ما

وصيرورتهم إلى قبورهم وهم كفار بالهداية والدعوة إليها كذلك هؤلاء المشركون الذين كتب عليهم الشقاوة لا حيلة لك فيهم ولا تستطيع هدايتهم. 19 وقوله تعالى: إن الله يسمع من يشاء أي يهديهم إلى سماع الحجة وقبولها والانقياد لها وما أنت بمسمع من في القبور أي كما لا ينتفع الأموات بعد موتهم يمشي لا خروج منها بل هو يتيه في غية وضلاله في الدنيا والآخرة حتى يفضي به ذلك إلى الحرور والسموم والحميم وظل من يحوم لا بارد ولا كريم. بصير سميع في نور يمشي على صراط مستقيم في الدنيا والآخرة حتى يستقر به الحال في الجنات ذات الظلال والعيون والكافر أعمى وأصم في ظلمات يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها وقال عز وجل مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا فالؤمن تستوي الأحياء ولا الأموات وهذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمنين وهم الأحياء وللكافرين وهم الأموات كقوله تعالى: أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا لا تستوي هذه الأشياء المتباينة المختلفة كالأعمى والبصير لا يستويان بل بينهما فرق وبون كثير وكما لا تستوي الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور كذلك لا يقول تعالى كما

ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم ورواه ابن أبي حاتم عن يونس عن ابن وهب عنه. 2 بخير فلا راد لفضله ولها نظائر كثيرة. وقال الإمام مالك رحمه الله عليه كان أبو هريرة رضي الله عنه إذا مطروا يقول مطرنا بنوء الفتح ثم يقرأ هذه الآية لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد وهذه الآية كقوله تبارك وتعالى وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك يقول سمع الله لمن حمده اللهم ربنا لك الحمد ملء السماء والأرض وملء ما شئت من شيء بعد اللهم أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد اللهم من طرق عن وراد به وثبت في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا رفع رأسه من الركوع لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد وسمعتة ينهى عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال. وعن وأد البنات وعقوق الأمهات ومنع وهات. وأخرجاه الله عليه وسلم يقول إذا انصرف من الصلاة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي قال إن معاوية كتب إلى المغيرة بن شعبه: اكتب لي بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاني المغيرة فكتبت إليه إنني سمعت رسول الله صلى وما لم يشأ لم يكن وأنه لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع قال الإمام أحمد حدثنا علي بن عاصم حدثنا مغيرة أخبرنا عامر عن وراد مولى المغيرة بن شعبه يخبر تعالى أنه ما شاء كان

وصيرورتهم إلى قبورهم وهم كفار بالهداية والدعوة إليها كذلك هؤلاء المشركون الذين كتب عليهم الشقاوة لا حيلة لك فيهم ولا تستطيع هدايتهم. 20

## تفسير ابن كثير

وقوله تعالى: إن الله يسمع من يشاء أي يهديهم إلى سماع الحجة وقبولها والانقياد لها وما أنت بمسمع من في القبور أي كما لا ينتفع الأموات بعد موتهم يمشي لا خروج منها بل هو يتيه في غية وضلاله في الدنيا والآخرة حتى يفضي به ذلك إلى الحرور والسموم والحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم. بصير سميع في نور يمشي على صراط مستقيم في الدنيا والآخرة حتى يستقر به الحال في الجنات ذات الظلال والعيون والكافر أعمى وأصم في ظلمات يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها وقال عز وجل مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا فالْمُؤْمِنُ تستوي الأحياء ولا الأموات وهذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمنين وهم الأحياء وللكافرين وهم الأموات كقوله تعالى: أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا لا تستوي هذه الأشياء المتباينة المختلفة كالأعمى والبصير لا يستويان بل بينهما فرق وبون كثير وكما لا تستوي الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور كذلك لا يقول تعالى كما

وصيرورتهم إلى قبورهم وهم كفار بالهداية والدعوة إليها كذلك هؤلاء المشركون الذين كتب عليهم الشقاوة لا حيلة لك فيهم ولا تستطيع هدايتهم. 21 وقوله تعالى: إن الله يسمع من يشاء أي يهديهم إلى سماع الحجة وقبولها والانقياد لها وما أنت بمسمع من في القبور أي كما لا ينتفع الأموات بعد موتهم يمشي لا خروج منها بل هو يتيه في غية وضلاله في الدنيا والآخرة حتى يفضي به ذلك إلى الحرور والسموم والحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم. بصير سميع في نور يمشي على صراط مستقيم في الدنيا والآخرة حتى يستقر به الحال في الجنات ذات الظلال والعيون والكافر أعمى وأصم في ظلمات يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها وقال عز وجل مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا فالْمُؤْمِنُ تستوي الأحياء ولا الأموات وهذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمنين وهم الأحياء وللكافرين وهم الأموات كقوله تعالى: أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا لا تستوي هذه الأشياء المتباينة المختلفة كالأعمى والبصير لا يستويان بل بينهما فرق وبون كثير وكما لا تستوي الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور كذلك لا يقول تعالى كما

وصيرورتهم إلى قبورهم وهم كفار بالهداية والدعوة إليها كذلك هؤلاء المشركون الذين كتب عليهم الشقاوة لا حيلة لك فيهم ولا تستطيع هدايتهم. 22 وقوله تعالى: إن الله يسمع من يشاء أي يهديهم إلى سماع الحجة وقبولها والانقياد لها وما أنت بمسمع من في القبور أي كما لا ينتفع الأموات بعد موتهم يمشي لا خروج منها بل هو يتيه في غية وضلاله في الدنيا والآخرة حتى يفضي به ذلك إلى الحرور والسموم والحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم. بصير سميع في نور يمشي على صراط مستقيم في الدنيا والآخرة حتى يستقر به الحال في الجنات ذات الظلال والعيون والكافر أعمى وأصم في ظلمات يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها وقال عز وجل مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا فالْمُؤْمِنُ تستوي الأحياء ولا الأموات وهذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمنين وهم الأحياء وللكافرين وهم الأموات كقوله تعالى: أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا لا تستوي هذه الأشياء المتباينة المختلفة كالأعمى والبصير لا يستويان بل بينهما فرق وبون كثير وكما لا تستوي الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور كذلك لا يقول تعالى كما

إن أنت إلا نذير أي إنما عليك البلاغ والإنذار والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء. 23

ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة الآية والآيات في هذا كثيرة. 24 نذير أي وما من أمة خلت من بني آدم إلا وقد بعث الله تعالى إليهم النذر وأزاح عنهم العلل كما قال تعالى: إنما أنت منذر ولكل قوم هاد وكما قال تعالى: إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا أي بشيرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين وإن من أمة إلا خلا فيها

الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وهي المعجزات الباهرات والأدلة القاطعات وبالزبر وهي الكتب وبالكتاب المنير أي الواضح البين. 25 وقوله تعالى وإن يكذبوك فقد كذب

كله كذب أولئك رسلهم فيما جاءهم به فأخذتم أي بالعقاب والנקال فكيف كان نكير أي فكيف رأيت إنكاري عليهم عظيما شديدا بليغا والله أعلم. 26 ثم أخذت الذين كفروا أي ومع هذا

أسود غريب ولهذا قال بعض المفسرين في هذه الآية هذا من المقدم والمؤخر في قوله تعالى: وغرابيب سود أي سود غرابيب وفيما قاله نظر. 27 سود قال عكرمة الغرابيب الجبال الطوال السود وكذا قال أبو مالك وعطاء الخراساني وقتادة وقال ابن جرير والعرب إذا وصفوا الأسود بكثرة السواد قالوا طرائق وهي الجدد جمع جدة مختلفة الألوان أيضا. قال ابن عباس رضي الله عنهما الجدد الطرائق وكذا قال أبو مالك والحسن وقتادة والسدي ومنها غرابيب وقوله تبارك وتعالى: ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها أي وخلق الجبال كذلك مختلفة الألوان كما هو المشاهد أيضا من بيض وحمر وفي بعضها قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون أصفر وأحمر وأخضر وأبيض إلى غير ذلك من ألوان الثمار كما هو مشاهد من تنوع ألوانها وطعومها وروائحها كما قال تعالى: في الآية الأخرى وفي الأرض يقول تعالى منها على كمال قدرته في خلقه الأشياء المتنوعة المختلفة من الشيء الواحد وهو الماء الذي ينزله من السماء يخرج به ثمرات مختلفا ألوانها من ليس بعالم بأمر الله الذي يخشى الله ولا يعلم الحدود والفرئض والعالم بأمر الله ليس بعالم بالله الذي يخشى الله ولا يعلم الحدود والفرئض والعالم بالله بأمر الله وعالم بأمر الله وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله فالعالم بالله وبأمر الله الذي يخشى الله تعالى ويعلم الحدود والفرئض والعالم بالله

## تفسير ابن كثير

ويكون تأويل قوله: نور يريد به فهم العلم ومعرفة معانيه. وقال سفيان الثوري عن أبي حيان التيمي عن رجل قال: كان يقال العلماء ثلاثة عالم بالله عالم العلم الذي فرض الله عز وجل أن يتبع فإنما هو الكتاب والسنة وما جاء عن الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من أئمة المسلمين فهذا لا يدرك إلا بالرواية وهب عن مالك قال: إن العلم ليس بكثرة الرواية وإنما العلم نور يجعله الله في القلب. قال أحمد بن صالح المصري معناه أن الخشية لا تدرك بكثرة الرواية وإنما إن الله عزيز غفور وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: ليس العلم عن كثرة الحديث ولكن العلم عن كثرة الخشية. وقال أحمد بن صالح المصري عن ابن وقال الحسن البصري العالم من خشى الرحمن بالغيب ورغب فيما رغب الله فيه وزهد فيما سخط الله فيه ثم تلا الحسن إنما يخشى الله من عباده العلماء وأحل حلاله وحرم حرامه وحفظ وصيته وأيقن أنه ملاقيه ومحاسب بعمله وقال سعيد بن جبير الخشبية هي التي تحول بينك وبين معصية الله عز وجل قال الذين يعلمون أن الله على كل شيء قدير. وقال ابن لهيعة عن ابن أبي عمرة عن عكرمة عن ابن عباس قال: العالم بالرحمن من عباده من لم يشرك شيئا كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل كانت الخشية له أعظم وأكثر. قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى: إنما يخشى الله من عباده العلماء العلماء أي إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى كلما قال صلى الله عليه وسلم نعم صبغا لا ينفض أحمر وأصفر وأبيض وروي مرسلا وموقوفا والله أعلم. ولهذا قال تعالى: بعد هذا إنما يخشى الله من عباده حدثنا زياد بن عبد الله عن عطاء بن السائب عن سعد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أيصبغ ربك من هذا اللون وهذا اللون فتبارك الله أحسن الخالقين. وقد قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا الفضل بن سهل حدثنا عبد الله بن عمر بن أبان بن صالح ذلك لآيات للعالمين وكذلك الدواب والأنعام مختلفة الألوان حتى في الجنس الواحد بل النوع الواحد منهم مختلف الألوان بل الحيوان الواحد يكون أبلق فيه في غاية السواد وصقالبة وروم في غاية البياض والعرب بين ذلك والهنود دون ذلك ولهذا قال تعالى: في الآيات الأخرى واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في من الناس والدواب وهو كل ما دب على القوائم والأنعام من باب عطف الخاص على العام كذلك هي مختلفة أيضا فالناس منهم بربر وحبوش وطماطم وقوله تعالى: ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك أي كذلك الحيوانات

عند الله لا بد من حصوله كما قدمنا في أول التفسير عند فضائل القرآن أنه يقول لصاحبه إن كل تاجر من وراء تجارته وإنك اليوم من وراء كل تجارة. 29 به ويعملون بما فيه من إقام الصلاة والإنفاق مما رزقهم الله تعالى في الأوقات المشروعة ليلا ونهارا سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور أي يرجون ثوابا يخبر تعالى عن عباده المؤمنين الذين يتلون كتابه ويؤمنون

ولهذا قال تعالى: لا إله إلا هو فأني تؤفكون أي فكيف تؤفكون بعد هذا البيان ووضح هذا البرهان وأنتم بعد هذا تعبدون الأنداد والأوثان والله أعلم. 3 إلى الاستدلال على توحيده في أفراد العبادة له كما أنه المستقل بالخلق والرزق فكذلك فليفرد بالعبادة ولا يشرك به غيره من الأصنام والأنداد والأوثان ينبه تعالى عباده ويرشدهم

تعالى إذا رضي عن العبد أثنى عليه بسبعة أصناف من الخير لم يعملهم وإذا سخط على العبد أثنى عليه بسبعة أضعاف من الشر لم يعملهم غريب جدا. 30 غيلان قال: إنه سمع دراجا أبا السمع يحدث به أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: إنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله للقليل من أعمالهم. قال قتادة كان مطرف رحمه الله إذا قرأ هذه الآية يقول هذه آية القراءة قال الإمام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة حدثنا سالم بن ولهذا قال تعالى: ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله أي ليوفيهم ثواب ما عملوه ويضاعفه لهم بزيادات لم تخطر لهم إنه غفور أي لذنوبهم شكور

وفضل النبيين بعضهم على بعض ورفع بعضهم درجات وجعل منزلة محمد صلى الله عليه وسلم فوق جميعهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. 31 منزل من رب العالمين إنه بعباده لخبير بصير أي هو خبير بهم بصير بمن يستحق ما يفضل به على من سواه ولهذا فضل الأنبياء والرسل على جميع البشر والذي أوحينا إليك يا محمد من الكتاب وهو القرآن هو الحق مصدقا لما بين يديه أي من الكتب المتقدمة بصدقها كما شهدت هي له بالتنويه وأنه

يقول تعالى

الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى يوم القيامة للعلماء إني لم أضع علمي وحكمتي فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان منكم ولا أبالي. 32 الرواة فيه في شرح كتاب العلم من صحيح البخاري ولله الحمد والمنة وقد تقدم في أول سورة طه حديث ثعلبة بن الحكم رضي الله عنه عن رسول الله صلى وأخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث كثير بن قيس ومنهم من يقول قيس بن كثير عن أبي الدرداء رضي الله عنه وقد ذكرنا طريقه واختلاف على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب إن العلماء هم ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر الله تعالى به طريقا إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم وإنه ليستغفر للعالم من في السموات والأرض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم أما قدمت إلا في طلب هذا الحديث؟ قال نعم قال رضي الله عنه فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يطلب فيها علما سلك فقال ما أقدمك أي أخي؟ قال حديث بلغني أنك تحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أما قدمت لتجارة؟ قال لا قال أما قدمت لحاجة قال لا قال رحمه الله حدثنا محمد بن يزيد حدثنا عاصم بن رجاء بن حيوة عن قيس بن كثير قال قدم رجل من أهل المدينة إلى أبي الدرداء رضي الله عنه وهو بدمشق وإذا تقرر هذا فإن الآية عامة في جميع الأقسام الثلاثة في هذه الأمة فالعلماء أغبط الناس بهذه النعمة وأولى الناس بهذه الرحمة فإنهم كما قال الإمام أحمد الله عنهما عن قول الله تعالى فمنهم ظالم لنفسه فقال هو الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا. فهذا ما تيسر من إيراد الأحاديث والآثار المتعلقة بهذا المقام.

## تفسير ابن كثير

الله. ورواه الثوري عن إسماعيل بن سميع عن رجل عن محمد بن الحنفية رضي الله عنه بنحوه. وقال أبو الجارود: سألت محمد بن علي يعني الباقر رضي حدثنا عمرو عن محمد بن الحنفية رضي الله عنه قال إنها أمة مرحومة الظالم مغفور له والمقتصد في الجنان عند الله والسابق بالخيرات في الدرجات عند هذه الآية ثم أوردنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الآية قال أبو إسحاق أما ما سمعت من ذي ستين سنة فكلهم ناج ثم قال حدثنا ابن حميد حدثنا الحكم مناكيهم ورب كعب ثم أعطوا الفضل بأعمالهم ثم قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا الحكم بن بشير حدثنا عمرو بن قيس عن أبي إسحاق السبيعي في عن أبيه قال إن ابن عباس رضي الله عنهما سأل كعبا عن قوله تعالى: ثم أوردنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا إلى قوله بإذن الله قال تماسست قال فهؤلاء أهل النار رواه ابن جرير من طرق عن عوف به. ثم قال حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علية أخبرنا حميد عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها إلى قوله عز وجل والذين كفروا لهم نار جهنم قال: إن الظالم لنفسه من هذه الأمة والمقتصد والسابق بالخيرات كلهم في الجنة ألم تر أن الله تعالى قال ثم أوردنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ومقتصدنا أهل حضرننا وسابقنا أهل الجهاد رواه ابن أبي حاتم. وقال عوف الأعرابي حدثنا عبد الله بن الحارث بن نوفل قال حدثنا كعب الأحبار رحمة الله عليه الطعام وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه في قوله تبارك وتعالى فمنهم ظالم لنفسه قال: هي لأهل بدونا رضي الله عنها معنا وهذا منها رضي الله عنها من باب الهضم والتواضع وإلا فهي من أكبر السابقين بالخيرات لأن فضلها على النساء كفضل الثريد على سائر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحياة والرزق وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق به وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلكم قال فجعلت نفسها اصفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه الآية فقالت لي يا بني هؤلاء في الجنة أما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد أبو داود الطيالسي عن الصلت بن دينار بن الأشعث عن عقبة بن صهبان الهنائي قال سألت عائشة رضي الله عنها عن قول الله تعالى ثم أوردنا الكتاب الذين فيقول الرب عز وجل أدخلوا هؤلاء في سعة رحمتي. وتلا عبد الله رضي الله عنه هذه الآية ثم أوردنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الآية أثر آخر قال وثلت يجيئون بذنوب عظام حتى يقول الله عز وجل ما هؤلاء؟ وهو أعلم تبارك وتعالى فتقول الملائكة هؤلاء جاءوا بذنوب عظام إلا أنهم لم يشركوا بك شيئا شقيق أبي وائل عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إن هذه الأمة ثلاث أثلاث يوم القيامة ثلث يدخلون الجنة بغير حساب وثلت يحاسبون حسابا يسيرا رضي الله عنه قال ابن جرير حدثني ابن حميد حدثنا الحكم بن بشير عن عمرو بن قيس عن عبد الله بن عيسى رضي الله عنه عن يزيد بن الحارث عن الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فجعلهم ثلاثة أفواج وهم أصناف كلهم فمنهم ظالم لنفسه فهذا الذي يمحص ويكشف غريب جدا أثر عن ابن مسعود خطاهاهم على أهل النار وهي التي قال الله تعالى وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وتصديقها في التي فيها ذكر الملائكة قال الله تعالى: ثم أوردنا ثم تأتي الملائكة فيقولون وجدناهم يقولون لا إله إلا الله وحده يقول الله تعالى صدقوا لا إله إلا أنا أدخلوهم الجنة بقولهم لا إله إلا الله وحده واحملوا عليه وسلم أنه قال أمتي ثلاثة أثلاث: ثلث يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب وثلت يحاسبون حسابا يسيرا ثم يدخلون الجنة وثلت يمحصون ويكشفون الأمة الحديث الرابع قال ابن أبي حاتم محمد بن عزيز حدثنا سلامة عن عقيل عن ابن شهاب عن عوف بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بن زيد رضي الله عنهما فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله الآية قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم من هذه محمد بن العباس حدثنا ابن مسعود أخبرنا سهل بن عبدربه الرازي حدثنا عمرو بن أبي قيس عن ابن أبي ليلى عن أخيه عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أسامة المكان من الغم والحزن وذلك قوله تعالى: وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن. الحديث الثالث قال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا عبد الله بن ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فأما السابق بالخيرات فدخلها بغير حساب وأما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا وأما الظالم لنفسه فيصيبه في ذلك حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أحدث به منذ سمعته منه ذكر هذه الآية ثم أوردنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه رضي الله عنه فقال اللهم أنس وحشتي وارحم غربتي ويسر لي جليسا صالحا فقال أبو الدرداء رضي الله عنه لئن كنت صادقا لأنا أسعد به منك سأحدثك يصيبه الهم والحزن ثم يدخل الجنة ورواه ابن جرير من حديث سفيان الثوري عن الأعمش قال ذكر أبو ثابت أنه دخل المسجد فجلس إلى جنب أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ثم أوردنا الكتاب الذي اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه قال فأما الظالم لنفسه فيحبس حتى أخرى قال ابن أبي حاتم حدثنا أسيد بن عاصم ثنا الحسين بن حفص حدثنا سفيان عن الأعمش عن رجل عن أبي ثابت عن أبي الدرداء رضي الله عنه فهم الذين يقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب طريق الذين اقتصدوا فأولئك الذين يحاسبون حسابا يسيرا وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك الذين يحبسون في طول المحشر ثم هم الذين تلافاهم الله برحمته الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله فأما الذين سبقوا فأولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب وأما بن عقبة عن علي بن عبد الله الأزدي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى ثم أوردنا الكتاب الجنة وإن كان بينهم فرق في المنازل في الجنة الحديث الثاني قال الإمام أحمد حدثنا إسحاق بن عيسى حدثنا أنس بن عياض الليثي أبو حمزة عن موسى وفي إسناده من لم يسم وقد رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث شعبة به نحوه ومعنى قوله بمنزلة واحدة أي في أنهم من هذه الأمة وأنهم من أهل فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله قال: هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة هذا حديث غريب من هذا الوجه عن رجل من كنانة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في هذه الآية ثم أوردنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا شاء الله تعالى نورد منها ما تيسر. الحديث الأول قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الوليد بن العيزار أنه سمع رجلا من ثقيف يحدث

## تفسير ابن كثير

من هذه الأمة وهذا اختيار ابن جرير كما هو ظاهر الآية وكما جاءت به الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طرق يشد بعضها بعضا ونحن إن هو المناق ثم قد قال ابن عباس والحسن وقتادة وهذه الأقسام الثلاثة كالأقسام الثلاثة المذكورة في أول سورة الواقعة وآخرها الصحيح أن الظالم لنفسه رواه ابن جرير وقال ابن أبي نجيع عن مجاهد في قوله تعالى: فمنهم ظالم لنفسه قال هم أصحاب المشأمة وقال مالك عن زيد بن أسلم والحسن. وقتادة بن مرزوق حدثنا ابن عيينة عن عمرو عن ابن عباس رضي الله عنهما فمنهم ظالم لنفسه قال هو الكافر وكذا روى عنه عكرمة وبه قال عكرمة أيضا فيما فيه من عوج وتقصير. وقال آخرون بل الظالم لنفسه ليس من هذه الأمة ولا من المصطفين الوارثين للكتاب. قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن هاشم الأعراف يدخلون الجنة بشفاعه محمد صلى الله عليه وسلم وكذا روى عن غير واحد من السلف أن الظالم لنفسه من هذه الأمة من المصطفين على ما لأهل الكبائر من أمتي قال ابن عباس رضي الله عنهما السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله والظالم لنفسه وأصحاب بن السرح حدثنا موسى بن عبد الرحمن الصنعاني حدثنا ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ذات يوم شفاعتي يسيرا وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب وقال ابن القاسم الطبراني حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح وعبد الرحمن بن معاوية العتبي قال حدثنا أبو الطاهر الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا قال هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم ورثهم الله تعالى كل كتاب أنزله فظالمهم يغفر له ومقتصدهم يحاسب حسابا الله وهو الفاعل للواجبات والمستحبات التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات. قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى: ثم أورتنا لبعض المحرمات ومنهم مقتصد هو المؤدي للواجبات التارك للمحرمات وقد يترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكروهات ومنهم سابق بالخيرات بإذن الكتب الذين اصطفينا من عبادنا وهم هذه الأمة ثم قسمهم إلى ثلاثة أنواع فقال تعالى: فمنهم ظالم لنفسه وهو المفرط في فعل بعض الواجبات المرتكب يقول تعالى: ثم جعلنا القائمين بالكتاب العظيم المصدق لما بين يديه من

أهل الجنة فقال مسورون بالذهب والفضة مكللة بالدر وعليهم أكاليل من در وياقوت متواصلة وعليهم تاج كتاج الملوك شباب جرد مرد مكحولون. 33 لهيعة عن عقيل بن خالد عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال إن أبا أمامة رضي الله عنه حدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثهم وذكر حلي في الدنيا لم يلبسه في الآخرة وقال هي لهم في الدنيا ولكم في الآخرة. وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو بن سواد السرحي أخبرنا ابن وهب عن أبي حريز ولهذا كان محظورا عليهم في الدنيا فأباحه الله تعالى لهم في الآخرة وثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لبس الحرير كما ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء ولباسهم فيها رب العالمين يوم القيامة مأواهم جنات عدن أي جنات الإقامة يدخلونها يوم معادهم وقدمهم على الله عز وجل يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا يخبر تعالى أن هؤلاء المصطفين من عباده الذين أورتوا الكتاب المنزل من

لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره: غفر لهم الكثير من السيئات وشكر لهم اليسير من الحسنات. 34 وسلم ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في الموت ولا في القبور ولا في النشور وكأنني أنظر إليهم عند الصيحة ينفضون رؤوسهم من التراب يقولون الحمد موسى بن يحيى المروزي حدثنا سليمان بن عبد الله بن وهب الكوفي عن عبد العزيز بن حكيم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن رواه ابن أبي حاتم من حديثه. وقال الطبراني حدثنا جعفر بن محمد الفريابي حدثنا ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم وكأنني بأهل لا إله إلا الله أذهب عنا الحزن وهو الخوف من المحذور أزاحه عنا وأراحنا مما كنا نتخوفه ونحذره من هموم الدنيا والآخرة وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن وقالوا الحمد لله الذي

في الدنيا فسقط عنهم التكليف بدخولها وصاروا في راحة دائمة مستمرة قال الله تبارك وتعالى: كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية. 35 كل منها يستعمل في التعب وكان المراد بنفي هذا وهذا عنهم أنهم لا تعب على أبدانهم ولا أرواحهم والله أعلم فمن ذلك أنهم كانوا يدينون أنفسهم في العبادة الله؟ قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله تعالى برحمته منه وفضل لا يمسن فيها نصب ولا يمسن فيها لغوب أي لا يمسن فيها عناء ولا إعياء والنصب واللغوب ورحمته لم تكن أعمانا تساوي ذلك كما ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لن يدخل أحدا منكم عمله الجنة قالوا ولا أنت يا رسول الذي أحلنا دار المقامة من فضله يقولون الذي أعطانا هذه المنزلة وهذا المقام من فضله ومنه

وعلا كلما خبت زدها سعيها فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا ثم قال تعالى: كذلك نجزي كل كفور أي هذا جزاء كل من كفر بربه وكذب الحق. 36 لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كما قال عز وجل إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون وقال جل وقال عز وجل ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون فهم في حالهم ذلك يرون موتهم راحة لهم ولكن لا سبيل إلى ذلك قال الله تعالى: لا يموت فيها ولا يحيى وثبت في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون لما ذكر تبارك وتعالى حال السعداء شرع في بيان مآل الأشقياء فقال والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا كما قال تعالى:

من نصير أي فذوقوا عذاب النار جزاء على مخالفتكم للأنبياء في مدة أعماركم فما لكم اليوم ناصر ينقذكم مما أنتم فيه من العذاب والنكال والأغلال. 37 فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير وقوله تعالى: فذوقوا فما للظالمين

## تفسير ابن كثير

للحق كارهون أى لقد بينا لكم الحق على ألسنة الرسل فأبأيتم وخالفتم وقال تعالى: وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقال تبارك وتعالى كلما ألقى فيها احتج عليهم بالعمر والرسول وهذا اختيار ابن جرير وهو الأظهر لقوله تعالى: ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم بن زيد بن أسلم يعني به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ ابن زيد هذا نذير من النذر الأولى وهذا هو الصحيح عن قتادة فيما رواه شيبان عنه أنه قال: روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة وأبى جعفر الباقر رضي الله عنه وفتادة وسفيان بن عيينة أنهم قالوا يعني الشيب وقال السدي وعبد الرحمن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاش ثلاثا وستين سنة وقيل ستين وقيل خمسا وستين والمشهور الأول والله أعلم وقوله تعالى: وجاءكم النذير أبناء السبعين ورحم الله أبناء الثمانين ثم قال البزار لا يروى بهذا اللفظ إلا بهذا الإسناد وعثمان بن مطر من أهل البصرة ليس بقوي وقد ثبت في الصحيح الله صلى الله عليه وسلم ما بين الخمسين إلى الستين قالوا يا رسول الله فأبناء السبعين قال صلى الله عليه وسلم قل من يبلغها من أمتي رحم الله بن هانى حدثنا إبراهيم بن مهدي عن عثمان بن مطر عن أبي مالك عن ربيعي عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال يا رسول الله أنبئنا بأعمار أمتك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقل أمتي أبناء سبعين إسناده ضعيف حديث آخر في معنى ذلك قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حديثا إبراهيم بن مخزوم عن المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم معترك المنيا ما بين الستين إلى السبعين وبه قال: قال وجه عنه هذا نصه بحروفه في الموضعين والله أعلم. وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو موسى الأنصاري حدثنا ابن أبي فديك حدثني إبراهيم بن الفضل مولى عن إبراهيم بن سعيد الجوهري عن محمد بن ربيعة به ثم قال هذا حديث حسن غريب من حديث أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه وقد روى من غير الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك وقد رواه الترمذي في كتاب الزهد أيضا الدنيا من وجه آخر وطريق أخرى عن أبي هريرة حيث قال حدثنا سليمان بن عمرو عن محمد بن ربيعة عن كامل أبي العلاء عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك وهكذا رواه الترمذي وابن ماجه جميعا الأمة كما ورد بذلك الحديث قال الحسن بن عرفة رحمه الله حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بلغ الفتى ستين عاما فقد ذهب المسرة والفتاء ولما كان هذا هو العمر الذي يعذر الله تعالى إلى عباده به ويزيح به عنهم العلل كان هو الغالب على أعمار هذه بعضهم أن العمر الطبيعي عند الأطباء مائة وعشرون سنة فالإنسان لا يزال في ازدياد إلى كمال الستين ثم يشرع بعد هذا في النقص والهرم كما قال الشعر: إذا عبد الله البخاري شيخ هذه الصناعة لكفت. وقول ابن جرير إن في رجاله بعض من يجب التثبت في أمره لا يلتفت إليه مع تصحيح البخاري والله أعلم. وذكر وسلم لقد أعذر الله عز وجل في العمر إلى صاحب الستين سنة والسبعين فقد صح هذا الحديث من هذه الطرق فلو لم يكن إلا الطريق التي ارتضاها أبو بن مازن الكناي حدثني معمر بن راشد قال: سمعت محمد بن عبد الرحمن الغفاري يقول: سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك وهكذا رواه الترمذي وابن ماجه جميعا عليه ستون سنة فقد أعذر الله عز وجل إليه في العمر وكذا رواه الإمام أحمد عن أبي عبد الرحمن هو المقرئ به ورواه أحمد أيضا عن خلف عن أبي معشر عن المقرئ حدثنا سعيد بن أبي أيوب حدثنا محمد بن عجلان عن سعيد المقرئ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أتت ما يتذكر فيه من تذكر. وأما متابعة ابن عجلان فقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو السفر يحيى بن محمد بن عبد الملك بن قرعة بسامرا حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: العمر الذي أعذر الله تعالى فيه إلى ابن آدم ستون سنة يعني أو لم نعلمكم والتسائي في الرقاق جميعا عن قتيبة عن يعقوب بن عبد الرحمن به ورواه البزار قال: حدثنا هشام بن يونس حدثنا عبدالعزيز بن أبي حازم عن أبيه عن سعيد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمره الله تعالى ستين سنة فقد أعذر إليه في العمر وقد رواه الإمام أحمد فقال ابن جرير حدثنا أبو صالح الفزاري حدثنا محمد بن سوار أخبرنا يعقوب بن عبد الرحمن بن عبد القادر أي الإسكندري حدثنا أبو حازم عن سعيد المقرئ بلغ ستين سنة ثم قال البخاري تابعه أبو حازم وابن عجلان عن سعيد المقرئ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فأما أبو حازم بن محمد الغفاري عن سعيد المقرئ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعذر الله عز وجل إلى امرئ آخر عمره حتى أعذر الله تعالى إليه لقد أعذر الله تعالى إليه وهكذا رواه الإمام البخاري في كتاب الرقاق من صحيحه حدثنا عبد السلام بن مطهر عن عمر بن علي عن معن عن سعيد المقرئ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لقد أعذر الله تعالى إلى عبد أحياء حتى بلغ ستين أو سبعين سنة لقد أبي فديك به وهذا الحديث فيه نظر لحال إبراهيم بن الفضل والله أعلم حديث آخر قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن رجل من بني غفار لم نعلمكم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير وكذا رواه ابن جرير عن علي بن شعيب عن إسماعيل بن أبي فديك به وكذا رواه الطبراني من طريق ابن أبي رباح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا كان يوم القيامة قيل أين أبناء الستين وهو العمر الذي قال الله تعالى فيه أو وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا دحيم حدثنا ابن أبي فديك حدثني إبراهيم بن الفضل المخزومي عن ابن أبي حسين المكي أنه حدث عن عطاء هو ابن في أمره وقد روى أصبغ بن نباتة عن علي رضي الله عنه أنه قال: العمر الذي غيرهم الله به في قوله أو لم نعلمكم ما يتذكر فيه من تذكر ستون سنة. في نفس الأمر أيضا لما ثبت في ذلك من الحديث كما سنورده لا كما زعمه ابن جرير من أن الحديث لم يصح في ذلك لأن في إسناده من يجب التثبت الذي أعذر الله فيه لابن آدم في قوله أو لم نعلمكم ما يتذكر فيه من تذكر ستون سنة فهذه الرواية أصح عن ابن عباس رضي الله عنهما وهي الصحيحة

## تفسير ابن كثير

اختيار ابن جرير ثم رواه من طريق الثوري وعبدالله بن إدريس كلاهما عن عبدالله بن عثمان بن خثيم عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال العمر الذي أعذر الله تعالى لابن آدم أو لم نعلمكم ما يتذكر فيه من تذكر أربعين سنة. هكذا رواه من هذا الوجه عن ابن عباس رضي الله عنهما به وهذا القول هو قال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا بشر بن المفضل حدثنا عبدالله بن عثمان بن خثيم عن مجاهد قال سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول: العمر عن مجالد عن الشعبي عن مسروق أنه كان يقول: إذا بلغ أحدكم أربعين سنة فليأخذ حذره من الله عز وجل وهذه رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما فيما قال عشرين سنة. وقال هشيم عن منصور عن زاذان عن الحسن في قوله تعالى: أو لم نعلمكم ما يتذكر فيه من تذكر قال أربعين سنة وقال هشيم أيضا عشرة سنة وكذا قال أبو غالب الشيباني. وقال عبدالله بن المبارك عن معمر عن رجل عن وهب بن منبه في قوله تعالى: أو لم نعلمكم ما يتذكر فيه من تذكر سنة. وقال قتادة: اعلّموا أن طول العمر حجة فتعوذ بالله أن نغير بطول العمر قد نزلت هذه الآية أو لم نعلمكم ما يتذكر فيه من تذكر وإن فيهم لابن ثمانى به في مدة عمركم؟ وقد اختلف المفسرون في مقدار العمر المراد ههنا فروي عن علي بن الحسين زين العابدين رضي الله عنهما أنه قال مقدار سبع عشر إلى ما نهيتم عنه ولذا قال ههنا أو لم نعلمكم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير أي أو ما عشتم في الدنيا أعمارا لو كنتم ممن ينتفع بالحق لانتفعتم عنهم في قولهم فهل إلى مرد من سبيل ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرِك به تؤمنوا أي لا يجيبكم إلى ذلك لأنكم كنتم كذلك ولو رددتم لعدتم غير علمهم الأول وقد علم الرب جل جلاله أنه لو ردهم إلى الدار الدنيا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون فهذا لا يجيبهم إلى سؤالهم كما قال تعالى مخبرا يصطرخون فيها أي ينادون فيها يجأرون إلى الله عز وجل بأصواتهم ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل أي يسألون الرجعة إلى الدنيا ليعملوا وقوله جلت عظمتهم وهم

يخبر تعالى بعلمه غيب السموات والأرض وأنه يعلم ما تكنه السرائر وما تنطوي عليه الضمائر وسيجازي كل عامل بعمله. 38  
يوم القيامة بخلاف المؤمنين فإنهم كلما طال عمر أحدهم وحسن عمله ارتفعت درجته ومنزلته في الجنة وزاد أجره وأحبه خالقه وبارئته رب العالمين. 39  
نفسه دون غيره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتا أي كلما استمروا على كفرهم أبغضهم الله تعالى وكلما استمروا فيه خسروا أنفسهم وأهلهم في الأرض أي يخلف قوم آخرين قبلهم وجيل لجيل قبلهم. كما قال تعالى: ويجعلكم خلفاء الأرض فمن كفر فعليه كفره أي فإنما يعود وبال ذلك على ثم قال عز وجل هو الذي جعلكم خلائف

الرسل أسوة فإنهم كذلك جاءوا قومهم بالبينات وأمروهم بالتوحيد فكذبوهم وخالفوهم وإلى الله ترجع الأمور أي وسنجزئهم على ذلك أوفر الجزاء. 4  
يقول تبارك وتعالى وإن يكذبوك يا محمد هؤلاء المشركون بالله ويخالفوك فيما جئتهم به من التوحيد فلك فيمن سلف قبلك من بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضا إلا غرورا أي بل إنما اتبعوا في ذلك أهواءهم وآراءهم وأمانيتهم التي تمنوها لأنفسهم وهي غرور وباطل وزور. 40  
لهم شيء من ذلك ما يملكون من قطمير وقوله أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه أي أم أنزلنا عليهم كتابا بما يقولونه من الشرك والكفر؟ ليس الأمر كذلك أن يقول للمشركين أرايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أي من الأصنام والأنداد أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات أي ليس يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم

بهذه الآية وبحديث إن بالمغرب بابا للتوبة لا يزال مفتوحا حتى تطلع الشمس منه قلت وهذا الحديث في الصحيح والله سبحانه وتعالى أعلم. 41  
محمد بن عيسى بن الطباع عن وكيع عن الأعمش به ثم قال وأخبرنا زونان يعني عبد الملك بن الحسين عن ابن وهب عن مالك أنه قال السماء لا تدور واحتج ذهب جندب البجلي إلى كعب بالشام فذكر نحوه. وقد رأيت في مصنف للفقهاء يحيى بن إبراهيم بن مزين الطبطبائي سماه سير الفقهاء أورد هذا الأثر عن من أحد من بعده وهذا إسناد صحيح إلى كعب وإلى ابن مسعود رضي الله عنه ثم رواه ابن جرير عن ابن حميد عن جرير عن مغيرة عن إبراهيم قال قال لوددت أنك افتديت من رحلتك إليه براحتك ورحلتك كذب كعب إن الله تعالى يقول إن الله يممسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما قال من الشام قال من لقيت؟ قال لقيت كعبا قال ما حدثك؟ قال حدثني أن السموات تدور على منكب ملك قال أفصدمته أو كذبت؟ قال ما صدقته ولا كذبت جرير حدثنا ابن بشار حدثنا عبدالرحمن حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبي وائل قال: جاء رجل إلى عبدالله هو ابن مسعود رضي الله عنه فقال من أين جئت؟ إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل حجاب النور أو النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه وقد قال أبو جعفر بن عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه ويرفع وتعالى النوم وقد أخبر الله عز وجل في كتابه العزيز بأنه الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض وثبت في الصحيحين السماء والأرض والظاهر أن هذا الحديث ليس بمرفوع بل من الإسرائيلية المنكرة فإن موسى عليه الصلاة والسلام أجل من أن يجوز على الله سبحانه ثم يستيقظ فيجلس إحداها عن الأخرى حتى نام نومه فاصطفت يده فانكسرت القارورتان قال ضرب الله له مثلا إن الله عز وجل لو كان ينام لم تستمسك هل ينام الله عز وجل فأرسل الله تعالى إليه ملكا فأرقه ثلاثا وأعطاه قارورتين في كل يد قارورة وأمره أن يحتفظ بهما قال فجعل ينام وتكاد يدها تلتقيان الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي عن موسى عليه الصلاة والسلام على المنبر قال: وقع في نفس موسى عليه الصلاة والسلام فقال حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثني هشام بن يوسف عن أمية بن سهل عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن أبي هريرة رضي وهو يحلم فيؤخر وينظر ويؤجل ولا يعجل ويستتر آخرين ويغفر ولهذا قال تعالى: إنه كان حليما غفورا. وقد أورد ابن أبي حاتم ههنا حديثا غريبا بل منكرا



## تفسير ابن كثير

بأمره ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده أي لا يقدر على دوامهما وإبقائهما إلا هو وهو مع ذلك حليم غفور أن يرى عباده وهم يكفرون به ويعصونه أن تزولا أي أن تضطربا عن أماكنهما كما قال عز وجل ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه وقال تعالى: ومن آياته أن تقوم السماء والأرض ثم أخبر تعالى عن قدرته العظيمة التي بها تقوم السماء والأرض عن أمره وما جعل فيهما من القوة الماسكة لهما فقال إن الله يمسك السموات والأرض أن تهتما بالانحطاط وهو محمد صلى الله عليه وسلم بما أنزل معه من الكتاب العظيم وهو القرآن المبين ما زادهم إلا نفورا أي ما ازدادوا إلا كفرا إلى كفرهم. 42 عنها وكقوله تعالى: وإن كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين لكتنا عباد الله المخلصين فكفروا به فسوف يعلمون قال الله تعالى: فلما جاءهم وإن كنا عن دراستهم لغافلين أو تقولوا لو أن أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف ليكونن أهدى من إحدى الأمم أي من جميع الأمم الذين أرسل إليهم الرسل قاله الضحاك وغيره كقوله تعالى: أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفة من قبلنا يخبر تعالى عن قريش والعرب أنهم أقسموا بالله جهد أيمانهم قبل إرسال الرسول إليهم لنن جاءهم نذير

كذلك في كل مكذب ولن تجد لسنة الله تحويلا أي وإذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له ولا يكشف ذلك عنهم ويحوله عنهم أحد والله أعلم. 43 وجل فهل ينظرون إلا سنة الأولين يعني عقوبة الله لهم على تكذيبهم رسله ومخالفتهم أمره ولن تجد لسنة الله تبديلا أي لا تغير ولا تبدل بل هي جارية أو بغي أو نكت وتصديقها في كتاب الله تعالى ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله إنما بغيكم على أنفسكم ومن نكت فإنما ينكت على نفسه وقوله عز قال إياك ومكر السيئ فإنه لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله ولهم من الله طالب وقال محمد بن كعب القرظي ثلاث من فعلهن لم ينج حتى ينزل به من مكر دون غيرهم. قال ابن أبي حاتم ذكر علي بن الحسين حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن أبي زكريا الكوفي عن رجل حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم آيات الله ومكر السيئ أي ومكروا بالناس في صدهم إياهم عن سبيل الله ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله أي وما يعود وبال ذلك إلا عليهم أنفسهم ثم بين ذلك بقوله استكبارا في الأرض أي استكبروا عن اتباع

لما جاء أمر ربك لأنه تعالى لا يعجزه شيء إذا أراد كونه في السموات والأرض إنه كان عليهما قديرا أي عليم بجميع الكائنات قدير على مجموعها. 44 منازلهم وسلبوا ما كانوا فيه من النعيم بعد كمال القوة وكثرة العدد وكثرة الأموال والأولاد فما أغنى ذلك شيئا ولا دفع عنهم من عذاب الله من شيء لهؤلاء المكذبين بما جنتهم به من الرسالة سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين كذبوا الرسل كيف دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها فخلت منهم يقول تعالى قل يا محمد

أهل الطاعة وبالعقاب أهل المعصية. ولهذا قال تبارك وتعالى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا. آخر تفسير سورة فاطر ولله الحمد والمنة. 45 المطر فماتت جميع الدواب ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى أي ولكن ينظرهم إلى يوم القيامة فيحاسبهم يومئذ ويوفي كل عامل بعمله فيجازي بالثواب قرأ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة وقال سعيد بن جبير والسدي في قوله تعالى: ما ترك على ظهرها من دابة أي لما سقاها أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله قال: كاد الجعل أن يعذب في جحره بذنب ابن آدم ثم كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة أي لو أخذهم بجميع ذنوبهم لأهلك جميع أهل السموات والأرض وما يملكونه من دواب وأرزاق. قال ابن أبي حاتم حدثنا ثم قال تعالى: ولو يؤاخذ الله الناس بما

من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور. 5 بالله الغرور وقال مالك عن زيد بن أسلم هو الشيطان كما قال المؤمنون للمنافقين يوم القيامة حين يضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره الشيطان ويصرفنكم عن اتباع رسل الله وتصديق كلماته فإنه غرار كذاب أفأك وهذه الآية كالأية التي في آخر لقمان فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم رسله من الخير العظيم فلا تتلهوا عن ذلك الباقي بهذه الزهرة الفانية ولا يغرنكم بالله الغرور وهو الشيطان قاله ابن عباس رضي الله عنهما أي لا يفتنكم ثم قال تعالى: يا أيها الناس إن وعد الله حق أي المعاد كائن لا محالة فلا تغرنكم الحياة الدنيا أي العيشة الدنيئة بالنسبة إلى ما أعد الله لأوليائه وأتباع قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا. 6 الله القوي العزيز أن يجعلنا أعداء الشيطان وأن يبرزنا اتباع كتابه والافتقاء بطريق رسوله إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير وهذه كقوله تعالى: وإذا وكذبوه فيما يغركم به إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير أي إنما يقصد أن يضلكم حتى تدخلوا معه إلى عذاب السعير فهذا هو العدو المبين نسأل ثم بين تعالى عداوة إبليس لابن آدم فقال إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا أي هو مبارز لكم بالعداوة فعادوه أنتم أشد العداوة وخالفوه

الشيطان وعصوا الرحمن وأن الذين آمنوا بالله ورسله وعملوا الصالحات لهم مغفرة أي لما كان منهم من ذنب وأجر كبير على ما عملوه من خير. 7 لما ذكر تعالى أن أتباع إبليس مصيرهم إلى السعير ذكر بعد ذلك أن الذين كفروا لهم عذاب شديد لأنهم أطاعوا

قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الحمد لله الذي يهدي من الضلالة ويلبس الضلالة على من أحب وهذا أيضا حديث غريب جدا. 8 حدثنا حسان بن حسان البصري حدثنا إبراهيم بن بشر حدثنا يحيى بن معين حدثنا إبراهيم القرشي عن سعيد بن شريح عن زيد بن أبي أوفى رضي الله عنه من نوره فمن أصابه من نوره يومئذ فقد اهتدى ومن أخطأه منه ضل فلذلك أقول جف القلم على ما علم الله عز وجل ثم قال حدثنا محمد بن عبدة القزويني رضي الله عنهما وهو في حائط بالطائف يقال له الوهط قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله تعالى خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم

## تفسير ابن كثير

محمد بن عوف الحمصي حدثنا محمد بن كثير عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني أو ربيعة عن عبد الله بن الديلمي قال: أتيت عبد الله بن عمرو من يهدي لماله في ذلك من الحجة البالغة والعلم التام ولهذا قال تعالى: إن الله عليم بما يصنعون. وقال ابن أبي حاتم عند هذه الآية حدثنا أبي حدثنا من يشاء ويهدي من يشاء أي بقدره كان ذلك فلا تذهب نفسك عليهم حسرات أي لا تأسف على ذلك فإن الله حكيم في قدره إنما يضل من يضل ويهدي يعملون أعمالا سيئة وهم في ذلك يعتقدون ويحسبون أنهم يحسنون صنعا أي أقمنا كان هكذا قد أضله الله ألك فيه حيلة؟ لا حيلة لك فيه فإن الله يضل ثم قال تعالى: أقمنا زين له سوء عمله فرآه حسنا يعني كالكفار والفجار

الله عليه وسلم يا أبا رزين أما مررت بوادي قومك ممحلا ثم مررت به يهتز خضرا؟ قلت بلى قال صلى الله عليه وسلم فكذلك يحيي الله الموتى. 9

يركب ولهذا قال تعالى: كذلك النشور وتقدم في الحج حديث أبي رزين قلت يا رسول الله كيف يحيي الله الموتى؟ وما آية ذلك في خلقه؟ قال صلى مطرا يعم الأرض جميعا ونبتت الأجساد في قبورها كما تنبت الحبة في الأرض ولهذا جاء في الصحيح كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب منه خلق ومنه أرسل إليها السحاب تحمل الماء وأنزله عليها اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج كذلك الأجساد إذا أراد الله تعالى بعثها ونشورها أنزل من تحت العرش تعالى على المعاد بإحيائه الأرض بعد موتها كما في أول سورة الحج ينبه عباده أن يعتبروا بهذا على ذلك فإن الأرض تكون ميتة هامة لا نبات فيها فإذا كثيرا ما يستدل

## سورة 36

وسفيان بن عيينة أن يس بمعنى يا إنسان وقال سعيد بن جبير هو كذلك في لغة الحبشة وقال مالك عن زيد بن أسلم هو اسم من أسماء الله تعالى. 1

كل إنسان من أمتي يعني يس. قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة والضحاك والحسن البزار حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: لوددت أنها في قلب تعالى أعلم. قال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان قال: كان المشيخة يقولون إذا قرئت يعني يس عند الميت خفف الله عنه بها. وقال العلماء من خصائص هذه السورة أنها لا تقرأ عند أمر عسير إلا يسره الله تعالى وكان قراءتها عند الميت لتنزل الرحمة والبركة وليسهل عليه خروج الروح والله في اليوم واللييلة وابن ماجة من حديث عبد الله بن المبارك به إلا أن في رواية النسائي عن أبي عثمان عن معقل بن يسار رضي الله عنه ولهذا قال بعض بالنهدي عن أبيه عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقروها على موتاكم يعني يس ورواه أبو داود والنسائي اليوم واللييلة عن محمد بن عبد الأعلى عن معتمر بن سليمان به. ثم قال الإمام أحمد حدثنا عارم حدثنا ابن المبارك حدثنا سليمان التيمي عن أبي عثمان وليس بها أو فوصلت بسورة البقرة ويس قلب القرآن لا يقرؤها رجل يريد الله تعالى والدار الآخرة إلا غفر له واقروها على موتاكم وكذا رواه النسائي في الله عليه وسلم قال: البقرة سنم القرآن وذروته نزل مع كل آية منها ثمانون ملكا واستخرجت الله لا إله إلا هو الحي القيوم من تحت العرش فوصلت الله عز وجل غفر له. وقد قال الإمام أحمد حدثنا عارم حدثنا معتمر عن أبيه عن رجل عن أبيه عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى خيثمة حدثنا محمد بن جحادة عن الحسن عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجهه إسناده جيد. وقال ابن حبان في صحيحه حدثنا محمد بن إسحاق بن إبراهيم مولى ثقيف حدثنا الوليد بن شجاع بن الوليد السكوني حدثنا أبي حدثنا زيد بن رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ يس في ليلة أصبح مغفورا له ومن قرأ حم التي يذكر فيها الدخان أصبح مغفورا له تعلم رواه إلا زيد عن حميد. وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل حدثنا حجاج بن محمد عن هشام بن زياد عن الحسن قال سمعت أبا هريرة آل علقمة عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس ثم قال لا نواذر الأصول. وأما حديث أبي هريرة رضي الله عنه فقال أبو بكر البزار حدثنا عبد الرحمن بن الفضل حدثنا زيد هو ابن الحباب حدثنا حميد هو المكي مولى الصديق رضي الله عنه ولا يصح لضعف إسناده وعن أبي هريرة رضي الله عنه منظور فيه. أما حديث الصديق رضي الله عنه فرواه الحكيم الترمذي في كتابه قراءة القرآن عشر مرات ثم قال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حميد بن عبد الرحمن وهارون أبو محمد شيخ مجهول. وفي الباب عن أبي بكر بن حيان عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها سورة يس: قال أبو عيسى الترمذي حدثنا قتيبة وسفيان بن وكيع حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرواسي عن الحسن بن صالح عن هارون أبي محمد عن مقاتل تقدم نظيرها في أول سورة البقرة وكما قال تبارك وتعالى إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم. 10

وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون أي قد ختم الله عليهم بالضلالة فما يفيد فيهم الإنذار ولا يتأثرون به وقد فبشره بمغفرة أي لذنوبه وأجر كريم أي كثير واسع حسن جميل كما قال تبارك وتعالى إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير. 11

المؤمنون الذين يتبعون الذكر وهو القرآن العظيم وخشي الرحمن بالغيب أي حيث لا يراه أحد إلا الله تبارك وتعالى يعلم أن الله مطلع عليه وعالم بما يفعل إنما تنذر من اتبع الذكر أي إنما ينتفع بإنذارك

المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا. 12

## تفسير ابن كثير

أي بكتاب أعمالهم الشاهد عليهم بما عملوه من خير أو شر كما قال عز وجل ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقال تعالى: ووضع الكتاب فترى في لوح محفوظ والإمام المبين ههنا هو أم الكتاب قاله مجاهد وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وكذا في قوله تعالى يوم ندعو كل أناس بإمامهم قدوة بهم من خير أو شر بطريق الأولى والله أعلم وقوله تعالى: وكل شيء أحصيناه في إمام مبين أي وجميع الكائنات مكتوب في كتاب مسطور مضبوط تكتب؟ وهذا القول لا تنافي بينه وبين الأول بل في هذا تنبيه ودلالة على ذلك بطريق الأولى والأخرى فإنه إذا كانت هذه الآثار تكتب فلأن تكتب تلك التي فيها الله عنه فأسرعت المشي فأخذ بيدي فمشيناً رويداً فلما قضينا الصلاة قال أنس مشيت مع زيد بن ثابت فأسرعت المشي فقال يا أنس أما شعرت أن الآثار عن حرمة كلاهما عن ابن وهب عن حبي بن عبد الله به وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا أبو تميلة حدثنا الحسين عن ثابت قال مشيت مع أنس رضي صلى الله عليه وسلم: إن الرجل إذا توفي في غير مولده قيس له من مولده إلى منقطع أثره في الجنة ورواه النسائي عن يونس بن عبد الأعلى وابن ماجه توفي رجل بالمدينة فصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال: يا لبيته مات في غير مولده فقال رجل من الناس ولم يا رسول الله؟ فقال رسول الله الحديث الرابع قال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثني حبي بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال عباس رضي الله عنهما قال كانت الأنصار بعيدة منازلهم من المسجد فأرادوا أن يتحولوا إلى المسجد فنزلت ونكتب ما قدموا وآثارهم فثبتوا في منازلهم. فيه شيء مرفوع ورواه الطبراني عن عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم عن محمد بن يوسف الفريابي عن إسرائيل عن سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عنهما قال كانت منازل الأنصار متباعدة من المسجد فأرادوا أن ينتقلوا إلى المسجد فنزلت ونكتب ما قدموا وآثارهم فثبت مكاننا هكذا رواه وليس أعلم. الحديث الثالث قال ابن جرير حدثنا نصر بن علي الجهضمي حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه وفيه غرابة من حيث ذكر نزول هذه الآية والسورة بكاملها مكية فالله الله عليه وسلم بعد منازلهم من المسجد فنزلت ونكتب ما قدموا وآثارهم فأقاموا في مكانهم وحدثنا محمد بن المثنى حدثنا عبد الأعلى حدثنا الجريري بن زياد الساجي حدثنا عثمان بن عمر حدثنا شعبة عن سعيد الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: إن بني سلمة شكوا إلى رسول الله صلى عن سفیان الثوري عن طريف وهو ابن شهاب أبو سفیان السعدي عن أبي نضرة به وقد روي من غير طريق الثوري فقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عباد عند تفسير هذه الآية الكريمة عن محمد بن الوزير به ثم قال حسن غريب من حديث الثوري ورواه ابن جرير عن سليمان بن عمر بن خالد الرقي عن ابن المبارك فنزلت إنا نحن نحیی الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: إن آثاركم تكتب فلم ينتقلوا تفرد بإخراجه الترمذي الثوري عن أبي سفیان عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال كانت بنو سلمة في ناحية من المدينة فأرادوا أن ينتقلوا إلى قريب من المسجد بن مالك بن قطعة العبدی عن جابر رضي الله عنه به. الحديث الثاني قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن الوزير الواسطي حدثنا إسحاق الأزرق عن سفیان يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم دياركم تكتب آثاركم وهكذا رواه مسلم من حديث سعيد الجريري وكهس بن الحسن كلاهما عن أبي نضرة واسمه المنذر الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم: إني بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد قالوا نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك فقال صلى الله عليه وسلم: أبي حدثنا الجريري عن أبي نضرة عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال خلت البقاع حول المسجد فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد فبلغ ذلك رسول فمن استطاع منكم أن يكتب أثره في طاعة الله تعالى فليفعل. وقد وردت في هذا المعنى أحاديث الحديث الأول. قال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا يا ابن آدم أغفل ما تعفي الرياح من هذه الآثار ولكن أحصى على ابن آدم أثره وعمله كله حتى أحصى هذا الأثر فيما هو من طاعة الله تعالى أو من معصيته قدموا أعمالهم وآثارهم قال خطاهم بأرجلهم وكذا قال الحسن وقتادة وآثارهم يعني خطاهم. وقال قتادة لو كان الله عز وجل مغفلاً شيئاً من شأنك ابن أبي حاتم وهذا القول هو اختيار البغوي. والقول الثاني أن المراد بذلك آثار خطاهم إلى الطاعة أو المعصية قال ابن أبي نجیح وغيره عن مجاهد ما موتهم فإن كانت خيراً فلهم مثل أجورهم لا ينقص من أجر من عمل به شيئاً وإن كانت شراً فعليهم مثل أوزارهم ولا ينقص من أوزار من عمل بها شيئاً ذكرهما وقال ابن لهيعة عن عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير في قوله تعالى ونكتب ما قدموا وآثارهم يعني ما أثروا يقول ما سنوا من سنة فعمل بها قوم من بعد الثوري عن أبي سعيد رضي الله عنه قال سمعت مجاهداً يقول في قوله تعالى إنا نحن نحیی الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم قال ما أوروها من الضلالة. رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: من علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له أو صدقة جارية من بعده وقال سفیان رواية أبي عوانة عن عبد الملك بن عمير بن المنذر بن جرير عن أبيه فذكره وهكذا الحديث الآخر الذي في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال بن يعلى عن عبد الملك بن عمير عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه فذكر الحديث بطوله ثم تلا هذه الآية ونكتب ما قدموا وآثارهم وقد رواه مسلم من جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه وفيه قصة مجتأبي الثمار المضريين ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن يحيى بن سليمان الجعفي عن أبي المحياة يحيى عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء رواه مسلم من رواية شعبة عن عون بن أبي جحيفة عن المنذر بن جرير عن أبيه وسلم: من سن في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان أحدهما نكتب أعمالهم التي باسروها بأنفسهم وآثارهم التي أثروها من بعدهم فنجزهم على ذلك أيضاً إن خيراً فخير وإن شراً فشر كقوله صلى الله عليه وسلم: أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون وقوله تعالى ونكتب ما قدموا أي من الأعمال وفي قوله تعالى وآثارهم قولان إلى أن الله تعالى يحيي قلب من يشاء من الكفار الذين قد ماتت قلوبهم بالضلالة فيهديهم بعد ذلك إلى الحق كما قال تعالى بعد ذكر قموة القلوب اعلموا ثم قال عز وجل إنا نحن نحیی الموتى أي يوم القيامة وفيه إشارة

## تفسير ابن كثير

عن بريدة بن الخصيب وعكرمة وقتادة والزهرى أنها أنطاكية وقد استشكل بعض الأئمة كونها أنطاكية بما سنذكره بعد تمام القصة إن شاء الله تعالى. 13 بها ملك يقال له أنطيوخس بن أنطيوخس وكان يعبد الأصنام فبعث الله تعالى إليه ثلاثة من الرسل وهم صادق وصدوق وشلوم فكذبهم وهكذا روي مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون قال ابن إسحاق فيما بلغه عن ابن عباس رضي الله عنهما وكعب الأخبار ووهب بن منبه أنها مدينة أنطاكية وكان يقول تعالى واضرب يا محمد لقومك الذين كذبوك

أي من ربكم الذي خلقكم بأمركم بعبادته وحده لا شريك له وقاله أبو العالية وزعم قتادة أنهم كانوا رسل المسيح عليه السلام إلى أهل أنطاكية. 14 عن شعيب الجبابي قال كان اسم الرسولين الأولين شمعون ويوحنا واسم الثالث بولص والقرية أنطاكية فقالوا أي لأهل تلك القرية إنا إليكم مرسلون إذ أرسلنا إليهم اثنيين فكذبوهما أي بادروهما بالتكذيب فعززنا بثالث أي قويناهما وشددنا أزرهما برسول ثالث. قال ابن جريج عن وهب بن سليمان وقوله تعالى:

تعالى ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاصرون وقوله تعالى: وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا. 15 من ذلك وأنكره وقوله تعالى: قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فانتونا بسلطان مبين وقوله تعالى حكاية عنهم في قوله وهذه شبهة كثير من الأمم المكذبة كما أخبر الله تعالى عنهم في قوله عز وجل ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهودنا أي استعجبوا قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا أي فكيف أوحى إليكم وأنتم بشر ونحن بشر فلم لا أوحى إلينا مثلكم ولو كنتم رسلا لكنتم ملائكة الدار كقوله تعالى: قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات وما في الأرض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون. 16 أي أجابتهم رسلهم الثلاثة قائلين الله يعلم أنا رسله إليكم ولو كنا كذبة عليه لانتقم منا أشد الانتقام ولكنه سيعزنا وينصرنا عليكم وستعلمون لمن تكون عاقبة ولهذا قال هؤلاء ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون يقولون إنما علينا أن نبغفكم ما أرسلنا به إليكم فإذا أطعتم كانت لكم السعادة في الدنيا والآخرة وإن لم تجيبوا فستعلمون غب ذلك والله أعلم. 17 وما علينا إلا البلاغ المبين

إلا عذب أهلها لئن لم تنتهوا لنرجمنكم قال قتادة بالحجارة وقال مجاهد بالشتم وليمنسكنم منا عذاب أليم أي عقوبة شديدة فقالت لهم رسلهم. 18 تطيرنا بكم أي لم نر على وجوهكم خيرا في عيشنا. وقال قتادة يقولون إن أصابنا شر فإنما هو من أجلكم. وقال مجاهد يقولون لم يدخل مثلكم إلى قرية فعند ذلك قال لهم أهل القرية إنا

العبادة له قابلتمونا بهذا الكلام وتوعدتمونا وتهددتمونا بل أنتم قوم مسرفون. وقال قتادة أي إن ذكرناكم بالله تطيرتم منا بل أنتم قوم مسرفون. 19 عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا وقوله تعالى: أئن ذكركم بل أنتم قوم مسرفون أي من أجل أنا ذكرناكم وأمرناكم بتوحيد الله وإخلاص وقال قتادة ووهب بن منبه أي أعمالكم معكم. وقال عز وجل وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من الحسنه قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله وقال قوم صالح اطيروا بك وبمن معك قال طائركم عند الله طائركم معكم أي مردود عليكم كقوله تعالى في قوم فرعون فإذا جاءهم والقرآن الحكيم أي المحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. 2

قصارا وقال عمر بن الحكم كان إسكافا وقال قتادة كان يتعبد في غار هناك قال يا قوم اتبعوا المرسلين يحض قومه على اتباع الرسل الذين أتوهم. 20 كان اسمه حبيب بن سري وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اسم صاحب يس حبيب النجار فقتله قومه وقال السدي كان عن مقسم أو مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اسم صاحب يس حبيب وكان الجذام قد أسرع فيه. وقال الثوري عن عاصم الأحول عن أبي مجلز وهو الحباك وكان رجلا سقيما قد أسرع فيه الجذام وكان كثير الصدقة يتصدق بنصف كسبه مستقيم الفطرة وقال ابن إسحاق عن رجل سماه عن الحكم الأخبار ووهب بن منبه أن أهل القرية هموا بقتل رسلهم فجاءهم رجل من أقصى المدينة يسعى أي لينصرهم من قومه قالوا وهو حبيب وكان يعمل الحرير قال ابن إسحاق فيما بلغه عن ابن عباس رضي الله عنهما وكعب

اتبعوا من لا يسألكم أجرا أي على إبلاغ الرسالة وهم مهتدون فيما يدعونكم إليه من عبادة الله وحده لا شريك له. 21

وما يمعني من إخلاص العبادة للذي خلقني وحده لا شريك له وإليه ترجعون أي يوم المعاد فيجازيكم على أعمالكم إن خيرا فخير وإن شرا فشر. 22 وما لي لأعبد الذي فطرني أي

دونه لا يملكون من الأمر شيئا فإن الله تعالى لو أرادني بسوء فلا كاشف له إلا هو وهذه الأصنام لا تملك دفع ذلك ولا منعه ولا ينقذوني مما أنا فيه. 23 أأتخذ من دونه آلهة استفهام إنكار وتوبيخ وتقريع إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون أي هذه الآلهة التي تعبدونها من إنى إذا لفي ضلال مبين أي إن اتخذتها آلهة من دون الله. 24

عنه وقال قتادة جعلوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون فلم يزالوا به حتى أقعصوه وهو يقول كذلك فقتلوه رحمه الله. 25

## تفسير ابن كثير

قال ابن إسحاق فيما بلغه عن ابن عباس رضي الله عنهما وكعب ووهب رضي الله عنهم فلما قال ذلك وثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه ولم يكن له أحد يمنع الرسل وقال لهم اسمعوا قولني لتشهدوا لي بما أقول لكم عند ربي إني آمنت بربكم واتبعتمكم وهذا القول الذي حكاه عن هؤلاء أظهر في المعنى والله أعلم. خطابه للرسل بقوله إني آمنت بربكم أي الذي أرسلكم فاسمعون أي فاشهدوا لي بذلك عنده وقد حكاه ابن جرير فقال وقال آخرون بل خاطب بذلك فيما بلغه عن ابن عباس رضي الله عنهما وكعب ووهب يقول لقومه إني آمنت بربكم الذي كفرتم به فاسمعون أي فاسمعوا قولني ويحتمل أن يكون وقوله تعالى: إني آمنت بربكم فاسمعون قال ابن إسحاق

في قوله يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين رواه ابن أبي حاتم وقال سفيان الثوري عن عاصم الأحول عن أبي مجلز. 26 تمنى والله أن يعلم قومه بما عاين من كرامة الله وما هجم عليه وقال ابن عباس نصح قومه في حياته بقوله يا قومي اتبعوا المرسلين وبعد مماته قال قتادة لا تلقى المؤمن إلا ناصحا لا تلقاه غاشا لما عاين ما عاين من كرامة الله تعالى قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين الله عنه سقم الدنيا وحزنها ونصبها وقال مجاهد قيل لحبيب النجار ادخل الجنة وذلك أنه قتل فوجبت له فلما رأى الثواب قال يا ليت قومي يعلمون عن بعض أصحابه عن ابن مسعود رضي الله عنه أنهما وطنوه بأرجلهم حتى خرج قصه من دبره وقال الله له ادخل الجنة فدخلها فهو يرزق فيها قد أذهب قال محمد بن إسحاق

فجعل يقطعه عضوا عضوا كلما سأله لم يزد على ذلك حتى مات في يديه فقال كعب حين قيل له اسمه حبيب وكان والله صاحب يس اسمه حبيب. 27 له أتشهد أن محمدا رسول الله؟ فيقول نعم ثم يقول أتشهد أني رسول الله فيقول لا أسمع فيقول له مسيلمة لعنه الله أسمع هذا ولا تسمع ذاك؟ فيقول نعم له حبيب بن زيد بن عاصم أخو بني مازن بن النجار الذي كان مسيلمة الكذاب قطعه باليمامة حين جعل يسأله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين. وقال محمد بن إسحاق عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم أنه حدث عن كعب الأحبار أنه ذكر أسلموا تسلموا قال ذلك ثلاث مرات فرماه رجل فأصاب أكحله فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: هذا مثله كمثل صاحب يس قال يا ليت غدا بما يسوءك فغضبت ثقيف فقال يا معشر ثقيف إن اللات لا لات وإن العزى لا عزى وإن اللات لا لات أخاف أن يقتلك فقال لو وجدوني نائما ما أيقظوني فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: انطلق فانطلق فمر على اللات والعزى فقال لأصبحك قال عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم ابعتني إلى قومي أدعوهم إلى الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني عنه فلقد كان حريصا على هداية قومه. قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عبيد الله حدثنا ابن جابر هو محمد عن عبد الملك يعني ابن عمير قال: بربي وتصديقي المرسلين ومقصوده أنهم لو اطلعوا على ما حصل لي من الثواب والجزاء والنعيم المقيم لقادهم ذلك إلى اتباع الرسل فرحمه الله ورضي بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين بإيماني

أنه قال في قوله تعالى: وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين أي ما كاثرتهم بالجموع الأمر كان أيسر علينا من ذلك. 28 أنزل عليهم وما احتاج في إهلاكه إياهم إلى إنزال جند من الملائكة عليهم بل الأمر كان أيسر من ذلك. قاله ابن مسعود فيما رواه ابن إسحاق عن بعض أصحابه من السماء وما كنا منزلين يخبر تعالى أنه انتقم من قومه بعد قتلهم إياه غضبا منه تبارك وتعالى عليهم لأنهم كذبوا رسله وقتلوا وليه ويذكر عز وجل أنه ما وقوله تبارك وتعالى وما أنزلنا على قومه من بعده من جند

علي بن أبي طالب رضي الله عنه فإنه حديث منكر لا يعرف إلا من طريق حسين الأشقر وهو شيعي متروك والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب. 29 ثلاثة: فالسابق إلى موسى عليه الصلاة والسلام يوشع بن نون والسابق إلى عيسى عليه الصلاة والسلام صاحب يس والسابق إلى محمد صلى الله عليه وسلم العسقلاني حدثنا حسين الأشقر حدثنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: السبق ولا قبل ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم فأما الحديث الذي رواه الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا الحسين بن إسحاق التستري حدثنا الحسين بن أبي السري أيضا أو تكون أنطاكية إن كان لفظها محفوظا في هذه القصة مدينة أخرى غير هذه المشهورة المعروفة فإن هذه لم يعرف أنها أهلكت لا في الملة النصرانية الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى فعلى هذا يتعين أن هذه القرية المذكورة في القرآن قرية أخرى غير أنطاكية كما أطلق ذلك غير واحد من السلف التوراة لم يهلك أمة من الأمم عن آخرهم بعداب يبعثه عليهم بل أمر المؤمنين بعد ذلك بقتال المشركين ذكره عند قوله تبارك وتعالى: ولقد آتينا موسى قصة أنطاكية مع الحواريين أصحاب المسيح بعد نزول التوراة وقد ذكر أبو سعيد الخدري رضي الله عنه وغير واحد من السلف أن الله تبارك وتعالى بعد إنزاله فإذا تقرر أن أنطاكية أول مدينة آمنت فأهل هذه القرية ذكر الله تعالى أنهم كذبوا رسله وأنه أهلكهم بصيحة واحدة أخدمتهم والله أعلم. الثالث أن وأوطده ولما ابتنى القسطنطينية نقلوا البترك من رومية إليها كما ذكره غير واحد ممن ذكر تواريخهم كسعيد بن بطريق وغيره من أهل الكتاب والمسلمين لأن فيها اصطلاحوا على اتخاذ البتارقة والمطارنة والأساقفة والقساوسة والشمامسة والرهبان. ثم رومية لأنها مدينة الملك قسطنطين الذي نصر دينهم كانت عند النصارى إحدى المدائن الأربعة اللاتي فيهن بتارقة وهن القدس لأنها بلد المسيح وأنطاكية لأنها أول بلدة آمنت بالمسيح عن آخر أهلها والإسكندرية ثم لو كانوا رسل المسيح لما قالوا لهم إن أنتم إلا بشر مثلنا الثاني أن أهل أنطاكية آمنوا برسول المسيح إليهم وكانوا أول مدينة آمنت بالمسيح ولهذا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون وما علينا إلا البلاغ المبين ولو كان هؤلاء من الحواريين لقالوا عبارة تناسب أنهم من عند المسيح عليه السلام والله تعالى أعلم كانوا رسل الله عز وجل لا من جهة المسيح عليه السلام كما قال تعالى: إذ أرسلنا إليهم اثنتين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون إلى أن قالوا

## تفسير ابن كثير

كما نص عليه قتادة وغيره وهو الذي لم يذكر عن واحد من متأخري المفسرين غيره وفي ذلك نظر من وجوه أحدها أن ظاهر القصة يدل على أن هؤلاء تتردد في جسد وقد تقدم عن كثير من السلف أن هذه القرية هي أنطاكية وأن هؤلاء الثلاثة كانوا رسلا من عند المسيح عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام بعث الله تعالى إليهم جبريل عليه الصلاة والسلام فأخذ بعضادتي باب بلدهم ثم صاح فيهم صيحة واحدة فإذا هم خامدون عن آخرهم لم يبق فيهم روح فلا والله ما عاتب الله قومه بعد قتله إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون قال ابن جرير والأول أصح لأن الرسالة لا تسمى جندا. قال المفسرون عذابا يدمرهم وقيل المعنى في قوله تعالى وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء أي من رسالة أخرى إليهم قاله مجاهد وقاتادة قال قتادة ذلك الملك وأهل أنطاكية فبادوا عن وجه الأرض فلم يبق منهم باقية وقيل وما كنا منزليين أي وما كنا ننزل الملائكة على الأمم إذا أهلكناهم بل نبعت عليهم إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون قال فأهلك الله تعالى

إنك أي يا محمد. 3

فإنهم كانوا في الدار الدنيا المكذبون منهم ما يأتهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون أي يكذبونه ويستهزئون به ويجحدون ما أرسل به من الحق. 30 الله وفي بعض القراءات يا حسرة العباد على أنفسهم ومعنى هذا يا حسرتهم وندامتهم يوم القيامة إذا عاينوا العذاب كيف كذبوا رسل الله وخالفوا أمر الله يا حسرة على العباد أي يا ويل العباد وقال قتادة يا حسرة على العباد على أنفسهم على ما ضيعت من أمر الله وفرطت في جنب قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى:

يعودون إلى الدنيا كما كانوا فيها فرد الله تبارك وتعالى عليهم باطلهم فقال تبارك وتعالى ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون. 31 كما زعم كثير من جهلتهم وفجرتهم من قولهم إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وهم القائلون بالدور من الدهرية وهم الذين يعتقدون جهلا منهم أنهم قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون أي ألم يتعظوا بمن أهلك الله قبلهم من المكذبين للرسل كيف لم يكن لهم إلى هذه الدنيا كرة ولا رجعة ولم يكن الأمر ثم قال تعالى: ألم يروا كم أهلكنا

ومنهم من شدد لما وجعل إن نافية ولما بمعنى إلا تقديره وما كل إلا جميع لدينا محضرون ومعنى القراءتين واحد والله سبحانه وتعالى أعلم. 32 هذه كقوله جل وعلا وإن كلا لما يوفينهم ربك أعمالهم وقد اختلف القراء في أداء هذا الحرف فمنهم من قرأ وإن كل لما بالتخفيف فعنده أن إن للإثبات جميع لدينا محضرون أي وإن جميع الأمم الماضية والآتية ستحضر للحساب يوم القيام بين يدي الله جل وعلا فيجازيهم بأعمالهم كلها خيرها وشرها ومعنى وقوله عز وجل وإن كل لما

تعالى عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ولهذا قال تعالى: أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون أي جعلنا رزقا لهم ولأنعامهم. 33 وآية لهم أي دلالة لهم على وجود الصانع وقدرته التامة وإحيائه الموتى الأرض الميتة أي إذا كانت ميتة هامة لا شيء فيها من النبات فإذا أنزل الله يقول تبارك وتعالى

وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون أي جعلنا فيها أنهارا سارحة في أمكنة يحتاجون إليها. 34

ليأكلوا من ثمره لما امتن على خلقه بإيجاد الزروع لهم عطف بذكر الثمار وتنوعها وأصنافها. 35

فجعلهم ذكرا وأنثى ومما لا يعلمون أي من مخلوقات شتى لا يعرفونها كما قال جلت عظمتهم ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون. 36 ثمره ومما عملته أيديهم أفلا يشكرون ثم قال تبارك وتعالى سبحانه الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض أي من زروع وثمار ونبات ومن أنفسهم أيديهم بمعنى الذي تقديره ليأكلوا من ثمره ومما عملته أيديهم أي غرسوه ونصبوه قال وهي كذلك في قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ليأكلوا من على ما أنعم به عليهم من هذه النعم التي لا تعد ولا تحصى واختار ابن جرير بل جزم به ولم يحك غيره إلا احتمالا أن ما في قوله تعالى: وما عملته من رحمة الله تعالى بهم لا بسعيهم ولا كدهم ولا بحولهم وقوتهم قاله ابن عباس رضي الله عنهما وقاتادة ولهذا قال تعالى أفلا يشكرون أي فهلا يشكرونه وقوله جل وعلا وما عملته أيديهم أي وما ذاك كله إلا

وقد ضعف ابن جرير قول قتادة ههنا وقال إنما معنى الإيلاج الأخذ من هذا في هذا وليس هذا مرادا في هذه الآية وهذا الذي قاله ابن جرير حق. 37 وأدبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم هذا هو الظاهر من الآية وزعم قتادة أنها كقوله تعالى: يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل لهم الليل نسلخ منه النهار أي نصرمه منه فيذهب فيقبل الليل ولهذا قال تبارك وتعالى فإذا هم مظلومون كما جاء في الحديث إذا أقبل الليل من ههنا بضائنه وجعلهما يتعاقبان يجيء هذا فيذهب هذا ويذهب هذا فيجيء هذا كما قال تعالى: يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا ولهذا قال عز وجل ههنا وآية يقول تعالى ومن الدلالة لهم على قدرته تبارك وتعالى العظيمة خلق الليل والنهار هذا بظلامه وهذا

الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم وهكذا ختم آية حم السجدة بقوله تعالى: ذلك تقدير العزيز العليم. 38 العزيز أي الذي لا يخالف ولا يمانع العليم بجميع الحركات والسكنات وقد قدر ذلك ووقته على منوال لا اختلاف فيه ولا تعاكس كما قال عز وجل فالق سكون بل هي سائرة ليلا ونهارا لا تفتر ولا تقف كما قال تبارك وتعالى وسخر لكم الشمس والقمر دائبين أي لا يفتران ولا يقفان إلى يوم القيامة ذلك تقدير لا تزيد عليها يروى هذا عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. وقرأ ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما والشمس تجري لا مستقر لها أي لا قرار لها ولا

## تفسير ابن كثير

قتادة لمستقر لها أي لوقتها ولأجل لا تعدوه وقيل المراد أنها لا تزال تنتقل في مطالعها الصيفية إلى مدة لا تزيد عليها ثم تنتقل في مطالع الشتاء إلى مدة أن المراد بمستقرها هو منتهى سيرها وهو يوم القيامة يبطل سيرها وتسكن حركتها وتكور وينتهي هذا العالم إلى غايته وهذا هو مستقرها الزماني قال وقيل المراد بمستقرها هو انتهاء سيرها وهو غاية ارتفاعها في السماء في الصيف وهو أوجها ثم غاية انخفاضها في الشتاء وهو الحضيض والقول الثاني ما شاء الله أن تحبس ثم يقال لها اطلعي من حيث غربت قال فمن يومئذ إلى يوم القيامة لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا وسجدت واستأذنت فيؤذن لها حتى إذا كان يوم غربت فسلمت وسجدت واستأذنت فلا يؤذن لها فتقول إن المسير بعيد وإني إن لا يؤذن لي لا أبلغ فتحبس عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال في قوله تعالى: والشمس تجري لمستقر لها قال إن الشمس تطلع فتردها ذنوب بني آدم حتى إذا غربت سلمت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى: والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم. وقال عبدالرزاق أخبرنا معمر عن أبي إسحاق عن وهب بن جابر وسلم فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها ويقال لها ارجعي من حيث جئت أبي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي ذر حين غربت الشمس أتدري أين تذهب؟ قلت الله ورسوله أعلم قال صلى الله عليه وسلم من حيث جئت فتخرج إلى مطالعها وذلك مستقرها ثم قرأ والشمس تجري لمستقر لها قال سفيان الثوري عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن قلت الله ورسوله أعلم قال صلى الله عليه وسلم فإنها تذهب حتى تسجد بين يدي ربه عز وجل فتستأذن في الرجوع فيؤذن لها وكأنها قد قيل لها ارجعي أبيه عن أبي ذر قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد حين غربت الشمس فقال صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر أتدري أين تذهب الشمس؟ في أماكن متعددة ورواه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن الأعمش به وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن عبيد عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن صلى الله عليه وسلم عن قوله تبارك وتعالى: والشمس تجري لمستقر لها قال صلى الله عليه وسلم مستقرها تحت العرش هكذا أورده ههنا وقد أخرجه تقدير العزيز العليم حدثنا عبد الله بن الزبير الحميدي حدثنا وكيع عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله تغرب الشمس؟ قلت الله ورسوله أعلم قال صلى الله عليه وسلم. فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فذلك قوله تعالى: والشمس تجري لمستقر لها ذلك عن أبيه عن أبي ذر رضي الله عنه قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد عند غروب الشمس فقال صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر أتدري أين صارت أبعد ما تكون إلى العرش حينئذ تسجد وتستأذن في الطلوع كما جاءت بذلك الأحاديث قال البخاري حدثنا أبو نعيم حدثنا الأعمش عن إبراهيم التيمي فالشمس إذا كانت في قبة الفلك وقت الظهيرة تكون أقرب ما تكون إلى العرش فإذا استدارت في فلكها الرابع إلى مقابلة هذا المقام وهو وقت نصف الليل وجميع المخلوقات لأنه سقفا وليس بكرة كما يزعمه كثير من أرباب الهيئة وإنما هو قبة ذات قوائم تحمله الملائكة وهو فوق العالم مما يلي رؤوس الناس في معنى قوله لمستقر لها قولان أحدهما أن المراد مستقرها المكاني وهو تحت العرش مما يلي الأرض في ذلك الجانب وهي أينما كانت فهي تحت العرش وقوله جل جلاله والشمس تجري لمسقر لها ذلك تقدير العزيز العليم

حنادس وثلاث دأدي وثلاث محاق لانمحاق القمر أو الشهر فيهن وكان أبو عبيدة رضي الله عنه ينكر التسع والعشر. كذا قال في كتاب غريب المصنف. 39 إلى آخرهن واللواتي بعدهن درع جمع درعاء لأن أولهن أسود لتأخر القمر في أولهن منه ومنه الشاة الدرعاء وهي التي رأسها أسود وبعدهن ثلاث ظلم ثم ثلاث الأول غرر واللواتي بعدها نقل واللواتي بعدها تسع لأن أواخرهن التاسعة واللواتي بعدها عشر لأن أولاهن العاشرة واللواتي بعدها البيض لأن ضوء القمر فيهن وانحنى وكذا قال غيرهما ثم بعد هذا بيديه الله تعالى جديدا في أول الشهر الآخر والعرب تسمي كل ثلاث ليال من الشهر باسم باعتبار القمر فيسمون الثلاث الله عنهما عنهما وهو أصل العذق. وقال مجاهد العرجون القديم أي العذق اليابس يعني ابن عباس رضي الله عنهما أصل العنقود من الرطب إذا عتق ويبس وإن كان مقتبسا من الشمس حتى يتكامل نوره في الليلة الرابعة عشرة ثم يشرع في النقص إلى آخر الشهر حتى يصير كالعرجون القديم. قال ابن عباس رضي فهي كوكب نهاري وأما القمر فقدره منازل يطلع في أول ليلة من الشهر ضئلا قليل النور ثم يزداد نورا في الليلة الثانية ويرتفع منزلة ثم كلما ارتفع ازداد ضياء آخره على ضوء واحد ولكن تنتقل في مطالعها ومغاربها صيفا وشتاء يطول بسبب ذلك النهار ويقصر الليل ثم يطول الليل ويقصر النهار وجعل سلطانها بالنهار والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا فجعل الشمس لها ضوء يخصصها والقمر له نور يخصصه وفاوت بين سير هذه وهذا فالشمس تطلع كل يوم وتغرب في والحساب الآية وقال تبارك وتعالى: وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين قال عز وجل يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج. وقال تعالى: هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين ثم قال جل وعلا والقمر قدرناه منازل أي جعلناه يسير سيرا آخر يستدل به على مضي الشهور كما أن الشمس يعرف بها الليل والنهار كما

لمن المرسلين على صراط مستقيم أي على منهج ودين قوييم وشرع مستقيم. 4

رضي الله عنهما وغير واحد من السلف في فلكة كفلكة المغزل وقال مجاهد الفلك كحديد الرحي أو كفلكة المغزل لا يدور المغزل إلا بها ولا تدور إلا به. 40 والحسن وقتادة وعطاء الخراساني وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم في فلك بين السماء والأرض. رواه ابن أبي حاتم وهو غريب جدا بل منكر قال ابن عباس تبارك وتعالى وكل في فلك يسبحون يعني الليل والنهار والشمس والقمر كلهم يسبحون أي يدورون في فلك السماء. قاله ابن عباس وعكرمة والضحاك أحدهما من الآخر والمعنى في هذا أنه لا فترة بين الليل والنهار بل كل منهما يعقب الآخر بلا مهلة ولا تراخ لأنهما مسخران دائبين يتطالبان طلبا حثيثا. وقوله بالليل وقال الضحاك لا يذهب الليل من ههنا حتى يجيء النهار من ههنا وأوماً بيده إلى المشرق وقال مجاهد ولا الليل سابق النهار يطلبان حثيثين يسلك أن تطلع بالليل. وقوله تعالى: ولا الليل سابق النهار يقول لا ينبغي إذا كان الليل أن يكون ليل آخر حتى يكون النهار فسلطان الشمس بالنهار وسلطان القمر

## تفسير ابن كثير

لا يدرك هذا ضوء هذا ولا هذا ضوء هذا. وقال عكرمة في قوله عز وجل لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر يعني أن لكل منهما سلطانا فلا ينبغي للشمس ابن أبي حاتم ههنا عن عبدالله بن المبارك أنه قال إن للريح جناحا وإن القمر يأوي إلى غلاف من الماء وقال الثوري عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح ذهب سلطان هذا جاء سلطان هذا وقال عبدالرزاق أخبرنا معمر عن الحسن في قوله تعالى: لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر قال ذلك ليلة الهلال. وروى وقوله تبارك وتعالى: لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر قال مجاهد لكل منهما حد لا يعده ولا يقصر دونه إذا جاء سلطان هذا ذهب هذا وإذا

الله عنهما المشحون الموقر وكذا قال سعيد بن جبير والشعبي وقتادة والسدي وقال الضحاك وقتادة وابن زيد وهي سفينة نوح عليه الصلاة والسلام. 41 في الفلك المشحون أي في السفينة المملوءة من الأمتعة والحيوانات التي أمره الله تبارك وتعالى أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين قال ابن عباس رضي بمن معه من المؤمنين الذين لم يبق على وجه الأرض من ذرية آدم عليه الصلاة والسلام غيرهم ولهذا قال عز وجل وآية لهم أنا حملنا ذريتهم أي آبائهم وتعالى ودلالة لهم أيضا على قدرته تبارك وتعالى تسخير البحر ليحمل السفن فمن ذلك بل أوله سفينة نوح عليه الصلاة والسلام التي أنجاه الله تعالى فيها يقول تبارك

ما يركبون أي السفن ويقوي هذا المذهب في المعنى قوله جل وعلا إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية. 42 من بعد سفينة نوح عليه الصلاة والسلام على مثلها وكذا قال أبو مالك والضحاك وقتادة وأبو صالح والسدي أيضا المراد بقوله تعالى: وخلقنا لهم من مثله فضيل عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أتدرون ما قوله تعالى وخلقنا لهم من مثله ما يركبون؟ قلنا لا قال هي السفن جعلت ومجاهد والحسن وقتادة في رواية عبدالله بن شداد وغيرهم وقال السدي في رواية هي الأنعام. وقال ابن جرير حدثنا الفضل بن الصباح حدثنا محمد بن وعلا وخلقنا لهم من مثله ما يركبون قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما يعني بذلك الإبل فإنها سفن البر يحملون عليها ويركبونها وكذا قال عكرمة وقوله جل

وقوله عز وجل وإن نشأ نغرقهم يعني الذين في السفن فلا صريخ لهم أي فلا مغيث لهم مما هم فيه ولا هم ينقذون أي مما أصابهم. 43

تقديره ولكن برحمتنا نسيركم في البر والبحر ونسلمكم إلى أجل مسمى ولهذا قال تعالى: ومتاعا إلى حين أي إلى وقت معلوم عند الله عز وجل. 44 إلا رحمه منا وهذا استثناء منقطع

وقال غيره بالعكس لعلكم ترحمون أي لعل الله باتقائكم ذلك يرحمكم ويؤمنكم من عذابه وتقدير الكلام أنهم لا يجيبون إلى ذلك بل يعرضون عنه. 45 وعدم اكترائهم بذنوبهم التي أسلفوها وما يستقبلون بين أيديهم يوم القيامة وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم قال مجاهد من الذنوب يقول تعالى مخبرا عن تمادي المشركين في غيهم وضلالهم

تعالى: وما تأتيهم من آية من آيات ربهم أي على التوحيد وصدق الرسل إلا كانوا عنها معرضين أي لا يتأملونها ولا يقبلونها ولا ينتفعون بها. 46 واكتفى عن ذلك بقوله

ويحتمل أن يكون من قول الله عز وجل لل كفار حين ناظروا المؤمنين وردوا عليهم فقال لهم إن أنتم إلا في ضلال مبين وفي هذا نظر والله أعلم. 47 عليهم لو شاء الله لأغناهم ولأطعمهم من رزقه فنحن نوافق مشيئة الله تعالى فيهم إن أنتم إلا في ضلال مبين أي في أمركم لنا بذلك قال ابن جرير آمنوا من الفقراء أي قالوا لمن أمرهم من المؤمنين بالإنفاق محاجين لهم فيما أمرهم به أنطعم من لو يشاء الله أطعمه أي وهؤلاء الذين أمرتمونا بالإنفاق قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله أي وإذا أمروا بالإنفاق مما رزقهم الله على الفقراء والمحاييج من المسلمين قال الذين كفروا للذين آمنوا أي عن الذين وقوله عز وجل وإذا

يخبر تعالى عن استبعاد الكفرة لقيام الساعة في قولهم متى هذا الوعد يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها. 48

ليتنا ورفع ليتنا وهي صفحة العنق يتسمع الصوت من قبل السماء ثم يساق الموجودون من الناس إلى محشر القيامة بالنار تحيط بهم من جوانبهم. 49 ويتشاجرون على عاداتهم فبينما هم كذلك إذ أمر الله عز وجل إسرافيل فنفخ في الصور نفخة يطولها ويمدها فلا يبقى أحد على وجه الأرض إلا أصغى وهم يخصمون أي ما ينتظرون إلا صيحة واحدة وهذه والله أعلم نفخة الفزع ينفخ في الصور نفخة الفزع والناس في أسواقهم ومعايشهم يختصمون قال الله عز وجل ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم

الرحيم بعباده المؤمنين كما قال تعالى: وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور. 50 تنزيل العزيز الرحيم أي هذا الصراط والمنهج والدين الذي جئت به تنزيل من رب العزة

ههنا آثار وأحاديث ذكرناها في موضع آخر ثم يكون بعد هذا نفخة الصعق التي تموت بها الأحياء كلهم ما عدا الحي القيوم ثم بعد ذلك نفخة البعث. 50 ولهذا قال تعالى: فلا يستطيعون توصية أي على ما يملكونه الأمر أهم من ذلك ولا إلى أهلهم يرجعون وقد وردت

فإذا هم من الأجدات إلى ربهم ينسلون والنسلان هو المشي السريع كما قال تعالى: يوم يخرجون من الأجدات سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون. 51 هذه هي النفخة الثالثة وهي نفخة البعث والنشور للقيام من الأجدات والقبور ولهذا قال تعالى:



## تفسير ابن كثير

لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون. 52  
تبارك وتعالى في الصفات وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون وقال الله عز وجل ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما  
بن زيد: الجميع من قول الكفار يا ويلنا من بعثنا من مردنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون نقله ابن جرير واختار الأول وهو أصح وذلك كقوله  
هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون وقال الحسن إنما يجيئهم بذلك الملائكة ولا منافاة إذ الجمع ممكن والله سبحانه وتعالى أعلم. وقال عبدالرحمن  
وقتادة ينأمون نومة قبل البعث قال قتادة وذلك بين النفختين فلذلك يقولون من بعثنا من مردنا فإذا قالوا ذلك أجابهم المؤمنون قاله غير واحد من السلف  
يا ويلنا من بعثنا من مردنا وهذا لا ينفي عذابهم في قبورهم لأنه بالنسبة إلى ما بعده في الشدة كالرقاد. قال أبي بن كعب رضي الله عنه ومجاهد والحسن  
قالوا يا ويلنا من بعثنا من مردنا يعنون قبورهم التي كانوا يعتقدون في الدار الدنيا أنهم لا يبعثون منها فلما عاينوا ما كذبوا به في محشرهم قالوا  
البصر أو هو أقرب وقال جل جلاله يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا أي إنما نأمرهم أمرا واحدا فإذا الجميع محضرون. 53  
إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون كقوله عز وجل فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة وقال جلّت عظمتها وما أمر الساعة إلا كلمح  
وقوله تعالى: إن كانت

فاليوم لا تغلظ نفس شيئا أي من عملها ولا تجزون إلا ما كنتم تعلمون. 54

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عنه في شغل فاكهون أي بسماع الأوتار وقال أبو حاتم لعله غلط من المستمع وإنما هو افتضاض الأبيكار. 55  
والحسن وقتادة والأعمش وسليمان التيمي والأوزاعي في قوله تبارك وتعالى إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون قالوا شغلهم افتضاض الأبيكار  
أي به وكذا قال قتادة وقال ابن عباس رضي الله عنهما فاكهون أي فرحون قال عبدالله بن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن المسيب وعكرمة  
والفوز العظيمة قال الحسن البصري وإسماعيل بن أبي خالد في شغل عما فيه أهل النار من العذاب وقال مجاهد في شغل فاكهون أي في نعيم معجبون  
يخبر تعالى عن أهل الجنة أنهم يوم القيامة إذا ارتحلوا من العرصات فنزلوا في روضات الجنات أنهم في شغل عن غيرهم بما هم فيه من النعيم المقيم  
وقتادة والسدي وخصيف الأرائك هي السرر تحت الحجال قلت نظيره في الدنيا هذه التخوت تحت البشاخين والله سبحانه وتعالى أعلم. 56  
وأزواجهم قال مجاهد وحلائلهم في ظلال أي في ظلال الأشجار على الأرائك متكئون قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة ومحمد بن كعب والحسن  
وقوله عز وجل هم

وسلم قولوا إن شاء الله فقال القوم إن شاء الله وكذا رواه ابن ماجة في كتاب الزهد من سننه من حديث الوليد بن مسلم عن محمد بن مهاجر به. 57  
وحل كثيرة ومقام في أبد في دار سلامة وفاكهة خضرة وخير ونعمة في محلة عالية بهية قالوا نعم يا رسول الله نحن المشمرون لها. قال صلى الله عليه  
ألا هل مشمر إلى الجنة؟ فإن الجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة نور كلها يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وثمرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة  
محمد بن مهاجر عن الضحاك المعافري عن سليمان بن موسى حدثني كريب أنه سمع أسامة بن زيد رضي الله عنهما يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
ما يدعون أي مهما طلبوا وجدوا من جميع أصناف الملاذ. قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عوف الحمصي حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار حدثنا  
وقوله عز وجل لهم فيها فاكهة أي من جميع أنواعها ولهم

يستوي في مجلسه قال ثم تأتيهم التحف من الله عز وجل تحملها إليهم الملائكة ثم ذكر نحوه. وهذا خبر غريب أورده ابن جرير من طرق والله أعلم. 58  
لو قسمت علينا رزق الثقلين لأطعمناهم ولأسقيناهم ولألبسناهم ولأخدمناهم لا ينقصنا ذلك شيئا قال تعالى إن لدي مزيدا قال فيفعل ذلك بهم في درجهم حتى  
ماذا نسألك أي رب؟ قال بلى سلوني قالوا نسألك أي رب رضاك قال رضائي أحلكم دار كرامتي قالوا يا رب فما الذي نسألك فوعزتكم وجلالك وارتفاع مكانك  
قال فيسلم على أهل الجنة فيردون عليه السلام قال القرظي وهذا في كتاب الله تعالى سلام قولا من رب رحيم فيقول الله عز وجل سلوني فيقولون  
قال سمعت محمد بن كعب القرظي يحدث عن عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه قال: إذا فرغ الله تعالى من أهل الجنة والنار أقبل في ظلل من الغمام والملائكة  
السنة من سننه عن محمد بن عبدالملك بن أبي الشوارب به. وقال ابن جرير حدثنا يونس بن عبدالأعلى أخبرنا ابن وهب حدثنا حرملة عن سليمان بن حميد  
وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم ويبقى نوره وبركته عليهم وفي ديارهم ورواه ابن ماجة في كتاب  
فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب تعالى قد أشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا أهل الجنة فذلك قوله تعالى: سلام قولا من رب رحيم قال فينظر إليهم  
الرقاشي عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع عليهم نور  
أبي حاتم ههنا حديثا وفي إسناده نظر فإنه قال: حدثنا موسى بن يوسف حدثنا محمد بن عبدالملك بن أبي الشوارب حدثنا أبو عاصم العبداني حدثنا الفضل  
من رب رحيم فإن الله تعالى نفسه سلام على أهل الجنة وهذا الذي قال ابن عباس رضي الله عنهما كقوله تعالى: تحيتهم يوم يلقونه سلام. وقد روى ابن  
وقوله تعالى: سلام قولا من رب رحيم قال ابن جرير قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: سلام قولا

يومئذ يصدعون أي يصيرون صدين فرقتين احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم. 59  
كقوله تعالى: ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزينا بينهم وقال عز وجل ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون  
يقول تعالى مخبرا عما يؤول إليه حال الكفار يوم القيامة من أمره لهم أن يمتازوا بمعنى يميزون عن المؤمنين في موقفهم

## تفسير ابن كثير

- وحدهم لا ينفي من عداهم كما أن ذكر بعض الأفراد لا ينفي العموم وقد تقدم ذكر الآيات والأحاديث المتواترة في عموم بعثته صلى الله عليه وسلم. 6
- وقوله تعالى لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون يعني بهم العرب فإنه ما أناهم من نذير من قبله وذكرهم
- إنه لكم عدو مبين هذا تقرير من الله تعالى للكفرة من بني آدم الذين أطاعوا الشيطان وهو عدو لهم مبين وعصوا الرحمن وهو الذي خلقهم ورزقهم. 60
- وقوله تعالى: ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان
- أي قد أمرتكم في دار الدنيا بعصيان الشيطان وأمرتكم بعبادتي وهذا هو الصراط المستقيم فسلكتهم غير ذلك واتبعتهم الشيطان فيما أمركم به. 61
- ولهذا قال تعالى: وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم
- أيها المجرمون فيتميز الناس ويجتثون وهي التي يقول الله عز وجل وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون. 62
- الشيطان إنه لكم عدو مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون هذه جهنم التي كنتم توعدون وامتازوا اليوم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا كان يوم القيامة أمر الله تعالى جهنم فيخرج منها عنق ساطع مظلم يقول ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا ابن جريج حدثنا كريب حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن إسماعيل بن رافع عن حدثه عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن
- وقوله تعالى: أفلم تكونوا تعقلون أي أفما كان لكم عقل في مخالفة ربكم فيما أمركم به من عبادته وحده لا شريك له وعدو لكم إلى اتباع الشيطان. قال وتشديد اللام ويقال جبلا بضم الجيم والباء وتخفيف اللام ومنهم من يسكن الباء والمراد بذلك الخلق الكثير قاله مجاهد وقتادة والسدي وسفيان بن عيينة.
- ولهذا قال عز وجل ولقد أضل منكم جبلا كثيرا يقال جبلا بكسر الجيم
- للكفرة من بني آدم يوم القيامة وقد برزت الجحيم لهم تقريبا وتوبيخا هذه جهنم التي كنتم توعدون أي هذه التي حذرتكم الرسل فكذبتموهم. 63
- يقال
- اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون كما قال تعالى: يوم يدعون إلى نار جهنم دعا هذه النار التي كنتم بها تكذبون أفسح هذا أم أنتم لا تبصرون. 64
- رضي الله عنه فإني أحسب أول ما ينطق منه الفخذ اليميني ثم تلا اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون. 65
- فيقول له الملك أما عملت كذا في يوم كذا في مكان كذا؟ فيقول لا وعزتك أي رب ما عملته فإذا فعل ذلك ختم الله تعالى على فيه قال أبو موسى الأشعري حسناته فود أن الناس كلهم يرونها ويدعى الكافر والمنافق للحساب فيعرض عليه ربه عمله فيجحد ويقول أي رب وعزتك لقد كتب على هذا الملك ما لم أعمل وبينه فيعترف فيقول نعم أي رب عملت عملت عملت قال فيغفر الله تعالى له ذنوبه ويستتره منها قال فما على الأرض خليفة ترى من تلك الذنوب شيئا وتبدو بن عبيد عن حميد بن هلال قال: قال أبو بردة قال أبو موسى هو الأشعري رضي الله عنه يدعى المؤمن للحساب يوم القيامة فيعرض عليه ربه عمله فيما بينه إن أول عظم من الإنسان يتكلم يوم يختتم على الأفواه فخذ من الرجل الشمال وقال ابن جرير حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علية حدثنا يونس بن عياش عن ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد الحضرمي عن حدثه عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
- عن محمد بن عوف عن عبدالله بن المبارك عن إسماعيل بن عياش به مثله. وقد جود إسناده الإمام أحمد رحمه الله فقال حدثنا الحكم بن نافع حدثنا إسماعيل الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن أول عظم من الإنسان يتكلم يوم يختتم على الأفواه فخذ من الرجل اليسرى وروى ابن جرير ثم قال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا إسماعيل بن عياش حدثنا ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن عقبة بن عامر رضي وعظامه بما كان يعمل وذلك المنافق وذلك ليعذر من نفسه وذلك الذي يسخط الله تعالى عليه ورواه مسلم وأبو داود من حديث سفيان بن عيينة به بطوله قال فيقال له ألا نبعث عليك شاهدا؟ قال فيفكر في نفسه من الذي يشهد عليه فيختم على فيه ويقال لفخذه انطقي قال فتنطق فخذ ولحمه
- القيامة الطويل قال فيه ثم يلقى الثالث فيقول ما أنت؟ فيقول أنا عبدك آمنت بك وبنبيك وبكتابك وصمت وصليت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع
- عن محمد بن رافع عن عبدالرزاق به وقال سفيان بن عيينة عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث حكيم عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إنكم تدعون مفدما على أفواهكم بالفأول ما يسئل عن أحدكم فخذ وكثفه رواه النسائي غريب والله تعالى أعلم. كذا قال وقد تقدم من رواية أبي عامر عن عبد الملك بن عمرو الأسدي وهو العقدي عن سفيان وقال عبدالرزاق أخبرنا معمر عن بهز بن النضر عن عبيد الله بن عبد الرحمن الأشجعي عن سفيان هو الثوري به. ثم قال النسائي لا أعلم أحدا روى هذا الحديث عن سفيان غير الأشجعي وهو حديث انطقي بعمله ثم يخلو بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل وقد رواه مسلم والنسائي كلاهما عن أبي بكر بن أبي النضر عن أبي من الظلم؟ فيقول بلى فيقول لا أجز علي إلا شاهدا من نفسي فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسييا وبالكرام الكاتبين شهودا فيختم على فيه ويقال لأركانه ثم قال صلى الله عليه وسلم أنتدرون مم أضحك؟ قلنا الله ورسوله أعلم قال صلى الله عليه وسلم من مجادلة العبد ربه يوم القيامة يقول رب ألم تجرني سفيان عن عبيد المكتب عن الفضل بن عمرو عن الشعبي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بدت نواجذه جوارحهم بما عملت. قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو شيبه إبراهيم بن عبدالله بن أبي شيبه حدثنا منجاب بن الحارث التميمي حدثنا أبو عامر الأزدي حدثنا أرجلهم بما كانوا يكسبون هذا حال الكفار والمنافقين يوم القيامة حين ينكرون ما اجترموه في الدنيا ويحلفون ما فعلوه فيختم الله على أفواههم ويستنطق يكسبون. وقوله تعالى: اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد

## تفسير ابن كثير

ابن زيد يعني بالصراط ههنا فأنى يبصرون وقد طمسنا على أعينهم وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما فأنى يبصرون لا يبصرون الحق. 66 أعينهم فجعلهم عميا يترددون وقال السدي يقول ولو نشاء أعمينا أبصارهم وقال مجاهد وأبو صالح وقتاده والسدي فاستبقوا الصراط يعني الطريق وقال عباس رضي الله عنهما في تفسيرها يقول ولو نشاء لأضللناهم عن الهدى فكيف يهتدون وقال مرة أعميناهم وقال الحسن البصري ولو شاء الله لطمس على وقوله تبارك وتعالى: ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون قال علي بن أبي طلحة عن ابن

علي أرجلهم ولهذا قال تبارك وتعالى فما استطاعوا مضيا أي إلى أمام ولا يرجعون إلى وراء بل يلزمون حالا واحدا لا يتقدمون ولا يتأخرون. 67 قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما أهلكناهم وقال السدي يعني لغيرنا خلقهم وقال أبو صالح لجعلناهم حجارة وقال الحسن البصري وقتادة لأقعدهم وقوله عز وجل ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم

خلقهم ثم صبرورثهم إلى سن الشيبة ثم إلى الشيخوخة ليعلموا أنهم خلقوا لدار أخرى لا زوال لها ولا انتقال منها ولا محيد عنها وهي الدار الآخرة. 68 من هذا والله أعلم الإخبار عن هذه الدار بأنها دار زوال وانتقال لا دار دوام واستقرار ولهذا قال عز وجل أفلا يعقلون أي يتفكرون بعقولهم في ابتداء قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير وقال عز وجل ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا والمراد تعالى عن ابن آدم أنه كلما طال عمره رد إلى الضعف بعد القوة والعجز بعد النشاط كما قال تبارك وتعالى الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف يخبر

وما ينبغي له أي وما يصلح له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين أي ما هذا الذي علمناه إلا ذكر وقرآن مبين أي بين واضح جلي لمن تأمله وتدبره. 69 صلى الله عليه وسلم قال إن من البيان سحرا وإن من الشعر حكما ولهذا قال وما علمناه الشعر يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ما علمه الله الشعر بيت هيه يعني يستطعمه فيزيده من ذلك وقد روى أبو داود من حديث أبي بن كعب وبريدة بن الحصيب وعبدالله بن عباس رضي الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم آمن شعره وكفر قلبه وقد أنشد بعض الصحابة رضي الله عنهم للنبي صلى الله عليه وسلم مائة بيت يقول صلى الله عليه وسلم عقب كل رضي الله عنهم أجمعين ومنه ما فيه حكم ومواعظ وأدب كما يوجد في شعر جماعة من الجاهلية ومنهم أمية بن أبي الصلت الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هو مشروع وهو هجاء المشركين الذي كان يتعاطاه شعراء الإسلام كحسان بن ثابت رضي الله عنه وكعب بن مالك وعبدالله بن رواحة وأمثالهم وأضرابهم له صلاة تلك الليلة وهذا حديث غريب من هذا الوجه ولم يخرج به أحد من أصحاب الكتب الستة والمراد بذلك نظمه لإنشاده والله أعلم على أن الشعر فيه عن أبي عاصم عن أبي الأشعث عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرض بيت شعر بعد العشاء الآخرة لم تقبل على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقال الإمام أحمد حدثنا قزعة بن سويد الباهلي عن عاصم بن مخلد عن أبي الأشعث الصنعاني ح وحدثنا الأشيب فقال عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لأن يمتلئ جوف أحدكم قبحا خير له من أن يمتلئ شعرا انفرد به من هذا الوجه وإسناده رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الجوامع من الدعاء ويدع ما بين ذلك وقال أبو داود حدثنا أبو الوليد الطيالسي حدثنا شعبة عن الأعمش عن أبي صالح عائشة رضي الله عنها هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بسانع عنده الشعر؟ فقالت قد كان أبغض الحديث إليه وقال عن عائشة رضي الله عنها كان تميمية أو قلت الشعر من قبل نفسي تفرد به أبو داود وقال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن الأسود بن شيبان عن أبي نوفل قال سألت التنوخي قال سمعت عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما أبالي ما أوتيت إن أنا شربت ترياقا أو تعلق كما رواه أبو داود قال حدثنا عبيد الله بن عمرو حدثنا عبدالله بن يزيد حدثنا سعيد بن أبي أيوب حدثنا شرحبيل بن يزيد المعافري عن عبد الرحمن بن رافع قريش ولا كهانة ولا مفتعل ولا سحر يؤثر كما تنوعت فيه أقوال الضلال وآراء الجهال وقد كانت سجيته صلى الله عليه وسلم تأبى صناعة الشعر طبعاً وشرعاً الله تعالى إنما علمه القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وليس هو بشعر كما زعمه طائفة من جهلة كفار عند قوله تعالى إلا اللهم إنشاد إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك ما ألما وكل هذا لا ينافي كونه صلى الله عليه وسلم ما علم شعرا ولا ينبغي له فإن عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار فنكتب أصبعه فقال صلى الله عليه وسلم: هل أنت إلا أصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت وسيأتي لكن قالوا هذا وقع اتفاقاً من غير قصد لوزن شعر بل جرى على اللسان من غير قصد إليه وكذلك ما ثبت في الصحيحين عن جندب بن عبدالله رضي الله بزحاف في الصحيحين أيضاً وكذا ثبت أنه صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين وهو راكب البغلة يقدم بها في نحور العدو: أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب صلينا فأنزلن سكيناً علينا وثبت الأقدام إن لاقينا إن الألى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا ويرفع صلى الله عليه وسلم بقوله أبينا ويمدها وقد روى هذا عبدالله بن رواحة رضي الله عنه ولكن تبعنا لقول أصحابه رضي الله عنهم فإنهم يرتجزون وهم يحفرون فيقولون. اللهم لولا أنت ما أهتدنا ولا تصدقنا ولا الحجاج المزي عن هذا الحديث فقال هو منكر ولم يعرف شيخ الحاكم ولا الضرير وثبت في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم تمثل يوم حفر الخندق بأبيات قالت: ما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت شعر قط إلا بيتا واحدا. تفاعل بما تهوى يكن قلقلما يقال لشيء ما كان إلا تحقفا سألت شيخنا الحافظ أبا ببغداد حدثنا أبو محمد عبدالله بن هلال النحوي الضرير حدثنا علي بن عمرو الأنصاري حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها الله عليه وسلم إنني لست بشاعر ولا ينبغي لي وقال الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو عبدالحافظ حدثنا أبو حفص عمر بن أحمد بن نعيم وكيل المتقي سبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار ما لم تزود فجعل صلى الله عليه وسلم يقول من لم تزود بالأخبار فقال أبو بكر ليس هذا هكذا فقال صلى الله عليه وسلم عن قتادة بلغني أن عائشة رضي الله عنها سئلت هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر؟ فقالت رضي الله عنها: لا إلا بيت طرفة

## تفسیر ابن کثیر

هذا هكذا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني والله ما أنا بشاعر وما ينبغي لي رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وهذا لفظه وقال معمر عنها: كان أبغض الحديث إليه غير أنه صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بيت أخي بني قيس فيجعل أوله وآخره فقال أبو بكر رضي الله عنه ليس له وقت موعد وقال سعيد بن عروة عن قتادة قيل لعائشة رضي الله عنها هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر؟ قالت رضي الله معلقته المشهورة وهذا المذكور عجز بيت منها أوله. ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود ويأتيك بالأخبار من لم تبع له بتاتا ولم تضرب وسلم يتمثل من الأشعار: ويأتيك بالأخبار من لم تزود ثم قال ورواه غير زائدة عن سماك عن عطية عن عائشة رضي الله عنها وهذا في شعر طرفة بن العبد في الحافظ أبو بكر البزار حدثنا يوسف بن موسى حدثنا أسامة عن زائدة عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه ورواه الترمذي والنسائي أيضا من حديث المقدم بن شريح بن هانئ عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها كذلك ثم قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح. وقال إذا استراب الخبر تمثل فيه بيت طرفة: ويأتيك بالأخبار من لم تزود وهكذا رواه النسائي في اليوم والليلة من طريق إبراهيم بن مهاجر عن الشعبي عنها. في قصيدة له وهي في الحماسة وقال الإمام أحمد حدثنا هشيم حدثنا مغيرة عن الشعبي عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين القتلى يوم بدر وهو يقول هاما فيقول الصديق رضي الله عنه متمما للبيت: من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلما وهذا لبعض شعراء العرب بن بدر الفزاري لأنه ارتد أيام الصديق رضي الله عنه بخلاف ذلك والله أعلم وهكذا روى الأموي في مغازيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يمشي في الروض الأنف لهذا التقديم والتأخير الذي وقع في كلامه صلى الله عليه وسلم في هذا البيت مناسبة أغرب فيها حاصلها شرف الأقرع بن حابس على عيينة وعيينة. فقال إنما هو بين عيينة والأقرع فقال صلى الله عليه وسلم الكل سواء يعني في المعنى صلوات الله وسلامه عليه والله أعلم. وقد ذكر السهيلي روى البيهقي في الدلائل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن مرداس السلمي رضي الله عنه أنت القائل: أتجعل نهبي ونهب العبيد بين الأقرع يا رسول الله كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا قال أبو بكر أو عمر رضي الله عنهما أشهد أنك رسول الله يقول تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له وهكذا بن زيد عن الحسن هو البصري قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت: كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهيا فقال أبو بكر رضي الله عنه: عليه وسلم ذكره ابن عساكر في ترجمة عتبة بن أبي لهب الذي أكله الأسد بالزرقاء قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو سلمة حدثنا حماد بن سلمة عن علي لم يتمه وقال أبو زرعة الرازي حدثنا إسماعيل بن مجالد عن أبيه عن الشعبي أنه قال: ما ولد عبدالمطلب ذكرا ولا أنثى إلا يقول الشعر إلا رسول الله صلى الله عليه له أي ما هو في طبعه فلا يحسنه ولا يحبه ولا تقتضيه جبلته ولهذا ورد أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يحفظ بيتا على وزن منتظم بل إن أنشده زحفه أو وقوله تبارك وتعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له يقول عز وجل مخبرا عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أنه ما علمه الشعر وما ينبغي

قال ابن جرير لقد وجب العذاب على أكثرهم بأن الله تعالى قد حتم عليهم في أم الكتاب أنهم لا يؤمنون فهم لا يؤمنون بالله ولا يصدقون رسله. 7 قوله تعالى: قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا. وقوله تعالى لقد حق القول على أكثرهم

البصيرة كما قال قتادة حي القلب حي البصر وقال الضحاك يعني عاقلا ويحق القول على الكافرين أي هو رحمة للمؤمنين وحجة على الكافرين. 70  
حي على وجه الأرض كقوله لأنذركم به ومن بلغ وقال جل وعلا ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده وإنما ينتفع ببنارته من هو حي القلب مستنير  
ولهذا قال تعالى: لينذر من كان حيا أي لينذر هذا القرآن المبين كل

منهم بل لو جاء صغير إلى بعير لأناخه ولو شاء لأقامه وساقه وذاك ذليل منقاد معه وكذا لو كان القطار مائة بعير أو أكثر لساير الجميع بسير الصغير. 71 يذكر تعالى ما أنعم به على خلقه من هذه الأنعام التي سخرها لهم فهم لها مالكون قال قتادة مطيقون أي جعلهم يقهرونها وهي ذليلة لهم لا تمتنع

ركوبهم ومنها يأكلون أي منها ما يركبون في الأسفار ويحملون عليه الأثقال إلى سائر الجهات والأقطار ومنها يأكلون إذا شاءوا ونحروا واجتزروا. 72

وقوله تعالى: فمنها

إلى حين ومشارب أي من ألبانها وأبوالها لمن يتداوى ونحو ذلك أفلا يشكرون أي أفلا يوحدون خالق ذلك ومسخره ولا يشركون به غيره؟ 73 ولهم فيها منافع أي من أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا

يقول تعالى منكرا على المشركين في اتخاذهم الأنداد آلهة مع الله يبتغون بذلك أن تنصرهم تلك الآلهة وترزقهم وتقربهم إلى الله زلفى. 74

وهي لا تسوق إليهم خيرا ولا تدفع عنهم شرا إنما هي أصنام وهكذا قال الحسن البصري وهذا القول حسن وهو اختيار ابن جرير رحمه الله تعالى. 75 وأدل عليهم في إقامة الحجة عليهم وقال قتادة لا يستطيعون نصرهم يعني الآلهة وهم لهم جند محضرون والمشركون يغضبون للآلهة في الدنيا جند محضرون قال مجاهد يعني عند الحساب يريد أن هذه الأصنام محشورة مجموعة يوم القيامة محضرة عند حساب عابديها ليكون ذلك أبلغ في حزنهم من ذلك وأقل وأذل وأحق وأدحر بل لا تقدر على الاستنصار لأنفسها ولا الانتقام ممن أرادها بسوء لأنها جماد لا تسمع ولا تعقل وقوله تبارك وتعالى: وهم لهم قال الله تعالى: لا يستطيعون نصرهم أي لا تقدر الآلهة على نصر عابديها بل هي أضعف

وصفهم ونعاملهم على ذلك يوم لا يفقدون من أعمالهم جليلا ولا حقيرا ولا صغيرا ولا كبيرا بل يعرض عليهم جميع ما كانوا يعملون قديما وحديثا. 76 وقوله تعالى: فلا يحزنك قولهم أي تكذبيهم لك وكفرهم بالله إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون أي نحن نعلم جميع ما هم فيه وسنجزئهم

ومنعته حتى إذا بلغت التراقي قلت أتصدق وأنى أوان الصدقة؟ ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يزيد بن هارون عن جرير بن عثمان به. 77

## تفسير ابن كثير

صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى بني آدم أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين يديك وللأرض منك وئيد فجمعت عبدالرحمن بن ميسرة عن جبير بن نفيير عن بشر بن جحاش قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصر يومًا في كفه فوضع عليها أصبعه ثم قال رسول الله أخلط متفرقة فالذي خلقه من هذه النطفة الضعيفة أليس بقادر على إعادته بعد موته كما قال الإمام أحمد في مسنده حدثنا أبو المغيرة حدثنا جرير حدثني مهين كما قال عز وجل ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين إلى قدر معلوم وقال تعالى: إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج أي من نطفة من فإذا هو خصيم مبين أي أو لم يستدل من أنكر البعث بالبده على الإعادة فإن الله ابتداء خلق الإنسان من سلالة من ماء مهين فخلقه من شيء حقير ضعيف العاص بن وائل أو فيهما فهي عامة في كل من أنكر البعث والآل واللام في قوله تعالى: أو لم ير الإنسان للجنس يعم كل منكر للبعث أنا خلقناه من نطفة نحو ما تقدم وهذا منكر لأن السورة مكية وعبدالله بن أبي بن سلول إنما كان بالمدينة وعلى كل تقدير سواء كانت هذه الآيات قد نزلت في أبي بن خلف أو سعيد بن جبير فذكره ولم يذكر ابن عباس رضي الله عنهما وروى من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء عبدالله بن أبي بعظم ففته وذكر عليه وسلم نعم يميئك الله ثم يحييك ثم يدخلك جهنم قال فنزلت الآيات من آخر يس ورواه ابن جرير عن يعقوب بن إبراهيم عن هشيم عن أبي بشر عن قال: إن العاص بن وائل أخذ عظما من البطحاء ففته بيده ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحيي الله هذا بعد ما أرى؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا محمد بن العلاء حدثنا عثمان بن سعيد الزيات عن هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن الله تعالى ثم يبعثك ثم يحشرك إلى النار ونزلت هذه الآيات من آخر يس أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة إلى آخره وقال ابن أبي حاتم حدثنا صلى الله عليه وسلم وفي يده عظم رميم وهو يفته ويذروه في الهواء وهو يقول يا محمد أتزعم أن الله يبعث هذا؟ قال صلى الله عليه وسلم نعم يميئك قال مجاهد وعكرمة وعروة بن الزبير والسدي وقتادة جاء أبي بن خلف لعنه الله إلى رسول الله

والأرض للأجساد والعظام الرميمة ونسي نفسه وأن الله تعالى خلقه من العدم إلى الوجود فعلم من نفسه ما هو أعظم مما استبعده وأنكره وجحد. 78 ولهذا قال تعالى: وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم أي استبعد إعادة الله تعالى ذي القدرة العظيمة التي خلقت السموات ما فيه وأمر البر فجمع ما فيه ثم قال له كن فإذا هو رجل قائم فقال له ما حملك على ما صنعت؟ قال: مخافتك وأنت أعلم فما تلافاه أن غفر له. 79 كثيرة منها أنه أمر بنبيه أن يحرقوه ثم يسحقوه ثم يذروا نصفه في البر ونصفه في البحر في يوم رائج أي كثير الهواء ففعلوا ذلك فأمر الله تعالى البحر فجمع عز وجل له فقال عقبة بن عمرو: وأنا سمعته صلى الله عليه وسلم يقول ذلك وكان نباشا وقد أخرجاه في الصحيحين من حديث عبد الملك بن عمير بألفاظ لحمي وخلصت إلى عظمي فامتاحت فتخذه فذوقها فذوقها في اليم ففعلوا فجمعه الله تعالى إليه ثم قال له لم فعلت ذلك؟ قال من خشيتك فغفر الله الله عليه وسلم يقول إن رجلا حضره الموت فلما ينس من الحياة أوصى أهله إذا أنا مت فاجمعوا لي حطبا كثيرا جزلا ثم أوقدوا فيه نارا حتى إذا أكلت عن عبد الملك بن عمير عن ربعي قال: قال عقبة بن عمرو لحذيفة رضي الله عنهما ألا تحدثنا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سمعته صلى أول مرة وهو بكل خلق عليم أي يعلم العظام في سائر أقطار الأرض وأرجائها أين ذهبت وأين تفرقت وتمزقت قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة ولهذا قال عز وجل قل يحييها الذي أنشأها

لا يستطيعون أن يبسطوها بخير. وقال مجاهد فهم مقمحون قال رافعي رؤوسهم وأيديهم موضوعة على أفواههم فهم مغلولون عن كل خير. 8 جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون قال هو كقوله عز وجل ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك يعني بذلك أن أيديهم موثقة إلى أعناقهم وهكذا هذا لما كان الغل إنما يعرف فيما جمع اليدين مع العنق اكتفى بذكر العنق عن اليدين قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى إنا فما أدري إذا يممت أرضا أريد الخير أيهما يليني أالخير الذي أنا ابتغيه أم الشر الذي لا يأتيني فاكتمى بذكر الخير عن ذكر الشر لما دل الكلام والسياق عليه. زرع في كلامها: وأشرب فأثقم أي أشرب فأروي وأرفع رأسي تهنيئا وترويا واكتفى بذكر الغل في العنق عن ذكر اليدين وإن كانتا مرادتين كما قال الشاعر: من جعل في عنقه غل فجمع يديه مع عنقه تحت ذقنه فارتفع رأسه فصار مقمحا ولهذا قال تعالى فهم مقمحون والمقمح هو الرافع رأسه كما قالت أم يقول تعالى إنا جعلنا هؤلاء المحتوم عليهم بالشقاء نسبتهم إلى الوصول إلى الهدى كنسبة

كالزناد سواء وروي هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما وفي المثل: لكل شجر نار واستمجد المرخ والغفار وقال الحكماء في كل شجر نار إلا العناب. 80 شجر المرخ والغفار ينبت في أرض الحجاز فيأتي من أراد قدح نار وليس معه زناد فيأخذ منه عودين أخضرين ويقدح أحدهما بالآخر فتتولد النار من بينهما في قوله الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون يقول الذي أخرج هذه النار من هذا الشجر قادر على أن يبعثه وقيل المراد بذلك من ماء حتى صار خضرا نضرا ذا ثمر وينع ثم أعاده إلى أن صار حطبا يابساً توقد به النار كذلك هو فعال لما يشاء قادر على ما يريد لا يمنعه شيء قال قتادة وقوله تعالى: الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون أي الذي بدأ خلق هذا الشجر

الكريمة كقوله عز وجل أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير. 81 الناس وقال عز وجل ههنا أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم أي مثل البشر فيعيدهم كما بدأهم قاله ابن جرير وهذه الآية ورمال وبحار وقفار وما بين ذلك ومرشدا إلى الاستدلال على إعادة الأجساد بخلق هذه الأشياء العظيمة كقوله تعالى: لخلق السموات والأرض أكبر من خلق يقول تعالى مخبرا منها على قدرته العظيمة في خلق السموات السبع بما فيها من الكواكب السيارة والثوابت والأرضين السبع وما فيها من جبال

## تفسير ابن كثير

أغفر لكم وكلكم فقير إلا من أغنيت إني جواد ماجد واجد أفعل ما أشاء عطائي كلام وعذابي كلام إذا أردت شيئا فإنما أقول له كن فيكون. 82

عن عبدالرحمن عن أبي ذر رضي الله عنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله تعالى يقول يا عبادي كلكم مذنّب إلا من عافيت فاستغفروني واحدا لا يحتاج إلى تكرار وتأكيّد. إذا ما أراد الله أمرا فإنما يقول له كن قوله فيكون وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن نمير حدثنا موسى بن المسيب عن شهر وقال تبارك وتعالى ههنا بلى وهو الخلاق العليم إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون أي إنما يأمر بالشيء أمرا

قام فقرأ بآل عمران ثم قرأ سورة سورة ورواه الترمذي في الشمائل والنسائي من حديث معاوية بن صالح به. آخر تفسير سورة يس ولله الحمد والمئة. 83

وتعود قال ثم ركع بقدر قيامه يقول في ركوعه سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة ثم سجد بقدر قيامه ثم قال في سجوده مثل ذلك ثم رضي الله عنه قال: قمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الله ليلة فقام فقرأ سورة البقرة لا يمر بآية رحمة إلا وقف وسأل ولا يمر بآية عذاب إلا وقف والعظمة. وقال أبو داود حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب حدثني معاوية بن صالح عن عمرو بن قيس عن عاصم بن حميد عن عوف بن مالك الأشجعي تقدم في رواية الإمام أحمد والله أعلم. وأما رواية صلة بن زفر عن حذيفة رضي الله عنه فإنها في صحيح مسلم ولكن ليس فيها الملكوت والجبروت والكبرياء شك شعبة هذا لفظ أبي داود. وقال النسائي: أبو حمزة عندنا طلحة بن يزيد وهذا الرجل يشبه أن يكون صلة كذا قال: والاشبه أن يكون ابن عم حذيفة كما فيما بين السجدين نحو من سجوده وكان يقول رب اغفر لي رب اغفر لي فصلى أربع ركعات فقرأ فيهن البقرة وآل عمران والنساء والمائدة أو الأنعام يقول في قيامه لربي الحمد ثم سجد فكان سجوده نحو من قيامه وكان يقول في سجوده سبحان ربي الأعلى ثم رفع رأسه من السجود وكان يقعد فقرأ البقرة ثم ركع فكان ركوعه نحو من قيامه وكان يقول في ركوعه سبحان ربي العظيم ثم رفع رأسه من الركوع فكان قيامه نحو من ركوعه وكان الله عنه أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل وكان يقول الله أكبر ثلاثا ذي الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة ثم استفتح وقد روى أبو داود والترمذي في الشمائل والنسائي من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي حمزة مولى الأنصار عن رجل من بني عباس عن حذيفة رضي الله عنه ثم قال الحمد لله ذي الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة وكان ركوعه مثل قيامه وسجوده مثل ركوعه فأنصرف وقد كادت تنكسر رجلاي. قمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقرأ السبع الطوال في سبع ركعات وكان صلى الله عليه وسلم إذا رفع رأسه من الركوع قال سمع الله لمن ورحموت ورهبة ورهبوت وجبر وجبروت ومن الناس من زعم أن الملك هو عالم الأجسام والملكوت هو عالم الأرواح والصحيح الأول وهو الذي عليه الجمهور بيده ملكوت كل شيء كقوله عز وجل قل من بيده ملكوت كل شيء وكقوله تعالى: تبارك الذي بيده الملك فالملك والملكوت واحد في المعنى كرحمة الأمر كله وله الخلق والأمر وإليه يرجع العباد يوم المعاد فيجازي كل عامل بعمله وهو العادل المنعم المتفضل. ومعنى قوله سبحانه وتعالى فسبحان الذي تعالى: فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون أي تنزيهه وتقديسه وتبرئته من سوء للحي القيوم الذي بيده مقاليد السموات والأرض وإليه رجع وقوله

رأسه من التراب. قال وقد بلغ النبي صلى الله عليه وسلم قول أبي جهل فقال: وأنا أقول ذلك إن لهم مني لذبحا وإنه لآخذهم وقوله تبارك وتعالى. 9

فقال مالكم؟ قالوا ننتظر محمدا قال قد خرج عليكم فما بقي منكم من رجل إلا وضع على رأسه ترابا ثم ذهب لحاجته فجعل كل رجل منهم ينفذ ما على خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته وباتوا رصدا على بابه حتى خرج عليهم بعد ذلك خارج من الدار أخذ الله تعالى على أعينهم دونه فجعل يذرهما على رؤوسهم ويقرأ يس والقرآن الحكيم حتى انتهى إلى قوله تعالى وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن كان لكم منه ذبح ثم بعثتم بعد موتكم وكانت لكم نار تعذبون بها وخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك وفي يده حفنة من تراب وقد قال أبو جهل وهم جلوس إن محمدا يزعم أنكم إن تابعتموه كنتم ملوكا فإذا متم بعثتم بعد موتكم وكانت لكم جنات خيرات من جنات الأردن وأنكم إن خالفتموه قال وكانوا يقولون هذا محمد فيقول أين هو أين هو؟ لا يبصره رواه ابن جرير وقال محمد بن إسحاق حدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب قال: منعه الله تعالى لا يستطيع. وقال عكرمة قال أبو جهل لئن رأيت محمدا لأفعلن ولأفعلن فأنزلت إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا إلى قوله فهم لا يبصرون بينهم وبين الإسلام والإيمان فهم لا يخلصون إليه وقرأ إن الذين حققت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم ثم قال: من ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقرأ فأغشيناهم بالعين المهملة من العشا وهو داء في العين وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: جعل الله تعالى هذا السد في الضلالت وقوله تعالى فأغشيناهم أي أغشيناهم أبصارهم عن الحق فهم لا يبصرون أي لا ينتفعون بخير ولا يهتدون إليه قال ابن جرير: وروي عن وقوله تعالى وجعلنا من بين أيديهم سدا قال مجاهد عن الحق ومن خلفهم سدا قال مجاهد: عن الحق فهم مترددون. وقال قتادة

## سورة 37

الرحيم قال سفيان الثوري عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال والصفات صفا وهي الملائكة. 1

بن عبدالله عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا بالتخفيف ويؤمنا بالصفات تفرد به النسائي. بسم الله الرحمن سورة الصفات: قال النسائي: أخبرنا إسماعيل بن مسعود حدثنا خالد يعني ابن الحارث عن أبي ذئب قال أخبرنا الحارث بن عبد الرحمن عن سالم

## تفسير ابن كثير

شديدا وشهبا وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رسدا وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا. 10  
وستأتي إن شاء الله تعالى الأحاديث الواردة مع الآثار في هذا المعنى عند قوله تعالى إخبارا عن الجن أنهم قالوا وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا  
جنوده فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي بين جبلي نخلة قال وكيع يعني بطن نخلة قال فرجعوا إلى إبليس فأخبروه فقال هذا الذي حدث  
عليه وسلم جعل الشيطان إذا قعد مقعده جاءه شهاب فلم يخطئه حتى يحرقه قال فشكوا ذلك إلى إبليس لعنه الله فقال ما هو إلا من أمر حدث قال فبعث  
قال وكانت النجوم لا تجري وكانت الشياطين لا ترمى قال فإذا سمعوا الوحي نزلوا إلى الأرض فزادوا في الكلمة تسعا قال فلما بعث رسول الله صلى الله  
حدثنا وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان للشياطين مقاعد في السماء قال فكانوا يستمعون الوحي  
فيحرقه فيذهب بها الآخر إلى الكاهن كما تقدم في الحديث ولهذا قال إلا من خطف الخطفة فأنبهه شهاب ثاقب أي مستنير قال ابن جرير حدثنا أبو كريب  
يسمعها من السماء فيلقبها إلى الذي تحته ويلقبها الآخر إلى الذي تحته فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقبها وربما ألقاها بقدر الله تعالى قبل أن يأتيه الشهاب  
وقوله تبارك وتعالى إلا من خطف الخطفة أي إلا من اختطف من الشياطين الخطفة وهي الكلمة

بين أظهرهم وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين رب هب لي من الصالحين يعني أولادا مطيعين يكونون عوضا من قومه وعشيرته الذين فارقهم. 100  
يقول تعالى مخبرا عن خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام إنه بعدما نصره الله تعالى على قومه وأيس من إيمانهم بعدما شاهدوا من الآيات العظيمة هاجر من  
الله تعالى قد وعدهما بأنه سيغقب ويكون له نسل فكيف يمكن بعد هذا أن يؤمر بذبحه صغيرا وإسماعيل وصف ههنا بالحليم لأنه مناسب لهذا المقام. 101  
إسحاق يعقوب أي يولد له في حياتهما ولد يسمى يعقوب فيكون من ذريته عقب ونسل وقد قدمنا هناك أنه لا يجوز بعد هذا أن يؤمر بذبحه وهو صغير لأن  
ذلك وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين ولما بشرت الملائكة إبراهيم بإسحاق قالوا إنا نبشرك بغلام عليم. وقال تعالى فيبشرناها بإسحاق ومن وراء  
عن أحبار أهل الكتاب وأخذ ذلك مسلما من غير حجة وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل فإنه ذكر البشارة بغلام حليم وذكر أنه الذبيح ثم قال بعد  
أن الذبيح هو إسحاق وحكي ذلك عن طائفة من السلف حتى نقل عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أيضا وليس ذلك في كتاب ولا سنة وما أظن ذلك تلقى إلا  
إلا لمن ليس له غيره وأيضا فإن أول ولد له معزة ما ليس لمن بعده من الأولاد فالأمر بذبحه أبلغ في الابتلاء والاختبار وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى  
فحسدوهم فزادوا ذلك وحرفوا وحيدك بمعنى الذي ليس عندك غيره فإن إسماعيل كان ذهب به وبأمه إلى مكة وهو تأويل وتحريف باطل فإنه لا يقال وحيدك  
وحيدة وفي نسخة أخرى بكره فأقحموا ههنا كذبا وبهتاننا إسحاق ولا يجوز هذا لأنه مخالف لنص كتابهم وإنما أقحموا إسحاق لأنه أبوه وإسماعيل أبو العرب  
عليه السلام ست وثمانون سنة وولد إسحاق وعمر إبراهيم عليه الصلاة والسلام تسع وتسعون سنة وعندهم أن الله تبارك وتعالى أمر إبراهيم أن يذبح ابنه  
فإنه أول ولد بشر به إبراهيم عليه السلام وهو أكبر من إسحاق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب بل في نص كتابهم أن إسماعيل عليه السلام ولد لإبراهيم  
وهذا الغلام هو إسماعيل عليه السلام

وعد ولهذا قال الله تعالى واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا. 102  
أي امض لما أمرك الله من ذبحي ستجدني إن شاء الله من الصابرين أي سأصبر وأحتسب ذلك عند الله عز وجل وصدق صلوات الله وسلامه عليه فيما  
من هذا الوجه وإنما أعلم ابنه بذلك ليكون أهون عليه وليختبر صبره وجلده وعزمه في صغره على طاعة الله تعالى وطاعة أبيه قال يا أبت افعل ما تؤمر  
عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا الأنبياء في المنام وحي ليس هو في شيء من الكتب الستة  
ماذا ترى وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا أبو عبد الملك الكرندي حدثنا سفيان بن عيينة عن إسرائيل بن يونس عن سماك  
بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال عبيد بن عمير رؤيا الأنبياء وحي ثم تلا هذه الآية قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر  
وعطاء الخراساني وزيد بن أسلم وغيرهم فلما بلغ معه السعي بمعنى شب وارتحل وأطاق ما يفعله أبوه من السعي والعمل فلما بلغ معه السعي قال يا  
فارار وينظر في أمرهما وقد ذكر أنه كان يركب على البراق سريعا إلى هناك والله أعلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير  
بلغ معه السعي أي كبر وترعرع وصار يذهب مع أبيه ويمشي معه وقد كان إبراهيم عليه الصلاة والسلام يذهب في كل وقت يتفقد ولده وأم ولده ببلاد  
وقوله تعالى فلما

حسدا منهم كما تقدم وإلا فالمناسك والذبايح إنما محلها بمنى من أرض مكة حيث كان إسماعيل لا إسحاق فإنه إنما كان ببلاد كنعان من أرض الشام. 103  
مدرجة وهي قوله إن الله تعالى لما فرج عن إسحاق إلى آخره والله أعلم فهذا إن كان محفوظا فالأشبه أن السياق إنما هو عن إسماعيل وإنما حرفوه بإسحاق  
من مات لا يشرك بك شيئا فاغفر له وأدخله الجنة هذا حديث غريب منكر وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف الحديث وأخشى أن يكون في الحديث زيادة  
لتعجلت فيها دعوتي إن الله تعالى لما فرج عن إسحاق كرب الذبح قيل له يا إسحاق سل تعط فقال أما والذي نفسي بيده لأتعجلنها قبل نزغات الشيطان اللهم  
تبارك وتعالى خيرني بين أن يغفر لنصف أمتي وبين أن يجيب شفاعتي فاخترت شفاعتي ورجوت أن تكفر الجم لأمتي ولولا الذي سبقني إليه العبد الصالح  
حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله  
أدعوك أن تستجيب لي أيما عبد لفيك من الأولين والآخرين لا يشرك بك شيئا فأدخله الجنة. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن الوزير الدمشقي  
الثقفي أخبره أن كعبا قال لأبي هريرة فذكره بطوله وقال في آخره وأوحى الله تعالى إلى إسحاق أني أعطيتك دعوة أستجيب لك فيها قال إسحاق اللهم إني  
قال فتركه وينس أن يطاع وقد رواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال إن عمرو بن أبي سفيان بن أسيد بن جارية

## تفسير ابن كثير

قال لحاجة قال فإنك لم تغد به لحاجة وإنما غدوت لتذبحه قال ولم أذبحه؟ قال تزعم أن ربك أمرك بذلك قال فوالله لئن كان الله تعالى أمرني بذلك لأفعلن يزعم أن ربه أمره بذلك قال فوالله لئن كان الله تعالى أمره بذلك ليفعلن قال فيئس منه فتركه ولحق إبراهيم عليه الصلاة والسلام فقال أين غدوت بابتك؟ فذهب الشيطان في أثرهما فقال للغلام أين يذهب بك أبوك؟ قال لبعض حاجته قال فإنه لا يذهب بك لحاجة ولكنه يذهب بك ليذبحك قال ولم يذبحني؟ قال بابتك؟ قالت غدا به لبعض حاجته قال فإنه لم يغد به لحاجة إنما ذهب به ليذبحه قالت ولم يذبحه؟ قال زعم أن ربه أمره بذلك قالت فقد أحسن أن يطيع ربه الشيطان إن لم أفتن هؤلاء عند هذه لم أفتنهم أبدا فخرج إبراهيم عليه الصلاة والسلام بابتنه ليذبحه فذهب الشيطان فدخل على سارة فقال أين ذهب إبراهيم الله صلى الله عليه وسلم؟ قال نعم قال فذاك أبي وأمي أو فداه أبي وأمي أفلا أخبرك عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام؟ إنه لما أرى ذبح ابنه إسحاق قال عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم إن لكل نبي دعوة مستجابة وإني قد خبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فقال له كعب أنت سمعت هذا من رسول قال اجتمع أبو هريرة وكعب فجعل أبو هريرة رضي الله عنه يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم وجعل كعب يحدث عن الكتب فقال أبو هريرة رضي الله بيده لقد كان أول الإسلام وإن رأس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة حتى وحش يعني ييس. وقال عبدالرزاق أخبرنا معمر عن الزهري أخبرنا القاسم فرماه بسبع حصيات ثم أفلته فأدركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات فأخرجه عندها ثم أخذته فأتى به المنحر من منى فذبحه فوالذي نفس ابن عباس إبراهيم عليه الصلاة والسلام ابنه واتبع الكبش فأخرجه إلى الجمرة الأولى فرماه بسبع حصيات ثم أفلته عندها فجاء إلى الجمرة الوسطى فأخرجه عندها بن إياس عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تبارك وتعالى وفديناه بذبح عظيم قال خرج عليه كبش من الجنة قد رعى قبل ذلك أربعين خريفا فأرسل الله عنهما في تسمية الذبيح روايتان والأظهر عنه إسماعيل لما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى وقال محمد بن إسحاق عن الحسن بن دينار عن قتادة عن جعفر بطوله عن يونس عن حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره إلا أنه قال إسحاق فعن ابن عباس رضي فالتفت إبراهيم فإذا بكبش أبيض أقرن أعين قال ابن عباس لقد رأيتنا نتبع ذلك الضرب من الكبش وذكر هشام الحديث في المناسك بطوله ثم رواه أحمد قميص أبيض فقال له يا أبت إنه ليس لي ثوب تكفني فيه غيره فاخلعه حتى تكفني فيه فعالجه ليخلعه فنودي من خلفه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات وثم تله للجبين وعلى إسماعيل عليه الصلاة والسلام والسلام بالمناسك عرض له الشيطان عند السعي فسابقه فسابقه إبراهيم عليه الصلاة والسلام ثم ذهب به جبريل عليه الصلاة والسلام إلى جمرة العقبة فعرض أحمد حدثنا شريح ويونس قال حدثنا حماد بن سلمة عن أبي عاصم الغنوي عن أبي الطفيل عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لما أمر إبراهيم عليه الصلاة وجهه عند ذبحه ليكون أهون عليه قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وقتادة وتله للجبين أكبه على وجهه وقال الإمام لإسماعيل طاعة لله ولأبيه قال مجاهد وعكرمة وقتادة والسدي وابن إسحاق وغيرهم ومعنى تله للجبين أي صرعه على وجهه ليذبحه من قفاه ولا يشاهد أي فلما تشهدا وذكرنا الله تعالى إبراهيم على الذبح والولد شهادة الموت وقيل أسلما يعني استسلما وانقادا إبراهيم امتثل أمر الله تعالى أنه أمر السكين على رقبته فلم تقطع شيئا بل حال بينها وبينه صفحة من نحاس ونودي إبراهيم عليه الصلاة والسلام عند ذلك قد صدقت الرؤيا. 104 وقوله تعالى وناديته أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا أي قد حصل المقصود من رؤياك بإضجاعك ولدك للذبح وذكر السدي وغيره الصلاة والسلام ذبح ولده ثم نسخه عنه وصرفه إلى الفداء وإنما كان المقصود من شرعه أولا إثابة الخليل على الصبر على ذبح ولده وعزمه على ذلك. 105 والقصة جماعة من علماء الأصول على صحة النسخ قبل التمكن من الفعل خلافا لطائفة من المعتزلة والدلالة من هذه ظاهرة لأن الله تعالى شرع لإبراهيم عليه يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا وقد استدلل بهذه الآية وقوله تعالى إنا كذلك نجزي المحسنين أي هكذا نصرف عمن أطاعنا المكاره والشدائد ونجعل لهم من أمرهم فرجا ومخرجا كقوله تعالى ومن أي الاختبار الواضح الجلي حيث أمر بذبح ولده فسارع إلى ذلك مستسلما لأمر الله تعالى منقادا لطاعته ولهذا قال تعالى وإبراهيم الذي وفى. 106 ولهذا قال تعالى إن هذا لهو البلاء المبين في تفسيره وليس إليه بمذهب ولا لازم بل هو بعيد جدا والذي استدلل به محمد بن كعب القرظي على أنه إسماعيل أثبت وأصح وأقوى والله أعلم. 107 وأما القران اللذان كانا معلقين بالكعبة فمن الجائز أنهما نقلتا من بلاد كنعان قال وقد تقدم أن من الناس من ذهب إلى أنه ذبح إسحاق هناك هذا ما اعتمد عليه قوله تعالى وبشروه بغلام عليم وأجاب عن البشارة ببيعقوب بأنه قد كان بلغ معه السعي أي العمل ومن الممكن أنه قد كان ولد له أولاد مع يعقوب أيضا قال من نسخة مغلوطة. وإنما عول ابن جرير في اختياره أن الذبيح إسحاق على قوله تعالى فبشرناه بغلام حليم فجعل هذه البشارة هي البشارة بإسحاق في ولد عتبة بن أبي سفيان حدثنا عبدالله بن سعيد حدثنا الصنابحي قال حضرنا مجلس معاوية رضي الله عنه فتذاكر القوم إسماعيل أو إسحاق وذكره كذا كتبه رواه الأموي في مغازيه حدثنا بعض أصحابنا أخبرنا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة حدثنا عمرو بن عبد الرحمن القرشي حدثنا عبيد الله بن محمد العتبي من أحد ولده قال فخرج السهم على عبدالله فمنعه أخواله وقالوا ادف ابنك بمائة من الإبل ففداه بمائة من الإبل والثاني إسماعيل. وهذا حديث غريب جدا وقد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له يا أمير المؤمنين وما الذبيحان؟ فقال إن عبدالمطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله إن سهل الله له أمرها عليه ليذبحن فقال على الخبر سقظتم: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل فقال يا رسول الله عد علي مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فضحك العتبي من ولد عتبة بن أبي سفيان عن أبيه حدثني عبدالله بن سعيد عن الصنابحي قال كنا عند معاوية بن أبي سفيان فذكروا الذبيح إسماعيل أو إسحاق في ذلك حديثا غريبا فقال حدثني محمد بن عمار الرازي حدثنا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة حدثنا عمر بن عبدالرحيم الخطابي عن عبيد الله بن محمد



## تفسير ابن كثير

والحسن البصري ومجاهد والربيع بن أنس ومحمد بن كعب القرظي والكلبي وهو رواية عن ابن عباس وحكاه أيضا عن أبي عمرو بن العلاء وقد روى ابن جرير جعفر محمد بن علي وأبي صالح رضي الله عنهم أنهم قالوا الذبيح إسماعيل. وقال البغوي في تفسيره وإليه ذهب عبدالله بن عمر وسعيد بن المسيب والسدي والسلام قال وروي عن علي وابن عمر وأبي هريرة وأبي الطفيل وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبيرة والحسن ومجاهد والشعبي ومحمد بن كعب القرظي وأبي عن الذبيح هل هو إسماعيل أو إسحاق فقال إسماعيل ذكره في كتاب الزهد وقال ابن أبي حاتم وسمعت أبي يقول الصحيح أن الذبيح إسماعيل عليه الصلاة أنه إسحاق لأن إسحاق أبوهم والله أعلم أيهما كان وكل قد كان طاهرا طيبا مطيعا لله عز وجل وقال عبدالله بن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله سألت أبي ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذي كان من أمر الله فيه والفضل الذي ذكر الله تعالى منه لصبره لما أمر به فهم يجحدون ذلك ويزعمون عن ذلك قال محمد بن كعب وأنا عند عمر بن عبدالعزيز فقال له عمر أي ابني إبراهيم أمر بذبحه؟ فقال إسماعيل والله يا أمير المؤمنين وإن يهود لتعلم بذلك وإنني لأراه كما قلت ثم أرسل إلى رجل كان عنده بالشام كان يهوديا فأسلم وحسن إسلامه وكان يرى أنه من علمائهم فسأله عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه محمد بن كعب القرظي أنه حدثهم أنه ذكر ذلك لعمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه وهو خليفة إذ كان معه بالشام فقال له عمر إن هذا لشيء ما كنت أنظر فيه وله فيه من الموعد بما وعده وما الذي أمر بذبحه إلا إسماعيل قال ابن إسحاق سمعته يقول ذلك كثيرا وقال ابن إسحاق عن بريدة بن سفيان الأسلمي عن وبشرنا بإسحاق نبيا من الصالحين ويقول الله تعالى فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب يقول بآب بن وابن فلم يكن ليأمره بذبح إسحاق الله تعالى إبراهيم بذبحه من ابنه إسماعيل وإننا لنجد ذلك في كتاب الله تعالى وذلك أن الله تعالى حين فرغ من قصة المذبوح من ابني إبراهيم قال الله تعالى أنه كان لا يشك في ذلك أن الذي أمر بذبحه من ابني إبراهيم إسماعيل عليه السلام قال ابن إسحاق وسمعت محمد بن كعب القرظي وهو يقول إن الذي أمر الشعبي هو إسماعيل عليه الصلاة والسلام وقد رأيت قرني الكباش في الكعبة وقال محمد بن إسحاق عن الحسن بن دينار وعمرو بن عبيد عن الحسن البصري ثور عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال الذبيح إسماعيل وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد هو إسماعيل عليه السلام وكذا قال يوسف بن مهران وقال أخبرني عمرو بن قيس عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس أنه قال المفدى إسماعيل عليه السلام وزعمت اليهود أنه إسحاق وكذبت اليهود وقال إسرائيل عن بن مهران ومجاهد وعطاء وغير واحد عن ابن عباس رضي الله عنهما هو إسماعيل عليه الصلاة والسلام وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب المقطوع به قد تقدمت الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه إسحاق عليه الصلاة والسلام والله تعالى أعلم وقال سعيد بن جبيرة وعامر الشعبي ويوسف بن فضالة عن الحسن عن الأحنف عن العباس رضي الله عنه وهذا أشبه وأصح والله أعلم. ذكر الآثار الواردة بأنه إسماعيل عليه الصلاة والسلام وهو الصحيح بن جدعان منكر الحديث وقد رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن مسلم بن إبراهيم عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان به مرفوعا ثم قال قد رواه مبارك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ذكره قال هو إسحاق ففي إسناده ضعيفان وهما الحسن بن دينار البصري متروك وعلي بن زيد قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا زيد بن حباب عن الحسن بن دينار عن علي بن زيد بن جدعان عن الحسن عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبدالمطلب والزهرى والسدي قال وهو إحدى الروايتين عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد ورد في ذلك حديث لو ثبت لقلنا به على الرأس والعين ولكن لم يصح سنده. بأنه إسحاق عن عمر وعلي وابن مسعود والعباس رضي الله عنهم ومن التابعين عن كعب الأحبار وسعيد بن جبيرة وقتادة ومسروق عكرمة وعطاء ومقاتل فترخص الناس في استماع ما عنده ونقلوا ما عنده عنه غثها وسمينها وليس لهذه الأمة والله أعلم حاجة إلى حرف واحد مما عنده وقد حكى البغوي القول والله أعلم كلها مأخوذة عن كعب الأحبار فإنه لما أسلم في الدولة العمرية جعل يحدث عمر رضي الله عنه عن كتبه قديما فربما استمع له عمر رضي الله عنه إسحاق عن عبدالله بن أبي بكر عن الزهري عن أبي سفيان عن العلاء بن جارية عن أبي هريرة رضي الله عنه عن كعب الأحبار أنه قال هو إسحاق وهذه الأقوال وعثمان بن أبي حاضر والسدي والحسن وقتادة وأبو الهذيل وابن سابط وهذا اختيار ابن جرير وتقدم روايته عن كعب الأحبار أنه إسحاق وهكذا روى ابن وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبيرة ومجاهد والشعبي وعبيد بن عمير وأبو ميسرة وزيد بن أسلم وعبدالله بن شقيق والزهرى والقاسم بن أبي برزة ومكحول الله. وهذا صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه وكذا روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه إسحاق وعن أبيه العباس علي بن أبي طالب مثل ذلك رضي الله عنه فقال أنا فلان بن فلان ابن الأشياخ الكرام فقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ذاك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل جاد لي بالذبح وهو بغير ذلك أجود وإن يعقوب كلما زدته بلاء زادني حسن ظن وقال شعبة عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص قال افتخر رجل عند ابن مسعود موسى عليه الصلاة والسلام يا رب يقولون بإله إبراهيم وإسحاق ويعقوب فبم قالوا ذلك؟ قال: إن إبراهيم لم يعدل بي شيء قط إلا اختارني عليه وإن إسحاق سنان عن ابن أبي الهذيل أن يوسف عليه السلام قال للملك كذلك أيضا وقال سفيان الثوري عن زيد بن أسلم عن عبدالله بن عبيد بن عمير عن أبيه قال: قال الصلاة والسلام للملك في وجهه ترغب أن تأكل معي وأنا والله يوسف بن يعقوب نبي الله ابن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله وقال الثوري عن أبي عن السلف في أن الذبيح من هو ذكر من قال هو إسحاق عليه الصلاة والسلام قال حمزة الزيات عن أبي ميسرة رحمه الله قال: قال يوسف عليه عليه قريشا توارثوا قرني الكباش الذي فدى به إبراهيم خلفا عن سلف وجيلا بعد جيل إلى أن بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم. فصل في ذكر الآثار الواردة يشغل المصلي قال سفيان لم يزل قرنا الكباش معلقين في البيت حتى احترق البيت فاحترقا وهذا دليل مستقل على أنه إسماعيل عليه الصلاة والسلام فإن الله صلى الله عليه وسلم إنني كنت رأيت قرني الكباش حين دخلت البيت فنسيت أن أمرك أن تخمرهما فخرهما فإنه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عثمان بن طلحة رضي الله عنه وقالت مرة إنها سألت عثمان لم دعاك النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: قال لي رسول ثبير. وقد قال الإمام أحمد حدثنا سفيان حدثني منصور عن خاله مسافع عن صفية بنت شيبة قالت أخبرتني امرأة من بني سليم ولدت عامة أهل دارنا أرسل

## تفسير ابن كثير

بذبح عظيم قال وعمل وقال محمد بن إسحاق عن عمرو بن عبيد عن الحسن أنه كان يقول ما فدي إسماعيل عليه السلام إلا بتيس من الأروى أهبط عليه من كتابه وفديناه بذبح عظيم والصحيح الذي عليه الأكثر أن يفدي بكبش وقال الثوري عن رجل عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى وفديناه الله عنهما كان أفتى الذي جعل عليه نذرا أن ينحر نفسه فأمره بمائة من الإبل ثم قال بعد ذلك لو كنت أفتيه بكبش لأجزأه أن يذبح كبشا فإن الله تعالى قال في والسلام جرير وقال ابن جريج قال عبيد بن عمير ذبحه بالمقام وقال مجاهد ذبحه بمنى عند المنحر. وقال هشيم عن سيار عن عكرمة عن ابن عباس رضي سعيد بن جبير أنه قال كان الكبش يرتفع في الجنة حتى شقق عنه ثبير وكان عليه عهن أحمر وعن الحسن البصري أنه قال كان اسم كبش إبراهيم عليه الصلاة إسحاق ابنه هبط عليه من ثبير كبش أعين أقرن له ثغاء فذبحه وهو الكبش الذي قرب به ابن آدم فتقبل منه فكان مخزونا حتى فدى به إسحاق وروي أيضا عن داود العطار عن ابن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الصخرة التي بمنى بأصل ثبير هي الصخرة التي ذبح عليها إبراهيم فداء سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كبش قد رعا في الجنة أربعين خريفا. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يوسف بن يعقوب الصفار حدثنا عظيم قال بكبش أبيض أعين أقرن قد ربط بسمرة قال أبو الطفيل وجده مربوطا بسمرة في ثبير وقال الثوري أيضا عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن وقوله تعالى وفديناه بذبح عظيم قال سفيان الثوري عن جابر الجعفي عن أبي الطفيل عن علي رضي الله عنه وفديناه بذبح

في تفسيره وليس إليه بمذهب ولا لازم بل هو بعيد جدا والذي استدل به محمد بن كعب القرظي على أنه إسماعيل أثبت وأصح وأقوى والله أعلم. 108 وأما القرنان اللذان كانا معلقين بالكعبة فمن الجائز أنهما نقلتا من بلاد كنعان قال وقد تقدم أن من الناس من ذهب إلى أنه ذبح إسحاق هناك هذا ما اعتمد عليه قوله تعالى وبشروه بغلام عليم وأجاب عن البشارة بيقعوب بأنه قد كان بلغ معه السعي أي العمل ومن الممكن أنه قد كان ولد له أولاد مع يعقوب أيضا قال من نسخة مغلوطة. وإنما عول ابن جرير في اختياره أن الذبيح إسحاق على قوله تعالى فبشرناه بغلام حلیم فجعل هذه البشارة هي البشارة بإسحاق في ولد عتبة بن أبي سفيان حدثنا عبد الله بن سعيد حدثنا الصنابحي قال حضرنا مجلس معاوية رضي الله عنه فتذاكر القوم إسماعيل أو إسحاق وذكره كذا كتبه رواه الأموي في مغازيه حدثنا بعض أصحابنا أخبرنا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة حدثنا عمرو بن عبد الرحمن القرشي حدثنا عبيد الله بن محمد العتبي من أحد ولده قال فخرج السهم على عبد الله فمتمعه أخواله وقالوا ادف ابنك بمائة من الإبل ففداه بمائة من الإبل والثاني إسماعيل. وهذا حديث غريب جدا وقد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له يا أمير المؤمنين وما الذبيحان؟ فقال إن عبدالمطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله إن سهل الله له أمرها عليه ليذبحن فقال على الخبر سقطتم: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل فقال يا رسول الله عد علي مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فضحك العتبي من ولد عتبة بن أبي سفيان عن أبيه حدثني عبد الله بن سعيد عن الصنابحي قال كنا عند معاوية بن أبي سفيان فذكروا الذبيح إسماعيل أو إسحاق في ذلك حديثا غريبا فقال حدثني محمد بن عمار الرازي حدثنا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة حدثنا عمر بن عبد الرحيم الخطابي عن عبيد الله بن محمد والحسن البصري ومجاهد والربيع بن أنس ومحمد بن كعب القرظي والكلبي وهو رواية عن ابن عباس وحكاها أيضا عن أبي عمرو بن العلاء وقد روى ابن جرير جعفر محمد بن علي وأبي صالح رضي الله عنهم أنهم قالوا الذبيح إسماعيل. وقال البغوي في تفسيره وإليه ذهب عبد الله بن عمر وسعيد بن المسيب والسدي والسلام قال وروي عن علي وابن عمر وأبي هريرة وأبي الطفيل وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد والشعبي ومحمد بن كعب القرظي وأبي عن الذبيح هل هو إسماعيل أو إسحاق فقال إسماعيل ذكره في كتاب الزهد وقال ابن أبي حاتم وسمعت أبي يقول الصحيح أن الذبيح إسماعيل عليه الصلاة أنه إسحاق لأن إسحاق أبوهما والله أعلم أيهما كان وكل قد كان طاهرا طيبا مطيعا لله عز وجل وقال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله سألت أبي ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذي كان من أمر الله فيه والفضل الذي ذكر الله تعالى منه لصبره لما أمر به فهم يجحدون ذلك ويزعمون عن ذلك قال محمد بن كعب وأنا عند عمر بن عبدالعزيز فقال له عمر أي ابني إبراهيم أمر بذبحه؟ فقال إسماعيل والله يا أمير المؤمنين وإن يهود لتعلم بذلك وإني لأراه كما قلت ثم أرسل إلى رجل كان عنده بالشام كان يهوديا فأسلم وحسن إسلامه وكان يرى أنه من علمائهم فسأله عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه محمد بن كعب القرظي أنه حدثهم أنه ذكر ذلك لعمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه وهو خليفة إذ كان معه بالشام فقال له عمر إن هذا لشيء ما كنت أنظر فيه وله فيه من الموعد بما وعده وما الذي أمر بذبحه إلا إسماعيل قال ابن إسحاق سمعته يقول ذلك كثيرا وقال ابن إسحاق عن بريدة بن سفيان الأسلمي عن وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين ويقول الله تعالى فبشرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب يقول بابن وابن ابن فلم يكن ليأمره بذبح إسحاق الله تعالى إبراهيم بذبحه من ابنه إسماعيل وإنما لنجد ذلك في كتاب الله تعالى وذلك أن الله تعالى حين فرغ من قصة المذبوح من ابني إبراهيم قال الله تعالى أنه كان لا يشك في ذلك أن الذي أمر بذبحه من ابني إبراهيم إسماعيل عليه السلام قال ابن إسحاق وسمعت محمد بن كعب القرظي وهو يقول إن الذي أمر الشعبي هو إسماعيل عليه الصلاة والسلام وقد رأيت قرني الكبش في الكعبة وقال محمد بن إسحاق عن الحسن بن عبيد عن الحسن البصري ثور عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال الذبيح إسماعيل وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد هو إسماعيل عليه السلام وكذا قال يوسف بن مهران وقال أخبرني عمرو بن قيس عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس أنه قال المفدى إسماعيل عليه السلام وزعمت اليهود أنه إسحاق وكذبت اليهود وقال إسرائيل عن بن مهران ومجاهد وعطاء وغير واحد عن ابن عباس رضي الله عنهما هو إسماعيل عليه الصلاة والسلام وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب المقطوع به قد تقدمت الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه إسحاق عليه الصلاة والسلام والله تعالى أعلم وقال سعيد بن جبير وعامر الشعبي ويوسف بن فضالة عن الحسن عن الأحنف عن العباس رضي الله عنه وهذا أشبه وأصح والله أعلم. ذكر الآثار الواردة بأنه إسماعيل عليه الصلاة والسلام وهو الصحيح بن جدعان منكر الحديث وقد رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن مسلم بن إبراهيم عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان به مرفوعا ثم قال قد رواه مبارك

## تفسير ابن كثير

رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ذكره قال هو إسحاق ففي إسناده ضعيفان وهما الحسن بن دينار البصري متروك وعلي بن زيد قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا زيد بن حباب عن الحسن بن دينار عن علي بن زيد بن جدعان عن الحسن بن الأخنف بن قيس عن العباس بن عبدالمطلب والزهري والسدي قال وهو إحدى الروايتين عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد ورد في ذلك حديث لو ثبت لقلنا به على الرأس والعين ولكن لم يصح سنده. بأنه إسحاق عن عمر وعلي وابن مسعود والعباس رضي الله عنهم ومن التابعين عن كعب الأحبار وسعيد بن جبيرة وقتادة ومسروق عكرمة وعطاء ومقاتل فترخص الناس في استماع ما عنده ونقلوا ما عنده عنه غتها وسميتها وليس لهذه الأمة والله أعلم حاجة إلى حرف واحد مما عنده وقد حكى البغوي القول والله أعلم كلها مأخوذة عن كعب الأحبار فإنه لما أسلم في الدولة العمرية جعل يحدث عمر رضي الله عنه عن كتبه قديما فربما استمع له عمر رضي الله عنه إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن الزهري عن أبي سفيان عن العلاء بن جارية عن أبي هريرة رضي الله عنه عن كعب الأحبار أنه قال هو إسحاق وهذه الأقوال وعثمان بن أبي حاضر والسدي والحسن وقتادة وأبو الهذيل وابن سابط وهذا اختيار ابن جرير وتقدم روايته عن كعب الأحبار أنه إسحاق وهكذا روى ابن وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبيرة ومجاهد والشعبي وعبيد بن عمير وأبو ميسرة وزيد بن أسلم وعبد الله بن شقيق والزهري والقاسم بن أبي برزة ومكحول الله. وهذا صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه وكذا روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه إسحاق وعن أبيه العباس علي بن أبي طالب مثل ذلك رضي الله عنه فقال أنا فلان بن فلان ابن الأشياخ الكرام فقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ذاك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل جاد لي بالذبح وهو بغير ذلك أجود وإن يعقوب كلما زدته بلاء زادني حسن ظن وقال شعبة عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص قال افتخر رجل عند ابن مسعود موسى عليه الصلاة والسلام يا رب يقولون بإله إبراهيم وإسحاق ويعقوب فم قالوا ذلك؟ قال: إن إبراهيم لم يعدل بي شيء قط إلا اختارني عليه وإن إسحاق سنان عن ابن أبي الهذيل أن يوسف عليه السلام قال للملك كذلك أيضا وقال سفيان الثوري عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه قال: قال الصلاة والسلام للملك في وجهه ترغب أن تأكل معي وأنا والله يوسف بن يعقوب نبي الله ابن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله وقال الثوري عن أبي عن السلف في أن الذبيح من هو ذكر من قال هو إسحاق عليه الصلاة والسلام قال حمزة الزيات عن أبي ميسرة رحمه الله قال: قال يوسف عليه قريشا توارثوا قرني الكبش الذي فدى به إبراهيم خلفا عن سلف وجيلا بعد جيل إلى أن بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم. فصل في ذكر الآثار الواردة يشغل المصلي قال سفيان لم يزل قرنا الكبش معلقين في البيت حتى احترق البيت فاحترقا وهذا دليل مستقل على أنه إسماعيل عليه الصلاة والسلام فإن الله صلى الله عليه وسلم إنني كنت رأيت قرني الكبش حين دخلت البيت فنسيت أن أمر أن تخمرهما فخرهما فإنه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عثمان بن طلحة رضي الله عنه وقالت مرة إنها سألت عثمان لم دعاك النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: قال لي رسول ثبير. وقد قال الإمام أحمد حدثنا سفيان حدثني منصور عن خاله مسافع عن صفية بنت شيبة قالت أخبرتني امرأة من بني سليم ولدت عامة أهل دارنا أرسل بذبح عظيم قال وعمل وقال محمد بن إسحاق عن عمرو بن عبيد عن الحسن أنه كان يقول ما فدي إسماعيل عليه السلام إلا بتيس من الأروى أهبط عليه من كتبه وفديناه بذبح عظيم والصحيح الذي عليه الأكثرون أنه يفدي بكبش وقال الثوري عن رجل عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى وفديناه الله عنهما كان أفنى الذي جعل عليه نذرا أن ينحر نفسه فأمره بمائة من الإبل ثم قال بعد ذلك لو كنت أفنيه بكبش لأجزأه أن يذبح كبشا فإن الله تعالى قال في والسلام جرير وقال ابن جريج قال عبيد بن عمير ذبحه بالمقام وقال مجاهد ذبحه بمنى عند المنحر. وقال هشيم عن سيار عن عكرمة عن ابن عباس رضي سعيد بن جبيرة أنه قال كان الكبش يرتفع في الجنة حتى شقق عنه ثبير وكان عليه عهن أحمر وعن الحسن البصري أنه قال كان اسم كبش إبراهيم عليه الصلاة إسحاق ابنه هبط عليه من ثبير كبش أعين أقرن له ثغاء فذبحه وهو الكبش الذي قرب ابن آدم فتقبل منه فكان مخزونا حتى فدى به إسحاق وروي أيضا عن داود العطار عن ابن خثيم عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الصخرة التي بمنى بأصل ثبير هي الصخرة التي ذبح عليها إبراهيم فداء سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كبش قد رعا في الجنة أربعين خريفا. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يوسف بن يعقوب الصفار حدثنا عظيم قال بكبش أبيض أعين أقرن قد ربط بسمرة قال أبو الطفيل وجدوه مربوطا بسمرة في ثبير وقال الثوري أيضا عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن وقوله تعالى وفديناه بذبح عظيم قال سفيان الثوري عن جابر الجعفي عن أبي الطفيل عن علي رضي الله عنه وفديناه بذبح

في تفسيره وليس إليه بمذهب ولا لازم بل هو بعيد جدا والذي استدلل به محمد بن كعب القرظي على أنه إسماعيل أثبت وأصح وأقوى والله أعلم. 109 وأما القرنان اللذان كانا معلقين بالكعبة فمن الجائر أنهما نقلتا من بلاد كنعان قال وقد تقدم أن من الناس من ذهب إلى أنه ذبح إسحاق هناك هذا ما اعتمد عليه قوله تعالى وبشروه بغلام عليم وأجاب عن البشارة ببغلام بعبقوب بأنه قد كان بلغ معه السعي أي العمل ومن الممكن أنه قد كان ولد له أولاد مع يعقوب أيضا قال من نسخة مغلوطة. وإنما عول ابن جرير في اختياره أن الذبيح إسحاق على قوله تعالى فبشرناه بغلام حليم فجعل هذه البشارة هي البشارة بإسحاق في ولد عتبة بن أبي سفيان حدثنا عبد الله بن سعيد حدثنا الصنابحي قال حضرنا مجلس معاوية رضي الله عنه فتذاكر القوم إسماعيل أو إسحاق وذكره كذا كتبه رواه الأموي في مغازيه حدثنا بعض أصحابنا أخبرنا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة حدثنا عمرو بن عبد الرحمن القرشي حدثنا عبيد الله بن محمد العتبي من أحد ولده قال فخرج السهم على عبد الله فمنعه أخواله وقالوا ادف ابنك بمائة من الإبل ففداه بمائة من الإبل والثاني إسماعيل. وهذا حديث غريب جدا وقد رسول الله صلى الله عليه وسلم فليل له يا أمير المؤمنين وما الذبيحان؟ فقال إن عبدالمطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله إن سهل الله له أمرها عليه ليذبح فقال على الخبير سقطتم: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل فقال يا رسول الله عد علي مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فضحك العتبي من ولد عتبة بن أبي سفيان عن أبيه حدثني عبد الله بن سعيد عن الصنابحي قال كنا عند معاوية بن أبي سفيان فذكروا الذبيح إسماعيل أو إسحاق

## تفسير ابن كثير

في ذلك حديثا غريبا فقال حدثني محمد بن عمار الرازي حدثنا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة حدثنا عمر بن عبد الرحيم الخطابي عن عبيد الله بن محمد والحسن البصري ومجاهد والربيع بن أنس ومحمد بن كعب القرظي والكلبي وهو رواية عن ابن عباس وحكاها أيضا عن أبي عمرو بن العلاء وقد روى ابن جرير جعفر محمد بن علي وأبي صالح رضي الله عنهم أنهم قالوا الذبيح إسماعيل. وقال البغوي في تفسيره وإليه ذهب عبد الله بن عمر وسعيد بن المسيب والسدي والسلام قال وروي عن علي وابن عمر وأبي هريرة وأبي الطفيل وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد والشعبي ومحمد بن كعب القرظي وأبي عن الذبيح هل هو إسماعيل أو إسحاق فقال إسماعيل ذكره في كتاب الزهد وقال ابن أبي حاتم وسمعت أبي يقول الصحيح أن الذبيح إسماعيل عليه الصلاة أنه إسحاق لأن إسحاق أبوهما والله أعلم أيهما كان وكل قد كان طاهرا طيبا مطيعا لله عز وجل وقال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله سألت أبي ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذي كان من أمر الله فيه والفضل الذي ذكر الله تعالى منه لصبره لما أمر به فهم يجحدون ذلك ويزعمون عن ذلك قال محمد بن كعب وأنا عند عمر بن عبدالعزيز فقال له عمر أي ابني إبراهيم أمر بذبحه؟ فقال إسماعيل والله يا أمير المؤمنين وإن يهود لتعلم بذلك وإنني لأراه كما قلت ثم أرسل إلى رجل كان عنده بالشام كان يهوديا فأسلم وحسن إسلامه وكان يرى أنه من علمائهم فسأله عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه محمد بن كعب القرظي أنه حدثهم أنه ذكر ذلك لعمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه وهو خليفة إذ كان معه بالشام فقال له عمر إن هذا لشيء ما كنت أنظر فيه وله فيه من الموعد بما وعده وما الذي أمر بذبحه إلا إسماعيل قال ابن إسحاق سمعته يقول ذلك كثيرا وقال ابن إسحاق عن بريدة بن سفيان الأسلمي عن وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين ويقول الله تعالى فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب يقول بآبنا وابن آبن فلم يكن ليأمره بذبح إسحاق الله تعالى إبراهيم بذبحه من أنبيه إسماعيل وإنا لنجد ذلك في كتاب الله تعالى وذلك أن الله تعالى حين فرغ من قصة المذبوح من ابني إبراهيم قال الله تعالى أنه كان لا يشك في ذلك أن الذي أمر بذبحه من ابني إبراهيم إسماعيل عليه السلام قال ابن إسحاق وسمعت محمد بن كعب القرظي وهو يقول إن الذي أمر الشعبي هو إسماعيل عليه الصلاة والسلام وقد رأيت قرني الكبش في الكعبة وقال محمد بن إسحاق عن الحسن بن دينار وعمرو بن عبيد عن الحسن البصري ثور عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال الذبيح إسماعيل وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد هو إسماعيل عليه السلام وكذا قال يوسف بن مهران وقال أخبرني عمرو بن قيس عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس أنه قال المفدى إسماعيل عليه السلام وزعمت اليهود أنه إسحاق وكذبت اليهود وقال إسرائيل عن بن مهران ومجاهد وعطاء وغير واحد عن ابن عباس رضي الله عنهما هو إسماعيل عليه الصلاة والسلام وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب المقطوع به قد تقدمت الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه إسحاق عليه الصلاة والسلام والله تعالى أعلم وقال سعيد بن جبير وعامر الشعبي ويوسف بن فضالة عن الحسن عن الأحنف عن العباس رضي الله عنه وهذا أشبه وأصح والله أعلم. ذكر الآثار الواردة بأنه إسماعيل عليه الصلاة والسلام وهو الصحيح بن جدهان منكر الحديث وقد رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن مسلم بن إبراهيم عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدهان به مرفوعا ثم قال قد رواه مبارك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ذكره قال هو إسحاق ففي إسناده ضعيفان وهما الحسن بن دينار البصري متروك وعلي بن زيد قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا زيد بن حباب عن الحسن بن دينار عن علي بن زيد بن جدهان عن الحسن عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبدالمطلب والزهرى والسدي قال وهو إحدى الروايتين عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد ورد في ذلك حديث لو ثبت لقلنا به على الرأس والعين ولكن لم يصح سنده. بأنه إسحاق عن عمر وعلي وابن مسعود والعباس رضي الله عنهم ومن التابعين عن كعب الأحبار وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق عكرمة وعطاء ومقاتل فترخص الناس في استماع ما عنده ونقلوا ما عنده عنه غثها وسمينها وليس لهذه الأمة والله أعلم حاجة إلى حرف واحد مما عنده وقد حكى البغوي القول والله أعلم كلها مأخوذة عن كعب الأحبار فإنه لما أسلم في الدولة العمرية جعل يحدث عمر رضي الله عنه عن كتبه قديما فربما استمع له عمر رضي الله عنه إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن الزهري عن أبي سفيان عن العلاء بن جارية عن أبي هريرة رضي الله عنه عن كعب الأحبار أنه قال هو إسحاق وهذه الأقوال وعثمان بن أبي حاضر والسدي والحسن وقتادة وأبو الهذيل وابن سابط وهذا اختيار ابن جرير وتقدم روايته عن كعب الأحبار أنه إسحاق وهكذا روى ابن وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد والشعبي وعبيد بن عمير وأبو ميسرة وزيد بن أسلم وعبد الله بن شقيق والزهرى والقاسم بن أبي برزة ومكحول الله. وهذا صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه وكذا روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه إسحاق وعن أبيه العباس علي بن أبي طالب مثل ذلك رضي الله عنه فقال أنا فلان بن فلان ابن الأشياخ الكرام فقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ذاك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل جاد لي بالذبح وهو بغير ذلك أجود وإن يعقوب كلما زدته بلاء زادني حسن ظن وقال شعبة عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص قال افتخر رجل عند ابن مسعود موسى عليه الصلاة والسلام يا رب يقولون بإله إبراهيم وإسحاق ويعقوب فبم قالوا ذلك؟ قال: إن إبراهيم لم يعدل بي شيء قط إلا اختارني عليه وإن إسحاق سنان عن ابن أبي الهذيل أن يوسف عليه السلام قال للملك كذلك أيضا وقال سفيان الثوري عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه قال: قال الصلاة والسلام للملك في وجهه ترغب أن تأكل معي وأنا والله يوسف بن يعقوب نبي الله ابن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله وقال الثوري عن أبي عن السلف في أن الذبيح من هو ذكر من قال هو إسحاق عليه الصلاة والسلام قال حمزة الزيات عن أبي ميسرة رحمه الله قال: قال يوسف عليه قريشا توارثوا قرني الكبش الذي فدى به إبراهيم خلفا عن سلف وجيلا بعد جيل إلى أن بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم. فصل في ذكر الآثار الواردة يشغل المصلي قال سفيان لم يزل قرنا الكبش معلقين في البيت حتى احترق البيت فاحترقا وهذا دليل مستقل على أنه إسماعيل عليه الصلاة والسلام فإن الله صلى الله عليه وسلم إنني كنت رأيت قرني الكبش حين دخلت البيت فنسيت أن أمرك أن تخمرهما فخرهما فإنه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عثمان بن طلحة رضي الله عنه وقالت مرة إنها سألت عثمان لم دعاك النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: قال لي رسول

## تفسير ابن كثير

ثبير. وقد قال الإمام أحمد حدثنا سفيان حدثني منصور عن خاله مسافع عن صفية بنت شيبه قالت أخبرتني امرأة من بني سليم ولدت عامة أهل دارنا أرسل بذبح عظيم قال وعمل وقال محمد بن إسحاق عن عمرو بن عبيد عن الحسن أنه كان يقول ما فدي إسماعيل عليه السلام إلا بتيس من الأروى أهبط عليه من كتابه وفديناه بذبح عظيم والصحيح الذي عليه الأكثر أنه يفدي بكبش وقال الثوري عن رجل عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى وفديناه الله عنهما كان أفتى الذي جعل عليه نذرا أن ينحر نفسه فأمره بمائة من الإبل ثم قال بعد ذلك لو كنت أفتيه بكبش لأجزأه أن يذبح كبشا فإن الله تعالى قال في والسلام جرير وقال ابن جريج قال عبيد بن عمير ذبحه بالمقام وقال مجاهد ذبحه بمنى عند المنحر. وقال هشيم عن سيار عن عكرمة عن ابن عباس رضي سعيد بن جبير أنه قال كان الكبش يرتع في الجنة حتى شقق عنه ثبير وكان عليه عهن أحمر وعن الحسن البصري أنه قال كان اسم كبش إبراهيم عليه الصلاة إسحاق ابنه هبط عليه من ثبير كبش أعين أقرن له ثغاء فذبحه وهو الكبش الذي قربه ابن آدم فتقبل منه فكان مخزونا حتى فدى به إسحاق وروي أيضا عن داود العطار عن ابن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الصخرة التي بمنى بأصل ثبير هي الصخرة التي ذبح عليها إبراهيم فداء سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كبش قد رعا في الجنة أربعين خريفا. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يوسف بن يعقوب الصفار حدثنا عظيم قال بكبش أبيض أعين أقرن قد ربط بسمرة قال أبو الطفيل وجدوه مربوطا بسمرة في ثبير وقال الثوري أيضا عن عبدالله بن عثمان بن خثيم عن وقوله تعالى وفديناه بذبح عظيم قال سفيان الثوري عن جابر الجعفي عن أبي الطفيل عن علي رضي الله عنه وفديناه بذبح

بن جبير والضحاك هو الجيد الذي يلتزق بعضه ببعض وقال ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة هو اللزج الجيد وقال قتادة هو الذي يلزق باليد. 11 والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون ثم بين أنهم خلقوا من شيء ضعيف فقال إنا خلقناهم من طين لازب قال مجاهد وسعيد أن هذه المخلوقات أشد خلقا منهم منهم وإذا كان الأمر كذلك فلم ينكروا البعث وهم يشاهدون ما هو أعظم مما أنكروا كما قال عز وجل لخلق السموات أيما أشد خلقا هم أم السموات والأرض وما بينهما من الملائكة والشياطين والمخلوقات العظيمة؟ وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه أم من عددنا فإنهم يقرون يقول تعالى: فسل هؤلاء المنكرين للبعث

في تفسيره وليس إليه بمذهب ولا لازم بل هو بعيد جدا والذي استدل به محمد بن كعب القرظي على أنه إسماعيل أثبت وأصح وأقوى والله أعلم. 110 وأما القرنان اللذان كانا معلقين بالكعبة فمن الجائر أنهما نقلتا من بلاد كنعان قال وقد تقدم أن من الناس من ذهب إلى أنه ذبح إسحاق هناك هذا ما اعتمد عليه قوله تعالى وبشروه بغلام عليم وأجاب عن البشارة ببشروا بأنه قد كان بلغ معه السعي أي العمل ومن الممكن أنه قد كان ولد له أولاد مع يعقوب أيضا قال من نسخة مغلوطة. وإنما عول ابن جرير في اختياره أن الذبيح إسحاق على قوله تعالى فبشرناه بغلام حليم فجعل هذه البشارة هي البشارة بإسحاق في ولد عتبة بن أبي سفيان حدثنا عبدالله بن سعيد حدثنا الصنابحي قال حضرنا مجلس معاوية رضي الله عنه فتذاكر القوم إسماعيل أو إسحاق وذكره كذا كتبه رواه الأموي في مغازيه حدثنا بعض أصحابنا أخبرنا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة حدثنا عمرو بن عبد الرحمن القرشي حدثنا عبيد الله بن محمد العتبي من أحد ولده قال فخرج السهم على عبدالله فمنعه أخواله وقالوا ادف ابنك بمائة من الإبل ففداه بمائة من الإبل والثاني إسماعيل. وهذا حديث غريب جدا وقد رسول الله صلى الله عليه وسلم فليل له يا أمير المؤمنين وما الذبيحان؟ فقال إن عبدالمطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله إن سهل الله له أمرها عليه ليذبحن فقال على الخبير سقطتم: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل فقال يا رسول الله عد علي مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فضحك العتبي من ولد عتبة بن أبي سفيان عن أبيه حدثني عبدالله بن سعيد عن الصنابحي قال كنا عند معاوية بن أبي سفيان فذكروا الذبيح إسماعيل أو إسحاق في ذلك حديثا غريبا فقال حدثني محمد بن عمار الرازي حدثنا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة حدثنا عمر بن عبد الرحيم الخطابي عن عبيد الله بن محمد والحسن البصري ومجاهد والربيع بن أنس ومحمد بن كعب القرظي والكلبي وهو رواية عن ابن عباس وحكاها أيضا عن أبي عمرو بن العلاء وقد روى ابن جرير جعفر محمد بن علي وأبي صالح رضي الله عنهم أنهم قالوا الذبيح إسماعيل. وقال البغوي في تفسيره وإليه ذهب عبدالله بن عمر وسعيد بن المسيب والسدي والسلام قال وروي عن علي وابن عمر وأبي هريرة وأبي الطفيل وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد والشعبي ومحمد بن كعب القرظي وأبي عن الذبيح هل هو إسماعيل أو إسحاق فقال إسماعيل ذكره في كتاب الزهد وقال ابن أبي حاتم وسمعت أبي يقول الصحيح أن الذبيح إسماعيل عليه الصلاة أنه إسحاق لأن إسحاق أبوهوم والله أعلم أيهما كان وكل قد كان طاهرا طيبا مطيعا لله عز وجل وقال عبدالله بن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله سألت أبي ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذي كان من أمر الله فيه والفضل الذي ذكر الله تعالى منه لصبره لما أمر به فهم يجحدون ذلك ويزعمون عن ذلك قال محمد بن كعب وأنا عند عمر بن عبدالعزيز فقال له عمر أي ابني إبراهيم أمر بذبحه؟ فقال إسماعيل والله يا أمير المؤمنين وإن يهود لتعلم بذلك وإنني لأراه كما قلت ثم أرسل إلى رجل كان عنده بالشام كان يهوديا فأسلم وحسن إسلامه وكان يرى أنه من علمائهم فسأله عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه محمد بن كعب القرظي أنه حدثهم أنه ذكر ذلك لعمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه وهو خليفة إذ كان معه بالشام فقال له عمر إن هذا لشيء ما كنت أنظر فيه وله فيه من الموعود بما وعده وما الذي أمر بذبحه إلا إسماعيل قال ابن إسحاق سمعته يقول ذلك كثيرا وقال ابن إسحاق عن بريدة بن سفيان الأسلمي عن وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين ويقول الله تعالى فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب يقول بابن وابن فلم يكن ليأمره بذبح إسحاق الله تعالى إبراهيم بذبحه من ابنه إسماعيل وإننا لنجد ذلك في كتاب الله تعالى وذلك أن الله تعالى حين فرغ من قصة المذبوح من ابني إبراهيم قال الله تعالى أنه كان لا يشك في ذلك أن الذي أمر بذبحه من ابني إبراهيم إسماعيل عليه السلام قال ابن إسحاق وسمعت محمد بن كعب القرظي وهو يقول إن الذي أمر الشعبي هو إسماعيل عليه الصلاة والسلام وقد رأيت قرني الكبش في الكعبة وقال محمد بن إسحاق عن الحسن بن دينار وعمرو بن عبيد عن الحسن البصري

## تفسير ابن كثير

ثور عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال الذبيح إسماعيل وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد هو إسماعيل عليه السلام وكذا قال يوسف بن مهران وقال أخبرني عمرو بن قيس عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس أنه قال المفدى إسماعيل عليه السلام وزعمت اليهود أنه إسحاق وكذبت اليهود وقال إسرائيل عن ابن مهران ومجاهد وعطاء وغير واحد عن ابن عباس رضي الله عنهما هو إسماعيل عليه الصلاة والسلام وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب المقطوع به قد تقدمت الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه إسحاق عليه الصلاة والسلام والله تعالى أعلم وقال سعيد بن جبيرة وعامر الشعبي ويوسف بن فضالة عن الحسن عن الأحنف عن العباس رضي الله عنه وهذا أشبه وأصح والله أعلم. ذكر الآثار الواردة بأنه إسماعيل عليه الصلاة والسلام وهو الصحيح بن جدعان منكر الحديث وقد رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن مسلم بن إبراهيم عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان به مرفوعا ثم قال قد رواه مبارك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ذكره قال هو إسحاق ففي إسناده ضعيفان وهما الحسن بن دينار البصري متروك وعلي بن زيد قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا زيد بن حباب عن الحسن بن دينار عن علي بن زيد بن جدعان عن الحسن عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبدالمطلب والزهرى والسدي قال وهو إحدى الروايتين عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد ورد في ذلك حديث لو ثبت لقلنا به على الرأس والعين ولكن لم يصح سنده. بأنه إسحاق عن عمر وعلي وابن مسعود والعباس رضي الله عنهم ومن التابعين عن كعب الأحبار وسعيد بن جبيرة وقتادة ومسروق عكرمة وعطاء ومقاتل فترخص الناس في استماع ما عنده ونقلوا ما عنده عنه غثها وسمينها وليس لهذه الأمة والله أعلم حاجة إلى حرف واحد مما عنده وقد حكى البغوي القول والله أعلم كلها مأخوذة عن كعب الأحبار فإنه لما أسلم في الدولة العمرية جعل يحدث عمر رضي الله عنه عن كتبه قديما فربما استمع له عمر رضي الله عنه إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن الزهري عن أبي سفيان عن العلاء بن جارية عن أبي هريرة رضي الله عنه عن كعب الأحبار أنه قال هو إسحاق وهذه الأقوال وعثمان بن أبي حاتم والسدي والحسن وقتادة وأبو الهذيل وابن سابط وهذا اختيار ابن جرير وتقدم روايته عن كعب الأحبار أنه إسحاق وهكذا روى ابن وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبيرة ومجاهد والشعبي وعبيد بن عمير وأبو ميسرة وزيد بن أسلم وعبد الله بن شقيق والزهرى والقاسم بن أبي برزة ومكحول الله. وهذا صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه وكذا روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه إسحاق وعن أبيه العباس علي بن أبي طالب مثل ذلك رضي الله عنه فقال أنا فلان بن فلان ابن الأشياخ الكرام فقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ذلك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل جاد لي بالذبح وهو بغير ذلك أجود وإن يعقوب كلما زدته بلاء زادني حسن ظن وقال شعبة عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص قال افتخر رجل عند ابن مسعود موسى عليه الصلاة والسلام يا رب يقولون بإله إبراهيم وإسحاق ويعقوب فم قالوا ذلك؟ قال: إن إبراهيم لم يعدل بي شيء قط إلا اختارني عليه وإن إسحاق سنان عن ابن أبي الهذيل أن يوسف عليه السلام قال للملك كذلك أيضا وقال سفيان الثوري عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عثمان بن طلحة رضي الله عنه وقالت مرة إنها سألت عثمان لم دعاك النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم إنني كنت رأيت قرني الكبش حين دخلت البيت فنسيت أن أمرك أن تخمرهما فخرهما فإنه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء ثبير. وقد قال الإمام أحمد حدثنا سفيان حدثني منصور عن خاله مسافع عن صفية بنت شيبة قالت أخبرتني امرأة من بني سليم ولدت عامة أهل دارنا أرسل بذبح عظيم قال وعمل وقال محمد بن إسحاق عن عمرو بن عبيد عن الحسن أنه كان يقول ما فدى إسماعيل عليه السلام إلا بتيس من الأروى أهبط عليه من كتبه وفديناه بذبح عظيم والصحيح الذي عليه الأكثر أن يفدي بكبش وقال الثوري عن رجل عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى وفديناه الله عنهما كان أفتى الذي جعل عليه نذرا أن ينحر نفسه فأمره بمائة من الإبل ثم قال بعد ذلك لو كنت أفتيه بكبش لأجزأه أن يذبح كبشا فإن الله تعالى قال في والسلام جرير وقال ابن جرير قال عبيد بن عمير ذبحه بالمقام وقال مجاهد ذبحه بمنى عند المنحر. وقال هشيم عن سيار عن عكرمة عن ابن عباس رضي سعيد بن جبيرة أنه قال كان الكبش يرتع في الجنة حتى شقق عنه ثبير وكان عليه عهن أحمر وعن الحسن البصري أنه قال كان اسم كبش إبراهيم عليه الصلاة إسحاق ابنه هبط عليه من ثبير كبش أعين أقرن له ثغاء فذبحه وهو الكبش الذي قربه ابن آدم فتقبل منه فكان مخزونا حتى فدى به إسحاق وروي أيضا عن داود العطار عن ابن خثيم عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الصخرة التي بمنى بأصل ثبير هي الصخرة التي ذبح عليها إبراهيم فداء سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كبش قد رعا في الجنة أربعين خريفا. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يوسف بن يعقوب الصفار حدثنا عظيم قال بكبش أبيض أعين أقرن قد ربط بسمرة قال أبو الطفيل وجدوه مربوطا بسمرة في ثبير وقال الثوري أيضا عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن وقوله تعالى وفديناه بذبح عظيم قال سفيان الثوري عن جابر الجعفي عن أبي الطفيل عن علي رضي الله عنه وفديناه بذبح

في تفسيره وليس إليه بمذهب ولا لازم بل هو بعيد جدا والذي استدل به محمد بن كعب القرظي على أنه إسماعيل أثبت وأصح وأقوى والله أعلم. 111 وأما القرنان اللذان كانا معلقين بالكعبة فمن الجائر أنهما نقلتا من بلاد كنعان قال وقد تقدم أن من الناس من ذهب إلى أنه ذبح إسحاق هناك هذا ما اعتمد عليه قوله تعالى وبشره بغلام عليم وأجاب عن البشارة ببغلام عليه السلام بأنه قد كان بلغ معه السعي أي العمل ومن الممكن أنه قد كان ولد له أولاد مع يعقوب أيضا قال من نسخة مغلوطة. وإنما عول ابن جرير في اختياره أن الذبيح إسحاق على قوله تعالى فبشرناه بغلام حليم فجعل هذه البشارة هي البشارة بإسحاق في

## تفسير ابن كثير

ولد عتبة بن أبي سفيان حدثنا عبد الله بن سعيد حدثنا الصنابحي قال حضرنا مجلس معاوية رضي الله عنه فتذاكر القوم إسماعيل أو إسحاق وذكره كذا كتبه رواه الأموي في مغازيه حدثنا بعض أصحابنا أخبرنا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة حدثنا عمرو بن عبد الرحمن القرشي حدثنا عبيد الله بن محمد العتبي من أحد ولده قال فخرج السهم على عبد الله فمئنه أخواله وقالوا ادف ابنك بمائة من الإبل ففداه بمائة من الإبل والثاني إسماعيل. وهذا حديث غريب جدا وقد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له يا أمير المؤمنين وما الذبيحان؟ فقال إن عبدالمطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله إن سهل الله له أمرها عليه ليذبحن فقال على الخبر سقطتم: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل فقال يا رسول الله عد علي مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فضحك العتبي من ولد عتبة بن أبي سفيان عن أبيه حدثني عبد الله بن سعيد عن الصنابحي قال كنا عند معاوية بن أبي سفيان فذكروا الذبيح إسماعيل أو إسحاق في ذلك حديثا غريبا فقال حدثني محمد بن عمار الرازي حدثنا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة حدثنا عمر بن عبد الرحيم الخطابي عن عبيد الله بن محمد والحسن البصري ومجاهد والربيع بن أنس ومحمد بن كعب القرظي والكلبي وهو رواية عن ابن عباس وحكاها أيضا عن أبي عمرو بن العلاء وقد روى ابن جرير جعفر محمد بن علي وأبي صالح رضي الله عنهم أنهم قالوا الذبيح إسماعيل. وقال البغوي في تفسيره وإليه ذهب عبد الله بن عمر وسعيد بن المسيب والسدي والسلام قال وروي عن علي وابن عمر وأبي هريرة وأبي الطفيل وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبيرة والحسن ومجاهد والشعبي ومحمد بن كعب القرظي وأبي عن الذبيح هل هو إسماعيل أو إسحاق فقال إسماعيل ذكره في كتاب الزهد وقال ابن أبي حاتم وسمعت أبي يقول الصحيح أن الذبيح إسماعيل عليه الصلاة أنه إسحاق لأن إسحاق أبوهم والله أعلم أيهما كان وكل قد كان طاهرا طيبا مطيعا لله عز وجل وقال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله سألت أبي ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذي كان من أمر الله فيه والفضل الذي ذكر الله تعالى منه لصبره لما أمر به فهم يجحدون ذلك ويزعمون عن ذلك قال محمد بن كعب وأنا عند عمر بن عبدالعزيز فقال له عمر أي ابني إبراهيم أمر بذبحه؟ فقال إسماعيل والله يا أمير المؤمنين وإن يهود لتعلم بذلك وإني لأراه كما قلت ثم أرسل إلى رجل كان عنده بالشام كان يهوديا فأسلم وحسن إسلامه وكان يرى أنه من علمائهم فسأله عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه محمد بن كعب القرظي أنه حدثهم أنه ذكر ذلك لعمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه وهو خليفة إذ كان معه بالشام فقال له عمر إن هذا لشيء ما كنت أنظر فيه وله فيه من الموعود بما وعده وما الذي أمر بذبحه إلا إسماعيل قال ابن إسحاق سمعته يقول ذلك كثيرا وقال ابن إسحاق عن بريدة بن سفيان الأسلمي عن وبشرنا بإسحاق نبيا من الصالحين ويقول الله تعالى فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب يقول بابن وابن ابن فلم يكن ليأمره بذبح إسحاق الله تعالى إبراهيم بذبحه من ابنه إسماعيل وإنما لنجد ذلك في كتاب الله تعالى وذلك أن الله تعالى حين فرغ من قصة المذبوح من ابني إبراهيم قال الله تعالى أنه كان لا يشك في ذلك أن الذي أمر بذبحه من ابني إبراهيم إسماعيل عليه السلام قال ابن إسحاق وسمعت محمد بن كعب القرظي وهو يقول إن الذي أمر الشعبي هو إسماعيل عليه الصلاة والسلام وقد رأيت قرني الكعب في الكعبة وقال محمد بن إسحاق عن الحسن بن دينار وعمرو بن عبيد عن الحسن البصري ثور عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال الذبيح إسماعيل وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد هو إسماعيل عليه السلام وكذا قال يوسف بن مهران وقال أخبرني عمرو بن قيس عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس أنه قال المفدى إسماعيل عليه السلام وزعمت اليهود أنه إسحاق وكذبت اليهود وقال إسرائيل عن بن مهران ومجاهد وعطاء وغير واحد عن ابن عباس رضي الله عنهما هو إسماعيل عليه الصلاة والسلام وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب المقطوع به قد تقدمت الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه إسحاق عليه الصلاة والسلام والله تعالى أعلم وقال سعيد بن جبيرة وعامر الشعبي ويوسف بن فضالة عن الحسن عن الأحنف عن العباس رضي الله عنه وهذا أشبه وأصح والله أعلم. ذكر الآثار الواردة بأنه إسماعيل عليه الصلاة والسلام وهو الصحيح بن جدعان منكر الحديث وقد رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن مسلم بن إبراهيم عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان به مرفوعا ثم قال قد رواه مبارك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ذكره قال هو إسحاق ففي إسناده ضعيفان وهما الحسن بن دينار البصري متروك وعلي بن زيد قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا زيد بن حباب عن الحسن بن دينار عن علي بن زيد بن جدعان عن الحسن بن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبدالمطلب والزهري والسدي قال وهو إحدى الروايتين عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد ورد في ذلك حديث لو ثبت لقلنا به على الرأس والعين ولكن لم يصح سنده. بأنه إسحاق عن عمر وعلي وابن مسعود والعباس رضي الله عنهم ومن التابعين عن كعب الأحبار وسعيد بن جبيرة وقتادة ومسروق عكرمة وعطاء ومقاتل فترخص الناس في استماع ما عنده ونقلوا ما عنده عنه غثها وسمينها وليس لهذه الأمة والله أعلم حاجة إلى حرف واحد مما عنده وقد حكى البغوي القول والله أعلم كلها مأخوذة عن كعب الأحبار فإنه لما أسلم في الدولة العمرية جعل يحدث عمر رضي الله عنه عن كتبه قديما فربما استمع له عمر رضي الله عنه إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن الزهري عن أبي سفيان عن العلاء بن جارية عن أبي هريرة رضي الله عنه عن كعب الأحبار أنه قال هو إسحاق وهذه الأقوال وعثمان بن أبي حاضر والسدي والحسن وقتادة وأبو الهذيل وابن سابط وهذا اختيار ابن جرير وتقدم روايته عن كعب الأحبار أنه إسحاق وهكذا روى ابن وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبيرة ومجاهد والشعبي وعبيد بن عمير وأبو ميسرة وزيد بن أسلم وعبد الله بن شقيق والزهري والقاسم بن أبي برزة ومكحول الله. وهذا صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه وكذا روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه إسحاق وعن أبيه العباس علي بن أبي طالب مثل ذلك رضي الله عنه فقال أنا فلان بن فلان ابن الأشياخ الكرام فقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ذاك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل جاد لي بالذبح وهو بغير ذلك أجود وإن يعقوب كلما زدته بلاء زادني حسن ظن وقال شعبة عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص قال افتخر رجل عند ابن مسعود موسى عليه الصلاة والسلام يا رب يقولون بإله إبراهيم وإسحاق ويعقوب فبم قالوا ذلك؟ قال: إن إبراهيم لم يعدل بي شيء قط إلا اختارني عليه وإن إسحاق سنان عن ابن أبي الهذيل أن يوسف عليه السلام قال للملك كذلك أيضا وقال سفيان الثوري عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه قال: قال

## تفسير ابن كثير

الصلاة والسلام للملك في وجهه ترغب أن تأكل معي وأنا والله يوسف بن يعقوب نبي الله ابن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله وقال الثوري عن أبي عن السلف في أن الذبيح من هو ذكر من قال هو إسحاق عليه الصلاة والسلام قال حمزة الزيات عن أبي ميسرة رحمه الله قال: قال يوسف عليه قريشا توارثوا قرني الكبش الذي فدى به إبراهيم خلفا عن سلف وجيلا بعد جيل إلى أن بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم. فصل في ذكر الآثار الواردة يشغل المصلي قال سفيان لم يزل قرنا الكبش معلقين في البيت حتى احترق البيت فاحترقا وهذا دليل مستقل على أنه إسماعيل عليه الصلاة والسلام فإن الله صلى الله عليه وسلم إنني كنت رأيت قرني الكبش حين دخلت البيت فنسيت أن أمر أن تخمرهما فخرهما فإنه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عثمان بن طلحة رضي الله عنه وقالت مرة إنها سألت عثمان لم دعاك النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: قال لي رسول ثبير. وقد قال الإمام أحمد حدثنا سفيان حدثني منصور عن خاله مسافع عن صفية بنت شيبة قالت أخبرتني امرأة من بني سليم ولدت عامة أهل دارنا أرسل بذبح عظيم قال وعمل وقال محمد بن إسحاق عن عمرو بن عبيد عن الحسن أنه كان يقول ما فدي إسماعيل عليه السلام إلا بتيس من الأروى أهبط عليه من كتبه وفديناه بذبح عظيم والصحيح الذي عليه الأكثر أن يفتي الله عليه بكنش وقال الثوري عن رجل عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى وفديناه الله عنهما كان أفتى الذي جعل عليه نذرا أن ينحر نفسه فأمره بمائة من الإبل ثم قال بعد ذلك لو كنت أفتيه بكنش لأجزأه أن يذبح كبشا فإن الله تعالى قال في والسلام جرير وقال ابن جريح قال عبيد بن عمير ذبحه بالمقام وقال مجاهد ذبحه بمنى عند المنحر. وقال هشيم عن سيار عن عكرمة عن ابن عباس رضي سعيد بن جبير أنه قال كان الكبش يرتفع في الجنة حتى شقق عنه ثبير وكان عليه عهن أحمر وعن الحسن البصري أنه قال كان اسم كبش إبراهيم عليه الصلاة إسحاق ابنه هبط عليه من ثبير كبش أعين أقرن له ثغاء فذبحه وهو الكبش الذي قرب ابن آدم فتقبل منه فكان مخزونا حتى فدى به إسحاق وروي أيضا عن داود العطار عن ابن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الصخرة التي بمنى أصل ثبير هي الصخرة التي ذبح عليها إبراهيم فداء سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كبش قد رعا في الجنة أربعين خريفا. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يوسف بن يعقوب الصفار حدثنا عظيم قال بكنش أبيض أعين أقرن قد ربط بسمرة قال أبو الطفيل وجدوه مربوطا بسمرة في ثبير وقال الثوري أيضا عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن وقوله تعالى وفديناه بذبح عظيم قال سفيان الثوري عن جابر الجعفي عن أبي الطفيل عن علي رضي الله عنه وفديناه بذبح

تعالى وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين قال بعدما كان من أمره لما جاد الله تعالى بنفسه وقال الله عز وجل وباركنا عليه وعلى إسحاق. 112 عن داود عن عكرمة عن ابن عباس وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين قال بشر به حين ولد وحين نبئ وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله قال إنما بشر به نبيا حين فداه الله عز وجل من الذبح ولم تكن البشارة بالنبوة عند مولده. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان الثوري قال سمعت داود يحدث عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين قال إنما بشر به نبيا من الصالحين تعالى ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا قال كان هارون أكبر من موسى ولكن أراد وهب له نبوته وحدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا المعتمر بن سليمان داود عن عكرمة قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما الذبيح إسحاق قال وقوله تعالى وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين قال بشر بنبوته قال وقوله إسحاق وقد ذكرت في سورتي هود والحجر قوله تعالى نبيا حال مقدرة أي سيصير منه نبي صالح. وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن قوله تعالى وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين لما تقدمت البشارة بالذبيح وهو إسماعيل عطف بذكر البشارة بأخيه

كقوله تعالى قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم. 113

ثم أنزل الله عز وجل على موسى الكتاب العظيم الواضح الجلي المستبين وهو التوراة كما قال تعالى ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء. 114 النساء واستعمالهم في أخس الأشياء ثم بعد هذا كله نصرهم عليهم وأقر أعينهم منهم فغلبوهم وأخذوا أرضهم وأموالهم وما كانوا جمعوه طول حياتهم أنعم به على موسى وهارون من النبوة والنجاة بمن آمن معهما من قهر فرعون وقومه وما كان يعتمد في حقهم من الإساءة العظيمة من قتل الأبناء واستحياء يذكر تعالى ما

ثم أنزل الله عز وجل على موسى الكتاب العظيم الواضح الجلي المستبين وهو التوراة كما قال تعالى ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء. 115 النساء واستعمالهم في أخس الأشياء ثم بعد هذا كله نصرهم عليهم وأقر أعينهم منهم فغلبوهم وأخذوا أرضهم وأموالهم وما كانوا جمعوه طول حياتهم أنعم به على موسى وهارون من النبوة والنجاة بمن آمن معهما من قهر فرعون وقومه وما كان يعتمد في حقهم من الإساءة العظيمة من قتل الأبناء واستحياء يذكر تعالى ما

ثم أنزل الله عز وجل على موسى الكتاب العظيم الواضح الجلي المستبين وهو التوراة كما قال تعالى ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء. 116 النساء واستعمالهم في أخس الأشياء ثم بعد هذا كله نصرهم عليهم وأقر أعينهم منهم فغلبوهم وأخذوا أرضهم وأموالهم وما كانوا جمعوه طول حياتهم أنعم به على موسى وهارون من النبوة والنجاة بمن آمن معهما من قهر فرعون وقومه وما كان يعتمد في حقهم من الإساءة العظيمة من قتل الأبناء واستحياء يذكر تعالى ما

أي في الأقوال والأفعال. 117

أي في الأقوال والأفعال. 118



## تفسیر ابن کثیر

لهما من بعدهما ذكرا جميلا وثناء حسنا ثم فسره بقوله تعالى سلام على موسى وهارون إنا كذلك نجزي المحسنين إنهما من عبادنا المؤمنين. 119 وتركنا عليهما في الآخرين أي أبقينا

موقن مصدق بما أخبر الله تعالى من الأمر العجيب وهو إعادة الأجسام بعد فنائها وهم بخلاف أمرك من شدة تكذيبهم يسخرون مما تقول لهم من ذلك. 12

وقوله عز وجل بل عجبنا ويسخرون أي بل عجبنا يا محمد من تكذيب هؤلاء المنكرين للبعث وأنت

لهما من بعدهما ذكرا جميلا وثناء حسنا ثم فسره بقوله تعالى سلام على موسى وهارون إنا كذلك نجزي المحسنين إنهما من عبادنا المؤمنين. 120 وتركنا عليهما في الآخرين أي أبقينا

لَهُمَا مِنْ بَعْدِهِمَا ذِكْرًا جَمِيلًا وَثَنَاءً حَسَنًا ثُمَّ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ 121 وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ أَيْ أَبْقَيْنَا

لهما من بعدهما ذكرا جميلا وثناء حسنا ثم فسره بقوله تعالى سلام على موسى وهارون إنا كذلك نجزي المحسنين إنهما من عبادنا المؤمنين. 122 وتركنا عليهما في الآخرين أي أبقينا

وألبسه الله تعالى النور وكساه الريش وكان يطير مع الملائكة ملكا إنسيا سماويا أرضيا هكذا حكاه وهب بن منبه عن أهل الكتاب والله أعلم بصحته. 123

قد نشأ على يديه اليسع بن أخطوب عليهما الصلاة والسلام فأمر إلياس أن يذهب إلى مكان كذا وكذا ففهما جاءه فليركبه ولا يهبه فجاءته فرس من نار فركب عنهم ووعده الإيمان به إن هم أصابهم المطر فدعا الله تعالى لهم فجاءهم الغيث فاستمروا على أختب ما كانوا عليه من الكفر فسأل الله أن يقبضه إليه وكان سواه وكان قد آمن به ملكهم ثم ارتد واستمروا على ضلالتهم ولم يؤمن به منهم أحد فدعا الله عليهم فحبس عنهم القطر ثلاث سنين ثم سألوه أن يكشف ذلك هارون بن عمران بعثه الله تعالى في بني إسرائيل بعد حزقيل رضي الله عنهما وكانوا قد عبدوا صنما يقال له بعل فدعاهم إلى الله تعالى ونهاهم عن عبادة ما بن ربيعة عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: إلياس هو إدريس وكذا قال الضحاك وقال وهب بن منبه هو إلياس بن نسي بن فنحاص بن العيزار بن قال قتادة ومحمد بن إسحاق يقال إلياس هو إدريس وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عبيدة

أبي ألا تخافون الله عز وجل في عبادتكم غيره. 124

مدينة يقال لها بعلبك غربي دمشق وقال الضحاك هو صنم كانوا يعبدونه وقوله تعالى أتعبدون بعلا أي أتعبدون صنما وتذرون أحسن الخالقين. 125  
شنوءة وقال ابن إسحاق أخبرني بعض أهل العلم أنهم كانوا يعبدون امرأة اسمها بعل وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه هو اسم صنم كان يعبده أهل  
قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة وقتادة والسدي بعلا يعني ربا قال عكرمة وقتادة وهي لغة أهل اليمن وفي رواية عن قتادة قال: وهي لغة أزد  
أي هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له. 126  
أي للعذاب يوم الحساب. 127

أى الموحيدين منهم وهذا استثناء منقطع من مثبت. 128

أي ثناء جميلا. 129

موقف مصدق بما أخبر الله تعالى من الأمر العجيب وهو إعادة الأجسام بعد فنائها وهم بخلاف أمرك من شدة تكذيبهم يسخرون مما تقول لهم من ذلك. 13 وقوله عز وجل بل عجبت ويسخرون أي بل عجبت يا محمد من تكذيب هؤلاء المنكرين للبعث وأنت

وقرأ آخرون سلام على إدراسين وهي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه آخرون سلام على آل ياسين يعني آل محمد صلى الله عليه وسلم. 130  
هذا البيت إسرائيلي ويقال ميكال وميكائيل وميكائين وإبراهيم وإبراهام وإسرائيل وإسرائيلين وطور سيناء وطور سنين وهو موضع واحد وكل هذا سائغ  
كما يقال في إسماعيل إسماعين وهي لغة بني أسد وأنشد بعض بني تميم في ضب صاده: يقول رب السوق لما جئنا

وقوله تعالى إنا كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين قد تقدم تفسيره والله تعالى أعلم. 131

وقوله تعالى إنا كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين قد تقدم تفسيره والله تعالى أعلم. 132

يُخَيِّرُ تَعَالَى عَنْ عِبْدِهِ وَرَسُولِهِ لَوْ طَرَفِي اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ يَعْثُو إِلَيْهِ قَوْمَهُ. 133

فكذبوه فنجاه الله تعالى من بين أظهرهم هو وأهله. 134

إلا امرأته فإنها هلكت مع من هلك من قومها. 135

أهلكهم بأنواع من العقوبات وجعل محلّتهم من الأرض بحيرة منتنة قبيحة المنظر والطعم والريح وجعلها بسبيل مقيم يمر بها المسافرين ليلا ونهارا. 136

فإن الله تعالى

لا يوجد تفسير لهذه الألة 137

## تفسير ابن كثير

ولهذا قال تعالى وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون أي أفلا تعتبرون بهم كيف دمر الله عليهم وتعلمون أن للكافرين أمثالها؟ 138  
الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى ونسبه إلى أمه وفي رواية إلى أبيه. 139  
قد تقدمت قصة يونس عليه الصلاة والسلام في سورة الأنبياء وفي  
عجب محمد صلى الله عليه وسلم وسخر ضلال بني آدم وإذا رأوا آية أي دلالة واضحة على ذلك يستسخرون قال مجاهد وقتادة يستهزئون. 14  
قال قتادة

قوله تعالى إذا أبق إلى الفلك المشحون قال ابن عباس رضي الله عنهما هو الموقر أي المملوء بالأمته. 140

القرعة على نبي الله يونس عليه الصلاة والسلام ثلاث مرات وهم يضمنون به أن يلقي من بينهم فتجرد من ثيابه ليلقي نفسه وهم يأبون عليه ذلك. 141  
المغلوبين وذلك أن السفينة تلعبت بها الأمواج من كل جانب وأشرفوا على الغرق فساهموا على من تقع عليه القرعة يلقي في البحر لتخف بهم السفينة فوقعت  
فساهم أي قارع فكان من المدحضين أي

ضحى ولفظه عشية والله تعالى أعلم بمقدار ذلك وفي شعر أمية بن أبي الصلت: وأنت بفضل منك نجيت يونس وقد بات في أضعاف حوت لباليا. 142  
في بطن الحوت فقبل ثلاثة أيام قاله قتادة وقيل سبعة قاله جعفر الصادق رضي الله عنه وقيل أربعين يوما قاله أبو مالك وقال مجاهد عن الشعبي: التقمه  
فإذا هو حي فقام فصلى في بطن الحوت وكان من جملة دعائه يا رب اتخذت لك مسجدا في موضع لم يبلغه أحد من الناس واختلفوا في مقدار ما لبث  
يونس عليه السلام نفسه فالتقمه الحوت وذهب به فطاف به البحار كلها. ولما استقر يونس في بطن الحوت حسب أنه قد مات ثم حرك رأسه ورجليه وأطرافه  
وأمر الله تعالى حوتا من البحر الأخضر أن يشق البحار وأن يلتقم يونس عليه السلام فلا يهشم له لحما ولا يكسر له عظما فجاء ذلك الحوت وألقى

من لبنها كل عشية وبكرة حتى نبت وقال أمية بن أبي الصلت في ذلك بيتا من شعره وهو: فأثبت يقطينا عليه برحمة من الله لولا الله ألقى ضاحيا. 143  
قال شجرة الدباء. قال أبو هريرة رضي الله عنه: وهياً الله له أروية وحشية تأكل من خشاش الأرض أو قال هشاش الأرض قال فتفتش عليه فترويه  
ابن قسيط وأنا أحدثه هذا الحديث أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: طرح بالعراء وأثبت الله عز وجل عليه اليقطينة قلنا يا أبا هريرة وما اليقطينة؟  
فتنجه في البلاء؟ قال بلى فأمر الحوت فطرحة بالعراء ورواه ابن جرير عز يونس عن ابن وهب به زاد ابن أبي حاتم قال أبو صخر حميد بن زياد فأخبرني  
رب ومن هو؟ قال عز وجل عبدي يونس قالوا عبدك يونس الذي لم يزل يرفع له عمل متقبل ودعوة مستجابة؟ قالوا يا رب أولا ترحم ما كان يصنع في الرخاء  
كنت من الظالمين فأقبلت الدعوة تحن بالعرش قالت الملائكة يا رب هذا صوت ضعيف معروف من بلاد بعيدة غريبة فقال الله تعالى أما تعرفون ذلك قالوا يا  
صلى الله عليه وسلم أن يونس النبي عليه الصلاة والسلام حين بدا له أن يدعو بهذه الكلمات وهو في بطن الحوت فقال اللهم لا إله إلا أنت سبحانك إني  
بن أخي بن وهب حدثنا عمي حدثنا أبو صخر أن يزيد الرقاشي حدثه أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه ولا أعلم أنس إلا يرفع الحديث إلى رسول الله  
أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك نجى المؤمنين قاله سعيد بن جبير وغيره. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبيد الله  
قبل ذلك وقال بعضهم كان من المسيحيين في جوف أبويه وقيل المراد فلولا أنه كان من المسيحيين هو قوله عز وجل فنادى في الظلمات أن لا إله إلا  
وسعيد بن جبير والضحاك وعطاء بن السائب والسدي والحسن وقتادة فلولا أنه كان من المسيحيين يعني المصلين وصرح بعضهم بأنه كان من المصلين  
إن شاء الله تعالى ما يدل على ذلك إن صح الخبر وفي حديث ابن عباس تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة. وقال ابن عباس رضي الله عنهما  
ما تقدم له من العمل في الرخاء قاله الضحاك بن قيس وأبو العالية ووهب بن منبه وقتادة وغير واحد واختاره ابن جرير وقد ورد في الحديث الذي سنورده  
وقوله تعالى فلولا أنه كان من المسيحيين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون قيل لولا

من لبنها كل عشية وبكرة حتى نبت وقال أمية بن أبي الصلت في ذلك بيتا من شعره وهو: فأثبت يقطينا عليه برحمة من الله لولا الله ألقى ضاحيا. 144  
قال شجرة الدباء. قال أبو هريرة رضي الله عنه: وهياً الله له أروية وحشية تأكل من خشاش الأرض أو قال هشاش الأرض قال فتفتش عليه فترويه  
ابن قسيط وأنا أحدثه هذا الحديث أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: طرح بالعراء وأثبت الله عز وجل عليه اليقطينة قلنا يا أبا هريرة وما اليقطينة؟  
فتنجه في البلاء؟ قال بلى فأمر الحوت فطرحة بالعراء ورواه ابن جرير عز يونس عن ابن وهب به زاد ابن أبي حاتم قال أبو صخر حميد بن زياد فأخبرني  
رب ومن هو؟ قال عز وجل عبدي يونس قالوا عبدك يونس الذي لم يزل يرفع له عمل متقبل ودعوة مستجابة؟ قالوا يا رب أولا ترحم ما كان يصنع في الرخاء  
كنت من الظالمين فأقبلت الدعوة تحن بالعرش قالت الملائكة يا رب هذا صوت ضعيف معروف من بلاد بعيدة غريبة فقال الله تعالى أما تعرفون ذلك قالوا يا  
صلى الله عليه وسلم أن يونس النبي عليه الصلاة والسلام حين بدا له أن يدعو بهذه الكلمات وهو في بطن الحوت فقال اللهم لا إله إلا أنت سبحانك إني  
بن أخي بن وهب حدثنا عمي حدثنا أبو صخر أن يزيد الرقاشي حدثه أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه ولا أعلم أنس إلا يرفع الحديث إلى رسول الله  
أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك نجى المؤمنين قاله سعيد بن جبير وغيره. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبيد الله  
قبل ذلك وقال بعضهم كان من المسيحيين في جوف أبويه وقيل المراد فلولا أنه كان من المسيحيين هو قوله عز وجل فنادى في الظلمات أن لا إله إلا  
وسعيد بن جبير والضحاك وعطاء بن السائب والسدي والحسن وقتادة فلولا أنه كان من المسيحيين يعني المصلين وصرح بعضهم بأنه كان من المصلين  
إن شاء الله تعالى ما يدل على ذلك إن صح الخبر وفي حديث ابن عباس تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة. وقال ابن عباس رضي الله عنهما

## تفسير ابن كثير

ما تقدم له من العمل في الرخاء قاله الضحاك بن قيس وأبو العالية ووهب بن منبه وقتادة وغير واحد واختاره ابن جرير وقد ورد في الحديث الذي سنورده وقوله تعالى فلولاً أنه كان من المسيحين للث في بطنه إلى يوم يبعثون قيل لولا

رضي الله عنه كهيئة الفرخ ليس عليه ريش وقال السدي كهيئة الطي حين يولد وهو المنفوس وقاله ابن عباس رضي الله عنهما وابن زيد أيضاً. 145  
الله عنهما وغيره وهي الأرض التي ليس بها نبت ولا بناء قيل على جانب دجلة وقيل بأرض اليمن فالله أعلم وهو سقيم أي ضعيف البدن قال ابن مسعود وقد تقدم حديث أبي هريرة رضي الله عنه مسنداً مرفوعاً في تفسير سورة الأنبياء ولهذا قال تعالى فنبداهه أي لقيناه بالعراء قال ابن عباس رضي الله عنهما  
وجودة تغذية ثمره وأنه يؤكل نيئاً ومطبوخاً وقشره أيضاً وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحب الدباء ويتبعه من نواحي الصحفة. 146  
وفي رواية عنه كل شجرة تهلك من عامها فهي من البيقطين وذكر بعضهم في القرع فوائد منها سرعة نباته وتظليل ورقه لكبره ونعومته وأنه لا يقربها الذباب وعطاء الخراساني وغير واحد قالوا كلهم البيقطين هو القرع وقال هشيم عن القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبيرة وكل شجرة لا ساق لها فهي من البيقطين قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة ووهب بن منبه وهلال بن يساف وعبدالله بن طاوس والسدي وقتادة والضحاك  
تعالى إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقوله تعالى فكان قاب قوسين أو أدنى المراد ليس أنقص من ذلك بل أزيد. 147  
عندكم يقول كذلك كانوا عندكم ولهذا سلك ابن جرير ههنا ما سلكه عند قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وقوله غريب رواه ابن أبي حاتم من حديث زهير به قال ابن جرير: وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول في ذلك معناه إلى المائة ألف أو كانوا يزيّدون ألف أو يزيّدون قال يزيّدون عشريّن ألفاً ورواه الترمذي عن علي بن حجر عن الوليد بن مسلم عن زهير عن رجل عن أبي العالية عن أبي بن كعب به وقال زهيراً يحدث عن سمع أبا العالية يقول حدثني أبي بن كعب رضي الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى وأرسلناه إلى مائة ألفاً وقال مكحول كانوا مائة ألف وعشرة آلاف رواه ابن أبي حاتم وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الرحيم البرقي حدثنا عمرو بن أبي سلمة قال سمعت عنه: بل يزيّدون وكانوا مائة وثلاثين ألفاً وعنه مائة ألف وبضعة وثلاثين ألفاً وعنه مائة ألف وبضعة وأربعين ألفاً والله أعلم وقال سعيد بن جبيرة يزيّدون سبعين وحكى البغوي أنه أرسل إلى أمة أخرى بعد خروجه من الحوت كانوا مائة ألف أو يزيّدون وقوله تعالى أو يزيّدون قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية مجاهد أرسل إليهم قبل أن يلتقمه الحوت قلت ولا مانع أن يكون الذين أرسل إليهم أولاً أمر بالعود إليهم بعد خروجه من الحوت فصدقوه كلهم وآمنوا به أنه قال إنما كانت رسالة يونس عليه الصلاة والسلام بعدما نبذ الحوت رواه ابن جرير حدثني الحارث حدثنا أبو هلال عن شهر به وقال ابن أبي نجيح عن وقوله تعالى وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيّدون روى شهر بن حوشب عن ابن عباس رضي الله عنهما

كقوله جلت عظمتهم فلولاً كانت قرية أمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين. 148  
وقوله تعالى فأمنوا أي فأمن هؤلاء القوم الذين أرسل إليهم يونس عليه السلام جميعهم فمتعناهم إلى حين أي إلى وقت آجالهم  
تعالى فاستفتهم أي سلهم على سبيل الإنكار عليهم ألبك البنات ولهم البنون كقوله عز وجل ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى. 149  
وجهه مسوداً وهو كظيم أي يسوءه ذلك ولا يختار لنفسه إلا البنين يقول عز وجل فكيف نسبوا إلى الله تعالى القسم الذي لا يختارونه لأنفسهم ولهذا قال تعالى منكراً على هؤلاء المشركين في جعلهم لله تعالى البنات سبحانه ولهم ما يشتهون أي من الذكور أي يودون لأنفسهم الجيد وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل يقول

أي إن هذا الذي جئت به إلا سحر مبين. 15

خلقهم كقوله جل وعلا وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون أي يسئلون عن ذلك يوم القيامة. 150  
أي كيف حكموا على الملائكة أنهم إناث وما شاهدوا  
بنات الله فجعلوا لله ولداً تعالى وتقدس وجعلوا ذلك الولد أنثى ثم عبدوهم من دون الله تعالى وتقدس وكل منها كاف في التخليد في نار جهنم. 151  
أي من كذبهم ليقولون ولد الله أي صدر منه الولد وإنهم لكاذبون فذكر الله تعالى عنهم في الملائكة ثلاثة أقوال في غاية الكفر والكذب فأولاً جعلوهم قوله جلت عظمتهم ألا إنهم من إفكهم  
بنات الله فجعلوا لله ولداً تعالى وتقدس وجعلوا ذلك الولد أنثى ثم عبدوهم من دون الله تعالى وتقدس وكل منها كاف في التخليد في نار جهنم. 152  
أي من كذبهم ليقولون ولد الله أي صدر منه الولد وإنهم لكاذبون فذكر الله تعالى عنهم في الملائكة ثلاثة أقوال في غاية الكفر والكذب فأولاً جعلوهم قوله جلت عظمتهم ألا إنهم من إفكهم

بالبنين واتخذ من الملائكة إناثاً إنكم لتقولون قولاً عظيماً ولهذا قال تبارك وتعالى ما لكم كيف تحكمون أي ما لكم عقول تتدبرون بها ما تقولون. 153  
قال تعالى منكراً عليهم أصطفى البنات على البنين أي شيء يحمله عن أن يختار البنات دون البنين كقوله عز وجل أفأصفاكم ربكم  
بالبنين واتخذ من الملائكة إناثاً إنكم لتقولون قولاً عظيماً ولهذا قال تبارك وتعالى ما لكم كيف تحكمون أي ما لكم عقول تتدبرون بها ما تقولون. 154  
قال تعالى منكراً عليهم أصطفى البنات على البنين أي شيء يحمله عن أن يختار البنات دون البنين كقوله عز وجل أفأصفاكم ربكم

## تفسير ابن كثير

أفلا تذكرون أم لكم سلطان مبين أي حجة على ما تقولونه؟. 155

أفلا تذكرون أم لكم سلطان مبين أي حجة على ما تقولونه؟. 156

ذلك يكون مستندا إلى كتاب منزل من السماء عن الله تعالى أنه اتخذ ما تقولونه فإن ما تقولونه لا يمكن استناده إلى عقل بل لا يجوزه العقل بالكلية. 157  
أي هاتوا برهاناً على

قوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال زعم أعداء الله أنه تبارك وتعالى هو وإبليس أخوان تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً حكاه ابن جرير. 158  
أي إن الذين قالوا ذلك لمحضرون في العذاب يوم الحساب لكذبهم في ذلك وافترائهم وقولهم الباطل بلا علم وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في  
فمن أمهاتهن؟ قالوا بنات سروات الجن وكذا قال قتادة وابن زيد ولهذا قال تبارك وتعالى ولقد علمت الجنة أي الذين نسبوا إليهم ذلك إنهم لمحضرون  
وقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال مجاهد قال المشركون الملائكة بنات الله تعالى فقال أبو بكر رضي الله عنه عنه

وقوله جلت عظمه سبحانه الله عما يصفون أي تعالى وتقدس وتنزه عن أن يكون له ولد وعما يصفه به الظالمون الملحدون علواً كبيراً. 159

يستبعدون ذلك ويكذبون به. 16

مرسل وجعل ابن جرير هذا الاستثناء من قوله تعالى إنهم لمحضرون إلا عباد الله المخلصين وفي هذا الذي قاله نظر والله سبحانه وتعالى أعلم. 160  
وهو من مثبت إلا أن يكون الضمير قوله تعالى عما يصفون عائد إلى الناس جميعهم ثم استثنى منهم المخلصين وهم المتبعون للحق المنزل على كل نبي  
استثناء منقطع

عنه من أفك أي إنما يضل به من هو مأفوك ومبطل ثم قال تبارك وتعالى منزلها للملائكة مما نسبوا إليهم من الكفر بهم والكذب عليهم أنهم بنات الله. 161  
بل هم أضل أولئك هم الغافلون فهذا الضرب من الناس هو الذي ينقاد لدين الشرك والكفر والضلالة كما قال تبارك وتعالى إنكم لفي قول مختلف يؤفك  
عليه من الضلالة والعبادة الباطلة من هو أضل منكم ممن ذرئ للنار لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام  
يقول تعالى مخاطباً للمشركين فإنكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم أي إنما ينقاد لمقالتكم وما أنتم

عنه من أفك أي إنما يضل به من هو مأفوك ومبطل ثم قال تبارك وتعالى منزلها للملائكة مما نسبوا إليهم من الكفر بهم والكذب عليهم أنهم بنات الله. 162  
بل هم أضل أولئك هم الغافلون فهذا الضرب من الناس هو الذي ينقاد لدين الشرك والكفر والضلالة كما قال تبارك وتعالى إنكم لفي قول مختلف يؤفك  
عليه من الضلالة والعبادة الباطلة من هو أضل منكم ممن ذرئ للنار لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام  
يقول تعالى مخاطباً للمشركين فإنكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم أي إنما ينقاد لمقالتكم وما أنتم

عنه من أفك أي إنما يضل به من هو مأفوك ومبطل ثم قال تبارك وتعالى منزلها للملائكة مما نسبوا إليهم من الكفر بهم والكذب عليهم أنهم بنات الله. 163  
بل هم أضل أولئك هم الغافلون فهذا الضرب من الناس هو الذي ينقاد لدين الشرك والكفر والضلالة كما قال تبارك وتعالى إنكم لفي قول مختلف يؤفك  
عليه من الضلالة والعبادة الباطلة من هو أضل منكم ممن ذرئ للنار لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام  
يقول تعالى مخاطباً للمشركين فإنكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم أي إنما ينقاد لمقالتكم وما أنتم

وكذا قال سعيد بن جبير وقال قتادة كانوا يصلون الرجال والنساء جميعاً حتى نزلت وما منا إلا له مقام معلوم فتقدم الرجال وتأخر النساء. 164  
عباس رضي الله عنه قال: إن في السماوات لسماء ما فيها موضع شبر إلا عليه جبهة ملك أو قدما ثم قرأ عبدالله رضي الله عنه وما منا إلا له مقام معلوم  
ما من السماء الدنيا موضع إلا عليه ملك ساجد أو قائم فذلك قوله تعالى وما منا إلا له مقام معلوم وقال الأعمش عن أبي إسحاق عن مسروق عن ابن  
وقال الضحاك في تفسيره وما منا إلا له مقام معلوم قال كان مسروق يروي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
تنط ليس فيها موضع قدم إلا عليه ملك راکع أو ساجد ثم قرأ صلى الله عليه وسلم وما منا إلا له مقام معلوم وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون  
بسند إلى عبد الرحمن بن العلاء بن سعد عن أبيه وكان ممن بايع يوم الفتح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوماً لجلسائه أطت السماء وحق لها أن  
أي له موضع مخصوص في السموات ومقامات العبادات لا يتجاوزها ولا يتعداه وقال ابن عساكر في ترجمته لمحمد بن خالد

رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الأرض مسجداً وتربتها طهوراً الحديث. 165  
يقول وإنا لنحن الصافون تأخر يا فلان تقدم يا فلان ثم يتقدم فيكبر رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وفي صحيح مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال  
وقال أبو نضرة كان عمر رضي الله عنه إذا أقيمت الصلاة استقبل الناس بوجهه ثم قال أقيموا صفوفكم استووا قياماً يريد الله تعالى بكم هدي الملائكة ثم  
تبارك وتعالى والصفات صفا قال ابن جريج عن الوليد بن عبدالله بن أبي مغيث قال كانوا لا يصفون في الصلاة حتى نزلت وإنا لنحن الصافون فصفوا  
أي نقف صفوفاً في الطاعة كما تقدم عند قوله

أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين. 166  
يثبتون بمكانهم من العبادة كما قال تبارك وتعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين

## تفسير ابن كثير

معلوم الملائكة وإنا لنحن الصافون الملائكة وإنا لنحن المسبحون الملائكة نسبح الله عز وجل. وقال قتادة وإنا لنحن المسبحون يعني المصلون  
فنسبح الرب ونمجده ونقدسّه وننزهه عن النقائص فنحن عبيد له فقراء إليه خاضعون لديه. وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وما منا إلا له مقام  
أي نصطف

ولهذا قال تعالى ههنا فكفروا به فسوف يعلمون وعيد أكيد وتهديد شديد على كفرهم برّبهم عز وجل وتكذيبهم رسوله صلى الله عليه وسلم. 167  
منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون  
ما زادهم إلا نفورا وقال تعالى أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين أو تقولوا لو أننا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى  
كان من أمر القرون الأولى ويأتيهم بكتاب الله كما قال جل جلاله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير  
وإن كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين لكنا عباد الله المخلصين أي قد كانوا يتمنون قبل أن تأتيهم يا محمد لو كان عندهم من يذكرهم بأمر الله وما  
قوله جل وعلا

ولهذا قال تعالى ههنا فكفروا به فسوف يعلمون وعيد أكيد وتهديد شديد على كفرهم برّبهم عز وجل وتكذيبهم رسوله صلى الله عليه وسلم. 168  
منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون  
ما زادهم إلا نفورا وقال تعالى أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين أو تقولوا لو أننا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى  
كان من أمر القرون الأولى ويأتيهم بكتاب الله كما قال جل جلاله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير  
وإن كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين لكنا عباد الله المخلصين أي قد كانوا يتمنون قبل أن تأتيهم يا محمد لو كان عندهم من يذكرهم بأمر الله وما  
قوله جل وعلا

ولهذا قال تعالى ههنا فكفروا به فسوف يعلمون وعيد أكيد وتهديد شديد على كفرهم برّبهم عز وجل وتكذيبهم رسوله صلى الله عليه وسلم. 169  
منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون  
ما زادهم إلا نفورا وقال تعالى أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين أو تقولوا لو أننا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى  
كان من أمر القرون الأولى ويأتيهم بكتاب الله كما قال جل جلاله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير  
وإن كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين لكنا عباد الله المخلصين أي قد كانوا يتمنون قبل أن تأتيهم يا محمد لو كان عندهم من يذكرهم بأمر الله وما  
قوله جل وعلا

يستبعدون ذلك ويكذبون به. 17

ولهذا قال تعالى ههنا فكفروا به فسوف يعلمون وعيد أكيد وتهديد شديد على كفرهم برّبهم عز وجل وتكذيبهم رسوله صلى الله عليه وسلم. 170  
منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون  
ما زادهم إلا نفورا وقال تعالى أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين أو تقولوا لو أننا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى  
كان من أمر القرون الأولى ويأتيهم بكتاب الله كما قال جل جلاله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير  
وإن كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين لكنا عباد الله المخلصين أي قد كانوا يتمنون قبل أن تأتيهم يا محمد لو كان عندهم من يذكرهم بأمر الله وما  
قوله جل وعلا

إنهم لهم المنصورون أي في الدنيا والآخرة كما تقدم بيان نصرتهم على قومهم ممن كذبهم وخالفهم كيف أهلك الله الكافرين ونجى عباده المؤمنين. 171  
قوي عزيز وقال عز وجل إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ولهذا قال جل جلاله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين  
سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين أي تقدم في الكتاب الأول أن العاقبة للرسول وأتباعهم في الدنيا والآخرة كما قال تعالى كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله  
يقول تبارك وتعالى ولقد

إنهم لهم المنصورون أي في الدنيا والآخرة كما تقدم بيان نصرتهم على قومهم ممن كذبهم وخالفهم كيف أهلك الله الكافرين ونجى عباده المؤمنين. 172  
قوي عزيز وقال عز وجل إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ولهذا قال جل جلاله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين  
سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين أي تقدم في الكتاب الأول أن العاقبة للرسول وأتباعهم في الدنيا والآخرة كما قال تعالى كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله  
يقول تبارك وتعالى ولقد

أي تكون لهم العاقبة. 173

على أذاهم لك وانتظر إلى وقت مؤجل فإننا سنجعل لك العاقبة والنصرة والظفر ولهذا قال بعضهم غيا ذلك إلي يوم بدر وما بعدها أيضا في معناها. 174  
أي اصبر

أي انظرهم وارقب ماذا يحل بهم من العذاب والنكال بمخالفتك وتكذيبك ولهذا قال تعالى على وجه التهديد والوعيد فسوف يبصرون. 175

## تفسير ابن كثير

لتكذيبهم وكفرهم بك فإن الله تعالى يغضب عليهم بذلك ويجعل لهم العقوبة ومع هذا أيضا كانوا من كفرهم وعنادهم يستعجلون العذاب والعقوبة. 176 أي هم إنما يستعجلون العذاب

فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم إننا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين لم يخرجوه عن هذا الوجه وهو صحيح على شرط الشيخين. 177 قال: لما صبح رسول الله صلى الله عليه وسلم خبير وقد أخذوا مساحيهم وغدوا إلى حروثهم وأرضيهم فلما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم نكصوا مدبرين مالك عن حميد عن أنس رضي الله عنه وقال الإمام أحمد حدثنا روح حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك عن أبي طلحة رضي الله عنه والله محمد والخميس فقال النبي صلى الله عليه وسلم الله أكبر خربت خيبر إننا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين ورواه البخاري من حديث بن صهيب عن أنس رضي الله عنه قال: صبح رسول الله صلى الله عليه وسلم خير فلما خرجوا بفؤوسهم ومساحيهم ورأوا الجيش رجعوا وهم يقولون محمد يعني بدارهم فساء صباح المنذرين أي فبنس ما يصبحون أي بنس الصباح صباحهم ولهذا ثبت في الصحيحين من حديث إسماعيل بن علية عن عبد العزيز أي فإذا نزل العذاب بمحلتهم فبنس ذلك اليوم يومهم بإهلاكهم ودمارهم وقال السدي فإذا نزل بساحتهم

قوله وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون تأكيد لما تقدم من الأمر بذلك والله سبحانه وتعالى أعلم. 178

قوله وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون تأكيد لما تقدم من الأمر بذلك والله سبحانه وتعالى أعلم. 179

أي حقيرون تحت القدرة العظيمة كما قال تبارك وتعالى وكل أتوه داخرين وقال إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين. 18

أي قل لهم يا محمد نعم تبعثون يوم القيامة بعدما تصيرون ترابا وعظاما وأنتم داخرون

قولهم علوا كبيرا ولهذا قال تبارك وتعالى سبحان ربك رب العزة أي ذي العزة التي لا ترام عما يصفون أي عن قول هؤلاء المعتدين المفتريين. 180 ينزه تبارك وتعالى نفسه ويقدسها ويبرئها عما يقول الظالمون المكدبون المعتدون تعالى وتنزه وتقدس عن

أي سلام الله عليهم في الدنيا والآخرة لسلامة ما قالوه في ربهم وصحته وحقيقته. 181

أحاديث في كفارة المجلس: سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك. وقد أفردت لها جزءا على حدة والله سبحانه وتعالى أعلم. 182 دبر كل صلاة سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ثلاث مرات فقد اكتال بالجريب الأوفى من الأجر وقد وردت رب العالمين وروى الطبراني من طريق عبد الله بن صخر بن أنس عن عبد الله بن زيد بن أرقم عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من قال من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه في مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله جعفر بن حمدان حدثنا إبراهيم بن سهلويه حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا وكيع عن ثابت بن أبي صفية عن الأصبغ بن نباتة عن علي رضي الله عنه قال: رضي الله عنه قال أبو محمد البغوي في تفسيره أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني ابن منجويه حدثنا أحمد بن مجلسه حين يريد أن يقوم سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وروي من وجه آخر متصل موقوف على علي شابة عن يونس بن أبي إسحاق عن الشعبي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليقل آخر ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ثم يسلم إسناده ضعيف وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمار بن خالد الواسطي حدثنا حدثنا محمد بن أبي بكر حدثنا نوح حدثنا أبو هارون عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا أراد أن يسلم قال سبحان أنس بن مالك عن أبي طلحة رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلمت علي فسلموا على المرسلين وقال الحافظ أبو يعلى الله فقال حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا أبو بكر الأعيان ومحمد بن عبد الرحيم صاعقة قال حدثنا حسين بن محمد حدثنا شيبان عن قتادة قال حدثنا سلمت علي فسلموا على المرسلين فأن رسول من المرسلين هكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث سعيد عنه كذلك وقد أسنده ابن أبي حاتم رحمه ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا يدل على إثبات صفات الكمال مطابقة ويستلزم التنزيه من النقص قرن بينهما في هذا الموضع وفي مواضع كثيرة من القرآن ولهذا قال تبارك وتعالى سبحان أي له الحمد في الأولى والآخرة في كل حال ولما كان التسبيح يتضمن التنزيه والتبرئة من النقص بدلالة المطابقة ويستلزم إثبات الكمال كما أن الحمد هو أمر واحد من الله عز وجل يدعوهم دعوة واحدة أن يخرجوا من الأرض فإذا هم قيام بين يديه ينظرون إلى أهوال يوم القيامة والله تعالى أعلم. 19 قال جلست عظمتها فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم ينظرون أي فإنما

هي الملائكة. 2

عنه الأول كما رواه مجاهد وسعيد بن جببر عنه أزواجهم قرناءهم وما كانوا يعبدون من دون الله أي من الأصنام والأنداد تحشر معهم في أماتهم. 20 الربا مع أصحاب الربا وأصحاب الخمر مع أصحاب الخمر وقال خفيف عن مقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما أزواجهم نساءهم وهذا غريب والمعروف شريك عن سماك عن النعمان قال: سمعت عمر يقول احشروا الذين ظلموا وأزواجهم قال أشباههم قال يجيء أصحاب الزنا مع أصحاب الزنا وأصحاب وزيد بن أسلم وقال سفيان الثوري عن سماك عن النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه احشروا الذين ظلموا وأزواجهم قال إخوانهم. وقال قال النعمان بن بشير رضي الله عنه يعني بأزواجهم أشباههم وأمثالهم وكذا قال ابن عباس وسعيد بن جببر وعكرمة ومجاهد والسدي وأبو صالح وأبو العالية

## تفسير ابن كثير

والتوبيخ ويأمر الله تعالى الملائكة أن تميز الكفار من المؤمنين في الموقف في محشرهم ومنشرهم ولهذا قال تعالى احشروا الذين ظلموا وأزواجهم لا ينفعهم الندم وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين فتقول لهم الملائكة والمؤمنون هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون وهذا يقال لهم على وجه التقريع الكفار يوم القيامة أنهم يرجعون على أنفسهم بالملامة ويعترفون بأنهم كانوا ظالمين لأنفسهم في الدار الدنيا فإذا عاينوا أهوال القيامة ندموا كل الندم حيث يخبر تعالى عن قيل

عنه الأول كما رواه مجاهد وسعيد بن جببر عنه أزواجهم قرناءهم وما كانوا يعبدون من دون الله أي من الأصنام والأنداد تحشر معهم في أمانتهم. 21 الربا مع أصحاب الربا وأصحاب الخمر مع أصحاب الخمر وقال خفيف عن مقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما أزواجهم نساءهم وهذا غريب والمعروف شريك عن سماك عن النعمان قال: سمعت عمر يقول احشروا الذين ظلموا وأزواجهم قال أشباههم قال يجيء أصحاب الزنا مع أصحاب الزنا وأصحاب وزيد بن أسلم وقال سفيان الثوري عن سماك عن النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه احشروا الذين ظلموا وأزواجهم قال إخوانهم. وقال قال النعمان بن بشير رضي الله عنه يعني بأزواجهم أشباههم وأمثالهم وكذا قال ابن عباس وسعيد بن جببر وعكرمة ومجاهد والسدي وأبو صالح وأبو العالية والتوبيخ ويأمر الله تعالى الملائكة أن تميز الكفار من المؤمنين في الموقف في محشرهم ومنشرهم ولهذا قال تعالى احشروا الذين ظلموا وأزواجهم لا ينفعهم الندم وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين فتقول لهم الملائكة والمؤمنون هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون وهذا يقال لهم على وجه التقريع الكفار يوم القيامة أنهم يرجعون على أنفسهم بالملامة ويعترفون بأنهم كانوا ظالمين لأنفسهم في الدار الدنيا فإذا عاينوا أهوال القيامة ندموا كل الندم حيث يخبر تعالى عن قيل

عنه الأول كما رواه مجاهد وسعيد بن جببر عنه أزواجهم قرناءهم وما كانوا يعبدون من دون الله أي من الأصنام والأنداد تحشر معهم في أمانتهم. 22 الربا مع أصحاب الربا وأصحاب الخمر مع أصحاب الخمر وقال خفيف عن مقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما أزواجهم نساءهم وهذا غريب والمعروف شريك عن سماك عن النعمان قال: سمعت عمر يقول احشروا الذين ظلموا وأزواجهم قال أشباههم قال يجيء أصحاب الزنا مع أصحاب الزنا وأصحاب وزيد بن أسلم وقال سفيان الثوري عن سماك عن النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه احشروا الذين ظلموا وأزواجهم قال إخوانهم. وقال قال النعمان بن بشير رضي الله عنه يعني بأزواجهم أشباههم وأمثالهم وكذا قال ابن عباس وسعيد بن جببر وعكرمة ومجاهد والسدي وأبو صالح وأبو العالية والتوبيخ ويأمر الله تعالى الملائكة أن تميز الكفار من المؤمنين في الموقف في محشرهم ومنشرهم ولهذا قال تعالى احشروا الذين ظلموا وأزواجهم لا ينفعهم الندم وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين فتقول لهم الملائكة والمؤمنون هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون وهذا يقال لهم على وجه التقريع الكفار يوم القيامة أنهم يرجعون على أنفسهم بالملامة ويعترفون بأنهم كانوا ظالمين لأنفسهم في الدار الدنيا فإذا عاينوا أهوال القيامة ندموا كل الندم حيث يخبر تعالى عن قيل

أي أرشدوهم إلى طريق جهنم وهذا كقوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما ماؤاهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا. 23 وقوله تعالى فاهدوهم إلى صراط الجحيم

ورواه الترمذي من حديث ليث بن أبي سليم ورواه ابن جرير عن يعقوب بن إبراهيم عن معتمر عن ليث عن رجل عن أنس رضي الله عنه مرفوعا. 24 صلى الله عليه وسلم أيما داع دعا إلى شيء كان موقوفا معه إلى يوم القيامة لا يفارقه وإن دعا رجلا ثم قرأ وقفوهم إنهم مسئولون وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا النفيلى حدثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت ليثا يحدث عن بشير عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله أي قفوههم حتى يسئلوا عن أعمالهم وأقوالهم التي صدرت عنهم في الدار الدنيا كما قال الضحاك عن ابن عباس يعني احبسوهم إنهم محاسبون.

بن زائدة يقول إن أول ما يسئل عنه الرجل جلساؤه ثم يقال لهم على سبيل التقريع والتوبيخ ما لكم لا تناصرون أي كما زعمتم أنكم جميع منتصر. 25 وقال عبدالله بن المبارك سمعت عثمان

أي منقادون لأمر الله لا يخالفونه ولا يحدون عنه والله أعلم. 26

به وقال يزيد الرشك من قبل لا إله إلا الله وقال خفيف يعنون من قبل ميامنهم وقال عكرمة إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين قال من حيث نأمنكم. 27 اليمين أي والله يأتيه عند كل خير يريد فيصده عنه وقال ابن زيد معناه تحولون بيننا وبين الخير وردتمونا عن الإسلام والإيمان والعمل بالخير الذي أمرنا الخير فتنهونا عنه وتبطنونا عنه وقال السدي تأتوننا من قبل الحق وتزينوا لنا الباطل وتصدونا عن الحق وقال الحسن في قوله تعالى إنكم كنتم تأتوننا عن علينا لأننا كنا أذلاء وكنتم أعزاء وقال مجاهد يعني عن الحق والكفار تقول للشياطين وقال قتادة قالت الإنس للجن إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين قال من قبل كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون وهكذا قالوا لهم ههنا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين قال الضحاك عن ابن عباس يقولون كنتم تقهرونا بالقدرة منكم الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكانا مؤمنين قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صدناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين وقال النار قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد وقال تعالى ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول تعالى أن الكفار يتلاومون في عرصات القيامة كما يتخاصمون في دركات النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من

به وقال يزيد الرشك من قبل لا إله إلا الله وقال خفيف يعنون من قبل ميامنهم وقال عكرمة إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين قال من حيث أنتمكم. 28  
اليمين أي والله يأتيه عند كل خير يريد به فيصده عنه وقال ابن زيد معناه تحولون بيننا وبين الخير ورددتونا عن الإسلام والإيمان والعمل بالخير الذي أمرنا  
الخير فتنهونا عنه وتبطئونا عنه وقال السدي تأتوننا من قبل الحق وتزينوا لنا الباطل وتصدونا عن الحق وقال الحسن في قوله تعالى إنكم كنتم تأتوننا عن  
علينا لأننا كنا أذلاء وكنتم أعرافا وقال مجاهد يعني عن الحق والكفار تقولون للشياطين وقال قتادة قالت الإنس للجن إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين قال من قبل  
كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون وهكذا قالوا لهم ههنا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين قال الضحاك عن ابن عباس يقولون كنتم تقهروننا بالقدرة منكم  
الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين  
الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكانا مؤمنين قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صدناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين وقال  
النار قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد وقال تعالى ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول  
تعالى أن الكفار يتلادون في عرصات القيامة كما يتخاصمون في دركات النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من  
يذكر

تقول القادة من الجن والإنس للأتباع ما الأمر كما تزعمون بل كانت قلوبكم منكرا للإيمان قابلة للكفر والعصيان. 29

اسلم فالتاليات ذكرا قال السدي الملائكة يجيئون بالكتاب والقرآن من عند الله إلى الناس وهذه الآية كقوله تعالى فالمليكات ذكرا عذرا أو نذرا. 3  
قوله تعالى فالزاجرات زجرا أنها تزجر السحاب. وقال الربيع بن أنس فالزاجرات زجرا ما زجر الله تعالى عنه في القرآن وكذا روى مالك عن زيد بن  
عند ربهم؟ قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربهم؟ قال صلى الله عليه وسلم يتمون الصفوف المتقدمة ويتراصون في الصف وقال السدي وغيره معنى  
الأعمش عن المسيب بن رافع عن تميم بن طرفة عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تصفون كما تصف الملائكة  
كصفوف الملائكة وجعلت لنا الأرض كلها مسجدا وجعل لنا ترابها طهورا إذا لم نجد الماء وقد روى مسلم أيضا وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث  
بن فضيل عن أبي مالك الأشجعي عن ربعي عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس بثلاث: جعلت صفوفنا  
وسعيد بن جبيرة وعكرمة ومجاهد والسدي وقاتدة والربيع بن أنس قال قتادة الملائكة صفوف في السماء. وقال مسلم حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا محمد  
هي الملائكة وكذا قال ابن عباس رضي الله عنهما ومسروق

كان فيكم طغيان ومجاوزة للحق فهذا استجبتم لنا وتركتم الحق الذي جاءكم به الأنبياء وأقاموا لكم الحجج على صحة ما جاءكم به فخالفتموهم. 30  
وما كان لنا عليكم من سلطان أي من حجة على صحة ما دعوناكم إليه بل كنتم قوما طاغين أي بل

الله إنا من الأشقياء الذائقين للعذاب يوم القيامة فأغويناكم أي دعوناكم إلى الضلالة إنا كنا غاوين أي فدعوناكم إلى ما نحن فيه فاستجبتم لنا. 31  
يقول الكبراء للمستضعفين حققت علينا كلمة

الله إنا من الأشقياء الذائقين للعذاب يوم القيامة فأغويناكم أي دعوناكم إلى الضلالة إنا كنا غاوين أي فدعوناكم إلى ما نحن فيه فاستجبتم لنا. 32  
يقول الكبراء للمستضعفين حققت علينا كلمة

قال الله تبارك وتعالى فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون أي الجميع في النار كل بحسبه. 33

رأيتموه؟ فيقولون نعم فيقال لهم فكيف تعرفونه ولم تروه؟ فيقولون نعم أنه لا عدل له قال فيتعرف لهم تبارك وتعالى وتقدس وينجي الله المؤمنين. 34  
قال أبو نضرة فينطلقون أسرع من الطير قال أبو العلاء ثم يؤتى بالمسلمين فيقال لهم ما كنتم تعبدون؟ فيقولون كنا نعبد الله تعالى فيقال لهم هل تعرفونه إذا  
يؤتى بالمشركين فيقال لهم لا إله إلا الله فيستكبرون ثم يقال لهم لا إله إلا الله فيستكبرون ثم يقال لهم لا إله إلا الله فيستكبرون فيقال لهم خذوا ذات الشمال.  
نعبد الله وعزيرا فيقال لهم خذوا ذات الشمال ثم يؤتى بالنصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون؟ فيقولون نعبد الله والمسيح فيقال لهم خذوا ذات الشمال ثم  
أبي حدثنا أبو سلمة موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن سعيد الجريري عن أبي العلاء قال: يؤتى باليهود يوم القيامة فيقال لهم ما كنتم تعبدون؟ فيقولون  
وجل وأنزل الله تعالى في كتابه العزيز وذكر قوما استكبروا فقال تعالى إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون. وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا  
الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله عز  
بن وهب حدثنا عمي حدثنا الليث عن ابن مسافر يعني عبد الرحمن بن خالد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول  
كانوا أي في الدار الدنيا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون أي يستكبرون أن يقولوها كما يقولها المؤمنون. قال ابن أبي حاتم حدثنا عبيد الله بن أخي  
إنا كذلك نفعل بالمجرمين إنهم

رأيتموه؟ فيقولون نعم فيقال لهم فكيف تعرفونه ولم تروه؟ فيقولون نعم أنه لا عدل له قال فيتعرف لهم تبارك وتعالى وتقدس وينجي الله المؤمنين. 35  
قال أبو نضرة فينطلقون أسرع من الطير قال أبو العلاء ثم يؤتى بالمسلمين فيقال لهم ما كنتم تعبدون؟ فيقولون كنا نعبد الله تعالى فيقال لهم هل تعرفونه إذا  
يؤتى بالمشركين فيقال لهم لا إله إلا الله فيستكبرون ثم يقال لهم لا إله إلا الله فيستكبرون ثم يقال لهم لا إله إلا الله فيستكبرون فيقال لهم خذوا ذات الشمال.



## تفسير ابن كثير

نعبد الله وعزيرا فيقال لهم خذوا ذات الشمال ثم يؤتى بالنصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون؟ فيقولون نعبد الله والمسيح فيقال لهم خذوا ذات الشمال ثم أبي حدثنا أبو سلمة موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن سعيد الجريري عن أبي العلاء قال: يؤتى باليهود يوم القيامة فيقال لهم ما كنتم تعبدون؟ فيقولون وجل وأنزل الله تعالى في كتابه العزيز وذكر قوما استكبروا فقال تعالى إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون. وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله عز بن وهب حدثنا عمي حدثنا الليث عن ابن مسافر يعني عبدالرحمن بن خالد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول كانوا أي في الدار الدنيا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون أي يستكبرون أن يقولوها كما يقولها المؤمنون. قال ابن أبي حاتم حدثنا عبيد الله بن أخي إنا كذلك نفعل بالمجرمين إنهم

أي نحن نترك عبادة آلهتنا وآلهة آبائنا عن قول هذا الشاعر المجنون يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم. 36

عنه من الصفات الحميدة والمناهج السديدة وأخبر عن الله تعالى في شرعه وأمره كما أخبروا ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك الآية. 37 جاء بالحق يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق في جميع شرعة الله تعالى له من الأخبار والطلب وصدق المرسلين أي صدقهم فيما أخبروا قال الله تعالى تكذبا لهم وردا عليهم بل

بل يتجاوز عن سيئاتهم إن كان لهم سيئات ويجزون الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة إلى ما يشاء الله تعالى من التضعيف. 38 نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين ولهذا قال جل وعلا ههنا إلا عباد الله المخلصين أي ليسوا يذوقون العذاب الأليم ولا يناقشون في الحساب الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقال تعالى وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وقال تعالى كل قال تعالى والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقال عز وجل لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا يقول تعالى مخاطبا للناس إنكم لذائقو العذاب الأليم وما تجزون إلا ما كنتم تعملون ثم استثنى من ذلك عباده المخلصين كما

بل يتجاوز عن سيئاتهم إن كان لهم سيئات ويجزون الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة إلى ما يشاء الله تعالى من التضعيف. 39 نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين ولهذا قال جل وعلا ههنا إلا عباد الله المخلصين أي ليسوا يذوقون العذاب الأليم ولا يناقشون في الحساب الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقال تعالى وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وقال تعالى كل قال تعالى والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقال عز وجل لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا يقول تعالى مخاطبا للناس إنكم لذائقو العذاب الأليم وما تجزون إلا ما كنتم تعملون ثم استثنى من ذلك عباده المخلصين كما

أقسم رب المشارق والمغارب إنا لقادرون وقال تعالى في الآية الأخرى رب المشرقين ورب المغربين يعني في الشتاء والصيف للشمس والقمر. 4 فيه من كواكب ثوابت وسيارات تبدو من المشرق وتغرب من المغرب واكتفى بذكر المشارق عن المغارب لدلالاتها عليه وقد صرح بذلك في قوله عز وجل فلا المقسم عليه أنه تعالى لا إله إلا هو رب السموات والأرض وما بينهما أي من المخلوقات ورب المشارق أي هو المالك المتصرف في الخلق بتسخيره بما وقوله عز وجل إن إلهكم لواحد رب السموات والأرض هذا هو

بل يتجاوز عن سيئاتهم إن كان لهم سيئات ويجزون الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة إلى ما يشاء الله تعالى من التضعيف. 40 نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين ولهذا قال جل وعلا ههنا إلا عباد الله المخلصين أي ليسوا يذوقون العذاب الأليم ولا يناقشون في الحساب الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقال تعالى وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وقال تعالى كل قال تعالى والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقال عز وجل لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا يقول تعالى مخاطبا للناس إنكم لذائقو العذاب الأليم وما تجزون إلا ما كنتم تعملون ثم استثنى من ذلك عباده المخلصين كما

أولئك لهم رزق معلوم قال قتادة والسدي يعني الجنة ثم فسر بقوله تعالى فواكه أي متنوعة وهم مكرمون أي يخدمون ويرفهون وينعمون. 41 قوله جل وعلا

أولئك لهم رزق معلوم قال قتادة والسدي يعني الجنة ثم فسر بقوله تعالى فواكه أي متنوعة وهم مكرمون أي يخدمون ويرفهون وينعمون. 42 قوله جل وعلا

أوفى رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية على سرر متقابلين ينظر بعضهم إلى بعض حديث غريب. 43 يحيى بن عبدك القزويني حدثنا حسان بن حسان حدثنا إبراهيم بن بشر حدثنا يحيى بن معين حدثنا إبراهيم القرشي عن سعيد بن شرحبيل عن زيد بن أبي قال مجاهد لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض وقال ابن أبي حاتم حدثنا

أوفى رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية على سرر متقابلين ينظر بعضهم إلى بعض حديث غريب. 44 يحيى بن عبدك القزويني حدثنا حسان بن حسان حدثنا إبراهيم بن بشر حدثنا يحيى بن معين حدثنا إبراهيم القرشي عن سعيد بن شرحبيل عن زيد بن أبي قال مجاهد لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض وقال ابن أبي حاتم حدثنا

## تفسير ابن كثير

45. مما ينفر الطبع السليم وقوله عز وجل لذة للشاربين أي طعمها طيب كلونها وطيب الطعم دليل على طيب الريح بخلاف خمر الدنيا في جميع ذلك. 45  
عن زيد بن أسلم: خمر جارية بيضاء أي لونها مشرق حسن بهي لا كخمر الدنيا في منظرها البشع الرديء من حمرة أو سواد أو اصفرار أو كدورة إلى غير ذلك  
البطن وهو الغول وذهابها بالعقل جملة فقال تعالى ههنا يطاف عليهم بكأس من معين أي بخمر من أنهار جارية لا يخافون انقطاعها ولا فراغها قال مالك  
بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون نزه الله سبحانه وتعالى خمر الجنة عن الآفات التي في خمر الدنيا من صداع الرأس ووجع  
يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون كما قال عز وجل في الآية الأخرى يطوف عليهم ولدان مخلدون  
قوله تعالى

46. مما ينفر الطبع السليم وقوله عز وجل لذة للشاربين أي طعمها طيب كلونها وطيب الطعم دليل على طيب الريح بخلاف خمر الدنيا في جميع ذلك. 46  
عن زيد بن أسلم: خمر جارية بيضاء أي لونها مشرق حسن بهي لا كخمر الدنيا في منظرها البشع الرديء من حمرة أو سواد أو اصفرار أو كدورة إلى غير ذلك  
البطن وهو الغول وذهابها بالعقل جملة فقال تعالى ههنا يطاف عليهم بكأس من معين أي بخمر من أنهار جارية لا يخافون انقطاعها ولا فراغها قال مالك  
بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون نزه الله سبحانه وتعالى خمر الجنة عن الآفات التي في خمر الدنيا من صداع الرأس ووجع  
يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون كما قال عز وجل في الآية الأخرى يطوف عليهم ولدان مخلدون  
قوله تعالى

وغيرهم وقال الضحاك عن ابن عباس في الخمر أربع خصال السكر والصداع والقيء والبول فذكر الله تعالى خمر الجنة فنزهها عن هذه الخصال. 47  
وقوله تعالى ولا هم عنها ينزفون قال مجاهد لا تذهب عقولهم وكذا قال ابن عباس ومحمد بن كعب والحسن وعطاء بن أبي مسلم الخراساني والسدي  
تغتال عقولهم كما قال الشاعر: فمنا زالت الكأس تغتالنا وتذهب بالأول وقال سعيد بن جبير لا مكروه فيها ولا أذى والصحيح قول مجاهد أنه وجع البطن  
لكثرة ما نيتها وقيل المراد بالغول ههنا صداع الرأس وروي هكذا عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال قتادة هو صداع الرأس ووجع البطن وعنه وعن السدي لا  
لا فيها غول يعني لا تؤثر فيهم عولا وهو وجع البطن قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة وابن زيد كما تفعله خمر الدنيا من القولنج ونحوه  
وقوله تعالى

نفسه فاستعصم أي هو مع هذا الجمال عفيف تقى نقي وهكذا الحور العين خيرات حسان ولهذا قال عز وجل وعندهم قاصرات الطرف عين. 48  
حين جملته وأخرجته على تلك النسوة فأعظمته وأكبرته وظنن أنه ملك من الملائكة لحسنه وبهاء منظره قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن  
أي حسان الأعين وقيل ضخام الأعين وهو يرجع إلى الأول وهي النجلاء العيناء فوصف عيونهن بالحسن والعفة كقول زليخا في يوسف عليه الصلاة والسلام  
أي عفيفات لا ينظرن إلى غير أزواجهن كذا قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وزيد بن أسلم وقتادة والسدي وغيرهم. وقوله تبارك وتعالى عين  
قوله تعالى وعندهم قاصرات الطرف

يومئذ بيدي وأنا أكرم ولد آدم على الله عز وجل ولا فخر يطوف علي ألف خادم كأنهن البيض المكنون أو اللؤلؤ المكنون والله تعالى أعلم بالصواب. 49  
قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا وأنا خطيئهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا حزنوا وأنا شفيعهم إذا حبسوا لواء الحمد  
تلي القشر وهي الغرقى. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو غسان النهدي حدثنا عبد السلام بن حرب عن ليث عن الربيع بن أنس عن أنس رضي الله عنه  
بمنزلة جناح النسر قلت يا رسول الله أخبرني عن قول الله عز وجل كأنهن بيض مكنون قال رقتهن كرقعة الجلد التي رأسها في داخل البيضة التي  
عن الحسن عن أمه عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله أخبرني عن قول الله عز وجل حور عين قال العين الضخام العيون شفر الحوراء  
والله أعلم. وقال ابن جرير حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب حدثنا محمد بن الفرخ الصدفي الدمياني عن عمرو بن هاشم عن ابن أبي كريمة عن هشام  
مكنون يقول بياض البيض حين ينزع قشرته واختاره ابن جرير لقوله مكنون قال والقشرة العليا يمسها جناح الطير والعش وتناولها الأيدي بخلاف داخلها  
بن جبير كأنهن بيض مكنون يعني بطن البيض وقال عطاء الخراساني هو السحاء الذي يكون بين قشرته العليا ولباب البيضة وقال السدي كأنهن بيض  
لؤلؤة الغواص ميزت من جوهر مكنون وقال الحسن كأنهن بيض مكنون يعني محصون لم تمسه الأيدي وقال السدي البيض في عشه مكنون وقال سعيد  
طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما كأنهن بيض مكنون يقول اللؤلؤ المكنون وينشد ههنا بيت أبي دهل الشاعر وهو قوله في قصيدة له وهي زهراء مثل  
وقوله جل جلاله كأنهن بيض مكنون وصفهن بترافة الأبدان بأحسن الألوان قال علي بن أبي

أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون وقال تعالى في الآية الأخرى رب المشرقين ورب المغربين يعني في الشتاء والصيف للشمس والقمر. 5  
فيه من كواكب ثوابت وسيارات تبدو من المشرق وتغرب من المغرب واكتفى بذكر المشارق عن المغارب لدلالاتها عليه وقد صرح بذلك في قوله عز وجل فلا  
المقسم عليه أنه تعالى لا إله إلا هو رب السموات والأرض وما بينهما أي من المخلوقات ورب المشارق أي هو المالك المتصرف في الخلق بتسخيره بما  
وقوله عز وجل إن إلهكم لواحد رب السموات والأرض هذا هو

والخدم بين أيديهم يسعون ويجنيون بكل خير عظيم من مأكول ومشروب وملابس وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. 50  
وكيف كانوا في الدنيا وماذا كانوا يعانون فيها وذلك من حديثهم على شرايبهم واجتماعهم في تنادهم ومعاشرتهم في مجالسهم وهم جلوس على السرر

## تفسير ابن كثير

يخير تعالى عن أهل الجنة أنه أقبل بعضهم على بعض يتساءلون أي عن أحوالهم

زخرف القول غرورا وكل منهما يوسوس كما قال الله عز وجل من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس. 51  
فإن الشيطان يكون من الجن فيوسوس في النفس ويكون من الإنس فيقول كلاما تسمعه الأذنان وكلاهما يتعاونان قال الله تعالى يوحى بعضهم إلى بعض  
العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما هو الرجل المشرك يكون له صاحب من أهل الإيمان في الدنيا ولا تنافي بين كلام مجاهد وابن عباس رضي الله عنهما  
قال مجاهد يعني شيطاننا وقال

أي أنت تصدق بالبعث والنشور والحساب والجزاء يعني يقول ذلك على وجه التعجب والتكذيب والاستبعاد والكفر والعناد. 52

قال مجاهد والسدي لمحاسبون وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومحمد بن كعب القرظي لمجزيون بأعمالنا وكلاهما صحيح. 53

أي مشرفون يقول المؤمن لأصحابه وجلسائه من أهل الجنة. 54

اطلع فرأى جماجم القوم تغلي وذكر لنا أن كعب الأخبار قال في الجنة كوى إذا أراد أحد من أهلها أن ينظر إلى عدوه في النار اطلع فيها فازداد شكرا. 55  
وخليد العصري وقتادة والسدي وعطاء الخراساني يعني في وسط الجحيم وقال الحسن البصري في وسط الجحيم كأنه شهاب يتقد وقال قتادة ذكر لنا أنه  
قال ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير

يقول المؤمن مخاطبا للكافر والله إن كدت لتهلكني لو أطعته. 56

الجحيم حيث أنت محضر معك في العذاب ولكنه تفضل علي ورحمني فهداني للإيمان وأرشدني إلى توحيده وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. 57

أي ولولا فضل الله علي لكنت مثلك في سواء

البصري علموا أن كل نعيم فإن الموت يقطعه فقالوا أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين قيل لا قالوا إن هذا لهو الفوز العظيم. 58  
قال ابن عباس رضي الله عنهما وقوله عز وجل هنيئا أي لا يموتون فيها فعندها قالوا أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين وقال الحسن  
العدني حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تبارك وتعالى لأهل الجنة كلوا وأشربوا هنيئا بما كنتم تعملون  
في دار الكرامة بلا موت فيها ولا عذاب ولهذا قال عز وجل إن هذا لهو الفوز العظيم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبد الله الظهراني حدثنا حفص بن عمر  
قوله تعالى أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين هذا من كلام المؤمن مغتبطا نفسه بما أعطاه الله تعالى من الخلد في الجنة والإقامة

البصري علموا أن كل نعيم فإن الموت يقطعه فقالوا أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين قيل لا قالوا إن هذا لهو الفوز العظيم. 59  
قال ابن عباس رضي الله عنهما وقوله عز وجل هنيئا أي لا يموتون فيها فعندها قالوا أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين وقال الحسن  
العدني حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تبارك وتعالى لأهل الجنة كلوا وأشربوا هنيئا بما كنتم تعملون  
في دار الكرامة بلا موت فيها ولا عذاب ولهذا قال عز وجل إن هذا لهو الفوز العظيم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبد الله الظهراني حدثنا حفص بن عمر  
قوله تعالى أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين هذا من كلام المؤمن مغتبطا نفسه بما أعطاه الله تعالى من الخلد في الجنة والإقامة

السعير وقال عز وجل ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للنظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين. 6  
ضوءها جرم السماء الشفاف فتضيء لأهل الأرض كما قال تبارك وتعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين واعتدنا لهم عذاب  
يخبر تعالى أنه زين السماء الدنيا للنظرين إليها من أهل الأرض بزينة الكواكب قرئ بالإضافة وبالبديل وكلاهما بمعنى واحد فالكواكب السيارة والثوابت يثقب

البصري علموا أن كل نعيم فإن الموت يقطعه فقالوا أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين قيل لا قالوا إن هذا لهو الفوز العظيم. 60  
قال ابن عباس رضي الله عنهما وقوله عز وجل هنيئا أي لا يموتون فيها فعندها قالوا أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين وقال الحسن  
العدني حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تبارك وتعالى لأهل الجنة كلوا وأشربوا هنيئا بما كنتم تعملون  
في دار الكرامة بلا موت فيها ولا عذاب ولهذا قال عز وجل إن هذا لهو الفوز العظيم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبد الله الظهراني حدثنا حفص بن عمر  
قوله تعالى أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين هذا من كلام المؤمن مغتبطا نفسه بما أعطاه الله تعالى من الخلد في الجنة والإقامة

العاملون بمثل ما قد من عليه قال فيتذكر المؤمن ما من عليه في الدنيا من الشدة فلا يذكر مما من عليه في الدنيا من الشدة أشد عليه من الموت. 61  
تالله إن كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين إن هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا فيعمل  
وكنا ترابا وعظاما أننا لمدينون قال فالجنة عالية والنار هاوية قال فيريه الله تعالى شريكه في وسط الجحيم من بين أهل النار فإذا رآه المؤمن عرفه فيقول  
يا سبحان الله أو بلغ من فضل عملي أن أتاب بمثل هذا قال ثم يذكر المؤمن شريكه الكافر فيقول إني كان لي قرين يقول أنك لمن المصدقين أنذا متنا  
الله أو بلغ من فضل عملي أن أتاب بمثل هذا قال ثم يمر فإذا هو بقبة من ياقوتة حمراء مجوفة فيها حوراء عيناء فيقول لمن هذه فيقال هذه لك فيقول  
يا سبحان الله أو بلغ من فضل عملي أن أتاب بمثل هذا؟ قال ثم يمر فإذا هو برقيق لا تحصى عدتهم فيقول لمن هذا؟ فيقول هؤلاء لك فيقول يا سبحان  
في رضاء من الزمان قال فإذا كان يوم القيامة وأدخل الله تعالى المؤمن الجنة يمر فإذا هو بأرض ونخل وثمار وأنهار فيقول لمن هذا؟ فيقال هذا لك فيقول

## تفسير ابن كثير

لمدينون قال السدي محاسبون قال فانطلق الكافر وتركه قال فلما رآه المؤمن وليس يلوي عليه رجع وتركه يعيش المؤمن في شدة من الزمان ويعيش الكافر أقرضته قال من؟ قال المليء الوفي قال من؟ قال الله ربي قال وهو مصافحه فانتزع يده من يده ثم قال أنك لمن المصدقين أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما أننا هذه الكسرة يوما بيوم وتكسوني هذين الثوبين إذا بلى قال لا ولكن أصنع بك ما هو خير من هذا ولكن لا ترى مني خيرا حتى تخبرني ما صنعت في مالك قال بلى قال وهذه حالي وهذه حالك؟ قال بلى قال أخبرني ما صنعت في مالك؟ قال لا تسألني عنه قال فما جاء بك؟ قال جئت أعمل في أرضك هذه فتطعمني أصبح أتى شريكه فتعرض له فخرج شريكه الكافر وهو راكب فلما رآه عرفه فوقف عليه وسلم عليه وصافحه ثم قال له ألم تأخذ من المال مثل ما أخذت؟ قال إذا فعلتم سره ذلك فقالوا له انطلق إن كانت صادقا فتم في ناحية فإذا أصبحت فتعرض له قال فانطلق المؤمن فألقى نصف كسائه تحته ونصفه ثم نام فلما إذا بلى قال فانطلق يريده فانتهى إلى بابه وهو ممس فإذا قصر مشيد في السماء وإذا حوله البوابون فقال لهم استأذنوا لي على صاحب هذا القصر فإنكم شعير هذه البارحة قال فلما رأى المؤمن هذه الشدة قال لآتين شريكي الكافر فلأعملن في أرضه فليطعمني هذه الكسرة يوما بيوم ويكسوني هذين الثوبين شهرا بشهر يقوم على دوابه وقال وكان صاحب الدواب يغدو كل يوم ينظر إلى دوابه فإذا رأى منها دابة ضامرة أخذ برأسه فوجأ عنقه ثم يقول له سرقت بقوته قال فجاءه رجل فقال له يا عبدالله أتؤاجرني نفسك مشاهرة شهرا بشهر تقوم على دواب لي تغلفا وتكنس سرقينها قال أفعل قال فواجره نفسه مشاهرة بين المساكين قال فبقي المؤمن ليس عنده شيء قال فلبس قميصا من قطن وكساء من صوف ثم أخذ مرا فجعله على رقبته يعمل الشيء ويحفر الشيء أزواج الدنيا بألف دينار فيموت غدا فيتركها أو تموت غدا فتتركه اللهم وإني أخطب إليك بهذه الألف الدينار حوراء عيناء في الجنة قال ثم أصبح فقسمها الليل صلى ما شاء الله تعالى أن يصلي فلما أنصرف أخذ الألف الدينار الباقية فوضعها بين يديه وقال اللهم إن فلانا يعني شريكه الكافر تزوج زوجة من تم إلا شيئا واحدا فلانة قد مات عنها زوجها فأصدقته ألف دينار فجاءتني بها ومثلها معها فقال له المؤمن أو فعلت؟ قال نعم قال فرجع المؤمن حتى إذا كان الله تعالى أن يمكثا ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن ما صنعت في مالك أضربت به في شيء أتجرت به في شيء؟ قال لا فما صنعت أنت؟ قال كان امري كله قد فيتركهم أو يموتون فيتركونه اللهم إني اشتريت منك بهذه الألف الدينار رقيقا في الجنة قال ثم أصبح فقسمها في المساكين قال ثم مكثا ما شاء تعالى أن يصلي فلما أنصرف أخذ ألف دينار فوضعها بين يديه ثم قال اللهم إن فلانا يعني شريكه الكافر اشتري رقيقا من رقيق الدنيا بألف دينار يموت غدا فاشتريت رقيقا بألف دينار يقومون لي فيها يعملون لي فيها فقال له المؤمن أو فعلت؟ قال نعم قال فرجع المؤمن حتى إذا كان الليل صلى ما شاء الله التقيا فقال الكافر للمؤمن ما صنعت في مالك أضربت به في شيء أتجرت به في شيء؟ قال لا قال فما صنعت أنت؟ قال كانت ضيعتي قد اشتد على مؤنثتها اشتريت منك بهذه الألف دينار أرضا ونخلا وثمارا وأهبارا في الجنة قال ثم أصبح فقسمها في المساكين قال ثم مكثا ما شاء الله تعالى أن يمكثا ثم أخذ ألف دينار فوضعها بين يديه ثم قال: اللهم إن فلانا يعني شريكه الكافر اشتري أرضا ونخلا وثمارا وأهبارا بألف دينار ثم يموت غدا ويتركها اللهم إني وثمارا وأهبارا بألف دينار قال فقال له المؤمن أو فعلت؟ قال نعم قال فرجع المؤمن حتى إذا كان الليل صلى ما شاء الله تعالى أن يصلي فلما أنصرف ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن ما صنعت في مالك؟ أضربت به شيئا أتجرت به في شيء؟ فقال له المؤمن لا فما صنعت أنت؟ فقال اشتريت به أرضا ونخلا شريكان في بني إسرائيل أحدهما مؤمن والآخر كافر فافترقا على ستة آلاف دينار لكل واحد منهما ثلاثة آلاف دينار ثم افترقا فمكثا ما شاء الله تعالى أن يمكثا الآية قال قائل منهم إني كان لي قرين يقول أنك لمن المصدقين قال: فقال لي ما ذكرك هذا؟ قلت قرأته آنفا فأحببت أن أسألك عنه فقال أما فاحفظ كان لمن المصدقين بالتشديد وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا عمرو بن عبد الرحمن الأبار أخبرنا أبو حفص قال سألت إسماعيل السدي عن هذه فرأه في سواء الجحيم فقال عند ذلك تالله إن كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين الآيات قال ابن جرير وهذا يقوي قراءة من قرأ أنك قال فإنه ذاك ولك هذا المنزل والبستانان والمرأة قال فإنه كان لي صاحب يقول أنك لمن المصدقين قيل له فإنه الجحيم قال هل أنتم مطلعون فاطلع فأدخله دارا تعجبه وإذا بامرأة تطلع يضيء ما تحتها من حسناتها ثم أدخله بستانين وشيئا الله به عليم فقال عند ذلك ما أشبه هذا برجل كان من أمره كذا وكذا قال يا رب إن صاحبي قد اشتري بستانين بألفي دينار وأنا أسألك بستانين في الجنة فتصدق بألفي دينار ثم إن الملك أتاهما فتوفاهما ثم انطلق بهذا المتصدق إنه مكث ما شاء الله تعالى أن يمكث ثم اشتري بستانين بألفي دينار ثم دعاه فأراه فقال إني ابتعت هذين البستانين بألفي دينار فقال ما أحسن هذا فلما خرج هذه المرأة بألف دينار قال ما أحسن هذا فلما أنصرف قال يا رب إن صاحبي تزوج امرأة بألف دينار وإني أسألك امرأة من الحور العين فتصدق بألف دينار ثم دارا من دور الجنة فتصدق بألف دينار ثم مكث ما شاء الله تعالى أن يمكث ثم إنه تزوج بامرأة بألف دينار فدعاه وصنع له طعاما فلما أتاه قال إني تزوجت فدعا صاحبه فأراه فقال كيف ترى هذه الدار ابتعتها بألف دينار؟ قال ما أحسنها فلما خرج قال اللهم إن صاحبي هذا قد ابتاع هذه الدار بألف دينار وأني أسألك ليس له حرفة فقال الذي له حرفة للآخر ليس عندك حرفة ما أراني إلا مفارقك ومقاسمك فقاسمه وفارقه ثم إن الرجل اشتري دارا بألف دينار كانت لملك مات خفيف عن فرات بن ثعلبة النهراي في قوله إني كان لي قرين قال إن رجلين كانا شريكين فاجتمع لهما ثمانية آلاف دينار وكان أحدهما له حرفة والآخر في بني إسرائيل تدخل في ضمن عموم هذه الآية الكريمة قال أبو جعفر بن جرير حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد حدثنا عتاب بن بشير عن ابن جرير هو من كلام الله تعالى ومعناه لمثل هذا النعيم وهذا الفوز فليعمل العاملون في الدنيا ليصيروا إليه في الآخرة وقد ذكروا قصة رجلين كانا شريكين وقوله جل جلاله لمثل هذا فليعمل العاملون قال قتادة هذا من كلام أهل الجنة وقال

من طور سيناء تنبت بالدهن وصيغ للأكلين يعني الزيتون ويؤيد ذلك قوله تعالى ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لاكلون من شجر من زقوم. 62  
جهنم كما أن شجرة طوبى ما من دار في الجنة إلا وفيها منها غصن وقد يحتمل أن يكون المراد بذلك جنس شجر يقال له الزقوم كقوله تعالى وشجرة تخرج

## تفسير ابن كثير

وعطاء أم شجرة الزقوم أي التي في جهنم وقد يحتمل أن يكون المراد بذلك شجرة واحدة معينة كما قال بعضهم إنها شجرة تمتد فروعها إلى جميع محال يقول الله تعالى أهدا الذي ذكره من الجنة وما فيها من مأكول ومشارب ومناكح وغير ذلك من الملاذ خير ضيافة

ممن يكذب كقوله تبارك وتعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا. 63  
قال أبو جهل لعنه الله إنما الزقوم التمر والزبد أتزقمه قلت ومعنى الآية إنما أخبرناك يا محمد بشجرة الزقوم اختبارا نخبر به الناس من يصدق منهم النار شجرة والنار تأكل الشجر فأُنزل الله تعالى إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم غذيت من النار ومنها خلقت وقال مجاهد إنا جعلناها فتنة للظالمين قال قتادة ذكرت شجرة الزقوم فافتتن بها أهل الضلالة وقالوا صاحبكم ينبئكم أن في

رؤوسها بشعة المنظر وقيل جنس من النبات طلعه في غاية الفحاشة وفي هذين الاحتمالين نظر وقد ذكرهما ابن جرير والأول أقوى وأولى والله أعلم. 64  
وأما شبهها برؤوس الشياطين وإن لم تكن معروفة عند المخاطبين لأنه قد استقر في النفوس أن الشياطين قبيحة المنظر وقيل المراد بذلك ضرب من الحيات في أصل الجحيم أي أصل منبتها في قرار النار طلعهما كأنه رؤوس الشياطين تبشيع لها وتكريه لذكرها. قال وهب بن منبه شعور الشياطين قائمة إلى السماء قوله تعالى إنها شجرة تخرج

رؤوسها بشعة المنظر وقيل جنس من النبات طلعه في غاية الفحاشة وفي هذين الاحتمالين نظر وقد ذكرهما ابن جرير والأول أقوى وأولى والله أعلم. 65  
وأما شبهها برؤوس الشياطين وإن لم تكن معروفة عند المخاطبين لأنه قد استقر في النفوس أن الشياطين قبيحة المنظر وقيل المراد بذلك ضرب من الحيات في أصل الجحيم أي أصل منبتها في قرار النار طلعهما كأنه رؤوس الشياطين تبشيع لها وتكريه لذكرها. قال وهب بن منبه شعور الشياطين قائمة إلى السماء قوله تعالى إنها شجرة تخرج

لأفسدت على أهل الأرض معاشهم فكيف بمن يكون طعامه؟ ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث شعبة وقال الترمذي حسن صحيح. 66  
عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية وقال اتقوا الله حق تقاته فلو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحر الدنيا لهم طعام إلا من ضريح لا يسمن ولا يغني من جوع وقال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا أبي حدثنا عمرو بن مرزوق حدثنا شعبة عن الأعمش عن مجاهد من منظرها مع ما هي عليه من سوء الطعم والريح والطبع فإنهم ليضطرون إلى الأكل منها لأنهم لا يجدون إلا إياها وما هو في معناها كما قال تعالى ليس ذكر تعالى أنهم يأكلون من هذه الشجرة التي لا أبشع منها ولا أقبح

الجلود ويصهر ما في بطونهم فيمشون تسيل أمعاءهم وتتساقط جلودهم ثم يضربون بمقامع من حديد فيسقط كل عضو على حياله يدعون بالثبور. 67  
ثم يصب عليهم العطش فيستغيثون فيغاثوا بماء كالمهل وهو الذي قد انتهى حره فإذا أدنوه من أفواههم اشتوى من حره لحوم وجوههم التي قد سقطت عنها عنتره عن سعد بن جببر قال إذا جاع أهل النار استغاثوا بشجرة الزقوم فأكلوا منها فاختلست جلود وجوههم فلو أن مارا مر بهم يعرفهم لعرفهم بوجوههم فيها رأسه فيه فإذا شربه قطع أمعاءه حتى تخرج من دبره وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو بن رافع حدثنا يعقوب بن عبد الله عن جعفر وهارون بن رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول: يقرب يعني إلى أهل النار ماء فيتكرهه فإذا أدني منه شوى وجهه ووقعت فروة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا حيوة بن شريح الحضرمي حدثنا بقية بن الوليد عن صفوان بن عمر وأخبرني عبيد بن بشير عن أبي أمامة الباهلي على الزقوم وقال في رواية عنه شوبا من حميم مزجا من حميم وقال غيره يعني يمزج لهم الحميم بصديد وغساق مما يسيل من فروجهم وعيونهم قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني شرب الحميم

أراه ثم قرأ أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا ثم إن مقيلهم لإلى الجحيم قلت على هذا التفسير تكون ثم عاطفة لخبر على خبر. 68  
الثوري عن ميسرة عن المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة عن عبد الله رضي الله عنه قال: لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيّل هؤلاء ويقيّل هؤلاء قال سفيان نفسي بيده لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيّل أهل الجنة وأهل النار في النار ثم قرأ أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا وروى هذه الآية وهو تفسير حسن قوي وقال السدي في قراءة عبد الله رضي الله عنه عنه ثم إن مقيلهم لإلى الجحيم وكان عبد الله رضي الله عنه يقول والذي بعد هذا الفصل لإلى نار تتأجج وجحيم تتوهج فتارة في هذا وتارة في هذا كما قال تعالى يطوفون بينها وبين حميم آن هكذا تلا قتادة أي ثم إن مردهم

فاتبعوهم فيها بمجرد ذلك من غير دليل ولا برهان ولهذا قال فهم على آثارهم يهرعون قال مجاهد شبيهة بالهرولة وقال سعيد ابن جببر يسفهن. 69  
وقوله تعالى إنهم ألّفوا آباءهم ضالين أي إنما جازيناهم بذلك لأنهم وجدوا آباءهم على الضلالة

قوله جل وعلا ههنا وحفظا تقديره وحفظناها حفظا من كل شيطان مارد: يعني المتمرد العاتي. 7

فاتبعوهم فيها بمجرد ذلك من غير دليل ولا برهان ولهذا قال فهم على آثارهم يهرعون قال مجاهد شبيهة بالهرولة وقال سعيد ابن جببر يسفهن. 70  
وقوله تعالى إنهم ألّفوا آباءهم ضالين أي إنما جازيناهم بذلك لأنهم وجدوا آباءهم على الضلالة

يخبر تعالى عن الأمم الماضية أن أكثرهم كانوا ضالين يجعلون مع الله آلهة أخرى. 71

## تفسير ابن كثير

- وتكذيبهم فأهلك المكذبين ودمرهم ونجى المؤمنين ونصرهم وظفرهم ولهذا قال تعالى فانظر كيف كان عاقبة المنذرين إلا عباد الله المخلصين. 72  
وذكر تعالى أنه أرسل فيهم منذرين يندرون بأس الله ويحذرونهم سطوته ونقمته ممن كفر به وعبد غيره وأنهم تبادوا على مخالفة رسولهم
- وتكذيبهم فأهلك المكذبين ودمرهم ونجى المؤمنين ونصرهم وظفرهم ولهذا قال تعالى فانظر كيف كان عاقبة المنذرين إلا عباد الله المخلصين. 73  
وذكر تعالى أنه أرسل فيهم منذرين يندرون بأس الله ويحذرونهم سطوته ونقمته ممن كفر به وعبد غيره وأنهم تبادوا على مخالفة رسولهم
- وتكذيبهم فأهلك المكذبين ودمرهم ونجى المؤمنين ونصرهم وظفرهم ولهذا قال تعالى فانظر كيف كان عاقبة المنذرين إلا عباد الله المخلصين. 74  
وذكر تعالى أنه أرسل فيهم منذرين يندرون بأس الله ويحذرونهم سطوته ونقمته ممن كفر به وعبد غيره وأنهم تبادوا على مخالفة رسولهم
- نفرة فدعا ربه أني مغلوب فانتصر فغضب الله تعالى لغضبه عليهم ولهذا قال عز وجل ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون له. 75  
من التكذيب وأنه لم يؤمن منهم إلا القليل مع طول المدة لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فلما طال عليه ذلك واشتد عليه تكذيبهم وكلما دعاهم ازدادوا  
لما ذكر تعالى عن أكثر الأولين أنهم ضلوا عن سبيل النجاة شرع يبين ذلك مفصلا فذكر نوحا عليه الصلاة والسلام وما لقي من قومه  
وهو التكذيب والأنى. 76
- العرب وفارس والروم وولد يافت الترك والصقالبة وبأجوج ومأجوج وولد حام القبط والسودان والبربر وروي عن وهب بن منبه نحو هذا والله أعلم. 77  
بن عياش عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال: ولد نوح عليه السلام ثلاثة: سام ويافت وحام وولد كل واحد من هؤلاء الثلاثة ثلاثة فولد سام  
مثله والمراد بالروم ههنا هم الروم الأول وهم اليونان المنتسبون إلى رومي بن ليطي بن يونان بن يافت بن نوح عليه السلام ثم روي من حديث إسماعيل  
زريع عن سعيد وهو ابن أبي عروبة عن قتادة به قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر: وقد روي عن عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم  
رضي الله عنه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال سام أبو العرب وحام أبو الحبش ويافت أبو الروم ورواه الترمذي عن بشر بن معاذ العقدي عن يزيد بن  
وسلم في قوله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين قال سام وحام ويافت وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة عن الحسن عن سمرة  
عليه السلام وقد روى الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم من حديث سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن سمرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم  
يقول: لم تبق إلا ذرية نوح عليه السلام وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله تبارك وتعالى وجعلنا ذريته هم الباقين قال الناس كلهم من ذرية نوح  
قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما
- بخير وقال مجاهد يعني لسان صدق للأنبيا كلهم وقال قتادة والسدي أبقى الله عليه الثناء الحسن في الآخرين. وقال الضحاك السلام والثناء الحسن. 78  
قال ابن عباس رضي الله عنهما يذكر
- مفسر لما أبقى عليه من الذكر الجميل والثناء الحسن أنه يسلم عليه في جميع الطوائف والأمم. 79
- قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير ولهذا قال تعالى ويقذفون أي يرمون من كل جانب أي من كل جهة يقصدون السماء منها. 8  
إذا تكلموا بما يوحيه الله تعالى مما يقوله من شرعه وقدره كما تقدم بيان ذلك في الأحاديث التي أوردناها عند قوله تبارك وتعالى حتى إذا فزع عن قلوبهم  
السمع أتاه شهاب ثاقب فأحرقه ولهذا قال جل جلاله لا يسمعون إلى الملا الأعلى أي لئلا يصلوا إلى الملا الأعلى وهي السموات ومن فيها من الملائكة  
إذا أراد أن يسترق
- أي هكذا نجزي من أحسن من العباد في طاعة الله تعالى نجعل له لسان صدق يذكر به بعده بحسب مرتبته في ذلك. 80
- أي المصدقين الموحدين الموقنين. 81
- أي أهلكناهم فلم يبق منهم عين تطرف ولا ذكر ولا عين ولا أثر ولا يعرفون إلا بهذه الصفة القبيحة. 82
- قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما وإن من شيعته لإبراهيم يقول من أصل دينه وقال مجاهد على منهاجه وسنته. 83
- القلب السليم؟ قال يعلم أن الله حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور وقال الحسن سليم من الشرك وقال عروة لا يكون لعانا. 84  
قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني شهادة أن لا إله إلا الله. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن عوف قلت لمحمد بن سيرين ما  
ولهذا قال عز وجل أنفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين قال قتادة يعني ما ظنكم أنه فاعل بكم إذا لاقيتموه وقد عبدتم معه غيره. 85  
وقوله تعالى إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون أنكر عليهم عبادة الأصنام والأنداد
- ولهذا قال عز وجل أنفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين قال قتادة يعني ما ظنكم أنه فاعل بكم إذا لاقيتموه وقد عبدتم معه غيره. 86  
وقوله تعالى إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون أنكر عليهم عبادة الأصنام والأنداد
- ولهذا قال عز وجل أنفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين قال قتادة يعني ما ظنكم أنه فاعل بكم إذا لاقيتموه وقد عبدتم معه غيره. 87  
وقوله تعالى إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون أنكر عليهم عبادة الأصنام والأنداد

## تفسير ابن كثير

فأرادوه على الخروج فاضطجع على ظهره وقال إني سقيم وجعل ينظر في السماء فلما خرجوا أقبل إلى آلهتهم فكسرها ورواه ابن أبي حاتم. 88  
يعني مرض الموت وقيل أراد إني سقيم أي مريض القلب من عبادتكم الأوثان من دون الله تعالى وقال الحسن البصري: خرج قوم إبراهيم إلى عيدهم  
عن سعيد بن المسيب رأى نجما طلع فقال إني سقيم كابد نبي الله عن دينه فقال إني سقيم وقال آخرون فقال إني سقيم بالنسبة إلى ما يستقبل  
عنهما في قوله تعالى فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم فقالوا له وهو في بيت آلهتهم: أخرج فقال إني مطعون فتركوه مخافة الطاعون وقال قتادة  
هي أختي قال سفيان في قوله إني سقيم يعني طعين وكانوا يفرون من المطعون فأراد أن يخلو بآلهتهم وكذا قال العوفي عن ابن عباس رضي الله  
الصلاة والسلام الثلاث التي قال ما منها كلمة إلا ما حل بها عن دين الله تعالى فقال إني سقيم وقال بل فعله كبيرهم هذا وقال للملك حين أراد امرأته  
أبي عمر حدثنا سفيان عن علي بن زيد بن جدعان عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات إبراهيم عليه  
وإنما هو من المعارض في الكلام لمقصود شرعي ديني كما جاء في الحديث إن في المعارض لمندوحة عن الكذب وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن  
فهو حديث مخرج في الصحاح والسنن من طرق ولكن ليس هذا من باب الكذب الحقيقي الذي يذم فاعله حاشا وكلا ولما إنما أطلق الكذب على هذا تجوزا  
إبراهيم عليه الصلاة والسلام غير ثلاث كذبات: ثنتين في ذات الله تعالى قوله إني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله في سارة هي أختي  
ابن جرير ههنا حدثنا أبو كريب حدثنا أبو أسامة حدثني هشام عن محمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب  
قال قتادة والعرب تقول لمن تفكر نظر في النجوم يعني قتادة أنه نظر إلى السماء متفكرا فيما يليهم به فقال إني سقيم أي ضعيف فأما الحديث الذي رواه  
إلى عيد لهم فأحب أن يختلي بآلهتهم ليكسرها فقال لهم كلاما هو حق في نفس الأمر فهموا منه أنه سقيم على مقتضى ما يعتقدونه فتولوا عنه مدبرين  
إنما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه ذلك ليقيم في البلد إذا ذهبوا إلى عيدهم فإنه كان قد أظف خروجهم

فأرادوه على الخروج فاضطجع على ظهره وقال إني سقيم وجعل ينظر في السماء فلما خرجوا أقبل إلى آلهتهم فكسرها ورواه ابن أبي حاتم. 89  
يعني مرض الموت وقيل أراد إني سقيم أي مريض القلب من عبادتكم الأوثان من دون الله تعالى وقال الحسن البصري: خرج قوم إبراهيم إلى عيدهم  
عن سعيد بن المسيب رأى نجما طلع فقال إني سقيم كابد نبي الله عن دينه فقال إني سقيم وقال آخرون فقال إني سقيم بالنسبة إلى ما يستقبل  
عنهما في قوله تعالى فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم فقالوا له وهو في بيت آلهتهم: أخرج فقال إني مطعون فتركوه مخافة الطاعون وقال قتادة  
هي أختي قال سفيان في قوله إني سقيم يعني طعين وكانوا يفرون من المطعون فأراد أن يخلو بآلهتهم وكذا قال العوفي عن ابن عباس رضي الله  
الصلاة والسلام الثلاث التي قال ما منها كلمة إلا ما حل بها عن دين الله تعالى فقال إني سقيم وقال بل فعله كبيرهم هذا وقال للملك حين أراد امرأته  
أبي عمر حدثنا سفيان عن علي بن زيد بن جدعان عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات إبراهيم عليه  
وإنما هو من المعارض في الكلام لمقصود شرعي ديني كما جاء في الحديث إن في المعارض لمندوحة عن الكذب وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن  
فهو حديث مخرج في الصحاح والسنن من طرق ولكن ليس هذا من باب الكذب الحقيقي الذي يذم فاعله حاشا وكلا ولما إنما أطلق الكذب على هذا تجوزا  
إبراهيم عليه الصلاة والسلام غير ثلاث كذبات: ثنتين في ذات الله تعالى قوله إني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله في سارة هي أختي  
ابن جرير ههنا حدثنا أبو كريب حدثنا أبو أسامة حدثني هشام عن محمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب  
قال قتادة والعرب تقول لمن تفكر نظر في النجوم يعني قتادة أنه نظر إلى السماء متفكرا فيما يليهم به فقال إني سقيم أي ضعيف فأما الحديث الذي رواه  
إلى عيد لهم فأحب أن يختلي بآلهتهم ليكسرها فقال لهم كلاما هو حق في نفس الأمر فهموا منه أنه سقيم على مقتضى ما يعتقدونه فتولوا عنه مدبرين  
إنما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه ذلك ليقيم في البلد إذا ذهبوا إلى عيدهم فإنه كان قد أظف خروجهم

إلى ذلك ويرجمون ولهم عذاب واصب أي في الدار الآخرة لهم عذاب دائم موجه مستمر كما قال جلت عظمتهم وأعتدنا لهم عذاب السعير. 9

دحورا أي رجما يدحرون به ويزجرون ويمنعون من الوصول

أي ذهب إليها بعدما خرجوا في سرعة واختفاء. 90

نرجع وقد بركت الآلهة في طعامنا أكلناه. فلما نظر إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى ما بين أيديهم من الطعام قال ألا تأكلون ما لكم لا تنطقون. 91  
إلى جنبه أصغر منه بعضها إلى جنب بعض كل صنم يليه أصغر منه حتى بلغوا باب البهو وإذا هم قد جعلوا طعاما ووضعوه بين أيدي الآلهة وقالوا إذا كان حين  
وضعوا بين أيديها طعاما قربانا لتبرك لهم فيه. قال السدي: دخل إبراهيم عليه السلام إلى بيت الآلهة فإذا هم في بهو عظيم وإذا مستقبل باب البهو صنم عظيم  
فقال ألا تأكلون وذلك أنهم كانوا قد

نرجع وقد بركت الآلهة في طعامنا أكلناه. فلما نظر إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى ما بين أيديهم من الطعام قال ألا تأكلون ما لكم لا تنطقون. 92  
إلى جنبه أصغر منه بعضها إلى جنب بعض كل صنم يليه أصغر منه حتى بلغوا باب البهو وإذا هم قد جعلوا طعاما ووضعوه بين أيدي الآلهة وقالوا إذا كان حين  
وضعوا بين أيديها طعاما قربانا لتبرك لهم فيه. قال السدي: دخل إبراهيم عليه السلام إلى بيت الآلهة فإذا هم في بهو عظيم وإذا مستقبل باب البهو صنم عظيم  
فقال ألا تأكلون وذلك أنهم كانوا قد

ضربهم باليمين لأنها أشد وأنكى ولهذا تركهم جزاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون كما تقدم في سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تفسير ذلك. 93

## تفسير ابن كثير

وقوله تعالى فراغ عليهم ضربا باليمين قال الفراء معناه مال عليهم ضربا باليمين وقال قتادة والجوهري فأقبل عليهم ضربا باليمين وإنما

قوله تعالى ههنا فأقبلوا إليه يزفون قال مجاهد وغير واحد أي يسرعون. 94

فلما جاءوا ليعاتبوه أخذ في تأنيبهم وعيبيهم فقال أتعبدون ما تحتون أي أتعبدون من دون الله من الأصنام ما أنتم تحتونها وتجعلونها بأيديكم. 95  
الأنبياء مبسوطة فإنهم لما رجعوا ما عرفوا من أول وهلة من فعل ذلك حتى كشفوا واستعلموا فعرفوا أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام هو الذي فعل ذلك وهذه القصة ههنا مختصرة وفي سورة

قال إن الله تعالى يصنع كل صانع وصنعتة وقرأ بعضهم والله خلقكم وما تعملون فعند ذلك لما قامت عليهم الحجة عدلوا إلى أخذه باليد والقهر. 96  
أظهر لما رواه البخاري في كتاب أفعال العباد عن علي بن المديني عن مروان بن معاوية عن أبي مالك عن ربعي بن حراش عن حذيفة رضي الله عنه مرفوعا  
يحتمل أن تكون ما مصدرية فيكون تقدير الكلام خلقكم وعملكم ويحتمل أن تكون بمعنى الذي تقديره والله خلقكم والذي تعملونه وكلا القولين متلازم والأول  
سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ونجاه الله من النار وأظهره عليهم وأعلى حجته ونصرها ولهذا قال تعالى وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين. 97  
فقالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم وكان من أمرهم ما تقدم بيانه في

سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ونجاه الله من النار وأظهره عليهم وأعلى حجته ونصرها ولهذا قال تعالى وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين. 98  
فقالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم وكان من أمرهم ما تقدم بيانه في

بين أظهرهم وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين رب هب لي من الصالحين يعني أولادا مطيعين يكونون عوضا من قومه وعشيرته الذين فارقهم. 99  
يقول تعالى مخبرا عن خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام إنه بعدما نصره الله تعالى على قومه وأيس من إيمانهم بعدما شاهدوا من الآيات العظيمة هاجر من

## سورة 38

ابن جرير عن بعض أهل العربية أنه قال جوابه ص بمعنى صدق حق والقرآن ذي الذكر وقيل جوابه ما تضمنه سياق السورة بكما لها والله أعلم. 1  
أهل النار حكاهما ابن جرير وهذا الثاني فيه بعد كبير وضعفه ابن جرير وقال قتادة جوابه بل الذين كفروا في عزة وشقاق واختاره ابن جرير ثم حكى  
والإعذار والإنذار واختلفوا في جواب هذا القسم فقال بعضهم هو قوله تعالى إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب وقيل قوله تعالى إن ذلك لحق تخاصم  
خالد وابن عيينة وأبو حصين وأبو صالح والسدي ذي الذكر ذي الشرف أي ذي الشأن والمكانة ولا منافاة بين القولين فإنه كتاب شريف مشتمل على التذكير  
تعالى لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أي تذكيركم وكذا قال قتادة وأختره ابن جرير. وقال ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبيرة وإسماعيل بن أبي  
وقوله تعالى والقرآن ذي الذكر أي والقرآن المشتمل على ما فيه ذكر للعباد ونفع لهم في المعاش والمعاد قال الضحاك في قوله تعالى ذي الذكر كقوله  
إن كان صحيحا أن يحسب ما لكل حرف من الحروف الأربعة عشر التي ذكرناها وذلك يبلغ منه جملة كثيرة وإن حسبت مع التكرار فأطم وأعظم والله أعلم.  
آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات فهذا الحديث مداره على محمد بن السائب الكلبي وهو ممن لا يحتج بما انفرد به ثم كان مقتضى هذا المسلك  
وإحدى وسبعون ومائتان فذلك سبعمائة وأربع سنين؟ فقالوا لقد تشابه علينا أمره فيزعمون أن هؤلاء الآيات نزلت فيهم هو الذي أنزل عليك الكتاب منه  
أبو ياسر لأخيه حي بن أخطب ولمن معه من الأحرار ما يدريكم لعله قد جمع هذا لمحمد كله إحدى وثلاثون ومائة وإحدى وثلاثون ومائتان  
أربعون والراء مائتان فهذه إحدى وسبعون ومائتان ثم قال: لقد لبس علينا أمرك يا محمد حتى ما ندري أقليلا أعطيت أم كثيرا. ثم قال قوموا عنه ثم قال  
فهذه إحدى وثلاثون ومائتا سنة. فهل مع هذا يا محمد غيره؟ قال نعم قال ماذا قال المر قال هذه أثقل وأطول الألف واحدة واللام ثلاثون والميم  
إحدى وثلاثون ومائة سنة. هل مع هذا يا محمد غيره؟ قال نعم قال ما ذاك؟ قال الر قال هذا أثقل وأطول الألف واحدة واللام ثلاثون والراء مائتان  
فقال يا محمد هل مع هذا غيره فقال نعم قال ما ذاك؟ قال المص قال هذا أثقل وأطول الألف واحد واللام ثلاثون والميم أربعون والصاد تسعون فهذه  
والميم أربعون فهذه إحدى وسبعون سنة أفتردخون في دين نبي إنما مدة ملكه وأجل أمته إحدى وسبعون سنة؟ ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم  
الله قبلك أنبياء ما تعلمه بين نبي منهم ما مدة ملكه وما أجل أمته غيرك. فقام حي بن أخطب وأقبل على من كان معه فقال لهم الألف واحدة واللام ثلاثون  
فيما أنزل الله عليك الم ذلك الكتاب؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى فقالوا جاءك بهذا جبريل من عند الله؟ فقال نعم قالوا لقد بعث  
فيه فقال أنت سمعته قال نعم قال فمشى حي بن أخطب في أولئك نفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ألم يذكر أنك تتلوا  
الكتاب لا ريب فيه فأتى أخاه بن أخطب في رجال من اليهود فقال تعلمون والله لقد سمعت محمدا يتلو فيما أنزل الله تعالى عليه الم ذلك الكتاب لا ريب  
عباس عن جابر بن عبد الله بن رباب قال مر أبو ياسر بن أخطب في رجال من يهود برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو فاتحة سورة البقرة الم ذلك  
مع ذلك أدل على بطلان هذا المسلك من التمسك به على صحته وهو ما رواه محمد بن إسحق بن يسار صاحب المغازي حدثني الكلبي عن أبي صالح عن ابن  
على معرفة المدد وأنه يستخرج من ذلك أوقات الحوادث والفتن والملاحم فقد ادعى ما ليس له وطار في غير مطاره وقد ورد في ذلك حديث ضعيف وهو  
إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم وغير ذلك من الآيات الدالة على صحة ما ذهب إليه هؤلاء لمن أمعن النظر والله أعلم. وأما من زعم أنها دالة



## تفسير ابن كثير

لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين حم تنزيل من الرحمن الرحيم حم عسق كذلك يوحي الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه المص كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه الر كتاب أنزلناه إليك فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وعظمته وهذا معلوم بالاستقراء وهو الواقع في تسع وعشرين سورة ولهذا يقول تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه الم من الكلمات ما هو على حرف وعلى حرفين وعلى ثلاثة وعلى أربعة وعلى خمسة لا أكثر من ذلك قلت ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف فلا بد أن يذكر ص ن ق وحرفين مثل حم وثلاثة مثل الم وأربعة مثل المر و المص وخمسة مثل كهيعص و حم عسق لأن أساليب كلامهم على هذا في أول القرآن وإنما كررت ليكون أبلغ في التحدي والتبكي كما كررت قصص كثيرة وكرر التحدي بالصريح في أماكن قال وجاء منها على حرف واحد كقوله ذهب الشيخ الإمام العلامة أبو العباس ابن تيمية وشيخنا الحافظ المجتهد أبو الحجاج المزي وحكا لي عن ابن تيمية. قال الزمخشري ولم ترد كلها مجموعة المذهب الرازي في تفسيره عن المبرد وجمع من المحققين وحكى القرطبي عن الفراء وقطرب نحو هذا وقرره الزمخشري في كشفه ونصره أتم نصر وإليه التي ذكرت فيها بيانا لإعجاز القرآن وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله هذا مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها وقد حكى هذا والتي تليها أعني البقرة وآل عمران مدينتان ليستا خطابا للمشركون فانتقض ما ذكروه بهذه الوجوه. وقال آخرون بل إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور لا يكون في بعضها بل غالبها ليس كذلك ولو كان كذلك أيضا لانبغي الابتداء بها في أوائل الكلام معهم سواء كان افتتاح سورة أو غير ذلك ثم إن هذه السورة إذ تواصوا بالإعراض عن القرآن حتى إذا استمعوا له تلا عليهم المؤلف منه حكا ابن جرير أيضا وهو ضعيف أيضا لأنه لو كان كذلك لكان ذلك في جميع السور وهذا ضعيف لأن الفصل حاصل بدونها فيما لم تذكر فيه وفيما ذكرت فيه البسملة تلاوة وكتابة وقال آخرون بل ابتدئ بها لتفتح لاستماعها أسماع المشركين التي اقتضت إيراد هذه الحروف في أوائل السور ما هي مع قطع النظر عن معانيها في أنفسها فقال بعضهم إنما ذكرت ليعرف بها أوائل السور حكا ابن جرير يجمع العلماء فيها على شيء معين وإنما اختلفوا فمن ظهر له بعض الأقوال بدليل فعليه اتباعه وإلا فالوقف حتى يتبين هذا المقام. المقام الآخر في الحكمة فقد أخطأ خطأ كبيرا فتعين أن لها معنى في نفس الأمر فإن صح لنا فيها عن المعصوم شيء قلنا به وإلا وقفنا حيث وقفنا وقلنا أمانا به كل من عند ربنا ولم في هذا المقام كلاما فقال: لا شك أن هذه الحروف لم ينزلها سبحانه وتعالى عبثا ولا سدى ومن قال من الجهلة إن في القرآن ما هو تعبد لا معنى له بالكلمة الذي دقت في كل شيء حكمته. وهذه الأجناس المعدودة مكتوبة بالمذكورة منها وقد علمت أن معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله وههنا ههنا لخص بعضهم المهموسة والمجهورة ومن الرخوة والشديدة ومن المطبقة والمفتوحة ومن المستعلية والمنخفضة ومن حروف الفلقلة. وقد سردها مفصلة ثم قال: فسبحان والمذكور منها أشرف من المتروك وبيان ذلك من صناعة التصريف. قال الزمخشري وهذه الحروف الأربعة عشر مشتملة على أصناف أجناس الحروف يعني من أوائل السور بحذف المكرر منها أربعة عشر حرفا وهي ال م ص ر ك ه ي ع ط س ح ق ن يجمعها قولك: نص حكيم قاطع له سر. وهي نصف الحروف عدا يكتب في ا ب ت ث أي في حروف المعجم الثمانية والعشرين فيستغني بذكر بعضها عن مجموعها حكا ابن جرير. قلت مجموع الحروف المذكورة في العربية هي حروف من حروف المعجم استغنى بذكر ما ذكر منها في أوائل السور عن ذكر بواقيها التي هي تنمة الثمانية والعشرين حرفا كما يقول القائل ابني سفيان هو أن يقول في اقتل ا ق وقال خفيف عن مجاهد أنه قال فواتح السور كلها ق و ص و حم و طسم والر وغير ذلك هجاء موضوع وقال بعض أهل والتاء من الكلمتين عن بقيتهما ولكن هذا ظاهر من سياق الكلام والله أعلم. قال القرطبي وفي الحديث من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة الحديث قال كذا وكذا فاكثفتي بالياء من يفعل وقال الآخر: بالخير خيرات وان شرف ولا أريد الشر إلا أن يقول وإن شرفا فشر ولا أريد الشر إلا أن تشاء فاكثفتي بالفاء لنا فقالت قاف لا تحسبي أنا نسينا الإيجاف تعني وقفت. وقال الآخر: ما للظلم عال كيف لا يينقد عنه جلده إذا ي فقال ابن جرير كأنه أراد أن يقول إذا يفعل به وما أنشدوه من الشواهد على صحة إطلاق الحرف الواحد على بقية الكلمة فإن في السياق ما يدل على ما حذف بخلاف هذا كما قال الشاعر: قلنا قفي غير أن يكون أحدهما أولى من الآخر في التقدير أو الإضمار بوضع ولا بغيره فهذا مما لا يفهم إلا بتوقيف والمسألة مختلف فيها وليس فيها إجماع حتى يحكم فيها والله أعلم. ثم إن لفظة الأمة تدل على كل من معانيها في سياق الكلام بدلالة الوضع فأما دلالة الحرف الواحد على اسم يمكن أن يدل على اسم آخر من في كل موطن على معنى واحد دل عليه سياق الكلام فأما حمله على مجموع محامله إذا أمكن فمسألة مختلف فيها بين علماء الأصول ليس هذا موضع البحث أبو العالية فإن أبا العالية زعم أن الحرف دل على هذا وعلى هذا وعلى هذا معا ولفظة الأمة وما أشبهها من الألفاظ المشتركة في الاصطلاح إنما دل في القرآن الدهر كقوله تعالى وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أي بعد حين على أصح القولين قال فكذلك هذا. هذا حاصل كلامه موجهها ولكن هذا ليس كما ذكره وتطلق ويراد بها الجماعة كقوله تعالى وجد عليه أمة من الناس يسقون وقوله تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا وتطلق ويراد بها الحين من به الدين كقوله تعالى إنا وجدنا آباءنا على أمة وتطلق ويراد بها الرجل المطيع لله كقوله تعالى إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين وعلى صفة من صفاته وعلى مدة وغير ذلك كما ذكره الربيع بن أنس عن أبي العالية لأن الكلمة الواحدة تطلق على معاني كثيرة كلفظة الأمة فإنها تطلق ويراد منها دل على اسم من أسمائه وصفاته كما افتتح سورا كثيرة بتحميده وتسبيحه وتعظيمه قال ولا مانع من دلالة الحرف منها على اسم من أسماء الله هذه الأقوال ويوفق بينها وأنه لا منافاة بين كل واحد منها وبين الآخر وأن الجمع ممكن فهي أسماء للسور ومن أسماء الله تعالى يفتتح بها السور فكل حرف واللام لطف الله والميم مجد الله والألف سنة واللام ثلاثون سنة والميم أربعون سنة. هذا لفظ ابن أبي حاتم ونحوه رواه ابن جرير ثم شرع يوجه كل واحد من فقال أعجب أنهم يظنون بأسمائه ويعيشون في رزقه فكيف يكفرون به فالألف مفتاح الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد فالألف آلاء الله مفتاح اسم من أسمائه وليس منها حرف إلا وهو من آلائه وبلائه ليس منها حرف إلا وهو في مدة أقوام وآجالهم. قال عيسى ابن مريم عليه السلام وعجب:

## تفسير ابن كثير

عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى الم قال هذه الأحرف الثلاثة من التسعة والعشرين حرفا دارت فيها الألسن كلها ليس منها حرف إلا وهو ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الم قال أما الم فهي حروف استفتحت من حروف هجاء أسماء الله تعالى. قال وأبو جعفر الرازي عن أبي الضحى عن ابن عباس: الم قال أنا الله أعلم وكذا قال سعيد بن جبيرة وقال السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث ابن علي عن خالد الحذاء عن عكرمة أنه قال الم قسم. وروينا أيضا من حديث شريك بن عبد الله بن عطاء بن السائب قال: قال عبد الله فذكر نحوه. وحكي مثله عن علي وابن عباس وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هو قسم أقسم الله به وهو من أسماء الله تعالى وروى والم فقال قال ابن عباس هي اسم الله الأعظم وقال ابن جرير وحدثنا محمد بن المثنى حدثنا أبو النعمان حدثنا شعبة عن إسماعيل السدي عن مرة الهمداني الم اسم من أسماء الله الأعظم. هكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث شعبة ورواه ابن جرير عن بندار عن ابن مهدي عن شعبة قال سألت السدي عن حم وطس عنها في فواتح السور من أسماء الله تعالى وكذلك قال سالم بن عبد الله وإسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير وقال شعبة عن السدي بلغني أن ابن عباس قال كله لأن المتبادر إلى فهم سامع من يقول قرأت المص إنما ذلك عبارة عن سورة الأعراف لا لمجموع القرآن والله أعلم. وقيل هي اسم من أسماء الله تعالى فقال هذا يرجع إلى معنى قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنه اسم من أسماء السور فإن كل سورة يطلق عليها اسم القرآن فإنه يبعد أن يكون المص اسما للقرآن وقال مجاهد في رواية أبي حذيفة موسى بن مسعود عن شبل عن ابن أبي نجيح عنه أنه قال الم اسم من أسماء القرآن وهكذا وقال قتادة وزيد بن أسلم ولعل أتى على الإنسان وقال سفيان الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أنه قال: الم وحم والمص وص. فواتح افتتح الله بها القرآن وكذا قال غيره عن مجاهد عليه ويعتضد لهذا بما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة الم السجدة و هل عبد الرحمن بن زيد بن أسلم إنما هي أسماء السور. قال العلامة أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري في تفسيره وعليه إطباق الأكثر ونقل عن سيبويه أنه نص رضي الله عنهم أجمعين وقاله عامر الشعبي وسفيان الثوري والربيع بن خيثم واختاره أبو حاتم بن حبان. ومنهم من فسرها واختلف هؤلاء في معناها فقال السور فمنهم من قال هي مما استأثر الله بعلمه فردوا علمها إلى الله ولم يفسرها حكاه القرطبي في تفسيره عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود قد اختلف المفسرون في الحروف المقطعة التي في أوائل

ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وسعيد بن جبيرة و قتادة وغيرهم يعني طرق السماء وقال الضحاك رحمه الله تعالى فليصعدوا إلى السماء السابعة. 10 وقوله تعالى أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما فليترققوا في الأسباب أي إن كان لهم ذلك فليصعدوا في الأسباب قال الآية كقوله جلت عظمتهم أم يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر وكان ذلك يوم بدر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر. 11 مهزوم من الأحزاب أي هؤلاء الجند المكذبون الذين هم في عزة وشقاق سيهزمون ويغلبون ومكبثون كما كبث الذين من قبلهم من الأحزاب المكذبين وهذه قال عز وجل جند ما هنالك

أمر ربك ولهذا قال عز وجل إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب فجعل علة إهلاكهم هو تكذيبهم بالرسل فليحذر المخاطبون من ذلك أشد الحذر. 12 في أماكن متعددة وقوله تعالى أولئك الأحزاب أي كانوا أكثر منكم وأشد قوة وأكثر أموالا وأولادا فما دافع ذلك عنهم من عذاب الله من شيء لما جاء عن هؤلاء القرون الماضية وما حل بهم من العذاب والنكال والنقمات في مخالفة الرسل وتكذيب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقد تقدمت قصصهم مبسطة يقول تعالى مخبرا

أمر ربك ولهذا قال عز وجل إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب فجعل علة إهلاكهم هو تكذيبهم بالرسل فليحذر المخاطبون من ذلك أشد الحذر. 13 في أماكن متعددة وقوله تعالى أولئك الأحزاب أي كانوا أكثر منكم وأشد قوة وأكثر أموالا وأولادا فما دافع ذلك عنهم من عذاب الله من شيء لما جاء عن هؤلاء القرون الماضية وما حل بهم من العذاب والنكال والنقمات في مخالفة الرسل وتكذيب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقد تقدمت قصصهم مبسطة يقول تعالى مخبرا

أمر ربك ولهذا قال عز وجل إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب فجعل علة إهلاكهم هو تكذيبهم بالرسل فليحذر المخاطبون من ذلك أشد الحذر. 14 في أماكن متعددة وقوله تعالى أولئك الأحزاب أي كانوا أكثر منكم وأشد قوة وأكثر أموالا وأولادا فما دافع ذلك عنهم من عذاب الله من شيء لما جاء عن هؤلاء القرون الماضية وما حل بهم من العذاب والنكال والنقمات في مخالفة الرسل وتكذيب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقد تقدمت قصصهم مبسطة يقول تعالى مخبرا

وهذه الصيحة هي نفخة الفزع التي يأمر الله تعالى إسرائيل أن يطولها فلا يبقى أحد من أهل السموات والأرض إلا فزع إلا من استثنى الله عز وجل. 15 ما لها من فواق قال مالك عن زيد بن أسلم أي ليس لها مثنوية أي ما ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها أي فقد اقتربت ودنت وأزفت وقوله تعالى وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة

أو اتنا بعدذاب أليم وقيل سألو تعجيل نصيبهم من الجنة إن كانت موجودة ليلقوا ذاك في الدنيا وإنما خرج هذا منهم مخرج الاستبعاد والتكذيب. 16 عنهما ومجاهد والضحاك والحسن وغير واحد سألو تعجيل العذاب زاد قتادة كما قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء هذا إنكار من الله تعالى على المشركين في دعائهم على أنفسهم بتعجيل العذاب فإن القط هو الكتاب وقيل هو الحظ والنصيب قال ابن عباس رضي الله

## تفسير ابن كثير

وقوله جل جلاله وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب

نصف الليل ويقوم ثلثه وبينام سدسه وكان يصوم يوما ويفطر يوما ولا يفر إذا لاقى وإنه كان أوابا وهو إلى الله عز وجل في جميع أموره وشؤونه. 17  
في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أحب الصلاة إلى الله تعالى صلاة داود وأحب الصيام إلى الله عز وجل صيام داود كان ينام أعطي داود عليه الصلاة والسلام قوة في العبادة وفقها في الإسلام وقد ذكر لنا أنه عليه الصلاة والسلام كان يقوم ثلث الليل ويصوم نصف الدهر وهذا ثابت ابن عباس رضي الله عنهما والسدي وابن زيد الأيد: القوة وقرأ ابن زيد والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون وقال مجاهد الأيد القوة في الطاعة وقال قتادة أذا هم ومبشرا له على صبره بالعاقبة والنصر والظفر. يذكر تعالى عن عبده ورسوله داود عليه الصلاة والسلام أنه كان ذا أيد والأيد القوة في العلم والعمل قال وإسماعيل بن أبي خالد والله أعلم ولما كان هذا الكلام منهم على وجه الاستهزاء والاستبعاد قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أمرا له بالصبر على هذا منهم مخرج الاستبعاد والتكذيب. وقال ابن جرير سألو تعجيل ما يستحقونه من الخير أو الشر في الدنيا وهذا الذي قاله جيد وعليه يدور كلام الضحاك الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم وقيل سألو تعجيل نصيبهم من الجنة إن كانت موجودة ليلقوا ذاك في الدنيا وإنما خرج هو الحظ والنصيب قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والضحاك والحسن وغير واحد سألو تعجيل العذاب زاد قتادة كما قالوا اللهم إن كان هذا هو وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب هذا إنكار من الله تعالى على المشركين في دعائهم على أنفسهم بتعجيل العذاب فإن القط هو الكتاب وقيل وقوله جل جلاله

أي محبوسة في الهواء كل له أواب أي مطيع يسبح تبعًا له قال سعيد بن جبيرة وقتادة ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد كل له أواب أي مطيع. 18  
صلاة الضحى إلا الآن يسبحن بالعشي والإشراق وكنت أقول أين صلاة الإشراق وكان بعد يقول صلاة الإشراق ولهذا قال عز وجل والطيور محشورة قيامهن وركوعهن وسجودهن وجلوسهن سواء قريب بعضهم من بعض فخرج ابن عباس رضي الله عنهما وهو يقول لقد قرأت ما بين اللوحين ما عرفت عليه وسلم يوم الفتح في بيتي ثم أمر بماء صب في قصعة ثم أمر بثوب فأخذ بييني وبينه فاغتسل ثم رش ناحية البيت فصلى ثمان ركعات وذلك من الضحى ابن عباس رضي الله عنهما كان لا يصلي الضحى قال فأدخلته على أم هانئ رضي الله عنها فقلت أخبري هذا ما أخرتني فقالت: دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وجل يسبحن بالعشي والإشراق ثم رواه من حديث سعيد بن أبي عروبة عن أبي المتوكل عن أيوب بن صفوان عن مولاة عبد الله بن الحارث بن نوفل أن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة صلى الضحى ثمان ركعات فقال ابن عباس رضي الله عنهما قد ظننت أن لهذه الساعة صلاة يقول الله عز أبو كريب حدثنا محمد بن بشر عن مسعر عن عبد الكريم عن موسى بن أبي كثير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه بلغه أن أم هانئ رضي الله عنها ذكرت فسمعه وهو يترنم بقراءة الزبور لا يستطيع الذهاب بل يقف في الهواء ويسبح معه وتجيبه الجبال الشامخات ترجع معه وتسبح تبعًا له قال ابن جرير حدثنا الشمس وآخر النهار كما قال عز وجل يا جبال أوبي معه والطيور وكذلك كانت الطير تسبح بتسبيحه وترجع بترجييعه إذا مر به الطير وهو سابح في الهواء وقوله تعالى إنا سخر الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق أي أنه تعالى سخر الجبال تسبح معه عند إشراق

أي محبوسة في الهواء كل له أواب أي مطيع يسبح تبعًا له قال سعيد بن جبيرة وقتادة ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد كل له أواب أي مطيع. 19  
صلاة الضحى إلا الآن يسبحن بالعشي والإشراق وكنت أقول أين صلاة الإشراق وكان بعد يقول صلاة الإشراق ولهذا قال عز وجل والطيور محشورة قيامهن وركوعهن وسجودهن وجلوسهن سواء قريب بعضهم من بعض فخرج ابن عباس رضي الله عنهما وهو يقول لقد قرأت ما بين اللوحين ما عرفت عليه وسلم يوم الفتح في بيتي ثم أمر بماء صب في قصعة ثم أمر بثوب فأخذ بييني وبينه فاغتسل ثم رش ناحية البيت فصلى ثمان ركعات وذلك من الضحى ابن عباس رضي الله عنهما كان لا يصلي الضحى قال فأدخلته على أم هانئ رضي الله عنها فقلت أخبري هذا ما أخرتني فقالت: دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وجل يسبحن بالعشي والإشراق ثم رواه من حديث سعيد بن أبي عروبة عن أبي المتوكل عن أيوب بن صفوان عن مولاة عبد الله بن الحارث بن نوفل أن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة صلى الضحى ثمان ركعات فقال ابن عباس رضي الله عنهما قد ظننت أن لهذه الساعة صلاة يقول الله عز أبو كريب حدثنا محمد بن بشر عن مسعر عن عبد الكريم عن موسى بن أبي كثير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه بلغه أن أم هانئ رضي الله عنها ذكرت فسمعه وهو يترنم بقراءة الزبور لا يستطيع الذهاب بل يقف في الهواء ويسبح معه وتجيبه الجبال الشامخات ترجع معه وتسبح تبعًا له قال ابن جرير حدثنا الشمس وآخر النهار كما قال عز وجل يا جبال أوبي معه والطيور وكذلك كانت الطير تسبح بتسبيحه وترجع بترجييعه إذا مر به الطير وهو سابح في الهواء وقوله تعالى إنا سخر الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق أي أنه تعالى سخر الجبال تسبح معه عند إشراق

وشقاق أي ومخالفة له ومعاندة ومفارقة ثم خوفهم ما أهلك به الأمم المكذبة قبلهم بسبب مخالفتهم للرسول وتكذيبهم الكتب المنزلة من السماء. 2  
الذين كفروا في عزة وشقاق أي إن في هذا القرآن لذكرى لمن يتذكر وعبرة لمن يعتبر وإنما لم ينتفع به الكافرون لأنهم في عزة أي استكبار عنه وحمية وقوله تبارك وتعالى بل

بردة عن أبيه عن أبي موسى رضي الله عنه قال: أول من قال أما بعد داود عليه السلام وهو فصل الخطاب وكذا قال الشعبي فصل الخطاب أما بعد. 20  
وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمر بن شبة النميري حدثنا إبراهيم بن المنذر حدثني عبد العزيز بن أبي ثابت عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن بلال بن أبي وقال مجاهد والسدي هو إصابة القضاء وفهم ذلك وقال مجاهد أيضا هو الفصل في الكلام وفي الحكم وهذا يشمل هذا كله وهو المراد واختاره ابن جرير

## تفسير ابن كثير

عليه هو فصل الخطاب الذي فصل به الأنبياء والرسل أو قال المؤمنون والصالحون وهو قضاء هذه الأمة إلى يوم القيامة وكذا قال أبو عبد الرحمن السلمي النبوة وقوله جل جلاله وفصل الخطاب قال شريح القاضي والشعبي فصل الخطاب الشهود والأيمان وقال قتادة شاهدان على المدعي أو يمين المدعي الحكمة قال مجاهد يعني الفهم والعقل والفتنة وقال مرة: الحكمة والعدل وقال مرة: الصواب وقال قتادة كتاب الله واتباع ما فيه وقال السدي الحكمة داود عليه السلام فقتل قال ابن عباس عليه السلام فاشتدت هيبتة في بني إسرائيل وهو الذي يقول الله عز وجل وشددنا ملكه وقوله جل وعلا وأتيناها والله يا نبي الله إن الله لم يأمرك بقتلي لأجل هذا الذي ادعيت عليه وإنني لصادق فيما ادعيت ولكني كنت قد اغتلت أباه وقتلته ولم يشعر بذلك أحد فأمر به فلما كان النهار طلبهما وأمر بقتل المدعي فقال يا نبي الله علام تقتلني وقد اغتصبتني هذا بقري؟ فقال له إن الله تعالى أمرني بقتلك فأنا قاتلك لا محالة فقال عليه الصلاة والسلام أنه اغتصبه بقرا فأنكر الآخر ولم يكن للمدعي بينة فأرجأ أمرهما فلما كان الليل أمر داود عليه الصلاة والسلام في المنام بقتل المدعي ابن جرير وابن أبي حاتم من رواية علباء بن أحمر عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن نفرين من بني إسرائيل استعدى أحدهما على الآخر إلى داود السلف بلغني أنه كان يحرسه في كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألفا لا تدور عليهم النوبة إلى مثلها من العام القابل وقال غيره أربعون ألفا مشتملون بالسلاح وقد ذكر ملكا كاملا من جميع ما يحتاج إليه الملوك قال ابن أبي نجيح عن مجاهد كان أشد أهل الدنيا سلطانا وقال السدي كان يحرسه كل يوم أربعة آلاف وقال بعض وقوله تعالى وشددنا ملكه أن جعلنا له

الناس للسجود فقال صلى الله عليه وسلم إنما هي توبة نبي ولكني رأيتمكم تشترنتم فنزل وسجد تفرد به أبو داود وإسناده على شرط الصحيح. 21  
قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر ص فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه فلما كان يوم آخر قرأها فلما بلغ السجدة تشزن صالح حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن عياض بن عبد الله بن سعد بن أبي سرح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: الدواة والقلم وكل شيء بحضرته انقلب ساجدا قال قفصها على النبي صلى الله عليه وسلم فلم يزل يسجد بها بعد تفرد به أحمد وقال أبو داود حدثنا أحمد بن زريع حدثنا حميد حدثنا بكر هو ابن عبد الله المزني أنه أخبره أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه رأى رؤيا أنه يكتب ص فلما بلغ إلى الآية التي يسجد بها رأى صلى الله عليه وسلم أن يقتدي به فسجدها داود عليه الصلاة والسلام فسجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا يزيد بن عنهما من أين سجدت فقال أو ما تقرأ ومن ذريته داود وسليمان أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فكان داود عليه الصلاة والسلام ممن أمر نبيكم عند تفسيرها أيضا حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا محمد بن عبيد الطنافسي عن العوام قال سألت مجاهدا عن سجدة ص فقال: سألت ابن عباس رضي الله الترمذي عن قتيبة وابن ماجة عن أبي بكر بن خالد كلاهما عن محمد بن يزيد بن خنيس نحوه وقال الترمذي غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وقال البخاري قال ابن عباس رضي الله عنهما فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم قام فقرأ السجدة ثم سجد فسمعتة يقول وهو ساجد كما حكى الرجل من كلام الشجرة رواه الشجرة بسجودي فسمعتها تقول وهي ساجدة: اللهم اكتب لي بها عندك أجرا وأجعلها لي عندك ذخرا وضع بها عني وزرا وأقبلها مني كما قبلتها من عبدك داود عنهما فقال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إنني رأيت فيما يرى النائم كأني أصلي خلف شجرة فقرأت السجدة فسجدت فسجدت يزيد ابن خنيس عن الحسن بن محمد بن عبيد الله بن أبي يزيد قال: قال لي ابن جريج يا حسن حدثني جدك عبيد الله بن أبي يزيد عن ابن عباس رضي الله الشحامي أخبرنا أبو سعيد الكنجدروزي أخبرنا الحاكم أبو أحمد محمد بن محمد الحافظ أخبرنا أبو العباس السراج حدثنا هارون بن عبد الله حدثنا محمد بن وقد أخبرني شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي قراءة عليه وأنا أسمع أخبرنا أبو إسحاق المدرجي أخبرنا زاهر بن أبي طاهر الثقفي حدثنا زاهر بن أبي طاهر إن النبي صلى الله عليه وسلم سجد في ص وقال سجدها داود عليه الصلاة والسلام توبة ونسجدها شكرا تفرد بروايته النسائي ورجال إسناده كلهم ثقات هذه الآية أخبرني إبراهيم بن الحسن هو المقسمي حدثنا حجاج بن محمد عن عمر بن ذر عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: وسلم يسجد فيها ورواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي في تفسيره من حديث أيوب به وقال الترمذي حسن صحيح وقال النسائي أيضا عند تفسير هو ابن علي عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في السجدة في ص ليست من عزائم السجود وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه الجديد من مذهب الشافعي رضي الله عنه أنها ليست من عزائم السجود بل هي سجدة شكر والدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد حيث قال حدثنا إسماعيل فغفرنا له ذلك أي ما كان منه مما يقال فيه إن حسنات الأبرار سيئات المقربين وقد اختلف الأئمة في سجدة ص هل هي من عزائم السجود؟ على قولين الله عنهما أي اختبرناه وقوله تعالى وخر راكعا أي ساجدا وأناب ويحتمل أنه ركع أولا ثم سجد بعد ذلك وقد ذكر أنه استمر ساجدا أربعين صباحا وقوله عز وجل وعزني في الخطاب أي غلبني يقال عز يعز إذا قهر وغلب وقوله تعالى وظن داود إنما فتناه قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي وهو أشرف مكان في داره وكان قد أمر أن لا يدخل عليه أحد ذلك اليوم فلم يشعر إلا بشخصين قد تسورا عليه المحراب أي احتاطا به يسألانه عن شأنهما مجرد تلاوة هذه القصة وأن يرد علمها إلى الله عز وجل فإن القرآن حق وما تضمن فهو حق أيضا وقوله تعالى ففزع منهم إنما كان ذلك لأنه كان في محرابه لا يصح سنه لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس رضي الله عنه وي زيد وإن كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة فالأولى أن يقتصر على قد ذكر المفسرون ههنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثا

الناس للسجود فقال صلى الله عليه وسلم إنما هي توبة نبي ولكني رأيتمكم تشترنتم فنزل وسجد تفرد به أبو داود وإسناده على شرط الصحيح. 22  
قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر ص فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه فلما كان يوم آخر قرأها فلما بلغ السجدة تشزن صالح حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن عياض بن عبد الله بن سعد بن أبي سرح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:

## تفسير ابن كثير

الدواة والقلم وكل شيء بحضرته انقلب ساجدا قال قفصها على النبي صلى الله عليه وسلم فلم يزل يسجد بها بعد تفرد به أحمد وقال أبو داود حدثنا أحمد بن زريع حدثنا حميد حدثنا بكر هو ابن عبد الله المزني أنه أخبره أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه رأى رؤيا أنه يكتب ص فلما بلغ إلى الآية التي يسجد بها رأى صلى الله عليه وسلم أن يقتدي به فسجدها داود عليه الصلاة والسلام فسجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا يزيد بن عنهما من أين سجدت فقال أو ما تقرأ ومن ذريته داود وسليمان أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فكان داود عليه الصلاة والسلام ممن أمر نبيكم عند تفسيرها أيضا حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا محمد بن عبيد الطنافسي عن العوام قال سألت مجاهدا عن سجدة ص فقال: سألت ابن عباس رضي الله الترمذي عن قتيبة وابن ماجة عن أبي بكر بن خالد كلاهما عن محمد بن يزيد بن خنيس نحوه وقال الترمذي غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وقال البخاري قال ابن عباس رضي الله عنهما فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم قام فقرأ السجدة ثم سجد فسمعتة يقول وهو ساجد كما حكى الرجل من كلام الشجرة رواه الشجرة بسجودي فسمعتها تقول وهي ساجدة: اللهم اكتب لي بها عندك أجرا وأجعلها لي عندك دخرا وضع بها عني وزرا وأقبلها مني كما قبلتها من عبدك داود عنهما فقال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إنى رأيت فيما يرى النائم كأنى أصلي خلف شجرة فقرأت السجدة فسجدت فسجدت يزيد ابن خنيس عن الحسن بن محمد بن عبيد الله بن أبي يزيد قال: قال لي ابن جريج يا حسن حدثني جدك عبيد الله بن أبي يزيد عن ابن عباس رضي الله الشحامي أخبرنا أبو سعيد الكنجدروني أخبرنا الحاكم أبو أحمد محمد بن محمد الحافظ أخبرنا أبو العباس السراج حدثنا هارون بن عبد الله حدثنا محمد بن وقد أخبرني شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي قراءة عليه وأنا أسمع أخبرنا أبو إسحاق المدرجي أخبرنا زاهر بن أبي طاهر الثقفي حدثنا زاهر بن أبي طاهر إن النبي صلى الله عليه وسلم سجد في ص وقال سجدها داود عليه الصلاة والسلام توبة ونسجدها شكرا تفرد بروايته النسائي ورجال إسناده كلهم ثقات هذه الآية أخبرني إبراهيم بن الحسن هو المقسمي حدثنا حجاج بن محمد عن عمر بن زر عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: وسلم يسجد فيها ورواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي في تفسيره من حديث أيوب به وقال الترمذي حسن صحيح وقال النسائي أيضا عند تفسير هو ابن علي عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في السجدة في ص ليست من عزائم السجود وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه الجديد من مذهب الشافعي رضي الله عنه أنها ليست من عزائم السجود بل هي سجدة شكر والدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد حيث قال حدثنا إسماعيل فغفرنا له ذلك أي ما كان منه مما يقال فيه إن حسنات الأبرار سيئات المقربين وقد اختلف الأئمة في سجدة ص هل هي من عزائم السجود ؟ على قولين الله عنهما أي اختبرناه وقوله تعالى وخر راكعا أي ساجدا وأتاب ويحتمل أنه ركع أولا ثم سجد بعد ذلك وقد ذكر أنه استمر ساجدا أربعين صباحا وقوله عز وجل وعزني في الخطاب أي غلبني يقال عز يعز إذا قهر وغلب وقوله تعالى وظن داود إنما فتناه قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي وهو أشرف مكان في داره وكان قد أمر أن لا يدخل عليه أحد ذلك اليوم فلم يشعر إلا بشخصين قد تسورا عليه المحراب أي احتاطا به يسألانه عن شأنهما مجرد تلاوة هذه القصة وأن يرد علمها إلى الله عز وجل فإن القرآن حق وما تضمن فهو حق أيضا وقوله تعالى ففزع منهم إنما كان ذلك لأنه كان في محرابه لا يصح سنده لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس رضي الله عنه وي زيد وإن كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة فالأولى أن يقتصر على قد ذكر المفسرون ههنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثا الناس للسجود فقال صلى الله عليه وسلم إنما هي توبة نبي ولكني رأيتمكم تشزتم فنزل وسجد تفرد به أبو داود وإسناده على شرط الصحيح. 23

قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر ص فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه فلما كان يوم آخر قرأها فلما بلغ السجدة تشزن صالح حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن عياض بن عبد الله بن سعد بن أبي سرح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: الدواة والقلم وكل شيء بحضرته انقلب ساجدا قال قفصها على النبي صلى الله عليه وسلم فلم يزل يسجد بها بعد تفرد به أحمد وقال أبو داود حدثنا أحمد بن زريع حدثنا حميد حدثنا بكر هو ابن عبد الله المزني أنه أخبره أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه رأى رؤيا أنه يكتب ص فلما بلغ إلى الآية التي يسجد بها رأى صلى الله عليه وسلم أن يقتدي به فسجدها داود عليه الصلاة والسلام فسجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا يزيد بن عنهما من أين سجدت فقال أو ما تقرأ ومن ذريته داود وسليمان أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فكان داود عليه الصلاة والسلام ممن أمر نبيكم عند تفسيرها أيضا حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا محمد بن عبيد الطنافسي عن العوام قال سألت مجاهدا عن سجدة ص فقال: سألت ابن عباس رضي الله الترمذي عن قتيبة وابن ماجة عن أبي بكر بن خالد كلاهما عن محمد بن يزيد بن خنيس نحوه وقال الترمذي غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وقال البخاري قال ابن عباس رضي الله عنهما فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم قام فقرأ السجدة ثم سجد فسمعتة يقول وهو ساجد كما حكى الرجل من كلام الشجرة رواه الشجرة بسجودي فسمعتها تقول وهي ساجدة: اللهم اكتب لي بها عندك أجرا وأجعلها لي عندك دخرا وضع بها عني وزرا وأقبلها مني كما قبلتها من عبدك داود عنهما فقال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إنى رأيت فيما يرى النائم كأنى أصلي خلف شجرة فقرأت السجدة فسجدت فسجدت يزيد ابن خنيس عن الحسن بن محمد بن عبيد الله بن أبي يزيد قال: قال لي ابن جريج يا حسن حدثني جدك عبيد الله بن أبي يزيد عن ابن عباس رضي الله الشحامي أخبرنا أبو سعيد الكنجدروني أخبرنا الحاكم أبو أحمد محمد بن محمد الحافظ أخبرنا أبو العباس السراج حدثنا هارون بن عبد الله حدثنا محمد بن وقد أخبرني شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي قراءة عليه وأنا أسمع أخبرنا أبو إسحاق المدرجي أخبرنا زاهر بن أبي طاهر الثقفي حدثنا زاهر بن أبي طاهر إن النبي صلى الله عليه وسلم سجد في ص وقال سجدها داود عليه الصلاة والسلام توبة ونسجدها شكرا تفرد بروايته النسائي ورجال إسناده كلهم ثقات هذه الآية أخبرني إبراهيم بن الحسن هو المقسمي حدثنا حجاج بن محمد عن عمر بن زر عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

## تفسير ابن كثير

وسلم يسجد فيها ورواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي في تفسيره من حديث أيوب به وقال الترمذي حسن صحيح وقال النسائي أيضا عند تفسير هو ابن عليه عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في السجدة في ص ليست من عزائم السجود وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها من مذهب الشافعي رضي الله عنه أنها ليست من عزائم السجود بل هي سجدة شكر والدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد حيث قال حدثنا إسماعيل فغفرنا له ذلك أي ما كان منه مما يقال فيه إن حسنات الأبرار سيئات المقربين وقد اختلف الأئمة في سجدة ص هل هي من عزائم السجود ؟ على قولين الله عنهما أي اختبرناه وقوله تعالى وخر راکعاً أي ساجداً وأنااب ويحتمل أنه ركع أولاً ثم سجد بعد ذلك وقد ذكر أنه استمر ساجداً أربعين صباحاً وقوله عز وجل وعزني في الخطاب أي غلبني يقال عز يعز إذا قهر وغلب وقوله تعالى وظن داود إنما فتناه قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي وهو أشرف مكان في داره وكان قد أمر أن لا يدخل عليه أحد ذلك اليوم فلم يشعر إلا بشخصين قد تسورا عليه المحراب أي احتاطا به يسألانه عن شأنهما مجرد تلاوة هذه القصة وأن يرد علمها إلى الله عز وجل فإن القرآن حق وما تضمن فهو حق أيضاً وقوله تعالى ففرع منهم إنما كان ذلك لأنه كان في محرابه لا يصح سنده لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس رضي الله عنه ويزيد وإن كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة فالأولى أن يقتصر على قد ذكر المفسرون ههنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثاً الناس للسجود فقال صلى الله عليه وسلم إنما هي توبة نبي ولكني رأيتمكم تشزنتم فنزل وسجد تفرد به أبو داود وإسناده على شرط الصحيح. 24

قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر ص فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه فلما كان يوم آخر قرأها فلما بلغ السجدة تشزنت صالح حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن عياض بن عبد الله بن سعد بن أبي سرح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: الدواة والقلم وكل شيء بحضرته انقلب ساجداً قال قفصها على النبي صلى الله عليه وسلم فلم يزل يسجد بها بعد تفرد به أحمد وقال أبو داود حدثنا أحمد بن زريع حدثنا حميد حدثنا بكر هو ابن عبد الله المزني أنه أخبره أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه رأى رؤيا أنه يكتب ص فلما بلغ إلى الآية التي يسجد بها رأى صلى الله عليه وسلم أن يقتدي به فسجدها داود عليه الصلاة والسلام فسجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا يزيد بن عنهما من أين سجدت فقال أو ما تقرأ ومن ذريته داود وسليمان أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فكان داود عليه الصلاة والسلام ممن أمر نبيكم عند تفسيرها أيضاً حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا محمد بن عبيد الطنافسي عن العوام قال سألت مجاهداً عن سجدة ص فقال: سألت ابن عباس رضي الله الترمذي عن قتيبة وابن ماجة عن أبي بكر بن خالد كلاهما عن محمد بن يزيد بن خنيس نحوه وقال الترمذي غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وقال البخاري قال ابن عباس رضي الله عنهما فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم قام فقرأ السجدة ثم سجد فسمعتة يقول وهو ساجد كما حكى الرجل من كلام الشجرة رواه الشجرة بسجودي فسمعتها تقول وهي ساجدة: اللهم اكتب لي بها عندك أجراً وأجعلها لي عندك دخراً ورضاً بها عني وزراً وأقبلها مني كما قبلتها من عبدك داود عنهما فقال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إنني رأيت فيما يرى النائم كأنني أصلي خلف شجرة فقرأت السجدة فسجدت فسجدت يزيد ابن خنيس عن الحسن بن محمد بن عبيد الله بن أبي يزيد قال: قال لي ابن جريج يا حسن حدثني جدك عبيد الله بن أبي يزيد عن ابن عباس رضي الله الشحامي أخبرنا أبو سعيد الكنجردوزي أخبرنا الحاكم أبو أحمد محمد بن محمد الحافظ أخبرنا أبو العباس السراج حدثنا هارون بن عبد الله حدثنا محمد بن وقد أخبرني شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي قراءة عليه وأنا أسمع أخبرنا أبو إسحاق المدرجي أخبرنا زاهر بن أبي طاهر الثقفي حدثنا زاهر بن أبي طاهر إن النبي صلى الله عليه وسلم سجد في ص وقال سجدها داود عليه الصلاة والسلام توبة ونسجدها شكراً تفرد بروايته النسائي ورجال إسناده كلهم ثقات هذه الآية أخبرني إبراهيم بن الحسن هو المقسمي حدثنا حجاج بن محمد عن عمر بن ذر عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: وسلم يسجد فيها ورواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي في تفسيره من حديث أيوب به وقال الترمذي حسن صحيح وقال النسائي أيضاً عند تفسير هو ابن عليه عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في السجدة في ص ليست من عزائم السجود وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها من مذهب الشافعي رضي الله عنه أنها ليست من عزائم السجود بل هي سجدة شكر والدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد حيث قال حدثنا إسماعيل فغفرنا له ذلك أي ما كان منه مما يقال فيه إن حسنات الأبرار سيئات المقربين وقد اختلف الأئمة في سجدة ص هل هي من عزائم السجود ؟ على قولين الله عنهما أي اختبرناه وقوله تعالى وخر راکعاً أي ساجداً وأنااب ويحتمل أنه ركع أولاً ثم سجد بعد ذلك وقد ذكر أنه استمر ساجداً أربعين صباحاً وقوله عز وجل وعزني في الخطاب أي غلبني يقال عز يعز إذا قهر وغلب وقوله تعالى وظن داود إنما فتناه قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي وهو أشرف مكان في داره وكان قد أمر أن لا يدخل عليه أحد ذلك اليوم فلم يشعر إلا بشخصين قد تسورا عليه المحراب أي احتاطا به يسألانه عن شأنهما مجرد تلاوة هذه القصة وأن يرد علمها إلى الله عز وجل فإن القرآن حق وما تضمن فهو حق أيضاً وقوله تعالى ففرع منهم إنما كان ذلك لأنه كان في محرابه لا يصح سنده لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس رضي الله عنه ويزيد وإن كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة فالأولى أن يقتصر على قد ذكر المفسرون ههنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثاً في الدنيا فيقول وكيف وقد سلبته ؟ فيقول الله عز وجل إني أردته عليك اليوم قال فيرفع داود عليه الصلاة والسلام بصوت يستفرغ نعيم أهل الجنان. 25

له عندنا لزلقي وحسن مأب قال يقيم داود يوم القيامة عند ساق العرش ثم يقول يا داود مجدني اليوم بذلك الصوت الحسن الرحيم الذي كنت تمجدي مرفوعاً إلا من هذا الوجه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة ثنا عبد الله بن أبي زياد ثنا سيار ثنا جعفر بن سليمان سمعت مالك بن دينار في قوله تعالى وإن عادل وإن أبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأشدهم عذاباً إمام جائر ورواه الترمذي من حديث فضيل وهو ابن مرزوق الأغر عن عطية به وقال لا نعرفه

## تفسير ابن كثير

بن آدم ثنا فضيل عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأقربهم منه مجلسا إمام كما جاء في الصحيح المفسون على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يقسطون في أهليهم وما ولوا وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى له عندنا لزلفى وحسن مآب أي وإن له يوم القيامة لقربة يقربه الله عز وجل بها وحسن مرجع وهو الدرجات العالية في الجنة لنوبته وعدله التام في ملكه وقوله تعالى وإن

بما نسوا وقال السدي لهم عذاب شديد بما تركوا إن يعملوا ليوم الحساب وهذا القول أمشى على ظاهر الآية والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب. 26  
ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله الآية وقال عكرمة لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب هذا من المقدم والمؤخر لهم عذاب شديد يوم الحساب داود عليه الصلاة والسلام إن الله تعالى جمع له النبوة والخلافة ثم توعده في كتابه فقال تعالى يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق الخليفة فإنك قد قرأت الكتاب الأول وقرأت القرآن وفقهت فقلت يا أمير المؤمنين أقول ؟ قال قل في أمان الله قلت يا أمير المؤمنين أنت أكرم على الله أو حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن خالد حدثنا الوليد حدثنا مروان بن جراح حدثني إبراهيم أبو زرعة كان قد قرأ الكتاب أن الوليد بن عبد الملك قال له أياحاسب وتعالى ولا يعدلوا عنه فيضلوا عن سبيل الله وقد توعده تبارك وتعالى من ضل عن سبيله وتناسى يوم الحساب بالوعيد الأكيد والعذاب الشديد قال ابن أبي هذه وصية من الله عز وجل لولاة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك

كفروا من النار أي ويل لهم يوم معادهم ونشورهم من النار المعدة لهم ثم بين تعالى أنه عز وجل من عدله وحكمته لا يساوي بين المؤمنين والكافرين. 27  
تبارك وتعالى وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا أي الذين لا يرون بعثا ولا معادا وإنما يعتقدون هذه الدار فقط فويل للذين يخبر تعالى أنه ما خلق الخلق عبثا وإنما خلقهم ليعبدوه ويوحده ثم يجمعهم يوم الجمع فيثيب المطيع ويعذب الكافر ولهذا قال  
وإذا لم يقع هذا في هذه الدار فتعين أن هناك دارا أخرى لهذا الجزاء والمواساة ولما كان القرآن يرشد إلى المقاصد الصحيحة والمآخذ العقلية الصريحة. 28  
ماله وولده ونعيمه ويموت كذلك ونرى المطيع المظلوم يموت بكمده فلا بد في حكمة الحكيم العليم العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة من إنصاف هذا من هذا يثاب فيها هذا المطيع ويعاقب فيها هذا الفاجر وهذا الإرشاد يدل العقول السليمة والفطر المستقيمة على أنه لا بد من معاد وجزاء فإنا نرى الظالم الباغي يزداد آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار أي لا نفعل ذلك ولا يستوون عند الله وإذا كان الأمر كذلك فلا بد من دار أخرى قال تعالى أم نجعل الذين

البصري والله ما تدبره بحفظ حروفه وإضاعة حدوده حتى إن أحدهم ليقول قرأت القرآن كله ما يرى له القرآن في خلق ولا عمل رواه ابن أبي حاتم. 29  
قال تعالى كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب أي ذوو العقول وهي الألباب جمع لب وهو العقل قال الحسن  
النوص التأخر والبوص التقدم ولهذا قال تبارك وتعالى ولات حين مناص أي ليس الحين حين فرار ولا ذهاب والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب. 3  
ومنهم من جرز الجر بها وأنشد: طلبوا صلحنا ولات أوان فأجبنا أن ليس حين بقاء وأنشد بعضهم أيضا: ولات ساعة مندم بخفض الساعة وأهل اللغة يقولون ثم قرأ الجمهور بنصب حين تقديره وليس الحين حين مناص ومنهم من جوز النصب بها وأنشد تذكر حب ليلي لات حينا وأضحى الشيب قد قطع القرينا ورب فيقولون ربت وهي مفصولة والوقف عليها ومنهم من حكي عن المصحف الإمام فيما ذكره ابن جرير أنها متصلة بحين ولا تحين مناص والمشهور الأول عن زيد بن أسلم ولات حين مناص ولا نداء في غير حين النداء وهذه الكلمة وهي لات هي لا التي للنفى زيدت معها التاء كما تزداد في ثم فيقولون ثمت ولات حين مناص ليس بحين فرار ولا إجابة وقد روي نحو هذا عن عكرمة وسعيد بن جبيرة وأبي مالك والضحاك وزيد بن أسلم والحسن وقتادة وعن مالك بالتوحيد حين تولت الدنيا عنهم واستنصوا للتوبة حيث تولت الدنيا عنهم وقال قتادة لما رأوا العذاب أرادوا التوبة في غير حين النداء وقال مجاهد فنادوا عن ابن عباس نادوا النداء حين لا ينفعهم وأنشد تذكر ليلي لات حين تذكر وقال محمد بن كعب في قوله تعالى فنادوا ولات حين مناص يقول نادوا مناص قال ليس بحين نداء ولا نزو ولا فرار وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ليس بحين مغاث وقال شبيب بن بشر عن عكرمة قال أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن أبي إسحاق التميمي قال: سألت ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن قول الله تبارك وتعالى فنادوا ولات حين بمجد عنهم شيئا كما قال عز وجل فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون أي يهربون لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون فقال تعالى كم أهلكنا من قبلهم من قرن أي من أمة مكذبة فنادوا أي حين جاءهم العذاب استغاثوا وجأروا إلى الله تعالى وليس ذلك

بعد إيمان قال فما أحلى قال روح الله بين عباده قال فما أبرد ؟ قال عفو الله عن الناس وعفو الناس بعضهم عن بعض قال داود عليه السلام فأنت نبي. 30  
بن خالد حدثنا الوليد بن جابر حدثنا مكحول قال لما وهب الله تعالى لداود سليمان قال له يا بني ما أحسن ؟ قال سكينه الله والإيمان قال فما أقبح ؟ قال كفر امرأة حرائر وقوله تعالى نعم العبد إنه أواب ثناء على سليمان بأنه كثير الطاعة والعبادة والإنابة إلى الله عز وجل قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو يقول تعالى مخبرا أنه وهب لداود سليمان أي نبيا كما قال عز وجل وورث سليمان داود أي في النبوة وإلا فقد كان له بنون غيره فإنه قد كان عنده مائة

الله عنها أما سمعت أن سليمان عليه الصلاة والسلام كانت له خيل لها أجنحة قالت رضي الله عنها فضحك صلى الله عليه وسلم حتى رأيت نواجذه. 31  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا الذي عليه ؟ قالت رضي الله عنها جناحان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرس له جناحان ؟ قالت رضي الله عنها بناتي ورأى بينهن فرسا له جناحان من رقاع فقال صلى الله عليه وسلم ما هذا الذي أرى وسطهن ؟ قالت رضي الله عنها فرس قال

## تفسير ابن كثير

غزوة تبوك أو خيبر وفي سهوتها ستر فهبت الريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة رضي الله عنها لعب فقال صلى الله عليه وسلم ما هذا يا عائشة ؟ حدثني عمارة بن غزية أن محمد بن إبراهيم حدثه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة رضي الله عنها قالت قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من عليه الصلاة والسلام عشرين ألف فرس فعقرها وهذا أشبه والله أعلم وقال أبو داود حدثنا محمد بن عوف حدثنا سعيد بن أبي مريم أخبرنا يحيى بن أيوب حدثنا أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا ابن أبي زائدة أخبرني إسرائيل عن سعيد بن مسروق عن إبراهيم التيمي قال كانت الخيل التي شغلت سليمان عن إبراهيم التيمي في قوله عز وجل إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد قال كانت عشرين فرسا ذات أجنحة كذا رواه ابن جرير. وقال ابن أبي حاتم وطرف حافر الرابعة والجياد السراع وكذا قال غير واحد من السلف وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا مؤمل حدثنا سفيان عن أبيه سعيد بن مسروق بالعشي الصافنات الجياد أي إذ عرض على سليمان عليه الصلاة والسلام في حال مملكته وسلطانه الخيل الصافنات قال مجاهد وهي التي تقف على ثلاث قوله تعالى إذ عرض عليه

فقال لنا البدوي أخذ بيدي رسول الله فجعل يعلمني مما علمه الله عز وجل وقال إنك لا تدع شيئا اتقاء الله تعالى إلا أعطاك الله عز وجل خيرا منه. 32 حدثنا إسماعيل حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال عن أبي قتادة وأبي الدهماء وكانا يكثران السفر نحو البيت قالا أتينا على رجل من أهل البادية عوضه الله عز وجل ما هو خير منها وهو الريح التي تجري بأمره رخاء حيث أصاب غدوها شهر ورواحها شهر فهذا أسرع وخير من الخيل قال الإمام أحمد: فيه نظر لأنه قد يكون في شرعهم جواز مثل هذا ولا سيما إذا كان غضبا لله تعالى بسبب أنه اشتغل بها حتى خرج وقت الصلاة ولهذا لما خرج عنها لله تعالى جرير قال لأنه لم يكن ليعذب حيوانا بالعرقبة ويهلك مالا من ماله بلا سبب سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها ولا ذنب لها وهذا الذي رجح به ابن جرير ضرب أعناقها وعراقيبها بالسيوف وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما جعل يسمح أعراف الخيل وعراقيبها حبا لها وهذا القول اختاره ابن علي فطفق مسحا بالسوق والأعناق قال الحسن البصري لا قال: والله لا تشغليني عن عبادة ربي آخر ما عليك ثم أمر بها فعقرت وكذا قال قتادة وقال السدي صلاة ولا ركوع ولا سجود كما فعل الصحابة رضي الله عنهم في فتح تستر وهو منقول عن مكحول والأوزاعي وغيرهما والأول أقرب لأنه قال بعده ردوها تراد للقتال وقد ادعى طائفة من العلماء أن هذا كان مشروعا فنسخ ذلك بصلاة الخوف ومنهم من ذهب إلى ذلك في حال المسايقة والمضايقه حيث لا تمكن الله للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعدما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب ويحتمل أنه كان سائغا في ملتهم تأخير الصلاة لعذر الغزو والقتال والخيل رسول الله والله ما كدت أصلي العصر حتى كادت الشمس تغرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما صليتها فقال فقمننا إلى بطحان فتوضأ نبي في الصحيحين من غير وجه من ذلك عن جابر رضي الله عنه قال جاء عمر رضي الله عنه يوم الخندق بعدما غربت الشمس فجعل يسب كفار قريش ويقول يا حتى فات وقت صلاة العصر والذي يقطع به أنه لم يتركها عمدا بل نسيانا كما شغل النبي يوم الخندق عن صلاة العصر حتى صلاها بعد الغروب وذلك ثابت وقوله تبارك وتعالى فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ذكر غير واحد من السلف والمفسرين أنه اشتغل بعرضها

فقال لنا البدوي أخذ بيدي رسول الله فجعل يعلمني مما علمه الله عز وجل وقال إنك لا تدع شيئا اتقاء الله تعالى إلا أعطاك الله عز وجل خيرا منه. 33 حدثنا إسماعيل حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال عن أبي قتادة وأبي الدهماء وكانا يكثران السفر نحو البيت قالا أتينا على رجل من أهل البادية عوضه الله عز وجل ما هو خير منها وهو الريح التي تجري بأمره رخاء حيث أصاب غدوها شهر ورواحها شهر فهذا أسرع وخير من الخيل قال الإمام أحمد: فيه نظر لأنه قد يكون في شرعهم جواز مثل هذا ولا سيما إذا كان غضبا لله تعالى بسبب أنه اشتغل بها حتى خرج وقت الصلاة ولهذا لما خرج عنها لله تعالى جرير قال لأنه لم يكن ليعذب حيوانا بالعرقبة ويهلك مالا من ماله بلا سبب سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها ولا ذنب لها وهذا الذي رجح به ابن جرير ضرب أعناقها وعراقيبها بالسيوف وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما جعل يسمح أعراف الخيل وعراقيبها حبا لها وهذا القول اختاره ابن علي فطفق مسحا بالسوق والأعناق قال الحسن البصري لا قال: والله لا تشغليني عن عبادة ربي آخر ما عليك ثم أمر بها فعقرت وكذا قال قتادة وقال السدي صلاة ولا ركوع ولا سجود كما فعل الصحابة رضي الله عنهم في فتح تستر وهو منقول عن مكحول والأوزاعي وغيرهما والأول أقرب لأنه قال بعده ردوها تراد للقتال وقد ادعى طائفة من العلماء أن هذا كان مشروعا فنسخ ذلك بصلاة الخوف ومنهم من ذهب إلى ذلك في حال المسايقة والمضايقه حيث لا تمكن الله للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعدما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب ويحتمل أنه كان سائغا في ملتهم تأخير الصلاة لعذر الغزو والقتال والخيل رسول الله والله ما كدت أصلي العصر حتى كادت الشمس تغرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما صليتها فقال فقمننا إلى بطحان فتوضأ نبي في الصحيحين من غير وجه من ذلك عن جابر رضي الله عنه قال جاء عمر رضي الله عنه يوم الخندق بعدما غربت الشمس فجعل يسب كفار قريش ويقول يا حتى فات وقت صلاة العصر والذي يقطع به أنه لم يتركها عمدا بل نسيانا كما شغل النبي يوم الخندق عن صلاة العصر حتى صلاها بعد الغروب وذلك ثابت وقوله تبارك وتعالى فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ذكر غير واحد من السلف والمفسرين أنه اشتغل بعرضها

من ذهب واقفة على عمود من جوهر التوراة فتجعلها في يده فيقرأها سليمان عليه الصلاة والسلام على الناس وذكر تمام الخبر وهو غريب جدا. 34 عليه الصلاة والسلام وهو جالس ثم ينضن جميعا ما في أجوافهن من المسك والعنبر على رأس سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ثم تتناول حمامة أحست بدورانها دارت تلك الأسود والنسور والطواويس التي في أسفل الكرسي دون التي أعلاه فإذا وقف وقفن كلهن منكسات رؤوسهن على رأس سليمان تدور الرحي المسرعة فقال معاوية رضي الله عنه وما الذي يديره يا أبا إسحاق ؟ قال تنبن من ذهب ذلك الكرسي عليه وهو عظيم مما عمله صخر الجني فإذا وقعد على الكرسي أخذ نسر من تلك النسور عظيم تاج سليمان عليه الصلاة والسلام فوضعه على رأسه فإذا وضعه على رأسه استدار الكرسي بما فيه كما



## تفسير ابن كثير

والسلام على الدرجة الثانية فيبسط الأسد يده الأسد يده اليسرى وينشر النسر جناحه الأيمن فإذا استوى سليمان عليه الصلاة والسلام على الدرجة الثالثة كرسيه وضع قدميه على الدرجة السفلى فاستدار الكرسي كله بما فيه وما عليه ويبسط الأسد يده اليمنى وينشر النسر جناحه الأيسر ثم يصعد عليه الصلاة قاضيا من بنى إسرائيل وعلمائهم وأهل الشرف منهم والطول ومن خلف تلك المنابر كلها خمسة وثلاثون منبرا من ذهب ليس عليها أحد فإذا أراد أن يصعد على ثم يوضع منبرا من ذهب واحد لخليفته والآخر لرئيس أخبار بني إسرائيل ذلك الزمان ثم يوضع أمام كرسيه سبعون منبرا من ذهب يقعد عليها سبعون عليه السلام أن يصعد على كرسيه استدار الأسدان ساعة ثم يقعان فينضحان ما في أجوافهما من المسك والعنبر حول كرسي سليمان عليه الصلاة والسلام قد أطلتا الكرسي وجعل عناقيدهما درا وياقوتا أحمر ثم جعل فوق درج الكرسي أسدان عظيمان من ذهب مجوفان محشوان مسكا وعنبرا فإذا أراد سليمان الأولى شجرتي صنوبر من ذهب عن يسارها أسدان من ذهب وعلى رؤوس الأسدين عمودان من زبرجد وجعل من جانبي الكرسي شجرتي كرم من ذهب التي عن يمين الكرسي طواويس من ذهب ثم جعل على رؤوس النخل التي على يسار الكرسي نسورا من ذهب مقابلة الطواويس وجعل على يمين الدرجة منها مفصصا بالدر والياقوت والزبرجد ثم أمر بالكرسي فحف من جانبه بالنخل نخل من ذهب شماريخها من ياقوت وزبرجد ولؤلؤ وجعل على رؤوس النخل عليهما الصلاة والسلام وما كان عليه ومن أي شيء هو ؟ فقال كان كرسي سليمان من أنياب الفيلة مرصعا بالدر والياقوت والزبرجد واللؤلؤ وقد جعل له درجة الليث أخبرني أبو إسحاق المصري عن كعب الأخبار أنه لما فرغ من حديث إرم ذات العماد قال له معاوية يا أبا إسحاق أخبرني عن كرسي سليمان بن داود أبي حاتم وقد روى ابن أبي حاتم عن كعب الأخبار في صفة كرسي سليمان عليه الصلاة والسلام خبرا عجيبا فقال حدثنا أبي رحمه الله حدثنا أبو صالح كاتب وتعالى أعلم بالصواب وقال يحيى بن أبي عروبة الشيباني: وجد سليمان خاتمه بعسقلان فمشى في حرقة إلى بيت المقدس تواضعا لله عز وجل رواه ابن هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف رضي الله عنهم كسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وجماعة آخرين وكلها متلقة من قصص أهل الكتاب والله سبحانه عن مجاهد وغير واحد من أئمة السلف أن ذلك الجني لم يسلط على نساء سليمان بل عصمهن الله عز وجل منه تشريفا وتكريما لنبيه عليه السلام وقد رويت وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام فالظاهر أنهم يكذبون عليه ولهذا كان في السياق منكرات من أشدها ذكر النساء فإن المشهور الشيطان الذي كان سلط عليه إسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قوي ولكن الظاهر أنه إنما تلقاه ابن عباس رضي الله عنهما إن صح عنه من أهل الكتاب رخام ثم أدخل في جوفه ثم سد بالنحاس ثم أمر به فطرح في البحر فذلك قوله تبارك وتعالى ولقد فتننا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب يعني فجعل لا يثب في مكان من البيت إلا أنماط معه من الرصاص قال فأخذه فأوثقوه وجاءوا به إلى سليمان عليه الصلاة والسلام فأمر به فنقر له تخت من عليه السلام في طلبه وكان شيطانا مريدا فجعلوا يطلبونه ولا يقدرون عليه حتى وجدوه يوما نائما فجاءوا فبنوا عليه بنيانا من رصاص فاستيقظ فوثب في جوفها فأخذه فلبسه قال فلما لبسه دانت له الجن والإنس والشياطين وعاد إلى حاله وهرب الشيطان حتى لحق بجزيرة من جزائر البحر فأرسل سليمان السمك ثم انطلق به إلى منزله فلما انتهى الرجل إلى بابه أعطاه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم فأخذا سليمان عليه الصلاة والسلام فشق بطنها فإذا الخاتم فدعا سليمان عليه الصلاة والسلام فقال تحمل لي هذا السمك ؟ فقال نعم قال بكم ؟ قال بسمكة من هذا السمك قال فحمل سليمان عليه الصلاة والسلام في البحر فتلقتته سمكة فأخذه وكان سليمان عليه السلام يحمل على شط البحر بالأجر فجاء رجل فاشترى سمكا فيه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم الناس وقالوا بهذا كان يظهر سليمان على الناس ويغلبهم فأكفر الناس سليمان عليه الصلاة والسلام فلم يزلوا يكفرونه وبعث ذلك الشيطان بالخاتم فطرحه كان يأتيها قبل ذلك فلما رأى الشيطان أنه قد فطن له ظن أن أمره قد انقطع فكتبوا كتبها فيها سحر وكفر فدفعوها تحت كرسي سليمان ثم أثاروها وقرأوها على سلطانه ألقى في قلوب الناس إنكار ذلك الشيطان قال فأرسلوا إلى نساء سليمان فقالوا لهن أتكرن من سليمان شيئا ؟ قلن نعم إنه يأتيها ونحن حيض وما يرمونه بالحجارة فلما رأى ذلك سليمان عرف أنه من أمر الله عز وجل قال وقام الشيطان يحكم بين الناس فلما أراد الله تبارك وتعالى أن يرد على سليمان قال لها هاتي خاتمي قالت قد أعطيتها سليمان قال أنا سليمان قالت كذبت ما أنت بسليمان فجعل لا يأتي أحدا يقول له أنا سليمان إلا كذبه حتي جعل الصبيان فجاء الشيطان في صورة سليمان فقال لها هاتي خاتمي فأعطته إياه فلما لبسه دانت له الإنس والجن والشياطين فلما خرج سليمان عليه السلام من الخلاه على كرسيه جسدا ثم أناب قال أراد سليمان عليه الصلاة والسلام أن يدخل الخلاه فأعطى الجرادة خاتمه وكانت الجرادة امرأته وكانت أحب نساءه إليه شيبه وعلي بن محمد قالوا حدثنا أبو معاوية أخبرنا الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وألقينا إليه ملكه وفر آصف فدخل البحر هذه كلها من الإسرائيليات ومن أنكرها ما قاله ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن العلاء وعثمان بن أبي عليه الصلاة والسلام يستطعم فيقول أتعرفوني ؟ أطعموني أنا سليمان فيكذبونه حتى أعطته امرأته يوما حوتا ففتح بطنه فوجد خاتمه في بطنه فرجع فساح سليمان عليه السلام وذهب ملكه وقعد آصف على كرسيه ومنعه الله تبارك وتعالى من نساء سليمان فلم يقربهن ولم يقربنه وأنكره قال فكان سليمان على كرسيه جسدا قال شيطانا يقال له آصف فقال له سليمان عليه السلام كيف تفتنون الناس ؟ قال أرني خاتمك أخبرك فلما أعطاه إياه نبذه آصف في البحر تكن سخرت له قبل ذلك وهو قوله وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تبارك وتعالى وألقينا ثم أطبق عليه وقفل عليه بقفل وختم عليه بخاتمه ثم أمر به فألقي في البحر فهو فيه حتى تقوم الساعة وكان اسمه حقيق قال وسخر الله له الريح ولم عذركم ولا ألومكم على ما كان منكم كان هذا الأمر لا بد منه قال فجاء حتى أتى ملكه وأرسل إلى الشيطان فجاء به فأمر به فجعل في صندوق من حديد فرد الله عليه بهاءه وملكه فجاءت الطير حتى حامت عليه فعرف القوم أنه سليمان عليه الصلاة والسلام فقام القوم يعتذرون مما صنعوا فقال ما أحمدكم على مما قد مذر عندهم ولم يشغلوه ما كان به من الضرب حتى قام إلى شاطئ البحر فشق بطونها فجعل يغسل فوجد خاتمه في بطن إحداها فأخذه فلبسه

## تفسير ابن كثير

يغسل دمه وهو على شاطئ البحر فلام الصيادون صاحبهم الذي ضربه فقالوا بئس ما صنعت حيث ضربته قال إنه زعم أنه سليمان قال فأعطوه سمكتين فيها حتى انتهى إلى صياد من صيادي البحر وهو جائع وقد اشتد جوعه فسألهم من صيدهم وقال إني أنا سليمان فقام إليه بعضهم فضربه بعضا فشجه فجعل معه ثم طار حتى ذهب إلى البحر فوقع الخاتم منه في البحر فابتلعه حوت من حيتان البحر قال وأقبل سليمان عليه الصلاة والسلام في حاله التي كان أحكامه قال فبكى النساء عند ذلك قال فأقبلوا يمشون حتى أتوه فأحدقوا به ثم نشروا يقرءون التوراة قال فطار من بين أيديهم حتى وقع على شرفة والخاتم فأنكر الناس أحكامه فاجتمع قراء بني إسرائيل وعلماءهم فجاءوا حتى دخلوا على نسائه فقالوا لهن إنا قد أنكرنا هذا فإن كان سليمان فقد ذهب عقله وأنكرنا والسلام وخرج سليمان بعد ذلك فسألها أن تعطيه خاتمه فقالت ألم تأخذه قبل ؟ قال لا وخرج كأنه تائه ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوما قال من الناس غيرها فأعطاهها يوما خاتمه ودخل الخلاء فخرج الشيطان في صورته فقال هايتي الخاتم فأعطته فجاء حتى جلس على مجلس سليمان عليه الصلاة عليه الصلاة والسلام مائة امرأة وكانت امرأة منهن يقال لها جرادة وهي أثر نسائه وآمنهن عنده وكان إذا أجنب أو أتى حاجة نزع خاتمه ولم يأمن عليه أحدا صخر وقال السدي ولقد فتنا سليمان أي ابتلينا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا قال شيطانا جلس على كرسيه أربعين يوما قال كان لسليمان ليلة إذ وجد نبي الله خاتمه في بطن سمكة فأقبل فجعل لا يستقبله جني ولا طير إلا سجد له حتى انتهى إليهم وألقينا على كرسيه جسدا قال هو الشيطان الله وهو لا يرى إلا أنه نبي الله أحدنا تصيبه الجنابة في الليلة الباردة فيدع الغسل عمدا حتى تطلع الشمس أتري عليه بأسا ؟ قال لا فبينما هو كذلك أربعين ينكرون منه أشياء حتى قالوا لقد فتن نبي الله وكان فيهم رجل يشبهونه بعمر بن الخطاب رضي الله عنه في القوة فقال والله لأجربنه قال فقال يا نبي سليمان منه وألقي على الشيطان شبه سليمان قال فجاء فقعده على كرسيه وسريه وسلط على ملك سليمان كله غير نسائه قال فجعل يقضي بينهم وجعلوا وذلك الشيطان صخر معه وذلك عند مقارفة قارف فيها بعض نسائه قال فدخل الحمام وأعطى الشيطان خاتمه فألقاه في البحر فالتصمته سمكة ونزع ملك فأخذ الماس فجعلوا يقطعون به الحجارة وكان سليمان عليه الصلاة والسلام إذا أراد أن يدخل الخلاء أو الحمام لم يدخل بالخاتم فانطلق يوما إلى الحمام الهدهد فجعل عليه زجاجة فجاء الهدهد فدار حولها فجعل يرى بيضه ولا يقدر عليه فذهب فجاء بالماس فوضعه عليه فقطعها به حتى أفضى إلى بيضه فذل قال وكان ملكه في خاتمه فأتي به سليمان عليه الصلاة والسلام فقال إنا قد أمرنا ببناء هذا البيت وقيل لنا لا يسمعن فيه صوت حديد قال فأتى ببيض شديد ثم أتاه فقال إنك لشراب طيب إلا أنك تصيب الحليم وتزيد الجاهل جهلا قال ثم شربها حتى غلب على عقله قال فأرى الخاتم أو ختم به بين كتفيه ماءها وجعل فيها خمرا فجاء يوم وروده فإذا هو بالخمير فقال إنك لشراب طيب إلا أنك تصيب الحليم وتزيد الجاهل جهلا قال ثم رجع حتى عطش عطشا قال فطلب ذلك فله يقدر عليه فقيل له إن شيطانا في البحر يقال له صخر شبه المارد قال فطلبه وكانت في البحر عين يردها في كل سبعة أيام مرة فنزح مبسوطة ومختصرة وقد قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال أمر سليمان عليه الصلاة والسلام ببناء بيت المقدس فقيل له ابنه ولا يسمع فيه صوت حديد الشيطان صخرأ قاله ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وقيل آصف قاله مجاهد وقيل أيضا قاله مجاهد أيضا وقيل حبيق قاله السدي وقد ذكروا هذه القصة رضي الله عنهما ومجاهد وسعد بن جبير والحسن وقتادة وغيرهم يعني شيطانا ثم أناب أي رجع إلى ملكه وسلطانه وأبتهته قال ابن جرير وكان اسم ذلك يقول تعالى ولقد فتنا سليمان أي اختبرناه بأن سلبناه الملك وألقينا على كرسيه جسدا قال ابن عباس

الله عز وجل: أرسلت إلى عبيدي وسألته حاجته فكانت حاجته أن أجعل قلبه يخشاني وأن أجعل قلبه يحبني لأهين له ملكا لا ينبغي لأحد من بعده. 35 إلى ابنه سليمان عليه الصلاة والسلام أن سلني حاجتك قال: أسألك أن تجعل لي قلبا يخشاك كما كان قلب أبي وأن تجعل قلبي يحبك كما كان قلب أبي فقال الوهاب وقد قال أبو عبيد حدثنا علي بن ثابت عن جعفر بن برقان عن صالح بن مسمار قال: لما مات نبي الله داود عليه السلام أوحى الله تبارك وتعالى حدثنا إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه رضي الله عنه قال ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلا استفتحته سبحانه الله ربي العلي الأعلى الله صلى الله عليه وسلم أما الثنتان فقد أعطيهما وأنا أرجو أن يكون قد أعطي الثالثة وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا عمر بن راشد اليمامي ثلاث خصال حكما يصادف حكمك وملك لا ينبغي لأحد من بعدي ومن أتى هذا البيت لا يريد إلا الصلاة فيه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه قال رسول مات داود أخذ سليمان في بنائه ولما تم قرب القرايين وذبح الذبائح وجمع بنى إسرائيل فأوحى الله إليه قد أرى سرورك ببنيان بيتي فسلني أعطك قال أسألك ما كان ذلك في هواك ومحبتك ؟ قال: بلى ولكنهم عبادي وأنا أرحمهم فشق ذلك عليه فأوحى الله إليه: لا تحزن فإنني سأقضي بناءه على يدي ابنك سليمان فلما السور سقط ثلاث فشا ذلك إلى الله عز وجل فقال: يا داود إنك لا تصلح أن تبني لي بيتا قال: ولم يا رب ؟ قال: لما جرى على يدك من الدماء قال: يا رب أو بيتا لنفسه قبل البيت الذي أمر به فأوحى الله إليه: يا داود نصبت بيتك قبل بيتي قال: يا رب هكذا قضيت من ملك استأثر ثم أخذ في بناء المسجد فلما تم الزاهرية عن رافع بن عمير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل لداود عليه الصلاة والسلام ابن لي بيتا في الأرض فبنى داود وسياق غريبين فقال الطبراني حدثنا محمد بن الحسن بن قتيبة العسقلاني حدثنا محمد بن أيوب بن سويد حدثني أبي حدثنا إبراهيم بن أبي عبله عن أبي وسلم إن سليمان عليه الصلاة والسلام لما بنى بيت المقدس سأل ربه عز وجل خلا لا ثلاثا وذكره وقد روي من حديث رافع بن عمير رضي الله عنه بإسناد الأخير من هذا الحديث النسائي وابن ماجه من طرق عن عبد الله بن فيروز الديلمي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخرج من بيته لا يريد إلا الصلاة في هذا المسجد خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه فنحن نرجو أن يكون الله عز وجل قد أعطانا إياها وقد روى هذا الفصل ثلاثا فأعطاه اثنتين ونحن نرجو أن تكون لنا الثالثة سأله حكما يصادف حكمه فأعطاه إياه وسأله أيما رجل ومن أخطأه ضل فلذلك أقول جف القلم على علم الله عز وجل وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن سليمان عليه السلام سأل الله تعالى

## تفسير ابن كثير

قال وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله عز وجل خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه من نوره يومئذ اهتدى أربعين صباحا فإن تاب تاب الله عليه قال فلا أدري في الثالثة أو الرابعة قال فإن عاد كان حقا على الله تعالى أن يسقيه من طينة الخبال يوم القيامة أقل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من شرب من الخمر شربة لا تقبل له صلاة أربعين صباحا فإن تاب تاب الله عليه فإن عاد لم تقبل له صلاة مثل يوم ولدته أمه فلما سمع الفتى ذكر الخمر اجتذب يده من يده ثم انطلق فقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما إني لا أحل لأحد أن يقول علي ما لم من الخمر لم يقبل الله عز وجل له توبة أربعين صباحا وأن الشقي من شقي في بطن أمه وأنه من أتى بيت المقدس لا تنهزه إلا الصلاة فيه خرج من خطيئته بن عمرو رضي الله عنهما وهو في حائط له بالطائف يقال له الوهط وهو مخاصر فتى من قريش يزن بشرب الخمر فقلت بلغني عنك حديث وأنه من شرب وقال الإمام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا إبراهيم بن محمد الفزاري حدثنا الأوزاعي حدثني ربيعة بن يزيد بن عبد الله الديلمي قال دخلت على عبد الله القيلة أحد فليفعل وقد روى أبو داود منه من استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل عن أحمد بن أبي سريج عن أبي أحمد الزبيري به الإبهام والتي تليها ولولا دعوة أخي سليمان لأصبح مربوطا بسارية من سواري المسجد يتلاعب به صبيان المدينة فمن استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين خلفه فقرأ فالتبست عليه القراءة فلما فرغ من صلاته قال لو رأيتموني وإبليس فأهويت بيدي فما زلت أحنقه حتى وجدت برد لعابه بين أصبعي هاتين قائما يصلي فذهبت أمر بين يديه فردني ثم قال حدثني أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام يصلي صلاة الصبح وهو موثقا يلعب به صبيان أهل المدينة وقال الإمام أحمد حدثنا أبو أحمد ثنا ميسرة بن معبد حدثنا أبو عبيد حاجب سليمان قال رأيت عطاء بن يزيد الليثي في وجهي فقلت أعوذ بالله منك ثلاث مرات ثم قلت ألعنك بلعنة الله التامة فلم يستأخر ثلاث مرات ثم أردت أن أخذه والله لولا دعوة أخي سليمان لأصبح الله سمعناك تقول في الصلاة شيئا لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورأيناك بسطت يدك قال صلى الله عليه وسلم إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليضعه صلى الله عليه وسلم يصلي فسمعناه يقول أعوذ بالله منك ثم قال ألعنك بلعنة الله ثلاثا وبسط يده كأنه يتناول شيئا فلما فرغ من الصلاة قلنا يا رسول سلمة المرادي حدثنا عبد الله بن وهب عن معاوية بن صالح حدثني ربيعة بن يزيد عن أبي إدريس الخولاني عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قام رسول الله لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي قال روح فرده خاسئا وكذا رواه مسلم والنسائي من حديث شعبة به وقال مسلم في صحيحه حدثنا محمد بن تبارك وتعالى منه وأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتتظروا إليه كلكم فذكرت قول أخي سليمان عليه الصلاة والسلام رب اغفر لي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن عفريتا من الجن تفلت علي البارحة أو كلمة نحوها ليقطع علي الصلاة فأمكنني الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البخاري عند تفسير هذه الآية حدثنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا روح ومحمد بن جعفر عن شعبة عن محمد بن زياد والصحيح أنه سأل من الله تعالى ملكا لا يكون لأحد من بعده من البشر مثله وهذا هو ظاهر السياق من الآية وبذلك وردت الأحاديث الصحيحة من طرق بعضهم معناه لا ينبغي لأحد من بعدي أي لا يصلح لأحد أن يسلبني به بعدي كما كان من قضية الجسد الذي ألقى على كرسيه لا أنه يحجر على من بعده من الناس قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب قال

لله عز وجل عوضه الله تعالى ما هو خير منها وأسرع الريح التي غدوها شهر ورواحها شهر وقوله جل وعلا حيث أصاب أي حيث أراد من البلاد. 36 لك وقوله تبارك وتعالى فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب قال الحسن البصري رحمه الله لما عقر سليمان عليه الصلاة والسلام الخيل غضبا بلغن عن داود عليه الصلاة والسلام أنه قال إلهي كن لسليمان كما كنت لي فأوحى الله عز وجل إليه: أن قل لسليمان أن يكون لي كما كنت له كما كنت ما أعطاه وفي الآخرة لا حساب عليه. هكذا أورده أبو القاسم بن عساكر في ترجمة سليمان عليه الصلاة والسلام في تاريخه 0 وروي عن بعض السلف أنه قال: قال الله جل جلالته: فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب والتي بعدي قال فأعطاه

إلا فيها وآخرين مقرنين في الأصفاد أي موثقون في الأغلال والأكبال ممن فد تمرد وعصى وامتنع من العمل وأبى أو قد أساء في صنيعه واعتدى. 37 إلى غير ذلك من الأعمال الشاقة التي لا يقدر عليها البشر وطائفة غواصون في البحار يستخرجون ما فيها من اللآلئ والجواهر والأشياء النفيسة التي لا توجد قوله جل جلالته والشياطين كل بناء وغواص أي منهم من هو مستعمل في الأبنية الهائلة من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات

إلا فيها وآخرين مقرنين في الأصفاد أي موثقون في الأغلال والأكبال ممن فد تمرد وعصى وامتنع من العمل وأبى أو قد أساء في صنيعه واعتدى. 38 إلى غير ذلك من الأعمال الشاقة التي لا يقدر عليها البشر وطائفة غواصون في البحار يستخرجون ما فيها من اللآلئ والجواهر والأشياء النفيسة التي لا توجد قوله جل جلالته والشياطين كل بناء وغواص أي منهم من هو مستعمل في الأبنية الهائلة من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات

الدنيا والآخرة ولهذا لما ذكر تبارك وتعالى ما أعطى سليمان عليه الصلاة والسلام في الدنيا نبه تعالى على أنه ذو حظ عظيم عند الله يوم القيامة أيضا. 39 فقال له تواضع فاختر المنزل الأول لأنها أرفع قدرا عند الله عز وجل وأعلى منزلة في المعاد وإن كانت المنزل الثانية وهي النبوة مع الملك عظيمة أيضا في الله تعالى به وبين أن يكون نبيا ملكا يعطي من يشاء ويمنع من يشاء بلا حساب ولا جناح: اختار المنزل الأول بعدما استشار جبريل عليه الصلاة والسلام في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خير بين أن يكون عبدا رسولاً وهو الذي يفعل ما يؤمر به وإنما هو قاسم يقسم بين الناس كما أمره من الملك التام والسلطان الكامل كما سألتنا فأعط من شئت واحرم من شئت لا حساب عليك أي مهما فعلت فهو جائز لك احكم بما شئت فهو صواب وقد ثبت وقوله عز وجل هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب أي هذا الذي أعطيناك

## تفسير ابن كثير

عند ربهم قال الكافرون إن هذا لساحر مبين وقال جل وعلا ههنا وعجبوا أن جاءهم منذر منهم أي بشر مثلهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب. 4  
رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيرا نذيرا كما قال عز وجل أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق  
يقول تعالى مخبرا عن المشركين في تعجيهم من بعثة

قال تعالى وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب أي في الدار والآخرة. 40

منا أي به على صبره وثباته وإنابته وتواضعه واستكانته وذكرى لأولي الألباب أي لذوي العقول ليعلموا أن عاقبة الصبر الفرج والمخرج والراحة. 41  
ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب قال الحسن وقتادة أحياهم الله تعالى له بأعيانهم وزادهم مثلهم معهم وقوله عز وجل رحمة  
أغنيتك عما ترى قال عليه الصلاة والسلام بلى يا رب ولكن لا غنى بي عن بركتك انفراد بإخراجه البخاري من حديث عبد الرزاق به ولهذا قال تبارك وتعالى  
الله عليه وسلم بينما أيوب يغتسل عريانا خر عليه جراد من ذهب فجعل أيوب عليه الصلاة والسلام يحثو في ثوبه فناداه ربه عز وجل يا أيوب ألم أكن  
ابن جرير رحمه الله وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى  
للشعير فبعث الله تعالى سحابتين فلما كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض وأفرغت الأخرى في أندر الشعير حتى فاض هذا لفظ  
فيك هل رأيت نبي الله هذا المبتلى؟ فوالله القدير على ذلك ما رأيت رجلا أشبه به منك إذ كان صحيحا قال فإني أنا هو قال وكان له أندران أندر للقمح وأندر  
برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فاستبطأته فالتفتت تنظر فأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء وهو على أحسن ما كان فلما رآته قالت أي بارك الله  
يخرج إلى حاجته فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ فلما كان ذات يوم أبطأ عليها فأوحى الله تبارك وتعالى إلى أيوب عليه الصلاة والسلام أن اركض  
أن الله عز وجل يعلم أنني كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله تعالى فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله تعالى إلا في حق وقال وكان  
منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله تعالى فيكشف ما به فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له فقال أيوب عليه الصلاة والسلام لا أدري ما تقول غير  
من أخص إخوانه به كانا يغدوان إليه ويروحان فقال أحدهما لصاحبه تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين قال له صاحبه وما ذاك؟ قال  
قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن نبي الله أيوب عليه الصلاة والسلام لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين كانا  
ابن جرير وابن أبي حاتم جميعا حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني نافع بن يزيد عن عقيل عن ابن شهاب عن أنس بن مالك رضي الله عنه  
يشرب منها فأذهبت جميع ما كان في باطنه من سوء وتكاملت العافية ظاهرا وباطنا ولهذا قال تبارك وتعالى اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب قال  
ففعل فأنبع الله تعالى عينا وأمره أن يغتسل منها فأذهبت جميع ما كان في بدنه من الأذى ثم أمره فغضب الأرض في مكان آخر فأنبع له عينا أخرى وأمره أن  
ينصب وعذاب قيل بنصب في بدني وعذاب في مالي وولدي فعند ذلك استجاب له أرحم الراحمين وأمره أن يقوم من مقامه وأن يركض الأرض برجله  
رب العالمين وإله المرسلين فقال إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين وفي هذه الآية الكريمة قال وذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أي مسني الشيطان  
عنها فإنها كانت لا مفارقة صباحا ومساء إلا بسبب خدمة الناس ثم تعود إليه قريبا فلما طال المطال واشتد الحال وانتهى القدر وتم الأجل المقدر تضرع إلى  
طائفة من الدنيا فسلب جميع ذلك حتى آل به الحال إلى أن ألقى على مزبلة من مزابيل البلدة هذه المدة بكمالها ورفضه القريب والبعيد سوى زوجته رضي الله  
حفظت وده لإيمانها بالله تعالى ورسوله فكانت تخدم الناس بالأجرة وتطعمه وتخدمه نحو من ثماني عشرة سنة وقد كان قبل ذلك في مال جزيل وأولاد وسعة  
الضر في جسده وماله وولده حتى لم يبق من جسده مغرز إبرة سليما سوى قلبه ولم يبق له من الدنيا شيء يستعين به على مرضه وما هو فيه غير أن زوجته  
يذكر تبارك وتعالى عبده ورسوله أيوب عليه الصلاة والسلام وما كان ابتلاءه تعالى به من

منا أي به على صبره وثباته وإنابته وتواضعه واستكانته وذكرى لأولي الألباب أي لذوي العقول ليعلموا أن عاقبة الصبر الفرج والمخرج والراحة. 42  
ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب قال الحسن وقتادة أحياهم الله تعالى له بأعيانهم وزادهم مثلهم معهم وقوله عز وجل رحمة  
أغنيتك عما ترى قال عليه الصلاة والسلام بلى يا رب ولكن لا غنى بي عن بركتك انفراد بإخراجه البخاري من حديث عبد الرزاق به ولهذا قال تبارك وتعالى  
الله عليه وسلم بينما أيوب يغتسل عريانا خر عليه جراد من ذهب فجعل أيوب عليه الصلاة والسلام يحثو في ثوبه فناداه ربه عز وجل يا أيوب ألم أكن  
ابن جرير رحمه الله وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى  
للشعير فبعث الله تعالى سحابتين فلما كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض وأفرغت الأخرى في أندر الشعير حتى فاض هذا لفظ  
فيك هل رأيت نبي الله هذا المبتلى؟ فوالله القدير على ذلك ما رأيت رجلا أشبه به منك إذ كان صحيحا قال فإني أنا هو قال وكان له أندران أندر للقمح وأندر  
برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فاستبطأته فالتفتت تنظر فأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء وهو على أحسن ما كان فلما رآته قالت أي بارك الله  
يخرج إلى حاجته فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ فلما كان ذات يوم أبطأ عليها فأوحى الله تبارك وتعالى إلى أيوب عليه الصلاة والسلام أن اركض  
أن الله عز وجل يعلم أنني كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله تعالى فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله تعالى إلا في حق وقال وكان  
منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله تعالى فيكشف ما به فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له فقال أيوب عليه الصلاة والسلام لا أدري ما تقول غير  
من أخص إخوانه به كانا يغدوان إليه ويروحان فقال أحدهما لصاحبه تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين قال له صاحبه وما ذاك؟ قال  
قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن نبي الله أيوب عليه الصلاة والسلام لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين كانا  
ابن جرير وابن أبي حاتم جميعا حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني نافع بن يزيد عن عقيل عن ابن شهاب عن أنس بن مالك رضي الله عنه

## تفسير ابن كثير

يشرب منها فأذهبت جميع ما كان في باطنه من السوء وتكاملت العافية ظاهرا وباطنا ولهذا قال تبارك وتعالى اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب قال ففعل فأنبع الله تعالى عينا وأمره أن يغتسل منها فأذهبت جميع ما كان في بدنه من الأذى ثم أمره فاضرب الأرض في مكان آخر فأنبع له عينا أخرى وأمره أن ينصب وعذاب قيل بنصب في بدني وعذاب في مالي وولدي فعند ذلك استجاب له أرحم الراحمين وأمره أن يقوم من مقامه وأن يركض الأرض برجله رب العالمين وإله المرسلين فقال إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين وفي هذه الآية الكريمة قال واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أي مسني الشيطان عنها فإنها كانت لا مفارقة صباحا ومساء إلا بسبب خدمة الناس ثم تعود إليه قريبا فلما طال المطال واشتد الحال وانتهى القدر وتم الأجل المقدر تضرع إلى طائله من الدنيا فسلب جميع ذلك حتى آل به الحال إلى أن ألقى على مزبلة من مزابل البلدة هذه المدة بكمالها ورفضه القريب والبعيد سوى زوجته رضي الله حفظت وده لإيمانها بالله تعالى ورسوله فكانت تخدم الناس بالأجرة وتطعمه وتخدمه نحو من ثماني عشرة سنة وقد كان قبل ذلك في مال جزيل وأولاد وسعة الضر في جسده وماله وولده حتى لم يبق من جسده مغرز إبرة سليما سوى قلبه ولم يبق له من الدنيا شيء يستعين به على مرضه وما هو فيه غير أن زوجته يذكر تبارك وتعالى عبده ورسوله أيوب عليه الصلاة والسلام وما كان ابتلاءه تعالى به من

منا أي به على صبره وثباته وإنابته وتواضعه واستكانته وذكرى لأولي الألباب أي لذوي العقول ليعلموا أن عاقبة الصبر الفرج والمخرج والراحة. 43 ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب قال الحسن وقتادة أحياهم الله تعالى له بأعيانهم وزادهم مثلهم معهم وقوله عز وجل رحمة أغنيك عما ترى قال عليه الصلاة والسلام بلى يا رب ولكن لا غنى بي عن بركتك انفرد بإخراجه البخاري من حديث عبد الرزاق به ولهذا قال تبارك وتعالى الله عليه وسلم بينما أيوب يغتسل عريانا خر عليه جراد من ذهب فجعل أيوب عليه الصلاة والسلام يحثو في ثوبه فناداه ربه عز وجل يا أيوب ألم أكن ابن جرير رحمه الله وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث الله تعالى سحابتين فلما كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض وأفرغت الأخرى في أندر الشعير حتى فاض هذا لفظ فيك هل رأيت نبي الله هذا المبتلى؟ فوالله القدير على ذلك ما رأيت رجلا أشبه به منك إذ كان صحيحا قال إني أنا هو قال وكان له أنذران أندر للقمح وأندر برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فاستبطأته فالتفتت تنظر فأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء وهو على أحسن ما كان فلما رآته قالت أي بارك الله يخرج إلى حاجته فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ فلما كان ذات يوم أبطأ عليها فأوحى الله تبارك وتعالى إلى أيوب عليه الصلاة والسلام أن اركض أن الله عز وجل يعلم أي كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله تعالى فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله تعالى إلا في حق وقال وكان منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله تعالى فيكشف ما به فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له فقال أيوب عليه الصلاة والسلام لا أدري ما تقول غير من أخص إخوانه به كانا يغدوان إليه ويروحان فقال أحدهما لصاحبه تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين قال له صاحبه وما ذاك؟ قال قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن نبي الله أيوب عليه الصلاة والسلام لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين كانا ابن جرير وابن أبي حاتم جميعا حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني نافع بن يزيد عن عقيل عن ابن شهاب عن أنس بن مالك رضي الله عنه يشرب منها فأذهبت جميع ما كان في باطنه من السوء وتكاملت العافية ظاهرا وباطنا ولهذا قال تبارك وتعالى اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب قال ففعل فأنبع الله تعالى عينا وأمره أن يغتسل منها فأذهبت جميع ما كان في بدنه من الأذى ثم أمره فاضرب الأرض في مكان آخر فأنبع له عينا أخرى وأمره أن ينصب وعذاب قيل بنصب في بدني وعذاب في مالي وولدي فعند ذلك استجاب له أرحم الراحمين وأمره أن يقوم من مقامه وأن يركض الأرض برجله رب العالمين وإله المرسلين فقال إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين وفي هذه الآية الكريمة قال واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أي مسني الشيطان عنها فإنها كانت لا مفارقة صباحا ومساء إلا بسبب خدمة الناس ثم تعود إليه قريبا فلما طال المطال واشتد الحال وانتهى القدر وتم الأجل المقدر تضرع إلى طائله من الدنيا فسلب جميع ذلك حتى آل به الحال إلى أن ألقى على مزبلة من مزابل البلدة هذه المدة بكمالها ورفضه القريب والبعيد سوى زوجته رضي الله حفظت وده لإيمانها بالله تعالى ورسوله فكانت تخدم الناس بالأجرة وتطعمه وتخدمه نحو من ثماني عشرة سنة وقد كان قبل ذلك في مال جزيل وأولاد وسعة الضر في جسده وماله وولده حتى لم يبق من جسده مغرز إبرة سليما سوى قلبه ولم يبق له من الدنيا شيء يستعين به على مرضه وما هو فيه غير أن زوجته يذكر تبارك وتعالى عبده ورسوله أيوب عليه الصلاة والسلام وما كان ابتلاءه تعالى به من

قد جعل الله لكل شيء قدرا واستدل كثير من الفقهاء بهذه الآية الكريمة على مسائل في الإيمان وغيره وقد أخذوها بمقتضاها والله أعلم بالصواب. 44 أواب أي رجاء منيب ولهذا قال جل جلاله ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره الفرج والمخرج لمن اتقى الله تعالى وأتاب إليه ولهذا قال جل وعلا إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب أثنى الله تعالى عليه ومدحه بأنه نعم العبد إنه بالضرب فافتاه الله عز وجل أن يأخذ ضغثا وهو الشمراخ فيه مائة قضيب فيضربها به ضربة واحدة وقد برت يمينه وخرج من حنثه ووفى بنبذره وهذا من ليضربنها مائة جلدة وقيل لغير ذلك من الأسباب فلما شفاه الله عز وجل وعافاه ما كان جزاؤها مع هذه الخدمة التامة والرحمة والشفقة والإحسان أن تقابل عليه الصلاة والسلام كان قد غضب على زوجته ووجد عليها في أمر فعلته قيل باعت ضفيرتها بخبز فأطعمته إياه فلامها على ذلك وحلف إن شفاه الله تعالى قوله جل جلت عظمتة وخذ بيدك ضغط فاضرب به ولا تحنث وذلك أن أيوب

مجاهد أولي الأيدي يعني القوة في طاعة الله تعالى والأبصار يعني البصر في الحق وقال قتادة والسدي أعطوا قوة في العبادة وبصرا في الدين. 45 في العبادة والبصيرة النافذة قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما أولي الأيدي يقول أولي القوة والأبصار يقول الفقه في الدين وقال

## تفسير ابن كثير

عن فضائل عبادہ المرسلين وأنبيائه العابدين واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولى الأيدي والأبصار يعني بذلك العمل الصالح والعلم النافع والقوة يقول تبارك وتعالى مخبرا

أخرى ذكرى الدار عقبى الدار وقال قتادة كانوا يذكرون الناس الدار الآخرة والعمل لها وقال ابن زيد جعل لهم خاصة أفضل شيء في الدار الآخرة. 46 وذكرها وأخلصهم بحب الآخرة وذكرها وكذا قال عطاء الخراساني وقال سعيد بن جبيرة يعني بالدار الجنة يقول أخلصناها لهم بذكرهم لها وقال في رواية مجاهد أي جعلناهم يعملون للآخرة ليس لهم هم غيرها وكذا قال السدي ذكرهم للآخرة وعملهم لها وقال مالك بن دينار نزع الله تعالى من قلوبهم حب الدنيا وقوله تبارك وتعالى إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار قال

وقوله تعالى وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار أي لمن المختارين المجتبيين الأخيار فهم أخيار مختارون. 47

وكل من الأخيار قد تقدم الكلام على قصصهم وأخبارهم مستقصاة في سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بما أغنى عن إعادته ههنا وقوله عز وجل. 48 وقوله تعالى واذكر إسماعيل وإلياس وذو الكفل

هذا ذكر أي هذا فصل فيه ذكر لمن يتذكر وقال السدي يعني القرآن العظيم. 49

صلى الله عليه وسلم إلى خلع ذلك من قلوبهم وإفراد الإله بالوحدانية أعظموا ذلك وتعجبوا وقالوا أجعل الآلهة إلهًا واحدًا إن هذا لشيء عجاب. 5 لا إله إلا هو؟ أنكر المشركون ذلك قبحهم الله تعالى وتعجبوا من ترك الشرك بالله فإنهم قد تلقوا عن آبائهم عبادة الأوثان وأشربته قلوبهم فلما دعاهم الرسول أجعل الآلهة إلهًا واحدًا أي أزعم أن المعبود واحد

آلاف حبرة لا يدخله أو لا يسكنه إلا نبي أو صديق أو شهيد أو أمام عدل وقد رود في ذكر أبواب الجنة الثمانية أحاديث كثيرة من وجوه عديدة. 50 رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والمروج له خمسة آلاف باب عند كل باب خمسة لهم أبوابها قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن ثواب الهباري حدثنا عبد الله بن نمير حدثنا عبد الله بن مسلم يعني ابن هرمز عن ابن سابط عن عبد الله بن عمرو ثم فسره بقوله تعالى جنات عدن أي جنات إقامة مفتحة لهم الأبواب والآلف واللام ههنا الإضافة كأنه يقول مفتحة لهم أبوابها أي إذا جاءوها فتحت يخبر تعالى عن عباد المؤمنين السعداء أن لهم في الدار الآخرة لحسن مأب وهو المرجع والمنقلب

فيها بفاكهة كثيرة أي مهما طلبوا وجدوا وأحضر كما أرادوا وشراب أي من أي أنواعه شاءوا أتتهم به الخدام بأكواب وأباريق وكأس من معين. 51 قوله عز وجل متكئين فيها قيل متربعين على سرر تحت الحجال يدعون

غير بعولتهن أتراب أي متساويات في السن والعمر هذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وسعيد بن جبيرة ومحمد بن كعب والسدي. 52 وعندهم قاصرات الطرف أي عن غير أزواجهن فلا يلتفتن إلى

لهم أجر غير ممنون أي غير مقطوع وكقوله عز وجل أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين أتقوا وعقبى الكافرين النار والآيات في هذا كثيرة جدا. 53 ولا أنتهاء فقال تعالى إن هذا لرزقنا ماله من نفاذ كقوله عز وجل ما عندكم ينفد وما عند الله باق وكقوله جل وعلا عطاء غير مجذوذ وكقوله تعالى لعباده المتقين التي يصيرون إليها بعد نشوزهم وقيامهم من قبورهم وسلامتهم من النار ثم أخبر تبارك وتعالى عن الجنة أنه فراغ لها ولا زوال ولا أنقضاء هذا ما توعدون ليوم الحساب أي هذا الذي ذكرنا من صفة الجنة هي التي وعدها

لهم أجر غير ممنون أي غير مقطوع وكقوله عز وجل أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين أتقوا وعقبى الكافرين النار والآيات في هذا كثيرة جدا. 54 ولا أنتهاء فقال تعالى إن هذا لرزقنا ماله من نفاذ كقوله عز وجل ما عندكم ينفد وما عند الله باق وكقوله جل وعلا عطاء غير مجذوذ وكقوله تعالى لعباده المتقين التي يصيرون إليها بعد نشوزهم وقيامهم من قبورهم وسلامتهم من النار ثم أخبر تبارك وتعالى عن الجنة أنه فراغ لها ولا زوال ولا أنقضاء هذا ما توعدون ليوم الحساب أي هذا الذي ذكرنا من صفة الجنة هي التي وعدها

واحدة فيخرج وقد سقط جلده ولحمه عن العظام ويتعلق جلده ولحمه في كعبيه وعقبه ويجر لحمه كله كما يجز الرجل ثوبه رواه ابن أبي حاتم. 55 بن الحارث به. وقال كعب الأحبار: غساق عين في جهنم يسيل إليها حمة كل ذات حمة من حية وعقرب وغير ذلك فيستنقع فيؤتي بالآدمي فيغمس فيها غمسة الحارث عن دراج به ثم قال لا نعرفه إلا من حديث رشدين كذا قال وقد تقدم من غير حديثه ورواه ابن جرير عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن عمرو وسلم أنه قال لو أن دلوا من غساق يهرق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا ورواه الترمذي عن سويد بن نصر عن ابن المبارك عن رشدين بن سعد عن عمرو بن يعاقبون بها قال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأما الغساق فهو ضده وهو البارد الذي لا يستطيع من شدة برده المؤلم ولهذا قال عز وجل وآخر من شكله أزواج أي وأشياء من هذا القبيل: الشيء وضده جل وعلا جهنم يصلونها أي يدخلونها فتغمرهم من جميع جوانبهم فبنس المهاده هذا فليذوقوه حميم وغساق أم الحميم فهو الحار الذي قد انتهى حره هذا وإن للطاغين وهم الخارجون عن طاعة الله عز وجل المخالفون لرسول الله صلى الله عليه وسلم لشر مأب أي لسوء منقلب ومرجع ثم فسره بقوله لما ذكر تبارك وتعالى مآل السعداء ثنى بذكر حال الأشقياء ومرجعهم ومآبهم في دار معادهم وحسابهم فقال عز وجل

## تفسير ابن كثير

واحدة فيخرج وقد سقط جلده ولحمه عن العظام ويتعلق جلده ولحمه في كعبيه وعقبه ويجر لحمه كله كما يجز الرجل ثوبه رواه ابن أبي حاتم. 56  
بن الحارث به. وقال كعب الأحبار: غساق عين في جهنم يسيل إليها حمة كل ذات حمة من حية وعقرب وغير ذلك فيستنقع فيؤتي بالآدمي فيغمس فيها غمسة  
الحارث عن دراج به ثم قال لا نعرفه إلا من حديث رشدين كذا قال وقد تقدم من غير حديثه ورواه ابن جرير عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن عمرو  
وسلم أنه قال لو أن دلوا من غساق يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا ورواه الترمذي عن سويد بن نصر عن ابن المبارك عن رشدين بن سعد عن عمرو بن  
يعاقبون بها قال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه  
وأما الغساق فهو ضده وهو البارد الذي لا يستطيع من شدة برده المؤلم ولهذا قال عز وجل وآخر من شكله أزواج أي وأشياء من هذا القبيل: الشيء وضده  
جل وعلا جهنم يصلونها أي يدخلونها فتغمرهم من جميع جوانبهم فبئس المهاد هذا فليذوقوه حميم وغساق أم الحميم فهو الحار الذي قد أنتهى حره  
هذا وإن للطاغين وهم الخارجون عن طاعة الله عز وجل المخالفون لرسول الله صلى الله عليه وسلم لشر مآب أي لسوء منقلب ومرجع ثم فسر به بقوله  
لما ذكر تبارك وتعالى مآل السعداء ثنى بذكر حال الأشقياء ومرجعهم ومآبهم في دار معادهم وحسابهم فقال عز وجل

واحدة فيخرج وقد سقط جلده ولحمه عن العظام ويتعلق جلده ولحمه في كعبيه وعقبه ويجر لحمه كله كما يجز الرجل ثوبه رواه ابن أبي حاتم. 57  
بن الحارث به. وقال كعب الأحبار: غساق عين في جهنم يسيل إليها حمة كل ذات حمة من حية وعقرب وغير ذلك فيستنقع فيؤتي بالآدمي فيغمس فيها غمسة  
الحارث عن دراج به ثم قال لا نعرفه إلا من حديث رشدين كذا قال وقد تقدم من غير حديثه ورواه ابن جرير عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن عمرو  
وسلم أنه قال لو أن دلوا من غساق يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا ورواه الترمذي عن سويد بن نصر عن ابن المبارك عن رشدين بن سعد عن عمرو بن  
يعاقبون بها قال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه  
وأما الغساق فهو ضده وهو البارد الذي لا يستطيع من شدة برده المؤلم ولهذا قال عز وجل وآخر من شكله أزواج أي وأشياء من هذا القبيل: الشيء وضده  
جل وعلا جهنم يصلونها أي يدخلونها فتغمرهم من جميع جوانبهم فبئس المهاد هذا فليذوقوه حميم وغساق أم الحميم فهو الحار الذي قد أنتهى حره  
هذا وإن للطاغين وهم الخارجون عن طاعة الله عز وجل المخالفون لرسول الله صلى الله عليه وسلم لشر مآب أي لسوء منقلب ومرجع ثم فسر به بقوله  
لما ذكر تبارك وتعالى مآل السعداء ثنى بذكر حال الأشقياء ومرجعهم ومآبهم في دار معادهم وحسابهم فقال عز وجل

حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين إلى قوله ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون. 58  
ولكن لم يقع بصرنا عليهم فعند ذلك يعرفون أنهم في الدرجات العاليات وهو قوله عز وجل ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا  
لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار أتخذناهم سخرى أي في الدار الدنيا أم زاغت عنهم الأبصار يسلمون أنفسهم بالمحال يقولون أو لعلم معنا في جهنم  
وصهييا وفلانا وفلانا. وهذا ضرب مثل وإلا فكل الكفار هذا حالهم يعتقدون أن المؤمنين يدخلون النار فلما دخل الكفار النار افتقدوهم فلم يجدوهم فقالوا ما  
كانوا يعتقدون أنهم على الضلالة وهم المؤمنون في زعمهم قالوا مالنا لا نراهم معنا في النار؟ قال مجاهد هذا قول أبي جهل يقول مالي لا أرى بلالا وعمارا  
عذاب بحسبه وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار أتخذناهم سخرى أم زاغت عنهم الأبصار هكذا إخبار عن الكفار في النار أنهم يفتقدون رجالا  
عذابا ضعفا في النار كما قال عز وجل قالت أأراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون أي لكل منكم  
أنتم قدمتموه لنا أي أنتم دعوتهمونا إلى ما أفضى بنا إلى هذا المصير فبئس القرار أي فبئس المنزل والمستقر والمصير قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده  
أي داخل معكم لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار أي لأنهم من أهل جهنم قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم أي فيقول لهم الداخلون بل أنتم لا مرحبا بكم  
بدل السلام يتلاعنون ويتكاذبون ويكفر بعضهم ببعض فتقول الطائفة التي تدخل قبل الأخرى إذا أقبلت التي بعدها مع الخزنة من الزبانية هذا فوج مقتحم  
مقتحم معكم لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار هذا إخبار من الله تعالى عن قيل أهل النار بعضهم لبعض كما قال تعالى كلما دخلت أمة لعنت أختها يعني  
وشرب الحميم وأكل الزقوم والصعود والهوى إلى غير ذلك من الأشياء المختلفة المتضادة والجميع مما يعذبون به ويهانون بسبب وقوله عز وجل هذا فوج  
وقال الحسن البصري في قوله تعالى وآخر من شكله أزواج ألوان من العذاب وقال غيره كالزهرير والسموم

حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين إلى قوله ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون. 59  
ولكن لم يقع بصرنا عليهم فعند ذلك يعرفون أنهم في الدرجات العاليات وهو قوله عز وجل ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا  
لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار أتخذناهم سخرى أي في الدار الدنيا أم زاغت عنهم الأبصار يسلمون أنفسهم بالمحال يقولون أو لعلم معنا في جهنم  
وصهييا وفلانا وفلانا. وهذا ضرب مثل وإلا فكل الكفار هذا حالهم يعتقدون أن المؤمنين يدخلون النار فلما دخل الكفار النار افتقدوهم فلم يجدوهم فقالوا ما  
كانوا يعتقدون أنهم على الضلالة وهم المؤمنون في زعمهم قالوا مالنا لا نراهم معنا في النار؟ قال مجاهد هذا قول أبي جهل يقول مالي لا أرى بلالا وعمارا  
عذاب بحسبه وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار أتخذناهم سخرى أم زاغت عنهم الأبصار هكذا إخبار عن الكفار في النار أنهم يفتقدون رجالا  
عذابا ضعفا في النار كما قال عز وجل قالت أأراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون أي لكل منكم  
أنتم قدمتموه لنا أي أنتم دعوتهمونا إلى ما أفضى بنا إلى هذا المصير فبئس القرار أي فبئس المنزل والمستقر والمصير قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده  
أي داخل معكم لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار أي لأنهم من أهل جهنم قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم أي فيقول لهم الداخلون بل أنتم لا مرحبا بكم  
بدل السلام يتلاعنون ويتكاذبون ويكفر بعضهم ببعض فتقول الطائفة التي تدخل قبل الأخرى إذا أقبلت التي بعدها مع الخزنة من الزبانية هذا فوج مقتحم

## تفسير ابن كثير

مقتحم معكم لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار هذا إخبار من الله تعالى عن قيل أهل النار بعضهم لبعض كما قال تعالى كلما دخلت أمة لعنت أختها يعني وشرب الحميم وأكل الزقوم والصعود والهوى إلى غير ذلك من الأشياء المختلفة المتضادة والجميع مما يعذبون به ويهانون بسبب وقوله عز وجل هذا فوج وقال الحسن البصري في قوله تعالى وآخر من شكله أزواج ألوان من العذاب وقال غيره كالزهرير والسموم

كلهم في تفاسيرهم من حديث سفيان الثوري عن الأعمش عن يحيى بن عمار الكوفي عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكر نحوه. 6 حديث محمد بن عبد الله بن نمير كلاهما عن أبي أسامة عن الأعمش عن عباد غير منسوب به نحوه ورواه الترمذي والنسائي وابن أبي سعيد وابن جرير أيضا الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب قال ونزلت من هذا الموضع إلى قوله بل لما يذوقوا عذاب لفظ أبي كريب وهكذا رواه الإمام أحمد والنسائي من عشرين فقالوا وما هي قال أبو طالب وأي كلمة هي يا ابن أخي؟ قال صلى الله عليه وسلم لا إله إلا الله فقاموا فزعين منفضون ثيابهم وهم يقولون أجعل يا عم إنني أريدكم على كلمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب وتؤدي إليهم بها العجم الجزية ففزعوا لكلمته ولقوله فقال القوم كلمة واحدة نعم وأبيك طالب أي ابن أخي مال قومك يشكونك ويزعمون أنك تشتم آلهتهم وتقول وتقول؟ قال وأكثروا عليه من القول وتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبا طالب أن يكون أرق له عليه فوثب فجلس في ذلك المجلس ولم يجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا قرب عمه فجلس عند الباب فقال له أبو ويقول فلو بعثت إليه فنهيته فبعث إليه فجاء النبي فدخل البيت وبينهم وبين أبي طالب قدر مجلس رجل قال فخشي أبو جهل لعنه الله إن جلس إلى جنب جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما مرض أبو طالب دخل عليه رهط من قريش فيهم أبو جهل فقالوا: إن ابن أخيك يشتم آلهتنا ويفعل ويفعل ويقول الأشياء ونزلت إنك لا تهدي من أحببت وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا حدثنا أبو أسامة حدثنا الأعمش حدثنا عباد عن سعيد بن إن هذا لشيء يراد ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير وزاد فلما خرجوا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه إلى قول لا إله إلا الله فأبى وقال بل على دين تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها فقاموا من عنده غضابا وقالوا والله لنشتمنك وإلهك الذي أمرك بهذا وانطلق الملائكة منهم أن امشوا واصبروا على آلهتهم لنعطينكما وعشر أمثالها قال صلى الله عليه وسلم تقولون لا إله إلا الله فنفروا وقالوا سلنا غيرها قال صلى الله عليه وسلم لو جئتموني بالشمس حتى تدعوه؟ قال صلى الله عليه وسلم أدعوه أن يتكلموا بكلمة تدين لهم بها العرب ويملكون بها العجم فقال أبو جهل لعنه الله من بين القوم ما هي وأبيك مشيخة قومك وسراتهم وقد سألوكم أن تكف عن شتم آلهتهم ويدعوك وإلهك قال صلى الله عليه وسلم يا عم أفلا أدعوه إلى ما هو خير لهم؟ قال وإلام فأنصفنا من ابن أخيك فمره فليكنف عن شتم آلهتنا ندعه وإلهه قال فبعث إليه أبو طالب فلما دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يا ابن أخي هؤلاء له المطلب فاستأذن لهم على أبي طالب فقال هؤلاء مشيخة قومك وسراتهم يستأذنون عليك قال أدخلهم فلما دخلوا عليه قالوا يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا وإلهه الذي يعبد فإنا نخاف أن يموت هذا الشيخ فيكون منا إليه شيء فتعيرنا به العرب يقولون تركوه حتى إذا مات عنه تناولوه فبعثوا رجلا منهم يقال والأسود بن عبد يغوث في نفر من مشيخة قريش فقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا إلى أبي طالب فلنكلمه فيه فلينصفنا منه فليكنف عن شتم آلهتنا وندعه نجيبه إليه ذكر سبب نزول هذه الآيات الكريمات قال السدي إن ناسا من قريش اجتمعوا فيهم أبو جهل بن هشام والعاص بن وائل والأسود بن المطلب يراد قال ابن جرير إن هذا الذي يدعوننا إليه محمد صلى الله عليه وسلم من التوحيد لشيء يريد به الشرف عليكم والاستعلاء وأن يكون له منكم أتباع ولسنا وكبراًؤهم قائلين امشوا أي استمروا على دينكم واصبروا على آلهتهم ولا تستجيبوا لما يدعوكم إليه محمد من التوحيد وقوله تعالى إن هذا لشيء وانطلق الملائكة منهم وهم سادتهم وقادتهم ورؤساؤهم

حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين إلى قوله ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون. 60 ولكن لم يقع بصرنا عليهم فعند ذلك يعرفون أنهم في الدرجات العاليات وهو قوله عز وجل ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار أتخذناهم سخرى أي في الدار الدنيا أم زأغت عنهم الأبصار يسألون أنفسهم بالبحال يقولون أو لعلمهم معنا في جهنم وصهييا وفلانا وفلانا. وهذا ضرب مثل وإلا فكل الكفار هذا حالهم يعتقدون أن المؤمنين يدخلون النار فلما دخل الكفار النار افتقدوهم فلم يجدوهم فقالوا ما كانوا يعتقدون أنهم على الضلالة وهم المؤمنون في زعمهم قالوا مالنا لا نراهم معنا في النار؟ قال مجاهد هذا قول أبي جهل يقول مالي لا أرى بلالا وعمارا عذاب بحسبه وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار أتخذناهم سخرى أم زأغت عنهم الأبصار هكذا إخبار عن الكفار في النار أنهم يفتقدون رجالا عذابا ضعفا في النار كما قال عز وجل قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون أي لكل منكم أنتم قدمتموه لنا أي أنتم دعوتونا إلى ما أفضى بنا إلى هذا المصير فبنس القرار أي فبنس المنزل والمستقر والمصير قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده أي داخل معكم لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار أي لأنهم من أهل جهنم قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم أي فيقول لهم الداخلون بل أنتم لا مرحبا بكم بدل السلام يتلاعنون ويتكاذبون ويكفر بعضهم ببعض فتقول الطائفة التي تدخل قبل الأخرى إذا أقبلت التي بعدها مع الخزنة من الزبانية هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار هذا إخبار من الله تعالى عن قيل أهل النار بعضهم لبعض كما قال تعالى كلما دخلت أمة لعنت أختها يعني وشرب الحميم وأكل الزقوم والصعود والهوى إلى غير ذلك من الأشياء المختلفة المتضادة والجميع مما يعذبون به ويهانون بسبب وقوله عز وجل هذا فوج وقال الحسن البصري في قوله تعالى وآخر من شكله أزواج ألوان من العذاب وقال غيره كالزهرير والسموم

حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين إلى قوله ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون. 61 ولكن لم يقع بصرنا عليهم فعند ذلك يعرفون أنهم في الدرجات العاليات وهو قوله عز وجل ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا



## تفسير ابن كثير

لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار أتخذناهم سخرى أي في الدار الدنيا أم زاغت عنهم الأبصار يسلون أنفسهم بالمحال يقولون أو لعلمهم معنا في جهنم وصهييا وفلانا وفلانا. وهذا ضرب مثل وإلا فكل الكفار هذا حالهم يعتقدون أن المؤمنين يدخلون النار فلما دخل الكفار النار افتقدوهم فلم يجدوهم فقالوا ما كانوا يعتقدون أنهم على الضلالة وهم المؤمنون في زعمهم قالوا مالنا لا نراهم معنا في النار ؟ قال مجاهد هذا قول أبي جهل يقول مالي لا أرى بلالا وعمارا عذاب بحسبه وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار أتخذناهم سخرى أم زاغت عنهم الأبصار هكذا إخبار عن الكفار في النار أنهم يفتقدون رجالا عذابا ضعفا في النار كما قال عز وجل قالت أراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون أي لكل منكم أنتم قدمتموه لنا أي أنتم دعوتمونا إلى ما أفضى بنا إلى هذا المصير فبنس القرار أي فبنس المنزل والمستقر والمصير قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده أي داخل معكم لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار أي لأنهم من أهل جهنم قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم أي فيقول لهم الداخلون بل أنتم لا مرحبا بكم بدل السلام يتلاعنون ويتكاذبون ويكفر بعضهم ببعض فتقول الطائفة التي تدخل قبل الأخرى إذا أقبلت التي بعدها مع الخزنة من الزبانية هذا فوج مقتحم مقتحم معكم لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار هذا إخبار من الله تعالى عن قيل أهل النار بعضهم لبعض كما قال تعالى كلما دخلت أمة لعنت أختها يعني وشرب الحميم وأكل الزقوم والصعود والهوى إلى غير ذلك من الأشياء المختلفة المتضادة والجميع مما يعذبون به ويهانون بسبب وقوله عز وجل هذا فوج وقال الحسن البصري في قوله تعالى وآخر من شكله أزواج ألوان من العذاب وقال غيره كالزمهرير والسموم

حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين إلى قوله ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون. 62 ولكن لم يقع بصرنا عليهم فعند ذلك يعرفون أنهم في الدرجات العاليات وهو قوله عز وجل ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار أتخذناهم سخرى أي في الدار الدنيا أم زاغت عنهم الأبصار يسلون أنفسهم بالمحال يقولون أو لعلمهم معنا في جهنم وصهييا وفلانا وفلانا. وهذا ضرب مثل وإلا فكل الكفار هذا حالهم يعتقدون أن المؤمنين يدخلون النار فلما دخل الكفار النار افتقدوهم فلم يجدوهم فقالوا ما كانوا يعتقدون أنهم على الضلالة وهم المؤمنون في زعمهم قالوا مالنا لا نراهم معنا في النار ؟ قال مجاهد هذا قول أبي جهل يقول مالي لا أرى بلالا وعمارا عذاب بحسبه وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار أتخذناهم سخرى أم زاغت عنهم الأبصار هكذا إخبار عن الكفار في النار أنهم يفتقدون رجالا عذابا ضعفا في النار كما قال عز وجل قالت أراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون أي لكل منكم أنتم قدمتموه لنا أي أنتم دعوتمونا إلى ما أفضى بنا إلى هذا المصير فبنس القرار أي فبنس المنزل والمستقر والمصير قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده أي داخل معكم لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار أي لأنهم من أهل جهنم قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم أي فيقول لهم الداخلون بل أنتم لا مرحبا بكم بدل السلام يتلاعنون ويتكاذبون ويكفر بعضهم ببعض فتقول الطائفة التي تدخل قبل الأخرى إذا أقبلت التي بعدها مع الخزنة من الزبانية هذا فوج مقتحم مقتحم معكم لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار هذا إخبار من الله تعالى عن قيل أهل النار بعضهم لبعض كما قال تعالى كلما دخلت أمة لعنت أختها يعني وشرب الحميم وأكل الزقوم والصعود والهوى إلى غير ذلك من الأشياء المختلفة المتضادة والجميع مما يعذبون به ويهانون بسبب وقوله عز وجل هذا فوج وقال الحسن البصري في قوله تعالى وآخر من شكله أزواج ألوان من العذاب وقال غيره كالزمهرير والسموم

حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين إلى قوله ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون. 63 ولكن لم يقع بصرنا عليهم فعند ذلك يعرفون أنهم في الدرجات العاليات وهو قوله عز وجل ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار أتخذناهم سخرى أي في الدار الدنيا أم زاغت عنهم الأبصار يسلون أنفسهم بالمحال يقولون أو لعلمهم معنا في جهنم وصهييا وفلانا وفلانا. وهذا ضرب مثل وإلا فكل الكفار هذا حالهم يعتقدون أن المؤمنين يدخلون النار فلما دخل الكفار النار افتقدوهم فلم يجدوهم فقالوا ما كانوا يعتقدون أنهم على الضلالة وهم المؤمنون في زعمهم قالوا مالنا لا نراهم معنا في النار ؟ قال مجاهد هذا قول أبي جهل يقول مالي لا أرى بلالا وعمارا عذاب بحسبه وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار أتخذناهم سخرى أم زاغت عنهم الأبصار هكذا إخبار عن الكفار في النار أنهم يفتقدون رجالا عذابا ضعفا في النار كما قال عز وجل قالت أراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون أي لكل منكم أنتم قدمتموه لنا أي أنتم دعوتمونا إلى ما أفضى بنا إلى هذا المصير فبنس القرار أي فبنس المنزل والمستقر والمصير قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده أي داخل معكم لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار أي لأنهم من أهل جهنم قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم أي فيقول لهم الداخلون بل أنتم لا مرحبا بكم بدل السلام يتلاعنون ويتكاذبون ويكفر بعضهم ببعض فتقول الطائفة التي تدخل قبل الأخرى إذا أقبلت التي بعدها مع الخزنة من الزبانية هذا فوج مقتحم مقتحم معكم لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار هذا إخبار من الله تعالى عن قيل أهل النار بعضهم لبعض كما قال تعالى كلما دخلت أمة لعنت أختها يعني وشرب الحميم وأكل الزقوم والصعود والهوى إلى غير ذلك من الأشياء المختلفة المتضادة والجميع مما يعذبون به ويهانون بسبب وقوله عز وجل هذا فوج وقال الحسن البصري في قوله تعالى وآخر من شكله أزواج ألوان من العذاب وقال غيره كالزمهرير والسموم

ذلك لحق تخاصم أهل النار أي إن هذا الذي أخبرناك به يا محمد من تخاصم أهل النار بعضهم في بعض ولعن بعضهم لبعض لحق لا مزية فيه ولا شك. 64 وقوله تعالى إن

للكفار بالله المشركين به المكذبين لرسوله إنما أنا منذر لست كما تزعمون وما من إله إلا الله الواحد القهار أي هو وحده قد قهر كل شيء وغلبه. 65

يقول تعالى أمرا رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول

## تفسير ابن كثير

رب السموات والأرض وما بينهما أي هو مالك جميع ذلك ومتصرف فيه العزيز الغفار أي غفار مع عظمتة وعزته. 66

قل هو نأ عظيم أي خبر عظيم وشأن بليغ وهو إرسال الله تعالى إياي إليكم. 67

أنتم عنه معرضون أي غافلون قال مجاهد وشريح القاضي والسدي في قوله عز وجل قل هو نأ عظيم يعني القرآن. 68

صحيح وليس هذا الاختصاص هو الاختصاص المذكور في القرآن فإن هذا قد فسر وأما الاختصاص الذي في القرآن فقد فسر بعد هذا وهو قوله تعالى. 69 المشهور ومن جعله يقظة فقد غلط وهو في السنن من طرق وهذا الحديث يعينه قد رواه الترمذي من حديث جهضم بن عبد الله اليمامي به وقال الحسن مفتون وأسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربني إلى حبك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - إنها حق فادرسوها وتعلموها فهو حديث المنام والصلاة والناس نيام قال سل قلت اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لي وترحمني وإذا أردت فتنة بقوم فتوفني غير ؟ قلت نقل الأقدام إلى الجماعات والجلوس في المساجد بعد الصلوات لإسباغ الوضوء عند الكريهات ؟ قال وما الدرجات ؟ قلت إطعام الطعام ولين الكلام كفه بين كنتي حتى وجدت برد أنامله بين صدري فتجلى لي كل شيء وعرفت فقال يا محمد فيم يختصم المأل الأعلى ؟ قلت في الكفارات قال وما الكفارات حتى استيقظت فإذا أنا بربي عز وجل في أحسن صورة فقال يا محمد أتدري فيم يختصم المأل الأعلى ؟ قلت لا أدري يا رب أعادها ثلاثا - فرأيت وضع فصلي وتجاوز في صلاته فلما سلم قال عليه الصلاة والسلام كما أنتم ثم أقبل إلينا فقال إني قمت من الليل فصليت ما قدر لي فنعست في صلاتي احتبس علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة من صلاة الصبح حتى كدنا نترأى قرن الشمس فخرج صلى الله عليه وسلم سريعا فثوب بالصلاة حدثنا جهضم اليمامي عن يحيى بن أبي كثير عن زيد بن أبي سلام عن أبي سلام عن عبد الرحمن بن عائش عن مالك بن يخامر عن معاذ رضي الله عنه قال الصلاة والسلام وامتناع إبليس من السجود له ومحاجته ربه في تفضيله عليه فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد حيث قال حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم وقوله تعالى ما كان لي من علم بالمأل الأعلى إذ يختصمون أي لولا الوحي من أين كنت أدري باختلاف المأل الأعلى ؟ يعني.. شأن آدم عليه

العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة يعني النصرانية قالوا لو كان هذا القرآن حقا لأخبرتنا به النصارى إن اختلاق. 70 إليه محمد من التوحيد في الملة الآخرة قال مجاهد وقتادة وأبو زيد يعنون دين قريش وقال غيرهم يعنون النصرانية قالوا محمد بن كعب والسدي وقال قال الترمذي حسن وقولهم ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة أي ما سمعنا بهذا الذي يدعون

لا يوجد تفسير لهذه الآية 70

صحيح وليس هذا الاختصاص هو الاختصاص المذكور في القرآن فإن هذا قد فسر وأما الاختصاص الذي في القرآن فقد فسر بعد هذا وهو قوله تعالى. 71 المشهور ومن جعله يقظة فقد غلط وهو في السنن من طرق وهذا الحديث يعينه قد رواه الترمذي من حديث جهضم بن عبد الله اليمامي به وقال الحسن مفتون وأسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربني إلى حبك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - إنها حق فادرسوها وتعلموها فهو حديث المنام والصلاة والناس نيام قال سل قلت اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لي وترحمني وإذا أردت فتنة بقوم فتوفني غير ؟ قلت نقل الأقدام إلى الجماعات والجلوس في المساجد بعد الصلوات لإسباغ الوضوء عند الكريهات ؟ قال وما الدرجات ؟ قلت إطعام الطعام ولين الكلام كفه بين كنتي حتى وجدت برد أنامله بين صدري فتجلى لي كل شيء وعرفت فقال يا محمد فيم يختصم المأل الأعلى ؟ قلت في الكفارات قال وما الكفارات حتى استيقظت فإذا أنا بربي عز وجل في أحسن صورة فقال يا محمد أتدري فيم يختصم المأل الأعلى ؟ قلت لا أدري يا رب أعادها ثلاثا - فرأيت وضع فصلي وتجاوز في صلاته فلما سلم قال عليه الصلاة والسلام كما أنتم ثم أقبل إلينا فقال إني قمت من الليل فصليت ما قدر لي فنعست في صلاتي احتبس علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة من صلاة الصبح حتى كدنا نترأى قرن الشمس فخرج صلى الله عليه وسلم سريعا فثوب بالصلاة حدثنا جهضم اليمامي عن يحيى بن أبي كثير عن زيد بن أبي سلام عن أبي سلام عن عبد الرحمن بن عائش عن مالك بن يخامر عن معاذ رضي الله عنه قال الصلاة والسلام وامتناع إبليس من السجود له ومحاجته ربه في تفضيله عليه فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد حيث قال حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم وقوله تعالى ما كان لي من علم بالمأل الأعلى إذ يختصمون أي لولا الوحي من أين كنت أدري باختلاف المأل الأعلى ؟ يعني.. شأن آدم عليه

ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وكقوله عز وجل قال اذهب فمّن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا . 72 معناه أنا الحق والحق أقول وفي رواية عنه: الحق مني وأقول الحق وقرأ آخرون بنصبهما قال السدي هو قسم أقسم الله به قلت وهذه الآية كقوله تعالى تبارك وتعالى قال فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين قرأ ذلك جماعة منهم مجاهد برفع الحق الأول وفسره مجاهد بأن يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا وهؤلاء هم المسنون في الآية الأخرى وهي قوله تعالى إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلًا وقوله الهلاك إلى القيامة تمرد وطغى وقال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين كما قال عز وجل أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتن إلى بأنه قد أبلس من الرحمة وأنزله من السماء مذموما مدحورا إلى الأرض فسأل الله النظرة إلى يوم البعث فأنظره الحليم الذي لا يعجل على من عصاه فلما أمن أخطأ في ذلك وخالف أمر الله تعالى وكفر بذلك فأبعده الله عز وجل وأرغم أنفه وطرده عن باب رحمته ومحل أنسه وحضرة قدسه وسماه إبليس إعلاما له إليه فاستنكف عن السجود لآدم وخاصم ربه عز وجل فيه وادعى أنه خير من آدم فإنه مخلوق من نار وآدم خلق من طين والنار خير من الطين في زعمه وقد وإعظاما واحتراما وامتنالا لأمر الله عز وجل فامتثل الملائكة كلهم ذلك سوى إبليس ولم يكن منهم جنسا كان من الجن فخانه. طبعه وجبلته أحوج ما كان

## تفسير ابن كثير

قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام بأنه سيخلق بشرا من صلصال من حمأ مسنون وتقدم إليهم بالأمر: متى فرغ من خلقه وتسويته فليسجدوا له إكراما  
القصة ذكرها الله تبارك وتعالى في سورة البقرة وفي أول سورة الأعراف وفي سورة الحجر وسبحان والكهف وهنا وهي أن الله سبحانه وتعالى أعلم الملائكة  
هذه

ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وكقوله عز وجل قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا . 73  
معناه أنا الحق والحق أقول وفي رواية عنه: الحق مني وأقول الحق وقرأ آخرون بنصبهما قال السدي هو قسم أقسم الله به قلت وهذه الآية كقوله تعالى  
تبارك وتعالى قال فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين قرأ ذلك جماعة منهم مجاهد برفع الحق الأول وفسره مجاهد بأن  
يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا وهؤلاء هم المسنون في الآية الأخرى وهي قوله تعالى إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلًا وقوله  
الهلاك إلى القيامة تمرّد وطغى وقال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين كما قال عز وجل أرايتك هذا الذي كرمت عليّ لننّ أخرتنّ إلى  
بأنه قد أبلس من الرحمة وأنزله من السماء مذموما مدحورا إلى الأرض فسأل الله النظرة إلى يوم البعث فأنظره الحليم الذي لا يعجل على من عصاه فلما أمن  
أخطأ في ذلك وخالف أمر الله تعالى وكفر بذلك فأبعده الله عز وجل وأرغم أنفه وطرده عن باب رحمته ومحل أنسه وحضرة قدسه وسماه إبليس إعلاما له  
إليه فاستنكف عن السجود لآدم وخاصم ربه عز وجل فيه وادعى أنه خير من آدم فإنه مخلوق من نار وآدم خلق من طين والنار خير من الطين في زعمه وقد  
وإعظاما واحتراما وامتنالا لأمر الله عز وجل فامتثل الملائكة كلهم ذلك سوى إبليس ولم يكن منهم جنسا كان من الجن فخانه. طبعه وجبلته أحوج ما كان  
قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام بأنه سيخلق بشرا من صلصال من حمأ مسنون وتقدم إليهم بالأمر: متى فرغ من خلقه وتسويته فليسجدوا له إكراما  
القصة ذكرها الله تبارك وتعالى في سورة البقرة وفي أول سورة الأعراف وفي سورة الحجر وسبحان والكهف وهنا وهي أن الله سبحانه وتعالى أعلم الملائكة  
هذه

ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وكقوله عز وجل قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا . 74  
معناه أنا الحق والحق أقول وفي رواية عنه: الحق مني وأقول الحق وقرأ آخرون بنصبهما قال السدي هو قسم أقسم الله به قلت وهذه الآية كقوله تعالى  
تبارك وتعالى قال فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين قرأ ذلك جماعة منهم مجاهد برفع الحق الأول وفسره مجاهد بأن  
يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا وهؤلاء هم المسنون في الآية الأخرى وهي قوله تعالى إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلًا وقوله  
الهلاك إلى القيامة تمرّد وطغى وقال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين كما قال عز وجل أرايتك هذا الذي كرمت عليّ لننّ أخرتنّ إلى  
بأنه قد أبلس من الرحمة وأنزله من السماء مذموما مدحورا إلى الأرض فسأل الله النظرة إلى يوم البعث فأنظره الحليم الذي لا يعجل على من عصاه فلما أمن  
أخطأ في ذلك وخالف أمر الله تعالى وكفر بذلك فأبعده الله عز وجل وأرغم أنفه وطرده عن باب رحمته ومحل أنسه وحضرة قدسه وسماه إبليس إعلاما له  
إليه فاستنكف عن السجود لآدم وخاصم ربه عز وجل فيه وادعى أنه خير من آدم فإنه مخلوق من نار وآدم خلق من طين والنار خير من الطين في زعمه وقد  
وإعظاما واحتراما وامتنالا لأمر الله عز وجل فامتثل الملائكة كلهم ذلك سوى إبليس ولم يكن منهم جنسا كان من الجن فخانه. طبعه وجبلته أحوج ما كان  
قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام بأنه سيخلق بشرا من صلصال من حمأ مسنون وتقدم إليهم بالأمر: متى فرغ من خلقه وتسويته فليسجدوا له إكراما  
القصة ذكرها الله تبارك وتعالى في سورة البقرة وفي أول سورة الأعراف وفي سورة الحجر وسبحان والكهف وهنا وهي أن الله سبحانه وتعالى أعلم الملائكة  
هذه

ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وكقوله عز وجل قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا . 75  
معناه أنا الحق والحق أقول وفي رواية عنه: الحق مني وأقول الحق وقرأ آخرون بنصبهما قال السدي هو قسم أقسم الله به قلت وهذه الآية كقوله تعالى  
تبارك وتعالى قال فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين قرأ ذلك جماعة منهم مجاهد برفع الحق الأول وفسره مجاهد بأن  
يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا وهؤلاء هم المسنون في الآية الأخرى وهي قوله تعالى إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلًا وقوله  
الهلاك إلى القيامة تمرّد وطغى وقال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين كما قال عز وجل أرايتك هذا الذي كرمت عليّ لننّ أخرتنّ إلى  
بأنه قد أبلس من الرحمة وأنزله من السماء مذموما مدحورا إلى الأرض فسأل الله النظرة إلى يوم البعث فأنظره الحليم الذي لا يعجل على من عصاه فلما أمن  
أخطأ في ذلك وخالف أمر الله تعالى وكفر بذلك فأبعده الله عز وجل وأرغم أنفه وطرده عن باب رحمته ومحل أنسه وحضرة قدسه وسماه إبليس إعلاما له  
إليه فاستنكف عن السجود لآدم وخاصم ربه عز وجل فيه وادعى أنه خير من آدم فإنه مخلوق من نار وآدم خلق من طين والنار خير من الطين في زعمه وقد  
وإعظاما واحتراما وامتنالا لأمر الله عز وجل فامتثل الملائكة كلهم ذلك سوى إبليس ولم يكن منهم جنسا كان من الجن فخانه. طبعه وجبلته أحوج ما كان  
قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام بأنه سيخلق بشرا من صلصال من حمأ مسنون وتقدم إليهم بالأمر: متى فرغ من خلقه وتسويته فليسجدوا له إكراما  
القصة ذكرها الله تبارك وتعالى في سورة البقرة وفي أول سورة الأعراف وفي سورة الحجر وسبحان والكهف وهنا وهي أن الله سبحانه وتعالى أعلم الملائكة  
هذه

ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وكقوله عز وجل قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا . 76  
معناه أنا الحق والحق أقول وفي رواية عنه: الحق مني وأقول الحق وقرأ آخرون بنصبهما قال السدي هو قسم أقسم الله به قلت وهذه الآية كقوله تعالى

## تفسير ابن كثير

تبارك وتعالى قال فالحق وأقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين قرأ ذلك جماعة منهم مجاهد برفع الحق الأول وفسره مجاهد بأن يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا وهؤلاء هم المسنون في الآية الأخرى وهي قوله تعالى إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلًا وقوله الهلاك إلى القيامة تمرد وطغى وقال فبعزتكم لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين كما قال عز وجل أرأيتم هذا الذي كرمتم علي لئن أخرتن إلى بأنه قد أبلس من الرحمة وأنزله من السماء مذموما مدحورا إلى الأرض فسأل الله النظرة إلى يوم البعث فأنظره الحليم الذي لا يعجل على من عصاه فلما أمن أخطأ في ذلك وخالف أمر الله تعالى وكفر بذلك فأبعده الله عز وجل وأرغم أنفه وطرده عن باب رحمته ومحل أنسه وحضرة قدسه وسماه إبليس إعلاما له إليه فاستنكف عن السجود لآدم وخاصم ربه عز وجل فيه وادعى أنه خير من آدم فإنه مخلوق من نار وآدم خلق من طين والنار خير من الطين في زعمه وقد وإعظاما واحتراما وامتنالا لأمر الله عز وجل فامتثل الملائكة كلهم ذلك سوى إبليس ولم يكن منهم جنسا كان من الجن فخانه. طبعه وجبلته أحوج ما كان قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام بأنه سيخلق بشرا من صلصال من حمأ مسنون وتقدم إليهم بالأمر: متى فرغ من خلقه وتسويته فليسجدوا له إكراما القصة ذكرها الله تبارك وتعالى في سورة البقرة وفي أول سورة الأعراف وفي سورة الحجر وسبحان والكهف وهنا وهي أن الله سبحانه وتعالى أعلم الملائكة هذه

ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وكقوله عز وجل قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا . 77  
معناه أنا الحق والحق أقول وفي رواية عنه: الحق مني وأقول الحق وقرأ آخرون بنصبهما قال السدي هو قسم أقسم الله به قلت وهذه الآية كقوله تعالى تبارك وتعالى قال فالحق وأقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين قرأ ذلك جماعة منهم مجاهد برفع الحق الأول وفسره مجاهد بأن يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا وهؤلاء هم المسنون في الآية الأخرى وهي قوله تعالى إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلًا وقوله الهلاك إلى القيامة تمرد وطغى وقال فبعزتكم لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين كما قال عز وجل أرأيتم هذا الذي كرمتم علي لئن أخرتن إلى بأنه قد أبلس من الرحمة وأنزله من السماء مذموما مدحورا إلى الأرض فسأل الله النظرة إلى يوم البعث فأنظره الحليم الذي لا يعجل على من عصاه فلما أمن أخطأ في ذلك وخالف أمر الله تعالى وكفر بذلك فأبعده الله عز وجل وأرغم أنفه وطرده عن باب رحمته ومحل أنسه وحضرة قدسه وسماه إبليس إعلاما له إليه فاستنكف عن السجود لآدم وخاصم ربه عز وجل فيه وادعى أنه خير من آدم فإنه مخلوق من نار وآدم خلق من طين والنار خير من الطين في زعمه وقد وإعظاما واحتراما وامتنالا لأمر الله عز وجل فامتثل الملائكة كلهم ذلك سوى إبليس ولم يكن منهم جنسا كان من الجن فخانه. طبعه وجبلته أحوج ما كان قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام بأنه سيخلق بشرا من صلصال من حمأ مسنون وتقدم إليهم بالأمر: متى فرغ من خلقه وتسويته فليسجدوا له إكراما القصة ذكرها الله تبارك وتعالى في سورة البقرة وفي أول سورة الأعراف وفي سورة الحجر وسبحان والكهف وهنا وهي أن الله سبحانه وتعالى أعلم الملائكة هذه

ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وكقوله عز وجل قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا . 78  
معناه أنا الحق والحق أقول وفي رواية عنه: الحق مني وأقول الحق وقرأ آخرون بنصبهما قال السدي هو قسم أقسم الله به قلت وهذه الآية كقوله تعالى تبارك وتعالى قال فالحق وأقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين قرأ ذلك جماعة منهم مجاهد برفع الحق الأول وفسره مجاهد بأن يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا وهؤلاء هم المسنون في الآية الأخرى وهي قوله تعالى إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلًا وقوله الهلاك إلى القيامة تمرد وطغى وقال فبعزتكم لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين كما قال عز وجل أرأيتم هذا الذي كرمتم علي لئن أخرتن إلى بأنه قد أبلس من الرحمة وأنزله من السماء مذموما مدحورا إلى الأرض فسأل الله النظرة إلى يوم البعث فأنظره الحليم الذي لا يعجل على من عصاه فلما أمن أخطأ في ذلك وخالف أمر الله تعالى وكفر بذلك فأبعده الله عز وجل وأرغم أنفه وطرده عن باب رحمته ومحل أنسه وحضرة قدسه وسماه إبليس إعلاما له إليه فاستنكف عن السجود لآدم وخاصم ربه عز وجل فيه وادعى أنه خير من آدم فإنه مخلوق من نار وآدم خلق من طين والنار خير من الطين في زعمه وقد وإعظاما واحتراما وامتنالا لأمر الله عز وجل فامتثل الملائكة كلهم ذلك سوى إبليس ولم يكن منهم جنسا كان من الجن فخانه. طبعه وجبلته أحوج ما كان قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام بأنه سيخلق بشرا من صلصال من حمأ مسنون وتقدم إليهم بالأمر: متى فرغ من خلقه وتسويته فليسجدوا له إكراما القصة ذكرها الله تبارك وتعالى في سورة البقرة وفي أول سورة الأعراف وفي سورة الحجر وسبحان والكهف وهنا وهي أن الله سبحانه وتعالى أعلم الملائكة هذه

ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وكقوله عز وجل قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا . 79  
معناه أنا الحق والحق أقول وفي رواية عنه: الحق مني وأقول الحق وقرأ آخرون بنصبهما قال السدي هو قسم أقسم الله به قلت وهذه الآية كقوله تعالى تبارك وتعالى قال فالحق وأقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين قرأ ذلك جماعة منهم مجاهد برفع الحق الأول وفسره مجاهد بأن يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا وهؤلاء هم المسنون في الآية الأخرى وهي قوله تعالى إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلًا وقوله الهلاك إلى القيامة تمرد وطغى وقال فبعزتكم لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين كما قال عز وجل أرأيتم هذا الذي كرمتم علي لئن أخرتن إلى بأنه قد أبلس من الرحمة وأنزله من السماء مذموما مدحورا إلى الأرض فسأل الله النظرة إلى يوم البعث فأنظره الحليم الذي لا يعجل على من عصاه فلما أمن أخطأ في ذلك وخالف أمر الله تعالى وكفر بذلك فأبعده الله عز وجل وأرغم أنفه وطرده عن باب رحمته ومحل أنسه وحضرة قدسه وسماه إبليس إعلاما له

## تفسير ابن كثير

إليه فاستنكف عن السجود لآدم وخاصم ربه عز وجل فيه وادعى أنه خير من آدم فإنه مخلوق من نار وآدم خلق من طين والنار خير من الطين في زعمه وقد وإعظاما واحتراما وامثالاً لأمر الله عز وجل فامتثل الملائكة كلهم ذلك سوى إبليس ولم يكن منهم جنسا كان من الجن فخانه. طبعه وجبلته أحوج ما كان قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام بأنه سيخلق بشرا من صلصال من حمأ مسنون وتقدم إليهم بالأمر: متى فرغ من خلقه وتسويته فليسجدوا له إكراما القصة ذكرها الله تبارك وتعالى في سورة البقرة وفي أول سورة الأعراف وفي سورة الحجر وسبحان والكهف وهنا وهي أن الله سبحانه وتعالى أعلم الملائكة هذه

عليه وسلم وكما أخبر عز وجل عن قوم صالح عليه السلام حين قالوا أألقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر سيعلمون غدا من الكذاب الأشر. 8  
قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكنكم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتورا وذلك بعد الحكاية عن الكفار أنهم أنكروا بعثة الرسول البشري صلى الله ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا وقوله تعالى جنباه الوهاب الذي يعطي ما يريد لمن يريد وهذه الآية الكريمة شبيهة بقوله تعالى أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيرا أم يحسدون الناس على التصرف في الملك ولا مثقال ذرة وما يملكون من قطمير ولهذا قال تعالى منكرنا عليهم أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب أي العزيز الذي لا يرام يشاء وينزل الروح من أمره على من يشاء من عباده ويختصم على قلب من يشاء فلا يهديه أحد من بعد الله لأن العباد لا يملكون شيئا من الأمر وليس إليهم من إلى نار جهنم دعا ثم قال تعالى مبينا أنه المتصرف في ملكه الفعال لما يشاء الذي يعطي من يشاء ما يشاء ويعز من يشاء فلا يهديه ويهدي من يشاء ويضل من تعالى بل لما يذوقوا عذاب أي إنما يقولون هذا لأنهم ما ذاقوا إلى حين قولهم ذلك عذاب الله تعالى ونقمته سيعلمون غب ما قالوا وما كذبوا به يوم يدعون الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ولهذا لما قالوا هذا الذي دل على جهلهم وقلة عقلهم في استبعادهم إنزال القرآن على الرسول من بينهم قال الله قال في الآية الأخرى لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم قال الله تعالى أهدى الله لهم طريقا فقاموا على الصراط ومن أراد أن يخرج من بعد ذلك قال مجاهد وقتادة كذب وقال ابن عباس تخرص وقولهم أنزل عليه الذكر من بيننا يعني أنهم يستبعدون تخصيصه بإنزال القرآن عليه من بينهم كلهم كما ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وكقوله عز وجل قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا . 80  
معناه أنا الحق والحق أقول وفي رواية عنه: الحق مني وأقول الحق وقرأ آخرون بنصبهما قال السدي هو قسم أقسم الله به قلت وهذه الآية كقوله تعالى تبارك وتعالى قال فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين قرأ ذلك جماعة منهم مجاهد برفع الحق الأول وفسره مجاهد بأن يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا وهؤلاء هم المسنون في الآية الأخرى وهي قوله تعالى إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيفا وقوله الهلاك إلى القيامة تمرد وطغى وقال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين كما قال عز وجل أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتن إلى بأنه قد أبلس من الرحمة وأنزله من السماء مذموما مدحورا إلى الأرض فسأل الله النظرة إلى يوم البعث فأنظره الحليم الذي لا يعجل على من عصاه فلما أمن أخطأ في ذلك وخالف أمر الله تعالى وكفر بذلك فأبعده الله عز وجل وأرغم أنفه وطرده عن باب رحمته ومحل أنسه وحضرة قدسه وسماه إبليس إعلاما له إليه فاستنكف عن السجود لآدم وخاصم ربه عز وجل فيه وادعى أنه خير من آدم فإنه مخلوق من نار وآدم خلق من طين والنار خير من الطين في زعمه وقد وإعظاما واحتراما وامثالاً لأمر الله عز وجل فامتثل الملائكة كلهم ذلك سوى إبليس ولم يكن منهم جنسا كان من الجن فخانه. طبعه وجبلته أحوج ما كان قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام بأنه سيخلق بشرا من صلصال من حمأ مسنون وتقدم إليهم بالأمر: متى فرغ من خلقه وتسويته فليسجدوا له إكراما القصة ذكرها الله تبارك وتعالى في سورة البقرة وفي أول سورة الأعراف وفي سورة الحجر وسبحان والكهف وهنا وهي أن الله سبحانه وتعالى أعلم الملائكة هذه

ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وكقوله عز وجل قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا . 81  
معناه أنا الحق والحق أقول وفي رواية عنه: الحق مني وأقول الحق وقرأ آخرون بنصبهما قال السدي هو قسم أقسم الله به قلت وهذه الآية كقوله تعالى تبارك وتعالى قال فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين قرأ ذلك جماعة منهم مجاهد برفع الحق الأول وفسره مجاهد بأن يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا وهؤلاء هم المسنون في الآية الأخرى وهي قوله تعالى إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيفا وقوله الهلاك إلى القيامة تمرد وطغى وقال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين كما قال عز وجل أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتن إلى بأنه قد أبلس من الرحمة وأنزله من السماء مذموما مدحورا إلى الأرض فسأل الله النظرة إلى يوم البعث فأنظره الحليم الذي لا يعجل على من عصاه فلما أمن أخطأ في ذلك وخالف أمر الله تعالى وكفر بذلك فأبعده الله عز وجل وأرغم أنفه وطرده عن باب رحمته ومحل أنسه وحضرة قدسه وسماه إبليس إعلاما له إليه فاستنكف عن السجود لآدم وخاصم ربه عز وجل فيه وادعى أنه خير من آدم فإنه مخلوق من نار وآدم خلق من طين والنار خير من الطين في زعمه وقد وإعظاما واحتراما وامثالاً لأمر الله عز وجل فامتثل الملائكة كلهم ذلك سوى إبليس ولم يكن منهم جنسا كان من الجن فخانه. طبعه وجبلته أحوج ما كان قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام بأنه سيخلق بشرا من صلصال من حمأ مسنون وتقدم إليهم بالأمر: متى فرغ من خلقه وتسويته فليسجدوا له إكراما القصة ذكرها الله تبارك وتعالى في سورة البقرة وفي أول سورة الأعراف وفي سورة الحجر وسبحان والكهف وهنا وهي أن الله سبحانه وتعالى أعلم الملائكة هذه

ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وكقوله عز وجل قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا . 82

## تفسیر ابن کثیر

معناه أنا الحق والحق أقول وفي رواية عنه: الحق مني وأقول الحق وقرأ آخرون بنصبهما قال السدي هو قسم أقسم الله به قلت وهذه الآية كقوله تعالى تبارك وتعالى قال فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين قرأ ذلك جماعة منهم مجاهد برفع الحق الأول وفسره مجاهد بأن يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا وهؤلاء هم المسنون في الآية الأخرى وهي قوله تعالى إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بريك وكبيرا وقوله الهلاك إلى القيامة تمرد وطغى وقال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين كما قال عز وجل أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتن إلى بأنه قد أبلس من الرحمة وأنزله من السماء مذموما مدحورا إلى الأرض فسأل الله النظرة إلى يوم البعث فأنظره الحليم الذي لا يعجل على من عصاه فلما أمن أخطأ في ذلك وخالف أمر الله تعالى وكفر بذلك فأبعده الله عز وجل وأرغم أنفه وطرده عن باب رحمته ومحل أنسه وحضرة قدسه وسماه إبليس إعلاما له إليه فاستنكف عن السجود لآدم وخاصم ربه عز وجل فيه وادعى أنه خير من آدم فإنه مخلوق من نار وآدم خلق من طين والنار خير من الطين في زعمه وقد وإعظاما واحتراما وامتنالا لأمر الله عز وجل فامتثل الملائكة كلهم ذلك سوى إبليس ولم يكن منهم جنسا كان من الجن فخانه. طبعه وجبلته أحوج ما كان قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام بأنه سيخلق بشرا من صلصال من حمأ مسنون وتقدم إليهم بالأمر: متى فرغ من خلقه وتسويته فليسجدوا له إكراما القصة ذكرها الله تبارك وتعالى في سورة البقرة وفي أول سورة الأعراف وفي سورة الحجر وسبحان والكهف وهنا وهي أن الله سبحانه وتعالى أعلم الملائكة هذه

ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وكقوله عز وجل قال اذهب فمَن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا . 83  
معناه أنا الحق والحق أقول وفي رواية عنه: الحق مني وأقول الحق وقرأ آخرون بنصبهما قال السدي هو قسم أقسم الله به قلت وهذه الآية كقوله تعالى  
تبارك وتعالى قال فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين قرأ ذلك جماعة منهم مجاهد برفع الحق الأول وفسره مجاهد بأن  
يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا وهؤلاء هم المسنون في الآية الأخرى وهي قوله تعالى إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلًا وقوله  
الهلاك إلى القيامة تمرّد وطغى وقال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين كما قال عز وجل أرأيتك هذا الذي كرمت علي لنن أخرتن إلى  
بأنه قد أبلس من الرحمة وأنزله من السماء مذمومًا مدحورًا إلى الأرض فسأل الله النظرة إلى يوم البعث فأنظره الحليم الذي لا يعجل على من عصاه فلما أمّن  
أخطأ في ذلك وخالف أمر الله تعالى وكفر بذلك فأبعده الله عز وجل وأرغم أنفه وطرده عن باب رحمته ومحل أنسه وحضرة قدسه وسماه إبليس إعلما له  
إليه فاستنكف عن السجود لآدم وخاصم ربه عز وجل فيه وادعى أنه خير من آدم فإنه مخلوق من نار وآدم خلق من طين والنار خير من الطين في زعمه وقد  
وإعظاما واحتراما وامتنالا لأمر الله عز وجل فامتلئ الملائكة كلهم ذلك سوى إبليس ولم يكن منهم جنسا كان من الجن فخانه. طبعه وجبلته أحوج ما كان  
قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام بأنه سيخلق بشرا من صلصال من حمأ مسنون وتقدم إليهم بالأمر: متى فرغ من خلقه وتسويته فليسجدوا له إكراما  
القصة ذكرها الله تبارك وتعالى في سورة البقرة وفي أول سورة الأعراف وفي سورة الحجر وسبحان والكهف وهنا وهي أن الله سبحانه وتعالى أعلم الملائكة

هذه

ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وكقوله عز وجل قال اذهب فمَن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا . 84  
معناه أنا الحق والحق أقول وفي رواية عنه: الحق مني وأقول الحق وقرأ آخرون بنصبهما قال السدي هو قسم أقسم الله به قلت وهذه الآية كقوله تعالى  
تبارك وتعالى قال فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين قرأ ذلك جماعة منهم مجاهد برفع الحق الأول وفسره مجاهد بأن  
يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا وهؤلاء هم المسنون في الآية الأخرى وهي قوله تعالى إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلًا وقوله  
الهلاك إلى القيامة تمرّد وطغى وقال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين كما قال عز وجل أرأيتك هذا الذي كرمت علي لنن أخرتن إلى  
بأنه قد أبلس من الرحمة وأنزله من السماء مذمومًا مدحورًا إلى الأرض فسأل الله النظرة إلى يوم البعث فأنظره الحليم الذي لا يعجل على من عصاه فلما أمّن  
أخطأ في ذلك وخالف أمر الله تعالى وكفر بذلك فأبعده الله عز وجل وأرغم أنفه وطرده عن باب رحمته ومحل أنسه وحضرة قدسه وسماه إبليس إعلما له  
إليه فاستنكف عن السجود لآدم وخاصم ربه عز وجل فيه وادعى أنه خير من آدم فإنه مخلوق من نار وآدم خلق من طين والنار خير من طين في زعمه وقد  
وإعظاما واحتراما وامثالًا لأمر الله عز وجل فامثل الملائكة كلهم ذلك سوى إبليس ولم يكن منهم جنسا كان من الجن فخانه. طبعه وجبلته أحوج ما كان  
قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام بأنه سيخلق بشرا من صلصال من حمأ مسنون وتقدم إليهم بالأمر: متى فرغ من خلقه وتسويته فليسجدوا له إكراما  
القصة ذكرها الله تبارك وتعالى في سورة البقرة وفي أول سورة الأعراف وفي سورة الحجر وسبحان والكهف وهنا وهي أن الله سبحانه وتعالى أعلم الملائكة

هذه

ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وكقوله عز وجل قال اذهب فمَن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا . 85 معناه أنا الحق والحق أقول وفي رواية عنه: الحق مني وأقول الحق وقرأ آخرون بنصبهما قال السدي هو قسم أقسم الله به قلت وهذه الآية كقوله تعالى تبارك وتعالى قال فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين قرأ ذلك جماعة منهم مجاهد برفع الحق الأول وفسره مجاهد بأن يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا وهؤلاء هم المسنون في الآية الأخرى وهي قوله تعالى إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلًا وقوله الهالك إلى القيامة تمرّد وطغى وقال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين كما قال عز وجل أرأيتك هذا الذي كرمت عليّ لئن أخرتن إلى بأنّه قد ألبس من الرحمة وأنزله من السماء مذمومًا مدحورًا إلى الأرض فسأل الله النظرة إلى يوم البعث فأنظره الحليم الذي لا يعجل على من عصاه فلما أمّن

## تفسير ابن كثير

أخطأ في ذلك وخالف أمر الله تعالى وكفر بذلك فأبعده الله عز وجل وأرغم أنفه وطرده عن باب رحمته ومحل أنسه وحضرة قدسه وسماه إبليس إعلاما له إليه فاستنكف عن السجود لآدم وخاصم ربه عز وجل فيه وادعى أنه خير من آدم فإنه مخلوق من نار وآدم خلق من طين والنار خير من الطين في زعمه وقد وإعظاما واحتراما وامتنالا لأمر الله عز وجل فامتثل الملائكة كلهم ذلك سوى إبليس ولم يكن منهم جنسا كان من الجن فخانه. طبعه وجبلته أحوج ما كان قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام بأنه سيخلق بشرا من صلال من حمأ مسنون وتقدم إليهم بالأمر: متى فرغ من خلقه وتسويته فليسجدوا له إكراما القصة ذكرها الله تبارك وتعالى في سورة البقرة وفي أول سورة الأعراف وفي سورة الحجر وسبحان والكهف وهنا وهي أن الله سبحانه وتعالى أعلم الملائكة هذه

أن يقول الرجل لما لا يعلم الله أعلم فإن الله عز وجل قال لنبيكم قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين أخرجاه من حديث الأعمش به. 86 عن أبي الضحى عن مسروق قال: أتينا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال يا أيها الناس من علم شيئا فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فإن من العلم أبتغي زيادة عليه بل ما أمرت به أديته لا أزيد عليه ولا أنقص منه وإنما أبتغي بذلك وجه الله عز وجل والدار الآخرة قال سفيان الثوري عن الأعمش ومنصور المشركين ما أسألهم على هذا البلاغ وهذا النصح أجرا تعطونه من عرض الحياة الدنيا وما أنا من المتكلفين أي وما أريد على ما أرسلني الله تعالى به ولا يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء

تعالى للعالمين قال الجن والإنس وهذه الآية كقوله تعالى لأنذركم به ومن بلغ وكقوله عز وجل ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده. 87 وروى ابن أبي حاتم عن أبيه عن أبي غسان مالك بن إسماعيل حدثنا قيس بن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله وقوله تعالى إن هو إلا ذكر للعالمين يعني القرآن ذكر لجميع المكلفين من الإنس والجن قاله ابن عباس رضي الله عنهما وقال قتادة في قوله تعالى ولتعلمن نبأه بعين حين قال الحسن يا ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين. آخر تفسير سورة ص ولله الحمد المنة. 88 خيره وصدقه بعد حين أي عن قريب قال قتادة بعد الموت وقال عكرمة يعني يوم القيامة ولا منافاة بين القولين فإن من مات فقد دخل في حكم القيامة وقوله تعالى ولتعلمن نبأه أي

عليه وسلم وكما أخبر عز وجل عن قوم صالح عليه السلام حين قالوا أألقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر سيعلمون غدا من الكذاب الأشر. 9 قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكنكم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتورا وذلك بعد الحكاية عن الكفار أنهم أنكروا بعثة الرسول البشري صلى الله ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا وقوله تعالى جنباه الوهاب الذي يعطي ما يريد لمن يريد وهذه الآية الكريمة شبيهة بقوله تعالى أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيرا أم يحسدون الناس على التصرف في الملك ولا مثقال ذرة وما يملكون من قطمير ولهذا قال تعالى منكرا عليهم أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب أي العزيز الذي لا يرام يشاء وينزل الروح من أمره على من يشاء من عباده ويختتم على قلب من يشاء فلا يهديه أحد من بعد الله لأن العباد لا يملكون شيئا من الأمر وليس إليهم من إلى نار جهنم دعا ثم قال تعالى مبينا أنه المتصرف في ملكه الفعال لما يشاء الذي يعطي من يشاء ما يشاء ويعز من يشاء فلا يهديه ويهدي من يشاء ويضل من تعالى بل لما يذوقوا عذاب أي إنما يقولون هذا لأنهم ما ذاقوا إلى حين قولهم ذلك عذاب الله تعالى ونقمته سيعلمون غب ما قالوا وما كذبوا به يوم يدعون الدنيا ورفعتنا بعضهم فوق بعض درجات ولهذا لما قالوا هذا الذي دل على جهلهم وقلة عقلهم في استبعادهم إنزال القرآن على الرسول من بينهم قال الله قال في الآية الأخرى لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم قال الله تعالى أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة قال مجاهد وقتادة كذب وقال ابن عباس تخرص وقولهم أنزل عليه الذكر من بيننا يعني أنهم يستبعدون تخصيصه بإنزال القرآن عليه من بينهم كلهم كما

## سورة 39

خلفه تنزيل من حكيم حميد وقال جل وعلا ههنا تنزيل الكتاب من الله العزيز أي المنيع الجنب الحكيم أي في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره. 1 العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وقال تبارك وتعالى وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من والزمر. يخبر تعالى أن تنزيل هذا الكتاب وهو القرآن العظيم من عنده تبارك وتعالى فهو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك كما قال عز وجل وإنه لتنزيل رب الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول ما يريد أن يفطر ويفطر حتى نقول ما يريد أن يصوم وكان صلى الله عليه وسلم يقرأ في كل ليلة بني إسرائيل سورة الزمر: قال النسائي حدثنا محمد بن النضر بن مساور حدثنا حماد عن مروان بن أبي لبابة عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول

جريح بلغني أنه لا يحسب عليهم ثواب عملهم قط ولكن يزدادون على ذلك وقال السدي إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب يعني في الجنة. 10 الله واسعة فتهاجروا فيها وقوله تعالى إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب قال الأوزاعي ليس يوزن لهم ولا يكال لهم إنما يغرف لهم غرضا وقال ابن واعتزلوا الأوثان وقال شريك عن منصور عن عطاء في قوله تبارك وتعالى وأرض الله واسعة قال إذا دعيتم إلى معصيته فاهربوا ثم قرأ ألم تكن أرض في هذه الدنيا حسنة أي لمن أحسن العمل في هذه الدنيا حسنة في دنياهم وأخراهم. وقوله وأرض الله واسعة قال مجاهد فهاجروا فيها وجاهدوا يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين بالاستمرار على طاعته وتقواه قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين احسنوا

## تفسير ابن كثير

أي إنما أمرت بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له. 11

قال السدي يعني من أمته صلى الله عليه وسلم. 12

يا محمد وأنت رسول الله إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم وهو يوم القيامة وهذا شرط ومعناه التعريض بغيره بطريق الأولى والأخرى. 13  
يقول تعالى قل

قل الله أعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه وهذا أيضا تهديد وتبر منهم. 14

ذهبوا هم إلى النار أو أن الجميع أسكنوا النار ولكن لا اجتماع لهم ولا سرور ألا ذلك هو الخسران المبين أي هذا هو الخسران المبين الظاهر الواضح. 15  
الخاسرين أي إنما الخاسرون كل الخسران الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة أي تفارقوا فلا لقاء لهم أبدا وسواء ذهب أهلهم إلى الجنة وقد قل إن

خبر هذا الكائن لا محالة ليخوف به عباده لينزجروا عن المحارم والمآثم وقوله تعالى يا عباد فاتقون أي اخشوا بأسى وسطوتي وعذابي ونقمتي. 16  
وقال تعالى يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون وقوله جل جلاله ذلك يخوف الله به عباده أي إنما يقص وصف حالهم في النار فقال لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل كما قال عز وجل لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجز الظالمين

ثم

عنهم والصحيح أنها شاملة لهم ولغيرهم ممن اجتنب عبادة الأوثان وأناب إلى عبادة الرحمن فهؤلاء هم الذين لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة. 17  
قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها نزلت في زيد بن عمرو بن نفيل وأبي ذر وسلمان الفارسي رضي الله تعالى  
الله أي المتصفون بهذه الصفة هم الذين هداهم الله في الدنيا والآخرة وأولئك هم أولوا الأبواب أي ذو العقول الصحيحة والفطر المستقيمة. 18  
ويعملون بما فيه كقوله تبارك وتعالى لموسى عليه الصلاة والسلام حين آتاه التوراة فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها أولئك الذين هداهم  
ثم قال عز وجل فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أي يفهمونه

كتب الله أنه شقي تقدر تنقذه مما هو فيه من الضلال والهلاك؟ أي لا يهديه أحد من بعد الله لأنه من يضل الله فلا هادي له ومن يهده فلا مضل له. 19  
يقول تعالى أفمن

وأنه ليس له شريك ولا عدل ولا نديد ولهذا قال تعالى ألا لله الدين الخالص أي لا يقبل من العمل إلا ما أخلص فيه العامل لله وحده لا شريك له. 2  
أي فاعبد الله وحده لا شريك له وادع الخلق إلى ذلك وأعلمهم أنه لا تصلح العبادة إلا له وحده

أي تسلك الأنهار بين خلال ذلك كما يشاءوا وأين أرادوا وعد الله أي هذا الذي ذكرناه وعد وعده الله عباده المؤمنين إن الله لا يخلف الميعاد. 20  
حين وروى الترمذي وابن ماجة بعضه من حديث سعد بن أبي مجاهد الطائي وكان ثقة عن أبي المدله وكان ثقة به. وقوله تعالى تجري من تحتها الأنهار  
ترد دعوتهم: الإمام العادل والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم حمل على الغمام وتفتح لها أبواب السموات ويقول الرب تبارك وتعالى وعزتي لأنصرنك ولو بعد  
فضة وملاطها المسك الأذفر وحصاؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران من يدخلها ينعم ولا يبأس ويخلد ولا يموت لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه ثلاثة لا  
بيوتكم ولو لم تذنبوا لجاء الله عز وجل بقوم يذنبون كي يغفر لهم قلنا يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال صلى الله عليه وسلم لبننة ذهب ولبننة  
وشممنات النساء والأولاد قال صلى الله عليه وسلم لو أنكم تكونون على كل حال على الحال التي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة بأكفهم ولزارتكم في  
أم المؤمنين رضي الله عنها أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قلنا يا رسول الله إنا إذا رأيناك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة فإذا فارقتك أعجبتنا الدنيا  
سويد عن ابن المبارك عن فليح به وقال حسن صحيح وقال الإمام أحمد حدثنا أبو النضر وأبو عامر قال حدثنا زهير حدثنا سعد الطائي حدثنا أبو المدله مولى  
الدرجات فقالوا يا رسول الله أولئك النبيون؟ فقال صلى الله عليه وسلم بلى والذي نفسي بيده وأقوام آمنوا بالله وصدقوا الرسل ورواه الترمذي عن  
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أهل الجنة ليتراءون في الجنة أهل الغرف كما تراءون الكوكب الدري الغارب في الأفق الطالع - في تفاضل أهل  
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال الإمام أحمد حدثنا فزارة أخبرني فليح عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه  
الغربي أخرجه في الصحيحين من حديث أبي حازم وأخرجه أيضا في الصحيحين من حديث مالك عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد  
في أفق السماء قال فحدثت بذلك النعمان بن أبي عياش فقال سمعت أبا سعيد الخدري رضي الله عنه يقول كما تراءون الكوكب الذي في الأفق الشرقي أو  
عن أبي حازم عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أهل الجنة ليتراءون في الجنة كما تراءون الكوكب  
به أحمد من حديث عبد الله بن معاذ الأشعري عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه به وقال الإمام أحمد حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن  
وسلم إن في الجنة لغرقا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام ولأن الكلام وتابع الصيام وصلى والناس نيام تفرد  
حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن يحيى بن أبي كثير عن ابن معاذ - أو أبي معاذ عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه  
بالليل والناس نيام ورواه الترمذي من حديث عبد الرحمن بن إسحاق وقال حسن غريب وقد تكلم بعض أهل العلم فيه من قبل حفظه وقال الإمام أحمد  
لغرقا يرى بطونها من ظهورها وظهورها من بطونها فقال أعرابي لمن هي يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وسلم لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وصلى



## تفسير ابن كثير

حدثنا محمد بن فضيل عن عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن في الجنة القصور أي الشاهقة من فوقها غرف مبنية طباق فوق طباق مبنيات محكمات مزخرفات عاليات قال عبد الله بن الإمام أحمد حدثنا عباد بن يعقوب الأسدي ثم أخبر عز وجل عن عباده السعداء أن لهم غرفا في الجنة وهي

تعالى واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كما أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا. 21 كان حاله بعده إلى خير وكثيرا ما يضرب الله تعالى مثل الحياة الدنيا بما ينزل الله من السماء من ماء وينبت به زروعا وثمارا ثم يكون بعد ذلك حطاما كما قال بهذا فيعتبرون إلى أن الدنيا هكذا تكون خضرة نضرة حسناء ثم تعود عجوزا شوهاء والشباب يعود شيخا هرما كبيرا ضعيفا وبعد ذلك كله الموت فالسعيد من نضارته وشبابه يكتهل فتراه مصفرا قد خالطه اليبس ثم يجعله حطاما أي ثم يعود يابسا يتحطم إن في ذلك لذكرى لأولي الأبواب أي الذين يتذكرون به زروعا مختلفا ألوانه أي ثم يخرج بالماء النازل من السماء والنابع من الأرض زروعا مختلفا ألوانه أي أشكاله وطعومه وروائحهم ومنافعه ثم يهيج أي بعد فأصله من السماء وقال سعيد بن جبيرة أصله من الثلج يعني أن الثلج يتراكم على الجبال فيسكن في قرارها فتنبع العيون من أسافلها وقوله تعالى ثم يخرج تغيره فذلك قوله تعالى فسلكه ينابيع في الأرض فمن سره أن يعود الملح عذبا فليصعده وكذا. قال سعيد بن جبيرة وعامر والشعبي أن كل ماء في الأرض الله عنهما في قوله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض قال ليس في الأرض ماء إلا نزل من السماء ولكن عروق في الأرض فسلكه ينابيع في الأرض قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا عمرو بن علي حدثنا أبو قتيبة عتبة بن اليقظان عن عكرمة عن ابن عباس رضي الماء من السماء كمن في الأرض ثم يصرفه تعالى في أجزاء الأرض كما يشاء وينبعه عيوننا ما بين صغار وكبار بحسب الحاجة إليها ولهذا قال تبارك وتعالى يخبر تعالى أن أصل الماء في الأرض من السماء كما قال عز وجل وأنزلنا من السماء ماء طهورا فإذا أنزل

ليس بخارج منها ولهذا قال تعالى فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أي فلا تلين عند ذكره ولا تخشع ولا تعي ولا تفهم أولئك في ضلال مبين. 22 أي هل يستوي هذا ومن هو قاسي القلب بعيد عن الحق كقوله عز وجل أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات وقوله تبارك وتعالى أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه

هدى الله يهدي به من يشاء من عباده أي هذه صفة من هداه الله ومن كان على خلاف ذلك فهو ممن أضله الله ومن يضل الله فما له من هاد. 23 عقولهم والغشيان عليهم إنما هذا في أهل البدع وهذا من الشيطان وقال السدي ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله أي إلى وعد الله وقوله ذلك وقلوبهم إلى ذكر الله قال هذا نعت أولياء الله نعتهم الله عز وجل بأن تقشعر جلودهم وتبكي أعينهم وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله ولم ينعتهم بذهاب فازوا بالمدح من الرب الأعلى في الدنيا والآخرة قال عبدالرزاق حدثنا معمر قال تلا قتادة رحمه الله تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم تلين مع قلوبهم إلى ذكر الله لم يكونوا يتصارخون ولا يتكلفون ما ليس فيهم بل عندهم من الثبات والسكون والأدب والخشية ما لا يلحقهم أحد في ذلك ولهذا لغيرهم الثالث أنهم يلزمون الأدب عند سماعها كما كان الصحابة رضي الله عنهم عند سماعهم كلام الله تعالى من تلاوة رسول الله تقشعر جلودهم ثم لم يكونوا عند سماعها متشاغلين لاهين عنها بل مصغيين إليها فاهمين بصيرين بمعانيها فلماذا إنما يعملون بها ويسجدون عندها عن بصيرة لا عن جهل ومتابعة ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم وقال تعالى والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا أي قال تبارك وتعالى إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم وسمع أولئك نغμάτων الأنبياء أصوات القينات الثاني أنهم إذا تليت عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا بأدب وخشية ورجاء ومحبة وفهم وعلم كما جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله لما يرجون ويؤمنون من رحمته ولطفه فهم مخالفون لغيرهم من الفجار من وجوه أحدها أن سماع هؤلاء هو تلاوة الآيات الأبرار عند سماع كلام الجبار المهيم العزيز الغفار لما يفهمون منه من الوعد والوعيد والتخويف والتهديد تقشعر منه جلودهم من الخشية والخوف ثم تلين من أم الكتاب وآخر متشابهات ذاك معنى آخر. وقوله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله أي هذه صفة في معنيين اثنين وأما إذا كان السياق كله في معنى واحد يشبه بعضه بعضا فهو المتشابه وليس هذا من المتشابه المذكور في قوله تعالى منه آيات محكمات إن كتاب الأبرار لفي عليين هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب إلى أن قال هذا وإن للطاغين لشر مآب ونحو هذا من السياقات فهذا كله من المثاني أي أشبه هذا فهذا من المثاني كقوله تعالى إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم وكقوله عز وجل كلا إن كتاب الفجار لفي سجين إلى أن قال كلا إن سياقات القرآن تارة تكون في معنى واحد فهذان من المتشابه وتارة تكون بذكر الشيء وضده كذكر المؤمنين ثم الكافرين وكصفة الجنة ثم صفة النار وما الله عنهما مثاني قال القرآن يشبه بعضه بعضا ويرد بعضه على بعض وقال بعض العلماء ويروى عن سفيان بن عينة معنى قوله تعالى متشابهة مثاني بن زيد بن أسلم: مثاني مردد ردد موسى في القرآن وصالح وهود والأنبياء عليهم الصلاة والسلام في أمكنة كثيرة وقال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي ليفهموا عن ربهم تبارك وتعالى وقال عكرمة والحسن ثنى الله فيه القضاء زاد الحسن تكون السورة فيها آية وفي السورة الأخرى آية تشبهها قال عبدالرحمن كتابا متشابهة مثاني قال مجاهد يعني القرآن كله متشابه مثاني وقال قتادة: الآية تشبه الآية والحرف يشبه الحرف وقال الضحاك: مثاني ترديد القول هذا مدح من الله عز وجل لكتابه القرآن العظيم المنزل على رسوله الكريم قال الله تعالى الله نزل أحسن الحديث

آمنا يوم القيامة واكتفى في هذه الآية بأحد القسمين عن الآخر كقول الشاعر: فما أدري إذا يممت أرضا أريد الخير أيهما يليني يعني الخير أو الشر. 24 على صراط مستقيم وقال جل وعلا يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر وقال تبارك وتعالى أفمن يلقي في النار خيرا أم من يأتي

## تفسير ابن كثير

فيقال له ولأمثاله من الظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون كمن يأتي آتيا يوم القيامة كما قال عز وجل أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أم من يمشي سويا يقول تعالى أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة ويقرع

يعني القرون الماضية المكذبة للرسول أهلهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق. 25

والذي أعده الله جل جلاله لهم في الآخرة من العذاب الشديد أعظم مما أصابهم في الدنيا ولهذا قال عز وجل ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون. 26 أي بما أنزل بهم من العذاب والنكال وتشقي المؤمنين منهم فليحذر المخاطبون من ذلك فإنهم قد كذبوا أشرف الرسل وخاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم وقوله جل وعلا فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا

كما قال تبارك وتعالى ضرب لكم مثلا من أنفسكم أي تعلمونه من أنفسكم وقال عز وجل وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون. 27 يقول تعالى ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل أي بينا للناس فيه بضرب الأمثال لعلمهم يتذكرون فإن المثل يقرب المعنى إلى الأذهان لبس بل هو بيان ووضوح وبرهان وإنما جعله الله تعالى كذلك وأنزله بذلك لعلمهم يتقون أي يحذرون ما فيه من الوعيد ويعملون بما فيه من الوعد. 28 وقوله جل وعلا قرآنا عربيا غير ذي عوج أي هو قرآن بلسان عربي مبين لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا

للمشرك والمخلص ولما كان هذا المثل ظاهرا بينا جليا قال الحمد لله أي على إقامة الحجة عليهم بل أكثرهم لا يعلمون أي فلماذا يشركون بالله. 29 مع الله والمؤمن المخلص الذي لا يعبد إلا الله وحده لا شريك له فأين هذا من هذا؟ قال ابن عباس رضي الله عنهما مجاهد وغير واحد: هذه الآية ضربت مثلا بينهم ورجلا سلما أي سالما لرجل أي خالصا لا يملكه أحد غيره هل يستويان مثلا أي لا يستوي هذا وهذا كذلك لا يستوي المشرك الذي يعبد آلهة ثم قال ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون أي يتنازعون في ذلك العبد المشترك

كافر بآياته وحججه وبراهينه ثم بين تعالى أنه لا ولد له كما يزعمه جهلة المشركين في الملائكة والمعاندون من اليهود والنصارى في العزيز وعيسى. 3 الجن أكثرهم بهم مؤمنون وقوله عز وجل إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار أي لا يرشد إلى الهداية من قصده الكذب والافتراء على الله تعالى وقلبه يوم معادهم ويجزي كل عامل بعمله ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون تضربوا لله الأمثال تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقوله عز وجل إن الله يحكم بينهم أي يوم القيامة فيما هم فيه يختلفون أي سيفصل بين الخلاف كلهم عبيد خاضعون لله لا يشفعون عنده إلا بإذنه لمن ارتضى وليسوا عنده كالأمراء عند ملوكهم يشفعون عندهم بغير إذنهم فيما أحبه الملوك وأبوه فلا الطاغوت وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون وأخبر أن الملائكة التي في السموات من الملائكة المقربين وغيرهم له وأن هذا شيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم لم يأذن الله فيه ولا رضي به بل أبغضه ونهى عنه ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن أعبدوا الله واجتنبوا المشركون في قديم الدهر وحديثه وجاءتهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بردها والنهي عنها والدعوة إلى أفراد العبادة لله وحده لا شريك ويقربونا عنده منزلة ولهذا كانوا يقولون في تليبتهم إذا حجوا في جاهليتهم لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك وهذه الشبهة هي التي اعتمدها من أمور الدنيا فأما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به. قال قتادة والسدي ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد إلا ليقرّبونا إلى الله زلفى أي ليشفعوا لنا على صور الملائكة المقربين في زعمهم فعبدوا تلك الصور تنزيلا لذلك منزلة عبادتهم الملائكة ليشفعوا لهم عند الله تعالى فينصرهم ورزقهم وما ينوبهم عز وجل عن عباد الأصنام من المشركين أنهم يقولون ما نعبدهم إلا ليقرّبونا إلى الله زلفى أي إنما يحملهم على عبادتهم لهم أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها وقال قتادة في قوله تبارك وتعالى ألا لله الدين الخالص شهادة أن لا إله إلا الله ثم أخبر

سياقها في المؤمنين والكافرين وذكر الخصومة بينهم في الدار الآخرة فإنها شاملة لكل متنازعين في الدنيا فإنه تعاد عليهم الخصومة في الدار الآخرة. 30 بينكم ويفتح بالحق وهو الفتاح العليم فينجي المؤمنين المخلصين الموحدين ويعذب الكافرين الجاحدين المشركين المكذبين ثم إن هذه الآية وإن كان من هذه الدار لا محالة وستجتمعون عند الله تعالى في الدار الآخرة وتختصمون فيما أنتم فيه في الدنيا من التوحيد والشرك بين يدي الله عز وجل فيفصل من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين ومعنى هذه الآية أنكم ستنقلون التي استشهد بها الصديق رضي الله عنه عند موت الرسول صلى الله عليه وسلم حتى تحقق الناس موته مع قوله عز وجل وما محمد إلا رسول قد خلت هذه الآية من الآيات

عند ربكم تختصمون قال يعني أهل القبلة وقال ابن زيد: يعني أهل الإسلام وأهل الكفر وقد قدمنا أن الصحيح العموم والله سبحانه وتعالى أعلم. 31 الذي وعدنا ربنا عز وجل نختصم فيه ورواه النسائي عن محمد بن عامر عن منصور بن سلمة به وقال أبو العالية في قوله تبارك وتعالى ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال قلنا من نخاصم؟ ليس بيننا وبين أهل الكتاب خصومة فمن نخاصم؟ حتى وقعت الفتنة فقال ابن عمر رضي الله عنهما: هذا يعقوب بن عبد الله عن جعفر بن المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: نزلت هذه الآية وما نعلم في أي شيء نزلت ثم إنكم يوم كالمطية وهو راكبه. وقال ابن أبي حاتم حدثنا جعفر بن أحمد بن عوسجة حدثنا ضار حدثنا أبو سلمة الخزاعي حدثنا منصور بن سلمة حدثنا القمي يعني إليها فقال له الضيرير اركبني فتناولها فركبه فتناولها فأيهما المعتدي؟ فيقولان كلاهما فيقول لهما الملك فإنكما قد حكمتما على أنفسكما يعني أن الجسد للروح الله تعالى ملكا يفصل بينهما فيقول لهما إن مثلكما كمثل رجل مقعد بصير والآخر ضرير دخلا بستانا فقال المقعد للضرير إني أرى ههنا ثمارا ولكن لا أصل

## تفسير ابن كثير

عنهما أنه قال: يختصم الناس يوم القيامة حتى تختصم الروح مع الجسد فتقول الروح للجسد أنت فعلت ويقول الجسد للروح أنت أمرت وأنت سولت فيبعث تختصمون يقول يخاصم الصادق الكاذب والمظلوم الظالم والمهتدي الضال والضعيف المستكبر وقد روى ابن منده في كتاب الروح عن ابن عباس رضي الله له سد ركنا من أركان جهنم ثم قال الأغلب بن تميم ليس بالحافظ. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم حدثنا ثابت عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بالإمام الجائر الخائن يوم القيامة فتخاصمه الرعية فيفلحون عليه فيقال يا أبا ذر؟ قلت لا قال صلى الله عليه وسلم لكن الله يدري وسيحكم بينهما وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا سهل بن محمد حدثنا حيان بن أغلب ما أبي تفرد به أحمد رحمه الله وفي المسند عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاتين ينتطحان فقال أتدري فيم ينتطحان دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده إنه ليختصم حتى الشاتان فيما انتطحتا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الخصمين يوم القيامة جاران تفرد به أحمد وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا حديث محمد بن عمرو به وقال حسن صحيح وقال الإمام أحمد حدثنا ابن لهيعة عن أبي عياش عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: الذنوب؟ قال صلى الله عليه وسلم نعم ليكررن عليكم حتى يؤدي إلى كل ذي حق حقه قال الزبير رضي الله عنه: والله إن الأمر لشديد رواه الترمذي من إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال الزبير رضي الله عنه أي رسول الله أكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص عن يحيى بن عبدالرحمن بن حاطب عن عبدالله بن الزبير عن العوام رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه السورة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روى هذه الزيادة الترمذي وابن ماجه من حديث سفيان به وقال الترمذي حسن وقال أحمد أيضا حدثنا ابن نمير حدثنا محمد يعني ابن عمرو عن النعيم قال الزبير رضي الله عنه: أي رسول الله أي نعيم نسأل عنه وإنما نعيمنا الأسودان: التمر والماء؟ قال صلى الله عليه وسلم أما إن ذلك سيكون قال صلى الله عليه وسلم نعم قال رضي الله عنه إن الأمر إذا لشديد. وكذا رواه الإمام أحمد عن سفيان وعنده زيادة ولما نزلت ثم لتسئلن يومئذ عن ابن الزبير رضي الله عنهما قال لما نزلت ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال الزبير رضي الله عنه: يا رسول الله أكرر علينا الخصومة؟ قال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا محمد بن عبيد الله بن يزيد المقرئ حدثنا سفيان عن محمد بن عمرو عن أبي حاطب يعني يحيى بن عبدالرحمن الله صلى الله عليه وسلم قالوا الباطل وردوا الحق ولهذا قال جلت عظمته متوعدا لهم أليس في جهنم مثوى للكافرين وهم الجاحدون المكذوبون. 32 ولهذا قال عز وجل فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه أي لا أحد أظلم من هذا لأنه جمع بين طرفي الباطل كذب على الله وكذب رسول أن الملائكة بنات الله وجعلوا لله ولدا تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ومع هذا كذبوا بالحق إذ جاءهم على أسنة رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يقول عز وجل مخاطبا للمشركين الذين افتروا على الله وجعلوا معه آلهة أخرى وادعوا

جاء بالصدق هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق به قال المسلمون أولئك هم المتقون قال ابن عباس رضي الله عنهما اتقوا الشرك. 33 فإنه جاء بالصدق وصدق المرسلين وآمن بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله. وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم والذي عن مجاهد يشمل كل المؤمنين فإن المؤمنين يقولون الحق ويعملون به والرسول صلى الله عليه وسلم أولى الناس بالدخول في هذه الآية على هذا التفسير مجاهد والذي جاء بالصدق وصدق به قال أصحاب القرآن المؤمنون يجيثون يوم القيامة فيقولون هذا ما أعطيتونا فعملنا فيه بما أمرتمونا. وهذا القول يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ الربيع بن أنس الذين جاءوا بالصدق يعني الأنبياء وصدقوا به يعني الأتباع. وقال ليث بن أبي سليم عن السلام وصدق به يعني محمدا وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما والذي جاء بالصدق قال من جاء بلا إله إلا الله وصدق به جاء بالصدق وصدق به قال مجاهد وقتادة والربيع بن أنس وابن زيد: الذي جاء بالصدق هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال السدي هو جبريل عليه ثم قال جل وعلا والذي

لهم ما يشاءون عند ربهم يعني في الجنة مهما طلبوا وجدوا. 34

قال عز وجل في الآية الأخرى أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون. 35 ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون كما

صلى الله عليه وسلم ويتوعدونه بأصنامهم وآلهتهم التي يدعونها من دون الله جهلا منهم وضلالا ولهذا قال عز وجل ومن يضل الله فما له من هاد. 36 والنسائي من حديث حيوة بن شريح عن أبي هانئ الخولاني به وقال الترمذي صحيح ويخوفونك بالذين من دونه يعني المشركين يخوفون الرسول بن عبيد الأنصاري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أفلح من هدى إلى الإسلام وكان عيشه كفافا وقنع به ورواه الترمذي من عبده وتوكل عليه وقال ابن أبي حاتم ههنا حدثنا أبو عبدالله ابن أخي ابن وهب حدثنا عمي حدثنا أبو هانئ عن أبي علي عمرو بن مالك الجنبى عن فضالة يقول تعالى أليس الله بكاف عبده وقرأ بعضهم عباده يعني أنه تعالى يكفي

لا يضام من استند إلى جنبه ولجأ إلى بابه فإنه العزيز الذي لا أعز منه ولا أشد انتقاما منه ممن كفر به وأشرك وعاند رسوله صلى الله عليه وسلم. 37 أي منيع الجنب

على الله ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله عز وجل أوثق منه بما في يديه ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليتنق الله عز وجل. 38

## تفسير ابن كثير

عن محمد بن كعب القرظي حدثنا ابن عباس رضي الله عنهما رفع الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل صراط مستقيم. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عصام الأنصاري حدثنا عبدالله بن بكر السهمي حدثنا محمد بن حاتم عن أبي المقدام مولى آل عثمان أشهد الله واشهدوا أنني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على أي الله كافة عليه توكلت وعليه فليتكامل المتوكلون كما قال هود عليه الصلاة والسلام حين قال قومهم إن نقول إلا اعتراك بعض آلهم نباح كذاب وعمل لله بالشكر في اليقين واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا وأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا قل حسبي الله لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يضروك ولو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم ينفعوك جفت الصحف ورفعت الأقلام احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة ممسكات رحمته أي لا تستطيع شيئا من الأمر وذكر ابن أبي حاتم ههنا حديث قيس بن الحجاج عن حنش الصنعاني عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا مما لا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولهذا قال تبارك وتعالى قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله يعني المشركين كانوا يعترفون بأن الله عز وجل هو الخالق للأشياء كلها ومع هذا يعبدون معه غيره وقوله تعالى

اعملوا على مكانتكم أي على طريقتكم وهذا تهديد ووعيد إني عامل أي على طريقتي ومنهجي فسوف تعلمون أي ستعلمون غب ذلك ووباله. 39 وقوله تعالى قل يا قوم

شيء عبد لديه فقير إليه وهو الغنى عما سواه الذي قد قهر الأشياء فدانت له وذلت وخضعت تبارك وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا. 4 المستحيل لمقصد المتكلم وقوله تعالى سبحانه هو الله الواحد القهار أي تعالى وتنزه وتقدس عن أن يكون له ولد فإنه الواحد الأحد الفرد الصمد الذي كل وجل لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين كل هذا من باب الشرط ويجوز تعليق الشرط على يخلق ما يشاء أي لكان الأمر على خلاف ما يزعمون وهذا شرط لا يلزم وقوعه ولا جوازه بل هو محال وإنما قصد تجهيلهم فيما ادعوه وزعموه كما قال عز فقال تبارك وتعالى لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما

من يأتيه عذاب يخزيه أي في الدنيا ويحل عليه عذاب مقيم أي دائم ومستمر لا محيد عنه وذلك يوم القيامة أعادنا الله منها. 40 وبال ذلك على نفسه وما أنت عليهم بوكيل أي بموكل أن يهتدوا إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل إنما عليك البلاغ وعلينا الحساب. 41 بالحق أي لجميع الخلق من الإنس والجن لتنذرهم به فمن اهتدى فلنفسه أي فإنما يعود نفع ذلك إلى نفسه ومن ضل فإنما يضل عليها أي إنما يرجع يقول تعالى مخاطبا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم إنا أنزلنا عليك الكتاب يعني القرآن للناس قال السدي إلى بقية أجلها وقال ابن عباس رضي الله عنهما يمسك أنفس الأموات ويرسل أنفس الأحياء ولا يغلط إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون. 42 إذا ماتوا وأرواح الأحياء إذا ناموا فتتعارف ما شاء الله تعالى أن تتعارف فيمسك التي قضى عليها الموت التي قد ماتت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ربي وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين وقال بعض السلف يقبض أرواح الأموات هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفضه بداخله إزاره فإنه لا يدري ما خلفه عليه ثم ليقل باسمك ورد بذلك الحديث المرفوع الذي رواه ابن منده وغيره وفي صحيح البخاري ومسلم من حديث عبيد الله بن عمر عن سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي الأنفس حين موته والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى فيه دلالة على أنها تجتمع في الملأ الأعلى كما أحكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون فذكر الوفايتين الصغرى ثم الكبرى وفي هذه الآية ذكر الكبرى ثم الصغرى ولهذا قال تبارك وتعالى الله يتوفى ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقيضي أجل مسمى إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء يتوفى الأنفس الوفاة الكبرى بما يرسل من الحفظة الذين يقبضونها من الأبدان والوفاة الصغرى عند المنام كما قال تبارك وتعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل ثم قال تعالى مخبرا عن نفسه الكريمة بأنه المتصرف في الوجود بما يشاء وأنه

على ذلك وهي لا تملك شيئا من الأمر بل وليس لها عقل تعقل به ولا سمع تسمع به ولا بصر تبصر به بل هي جمادات أسوأ حالا من الحيوان بكثير. 43 يقول تعالى ذاما للمشركين في اتخاذهم شفعاء من دون الله وهم الأصنام والأنداد التي اتخذوها من تلقاء أنفسهم بلا دليل ولا برهان هدام إلا بإذنه له ملك السموات والأرض أي هو المتصرف في جميع ذلك ثم إليه ترجعون أي يوم القيامة فيحكم بينكم بعدله ويجزي كلا بعمله. 44 لهؤلاء الزاعمين إن ما اتخذوه شفعاء لهم عند الله تعالى أخبرهم أن الشفاعة لا تنفع عند الله إلا لمن ارتضاه وأذن له فمرجعها كلها إليه من ذا الذي يشفع عنده ثم قال قل أي يا محمد

الخير يقبل الشر ولذلك قال تبارك وتعالى وإذا ذكر الذين من دونه أي من الأصنام والأنداد قاله مجاهد إذا هم يستبشرون أي يفرحون ويسرون. 45 عن زيد بن أسلم استكبرت كما قال تعالى إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون أي عن المتابعة والانقياد لها فقلوبهم لا تقبل الخير ومن لم يقبل قيل لا إله إلا الله وحده اشأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة قال مجاهد اشأزت انقبضت وقال السدي نفرت وقال قتادة كفرت واستكبرت وقال مالك

ثم قال تعالى ذاما للمشركين أيضا وإذا ذكر الله وحده أي إذا

الصديق أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعي من الليل اللهم فاطر السموات والأرض الخ. 46 الحسن بن عرفة عن إسماعيل بن عياش به وقال حسن غريب من هذا الوجه وقال الإمام أحمد حدثنا هاشم حدثنا سيار عن ليث عن مجاهد قال: قال أبو بكر والشهادة لا إله إلا أنت رب كل شيء ومليكه أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه أو أقترف على نفسي سوءا أو أجره إلى مسلم ورواه الترمذي عن قال: يا رسول الله علمني ما أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب صلى الله عليه وسلم فألقى بين يدي صحيفة فقال هذا ما كتب لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظرت فيها فإذا فيها أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه الوليد حدثنا ابن عياش عن محمد بن زياد الألهاني عن أبي راشد الحبراني قال: أتيت عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما فقلت له حدثنا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن يقول ذلك حين يريد أن ينأى تفرد به أحمد أيضا. وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا خلف بن والملائكة يشهدون أعوذ بك من الشيطان وشركه وأعوذ بك أن أقترف على نفسي إثما أو أجره إلى مسلم قال أبو عبد الرحمن رضي الله عنه كان رسول اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت رب كل شيء وإله كل شيء أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك حيي بن عبد الله أن أبا عبد الرحمن حدثه قال أخرج لنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قرطاسا وقال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا نقول أن عوننا أخبر بكذا وكذا فقال ما فينا جارية إلا وهي تقول هذا في خدرها انفرد به الإمام أحمد. وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثني تخلف الميعاد إلا قال الله عز وجل لملائكته يوم القيامة إن عهدي قد عهد إلى عهدا فأوفوه إياه فيدخله الله الجنة قال سهل فأخبرت القاسم بن عبد الرحمن محمدا عبدك ورسولك فإنك إن تكلني إلى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير وإني لا أثق إلا برحمتك فاجعل لي عندك عهدا توفيته يوم القيامة إنك لا عليه وسلم قال من قال اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة إني أعهد إليك في هذه الدنيا أني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن سهيل عن أبي صالح وعبد الله بن عثمان بن خثيم عن عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا فيه يختلفون اهتدي لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم. وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا الله عليه وسلم إذا قام من الليل افتتح صلاته اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما قال: سألت عائشة رضي الله عنها بأي شيء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت رضي الله عنها كان رسول الله صلى من قبورهم. قال مسلم في صحيحه حدثنا عبد بن حميد حدثنا عمر بن يونس حدثنا عكرمة بن عمار حدثنا يحيى بن أبي كثير حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن عالم الغيب والشهادة أي السر والعلانية أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون أي في دنياهم ستفصل بينهم يوم معادهم ونشورهم وقيامهم اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أي ادع أنت الله وحده لا شريك له الذي خلق السموات والأرض وفطرها أي جعلها على غير مثال سبق يقول تبارك وتعالى بعدما ذكر عن المشركين ما ذكر من المذمة لهم في جهم الشرك ونفرتهم عن التوحيد قل

قال في الآية الأخرى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون أي وظهر لهم من الله من العذاب والنكال بهم ما لم يكن في بالهم ولا في حسابهم. 47 ما في الأرض وضعفه معه لافتدوا به من سوء العذاب أي الذي أوجبه الله تعالى لهم يوم القيامة ومع هذا لا يقبل منهم الفداء ولو كان ملء الأرض ذهباً كما وقوله عز وجل ولو أن للذين ظلموا وهم المشركون ما في الأرض جميعا ومثله معه أي ولو أن جميع

في الدار الدنيا من المحارم والمآثم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون أي وأحاط بهم من العذاب والنكال ما كانوا يستهزئون به في الدار الدنيا. 48 وبدا لهم سيئات ما كسبوا أي وظهر لهم جزاء ما اكتسبوا

لنختبره فيما أنعمنا عليه أي طبع أم يعصي مع علمنا المتقدم بذلك فهي فتنة. أي اختبار ولكن أكثرهم لا يعلمون فلماذا يقولون ما يقولون ويدعون. 49 الله خصيص لما خولني هذا قال قتادة على علم عندي على خبر عندي قال الله عز وجل بل هي فتنة أي ليس الأمر كما زعم بل إنما أنعمنا عليه بهذه النعمة إلى الله عز وجل وينيب إليه ويدعوه وإذا خوله نعمة منه بغى وطفى وقال إنما أوتيته على علم أي لما يعلم الله تعالى من استحقاقه له ولولا أني عند يقول تبارك وتعالى مخبرا عن الإنسان أنه في حال الضراء يتضرع

أي إلى مدة معلومة عند الله تعالى ثم ينقضي يوم القيامة ألا هو العزيز الغفار أي مع عزته وعظمته وكبريائه هو غفار لمن عصاه ثم تاب وأناب إليه. 50 حيثما هذا معنى ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة والسدي وغيرهم. وقوله عز وجل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى على النهار ويكور النهار على الليل أي سخرهما يجريان متعاقبين لا يفتران كل منهما يطلب الآخر طلبا حيثما كقوله تبارك وتعالى يغشى الليل النهار يطلبه يخبر تعالى أنه الخالق لما في السموات والأرض وما بين ذلك من الأشياء وبأنه مالك الملك المتصرف فيه يقلب ليله ونهاره يكور الليل

هذا الزعم وادعى هذه الدعوى كثير ممن سلف من الأمم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون أي فما صح قولهم ولا نفعهم جمعهم وما كانوا يكسبون. 50 أي قد قال هذه المقالة وزعم

قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون وقال تعالى وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين. 51 من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين قال إنما أوتيته على علم عندي أو لم يعلم أن الله قد أهلك من

## تفسير ابن كثير

هم بمعجزين كما قال تبارك وتعالى مخبرا عن قارون أنه قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك فأصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء أي من المخاطبين سيصيبهم سيئات ما كسبوا أي كما أصاب أولئك وما أو لم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أي يوسع على قوم ويضيقه على آخرين إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون أي لعبرا وحججا. 52 وقوله تبارك وتعالى

قلبي أنها إنما أنزلت فينا وفيما كنا نقول في أنفسنا ويقال فينا فرجعت إلى بعيري فجلست عليه فلحقت برسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة. 53 العاص رضي الله عنه قال: فقال هشام لما أتتني جعلت أقرأها بذني طوى أصد بها فيه وأصوت ولا أفهمها حتى قلت اللهم أفهمنيها قال فألقى الله عز وجل في أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون قال عمر رضي الله عنه فكتبتها بيدي في صحيفة وبعثت بها إلى هشام بن أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم وأنبيوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتباعوا يقولون ذلك لأنفسهم قال فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أنزل الله تعالى فيهم وفي قولنا وقولهم لأنفسهم يا عبادي الذين أسرفوا على عن عمر رضي الله عنهما في حديثه قال وكنا نقول ما الله بقابل ممن افتتن صرفا ولا عدلا ولا توبة عرفوا الله ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم قال وكانوا الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم. وقال محمد بن إسحاق قال نافع عن عبد الله بن عمر زدي قال الحسنه عشر أو أزيد والسيئة واحدة أو أمحوها قال يا رب زدي قال باب التوبة مفتوح ما كان الروح في الجسد قال يا رب زدي قال يا عبادي فقال آدم عليه الصلاة والسلام يا رب قد سلطته علي وإني لا أمتنع إلا بك قال تبارك وتعالى لا يولد لك ولد إلا وكلت به من يحفظه من قرناء السوء قال يا رب مساكن لكم وتجرون منهم مجرى الدم قال يا رب زدي قال أجب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا من الجنة من أجل آدم وإني لا أستطيعه إلا بسلطانك قال فأنت مسلط قال يا رب زدي قال لا يولد له ولد إلا ولد لك مثله قال يا رب زدي قال أجعل صدورهم أبي حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد حدثنا ثابت وحמיד عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال إن إبليس لعنه الله تعالى قال يا رب إنك أخرجتني الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يحب العبد المفتن التواب ولم يخرجوه من هذا الوجه. وقال ابن أبي حاتم حدثنا بن عبد الله الرازي عن أبي عمرو البجلي عن عبد الملك بن سفيان الثقفي عن أبي جعفر محمد بن علي عن محمد بن الحنفية عن أبيه علي بن أبي طالب رضي يذنبون فيغفر لهم تفرد به أحمد. وقال عبد الله بن الإمام أحمد حدثني عبد الأعلى بن حماد القرشي حدثنا داود بن عبد الرحمن حدثنا أبو عبد الله مسلمة الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفارة الذنب الندامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو لم تذبوا لجاء الله تعالى يقوم به. وقال الإمام أحمد حدثنا أحمد بن عبد الملك الحراني حدثنا يحيى بن عمرو بن مالك البكري قال سمعت أبي يحدث عن أبي الجوزاء عن ابن عباس رضي عن الليث بن سعد به. ورواه مسلم من وجه آخر به عن محمد بن كعب القرظي عن أبي صرمة وهو الأنصاري صحابي عن أبي أيوب رضي الله تعالى عنهما وسلم يقول لولا أنكم تذبون لخلق الله عز وجل قوما يذنبون فيغفر لهم هكذا رواه الإمام أحمد وأخرجه مسلم في صحيحه والترمذي جميعا عن قتيبة عبد العزيز عن أبي صرمة عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أنه قال حين حضرته الوفاة قد كنت كتمت منكم شيئا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم يخطئون ثم يستغفرون الله فيغفر لهم تفرد به أحمد. وقال الإمام أحمد حدثنا إسحاق بن عيسى حدثني الليث حدثني محمد بن قيس قاص عمر بن حتى تملأ خطاياكم ما بين السماء والأرض ثم استغفرتكم الله تعالى لغفر لكم والذي نفس محمد صلى الله عليه وسلم بيده لو لم تخطئوا لجاء الله عز وجل حدثني حسن السدوسي قال دخلت على أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والذي نفسي بيده لو أخطأتم رواه ابن أبي حاتم رحمه الله. ذكر أحاديث فيها نفي القنوط. قال الإمام أحمد حدثنا شريح بن النعمان حدثنا أبو عبيدة عبد المؤمن بن عبيد الله السدي الله عنه على قاص وهو يذكر الناس فقال يا مذكر لم تقنط الناس من رحمة الله؟ ثم قرأ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فقال له مسروق صدقت. وقال الأعمش عن أبي سعيد عن أبي الكنود قال مر عبد الله يعني ابن مسعود رضي في القرآن فرحا في سورة الغرف قل يا عبادي الذي أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وإن أشد آية في كتاب الله تفويضا ومن يتق الله يجعل مسعود يقول إن أعظم آية في كتاب الله لا إله إلا هو الحي القيوم وإن أجمع آية في القرآن بخير وشر إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإن أكثر آية هذا فقد جحد كتاب الله عز وجل. ولكن لا يقدر العبد أن يتوب حتى يتوب الله عليه وروي الطبراني من طريق الشعبي عن سنيذ بن شكل أنه قال سمعت ابن هو أعظم قولاً من هؤلاء من قال أنا ربكم الأعلى وقال ما علمت لكم من إله غيري قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من آيس عباد الله من التوبة بعد ومن زعم أن يد الله مغلولة ومن زعم أن الله ثالث ثلاثه يقول الله تعالى لهؤلاء أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ثم دعا إلى التوبة من إلى آخر الآية قال قد دعا الله تعالى إلى مغفرته من زعم أن المسيح هو الله ومن زعم أن المسيح هو ابن الله ومن زعم أن عزيزا ابن الله ومن زعم أن الله فقير بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا بصدرة عند الموت وأن الله تبارك وتعالى أمر البلدة الخيرة أن تقترب وأمر تلك البلدة أن تتباعد هذا معنى الحديث وقد كتبه في موضع آخر بلفظه قال علي الله عز وجل أن يقيسوا ما بين الأرضين فإلى أيهما كان أقرب فهو منها فوجده أقرب إلى الأرض التي هاجر إليها بشبر فقبضته ملائكة الرحمة وذكر أنه نأى يحول بينك وبين التوبة؟ ثم أمره بالذهاب إلى قرية يعبد الله فيها فقصدها فأتاه الموت في أثناء الطريق فاختمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأمر وتسعين نفسا ثم ندّم وسأل عابدا من عباد بني إسرائيل هل له من توبة؟ فقال لا فقتله وأكمل به مائة ثم سأل عالما من علمائهم هل له من توبة فقال ومن

## تفسير ابن كثير

إلى التوبة والمغفرة والآيات في هذا كثيرة جدا. وفي الصحيحين عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث الذي قتل تسعة وتعالى إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا قال الحسن البصري رحمة الله عليه انظروا إلى هذا الكرم والجود قتلوا أوليائه وهو يدعوهم واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ثم قال جلت عظمته أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم وقال تبارك المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا إلا الذين تابوا واصلحوا وقال جل جلاله لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله هو يقبل التوبة عن عباده وقال عز وجل ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيمًا وقال جل وعلا في حق المنافقين إن المراد أنه يغفر جميع ذلك مع التوبة ولا يقنطن عبد من رحمة الله وإن عظمت ذنوبه وكثرت فإن باب الرحمة والتوبة واسع قال الله تعالى ألم يعلموا أن الله من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالى إنه هو الغفور الرحيم ورواه أبو داود والترمذي من حديث ثابت فهداهم إلى الأحاديث كلها دالة على أن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ أنه عمل غير صالح وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا تفرد به أحمد. وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت لي؟ فقال صلى الله عليه وسلم ألمست تشهد أن لا إله إلا الله؟ قال: بلى وأشهد أنك رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم قد غفر لك غدرتك وفجراتك بن عنبسة رضي الله عنه قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم شيخ كبير يدعم على عصا له فقال: يا رسول الله إن لي غدرات وفجرات فهل يغفر ثلاث مرات تفرد به الإمام أحمد. وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا شريح بن النعمان حدثنا نوح بن قيس عن أشعث بن جابر الحداني عن مكحول عن عمرو قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم إلى آخر الآية فقال رجل يا رسول الله فمن أشرك؟ فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال ألا ومن أشرك يقول سمعت ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية الأولى قوله تعالى إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا الآية. وقال الإمام أحمد حدثنا حسن ثنا ابن لهيعة حدثنا أبو قبيل قال: سمعت أبا عبد الرحمن المزني وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي من حديث ابن جريج عن يعلى بن مسلم المكي عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما به. والمراد من الآية لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ونزل قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله كانوا قد قتلوا فأكثرُوا وزنوا فأكثرُوا فأتوا محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفار فنزل والذين إبراهيم بن موسى أخبرنا هشام بن يوسف أن ابن جريج أخبرهم قال يعلى إن سعيد بن جبيرة أخبره عن ابن عباس رضي الله عنهما أن ناسا من أهل الشرك ورجع عنها وإن كانت مهما كانت وإن كثرت وكانت مثل زيد البحر ولا يصح حمل هذه على غير توبة لأن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه. قال البخاري حدثنا هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة وإخبار بأن الله تبارك وتعالى يغفر الذنوب جميعا لمن تاب منها وأسلموا له إلخ: أي ارجعوا إلى الله واستسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون أي بادروا بالتوبة والعمل الصالح قبل حلول النقمة. 54 ثم استحث تبارك وتعالى عباده إلى المسارعة إلى التوبة فقال وأنبيوا إلى ربكم

واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم وهو القرآن العظيم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون أي من حيث لا تعلمون ولا تشعرون. 55 المخلصين المطيعين لله عز وجل وقوله تبارك وتعالى وإن كنت لمن الساخرين أي إنما كان عملي في الدنيا عمل ساخر مستهزئ غير موقن مصدق. 56 قال عز وجل أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله أي يوم القيامة يتحسر المجرم المفرط في التوبة والإنابة ويود لو كان من المحسنين ثم

له الشكر ورواه النسائي من حديث أبي بكر بن عياش به ولما تمنى أهل الجرائم العود إلى الدنيا وتحسروا على تصديق آيات الله واتباع رسله. 57 كل أهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول لو أن الله هداني فتكون عليه حسرة قال وكل أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول لولا أن الله هداني قال فيكون وقد قال الإمام أحمد حدثنا أسود حدثنا أبو بكر عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين فأخبر الله عز وجل أن لو ردوا لما قدروا على الهدى فقال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون ولا ينبئك مثل خبير أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين أو تقول قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أخبر الله سبحانه وتعالى ما العباد قائلون قبل أن يقولوه وعملهم قبل أن يعملوه وقال تعالى أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين أي تود لو أعيدت إلى الدنيا لتحسن العمل.

الجرائم العود إلى الدنيا وتحسروا على تصديق آيات الله واتباع رسله قال تعالى بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين. 58 حسرة قال وكل أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول لولا أن الله هداني قال فيكون له الشكر ورواه النسائي من حديث أبي بكر بن عياش به ولما تمنى أهل صالح عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل أهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول لو أن الله هداني فتكون عليه وجل أن لو ردوا لما قدروا على الهدى فقال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون وقد قال الإمام أحمد حدثنا أسود حدثنا أبو بكر عن الأعمش عن أبي جنب الله وإن كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين فأخبر الله عز الله سبحانه وتعالى ما العباد قائلون قبل أن يقولوه وعملهم قبل أن يعملوه وقال تعالى ولا ينبئك مثل خبير أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في

## تفسير ابن كثير

ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين أي تود لو أعيدت إلى الدنيا لتحسن العمل. قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أخير أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين أو تقول حين

أيها العبد النادم على ما كان منه آيات في الدار الدنيا وقامت حججي عليك فكذبت بها واستكبرت عن اتباعها وكنت من الكافرين بها الجاحدين لها. 59 أي قد جاءتك

في جميع ذلك لا إله إلا هو أي الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له فأنى تصرفون أي فكيف تعبدون معه غيره؟ أين يذهب بعقولكم؟ 60 والسدي وابن زيد. وقوله جل جلاله ذلكم الله ربكم أي هذا الذي خلق السموات والأرض وما بينهما وخلقكم وخلق آباءكم هو الرب له الملك والتصرف الرحم وظلمة المشيمة التي هي كالغشاوة والوقاية على الولد وظلمة البطن كذا قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة وأبو مالك والضحاك وقتادة فيكون لحما وعظما وعصبا وعروقا وينفخ فيه الروح فيصير خلق آخر فتبارك الله أحسن الخالقين. وقوله جل وعلا في ظلمات ثلاث يعني في ظلمة عز وجل يخلقكم في بطون أمهاتكم أي قدركم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق يكون أحكم أولا نطفة ثم يكون علقة ثم يكون مضغة ثم يخلق لكم من ظهور الأنعام ثمانية أزواج وهي المذكورة في سورة الأنعام ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين وقوله الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء وقوله تعالى وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج أي وخلق أجناسكم وأصنافكم وألوانكم من نفس واحدة وهو آدم عليه الصلاة والسلام ثم جعل منها زوجها وهي حواء عليها السلام كقوله تعالى يا أيها وقوله جلّت عظمته خلقكم من نفس واحدة أي خلقكم مع اختلاف

الناس يعلوهم كل شيء من الصغار حتى يدخلوا سجنا من النار في واد يقال له بولس من نار الأنهار ويسقون من عصارة أهل النار ومن طينة الخبال. 60 الخياط عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن المتكبرين يحشرون يوم القيامة أشباه الذر في صور والهوان بسبب تكبرهم وتجبرهم وإبائهم عن الانقياد للحق. قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبيد الله ابن أخي ابن وهب حدثنا عمي حدثنا عيسى بن أبي عيسى وولدا وجوههم مسودة أي بكذبهم وافتراءهم وقوله تعالى أليس في جهنم مثوى للمتكبرين أي أليست جهنم كافية لهم سجنا وموئلا لهم فيها الخزي تسود وجوه أهل الفرقة والاختلاف وتبيض وجوه أهل السنة والجماعة قال تعالى ههنا ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله أي في دعواهم له شريكا يخبر تعالى عن يوم القيامة أنه تسود فيه وجوه وتبيض فيه وجوه

لا يمسهم سوء أي يوم القيامة ولا هم يحزنون أي ولا يحزنهم الفزع الأكبر بل هم آمنون من كل فزع مزحزون عن كل شر نائلون كل خير. 61 وقوله تبارك وتعالى وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم أي بما سبق لهم من السعادة والفوز عند الله

يخبر تعالى أنه خالق الأشياء كلها وربها ومليكها والمتصرف فيها وكل تحت تدبير وقهره وكلاءته. 62

فإن مات من يومه طبع عليه بطابع الشهداء ورواه أبو يعلى الموصلي من حديث يحيى بن حماد به مثله وهو غريب وفيه نكارة شديدة والله أعلم. 63 ملكا وأما السادسة فيعطي من الأجر كمن قرأ القرآن والتوراة والإنجيل والزيور وله مع هذا يا عثمان من الأجر كمن حج وتقبلت حجته واعتمر فتقبلت عمرته وجنوده وأما الثانية فيعطي قنطارا من الأجر وأما الثالثة فترفع له درجة في الجنة وأما الرابعة فيتزوج من الحور العين وأما الخامسة فيحضره اثنا عشر والظاهر والباطن ببده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير من قالها يا عثمان إذا أصبح عشر مرار أعطي خلاصا ستا: أما أولا هن فيحرس من إبليس سألتني عنها أحد قبلك يا عثمان قال صلى الله عليه وسلم تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده استغفر الله ولا قوة إلا بالله الأول والآخر عبدالله بن عمر عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى له مقاليد السموات والأرض فقال ما كما ذكره فإنه قال حدثنا يزيد بن سنان البصري بمصر حدثنا يحيى بن حماد حدثنا الأغلب بن تميم عن مخلص بن هذيل العبدي عن عبدالرحمن المدني عن والذين كفروا بآيات الله أي حججه وبراهينه أولئك هم الخاسرون وقد روى ابن أبي حاتم ههنا حديثا غريبا جدا وفي صحته نظر ولكن نحن نذكره أي خزائن السموات والأرض والمعنى على كلا القولين أن أئمة الأمور ببده تبارك وتعالى له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ولهذا قال جل وعلا السموات والأرض قال مجاهد: المقاليد هي المفاتيح بالفارسية وكذا قال قتادة وابن زيد وسفيان ابن عينة وقال السدي له مقاليد السموات والأرض وقوله عز وجل له مقاليد

رضي الله عنهما أن المشركين من جهلهم دعوا رسول الله إلى عبادة آلهتهم ويعبدوا معه إلهه فنزلت قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون. 64 ذكروا في سبب نزولها ما رواه ابن أبي حاتم وغيره عن ابن عباس

وهذه كقوله تعالى ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون. 65

أي أخلص العبادة لله وحده لا شريك له أنت ومن اتبعك وصدقك. 66

شر فيستيقنوها ولكن عمدا غيب ذلك عنهم لأعلم كيف يعملون وقد بينته لهم وهذا إسناد متقارب وهي نسخة تروى بها أحاديث جمة والله أعلم. 67 الأرضين ثم قلت أنا الملك من ذا الذي له الملك دوني فأريهم الجنة وما أعددت لهم فيها من كل خير فيستيقنوها وأريهم النار وما أعددت لهم فيها من كل عبادي لو رآهن رجل ما عمل بسوء أبدا: لو كشفت غطائي فرآني حتى استيقن ويعلم كيف أفعل بخلقهم إذا أتيتهم وقبضت السموات بيدي ثم قبضت



## تفسير ابن كثير

بن عياش حدثني أبي حدثني ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله إن الله تعالى يقول ثلاث خلال غيبتهن إني سأقرؤها عليكم فمن لم يبك فليتبك هذا حديث غريب جدا وأغرب منه ما رواه في المعجم الكبير أيضا حدثنا هاشم بن زيد حدثنا محمد بن إسماعيل فدروا الله حق قدره إلى آخر السورة فمننا من بكى ومننا من لم يبك فقال الذين لم يبكوا يا رسول الله لقد جهدنا أن نبكي فلم نبك فقال صلى الله عليه وسلم لنفر من أصحابه رضي الله عنهم إني قارئ عليكم آيات من آخر سورة الزمر فمن بكى منكم وجبت له الجنة فقرأها صلى الله عليه وسلم من عند وما بن سالم القداح عن معمر بن الحسن عن بكر بن خنيس عن أبي شيبه عن عبد الملك بن عمير عن جرير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهما وقال صحيح وقال الطبراني في المعجم الكبير حدثنا عبد الرحمن بن معاوية العتبي حدثنا حسان بن نافع عن صخر بن جويرية حدثنا سعيد عما يشركون فقال المنبر هكذا فجاء وذهب ثلاث مرات والله أعلم ورواه الإمام الحافظ أبو القاسم الطبراني من حديث عبيد بن عمير عن عبد الله بن عمرو بن عمر رضي الله عنهما قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية على المنبر وما قدروا الله حق قدره حتى بلغ سبحانه وتعالى برسول الله؟ صلى الله عليه وسلم. وقال البزار حدثنا سليمان بن سيف حدثنا أبو علي الحنفي حدثنا عباد المنقري حدثني محمد بن المنكر قال حدثنا عبد الله وتعالى سمواته وأرضيه بيده ويقول أنا الملك ويقبض أصابعه ويبسطها أنا الملك حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه حتى أني لأقول أساقط هو ولفظ مسلم عن عبيد الله بن مقسم في هذا الحديث أنه نظر إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كيف يحكي النبي صلى الله عليه وسلم قال يأخذ الله تبارك ما به من حديث عبد العزيز بن أبي حازم زاد مسلم ويعقوب بن عبد الرحمن كلاهما عن أبي حازم عن عبيد الله بن مقسم عن ابن عمر رضي الله عنهما به نحوه نفسه أنا الجبار أنا المتكبر أنا الملك أنا العزيز أنا الكريم فرجف برسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر حتى قلنا ليخرن به وقد رواه مسلم والنسائي وابن يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هكذا بيده يحركها يقبل بها ويدبر يمجّد الرب عن ابن عمر رضي الله عنهما قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته من طريق أخرى بلفظ آخر أبسط من هذا السياق وأطول فقال حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن عبيد الله بن مقسم يوم القيامة الأرضين على أصبع وتكون السموات بيمينه ثم يقول أنا الملك تفرد به أيضا من هذا الوجه ورواه مسلم من وجه آخر وقد رواه الإمام أحمد محمد حدثنا عمي القاسم بن يحيى عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله تبارك وتعالى يقبض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض تفرد به من هذا الوجه ورواه مسلم من وجه آخر. وقال البخاري في موضع آخر حدثنا مقدم بن مسافر عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقبض الله تعالى الأرض مسلم بن صبيح به وقال الحسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. ثم قال البخاري حدثنا سعيد بن عفير حدثنا الليث حدثنا عبد الرحمن بن خالد بن في التفسير عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي عن محمد بن الصلت عن أبي جعفر عن أبي كدينة يحيى بن المهلب عن عطاء بن السائب عن أبي الضحى على ذه والجبال على ذه وسائر الخلق على ذه كل ذلك يشير بأصابعه قال فأنزل الله عز وجل وما قدروا الله حق قدره الآية وكذا رواه الترمذي يهودي برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فقال: كيف تقول يا أبا القاسم يوم يجعل الله سبحانه وتعالى السماء على ذه وأشار بالسبابة والأرض من طرق عن الأعمش به وقال الإمام أحمد حدثنا حسين بن حسن الأشقر حدثنا أبو كدينة عن عطاء عن أبي الضحى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه قال وأنزل الله عز وجل وما قدروا الله حق قدره إلى آخر الآية وهكذا رواه البخاري ومسلم والنسائي أبا القاسم أبلغك أن الله تعالى يحمل الخلائق على أصبع والسموات على أصبع والأرضين على أصبع والشجر على أصبع والماء والثرى على أصبع؟ قال فضحك أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله رضي الله عنه قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب فقال يا والنسائي في التفسير من سننهما كلهم من حديث سليمان بن مهران الأعمش عن إبراهيم عن عبيدة عن ابن مسعود رضي الله عنه بنحوه وقال الإمام وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة الآية ورواه البخاري أيضا في غير هذا الموضع من صحيحه والإمام أحمد ومسلم والترمذي الخلق على أصبع فيقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصدقا لقول الخبر ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الله عليه وسلم فقال يا محمد إنا نجد أن الله عز وجل يجعل السموات على أصبع والأرضين على أصبع والشجر على أصبع والماء والثرى على أصبع وسائر الله حق قدره حدثنا آدم حدثنا سفيان عن منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء خبر من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم متعلقة بهذه الآية الكريمة والطريق فيها وفي أمثالها مذهب السلف وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف. قال البخاري قوله تعالى وما قدروا لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم فمن آمن أن الله على كل شيء قدير فقد قدر الله حق قدره ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره وقد وردت أحاديث كثيرة تعظيمه وقال محمد بن كعب لو قدره حق قدره ما كذبوا. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما وما قدروا الله حق قدره هم الكفار الذين وهو العظيم الذي لا أعظم منه القادر على كل شيء المالك لكل شيء تحت قهره وقدرته قال مجاهد نزلت في قريش وقال السدي ما عظموه حق يقول تبارك وتعالى وما قدروا الله حق قدره أي ما قدر المشركون الله حق قدره حين عبدوا معه غيره

إلهي وإذا ضحك إلى عبد في موطن فلا حساب عليه رجاله كلهم ثقات إلا شيخ إسماعيل بن عياش فإنه غير معروف والله سبحانه وتعالى أعلم. 68  
نمارها ألين من الحرير مد خطاها مد أبصار الرجال يسرون في الجنة يقولون عند طول النزهة انطلقوا بنا إلى ربنا لننظر كيف يقضي بين خلقه يضحك إليهم شاء الله من الذين لم يشأ الله تعالى أن يصعقهم؟ قال هم الشهداء يتقلدون أسيافهم حول عرشه تتلقاهم ملائكة يوم القيامة إلى المحشر بنجائب من ياقوت

## تفسير ابن كثير

عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سألت جبريل عليه الصلاة والسلام عن هذه الآية ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من الخلق وقال أبو يعلى حدثنا يحيى بن معين حدثنا أبو اليمان حدثنا إسماعيل بن عياش عن عمر بن محمد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أربعون يوما؟ قال رضي الله تعالى عنه أبيت قالوا أربعون شهرا؟ قال أبيت ويبلى كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه فيه يركب قال سمعت أبا صالح قال سمعت أبا هريرة رضي الله تعالى عنه يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما بين النفختين أربعون قالوا يا أبا هريرة عن ساق انفرد بإخراجه مسلم في صحيحه. حديث أبي هريرة رضي الله عنه وقال البخاري حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي حدثنا الأعمش إنهم مسئولون قال ثم يقال أخرجوا بعث النار قال فيقال كم؟ فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فيؤمنون تبعث الولدان شيئا ويؤمنون يكشف مطرا كأنه الظل أو الطل شك نعمان فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ثم يقال أيها الناس هلموا إلى ربكم وقفوههم الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى لبتا ورفع لبتا وأول من يسمعه رجل يلو ط حوضه فيصعق ثم لا يبقى أحد إلا صعق ثم يرسل الله تعالى أو ينزل الله عز وجل ولا ينكرون منكرا قال فيتمثل لهم الشيطان فقول ألا تستجيبن فيأمرهم بعبادة الأوثان فيعبدونها وهم في ذلك دارة أرزاقهم حسن عيشهم ثم ينفخ في كان في كبد جبل لدخلت عليه قال سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفا سنين سبعا ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله تعالى ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته حتى أن لو كان أحدهم عاما أو أربعين ليلة فيبعث الله تعالى عيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام كأنه عروة بن مسعود الثقفي فيظهر فيهلكه الله تعالى ثم يلبث الناس بعده بن عمرو رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الدجال في أمتي فيمكث فيهم أربعين لا أدري أربعين يوما أو أربعين شهرا أو أربعين لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنك تقول الساعة تقوم إلى كذا وكذا قال لقد هممت أن لا أحدثكم شيئا إنما قلت سترون بعد قليل أمرا عظيما ثم قال عبد الله تخرجون قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن النعمان بن سالم قال سمعت يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود قال سمعت رجلا قال يدعوكم فتستجيبن بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا وقال جل وعلا ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم أحياء بعدما كانوا عظاما ورفاتا صاروا أحياء ينظرون إلى أهوال يوم القيامة كما قال تعالى فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة. وقال عز وجل يوم أول من يحيي إسرافيل ويأمره أن ينفخ في الصور أخرى وهي النفخة الثالثة نفخة البعث قال الله عز وجل ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون أي الملك اليوم ثلاث مرات ثم يجيب نفسه بنفسه فيقول لله الواحد القهار أنا الذي كنت وحدي وقد قهرت كل شيء وحكمت بالفناء على كل شيء ثم يحيي المشهور ثم يقبض أرواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت وينفرد الحي القيوم الذي كان أولا وهو الباقي آخر بالديمومة والبقاء ويقول لمن هذه النفخة هي الثانية وهي نفخة الصعق وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السموات والأرض إلا من شاء الله كما جاء مصرحا به مفسرا في حديث الصور هول يوم القيامة وما يكون فيه من الآيات العظيمة والزلازل الهائلة فقلوه تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله يقول تبارك وتعالى مخبرا عن

مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين وقال جل وعلا إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما. 69 العباد من خير وشر وقضى بينهم بالحق أي بالعدل وهم لا يظلمون قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان بالنبيين قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يشهدون على الأمم بأنهم بلغوهم رسالات الله إليهم والشهداء أي الشهداء من الملائكة الحفظة على أعمال وأشرقت الأرض بنور ربها أي أضاءت يوم القيامة إذا تجلى الحق جل وعلا للخلائق لفصل القضاء ووضع الكتاب قال قتادة كتاب الأعمال وجيء وقوله تبارك وتعالى

تحمّل نفس عن نفس شيئا بل كل مطالب بأمر نفسه ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون إنه عليم بذات الصدور أي فلا تخفى عليه خافية. 7 وقوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر أي لا يحببه ولا يأمر به وإن تشكروا يرضه لكم أي يحبه لكم ويزدكم من فضله ولا تزر وازرة وزر أخرى أي لا جميعا فإن الله لغني حميد وفي صحيح مسلم يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا. يقول تبارك وتعالى مخبرا عن نفسه تبارك وتعالى أنه الغني عما سواه من المخلوقات كما قال موسى عليه الصلاة والسلام إن تكفروا أنتم ومن في الأرض أي من خير أو شر وهو أعلم بما يفعلون. 70

نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير أي رجعوا على أنفسهم بالملامة والندامة فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير أي بعدا لهم وخسارا. 71 الأخرى كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير وقالوا لو كنا على الكافرين أي ولكن كذبناهم وخالفناهم لما سبق لنا من الشقوة التي كنا نستحقها حيث عدلنا عن الحق إلى الباطل كما قال عز وجل مخبرا عنهم في الآية يومكم هذا أي ويحذرونكم من شر هذا اليوم؟ فيقول الكفار لهم بلى أي قد جاءونا وأنذروا وأقاموا علينا الحجج والبراهين ولكن حقت كلمة العذاب من جنسكم تتمكنون من مخاطبتهم والأخذ عنهم يتلون عليكم آيات ربكم أي يقيمون عليكم الحجج والبراهين على صحة ما دعوكم إليه وينذرونكم لقاء لتعجل لهم العقوبة ثم يقول لهم خزنتها من الزبانية الذين هم غلاظ الأخلاق شداد القوى على وجه التقريع والتوبيخ والتنكيل ألم يأتكم رسل منكم أي وبكما وصما وأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا وقوله تبارك وتعالى حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها أي بمجرد وصولهم إليها فتحت لهم أبوابها سريعا الرحمن وفدا ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا وهم في تلك الحال صم وبكم وعمي منهم من يمشي على وجهه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا

## تفسير ابن كثير

كما قال عز وجل يوم يدعون إلى نار جهنم دعا أي يدفعون إليها دفعا وهذا وهم عطاش ظماء كما قال جل وعلا في الآية الأخرى يوم نحشر المتقين إلى يخبر تعالى عن حال الأشقياء الكفار كيف يساقون إلى النار وإنما يساقون سوفا عنيفا بجزر وتهديد ووعيد

أي فبنس المصير وبنس المقييل لكم بسبب تكبركم في الدنيا وإبائكم عن اتباع الحق فهو الذي صيركم إلى ما أنتم فيه فبنس الحال وبنس المآل. 72  
الخبير عليهم به ولهذا قال جل وعلا قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها أي ماكثين فيها لا خروج لكم منها ولا زوال لكم عنها فبنس متوى المتكبرين عليهم بأنهم مستحقون للعذاب ولهذا لم يسند هذا القول إلى قائل معين بل أطلقه ليدل على أن الكون شاهد عليهم بأنهم يستحقون ما هم فيه بما حكم العدل وقوله تبارك وتعالى ههنا قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها أي كل من رآهم وعلم حالهم يشهد

في بعض الغزوات إن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة وفي رواية مؤمنة وقوله فادخلوها خالدين أي ماكثين فيها أبدا لا ييغون عنها حولا. 73  
لهم خزنتها سلام عليكم طبت أي طابت أعمالكم وأقوالكم وطاب سعيكم وطاب جزاؤكم كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينادي بين المسلمين عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن ما بين مصراعي في الجنة مسيرة أربعين سنة وقوله تبارك وتعالى وقال عن أبيه رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله وقال عبد بن حميد حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم فقال فيها ولقد ذكر لنا أن ما بين مصراعي الجنة مسيرة أربعين سنة وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام وفي المسند عن حكيم بن معاوية الجنة ما بين عضادتي الباب لكما بين مكة وهجر أو مكة ومكة وفي رواية مكة وبصرى. وفي صحيح مسلم عن عتبة بن غزوان أنه خطبهم خطبة يا محمد أدخل من لا حساب عليه من أمتك من الباب الأيمن وهم شركاء الناس في الأبواب الآخر والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعي من مصاريع الله من فضله العظيم أن يجعلنا من أهلها. في الصحيحين من حديث أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه في حديث الشفاعة الطويل فيقول الله تعالى عن شهر بن حوشب عن معاذ رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الجنة لا إله إلا الله ذكر سعة أبواب الجنة فسأل ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء. وقال الحسن بن عرفة حدثنا إسماعيل بن عياش عن عبد الله بن عبد الرحمن عن أبي حسين رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن في الجنة ثمانية أبواب باب منها يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون. وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب نعم وأرجو أن تكون منهم رواه البخاري ومسلم من حديث الزهري بنحوه وفيهما من حديث أبي حازم سلمة بن دينار عن سهل بن سعد رضي الله عنه فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه يا رسول الله ما على أحد من ضرورة دعي من أيها دعي فهل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وسلم من باب الصلاة ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنفق زوجين من ماله في سبيل الله تعالى دعي من أبواب الجنة وللجنة أبواب فمن كان من أهل الصلاة دعي أبواب الجنة ثمانية من الأحاديث الصحيحة. قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الواو في قوله تبارك وتعالى وفتحت أبوابها واو الثمانية واستدل به على أن أبواب الجنة ثمانية فقد أبعد النجعة وأغرق في النزع وإنما يستفاد كون إذا كان هذا سعدوا وطابوا وسروا وفرحوا بقدر كل ما يكون لهم فيه نعيم وإذا حذف الجواب ههنا ذهب الذهن كل مذهب في الرجاء والأمل ومن زعم وكانت هذه الأمور من فتح الأبواب لهم إكراما وتعظيما وتلقاهم الملائكة الخزنة بالبشارة والسلام والثناء كما تلقى الزبانية الكفرة بالشرية والتأنيب فتقديره كثيرة وقوله تعالى حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبت فادخلوها خالدين لم يذكر الجواب ههنا وتقديره حتى إذا جاءوها يحيى عن أبي أمامة ورواه الطبراني عن عيينة بن عبد السلامي ثم مع كل ألف سبعين ألفا ويروى مثله عن ثوبان وأبي سعيد الأنماري وله شواهد من وجوه ولا عذاب وثلاث حثيات من حثيات ربي عز وجل وكذا رواه الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو عن حكيم بن عامر عن أبي اليمان عامر بن عبد الله بن عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعدني ربي عز وجل أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا مع كل ألف سبعون ألفا لا حساب عليهم الجنة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر. وقال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا إسماعيل بن عياش عن محمد بن زياد قال سمعت أبا أمامة الباهلي رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفا أو سبعمائة ألف أخذ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم وجابر بن عبد الله وعمران بن حصين وابن مسعود ورفاعة بن عرابة الجهني وأم قيس بنت محصن رضي الله عنهم ولهما عن أبي حازم عن سهل بن سعد رضي سبقت بها عكاشة أخرجاه وقد روى هذا الحديث في السبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ادع الله أن يجعلني منهم فقال اللهم اجعله منهم ثم قام رجل من الأنصار فقال يا رسول الله ادع الله تعالى أن يجعلني منهم فقال صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم قال يدخل الجنة من أمتي زمرة هم سبعون ألفا تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر فقام عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا في السماء. وأخرجاه أيضا من حديث جرير. وقال الزهري عن سعيد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله إضاءة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يمتخطون أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة وأزواجهم الحور العين أخلاقهم على خلق رجل الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين يلونهم على ضوء أشد كوكب دري في السماء تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو خيثمة حدثنا جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي مقاتل عن ابن المبارك ورواه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق كلاهما عن معمر بإسناده نحوه وكذا رواه أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله

## تفسير ابن كثير

يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله تعالى بكرة وعشيا ورواه البخاري عن محمد بن البدر لا يبصقون فيها ولا يمتخطون فيها ولا يتغوطون فيها أنبيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة ومجامرهم الألوة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان حدثنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة بن حرب كلاهما عن أبي النضر هاشم بن القاسم عن سليمان وهو ابن المغيرة القيسي عن ثابت عن أنس رضي الله عنه به. وقال الإمام أحمد حدثنا عبدالرزاق يوم القيامة فاستفتح فيقول الخازن من أنت؟ فأقول محمد قال فيقول بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك ورواه مسلم عن عمرو بن محمد الناقد وزهير الجنة. وقال الإمام أحمد حدثنا هاشم حدثنا سليمان عن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آتي باب الجنة ثبت في صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول شفيع في الجنة وفي لفظ لمسلم وأنا أول من يقرع باب فعملوا في العرصات عند استشفاعهم إلى الله عز وجل أن يأتي لفصل القضاء ليظهر شرف محمد صلى الله عليه وسلم وعلى سائر البشر في المواطن كلها وقد إذا انتهوا إلى أبواب الجنة تشاوروا فيمن يستأذن لهم في الدخول فيقصدون آدم ثم نوحا ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم محمدا وعليهم أجمعين كما على قطرة بين الجنة والنار فاقتص لهم مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة وقد ورد في حديث الصور أن المؤمنين أضربهم والعلماء مع أقرانهم وكل صنف مع صنف كل زمرة تناسب بعضها بعضا حتى إذا جاءوها أي وصلوا إلى أبواب الجنة بعد مجاوزة الصراط حبسوا أي جماعة بعد جماعة: المقربون ثم الأبرار ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كل طائفة مع من يناسبهم: الأنبياء مع الأنبياء والصديقون مع أشكالهم والشهداء مع وهذا إخبار عن حال السعداء المؤمنين حين يساقون على النجائب وفدا إلى الجنة زمرا

بما كنتم تعملون. ولو أن شعرة من شعر الحوراء وقعت في الأرض لأضاءت الشمس معها سوادا في نور هذا حديث غريب وكأنه مرسل والله أعلم. 74 قال وربما قال أخضر قال فترفع أجنحتها فيأكل من جنوبها أي الألوان شاء ثم يطير فيذهب فيدخل الملك فيقول: سلام عليكم تلکم الجنة أورتهموها يستجني الثمار فإن شاء قائما وإن شاء قاعدا وإن شاء متكئا ثم تلا ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا فيشتهي الطعام فيأتيه طير أبيض لم يخرج من ضروع الماشية وأنهار من خمر لذة للشاربين قال لم تعصرها الرجال بأقدامهم وأنهار من عسل مصفى قال لم يخرج من بطون النحل يقضي جماعها في مقدار ليلة من لياليكم هذه الأنهار من تحتهم تتردد أنهار من ماء غير آسن قال صاف لا كدر فيه وأنهار من لبن لم يتغير طعمه قال صاحبها في البيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون حشية على كل حشية سبعون زوجة على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من باطن الحل لا أسخط وأنا المقيمة التي لا أظعن فيدخل بيتا من أسه إلى أسقفه مائة ألف ذراع بناؤه على جندل اللؤلؤ طرائق أصفر وأخضر وأحمر ليس منها طريقة تشاكل العجلة فتخرج من خيام الدر والياقوت حتى تعتنقه ثم تقول أنت حبي وأنا حبك وأنا الخالدة التي لا أموت وأنا الناعمة التي لا أبأس وأنا الراضية التي فتبعث قيمها فيفتح له فإذا رآه خر له قال مسلمة أراه قال ساجدا فيقول أرفع رأسك فإنما أنا قيمك وكلت بأمرك فيتبعه ويقفو أثره فتستخف الحوراء باب الجنة فإذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب فيضربون بالحلقة على الصفيحة فيسمع لها طنين يا علي فيبلغ كل حوراء أن زوجها قد أقبل إحداها فتغسل ما في بطونهم من دنس ويغتسلون من الأخرى فلا تشعث أبشارهم ولا أشعارهم بعدها أبدا وتجري عليهم نضرة النعيم فينثهون أو فيأتون أو يؤتون بنوق لها أجنحة وعليها رجال الذهب شراك نعالهم نور يتلألأ كل خطوة منها مد البصر فينثهون إلى شجرة ينبع من أصلها عينان فيشربون من رضي الله عنه كان ذات يوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم يستقبلون لولا أن هدانا الله. ثم قال حدثنا أبي حدثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل النهدي حدثنا مسلمة بن جعفر البجلي قال: سمعت أبا معاذ البصري يقول إن عليا تعالى قدره له لم أن يذهب بصره إنه لمثل البرق ثم ينظر إلى أزواجه من الحور العين ثم يتكى على أريكة ثم يقول الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي قال ثم ينظر إلى تأسيس بنيانه فإذا هو قد أسس على جندل اللؤلؤ بين أحمر وأخضر وأصفر وأبيض ومن كل لون ثم يرفع طرفه إلى سقفه فلولأ أن الله الدنيا فيقلن أنت رأيته فيقول نعم فيستخفن الفرحة حتى تخرج إلى أسكفة الباب قال فيجيء فإذا هو بنمارق مصفوفة وأكواب موضوعة وزرابي ماثوثة قد أعد الله لك من الكرامة كذا وكذا قد أعد الله لك من الكرامة كذا وكذا قال وينطلق غلام من غلمان إلى أزواجه من الحور العين فيقول هذا فلان باسمه في وتلقتهن الملائكة على أبواب الجنة سلام عليكم طبتن فادخلوها خالدين وتلقى كل غلمان صاحبهم يطوفون به فعل الولدان بالحميم جاء من الغيبة أبشر بعدها أبدا ولم تشيعت أشعارهم أبدا بعدها كأنما دهنوا بالدهان ثم عمدوا إلى الأخرى كأنما أمروا بها فشربوها منها فأذهبت ما كان في بطونهم من أذى أو قذى إلى باب من أبواب الجنة فوجدوا عندها شجرة يخرج من تحت ساقها عينان فعمدوا إلى إحداها فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلم تغير أبشارهم إسرائيل عن أبي إسحاق عن عاصم بن ضمرة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله وسبق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا قال سيقوا حتى انتهوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تربة الجنة فقال درمكة بيضاء مسك خالص وقال ابن حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل حدثنا سعيد رضي الله عنه به ورواه مسلم أيضا عن أبي بكر بن شيبه عن أبي أسامة عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضي الله عنه قال إن ابن صائد سأل عن تربة الجنة فقال: درمكة بيضاء مسك خالص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق وكذا رواه مسلم من حديث أبي سلمة عن أبي نضرة عن أبي حدثنا روح بن عباد حدثنا حماد بن سلمة عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضي الله عنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ابن صائد عن أنس رضي الله عنه في قصة المعراج قال النبي صلى الله عليه وسلم أدخلت الجنة فإذا فيها جناز اللؤلؤ وإذا ترابها المسك. وقال عبد بن حميد الأرض يرثها عبادي الصالحون ولهذا قالوا نتبوا من الجنة حيث نشاء أي أين شئنا حللنا فنعم الأجر أجرنا على عملنا وفي الصحيحين من حديث الزهري

## تفسير ابن كثير

نشاء فنعم أجر العاملين. قال أبو العالية وأبو صالح وقتادة والسدي وابن زيد أي أرض الجنة فهذه الآية كقوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب وقولهم وأورثنا الأرض نتبوا من الجنة حيث القيامة إنك لا تخلف الميعاد وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق وقالوا الحمد لله الذي أذهب عند ذلك الحمد لله الذي صدقنا وعده أي الذي كان وعدنا على السنة رسله الكرام كما دعوا في الدنيا ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم أي يقول المؤمنون إذا عاينوا في الجنة ذلك الثواب الوافر والعطاء العظيم والنعيم المقيم والملك الكبير يقولون

في قوله الحمد لله الذي خلق السموات والأرض واختتم بالحمد في قوله تبارك وتعالى وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين. 75  
رب العالمين بالحمد في حكمه وعدله ولهذا لم يسند القول إلى قائل بل أطلقه فدل على أن جميع المخلوقات شهدت له بالحمد قال قتادة افتتح الخلق بالحمد وحكم بالعدل ولهذا قال عز وجل وقضى بينهم أي بين الخلائق بالحق. ثم قال وقيل الحمد لله رب العالمين أي نطق الكون أجمعه ناطقه وبهيمه لله أنهم محدقون من حول العرش المجيد يسبحون بحمد ربهم ويمجدونه ويعظمونه ويقدسونه وينزهونه عن النقائص والجرر وقد فصل القضية وقضى الأمر لما ذكر تعالى حكمه في أهل الجنة والنار وأنه كلا في المحل الذي يليق به ويصلح له وهو العادل في ذلك الذي لا يجوز أخبر عن ملائكته بكفره قليلا وهو تهديد شديد ووعيد أكيد كقوله تعالى قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار وقوله تعالى نمتعهم قليلا ثم اضطهرهم إلى عذاب غليظ. 8  
عن سبيله أي في حال العافية يشرك بالله ويجعل له أندادا قل تمتع بكفره قليلا إنك من أصحاب النار أي قل لمن هذه حالته وطريقته ومسلكه تمتع جل جلاله وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضره وقوله تعالى وجعل له أندادا ليضل الإنسان كفورا ولهذا قال تبارك وتعالى ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل أي في حال الرفاهية ينسى ذلك الدعاء والتضرع كما قال عند الحاجة يتضرع ويستغيث بالله وحده لا شريك له كما قال تعالى وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان وقوله عز وجل وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا إليه أي

هذا والذي قبله ممن جعل له أندادا ليضل عن سبيله إنما يتذكر أولوا الأبواب أي إنما يعلم الفرق بين هذا وهذا ومن له لب وهو العقل والله أعلم. 9  
يعقوب عن عبد الله بن يوسف والربيع بن نافع كلاهما عن الهيثم بن حميد به. وقوله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون أي هل يستوي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ بمائة آية في ليلة كتب له قنوت ليلة وكذا رواه النسائي في اليوم والليلة عن إبراهيم بن الليل تسبيحا وقرأنا وقال الإمام أحمد كتب إلى الربيع بن نافع حدثنا الهيثم بن حميد عن زيد بن واقد عن سليمان بن موسى عن كثير بن مرة عن تميم الداري عنه بالليل وقراءته حتى أنه ربما قرأ القرآن في ركعه كما روى ذلك أبو عبيدة عنه رضي الله تعالى عنه وقال الشاعر: ضحوا بأشمط عنوان السجود به يقطع الآخرة ويرجو رحمة ربه قال ابن عمر ذاك عثمان بن عفان رضي الله عنه وإنما قال ابن عمر رضي الله عنهما ذلك لكثرة صلاة أمير المؤمنين عثمان رضي الله النيميري حدثنا أبو خلف بن عبد الله بن عيسى الخراز حدثنا يحيى البكاء أنه سمع ابن عمر رضي الله عنهما يقرأ أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر به قال الترمذي غريب وقد رواه بعضهم عن ثابت عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم مراسلا. وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمر بن أبي شيبه عن عبيدة إلا أعطاه الله عز وجل الذي يرجو وأمنه الذي يخافه.. ورواه الترمذي والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجه من حديث سيار بن حاتم عن جعفر بن سليمان رجل وهو في الموت فقال له كيف تجددك؟ فقال له أرجو وأخاف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن بن حميد في مسنده حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا ثابت عن أنس رضي الله عنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخوف في مدة الحياة هو الغالب ولهذا قال تعالى يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه فإذا كان عند الاحتضار فليكن الرجاء هو الغالب عليه كما قال الإمام عبد وقتادة آناء الليل أوله وأوسطه وآخره وقوله تعالى يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه أي في حال عبادته خائف راج ولا بد في العبادات من هذا وهذا وأن يكون وقال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن والسدي وابن زيد آناء الليل جوف الليل وقال الثوري عن منصور بلغنا أن ذلك بين المغرب والعشاء وقال الحسن إليه آخرون. قال الثوري عن فراس عن الشعبي عن مسروق عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: القانت المطيع لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم ساجدا وقائما أي في حال سجوده وفي حال قيامه ولهذا استدلل بهذه الآية من ذهب إلى أن القنوت هو الخشوع في الصلاة ليس هو القيام وحده كما ذهب عند الله كما قال تعالى ليسوا سواء من أهل الكتاب أما قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون وقال تبارك وتعالى ههنا أمن هو قانت آناء الليل يقول عز وجل أمن هذه صفته كمن أشرك بالله وجعل له أندادا؟ لا يستوون

## سورة 40

الليلة فقولوا حم لا ينصرون وهذا إسناد صحيح واختار أبو عبيد أن يروي فقولوا حم لا ينصروا أي إن قلتم ذلك لا ينصروا جعله جزاء لقوله فقولوا. 1  
رواه أبو داود والترمذي من حديث الثوري عن أبي إسحاق عن المهلب بن أبي صفرة قال: حدثني من سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن بيتهم القرآن وكذا قيل إن حم اسم من أسماء الله عز وجل وأنشدوا في ذلك بيتا يذكرني حم والرمح شاجر فهلا تلاحم قبل التقدم وقد ورد في الحديث الذي يوم الجمعة الم السجدة و هل أتى على الإنسان وقال سفيان الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أنه قال: الم وحم والمص وص. فواتح افتتح الله بها

## تفسير ابن كثير

الأكثر ونقل عن سيبويه أنه نص عليه ويعتضد لهذا بما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الصبح واختلف هؤلاء في معناها فقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم إنما هي أسماء السور. قال العلامة أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري في تفسيره وعليه إطباق وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم أجمعين وقاله عامر الشعبي وسفيان الثوري والربيع بن خيثم واختاره أبو حاتم بن حبان. ومنهم من فسرها في الحروف المقطعة التي في أوائل السور فمنهم من قال هي مما استأثر الله بعلمه فردوا علمها إلى الله ولم يفسرها حكاة القرطبي في تفسيره عن أبي بكر لا نعلمه يروى إلا بهذا الإسناد ورواه الترمذي من حديث المليكي وقال تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه. بسم الله الرحمن الرحيم قد اختلف المفسرون سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ آية الكرسي وأول حم المؤمن عصم ذلك اليوم من كل سوء ثم قال الحكم بن ظبيان بن خلف المازني ومحمد بن الليث الهمداني قال حدثنا موسى بن مسعود حدثنا عبدالرحمن بن أبي بكر المليكي عن زرارة بن مصعب عن أبي الله عليه وسلم لأصحابه في بعض الغزوات إن بيتهم الليلة فقولوا حم لا ينصرون وفي رواية لا تنصرون وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا أحمد بن المنسوب إليه داخل قلعة دمشق وقد يكون صيانتها وحفظها ببركته وبركة ما وضع له فإن هذا الكلام يدل على النصر على الأعداء كما قال رسول الله صلى رأى أبا الدرداء رضي الله عنه يبني مسجدا فقال له ما هذا؟ فقال أبنيه من أجل آل حم وقد يكون هذا المسجد الذي بناه أبو الدرداء رضي الله عنه هو المسجد مسعود رضي الله عنه إذا وقعت في آل حم فقد وقعت في روضات أتائق فيهن. وقال أبو عبيد ثنا الأشجعي حدثنا مسعر هو ابن كدام عمن حدثه أن رجلا وقال ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب أن الجراح بن أبي الجراح حدثه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لكل شيء لباب ولباب القرآن الحواميم وقال ابن من الغيث الأول فهذا أعجب وأعجب فليل له إن مثل الغيث الأول مثل عظم القرآن وإن مثل هؤلاء الروضات الدمئات مثل آل حم في القرآن أورده البغوي. الله عنه قال: إن مثل القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لأهله منزلا فمر بأثر غيث فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه إذ هبط على روضات دمئات فقال عجت رحمته الله تعالى في كتاب فضائل القرآن. وقال حميد بن زنجويه حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله رضي عنهما إن لكل شيء لبابا ولباب القرآن آل حم أو قال الحواميم. وقال مسعر بن كدام كان يقال لهن العرائس روى ذلك كله الإمام العالم أبو عبيد القاسم بن سلام بعض السلف منهم محمد بن سيرين أن يقال الحواميم وإنما يقال آل حم قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه آل حم ديباج القرآن وقال ابن عباس رضي الله سورة غافر: قد كره

وهكذا قال الحسن البصري ومجاهد والسدي وذر بن عبيد الله الهمداني وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم وابن جرير الطبري رحمة الله عليهم أجمعين. 10 فتكفرون يقول لمقت الله أهل الضلالة حين عرض عليهم الإيمان في الدنيا فتركوه وأبوا أن يقبلوه أكبر مما مقتوا أنفسهم حين عاينوا عذاب الله يوم القيامة فيكفرون أشد من مقتكم أيها المعذبون أنفسكم اليوم في هذه الحالة. قال قتادة في قوله تعالى لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان التي كانت سبب دخولهم إلى النار فأخبرتهم الملائكة عند ذلك إخبارا عاليا نادوهم نداء بأن مقت الله تعالى لهم في الدنيا حين كان يعرض عليهم الإيمان النيران يتلظون وذلك عندما باشروا من عذاب الله تعالى مالا قبل لأحد به فمقتوا عند ذلك أنفسهم وأبغضوها غاية البغض بسبب ما أسلفوا من الأعمال السيئة يقول تعالى مخبرا عن الكفار أنهم ينادون يوم القيامة وهم في غمرات

فإننا ظالمون فأجيبوا أن لا سبيل إلى عودكم ومرجعكم إلى الدار الدنيا ثم علل المنع من ذلك بأن سجايكم لا تقبل الحق ولا تقتضيه بل تمجه وتنفيه. 11 الدنيا فهل إلى خروج من سبيل أي فهل أنت مجيبنا إلى أن تعيدنا إلى الدار الدنيا فإنك قادر على ذلك لنعمل غير الذي كنا نعمل فإن عدنا إلى ما كنا فيه اثنتين أي قدرتك عظيمة فإنك أحييتنا بعدما كنا أمواتا ثم أمتنا ثم أحييتنا فأنت قادر على ما نشاء وقد اعترفنا بذنوبنا وإننا كنا ظالمين لأنفسنا في الدار فإننا ظالمون قال اخسنوا فيها ولا تكلمون وفي هذه الآية الكريمة تلطفوا في السؤال وقدموا بين يدي كلامهم مقدمة وهي قولهم ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكروا وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ربنا أخرجنا منها فإن عدنا ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون فإذا دخلوا النار وذاقوا مسها وحسبها ومقامعها وأغلغلاها كان سؤالهم للرجعة أشد وأعظم وهم يصطرخون فيها فلا يجابون قال الله تعالى ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو نعمل صالحا إنا موقنون فلا يجابون ثم إذا رأوا النار وعابنوها ووقفوا عليها ونظروا إلى ما فيها من العذاب والنكال سألوها الرجعة أشد مما سألوها أول مرة الرجعة وهم وقوف بين يدي الله عز وجل في عرصات القيامة كما قال عز وجل ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا وابن زيد ضعيفان لأنه يلزمهما على ما قال ثلاث إحياءات وإماتات والصحيح قول ابن مسعود وابن عباس ومن تابعهما والمقصود من هذا كله أن الكفار يسألون وقال ابن زيد: أحيوا حين أخذ عليهم الميثاق من صلب آدم عليه السلام ثم خلقهم في الأرحام ثم أماتهم ثم أحياهم يوم القيامة وهذان القولان من السدي وقاتادة وأبو مالك وهذا هو الصواب الذي لا شك فيه ولا مرية. وقال السدي أمتوا في الدنيا ثم أحيوا في قبورهم فخطبوا ثم أمتوا ثم أحيوا يوم القيامة رضي الله عنه هذه الآية كقوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون وكذا قال ابن عباس والضحاك وقوله قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين قال الثوري عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن ابن مسعود

لله العلي الكبير أي هو الحاكم في خلقه العادل الذي لا يجوز فيهدي من يشاء ويضل من يشاء ويرحم من يشاء ويعذب من يشاء لا إله إلا هو. 12 أي أنتم هكذا تكونون وإن رددتم إلى الدار الدنيا كما قال عز وجل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون وقوله جل وعلا فالحكم الأشياء وما يتذكر أي يعتبر ويتفكر في هذه الأشياء ويستدل بها على عظمة خالقها إلا من ينيب أي من هو بصير منيب إلى الله تبارك وتعالى. 13

## تفسير ابن كثير

الذي يخرج به من الزروع والثمار ما هو مشاهد بالحس من اختلاف ألوانه وطعومه وروائح وأشكاله وألوانه وهو ماء واحد فبالقدرة العظيمة فاوت بين هذه قدرته لخلقه بما يشاهدونه في خلقه العلوي والسفلي من الآيات العظيمة الدالة على كمال خالقها ومبدعها ومنشئها وينزل لكم من السماء رزقا وهو المطر قوله جل جلاله هو الذي يريكم آياته أي يظهر

عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ادعوا الله تبارك وتعالى وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله تعالى لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه. 14 الكافرون. وقال ابن أبي حاتم حدثنا الربيع حدثنا الخصيب بن ناصح حدثنا صالح يعني المري عن هشام بن حسان عن ابن سيرين عن أبي هريرة رضي الله وهو على كل شيء قدير لا حول ولا قوة إلا بالله لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره عن ابن الزبير رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عقب الصلوات المكتوبات لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد عن عبد الله بن الزبير قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دبر كل صلاة لا إله إلا الله وحده لا شريك له وذكر تمامه. وقد ثبت في الصحيح وسلم يهل بهن دبر كل صلاة. ورواه مسلم وأبو داود والنسائي من طرق عن هشام بن عروة وحجاج بن أبي عثمان وموسى بن عقبة ثلاثتهم عن أبي الزبير بالله لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون قال وكان رسول الله صلى الله عليه قال: كان عبد الله بن الزبير يقول في دبر كل صلاة حين يسلم لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا حول ولا قوة إلا المشركين في مسلكتهم ومذهبهم. قال الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن نمير حدثنا هشام يعني بن عروة بن الزبير عن أبي الزبير محمد بن مسلم بن تدرس المكي أي فاخلصوا لله وحده العبادة والدعاء وخالفوا

ميمون بن مهران يلتقي الظالم والمظلوم وقد يقال إن يوم التلاق يشمل هذا كله ويشمل أن كل عامل سيلقى ما عمله من خير وشر كما قاله آخرون. 15 آدم وآخر ولده وقال ابن زيد يلتقي فيه العباد وقال قتادة والسدي وبلال بن سعد وسفيان بن عيينة يلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض والخالق والخلق وقال قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يوم التلاق اسم من أسماء يوم القيامة حذر الله منه عباده وقال ابن جريج قال ابن عباس رضي الله عنهما يلتقي فيه أنه لا إله إلا أنا فاتقون وكفوله تعالى وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ولهذا قال عز وجل لينزل يوم التلاق عظيم. وقوله تعالى يلقي الروح من أمره علي من يشاء من عباده كقوله جلّت عظمتة ينزل الملائكة بالروح من أمره علي من يشاء من عباده أن أنذروا مسيرة خمسين ألف سنة وارتفاعه عن الأرض السابعة مسيرة خمسين ألف سنة وقد تقدم في حديث الأوعال ما يدل على ارتفاعه عن السموات السبع بشيء العرش إلى الأرض السابعة في قول جماعة من السلف والخلف وهو الأرجح إن شاء الله وقد ذكر غير واحد أن العرش ما ياقوته حمراء اتساع ما بين قطريه كما قال تعالى من الله ذي المعارج تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وسيأتي إن شاء الله تعالى بيان أن هذه مسافة ما بين يقول تعالى مخبرا عن عظمتة وكبريائه وارتفاع عرشه العظيم العالي على جميع مخلوقاته كالسقف لها

الساعة يا أيها الناس أتتكم الساعة فيسمعها الأحياء والأموات قال وينزل الله عز وجل إلى السماء الدنيا ويقول لمن الملك اليوم لله الواحد القهار. 16 أبي حاتم حدثنا محمد بن غالب الدقاق حدثنا عبيد بن عبيدة حدثنا معتمر عن أبيه حدثنا أبو النضر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ينادي مناد بين يدي وحده لا شريك له حينئذ يقول لمن الملك اليوم؟ ثلاث مرات ثم يجيب نفسه قائلا لله الواحد القهار أي الذي هو وحده قد قهر كل شيء وغلبه وقد قال ابن أنا الملك أنا الجبار أنا المتكبر أين ملوك الأرض؟ أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ وفي حديث الصور أنه عز وجل إذا قبض أرواح جميع خلقه فلم يبق سواه وقوله تبارك وتعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار قد تقدم في حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه تعالى يطوي السموات والأرض بيده ثم يقول أي ظاهرون بادون كلهم لا شيء يكنهم ولا يظلمهم ولا يستترهم ولهذا قال يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء أي الجميع في علمه على السواء. قوله جل جلاله يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء

كلهم كما يحاسب نفسا واحدة كما قال جل وعلا ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة وقال جل جلاله وما أمرنا إلا واحدة كلمح البصر. 17 أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله تبارك وتعالى ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه وقوله عز وجل إن الله سريع الحساب أي يحاسب الخلائق ربه عز وجل أنه قال يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا إلى أن قال يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها عليكم ثم واحدة ولهذا قال تبارك وتعالى لا ظلم اليوم كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يحكى عن يخبر تعالى عن عدله في حكمه بين خلقه أنه لا يظلم مثقال ذرة من خير ولا من شر بل يجزي بالحسنة عشر أمثالها وبالسينة

ولا شفيع يطاع أي ليس للذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم ولا شفيع يشفع فيهم بل قد تقطعت بهم الأسباب من كل خير. 18 الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أنن له الرحمن وقال صوابا وقال ابن جريج كاظمين أي باكين. وقوله سبحانه وتعالى ما للظالمين من حميم في الحناجر من الخوف فلا تخرج ولا تعود إلى أماكنها وكذا قال عكرمة والسدي وغير واحد ومعنى كاظمين أي ساكتين لا يتكلم أحد إلا بإذنه يوم يقوم وقال جل جلاله فلما رآه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا الآية. وقوله تبارك وتعالى إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين قال قتادة وقفت القلوب ليس لها من دون الله كاشفة وقال عز وجل اقتربت الساعة وأنشأ القمر وقال جل وعلا اقترب للناس حسابهم وقال أتى أمر الله فلا تستعجلوه يوم الألفة اسم من أسماء يوم القيامة وسميت بذلك لاقترابها كما قال تعالى أزفت الألفة

## تفسير ابن كثير

الله عنهما في قوله تعالى وما تخفي الصدور يعلم إذا أنت قدرت عليها هل تزني بها أم لا؟ وقال السدي وما تخفي الصدور أي من الوسوسة. 19  
أر وقد رأى وقال ابن عباس رضي الله عنهما يعلم الله تعالى من العين في نظرها هل تريد الخيانة أم لا؟ وكذا قال مجاهد وقتادة وقال ابن عباس رضي  
غض وقد اطلع الله تعالى من قلبه أنه ود أن لو اطلع على فرجها رواه ابن أبي حاتم وقال الضحاك خائنة الأعين هو الغمز وقول الرجل رأيت ولم ير. أو لم  
يدخل على أهل البيت بيتهم وفيهم المرأة الحسنة أو تمر به وبهم المرأة الحسنة فإذا غفلوا لحظ إليها فإذا فطنوا غض بصره عنها فإذا غفلوا لحظ فإذا فطنوا  
ويعلم ما تنطوي عليه خبايا الصدور من الضمائر والسرائر. قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور هو الرجل  
الناس علمه فيهم فيستحيوا من الله تعالى حق الحياء ويتقوه حق تقواه ويراقبوه مراقبة من يعلم أنه يراه فإنه عز وجل يعلم العين الخائنة وإن أبدت أمانة  
يخبر عز وجل عن علمه التام المحيط بجميع الأشياء جليلها وحقيقتها صغيرها وكبيرها دقيقها ولطيفها ليحذر

أي تنزيل هذا الكتاب وهو القرآن من الله ذي العزة والعلم فلا يرام جنبه ولا يخفى عليه الذر وإن تكاثف حجاب. 2

ولا يحكمون بشيء إن الله هو السميع البصير أي سميع لأقوال خلقه بصير بهم فيهدي من يشاء ويضل من يشاء وهو الحاكم العادل في جميع ذلك. 20  
عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى وقوله جل وعلا والذين يدعون من دونه أي من الأصنام والأوثان والأنداد لا يقضون بشيء أي لا يملكون شيئاً  
الحسنة وبالسنة السيئة إن الله هو السميع البصير وهذا الذي فسر به ابن عباس رضي الله عنهما هذه الآية كقوله تبارك وتعالى ليحزي الذين أساءوا بما  
والله يقضي بالحق أي يحكم بالعدل قال الأعمش عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس في قوله تعالى والله يقضي بالحق قادر على أن يجزي بالحسنة  
وقوله عز وجل

لهم من الله من واق أي وما دفع عنهم عذاب الله أحد ولا رده عنهم راد ولا وقاهم واق ثم ذكر علة أخذه إياهم وذنوبهم التي ارتكبوها واجترموها. 21  
فيه وقال تعالى وأثأروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها أي مع هذه القوة العظيمة والبأس الشديد أخذهم الله بذنوبهم وهي كفرهم برسلمهم وما كان  
من هؤلاء قوة وأثأروا في الأرض أي أثروا في الأرض من البنات والمعالم والديارات ما لا يقدر هؤلاء عليه كما قال عز وجل ولقد مكناهم فيما إن مكناكم  
الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم أي من الأمم المكذبة بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ما حل بهم من العذاب والنكال مع أنهم كانوا أشد  
يقول تعالى أو لم يسيروا هؤلاء المكذبون برسالتك يا محمد في

أمثالها إنه قوي شديد العقاب أي ذو قوة عظيمة وبطش شديد وهو شديد العقاب أي عقابه أليم شديد وجيع أعاذنا الله تبارك وتعالى منه. 22  
أي بالدلائل الواضحات والبراهين القاطعات فكفروا أي مع هذا البيان والبرهان كفروا ووجدوا فأخذهم الله تعالى أي أهلكهم ودمر عليهم وللكاشرين  
فقال تعالى ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات

عمران عليه السلام فإن الله تعالى أرسله بالآيات البينات والدلائل الواضحات ولهذا قال تعالى بآياتنا وسلطان مبين والسلطان هو الحجة والبرهان. 23  
يقول تعالى مسلماً لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم في تكذيب من كذبه من قومه ومبشراً له بأن العاقبة والنصرة له في الدنيا والآخرة كما جرى لموسى بن  
مموها كذاباً في أن الله أرسله وهذه كقوله تعالى كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون. 24  
المصرية وهامان وهو وزيره في مملكته وقارون وكان أكثر الناس في زمانه مالا وتجارة فقالوا ساحر كذاب أي كذبوه وجعلوه ساحراً مجنوناً  
إلى فرعون وهو ملك القبط بالديار

عز وجل وما كيد الكافرين إلا في ضلال أي وما مكرهم وقصدهم الذي هو تقليل عدد بني إسرائيل لئلا ينصروا عليهم إلا ذاهب وهالك في ضلال. 25  
أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعدما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون قال قتادة هذا أمر بعد أمر قال الله  
أو لإذلال هذا الشعب وتقليل عددهم أو لمجموع الأمرين وأما الأمر الثاني فللعلة الثانية وإلهانة هذا الشعب ولكي يتشاءموا بموسى عليه السلام ولهذا قالوا  
قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وهذا أمر ثان من فرعون بقتل ذكور بني إسرائيل أما الأول فكان لأجل الاحتراز من وجود موسى  
فلما جاءهم بالحق من عندنا أي بالبرهان القاطع الدال على أن الله عز وجل أرسله إليهم

دينكم وأن يظهر في الأرض الفساد وقرأ الآخرون أن يبديل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد وقرأ بعضهم يظهر في الأرض الفساد بالضم. 26  
الناس ويغير رسومهم وعاداتهم وهذا كما يقال في المثل: صار فرعون مذكراً يعني واعظاً يشفق على الناس من موسى عليه السلام. وقرأ الآخرون أن يبديل  
في غاية الجحد والتجهرم والعناد وقوله قبحه الله إني أخاف أن يبديل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد يعني موسى يخشى فرعون أن يضل موسى  
ربه وهذا عزم من فرعون لعنه الله تعالى على قتل موسى عليه الصلاة والسلام أي قال لقومه دعوني حتى أقتل لكم هذا وليدع ربه أي لا أبالي منه وهذا  
وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع

عن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا خاف قوماً قال اللهم إنا نعوذ بك من شرورهم ونردأ بك في نحورهم. 27  
شره وشر أمثاله ولهذا قال إني عذت بربي وربكم أيها المخاطبون من كل متكبر أي عن الحق مجرم لا يؤمن بيوم الحساب ولهذا جاء في الحديث  
عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب أي لما بلغه قول فرعون ذروني أقتل موسى قال موسى عليه السلام استجرت بالله وعذت به من  
وقال موسى إني



## تفسير ابن كثير

والاضطراب وهذا نرى أمره سديدا ومنهجه مستقيما ولو كان من المسرفين الكذابين لما هداه الله وأرشده إلى ما ترون من انتظام أمره وفعله. 28

كذاب أي لو كان هذا الذي يزعم أن الله تعالى أرسله إليكم كاذبا كما تزعمون لكان أمره بينا يظهر لكل أحد في أقواله وأفعاله فكانت تكون في غاية الاختلاف من القرابة فلا تؤذوني وتتركوا بني وبين الناس وعلى هذا وقعت الهدنة يوم الحديبية وكان فتحا مبينا وقوله جل وعلا إن الله لا يهدي من هو مسرف بسوء ويصلوا ما بينه وبينهم من القرابة في ترك أذيته قال الله عز وجل قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى أي أن لا تؤذوني فيما بيني وبينكم بربي وربكم أن ترجمون وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقريش أن يتركوه يدعو إلى الله تعالى عباد الله ولا يمسوه قوله ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم أن أدوا إلي عباد الله إني لكم رسول أمين وأن لا تعلقوا على الله إني آتيكم بسلطان مبين وإني عذت على هذا أن لا تتعرضوا له بل اتركوه وقومه يدعوهم ويتبعونه وهكذا أخبر الله عز وجل عن موسى عليه السلام أنه طلب من فرعون وقومه الموادة في وإن يك صادقا وقد أذيتهمو يصيبكم بعض الذي يعدكم فإنه يتوعدكم إن خالفتموه بعذاب في الدنيا والآخرة فمن الجائز عندكم أن يكون صادقا فينبغي ما جاءكم به فمن العقل والرأي التام والحزم أن تتركوه ونفسه فلا تؤذوه فإن يك كاذبا فإن الله سبحانه وتعالى سيجازيه على كذبه بالعقوبة في الدنيا والآخرة ما جاءكم به من الحق؟ ثم تنزل معهم في المخاطبة فقال وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصيبكم بعض الذي يعدكم يعني إذا لم يظهر لكم صحة عمرو بن العاص رضي الله عنه وقوله تعالى وقد جاءكم بالبينات من ربكم أي كيف تقتلون رجلا لكونه يقول ربي الله وقد أقام لكم البرهان على صدق يقول يا قوم أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم حتى فرغ من الآية كلها وهكذا رواه النسائي من حديث عبدة فجعله من مسند أبانؤنا؟ فقال أنا ذاك فقاموا إليه فأخذوا بمجامع ثيابه فرأيت أبا بكر رضي الله عنه محتضنه من ورائه وهو يصيح بأعلى صوته وإن عينيه ليسيلان وهو عنه أنه سئل ما أشد ما رأيت قريشا بلغوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال مر صلى الله عليه وسلم بهم ذات يوم فقالوا له أنت تنهانا أن نعبد ما يعبد بن عروة عن أبيه به وقال ابن أبي حاتم حدثنا هارون بن إسحاق الهمداني حدثنا عبدة عن هشام يعني ابن عروة عن أبيه عن عمرو بن العاص رضي الله عنه ثم قال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم انفرد به البخاري من حديث الأوزاعي قال وتابعه محمد بن إسحاق عن إبراهيم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فأقبل أبو بكر رضي الله عنه فأخذ بمنكبه ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء صنعه المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب أبي كثير حدثني محمد بن إبراهيم التيمي حدثني عروة بن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال: قلت لعبدة بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أخبرني بأشد رجلا أن يقول ربي الله اللهم إلا ما رواه البخاري في صحيحه حيث قال حدثنا علي بن عبد الله حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الأوزاعي حدثني يحيى بن فأخذت الرجل غصبة لله عز وجل وأفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر كما ثبت بذلك الحديث ولا أعظم من هذه الكلمة عند فرعون وهي قوله أتقتلون يأترون بك ليقتلوك رواه ابن أبي حاتم وقد كان هذا الرجل يكتنم إيمانه عن قومه القبط فلم يظهر إلا هذا اليوم حين قال فرعون ذروني أقتل موسى بالعقوبة لأنه منهم وقال ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما لم يؤمن من آل فرعون سوى هذا الرجل وامرأة فرعون والذي قال يا موسى إن الملائكة ابن جرير ورد قول من ذهب إلى أنه كان إسرائيليا لأن فرعون انفعول لكلامه واستمع وكف عن قتل موسى عليه السلام ولو كان إسرائيليا لأوشك أن يعاجل المشهور أن هذا الرجل المؤمن كان قبطيا من آل فرعون قال السدي: كان ابن عم فرعون ويقال إنه الذي نجا مع موسى عليه الصلاة والسلام واختاره إمام يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام. والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب. 29

واتبعوه. قال الله تبارك وتعالى فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد وقال جلت عظمتهم وأضل فرعون قومه وما هدى وفي الحديث ما من وما نصحبهم وكذا قوله وما أهداكم إلا سبيل الرشاد أي وما أدعوكم إلا إلى طريق الحق والصدق والرشد وقد كذب أيضا في ذلك وإن كان قومه قد أطاعوه بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فقلوه ما أريكم إلا ما أرى كذب فيه وافتري وخان الله تبارك وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ورعيته فغشهم كان يتحقق صدق موسى عليه السلام فيما جاء به من الرسالة قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر وقال الله تعالى وجحدوا هذا الرجل الصالح البار الراشد الذي كان أحق بالملك من فرعون ما أريكم إلا ما أرى أي ما أقول لكم وأشير عليكم إلا ما أراه لنفسه وقد كذب فرعون فإنه من بأس الله إن جاءنا أي لا تغني عنكم هذه الجنود وهذه العساكر ولا ترد عنا شيئا من بأس الله إن أردنا بسوء قال فرعون لقومه رادا على ما أشار به بالكلمة النافذة والجاه العريض فراعوا هذه النعمة بشكر الله تعالى وتصديق رسوله صلى الله عليه وسلم واحذروا نقمة الله إن كذبتم رسوله فمن ينصرنا محذرا قومه زوال نعمة الله عنهم وحلول نقمة الله بهم يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض أي قد أنعم الله عليكم بهذا الملك والظهور في الأرض ثم قال المؤمن

مقطعات يمنية؟ قالوا ما رأينا أحدا فكانوا يرون أنه إلياس ثم رواه من طريق أخرى عن ثابت بنحوه وليس فيه ذكر إلياس والله سبحانه وتعالى أعلم. 3

فقل يا قابل التوب أقبل توبتي وإذا قلت شديد العقاب فقل يا شديد العقاب لا تعاقبني قال فالتفت فلم أر أحدا فخرجت إلى الباب فقلت مر بكم رجل عليه إله إلا هو إليه المصير فإذا رجل خلفي على بغلة شهباء عليه مقطعات يمنية فقال إذا قلت غافر الذنب فقل يا غافر الذنب اغفر لي ذنبي وإذا قلت وقابل التوب عمر الصغار ثنا ثابت البناني قال كنت مع مصعب بن الزبير رضي الله عنه في سواد الكوفة فدخلت حائطا أصلي ركعتين فافتتحت حم المؤمن حتى بلغت لا رأيتم أبا لكم زل زلة فسدوده ووثقوه وادعوا الله له أن يتوب ولا تكونوا أعوانا للشيطان عليه. وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمر بن شبة ثنا حماد بن واقد ثنا أبو لي. ورواه الحافظ أبو نعيم من حديث جعفر بن برقان وزاد فلم يزل يرددنا على نفسه ثم بكى ثم نزع فأحسن النزاع فلما بلغ عمر خبره قال هكذا فاصنعوا إذا

## تفسير ابن كثير

الله عليه فلما بلغ الرجل كتاب عمر رضي الله عنه جعل يقرؤه ويردده ويقول غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب قد حذرني عقوبته ووعدي أن يغفر إليك الله الذي لا إله إلا هو غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير ثم قال لأصحابه ادعوا الله لأخيك أن يقبل بقلبه ويتوب فلان بن فلان؟ فقالوا يا أمير المؤمنين تتابع في هذا الشراب قال فدعا عمر كاتبه فقال اكتب من عمر بن الخطاب إلى فلان بن فلان سلام عليك فإني أحمد ابن أيوب أنا جعفر بن برقان عن يزيد بن الأصم قال: كان رجل من أهل الشام ذو بأس وكان يفد إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ففقد عمر فقال ما فعل التوب شديد العقاب وقال اعمل ولا تيأس. رواه ابن أبي حاتم واللفظ له وابن جرير. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي ثنا موسى بن مروان الرقي ثنا عمر يعني الخطاب رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين إني قتلت فهل لي من توبة؟ فقرأ عمر رضي الله عنه حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل المصير أي المرجع والمآب فيجازي كل عامل بعمله وهو سريع الحساب وقال أبو بكر بن عياش سمعت أبا إسحاق السبيعي يقول: جاء رجل إلى عمر بن بشكر واحدة منها وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها الآية. وقوله جلت عظمته لا إله إلا هو أي لا نظير له في جميع صفاته فلا إله غيره ولا رب سواه إليه ذي الطول ذي المن وقال قتادة ذي النعم والفواضل والمعنى أنه المتفضل على عباده المتطول عليهم بما هم فيه من المن والإنعام التي لا يطيقون القيام ذي الطول قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني السعة والغنى. وهكذا قال مجاهد وقتادة وقال يزيد بن الأصم: ذي الطول يعني الخير الكثير وقال عكرمة أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم يقرن هذين الوصفين كثيرا في مواضع متعددة من القرآن ليبقى العبد بين الرجاء والخوف. وقوله تعالى لمن تاب إليه وخضع لديه وقوله جل وعلا شديد العقاب أي لمن تلمذ وطغى وآثر الحياة الدنيا وعتا عن أوامر الله تعالى وبغى وهذه كقوله نبي عبادي أي يغفر ما سلف من الذنب ويقبل التوبة في المستقبل

عز وجل عن هذا الرجل الصالح مؤمن آل فرعون أنه حذر قومه بأس الله تعالى في الدنيا والآخرة فقال يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب. 30 هذا إخبار من الله

رده عنهم راد ولا صده عنهم صاد وما الله يريد ظلما للعباد أي إنما أهلكهم الله تعالى بذنوبهم وتكذيبهم رسله ومخالفتهم أمره فأنفذ فيهم قدره. 31 أي الذين كذبوا رسل الله في قديم الدهر كقوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم من الأمم المكذبة كيف حل بهم بأس الله وما الأعراف أهل الجنة وأهل النار كما هو مذكور في سورة الأعراف واختار البغوي وغيره أنه سمي بذلك لمجموع ذلك وهو قول حسن جيد والله أعلم. 32 ما وعد ربكم حقا قالوا نعم ومناداة أهل النار أهل الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين ولمناداة أصحاب كل قوم بأعمالهم: ينادي أهل الجنة أهل الجنة وأهل النار أهل النار وقيل سمي بذلك لمناداة أهل الجنة أهل النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم وزن عمل العبد فرجح نادى بأعلى صوته ألا قد سعد فلان بن فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا وإن خف عمله نادى ألا قد شقي فلان بن فلان وقال قتادة ينادي وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه والحسن والضحاك أنهم قرءوا يوم التناد بتشديد الدال من ند البعير إذا تردى وذهب وقيل لأن الميزان عنده ملك إذا وهو قوله تعالى والملك على أرجائها وقوله يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذوا إلا بسلطان. ذلك ذهبوا هاربيين ينادي بعضهم بعضا وقال آخرون منهم الضحاك بل ذلك إذا جيء بجهنم ذهب الناس هرابا منها ففتلقاهم الملائكة فتردهم إلى مقام المحشر يعني يوم القيامة وسمي بذلك قال بعضهم لما جاء في حديث الصور إن الأرض إذا زلزلت وانشقت من قطر إلى قطر وماجت وارتجت فنظر الناس إلى قال عز وجل مالكم من الله من عاصم أي لا مانع يمنعكم من بأس الله وعذابه ومن يضل الله فما له من هادي من أضله الله فلا هادي له غيره. 33 وقوله تعالى يوم تولون مدبرين أي ذاهبين هاربيين كلا لا وزر إلى ربك يومئذ المستقر ولهذا

رسولا وذلك لكفرهم وتكذيبهم كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب أي كحالكهم هذا يكون حال من يضل الله لإسرافه في أفعاله وارتباب قلبه. 34 ولهذا قال تعالى فما زلت في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا أي ينستم فقلتم طامعين لن يبعث الله من بعده وهو يوسف عليه الصلاة والسلام كان عزيز أهل مصر وكان رسولا يدعو إلى الله تعالى أمته بالقسط فما أطاعوه تلك الطاعة إلا بمجرد الوزارة والجاه الدنيوي وقوله تبارك وتعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات يعني أهل مصر فد بعث الله فيهم رسولا من قبل موسى عليه الصلاة والسلام

وحكي عن الشعبي أنها قال لا يكون الإنسان جبارا حتى يقتل نفسين وقال أبو عمران الجوني وقتادة: آية الجبابة القتل بغير حق والله تعالى أعلم. 35 بعد ذلك معروفا ولا ينكر منكرا ولهذا قال تبارك وتعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر أي على اتباع الحق جبار وروى ابن أبي حاتم عن عكرمة قال تعالى كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا أي والمؤمنون أيضا يبغيضون من تكون هذه صفته فإن من كانت هذه صفته يطبع الله على قلبه فلا يعرف سلطان أتاهم أي الذين يدفعون الحق بالباطل ويجادلون الحجج بغير دليل وحجة معهم من الله تعالى فإن الله عز وجل يمقت على ذلك أشد المقت ولهذا ثم قال عز وجل الذين يجادلون في آيات الله بغير

فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا ولهذا قال إبراهيم النخعي كانوا يكرهون البناء بالأجر وأن يجعلوه في قبورهم رواه ابن أبي حاتم. 36 الصلاة والسلام أنه أمر وزيره هامان أن يبني له صرحا وهو القصر العالي المنيف الشاهق وكان اتخاذه من الأجر المضروب من الطين المشوي كما قال تعالى يقول تعالى مخبرا عن فرعون وعتوه وتمرده واقترائه في تكذيبه موسى عليه

شيئا يتوصل به إلى تكذيب موسى عليه الصلاة والسلام ولهذا قال تعالى وما كيد فرعون إلا في تباب قال ابن عباس ومجاهد يعني إلا في خسار. 37

## تفسير ابن كثير

- في أن الله عز وجل أرسله إليه قال الله تعالى وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل أي بصنعه هذا الذي أراد أن يوهبهم به الرعية أنه يعمل وأبو صالح أبواب السماوات وقيل طرق السماوات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا وهذا من كفره وتمرده أنه كذب موسى عليه الصلاة والسلام وقوله لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات الخ قال سعيد بن جبير
- قوله وما أهداكم إلا سبيل الرشاد ثم زهدهم في الدنيا التي قد أثروها على الأخرى وصدتهم عن التصديق برسول الله موسى عليه الصلاة والسلام. 38
- يقول المؤمن لقومه ممن تتمرّد وطغى وأثر الحياة الدنيا ونسي الجبار الأعلى فقال لهم يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد لا كما كذب فرعون في عن قريب تذهب وتضمحل وإن الآخرة هي دار القرار أي الدار التي لا زوال لها ولا انتقال منها ولا ظعن عنها إلى غيرها بل إما نعيم وإما جحيم. 39
- فقال يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع أي قليلة زائلة فانية
- وعلا لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد وقال عز وجل نمتعهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ. 4
- وظهور البرهان إلا الذين كفروا أي الجاحدون لآيات الله وحججه وبراهينه فلا يغرنك تقلبهم في البلاد أي في أموالها ونعيمها وزهرتها كما قال جل يقول تعالى ما يدفع الحق ويجادل فيه بعد البيان
- ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب أي لا يتقدر بجزاء بل يثيبه الله عز وجل ثوابا كثيرا لا انقضاء له ولا نفاذ. 40
- من عمل سيئة فلا يجزي إلا مثلها أي واحدة مثلها ومن عمل صالحا من يقول لهم المؤمن ما بالي أدعوكم إلى النجاة وهي عبادة الله وحده لا شريك له وتصديق رسوله صلى الله عليه وسلم الذي بعثه. 41
- لا كفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم أي على جهل بلا دليل وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار أي هو في عزته وكبريائه يغفر ذنب من تاب إليه. 42
- تدعونني
- إلى الله أي في الدار الآخرة فيجازي كل بعمله ولهذا قال وأن المسرفين هم أصحاب النار أي خالدين فيها بإسرافهم وهو شركهم بالله عز وجل. 43
- دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين إن تدعوه لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم وقوله وأن مردنا السدي: لا يجيب داعيه لا في الدنيا ولا في الآخرة وهذا كقوله تبارك وتعالى ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن تدعوني إليه من الأصنام والأنداد ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة قال مجاهد: الوثن ليس له شيء وقال قتادة يعني الوثن لا ينفع ولا يضر وقال حقا قال السدي وابن جريج معنى قوله لا جرم حقا وقال الضحاك لا جرم لا كذب وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس لا جرم يقول بلى إن الذي لا جرم أنما تدعوني إليه يقول
- بصير بالعباد أي هو بصير بهم تعالى وتقدس فيهدي من يستحق الهداية ويضل من يستحق الإضلال وله الحجة البالغة والحكمة التامة والقدر النافذ. 44
- ونصحتكم ووضحت لكم وتذكرونه وتدمون حيث لا ينفعكم الندم وأفوض أمري إلى الله أي وأتوكل على الله وأستعينه وأقاطعكم وأباعدكم إن الله فستذكرون ما أقول لكم أي سوف تعلمون صدق ما أمرتكم به ونهيتمكم عنه
- الله تعالى مع موسى عليه الصلاة والسلام وأما في الآخرة فبالجنة وحاق بآل فرعون سوء العذاب وهو الغرق في اليم ثم النقلة منه إلى الجحيم. 45
- وقوله تبارك وتعالى فوقاه الله سيئات ما مكروا أي في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فنجاه
- الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله عز وجل إليه يوم القيامة أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك به. 46
- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أحكم إذا مات عرض عليه مقعده بالعدة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة كان يوم القيامة قال الله تعالى أدخلوا آل فرعون أشد العذاب قال وكانوا يقولون إنهم ستمائة وألف مقاتل وقال الإمام أحمد ثنا إسحاق ثنا مالك عن نافع أرياشها وصارت سوداء فينبت عليها من الليل ريش أبيض ويتناثر الأسود ثم تغدوا على النار غدوا وعشيا ثم ترجع إلى وكورها فذلك دأبهم في الدنيا فإذا سوداء قال وفطنتم إلى ذلك؟ قال نعم قال إن ذلك الطير في حواصلها أرواح آل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا فترجع إلى وكورها وقد احترفت وسأله رجل فقال رحمك الله رأينا طيورا تخرج من البحر تأخذ ناحية الغرب بيضا فوجا فوجا لا يعلم عددها إلا الله عز وجل فإذا كان العشي رجع مثلها مسنده عن زيد بن أحرم ثم قال: لا نعلم له إسنادا غير هذا. وقال ابن جرير ثنا عبد الكريم بن أبي عمير ثنا حماد بن محمد الفزاري البلخي قال سمعت الأوزاعي والصحة وأشبه ذلك قلنا فما إثابته في الآخرة؟ قال صلى الله عليه وسلم عذابا دون العذاب وقرأ أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ورواه البزار في أثابه الله تعالى قال قلنا يا رسول الله ما إثابة الله الكافر؟ فقال إن كان قد وصل رحما أو تصدق بصدقة أو عمل حسنة أثابه الله تبارك وتعالى المال والولد يقظان عن قيس بن مسلم عن طارق عن شهاب عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما أحسن محسن من مسلم أو كافر إلا المسومة يخبطون الحجارة والشجر ولا يعقلون وقال ابن أبي حاتم ثنا علي بن الحسين ثنا زيد بن أحرم ثنا عامر بن مدرك الحارثي ثنا عتبة يعني ابن الضخم مصفدون على سابلة آل فرعون وآل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب وآل فرعون كالإبل أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه ثم انطلق به إلى خلق كثير من خلق الله رجال كل رجل منهم بطنه مثل البيت الثوري عن أبي قيس عن أبي الهذيل ابن شريحيل من كلامه في أرواح آل فرعون وكذلك قال السدي. وفي حديث الإسراء من رواية أبي هارون العبدي عن

## تفسير ابن كثير

في الجنة حيث شاءت فتأوي إلى قناديل معلقة في العرش وإن أرواح آل فرعون في أجواف طيور سود تغدو على جهنم وتروح عليها فذلك عرضها وقد رواه مسعود رضي الله عنه قال: إن أرواح الشهداء في أجواف طيور خضر تسرح بهم في الجنة حيث شاءوا وإن أرواح ولدان المؤمنين في أجواف عصافير تسرح هم فيها اليوم يغدو بهم ويراح إلى أن تقوم الساعة. وقال ابن أبي حاتم ثنا أبو سعيد ثنا المحاربي ثنا ليث عن عبدالرحمن بن ثروان عن هذيل عن عبدالله بن جدا وقال قتادة في قوله تعالى غدوا وعشيا صباحا ومساء ما بقيت الدنيا يقال لهم يا آل فرعون هذه منازلكم توبيخا ونقمة وصغارا لهم. وقال ابن زيد اليهودية في هذا الخبر وقرر عليه وفي الأخبار المتقدمة أنه أنكر ذلك حتى جاءه الوحي فلعلهما قضيتان والله سبحانه أعلم وأحاديث عذاب القبر كثيرة رضي الله عنها: فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلي صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر. فهذا يدل على أنه بادر صلى الله عليه وسلم إلى تصديق من عذاب القبر فسألت عائشة رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر فقال صلى الله عليه وسلم نعم عذاب القبر حق قالت عائشة وقد روى البخاري من حديث شعبة عن أشعث عن ابن أبي الشعثاء عن أبيه عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها أن يهودية دخلت عليها فقالت نعوذ بالله ولا يلزم من ذلك أن يتصل في الأجساد في قبورها فلما أوحى إلى النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك بخصوصه استعاذ منه والله سبحانه وتعالى أعلم. مسلم عن هارون بن سعيد وحرمله كلاهما عن ابن وهب عن يونس بن يزيد الأيلي عن الزهري به. وقد يقال إن هذه الآية دلت على عذاب الأرواح في البرزخ الله عليه وسلم ألا أنكم تفتنون في القبور وقالت عائشة رضي الله عنها فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد يستعيز من عذاب القبر وهكذا رواه أنكم تفتنون في قبوركم؟ فارتاع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال إنما يفتن يهود قالت عائشة رضي الله عنها فلبثنا ليالي ثم قال رسول الله صلى بن عمر ثنا يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها امرأة من اليهود وهي تقول أشعرت يقال إن هذه الآية إنما دلت على عذاب الكفار في البرزخ ولا يلزم من ذلك أن يعذب المؤمن في قبره بذنب ومما يدل على ذلك ما رواه الإمام أحمد ثنا عثمان في القبور إذ قد يكون ذلك مختصا بالروح فأما حصول ذلك للجسد في البرزخ وتألمه بسببه فلم يدل عليه إلا السنة في الأحاديث المرضية الآتي ذكرها. وقد وفيها الدلالة على عذاب البرزخ؟ والجواب أن الآية دلت على عرض الأرواح على النار غدوا وعشيا في البرزخ وليس فيها دلالة على اتصال تألمها بأجسادها الله عنها ثم قال لنا رسول الله بعد ذلك وإنه أوحى إلي أنكم تفتنون في قبوركم وهذا أيضا على شرطهما. فيقال فما الجمع بين هذا وبين كون الآية مكية وقاك الله من عذاب القبر فأنكرت عائشة رضي الله عنها ذلك فلما رأت النبي صلى الله عليه وسلم قالت له: فقال صلى الله عليه وسلم لا قالت عائشة رضي البخاري ومسلم ولم يخرجاه. وروى أحمد ثنا يزيد ثنا سفيان عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت سألتها امرأة يهودية فأعطتها فقالت لها أيها الناس لو تعلمون ما أعلم بكيتم كثيرا وضحكتم قليلا أيها الناس استعيزوا بالله من عذاب القبر فإن عذاب القبر حق وهذا إسناد صحيح على شرط القيامة ثم مكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث فخرج ذات يوم نصف النهار مشتملا بثوبه محمرة عيناه وهو ينادي بأعلى صوته القبر كقطع الليل المظلم هذه اليهودية لا أصنع إليها شيئا من المعروف إلا قالت وقاك الله عذاب القبر قال: صلى الله عليه وسلم كذبت يهود وهم على الله أكذب لا عذاب دون يوم الله عنها فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم علي فقلت يا رسول الله هل للقبر عذاب قبل يوم القيامة؟ قال صلى الله عليه وسلم لا من زعم ذلك؟ قالت رضي الله عنها أن يهودية كانت تخدمها فلا تصنع عائشة رضي الله عنها إليها شيئا من المعروف إلا قالت لها اليهودية وقاك الله عذاب القبر قالت عائشة رضي القبر في البرزخ وقد قال الإمام أحمد ثنا هاشم هو ابن القاسم أبو النضر ثنا إسحاق بن سعيد هو ابن عمرو بن سعيد بن العاص ثنا سعيد يعني أباه عن عائشة وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور. ولكن هنا سؤال وهو أنه لا شك أن هذه الآية مكية وقد استدلو بها على عذاب الساعة فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار ولهذا قال ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب أي أشده ألما وأعظمه نكالا. قوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا فإن أرواحهم تعرض على النار صباحا ومساء إلى قيام

47. إنا كنا لكم تبعاً أي أظعنكم فيما دعوتونا إليه في الدنيا من الكفر والضلال فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار أي قسطاً تتحملونه عنا. 47. يخبر تعالى عن تحاج أهل النار في النار وتخاصمهم وفرعون وقومه من جملتهم فيقول الضعفاء وهم الأتباع للذين استكبروا وهم القادة والسادة والكبراء أي لا نتحمل عنكم شيئا كفى بنا ما عندنا وما حملنا من العذاب والنكال إن الله قد حكم بين العباد أي فقسم بيننا العذاب بقدر ما يستحقه كل منا. 48. قال الذين استكبروا إنا كل فيها

اخسئوا فيها ولا تكلمون سألو الخزنة وهم كالسجانين لأهل النار أن يدعوا لهم الله تعالى في أن يخفف عن الكافرين ولو يوما واحدا من العذاب. 49. لما علموا أن الله عز وجل لا يستجيب منهم ولا يستمع لدعائهم بل قد قال

من هذه الآثام والذنوب العظام فكيف كان عقاب أي فكيف بلغك عذابي لهم ونكالي بهم قد كان شديدا موجعا مؤلما قال قتادة كان شديدا والله. 5. أعان باطلا ليدحض به حقا فقد برئت منه ذمة الله تعالى وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم وقوله جلّت عظمته فأخذتهم أي أهلكتهم على ما صنعوا ثنا عارم أبو النعمان ثنا معتمر بن سليمان قال سمعت أبي يحدث عن حنش عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قتل رسوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق أي ما حلوا بالشبهة ليردوا الحق الواضح الجلي. وقد قال أبو القاسم الطبراني ثنا علي بن عبدالعزيز رسول بعثه الله ينهى عن عبادة الأوثان والأحزاب من بعدهم أي من كل أمة وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه أي حرصوا على قتله بكل ممكن ومنهم بأن له أسوة من سلف من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فإنه قد كذبهم أمهم وخالفوهم وما آمن بهم منهم إلا قليل فقال كذبت قبلهم قوم نوح وهو أول ثم قال تعالى مسلينا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم في تكذيب من كذبه من قومه

## تفسير ابن كثير

أنه سواء دعوتهم أو لم تدعوا لا يستجاب لكم ولا يخفف عنكم ولهذا قالوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال أي إلا في ذهاب لا يقبل ولا يستجاب. 50 في الدنيا على السنة الرسل قالوا بلى قالوا فادعوا أي أنتم لأنفسكم فنحن لا ندعو لكم ولا نسمع منكم ولا نود خلاصكم ونحن منكم براء ثم نخبركم قالت لهم الخزنة رادين عليهم أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات أي أو ما قامت عليكم الحجج

إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد أي يوم القيامة تكون النصرة أعظم وأكبر وأجل قال مجاهد: الأشهاد الملائكة. 51 والقرى والقلوب حتى انتشرت الدعوة المحمدية في مشارق الأرض ومغاربها ثم لا يزال هذا الدين قائما منصورا ظاهرا إلى قيام الساعة ولهذا قال تعالى فأقام الله تبارك وتعالى أصحابه خلفاء بعده فبلغوا عنه دين الله عز وجل ودعوا عباد الله تعالى إلى الله جل وعلا وفتحوا البلاد والرساتيق والأقاليم والمدائن فيه من الكفر والشرك وفتح له اليمن ودانت له جزيرة العرب بكاملها ودخل الناس في دين الله أفواجا ثم قبضه الله تعالى إليه لما له عنده من الكرامة العظيمة ثم من عليهم بأخذه الفداء منهم ثم بعد مدة قريبة فتح عليه مكة ففرت عينه ببلده وهو البلد المحرم الحرام المشرف المعظم فأنقذه الله تعالى به مما كان النبوة وجعل له فيها أنصارا وأعوانا ثم منحه أكتاف المشركين يوم بدر فنصره عليهم وخذلهم وقتل صناديدهم وأسر سراتهم فاستاقهم مقرنين في الأصفاد وأصحابه على من خالفه وناواه وكذبه وعاداه فجعل كلمته هي العليا ودينه هو الظاهر على سائر الأديان وأمره بالهجرة من بين ظهرائي قومه إلى المدينة بدمائهم ممن فعل ذلك بهم في الدنيا قال فكانت الأنبياء والمؤمنون يقتلون في الدنيا وهم منصورون فيها وهكذا نصر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وجل رسولا قط إلى قوم فيقتلونه أو قوما من المؤمنين يدعون إلى الحق فيقتلون فيذهب ذلك القرن حتى يبعث الله تبارك وتعالى لهم من ينصرهم فيطلب ممن كذب الرسل وخالف الحق وأنجى الله تعالى من بينهم المؤمنين فلم يهلك منهم أحدا وعذب الكافرين فلم يفلت منهم أحدا قال السدي لم يبعث الله عز الآخر إني لأتأثر لأولائي كما يثار لليث الحرب ولهذا أهلك الله عز وجل قوم نوح وعاد وثمود وأصحاب الرس وقوم لوط وأهل مدين وأشباهم وأضربهم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تبارك وتعالى من عادى لي وليا فقد بارزني بالحرب. وفي الحديث وهذه نصرة عظيمة وهذه سنة الله تعالى في خلقه في قديم الدهر وحديثه أنه ينصر عباده المؤمنين في الدنيا ويقر أعينهم ممن آذاهم. ففي صحيح البخاري عليه الصلاة والسلام إماما عادلا وحكما مقسطا فيقتل المسيح الدجال وجنوده من اليهود ويقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية فلا يقبل إلا الإسلام صلب المسيح عليه السلام من اليهود فسلط الله تعالى عليهم الروم فأهانوهم وأذلّوهم وأظهرهم الله تعالى عليهم ثم قبل يوم القيامة سينزل عيسى بن مريم كما فعل بقتلة يحيى وزكريا وشعيا سلط عليهم من أعدائهم من أهانهم وسفك دماءهم وقد ذكر أن النمرود أخذ الله تعالى أخذ عزيز مقتدر وأما الذين راموا والمراد به البعض قال وهذا سائغ في اللغة الثاني أن يكون المراد بالنصر الانتصار لهم ممن آذاهم وسواء كان ذلك بحضرتهم أو في غيبتهم أو بعد موتهم خرج من بين أظهرهم إما مهاجرا كإبراهيم وإما إلى السماء كعيسى فأين النصرة في الدنيا؟ ثم أجاب عن ذلك بجوابين أحدهما أن يكون الخبر خرج عاما لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا سؤالا فقال قد علم أن بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قتله قومه بالكلية كيحيى وزكريا وشعيا ومنهم من قد أورد أبو جعفر ابن جرير رحمه الله تعالى عند قوله تعالى إنا

سوء الدار وهي النار قاله السدي بنس المنزل والمقيل وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما ولهم سوء الدار أي سوء العاقبة. 52 به يوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين وهم المشركون معذرتهم أي لا يقبل منهم عذر ولا فدية ولهم اللعنة أي الإبعاد والطرده من الرحمة ولهم قوله تعالى يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم بدل من قوله ويوم يقوم الأشهاد وقرأ آخرون يوم بالرفع كأنه فسرهم

وأمواله وحواسله وأرضه بما صبروا على طاعة الله تبارك وتعالى واتباع رسوله موسى عليه الصلاة والسلام وفي الكتاب الذي أورثوه وهو التوراة. 53 تعالى ولقد آتينا موسى الهدى وهو ما بعثه الله عز وجل به من الهدى والنور وأورثنا بني إسرائيل الكتاب أي جعلنا لهم العاقبة وأورثناهم بلاد فرعون وقوله

وهي العقول الصحيحة السليمة. 54

لذنبك هذا تهيبج للأمة على الاستغفار وسبح بحمد ربك بالعشي أي في أواخر النهار وأوائل الليل والإبكار وهي أوائل النهار وأواخر الليل. 55 أنا سنعلي كلمتك ونجعل العاقبة لك ولمن اتبعك والله لا يخلف الميعاد وهذا الذي أخبرناك به حق لا مرية فيه ولا شك وقوله تبارك وتعالى واستغفر قوله عز وجل فاصبر أي يا محمد إن وعد الله حق أي وعدناك

وجل فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير وهذا قول غريب وفيه تعسف بعيد وإن كان قد رواه ابن أبي حاتم في كتابه والله سبحانه وتعالى أعلم. 56 العالية وذلك أنهم ادعوا أن الدجال منهم وأنهم يملكون به الأرض فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم أمرا له أن يستعيز من فتنة الدجال ولهذا قال عز جرير وقال كعب وأبو العالية نزلت هذه الآية في اليهود إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه قال أبو هو المرفوع وقولهم وقصدهم هو الموضوع فاستعذ بالله أي من حال مثل هؤلاء أو من شر مثل هؤلاء المجادلين في آيات الله بغير سلطان هذا تفسير ابن كبر ما هم ببالغيه أي ما في صدورهم إلا كبر على اتباع الحق واحتقار لمن جاءهم به وليس ما يرومونه من إخماد الحق وإعلاء الباطل بحاصل لهم بل الحق في آيات الله بغير سلطان أتاهم أي يدفعون الحق بالباطل ويردون الحجج الصحيحة بالشبه الفاسدة بلا برهان ولا حجة من الله إن في صدورهم إلا وقوله تعالى إن الذين يجادلون

## تفسير ابن كثير

كما كان كثير من العرب يعترفون بأن الله تعالى خلق السماوات والأرض وينكرون المعاد استبعادا وكفرا وعنادا وقد اعترفوا بما هو أولى مما أنكروا. 57  
إنه على كل شيء قدير وقال ههنا لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون فلهذا لا يتدبرون هذه الحجة ولا يتأملونها  
قادر على ما دونه بطريق الأولى والأخرى كما قال تعالى أو لم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى  
على أنه يعيد الخلق يوم القيامة وأن ذلك سهل عليه يسير لديه بأنه خلق السماوات والأرض وخلقهما أكبر من خلق الناس بدأة وإعادة فمن قدر على ذلك فهو  
يقول تعالى منبها

ما انتهى إليه بصره بل بينهما فرق عظيم كذلك لا يستوي المؤمنون الأبرار والكفرة الفجار قليلا ما تتذكرون أي ما أقل ما يتذكر كثير من الناس. 58  
أي كما لا يستوي الأعمى الذي لا يبصر شيئا والبصير الذي يرى

ثنا أشهب حدثنا مالك عن شيخ قديم من أهل اليمن قدم من ثم قال سمعت أن الساعة إذا دنت اشتد البلاء على الناس واشتد حر الشمس والله أعلم. 59  
أي لكائنة وواقعة لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون أي لا يصدقون بها بل يكذبون بوجودها. قال ابن أبي حاتم ثنا محمد بن عبدالله بن عبد الحكم  
ثم قال تعالى إن الساعة لأتية

كذلك حقت على المكذبين من هؤلاء الذين كذبوك وخالفوك يا محمد بطريق الأولى والأخرى لأن من كذبك فلا وثوق له بتصديق غيرك والله أعلم. 6  
أي كما حقت كلمة العذاب على الذين كفروا من الأمم السالفة

لشيء من سخطك يرضي غيرك قال وهيب وهذه الطامة الكبرى قال فنأدبته أجنبي أنت أم إنسي؟ قال بل إنسي أشغل نفسك بما يعنيك عما لا يعنيك. 60  
عجبت لمن عرفك كيف يطلب حوائجه إلى أحد غيرك قال ثم ذهبت ثم جاءت الطامة الكبرى قال ثم عاد الثانية فقال يا رب عجبت لمن عرفك كيف يتعرض  
حدثني رجل قال كنت أسير ذات يوم في أرض الروم فسمعت هاتفا من فوق رأس جبل وهو يقول: يا رب عجبت لمن عرفك كيف يرجو أحدا غيرك يا رب  
الخبال عصارة أهل النار. وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أبو بكر بن محمد بن يزيد بن خنيس قال سمعت أبي يحدث عن وهيب بن الورد  
المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الناس يعلوهم كل شيء من الصغار حتى يدخلوا سجننا في جهنم يقال له بولس تعلوهم نار الأنبياء يسقون من طينة  
حقيرين كما قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد عن ابن عجلان حدثني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحشر  
بها صاحبها سعادة لا يخسر بعدها أبدا وقوله عز وجل إن الذين يستكبرون عن عبادتي أي عن دعائي وتوحيدي سيدخلون جهنم داخرين أي صاغرين  
بسم الله الرحمن الرحيم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن لربكم في بقية أيام دهركم نفحات فتعرضوا له لعل دعوة أن توافق رحمة فيسعد  
حدثنا إبراهيم بن الحسن حدثنا نائل بن نجيع حدثني عائد بن حبيب عن محمد بن سعيد قال لما مات محمد بن مسلمة الأنصاري وجدنا في ذؤابة سيفه كتابا  
الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يسأل الله يغضب عليه. وقال الحافظ أبو محمد الحسن بن عبدالرحمن الزاهر مزي حدثنا همام  
وأما أبو صالح هذا فهو الخوزي سكن شعب الخوز قاله البزار في مسنده وكذا وقع في روايته أبو المليح الفارسي عن أبي صالح الخوزي عن أبي هريرة رضي  
هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لا يسأله يغضب عليه قال ابن معين أبو المليح هذا اسمه: صبيح كذا قيده بالضم عبد الغني بن سعيد  
وجل غضب عليه تفرد به أحمد وهذا إسناد لا بأس به وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا مروان الفزاري حدثنا صبيح أبو المليح سمعت أبا صالح يحدث عن أبي  
المدينة سمعه عن أبي صالح وقال مرة سمعت أبا صالح يحدث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يدع الله عز  
منصور عن ذر به ورواه ابن حبان والحاكم في صحيحهما وقال الحاكم صحيح الإسناد. وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثني أبو صالح المدني شيخ من أهل  
حديث شعبة عن منصور والأعمش كلاهما عن ذر به وكذا رواه ابن يونس عن أسيد بن عاصم بن مهران حدثنا النعمان بن عبد السلام حدثنا سفيان الثوري عن  
وابن ماجة وابن أبي حاتم وابن جرير كلهم من حديث الأعمش به وقال الترمذي حسن ورواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن جرير أيضا من  
الدعاء هو العبادة ثم قرأ ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وهكذا رواه أصحاب السنن الترمذي والنسائي  
وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن ذر عن يسيع الكندي عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن  
وأما التي لك علي فما عملت من خير جزيتك به وأما التي بيني وبينك فمنك الدعاء وعلي الإجابة وأما التي بينك وبين عبادي فأرض لهم ما ترضى لنفسك.  
ربه عز وجل قال أربع خصال واحدة منهن لي وواحدة لك وواحدة فيما بيني وبينك وواحدة فيما بينك وبين عبادي فأما التي لي فتعبدني لا تشرك بي شيئا  
حدثنا أبو إبراهيم الترمذاني حدثنا صالح المدني قال سمعت الحسن يحدث عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن  
له ادعني أستجب لك وقال لهذه الأمة ادعوني أستجب لكم رواه ابن أبي حاتم. وقال الإمام الحافظ أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي في مسنده  
شاهد على أمتك وجعلكم شهداء على الناس وكان يقال له ليس عليك في الدين من حرج وقال لهذه الأمة وما جعل عليكم في الدين من حرج وكان يقال  
تركت سؤاله وبني آدم حين يسأل بغضب وقال قتادة: قال كعب الأحبار أعطيت هذه الأمة ثلاثا لم تعطهن أمة قبلها إلا نبي: كان إذا أرسل الله نبيا قال له أنت  
من سأله فأكثر سؤاله ويا من أبغض عباده إليه من لم يسأله وليس أحد كذلك غيرك يا رب. رواه ابن أبي حاتم وفي هذا المعنى يقول الشاعر: الله يغضب إن  
هذا من فضله تبارك وتعالى وكرمه أنه ندب عباده إلى دعائه وتكفل لهم بالإجابة كما كان سفيان الثوري يقول يا من أحب عباده إليه

فيه بالأسفار وقطع الأقطار والتمكن من الصناعات إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون أي لا يقومون بشكر نعم الله عليهم. 61

## تفسير ابن كثير

تعالى ممتنا على خلقه بما جعل لهم من الليل الذي يسكنون فيه ويستريحون من حركات ترددهم في المعاش بالنهار وجعل النهار مبصرا أي مضيئا ليتصرفوا يقول

الأحد خالق الأشياء الذي لا إله غيره ولا رب سواه فأنى تؤفكون أي فكيف تعبدون غيره من الأصنام التي لا تخلق شيئا بل هي مخلوقة منحوته. 62 قال عز وجل ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو أي الذي فعل هذه الأشياء هو الله الواحد أي كما ضل هؤلاء بعبادة غير الله كذلك أفك الذين من قبلهم فعبدوا غيره بلا دليل ولا برهان بل بمجرد الجهل والهوى ووجدوا حجج الله وآياته. 63 أناداد وأنتم تعلمون. وقال تعالى ههنا بعد خلق هذه الأشياء ذلكم الله ربكم فبارك الله رب العالمين أي فتعالى وتقدس وتنزه رب العالمين كلهم. 64 ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله الطيبات أي من المأكول والمشرب في الدنيا فذكر أنه خلق الدار والسكان والأرزاق فهو الخالق الرازق كما قال تعالى في سورة البقرة يا أيها الناس اعبدوا والسماء بناء أي سقفا للعالم محفوظا وصوركم فأحسن صوركم أي فخلقكم في أحسن الأشكال ومنحكم أكمل الصور في أحسن تقويم ورزقكم من الله الذي جعل لكم الأرض قرارا أي جعلها لكم مستقرا بساطا مهادا تعيشون عليها وتتصرفون فيها وتمشون في مناكبها وأرساها بالجبال لئلا تميد بكم قوله تعالى

عن أبي الزبير عن عبد الله بن الزبير قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دبر كل صلاة لا إله إلا الله وحده لا شريك له وذكر تمامه. 65 الله صلى الله عليه وسلم يهل بهن دبر كل صلاة ورواه مسلم وأبو داود والنسائي من طرق عن هشام بن عروة وحجاج بن أبي عثمان وموسى بن عقبة ثلاثتهم لا حول ولا قوة إلا بالله لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون قال وكان رسول بن تدرس المكي قال كان عبد الله بن الزبير يقول في دبر كل صلاة حين يسلم لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين. قال الإمام أحمد حدثنا ابن نمير حدثنا هشام يعني ابن عروة بن الزبير عن أبي الزبير محمد بن مسلم بن أبي خالد عن سعيد بن جبير قال إذا قرأت فادعوا الله مخلصين له الدين فقل لا إله إلا الله وقل على أثرها الحمد لله رب العالمين ثم قرأ هذه الآية إله إلا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين وذلك قوله تعالى فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين. وقال أبو أسامة وغيره عن إسماعيل العالمين عملا بهذه الآية. ثم روى عن محمد بن علي بن الحسين بن شقيق عن أبيه عن الحسين بن واقد عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال: من قال لا أي موحدين له مفرين بأنه لا إله إلا هو الحمد لله رب العالمين. قال ابن جرير: كان جماعة من أهل العلم يأمرؤن من قال لا إله إلا الله أن يتبعها بالحمد لله رب إله إلا هو أي هو الحي أزلا وأبدا لم يزل ولا يزال وهو الأول والآخر والظاهر والباطن لا إله إلا هو أي لا نظير له ولا عدل له فادعوه مخلصين له الدين قال تعالى هو الحي لا

محمد لهؤلاء المشركين إن الله عز وجل ينهى أن يعبد أحد سواه من الأصنام والأنداد والأوثان وقد بين تبارك وتعالى أنه لا يستحق العبادة أحد سواه. 66 يقول تبارك وتعالى قل يا

لنبيين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى وقال عز وجل ههنا ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون قال ابن جريج تتذكرون البعث. 67 من يتوفى من قبل أي من قبل أن يوجد ويخرج إلى هذا العالم بل تسقطه أمه سقطا ومنهم من يتوفى صغيرا وشابا وكهلا قبل الشيخوخة كقوله تعالى طغلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا أي هو الذي يقلبكم في هذه الأطوار كلها وحده لا شريك له وعن أمره وتدبيره وتقديره يكون ذلك كله ومنكم في قوله جلت عظمتة هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم

ويميت أي هو المنفرد بذلك لا يقدر على ذلك أحد سواه فإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون أي لا يخالف ولا يمانع بل ما شاء كان لا محالة. 68 قال تعالى هو الذي يحيى

يقول تعالى ألا تعجب يا محمد من هؤلاء المكذبين بآيات الله ويجادلون في الحق بالباطل كيف تصرف عقولهم عن الهدى إلى الضلال. 69 كانوا فيه واتبعوا ما أمرتهم به من فعل الخيرات وترك المنكرات وقهم عذاب الجحيم أي وزحزحهم عن عذاب الجحيم وهو العذاب الموجه الأليم. 7 وعلمك محيط بجميع أعمالهم وأقوالهم وحركاتهم وسكناتهم فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك أي فاصفح عن المسيئين إذا تابوا وأنبأوا وأقلعوا عما وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك ولهذا يقولون إذا استغفروا للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما أي رحمتك تسع ذنوبهم وخطاياهم شهر ابن حوشب رضي الله عنه حملة العرش ثمانية أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وأربعة يقولون سبحانك اللهم فوق ذلك. ثم رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة من حديث سماك بن حرب به وقال الترمذي حسن غريب وهذا يقتضي أن حملة العرش ثمانية كما قال ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهن وربكهن مثل ما بين سماء إلى سماء ثم على ظهورهن العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ثم الله تبارك وتعالى أو ثلاث وسبعون سنة ثم السماء فوقها كذلك حتى عد سبع سموات ثم فوق السماء السابعة بحر ما بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ثم فوق قالوا والعنان قال أبو داود ولم أتقن العنان جيدا قال هل تدرون بعد ما بين السماء والأرض؟ قالوا لا ندري قال بعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتان فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فمرت بهم سحابة فنظر إليها فقال ما تسمون هذه؟ قالوا السحاب قال والمزن قالوا والمزن قال والعنان

## تفسير ابن كثير

البزار ثنا الوليد بن أبي ثور عن سماك عن عبد الله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: كنت بالبطحاء في عصابة فوقهم يومئذ ثمانية وهنا سؤال وهو أن يقال ما الجمع بين المفهوم من هذه الآية ودلالة هذا الحديث؟ وبين الحديث الذي رواه أبو داود ثنا محمد بن الصباح صلى الله عليه وسلم صدق وهذا إسناد جيد وهو يقتضي أن حملة العرش اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة كانوا ثمانية كما قال تعالى ويحمل عرش ربك صلى الله عليه وسلم صدق فقال: والشمس تطلع كل آخر ليلة حمراء يصبح لونها يتورد تأبى فما تطلع لنا في رسلها إلا معذبة وإلا تجلد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق أمية بن أبي الصلت في شيء من شعره فقال: زحل وثور تحت رجل يمينه والنسر للأخرى وليث مرصد فقال رسول الله بن محمد هو ابن شيبه حدثنا عبيدة بن سليمان عن محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عتبة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول المؤمن لأخيه بظهر الغيب كما ثبت في صحيح مسلم إذا دعا المسلم لأخيه بظهر الغيب قال الملك آمين ولك بمثله وقد قال الإمام أحمد حدثنا عبد الله آمن بالغيب فقيض الله تعالى ملائكته المقربين أن يدعوا للمؤمنين بظهر الغيب ولما كان هذا من سجايا الملائكة عليهم الصلاة والسلام كانوا يؤمنون على دعاء نفي النقائص والتحميد المقتضي لإثبات صفات المدح ويؤمنون به أي خاشعون له أذلاء بين يديه وأنهم يستغفرون للذين آمنوا أي من أهل الأرض ممن يخبر تعالى عن الملائكة المقربين من حملة العرش الأربعة ومن حوله من الملائكة الكروبيين بأنهم يسبحون بحمد ربهم أي يقرنون بين التسبيح الدال على به رسلنا أي من الهدى والبيان فسوف يعلمون هذا تهديد شديد ووعيد أكيد من الرب جل جلاله لهؤلاء كما قال تعالى ويل يومئذ للمكذبين. 70 الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا

أي متصلة بالأغلال بأيدي الزبانية يسحبونهم على وجوههم تارة إلى الحميم وتارة إلى الجحيم. 71

بها سحاب الدنيا فيقول نسأل بارد الشراب فتمطرهم أغلالا تزيد في أغلالهم وسلاسل تزيد في سلاسلهم وجمرا يلهب النار عليهم هذا حديث غريب. 72 رفع الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينشئ الله عز وجل سحابة لأهل النار سوداء مظلمة ويقال يا أهل النار أي شيء تطلبون؟ فيذكرون بهم قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أحمد بن منيع حدثنا منصور بن عمار حدثنا بشير بن طلحة الخزاعي عن خالد بن دريك عن يعلى بن منبه من عذاب الحميم ذق إنك أنت العزيز الكريم إن هذا ما كنتم به تمترون أي يقال لهم ذلك على وجه التقريع والتوبيخ والتحقيق والتصغير والتهكم والاستهزاء نزلهم يوم الدين وقال عز وجل إن شجرة الزقوم طعام الأثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم ثم صبوا فوق رأسه ولا كريم إلى أن قال ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالتون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم هذا أكلهم الزقوم وشربهم الحميم ثم إن مرجعهم إلى الجحيم وقال عز وجل وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون كما قال تبارك وتعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن وقال تعالى بعد ذكر قال تعالى

قوله تعالى ثم قيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله أي قيل لهم أين الأصنام التي كنتم تعبدونها من دون الله هل ينصرونكم اليوم. 73

أي جحدوا عبادتهم كقوله جلّت عظمتهم ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ولهذا قال عز وجل كذلك يضل الله الكافرين. 74 قالوا ضلوا عنا أي ذهبوا فلم ينفعونا بل لم نكن ندعو من قبل شيئا

أي تقول لهم الملائكة هذا الذي أنتم فيه جزاء على فرحكم في الدنيا بغير الحق ومرحكم وأشركم وبطركم. 75

أي فبئس المنزل والمقيل الذي فيه الهوان والعذاب الشديد لمن استكبر عن آيات الله واتباع دلائله وحججه والله أعلم. 76

عليه مكة وسائر جزيرة العرب في حياته صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل أو نتوفينك فإلينا يرجعون أي فنذيقهم العذاب الشديد في الآخرة. 77 في الدنيا والآخرة فإما نرينك بعض الذي نعدهم أي في الدنيا وكذلك وقع فإن الله تعالى أقر أعينهم من كبرائهم وعظماهم أبيدوا في يوم بدر ثم فتح الله صلى الله عليه وسلم بالصبر على تكذيب من كذبه من قومه فإن الله تعالى سينجز لك ما وعدك من النصر والظفر على قومك وجعل العاقبة لك ولمن اتبعك يقول تعالى أمرا رسوله

جاء أمر الله وهو عذابه ونكاله المحيط بالمكذبين قضى بالحق فينجي المؤمنين ويهلك الكافرين ولهذا قال عز وجل وخسر هنالك المبطلون. 78 أن يأتي بأية إلا بإذن الله أي ولم يكن لواحد من الرسل أن يأتي قومه بخارق للعادات إلا أن يأذن الله له في ذلك فيدل ذلك على صدقه فيما جاءهم به فإذا من لم نقصص عليك وهم أكثر ممن ذكر بأضعاف أضعاف كما تقدم التنبيه على ذلك في سورة النساء والله الحمد والمنة. وقوله تعالى وما كان لرسول عليك كما قال جل وعلا في سورة النساء سواء أي منهم من أوحينا إليك خبرهم وقصصهم مع قومهم كيف كذبوهم ثم كانت للرسول العاقبة والنصرة ومنهم قال تعالى مسليا له ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا

يقول تعالى ممتنا على عباده بما خلق لهم من الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون. 79

تبارك وتعالى إنك أنت العزيز الحكيم أي الذي لا يمانع ولا يغالب وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن الحكيم في أقوالك وأفعالك من شرعك وقدرك. 80 عبد الله بن الشخير أنصح عباد الله للمؤمنين الملائكة ثم تلا هذه الآية ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم الآية وأغش عباد الله للمؤمنين الشياطين. وقوله



## تفسير ابن كثير

- ثم تلا سعيد بن جبير هذه الآية ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم قال مطرف بن إن المؤمن إذا دخل الجنة سأل عن أبيه وابنه وأخيه أين هم؟ فيقال إنهم لم يبلغوا طبقتك في العمل فيقول إني إنما عملت لي ولهم فيلحقون به في الدرجة بين الكل في المنزل لتقر أعينهم وما نقصنا العالي حتى يساوي الداني بل رفعنا ناقص العمل فساوينا به كثير العمل تفضلا منا ومنة. وقال سعيد بن جبير بالاجتماع في منازل متجاورة كما قال تبارك وتعالى والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء أي ساوينا أي اجمع بينهم وبينهم لتقر بذلك أعينهم
- النحل وغير ذلك ولذا قال عز وجل ههنا لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون. 80 ويشرب لبنها والجميع تجزأ أصوافها وأشعارها وأوبارها فيتخذ منها الأثاث والثياب والأمتعة كما فصل وبين في أماكن تقدم ذكرها في سورة الأنعام وسورة وتؤكل وتحلب ويحمل عليها الأثقال في الأسفار والرحال إلى البلاد النائية والأقطار الشاسعة والبقرة تؤكل ويشرب لبنها وتحثر الأرض والغنم تؤكل للإبل تركب
- وبريكم آياته أي حججه وبراهينه في الآفاق وفي أنفسكم فأى آيات الله تنكرون أي لا تقدرون على إنكار شيء من آياته إلا أن تعاندوا وتكابروا. 81 قوله جل وعلا
- وماذا حل بهم من العذاب الشديد مع شدة قواهم وما أثروه في الأرض وجمعوه من الأموال فما أغنى عنهم ذلك شيئا ولا رد عنهم ذرة من بأس الله. 82 يخبر تعالى عن الأمم المكذبة بالرسول في قديم الدهر
- من العلم بجهالتهم فأتاهم من بأس الله تعالى ما لا قبل لهم به وحاك بهم أي أحاط بهم ما كانوا به يستهزون أي يكذبون ويستبعدون وقوعه. 83 عليهم واستغنوا بما عندهم من العلم في زعمهم عما جاءتهم به الرسل قال مجاهد قالوا نحن أعلم منهم لن نبعث ولن نعذب وقال السدي فرحوا بما عندهم وذلك لأنهم لما جاءتهم الرسل بالبينات والحجج القاطعات والبراهين الدامغات لم يلتفتوا إليهم ولا أقبلوا
- فلم يقبل الله منه لأنه قد استجاب لنبيه موسى عليه الصلاة والسلام دعاءه عليه حين قال واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم. 84 حين أدركه الغرق أمنت أنه لا إله إلا الذي أمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين قال الله تبارك تعالى الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين أي آما بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين أي وحدوا الله عز وجل وكفروا بالطاغوت ولكن حيث لا تقال العثرات ولا تنفع المعذرة وهذا كما قال فرعون فلما رأوا بأسنا أي عاينوا وقوع العذاب بهم قالوا
- الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرر أي فإذا غرر وبلغت الروح الحنجرة وعاین الملك فلا توبة حينئذ ولهذا قال تعالى وخسر هنالك الكافرون. 85 ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده أي هذا حكم الله في جميع من تاب عند معارضة العذاب أنه لا يقبل ولهذا جاء في الحديث إن قال تعالى فلم يك
- فعلها أو وبالها ممن وقعت منه ومن تق السيئات يومئذ أي يوم القيامة فقد رحمته أي لطف به ونجيته من العقوبة وذلك هو الفوز العظيم. 9 وقهم السيئات أي

## سورة 41

- السجدة و هل أتى على الإنسان وقال سفيان الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أنه قال: ألم وحم والمص وص. فواتح افتتح الله بها القرآن. 1 سبويه أنه نص عليه ويعتضد لهذا بما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة الم في معناها فقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم إنما هي أسماء السور. قال العلامة أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري في تفسيره وعليه إطباق الأكثر ونقل عن وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم أجمعين وقاله عامر الشعبي وسفيان الثوري والربيع بن خيثم واختاره أبو حاتم بن حبان. ومنهم من فسرها واختلف هؤلاء المقطعة التي في أوائل السور فمنهم من قال هي مما استأثر الله بعلمه فردوا علمها إلى الله ولم يفسرها حكاه القرطبي في تفسيره عن أبي بكر وعمر وعثمان قد اختلف المفسرون في الحروف
- حاجة إلى رزق أو حاجة فإن الله تعالى قدر له ما هو محتاج إليه وهذا القول يشبه ما ذكره في قوله تعالى وآتاكم من كل ما سألتموه والله أعلم. 10 في قوله تعالى سواء للسائلين أي لمن أراد السؤال عن ذلك وقال ابن زيد معناه وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين أي على وفق مراده من له وجل وقدر فيها أقواتها وجعل في كل أرض مالا يصلح في غيرها ومنه العصب باليمن والسابوري بسابور والطيلة بالري وقال ابن عباس وقتادة والسدي والأربعة فهما مع اليومين السابقين أربعة ولهذا قال في أربعة أيام سواء للسائلين أي لمن أراد السؤال عن ذلك ليعلمه وقال عكرمة ومجاهد في قوله عز فيها أي جعلها مباركة قابلة للخير والبذر والغراس وقدر فيها أقواتها وهو ما يحتاج أهلها إليه من الأرزاق والأماكن التي تزرع وتغرس يعني يوم الثلاثاء وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك

## تفسير ابن كثير

بذلك هو مكان الكعبة ومن السماء ما يسامته منها والله أعلم وقال الحسن البصري لو أبيا عليه أمره لعذبهما عذابا يجدان ألمه ورواه ابن أبي حاتم. 11  
الملائكة والجن والإنس جميعا مطيعين لك حكاه ابن جرير عن بعض أهل العربية قال وقيل تنزيلا لهن معاملة من يعقل بكلامهما وقيل إن المتكلم من الأرض شقيقي أنهارك وأخرجني ثمارك قالتا أتينا طائعين واختاره ابن جرير رحمه الله قالتا أتينا طائعين أي بل نستجيب لك مطيعين بما فينا مما تريد خلقه من عن ابن عباس في قوله تعالى فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قال: قال الله تبارك وتعالى للسموات أطلعي شمسي وقمرى ونجومى وقال للأرض فقال. لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها أي استجيبيا لأمرى وانفعلا لفعلي طائعتين أو مكرهتين قال الثوري عن ابن جريج عن سليمان بن موسى عن مجاهد وقوله تبارك وتعالى ثم استوى إلى السماء وهي دخان وهو بخار الماء المتصاعد منه حين خلقت الأرض

ابن جريج به وهو من غرائب الصحيح وقد علله البخاري في التاريخ فقال رواه بعضهم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن كعب الأحبار وهو الأصح. 12  
آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة فيما بين العصر إلى الليل فقد رواه مسلم والنسائي في كتابيهما من حديث يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الإثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق إسماعيل بن أمية عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق الله التربة فنزل ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون هذا الحديث فيه غرابة فأما حديث ابن جريج عن ثم قالت اليهود ثم ماذا يا محمد قال ثم استوى على العرش قالوا قد أصبت لو أتممت قالوا: ثم استراح فغضب النبي صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا بقيت منه وفي الثانية ألقى الآفة على كل شيء مما ينتفع به الناس وفي الثالثة آدم وأسكنه الجنة وأمر إبليس بالسجود له وأخرجه منها في آخر ساعة فيها أقاتها في أربعة أيام سواء للسائلين لمن سأله قال وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات والخراب فهذه أربعة قل أنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيهم رواصي من فوقها وبارك فيها وقدر وسلم خلق الله تعالى الأرض يوم الأحد ويوم الإثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران عكرمة عن ابن عباس قال هناد قرأت سائر الحديث أن اليهود أتت النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السموات والأرض فقال صلى الله عليه وسلم قد عز كل شيء فغلبه وقهره العليم بجميع حركات المخلوقات وسكناتهم قال ابن جرير حدثنا هناد بن السري حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي سعيد البقال عن وهي الكواكب المنيرة المشرقة على أهل الأرض وحفظا أي حرسا من الشياطين أن تستمع إلى الملائكة الأعلى ذلك تقدير العزيز العليم أي العزيز الذي في كل سماء أمرها أي ورتب مقرر في كل سماء ما تحتاج إليه من الملائكة وما فيها من الأشياء التي لا يعلمها إلا هو وزينا السماء الدنيا بمصابيح فضاءهن سبع سموات في يومين أي ففرغ من تسويتهن سبع سموات في يومين أي آخرين وهما يوم الخميس ويوم الجمعة وأوحى

أنذركم حلول نعمة الله بكم كما حلت بالأمم الماضية من المكذبين بالمرسلين صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود أي ومن شاكلهما ممن فعل كفعلهما. 13  
يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بما جنتهم به من الحق إن أعرضتم عما جنتكم به من عند الله تعالى فإني

شاء ربنا لأنزل ملائكة أي لو أرسل الله رسلا لكانوا ملائكة من عنده فإنا بما أرسلتم به أي أيها البشر كافرون أي لا نتبعكم وأنتم بشر مثلنا. 14  
لا شريك له ومبشرين ومنذرين ورأوا ما أحل الله بأعدائه من النقم وما ألبس أوليائه من النعم ومع هذا ما آمنوا ولا صدقوا بل كذبوا وجحدوا وقالوا لو أخاص عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه أي في القرى المجاورة لبلادهم بعث الله إليهم الرسل يأمرهم بعبادة الله وحده إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم كقوله تعالى واذكر

فيها قواها الحاملة لها وإن بطشه شديد كما قال عز وجل والسماء بنيناها بأيد وإننا لموسعون فبارزوا الجبار بالعداوة وجحدوا بآياته وعصوا رسله. 15  
يمنتعون بها من بأس الله أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة أي أفما يتفكرون فيمن يبارزون بالعداوة فإنه العظيم الذي خلق الأشياء وركب قال الله تعالى فأما عاد فاستكبروا في الأرض أي بغوا وعصوا وقالوا من أشد منا قوة أي منوا بشدة تركيبيهم وقواهم واعتقدوا أنهم

أخزى أي أشد خزيا لهم وهم لا ينصرون أي في الأخرى كما لم ينصروا في الدنيا وما كان لهم من الله من واق يقيهم العذاب ويدراً عنهم النكال. 16  
ليال وثمانية أيام حسوما حتى أبادهم عن آخرهم واتصل بهم خزي الدنيا بعذاب الآخرة ولهذا قال لنذيقنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أي متتابعات سبع ليال وثمانية أيام حسوما وكقوله في يوم نحس مستمر أي ابتدءوا بهذا العذاب في يوم نحس عليهم واستمر بهم هذا النحس سبع صرصر عاتية أي باردة شديدة وكانت ذات صوت مزعج ومنه سمي النهر المشهور ببلاد المشرق صرصر لقوة صوت جريه. وقوله تعالى في أيام نحسات أنها متصفة بجميع ذلك فإنها كانت ريحا شديدة قوية لتكون عقوبتهم من جنس ما اغتروا به من قواهم وكانت باردة شديدة البرد جدا كقوله تعالى بريح قال تعالى فأرسلنا عليهم ريح صرصر قال بعضهم وهي الشديدة الهبوب وقيل الباردة وقيل هي التي لها صوت والحق

نبههم فأخذتهم صاعقة العذاب الهون أي بعث الله عليهم صيحة ورجفة وذلا وهوانا وعذابا ونكالا بما كانوا يكسبون أي من التكذيب والجحود. 17  
بصرناهم وبيننا لهم ووضحنا لهم الحق على لسان نبيهم صالح عليه الصلاة والسلام فخالفوه وكذبوه وعقروا ناقة الله تعالى التي جعلها آية وعلامة على صدق قال ابن عباس رضي الله عنهما وأبو العالية وسعيد بن جبير وقتادة والسدي وابن زيد: بينا لهم وقال الثوري دعوناهم فاستحبوا العمى على الهدى أي وقوله عز وجل وأما ثمود فهديناهم

## تفسير ابن كثير

أي من بين أظهرهم لم يمسهم سوء ولا نالهم من ذلك ضرر بل نجاهم الله تعالى مع نبهم صالح عليه الصلاة والسلام بإيمانهم وبتقواهم لله عز وجل. 18 ونجينا الذين آمنوا

المشركين يوم يحشرون إلى النار يوزعون أي تجمع الزبانية أولهم على آخرهم كما قال تبارك وتعالى ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا أي عطاشا. 19 يقول تعالى يوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون أي اذكر لهؤلاء

الرحمن الرحيم كقوله قل نزل به روح القدس من ربك بالحق وقوله وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين. 2 يعني القرآن منزل من

إذا ما جاءوها أي وقفوا عليها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون أي بأعمالهم مما قدموه وأخروه لا يكتف منه حرف. 20 قوله عز وجل حتى

لضعيفهم من شديدهم هذا حديث غريب من هذا الوجه ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الأحوال حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا يحيى بن سليم به. 21 بما كانوا يكسبون فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غدا؟ قال يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقت صدقت كيف يقدس الله قوما لا يؤخذ فخرت على ركبتيها فأنكسرت قلتها فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت سوف تعلم يا غدر إذا وضع الله الكرسي وجمع الأولين والآخرين وتكلمت الأيدي والأرجل رسول الله بينما نحن جلوس إذ مرت علينا عجوز من عجائز رهبانهم تحمل على رأسها قلة من ماء فمرت بفتى منهم فجعل إحدى يديه بين كتفيها ثم دفعها الله عنهما قال لما رجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرة البحر قال ألا تحدثون بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة؟ فقال فتية منهم بلى يا عن إعادته ههنا. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سويد بن سعيد حدثنا يحيى بن سليم الطائفي عن أبي خيثم عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله رضي فعلنا وقد تقدم أحاديث كثيرة وآثار عند قوله تعالى في سورة يس اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون بما أغنى في فمه حتى يملأه فلا يستطيع أن ينطق بكلمة ثم يقول لأرأيه كلها تكلمي واشهدي عليه فيشهد عليه سمعه وبصره وجلده وفرجه ويده وأرجلاه صنعنا عملنا ابن المبارك حدثنا صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير الحضرمي عن رافع أبي الحسن قال وصف رجلا جحد قال فيشير الله تعالى إلى لسانه فيربو أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون فتقر الأسنة بعد الجحود. وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبدة بن سليمان حدثنا الله تعالى عليهم حين يجحدون شهداء من أنفسهم جلودهم وأبصارهم وأيديهم وأرجلهم ويختم على أفواههم ثم يفتح لهم الأفواه فتخاضع الجوارح فتقول حين لا ينطقون ولا يعتذرون ولا يتكلمون حتى يؤذن لهم ثم يؤذن لهم فيختصمون فيجحد الجاحد بشركه بالله تعالى فيحلفون له كما يحلفون لكم فيبعث سمعت أبي يقول حدثنا علي بن زيد عن مسلم بن صبيح أبي الضحى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لابن الأزرق إن يوم القيامة يأتي على الناس منه ثم يصمتهم الله تعالى وتشهد عليهم ألسنتهم ويدخلهم النار وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن إبراهيم حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال القيامة عرف الكافر بعمله فجحد وخاصم فيقول هؤلاء جيرانك يشهدون عليك فيقول أهلك وعشيرتك فيقول كذبوا فيقول احلفوا فيحلفون يعلى حدثنا زهير حدثنا حسن بن علي حدثنا حسن بن علي الليث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا كان يوم فيقول لا وعزتك أي رب ما عملته قال فإذا فعل ذلك ختم على فيه قال الأشعري رضي الله عنه فإني لأحسب أول ما ينطق منه فخذة اليمين. وقال الحافظ أبو فيعرض عليه ربه عز وجل عمله فيجحد ويقول أي رب وعزتك لقد كتب علي هذا الملك ما لم أعمل فيقول له الملك أما عملت كذا في يوم كذا في مكان كذا؟ أبي حدثنا أحمد بن إبراهيم حدثنا إسماعيل ابن علي عن يونس بن عبيد عن حميد بن هلال قال: قال أبو بردة قال أبو موسى: ويدعى الكافر والمنافق للحساب عبد الرحمن الأشعري. عن الثوري به ثم قال النسائي لا أعلم أحدا رواه عن الثوري غير الأشعري وليس كما قال كما رأيت والله أعلم. وقال ابن أبي حاتم حدثنا الشعبي ثم قال لا نعلم رواه عن أنس رضي الله عنه غير الشعبي وقد أخرجه مسلم والنسائي جميعا عن أبي بكر بن أبي النضر عن أبي النضر عن عبيد الله بن فيقول بعدا لكم وسحقا عنكن كنت أجادل ثم رواه هو وابن أبي حاتم من حديث أبي عامر الأسدي عن الثوري عن عبيد المكتب عن فضيل بن عمرو عن فيقول الله تبارك وتعالى أو ليس كفى بي شهيدا وبالملائكة الكرام الكاتبين؟ قال فيردد هذا الكلام مرارا قال فيختم على فيه وتكلم أركانه بما كان يعمل الله عليه وسلم عجت من مجادلة العبد ربه يوم القيامة يقول أي ربي أليس وعدتني أن لا تظلمني؟ قال بلى فيقول فإني لا أقبل علي شاهدا إلا من نفسي صلى الله عليه وسلم ذات يوم وتبسم فقال صلى الله عليه وسلم ألا تسألوني عن أي شيء ضحكت؟ قالوا يا رسول الله من أي شيء ضحكت؟ قال صلى بكر البزار حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا علي بن قادم حدثنا شريك عن عبيد المكتب عن الشعبي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال ضحك رسول الله عليهم فعند ذلك أجابتهم الأعضاء قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة أي فهو لا يخالف ولا يمانع وإليه ترجعون. قال الحافظ أبو وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا أي لاموا أعضاءهم وجلودهم حين شهدوا

يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم قال إنكم تدعون يوم القيامة مفدما على أفواهكم بالفدام فأول شيء يبين عن أحدكم فخذة وكفه. 22 سخبرة عن ابن مسعود رضي الله عنه به وقال عبدالرزاق حدثنا معمر عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى أن عن وهب بن ربيعة عن عبدالله بن مسعود بنحوه ورواه البخاري ومسلم أيضا من حديث السفينين كلاهما عن منصور عن مجاهد عن أبي معمر عبدالله بن وهكذا رواه الترمذي عن هناد عن أبي معاوية بإسناده نحوه وأخرجه أحمد ومسلم والترمذي أيضا من حديث سفينان الثوري عن الأعمش عن عمارة بن عمير

## تفسير ابن كثير

ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم إلى قوله من الخاسرين أترون أن الله يسمع كلامنا هذا؟ فقال الآخر إنا إذا رفعنا أصواتنا سمعه وإذا لم نرفعه لم يسمعه فقال الآخر إن سمع منه شيئا سمعه كله قال فذكرت بأستار الكعبة فجاء ثلاثة نفر قرشي وختناه ثقفيان أو ثقفوي وختناه قرشيان كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم فتكلموا بكلام لم أسمعه فقال أحدهما خسرتم أنفسكم وأهلكم. قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن عمار عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله رضي الله عنه قال كنت مستترا هذا الظن الفاسد وهو اعتقادكم أن الله تعالى لا يعلم كثيرا مما تعملون هو الذي أتلّفكم وأرداكم عند ربكم فأصبحتم من الخاسرين أي في مواقف القيامة لأنكم كنتم لا تعتقدون أنه يعلم جميع أفعالكم ولهذا قال تعالى ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وذلك ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم أي الأعضاء والجلود حين يلومونها على الشهادة عليهم ما كنتم تكتمون منا الذي كنتم تفعلونه بل كنتم تجهرون الله بالكفر والمعاصي ولا تبالون منه في زعمكم وقوله تعالى وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم أي تقول لهم

إلا وهو يحسن بالله الظن فإن قوما قد أرداهم سوء ظنهم بالله فقال الله تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين. 23 بن إسماعيل القاص وهو أبو المغيرة حدثنا ابن أبي ليلى عن ابن الزبير عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموتن أحد منكم وتعالى وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم إلى قوله وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم الآية. وقال الإمام أحمد حدثنا النضر عمل الناس على قدر ظنونهم بربهم فأما المؤمن فأحسن الظن بربه فأحسن العمل وأما الكافر والمنافق فأساء الظن بالله فأساء العمل ثم قال: قال الله تبارك ثم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى أنا مع عبدي عند ظنه بي وأنا معه إذا دعاني ثم افتر الحسن ينظر في هذا فقال: ألا إنما قال معمر: وتلا الحسن وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم

وهذا كقوله تعالى إخبارا عنهم قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون قال اخسئوا فيها ولا تكلمون. 24 يستعجبوا ويبدوا أعذارا فما لهم أعذار ولا تقال لهم عثرات. قال ابن جرير: ومعنى قوله تعالى وإن يستعجبوا أي يسألوا الرجعة إلى الدنيا فلا جواب لهم قال أي سواء عليهم صبروا أم لم يصبروا هم في النار لا محيد لهم عنها ولا خروج لهم منها وإن طلبوا أن

القول أي كلمة العذاب كما حق على أمم قد خلت من قبلهم ممن فعل كفعلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين أي استووا هم في الخسار والدمار. 25 كما قال تعالى ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقیض له شیطانا فهو له قرين وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون. وقوله تعالى وحق عليهم من شياطين الإنس والجن فزینوا لهم ما بین أيديهم وما خلفهم أي حسنوا لهم أعمالهم في الماضي وبالنسبة إلى المستقبل فلم يروا أنفسهم إلا محسنين يذكر تعالى أنه هو الذي أضل المشركين وأن ذلك بمشيئته وكونه وقدرته وهو الحكيم في أفعاله بما قبض لهم من القرآن

عند سماع القرآن وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بخلاف ذلك فقال تعالى وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون. 26 الضحاك عن ابن عباس والغوا فيه عيبه وقال قتادة اجحدوا به وأنكروه وعادوه لعلكم تغلبون هذا حال هؤلاء الجاهلة من الكفار ومن سلك مسلكهم لا تسمعوا له كما قال مجاهد والغوا فيه يعني بالمكاء والصفير والتخليط في المنطق على رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ القرآن قريبش تفعله وقال قوله تعالى وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن أي تواصلوا فيما بينهم أن لا يطيعوا للقرآن ولا ينقادوا لأوامره والغوا فيه أي إذا تلي

الذين كفروا عذابا شديدا أي في مقابلة ما اعتمدوه في القرآن وعند سماعه ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون أي بشر أعمالهم وسيء أفعالهم. 27 ثم قال عز وجل منتصرا للقرآن ومنتقما ممن عاداه من أهل الكفران فلنذيقن

أي بشر أعمالهم وسيء أفعالهم. 28

يستحقه من العذاب والنكال بحسب عمله وإفساده كما قال تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون. 29 كما تقدم في الأعراف في سؤال الأتباع من الله تعالى أن يعذب قاداتهم أضعاف عذابهم قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون أي أنه تعالى قد أعطى كلا منهم ما سن القتل. وقولهم نجعلهما تحت أقدامنا أي أسفل منا في العذاب ليكونا أشد عذابا منا ولهذا قالوا ليكونا من الأسفلين أي في الدرك الأسفل من النار فإبليس الداعي إلى كل شر من شرك فما دونه وابن آدم الأول كما ثبت في الحديث ما قتلت نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من روى العوفي عن علي رضي الله عنه مثل ذلك وقال السدي عن علي رضي الله عنه فإبليس يدعو به كل صاحب شرك وابن آدم يدعو به كل صاحب كبيرة عن سلمة بن كهيل عن مالك بن الحصين الفزاري عن أبيه عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى الذين أضلنا قال إبليس وابن آدم الذي قتل أخاه وهكذا قال سفيان الثوري

لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وقوله تعالى لقوم يعلمون أي إنما يعرف هذا البيان والوضوح العلماء الراسخون. 30 واضحا فمعانيه مفصلة وألفاظه واضحة غير مشككة كقوله تعالى كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير أي هو معجز من حيث لفظه ومعناه قوله تبارك وتعالى كتاب فصلت آياته أي بينت معانيه وأحكمت أحكامه قرآنا عربيا أي في حال كونه قرآنا عربيا بينا

في الدنيا وقال زيد بن أسلم يبشرونه عند موته وفي قبره وحين يبعث رواه ابن أبي حاتم وهذا القول يجمع الأقوال كلها وهو حسن جدا وهو الواقع. 30 توعدون قال فيؤمن الله تعالى خوفه ويقر عينه فما عظمة يخشى الناس يوم القيامة إلا هي للمؤمن قرة عين لما هداه الله تبارك وتعالى ولما كان يعمل له

## تفسير ابن كثير

فقال بلغنا أن العبد المؤمن حين يبعثه الله تعالى من قبره يتلقاه الملكان اللذان كانا معه في الدنيا فيقولان له لا تخف ولا تحزن وأبشروا بالجنة التي كنتم السلام بن مطهر حدثنا جعفر بن سليمان قال سمعت ثابتاً قرأ سورة حم السجدة حتى بلغ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة فوقف غير غضبان وقيل إن الملائكة تتنزل عليهم يوم خروجهم من قبورهم حكاه ابن جرير عن ابن عباس والسدي. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة حدثنا عبد حديث البراء رضي الله عنه قال إن الملائكة تقول لروح المؤمن اخرجي أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب كنت تعمريه اخرجي إلى روح وريحان ورب من أمر الدنيا من ولد وأهل ومال أو دين فإننا نخلفكم فيه وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون فيبشرونهم بذهاب الشر وحصول الخير وهذا كما جاء في بن أسلم وابنه يعني عند الموت قائلين أن لا تخافوا قال مجاهد وعكرمة وزيد بن أسلم أي مما تقدمون عليه من أمر الآخرة ولا تحزنوا على ما خلفتموه عنه أحداً بعدك قال صلى الله عليه وسلم قل آمنت بالله ثم استقم وذكر تمام الحديث. وقوله تعالى تتنزل عليهم الملائكة قال مجاهد والسدي وزيد أخرجه مسلم في صحيحه والنسائي من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم بطرف لسان نفسه ثم قال هذا وهكذا رواه الترمذي وابن ماجه من حديث الزهري به وقال الترمذي حسن صحيح. وقد الثقفي قال: قلت يا رسول الله حدثني بأمر اعتصم به قال صلى الله عليه وسلم قل ربي الله ثم استقم قلت يا رسول الله ما أكثر ما تخاف علي؟ فأخذ يعلى بن عطاء به. ثم قال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا إبراهيم بن سعد حدثني ابن شهاب عن عبد الرحمن بن ماعز الغامدي عن سفيان بن عبد الله في الإسلام لا أسأل عنه أحداً بعدك قال صلى الله عليه وسلم قل آمنت بالله ثم استقم قلت فما أتقى؟ فأوماً إلى لسانه. ورواه النسائي من حديث شعبة عن أخلصوا له الدين والعمل. وقال الإمام أحمد حدثنا هشيم حدثنا يعلى بن عطاء عن عبد الله بن سفيان الثقفي عن أبيه أن رجلاً قال يا رسول الله مرني بأمر قالوا ربنا الله ثم استقاموا على أداء فرائضه وكذا قال قتادة قال وكان الحسن يقول اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة وقال أبو العالية ثم استقاموا عمر رضي الله عنه هذه الآية على المنبر ثم قال استقاموا والله لله بطاعته ولم يروغوا روغان الثعالب وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما الله عنهما أي آية في كتاب الله تبارك وتعالى أرخص؟ قال قوله تعالى إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله وقال الزهري: تلا والسدي وغير واحد وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبد الله الظهراني أخبرنا حفص بن عمر العقدي عن الحكم بن أبان عن عكرمة قال سئل ابن عباس رضي فقالوا ربنا الله ثم استقاموا من ذنب فقال لقد حملتموه على غير المحمل قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلم يلتفتوا إلى إله غيره. وكذا قال مجاهد وعكرمة بالله شيئاً ثم روى من حديث الأسود بن هلال قال: قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه ما تقولون في هذه الآية إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال عامر بن سعيد عن سعيد بن عمران قال: قرأت عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه هذه الآية إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال هم الذين لم يشركوا عن سلم بن قتيبة به. وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن الفلاس به ثم قال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن أبي إسحاق عن استقاموا قد قالها ناس ثم كفر أكثرهم فمن قالها حتى يموت فقد استقام عليها وكذا رواه النسائي في تفسيره والبخاري وابن جرير عن عمرو بن علي الفلاس ثنا سهيل بن أبي حازم حدثنا ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية إن الذين قالوا ربنا الله ثم أي أخلصوا العمل لله وعملوا بطاعة الله تعالى على ما شرع الله لهم قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا الجراح حدثنا سلم بن قتيبة أبو قتيبة الشيعري يقول تعالى إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا

أي في الجنة من جميع ما تختارون مما تشتهي النفوس وتقر به العيون ولكم فيها ما تدعون أي مهما طلبتم وجدتم وحضر بين أيديكم كما اخترتم. 31 في القبور وعند النفخة في الصور ونؤمنكم يوم البعث والنشور ونجاوز بكم الصراط المستقيم ونوصلكم إلى جنات النعيم ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم عند الاحتضار نحن كنا أولياءكم أي قرناءكم في الحياة الدنيا نسددكم ونوفقكم ونحفظكم بأمر الله وكذلك نكون معكم في الآخرة نؤنس منكم الوحشة قوله تبارك وتعالى نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة أي تقول الملائكة للمؤمنين

جاءه بما هو صائر إليه من الشر أو ما يلقى من الشر فكره لقاء الله فكره الله لقاءه وهذا حديث صحيح وقد ورد في الصحيح من غير هذا الوجه. 32 إذا حضر جاءه البشير من الله تعالى بما هو صائر إليه فليس شيء أحب إليه من أن يكون قد لقي الله تعالى فأحب الله لقاءه قال وإن الفاجر أو الكافر إذا حضر لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه قلنا يا رسول الله كلنا نكره الموت قال صلى الله عليه وسلم ليس ذلك كراهية الموت ولكن المؤمن لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وقال الإمام أحمد حدثنا ابن أبي عدي عن حميد عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب الترمذي في صفة الجنة من جامع عن محمد بن إسماعيل عن هشام بن عمار ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار به نحوه ثم قال الترمذي هذا حديث غريب لقد جئت وإن بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه فيقول إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار تبارك وتعالى وبحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا به. وقد رواه ينقضي آخر حديثه حتى يتمثل عليه أحسن منه وذلك لأنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيهل ثم ننصرف إلى منازلنا فيتلقانا أزواجنا فيقبلن مرحبا وأهلا بحبيبتنا وفي ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضاً قال فيقبل الرجل ذو المنزل الرفيعة فيلقى من هو دونه وما فيهم دنيء فيروعه ما يرى عليه من اللباس فما سوقاً قد حفت به الملائكة فيها ما لم تنظر العيون إلى مثله ولم تسمع الآذان ولم يخطر على القلوب قال فيحمل لنا ما اشتبهنا ليس يباع فيه شيء ولا يشتري فوقهم فأمرت عليهم طيباً لم يجدوا مثل ريحه شيئاً قط قال ثم يقول ربنا عز وجل قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة وخذوا ما اشتهيتم قال فنأتي يذكره ببعض غدراته في الدنيا فيقول أي رب أفلم تغفر لي؟ فيقول بلى فبسعة مغفرتي بلغت منزلتك هذه قال فبينما هم على ذلك غشيتهم سحابة من في رؤية ربكم تعالى ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره الله محاضرة حتى إنه ليقول للرجل منهم يا فلان بن فلان أتذكر يوم عملت كذا وكذا

## تفسير ابن كثير

الله وهل نرى ربنا؟ قال صلى الله عليه وسلم نعم هل تمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر؟ فلنا لا: قال صلى الله عليه وسلم فكذلك لا تتمارون ويجلس أذنهم وما فيهم دنيء على كتابان المسك والكافور ما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلسا قال أبو هريرة رضي الله عنه قلت يا رسول الله عرشه ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة ويوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من ياقوت ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة الله صلى الله عليه وسلم أن أهل الجنة إذا دخلوا فيها نزلوا بفضل أعمالهم فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون الله عز وجل ويبرز لهم أبا هريرة رضي الله عنه فقال أبو هريرة رضي الله عنه أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة فقال سعيد أو فيها سوق؟ فقال نعم أخبرني رسول فقال حدثنا أبي ثنا هشام بن عمار ثنا عبد الحميد بن حبيب بن أبي العشرين أبي سعيد حدثنا الأوزاعي حدثني حسان بن عطية عن سعيد بن المسيب أنه لقي وستر ورحم ولطف وقد ذكر ابن أبي حاتم ههنا حديث سوق الجنة عند قوله تعالى ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم أي ضيافة وعطاء وإنعاما من غفور لذنوبكم رحيم بكم رؤوف حيث غفر

الأرض إلى الله أجاب الله في دعوته ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته وعمل صالحا في إجابته وقال إنني من المسلمين هذا خليفة الله. 33 ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين فقال هذا حبيب الله هذا ولي الله هذا صفوة الله هذا خيرة الله هذا أحب أهل على بلال رضي الله عنه فإنه أئدى صوتا كما هو مقرر في موضعه فالصحيح إذن أنها عامة كما قال عبد الرزاق عن معمر عن الحسن البصري أنه تلا هذه الآية إنما شرع بالمدينة بعد الهجرة حين أريه عبدالله بن عبد ربه الأنصاري رضي الله عنه . في منامه فقصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمره أن يلقيه عن قتادة عن أنس به والصحيح أن الآية عامة في المؤمنين وفي غيرهم فأما حال نزول هذه الآية فإنه لم يكن الأذان مشروعاً بالكلية لأنها مكية والأذان ورواه أبو داود والترمذي والنسائي في اليوم والليلة كلهم من حديث الثوري به وقال الترمذي هذا حديث حسن ورواه النسائي أيضاً من حديث سليمان التيمي أبي إياس معاوية بن قرة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال الثوري لا أراه إلا قد رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة بين كل أذانين صلاة ثم قال في الثالثة لمن شاء وقد أخرجه الجماعة في كتبهم من حديث عبدالله بن بريدة عنه وحديث الثوري عن زيد العمي عن وعمل صالحا يعني صلاة ركعتين بين الأذان والإقامة ثم أورد البغوي حديث عبدالله بن المغفل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الله وهكذا قال ابن عمر رضي الله عنهما وعكرمة إنها نزلت في المؤمنين وقد ذكر البغوي عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أنه قال في قوله عز وجل الله تعالى عنها ولهم هذه الآية ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين قالت فهو المؤذن إذا قال حي على الصلاة فقد دعا كلا يا عمر إنه سيأتي على الناس زمان يتركون الأذان على ضعفائهم وتلك لحوم حرمها الله عز وجل على النار لحوم المؤمنين قال: وقالت عائشة رضي النهار سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اغفر للمؤمنين ثلاثاً قال: فقلت يا رسول الله تركتنا ونحن نجتلد على الأذان بالسيوف قال مؤذناً ما باليت أن لا أحج ولا أعتمر ولا أجاهد قال وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو كنت مؤذناً لكمل أمري وما باليت أن لا أنتصب لقيام الليل ولا لصيام عند الله تعالى يوم القيامة كسهام المجاهدين وهو بين الأذان والإقامة كالمتمشطح في سبيل الله تعالى في دمه. قال: وقال ابن مسعود رضي الله عنه لو كنت الهروي حدثنا غسان قاضي هراة وقال أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن طهمان عن مطر عن الحسن بن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال قال سهام المؤمنين وفي السنن مرفوعاً الإمام ضامن والمؤمن مؤتمن فأرشد الله الأئمة وغفر للمؤمنين وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن عروة بن سيرين والسدي وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم وقيل المراد بها المؤمنون الصالحاء كما ثبت في صحيح مسلم المؤمنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى وهذه عامة في كل من دعا إلى خير وهو في نفسه مهتد ورسول الله صلى الله عليه وسلم أولى الناس بذلك كما قال محمد بما يقوله فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومتعد وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه وينهون عن المنكر ويأتونه بل يأتهم بالخير ويترك الشر ويدعو يقول عز وجل ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله أي دعا عباد الله إليه وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين أي وهو في نفسه مهتد إليك قاداته تلك الحسنة إليه إلى مصافاتك ومحبتك والحنو عليك حتى يصير كأنه ولي لك حميم أي قريب إليك من الشفقة عليك والإحسان إليك. 34 عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه. وقوله عز وجل فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وهو الصديق أي إذا أحسنت إلى من أساء الحسنة ولا السيئة أي فرق عظيم بين هذه وهذه ادفع بالتتي هي أحسن أي من أساء إليك فادفعه عنك بالإحسان إليه كما قال عمر رضي الله عنه: ما قوله تعالى ولا تستوي

الله المؤمنين بالصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الإساءة فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم. 35 على النفوس وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم أي ذو نصيب وافر من السعادة في الدنيا والآخرة قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير هذه الآية: أمر قال عز وجل وما يلقاها إلا الذين صبروا أي وما يقبل هذه الوصية ويعمل بها إلا من صبر على ذلك فإنه يشق

سورة المؤمنين عند قوله ادفع بالتتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون وقل رب أعوذ بك من هزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون. 36 إلا في سورة الأعراف عند قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم وفي عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه وقد قدمنا أن هذا المقام لا نظير له في القرآن الجن فإنه لا حيلة فيه إذا وسوس إلا الاستعاذة بخالقه الذي سلطه عليك فإذا استعذت بالله والتجأت إليه كفه عنك ورد كيده وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له لا تنزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله أي أن شيطان الإنس ربما ينخدع بالإحسان إليه فأما شيطان

## تفسير ابن كثير

للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون أي ولا تشركوا به فما تنفعكم عبادتكم له مع عبادتكم لغيره فإنه لا يغفر أن يشرك به. 37  
كان الشمس والقمر أحسن الأجرام المشاهدة في العالم العلوي والسفلي نبه تعالى على أنهما مخلوقان عبدان من عبيده تحت قهره وتسخيره فقال لا تسجدوا  
في سماءه ليعرف باختلاف سيره وسير الشمس مقادير الليل والنهار والجمع والشهور والأعوام ويتبين بذلك حلول الحقوق وأوقات العبادات والمعاملات ثم لما  
والقمر أي أنه خلق الليل بظلامه والنهار بضياءه وهما متعاقبان لا يفتران والشمس ونورها وإشراقها والقمر وضياؤه وتقدير منازلها في فلكه واختلاف سيره  
يقول تعالى منبها خلقه على قدرته العظيمة وأنه الذي لا نظير له وأنه على ما يشاء قادر ومن آياته الليل والنهار والشمس

الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الليل ولا النهار ولا الشمس ولا القمر ولا الرياح فإنها ترسل رحمة لقوم وعذابا لقوم. 38  
هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا سفيان يعني ابن وكيع حدثنا أبي عن ابن أبي ليلى عن أبي الزبير عن جابر رضي  
إفراد العبادة له وأبوا إلا أن يشركوا معه غيره فالذين عند ربك يعني الملائكة يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون كقوله عز وجل فإن يكفر بها  
فإن استكبروا أي عن

هى ميتة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت أي أخرجت من جميع ألوان الزروع والثمار إن الذي أحيهاها لمحيى الموتى إنه على كل شيء قدير. 39  
ومن آياته أي على قدرته على إعادة الموتى أنك ترى الأرض خاشعة أي هامدة لا نبات فيها بل  
ونذيرا أي تارة يبشر المؤمنين وتارة ينذر الكافرين فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون أي أكثر قريش فهم لا يفهمون منه شيئا مع بيانه ووضوحه. 4  
بشيرا

مجاهد والضحاك وعطاء الخراساني اعملوا ما شئتم وعيد: أي من خير أو شر إنه عليم بكم وبصير بأعمالكم ولهذا قال إنه بما تعملون بصير. 40  
قال تعالى أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة أي أيسوي هذا وهذا؟ لا يستويان. ثم قال عز وجل تهديدا للكفرة اعملوا ما شئتم قال  
عز وجل لا يخفون علينا فيه تهديد شديد ووعد أكيد أي أنه تعالى عالم بمن يلحد في آياته وأسمائه وصفاته وسيجزيه على ذلك بالعقوبة والنكال ولهذا  
إن الذين يلحدون في آياتنا قال ابن عباس: الإلحاد وضع الكلام على غير مواضعه وقال قتادة وغيره هو الكفر والعناد. وقوله

إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم قال الضحاك والسدي وقاتلة وهو القرآن وإنه لكتاب عزيز أي منيع الجنب لا يرام أن يأتي أحد بمثله. 41  
قال تنزيل من حكيم حميد أي حكيم في أقواله وأفعاله حميد بمعنى محمود أي في جميع ما يأمر به وينهى عنه الجميع محمود عواقبه وغاياته. 42  
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أي ليس للبطلان إليه سبيل لأنه منزل من رب العالمين ولهذا

هذه الآية إن ربك لذو مغفرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه ما هنا أحد العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل أحد. 43  
كفره وطغيانه وعناده وشقاقه ومخالفته. قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال نزلت  
لك وهذا اختيار ابن جرير ولم يحك هو ولا ابن أبي حاتم غيره. وقوله تعالى إن ربك لذو مغفرة أي لمن تاب إليه وذو عقاب أليم أي لمن استمر على  
قتادة والسدي وغيرهما ما يقال لك من التكذيب إلا كما قد قيل للرسول من قبلك فكما كذبت كذبوا وكما صبروا على أذى قومهم لهم فأصبر أنت على أذى قومك  
ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسول من قبلك قال

عنه لم تلبى؟ هل رأيت أحدا أو دعاك أحد؟ فقال دعاني داع من وراء البحر فقال عمر رضي الله عنه أولئك ينادون من مكان بعيد رواه ابن أبي حاتم. 44  
يوم القيامة بأشنع أسمائهم. وقال السدي كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه جالسا عند رجل من المسلمين يقضي إذ قال يا لبيكاه فقال له عمر رضي الله  
يفهمون ما يقول قلت وهذا كقوله تعالى ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون وقال الضحاك ينادون  
يزيد الظالمين إلا خسارا أولئك ينادون من مكان بعيد قال مجاهد يعني بعيد من قلوبهم قال ابن جرير معناه كأن من يخاطبهم يناديهم من مكان بعيد لا  
أي لا يفهمون ما فيه وهو عليهم عمى أي لا يهتدون إلى ما فيه من البيان كما قال سبحانه وتعالى ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا  
للذين آمنوا هدى وشفاء أي قل يا محمد هذا القرآن لمن آمن به هدى لقلبه وشفاء لما في الصدور من الشكوك والريب والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر  
هذا قول الحسن البصري وكان يقرؤها كذلك بلا استفهام في قوله أعجمي وهو رواية عن سعيد بن جبير وهو فى التعنت والعناد أبلغ ثم قال عز وجل قل هو  
ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والسدي وغيرهم وقيل المراد بقولهم لولا فصلت آياته أعجمي وعربي أي هل ينزل بعضها بالأعجمي وبعضها بالعربي؟  
هلا أنزل مفصلا بلغة العرب ولأنكروا ذلك فقالوا أعجمي وعربي أي كيف ينزل كلام أعجمي على مخاطب عربي لا يفهمه؟ هكذا روي هذا المعنى عن ابن عباس  
الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين كذلك لو أنزل القرآن كله بلغة العجم لقالوا على وجه التعنت والعناد لولا فصلت آياته أعجمي وعربي أي لقالوا  
وفصاحته وبلاغته وإحكامه في لفظه ومعناه ومع هذا لم يؤمن به المشركون نبه على أن كفرهم به كفر عناد وتعنت كما قال عز وجل ولو نزلناه على بعض  
لما ذكر تعالى القرآن

وما كان تكذيبهم له عن بصيرة منهم لما قالوا بل كانوا شاكين فيما قالوه غير محققين لشيء كانوا فيه. هكذا وجهه ابن جرير وهو محتمل والله أعلم. 45  
أجل مسمى بتأخير الحساب إلى يوم المعاد لقضي بينهم أي لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موثقا وإنهم لفي شك منه مريب أي  
ولقد أتينا موسى الكتاب فاختلف فيه أي كذب وأوذي فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولولا كلمة سبقت من ربك إلى

## تفسير ابن كثير

أي إنما يرجع وبال ذلك عليه وما ربك بظلام للعبيد أي لا يعاقب أحدا إلا بذنبه ولا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه وإرسال الرسول إليه. 46  
من عمل صالحا فلنفسه أي إنما يعود نفع ذلك على نفسه ومن أساء فعليها

على رءوس الخلائق أين شركائي الذين عبدتموهم معي قالوا أذنك أي أعلمناك ما منا من شهيد أي ليس أحد منا يشهد اليوم أن معك شريكا. 47  
يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير. وقوله جل وعلا ويوم يناديهم أين شركائي أي يوم القيامة ينادي الله المشركين  
وما تسقط من ورقة إلا يعلمها وقال جلّت عظمتها يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار وقال تعالى وما  
من ثمرات من أكمائها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه أي الجميع بعلمه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء وقد قال سبحانه وتعالى  
فقال ما المسئول عنها بأعلم من السائل وكما قال عز وجل إلى ربك منتهاها وقال جل جلاله لا يحليها لوقتها إلا هو وقوله تبارك وتعالى وما تخرج  
أي لا يعلم ذلك أحد سواه كما قال محمد صلى الله عليه وسلم وهو سيد البشر لجبريل عليه الصلاة والسلام وهو من سادات الملائكة حين سألته عن الساعة  
إليه يرد علم الساعة

بمعنى اليقين ما لهم من محيص أي لا محيد لهم عن عذاب الله كقوله تعالى ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا. 48  
وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل أي ذهبوا فلم ينفعوهم وظنوا ما لهم من محيص أي وظن المشركون يوم القيامة وهذا  
دعاء ربه بالخير وهو المال وصحة الجسم وغير ذلك وإن مسه الشر وهو البلاء أو الفقر فيئوس قنوط أي يقع في ذهنه أنه لا يتهيأ له بعد هذا خير. 49  
يقول تعالى لا يمل الإنسان من

عزكم وكنتم أسعد الناس به قالوا سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه؟ قال هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم وهذا السياق أشبه من الذي قبله والله أعلم. 5  
خلوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه  
ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال ورأيتني سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط والله ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها لي  
أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس إليهم قالوا  
عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يستمع منه حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة منها فسجد ثم قال قد سمعت يا  
آبائه قرأنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وهو يقرؤها عليه فلما سمع  
يستمتع منه قال أفرغت يا أبا الوليد؟ قال نعم. قال فاستمع مني قال أفعّل. قال بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت  
الأطباء وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئكم منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوي منه أو كما قال له حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم  
تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك وإن كنت تريد به ملكا ملكتناك علينا وإن كان هذا الذي يأتيك رثيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك  
الله عليه وسلم فل يا أبا الوليد أسمع قال يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وإن كنت  
أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آباؤهم فاسمع مني أعرض عليك أمورا ننظر فيها لعلك تقبل منها بعضها قال: فقال له رسول الله صلى  
عليه وسلم فقال: يا ابن أخي إنك منا حيث علمت من السطة في العشيرة. والمكان في النسب وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به  
ورأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيّدون ويكثرّون فقالوا بلى يا أبا الوليد فقم إليه فكلّمه فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله  
يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلّمه وأعرض عليه أمورا لعله أن يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء وكيف عنا؟ وذلك حين أسلم حمزة رضي الله عنه  
القرظي قال: حدثت أن عتبة بن ربيعة وكان سيّدا قال يوما وهو جالس في نادي قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحده  
والله تعالى أعلم وقد أورد هذه القصة الإمام محمد ابن إسحاق بن يسار في كتاب السيرة على خلاف هذا النمط فقال حدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب  
بفيه وناشدته بالرحم أن يكف وقد علمت أن محمدا إذا قال شيئا لم يكذب فخشيت أن ينزل بك العذاب وهذا السياق أشبه من سياق البزار وأبي يعلى  
القصة فأجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر وقرأ السورة إلى قوله تعالى فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسكت  
لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد فغضب عتبة وأقسم أن لا يكلم محمدا أبدا وقال والله لقد علمتم أني من أكثر قريش مالا ولكني أتيتهم وقصصت عليه  
إلا من حاجة أصابته فإنطلقوا بنا إليه فإنطلقوا إليه فقال أبو جهل يا عتبة ما حبسك عنا إلا أنك صبت إلى محمد وأعجبك طعامه فإن كانت بك حاجة جمعنا  
بالرحم ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش واحتبس عنهم فقال أبو جهل يا معشر قريش والله ما نرى عتبة إلا قد صبا إلى محمد وأعجبه طعامه وما ذاك  
حرمة عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه فذكر الحديث إلى قوله فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك عتبة على فيه وناشده  
مثله سواء وقد ساقه البغوي في تفسيره بسنده عن محمد بن فضيل عن الأجلح وهو ابن عبد الله الكندي الكوفي وقد ضعف بعض الشيء عن الزيال بن  
لا تدري ما قال؟ قال لا والله ما فهمت شيئا مما قال غير ذكر الصاعقة. وهكذا رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده عن أبي بكر بن أبي شيبة بإسناده  
كلمته قالوا فهل أجابك؟ قال نعم لا والذي نصه بنية ما فهمت شيئا مما قاله غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود قالوا ويلك يكلمك الرجل بالعربية  
عتبة حسبك حسبك عندك غير هذا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا فرجع إلى قريش فقالوا ما وراءك؟ قال ما تركت شيئا أرى أنكم تكلمون به إلا  
صلّى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم حتى بلغ فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فقال  
قريش رجلا واحدا وإن كان بك الباءة فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرغت؟ قال نعم فقال رسول الله



## تفسیر ابن کثیر

كانها والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى أيها الرجل إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى رأينا سخلة قط أشأم على قومك منك فرقت جماعتنا وشتت أمرنا وعبت ديننا وفضحتنا في العرب حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحرا وأن في قريش الله صلى الله عليه وسلم فقال إن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك إنا والله ما فقالوا أنت يا أبا الوليد فأتاه عتبة فقال: يا محمد أنت خير أم عبدالله؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت رسول بالسكر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي قد فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولننظر ماذا يرد عليه فقالوا ما نعلم أحدا غير عتبة بن ربيعة ابن أبي شيبه حدثنا علي بن مسهر عن الأجلح عن الزيال بن حرملة الأسدي عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: اجتمعت قريش يوما فقالوا انظروا أعلمكم يصل إلينا شيء مما تقول فاعمل إننا عاملون أي اعمل أنت على طريقتك ونحن على طريقتنا لا نتابعك قال الإمام العالم عبد بن حميد في مسنده حدثني وقالوا قلوبنا في أكنة أي في غلف مغطاة مما تدعوننا إليه وفي آذاننا وقر أي صمم عما جئتنا به ومن بيننا وبينك حجاب فلا

اليقين قال الله تبارك وتعالى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ يتهدد تعالى من كان هذا عمله واعتقاده بالعقاب والنكال. 50 رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى أي ولئن كان ثم معاد فليحسنن إلى ربي كما أحسن إلي في هذه الدار يتمنى على الله عز وجل مع إساءته العمل وعدم وما أظن الساعة قائمة أي يكفر بقيام الساعة أي لأجل أنه خول نعمة يبيطر ويفخر ويكفر كما قال تعالى كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي أي إذا أصابه خير ورزق بعدما كان في شدة ليقولن هذا لي إنى كنت أستحقه عند ربي

وهو ما قل ودل وقد قال تعالى وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضره الآية. 51  
بركته وإذا مسه الشر أي الشدة فذو دعاء عريض أي يطيل المسئلة في الشيء الواحد فالكلام العريض ما طال لفظه وقل معناه والوجيز عكسه  
وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه أي أعرض عن الطاعة واستكبر عن الانقياد لأوامر الله عز وجل كقوله جل جلاله فتولى

حالكم عند الذي أنزله على رسوله؟ ولهذا قال عز وجل من أضل ممن هو في شقاق بعيد أي في كفر وعناد ومشاقة للحق ومسلك بعيد من الهدى. 52 قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بالقرآن أرايتم إن كان هذا القرآن من عند الله ثم كفرتم به أي كيف ترون

أفعال عبادته وأقوالهم وهو يشهد أن محمدا صلى الله عليه وسلم صادق فيما أخبر به عنه كما قال لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه الآية: 53 أنت الذي لا شيء منه له وأحق منه بماله القدر وقوله تعالى حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد أي كفى بالله شهيدا على عبر أنت المصرف كان في صغر ثم استقل بشخصك الكبر أنت الذي تتعاه خلقتة ينعاه منه الشعر والبشر أنت الذي تعطى وتسلب لا ينجيه من أن يسلب الحذر عن شيخه أبي جعفر القرشي حيث قال وأحسن المقال وإذا نظرت تريد معتبرا فانظر إليك ففبك معتبر أنت الذي تسمي وتصبح في الدنيا وكل أموره ذلك وما هو متصرف فيه تحت الأقدار التي لا يقدر بحوله وقوته وحيله وحذره أن يجوزها ولا يتعدها كما أنشده ابن أبي الدنيا في كتابه التفكير والاعتبار العجيبة كما هو مبسوط في علم التشريح الدال على حكمة الصانع تبارك وتعالى وكذلك ما هو مجبول عليه من الأخلاق المتباينة من حسن وقبح وغير صلى الله عليه وسلم وصحبه وخذل فيها الباطل وحزبه ويحتمل أن يكون المراد من ذلك ما الإنسان مركب منه وفيه وعليه من المواد والاختلاط والهينات الأقاليم وسائر الأديان قال مجاهد والحسن والسدي ودلائل في أنفسهم قالوا: وقعة بدر وفتح مكة ونحو ذلك من الوقائع التي حلت بهم نصر الله فيها محمدا وحججنا على كون القرآن حقا منزلا من عند الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم بدلائل خارجية في الآفاق من الفتوحات وظهور الإسلام على سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم أي سنظهر لهم دلائلنا

قبضته وتحت طي علمه وهو المتصرف فيها كلها بحكمه فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا إله إلا هو. آخر تفسير سورة حم السجدة ولله الحمد والمنة. 54 أنه على كل شيء قدير وبكل شيء محيط وإقامة الساعة لديه يسير سهل عليه تبارك وتعالى ألا إنه بكل شيء محيط أي المخلوقات كلها تحت قهره وفي لعبه وغفلته وشهواته وذنوبه فهو أحق بهذا الاعتبار والأحق في اللغة ضعيف العقل وقوله والمكذب به هالك هذا واضح والله أعلم. ثم قال تعالى مقروا رضي الله عنه أن المصدق به أحق أي لأنه لا يعمل له عمل مثله ولا يحذر منه ولا يخاف من هوله وهو مع ذلك مصدق به موقن بوقوعه وهو مع ذلك يتمادي لم أجمعكم لأمر أحدثه فيكم ولكن فكرت في هذا الأمر الذي أنتم إليه صائرون فعلتم أن المصدق بهذا الأمر أحق والمكذب به هالك ثم نزل. ومعنى قوله حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سعيد الأنصاري قال: إن عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد أيها الناس فإني له ولا يحذرون منه بل هو عندهم هدر لا يعبتون به وهو كائن لا محالة وواقع لا ريب فيه قال ابن أبي الدنيا حدثنا أحمد بن إبراهيم حدثنا خلف بن تميم وقوله تعالى ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم أي في شك من قيام الساعة ولهذا لا يتفكرون فيه ولا يعملون

إليه أي أخلصوا له العبادة على منوال ما أمركم به على ألسنة الرسل واستغفروه أي لسالف الذنوب وويل للمشركين أي دمار لهم وهلاك عليهم. 6  
المشركين إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إليهم إله واحد لا كما تعبدونه من الأصنام والأنداد والأرباب المتفرقين إنما الله إله واحد فاستقيموا  
يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المكذبين

بسنة ونصف فرض الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس وفصل شروطها وأركانها وما يتعلق بها بعد ذلك شيئا فشيئا والله أعلم. 7

أمرها بالمدينة ويكون هذا جمعا بين القولين كما أن أصل الصلاة كان واجبا قبل طلوع الشمس وقيل غروبها في ابتداء البعثة فلما كان ليلة الإسراء قبل الهجرة

## تفسير ابن كثير

يبعد أن يكون أصل الصدقة والزكاة كان مأمورا به في ابتداء البعثة كقوله تبارك وتعالى وآتوا حقه يوم حصاده فأما الزكاة ذات النصب والمقادير فإنما بين واختاره ابن جرير وفيه نظر لأن إيجاب الزكاة إنما كان في السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة على ما ذكره غير واحد وهذه الآية مكية. اللهم إلا أن يقال لا يؤتون الزكاة أي لا يؤدون الزكاة وقال معاوية بن قرة ليس هم من أهل الزكاة وقال قتادة يمنعون زكاة أموالهم وهذا هو الظاهر عند كثير من المفسرين المال إنما سميت زكاة لأنها تطهره من الحرام وتكون سببا لزيادته وبركته وكثرة نفعه وتوفيقا إلى استعماله في الطاعات. وقال السدي وويل للمشاركين الذي ربه فصلى وقوله عز وجل فقل هل لك إلى أن تزكى والمراد بالزكاة ههنا طهارة النفس من الأخلاق الرذيلة ومن أهم ذلك طهارة النفس من الشرك وزكاة أن لا إله إلا الله وكذا قال عكرمة وهذا كقوله تبارك وتعالى قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها وكقوله جلّت عظمتة قد أفلح من تزكى وذكر اسم الذين لا يؤتون الزكاة قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني الذين لا يشهدون

للإيمان وقال أهل الجنة فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يتغمديني الله برحمة منه وفضل. 8 وقال السدي غير ممنون عليهم وقد رد عليه هذا التفسير بعض الأئمة فإن المنة لله تعالى على أهل الجنة قال الله تبارك وتعالى بل الله يمن عليكم أن هداكم وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون قال مجاهد وغيره غير مقطوع ولا محبوب كقوله تعالى ما كتبت فيها أبدا وكقوله عز وجل عطاء غير مجذوذ إن الذين آمنوا

حدثنا عبيد الله بن عمرو عن زيد بن أبي أنيسة عن المنهال هو ابن عمرو الحديث. وقوله خلق الأرض في يومين يعني يوم الأحد ويوم الإثنين. 9 أي لم يزل كذلك فإن الله تعالى لم يرد شيئا إلا أصاب به الذي أراد فلا يختلف عليك القرآن فإن كلا من عند الله عز وجل قال البخاري حدثني يوسف بن عدي خلق الأرض في يومين فخلق الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام وخلق السماوات في يومين وكان الله غفورا رحيمًا سمي نفسه بذلك وذلك قوله ثم دحى الأرض ودحيها أن أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والرمال والجماد والأكام وما بينهما في يومين آخرين فذلك قوله تعالى دحاها وقوله يعرف أن الله تعالى لا يكتتم حديثا وعنده يود الذين كفروا الآية وخلق الأرض في يومين ثم خلق السماء ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين يكتمون الله حديثا فإن الله تعالى يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم فيقول المشركون تعالوا نقول لم تكن مشركين فيختم على أفواههم فتنتطق أيديهم فعند ذلك الله فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون بينهم في النفخة الأخرى وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وأما قوله والله ربنا ما كنا مشركين ولا عباس رضي الله عنهما فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون في النفخة الأولى ثم نفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء قوله طائعين فذكر في هذه خلق الأرض قبل خلق السماء قال وكان الله غفورا رحيمًا عزيزا حكيمًا سميعا بصيرا فكأنه كان ثم مضى؟ قال ابن أم السماء بناها إلى قوله والأرض بعد ذلك دحاها فذكر خلق السماء قبل الأرض ثم قال تعالى قل أنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين إلى وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ولا يكتمون الله حديثا والله ربنا ما كنا مشركين فقد كنتموا في هذه الآية. وقال تعالى أنتم أشد خلقا المنهال عن سعيد بن جبیر قال: قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما إني لأجد في القرآن أشياء تختلف علي قال فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فأما خلق الأرض فقبل خلق السماء بالنصب وبهذا أجاب ابن عباس رضي الله تعالى عنه فيما ذكره البخاري عند تفسير هذه الآية من صحيحه فإنه قال: وقال متاعا لكم ولأنعامكم ففي هذه الآية أن دحو الأرض كان بعد خلق السماء فالدحو هو مفسر بقوله أخرج منها ماءها ومرعاها وكان هذا بعد خلق السماء تعالى أنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها أن يبدأ بالأساس ثم بعده بالسقف كما قال عز وجل هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات الآية فأما قوله لقوله تعالى خلق السموات والأرض في ستة أيام ففصل ههنا ما يختص بالأرض مما اختص بالسماء فذكر أنه خلق الأرض أولا لأنها كالأساس والأصل الأرض في يومين وتجعلون له أندادا أي نظراء وأمثالا تعبدونها معه ذلك رب العالمين أي الخالق للأشياء هو رب العالمين كلهم. وهذا المكان فيه تفصيل إنكار من الله تعالى على المشركين الذين عبدوا معه غيره وهو الخالق لكل شيء القاهر لكل شيء المقتدر على كل شيء فقال قل أنكم لتكفرون بالذي خلق هذا

## سورة 42

الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون قال فقاف؟ فسكت فقام أبو ذر ففسر كما قال ابن عباس رضي الله عنهما وقال قاف قارعة من السماء تغشى الناس. 1 حم عسق فوثب ابن عباس رضي الله عنه فقال أنا قال حم اسم من أسماء الله تعالى قال فعين؟ قال عاين المولود عذاب يوم بدر قال فسين؟ قال سيعلم الخشني الدمشقي عن أبي معاوية قال: صعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه المنبر فقال: أيها الناس هل سمع منكم أحد رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك ولكن إسناده ضعيف جدا ومنقطع فإنه قال حدثنا أبو طالب عبد الجبار بن عاصم حدثنا أبو عبد الله الحسن بن يحيى ق يعني واقع بهاتين المدينتين وأغرب منه ما رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي في الجزء الثاني من مسند ابن عباس رضي الله عنه عن أبي ذر رضي الله عنه عن عبيد منهم ثم يخسف الله بها وبهم جميعا فذلك قوله تعالى حم عسق يعني عزيمة من الله تعالى وفتنة وقضاء حم عين يعني عدلا منه سين يعني سيكون نارا ليلا فتصبح سوداء مظلمة وقد احترقت كأنها لم تكن مكانها وتصبح صاحبها متعجبة كيف أفلتت؟ فما هو إلا بياض يومها ذلك حتى يجتمع فيها كل جبار

## تفسير ابن كثير

من أنهار المشرق تبنى عليه مدينتان يشق النهر بينهما شقا فإذا أذن الله تبارك وتعالى في زوال ملكهم وانقطاع دولتهم ومدتهم بعث الله عز وجل على إحداها الثالثة فلم يحر إليه شيئا فقال له حذيفة رضي الله عنه أنا أنبئك بها قد عرفت لم كرهها نزلت في رجل من أهل بيته يقال له عبد الإله وعبد الله ينزل على نهر الله تعالى عنه أخبرني عن تفسير قول الله تعالى حم عسق قال فاطرق ثم أعرض عنه ثم كرر مقالته فأعرض عنه فلم يجبه بشيء وكره مقالته ثم كررها الحوطي حدثنا أبو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج عن أروطة بن المنذر قال: جاء رجل إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال له وعنده حذيفة بن اليمان رضي قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة وقد روى ابن جرير ههنا أثرا غريبا عجيبا منكرا فقال أخبرنا أحمد بن زهير حدثنا عبد الوهاب بن نجدة

فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول ذلكم الله ربي أي الحاكم في كل شيء عليه توكلت وإليه أنيب أي أرجع في جميع الأمور. 10 أي مهما اختلفتم فيه من الأمور وهذا عام في جميع الأشياء فحكمه إلى الله أي هو الحاكم فيه بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم كقوله جل وعلا وقيل في بمعنى الباء أي يذروكم به ليس كمثله شيء أي ليس كخالق الأزواج كلها شيء لأنه الفرد الصمد الذي لا نظير له وهو السميع البصير. 11 نسل من الناس والأنعام وقال البغوي يذروكم فيه أي في الرحم وقيل في البطن وقيل في هذا الوجه من الخلقة. قال مجاهد نسلا بعد نسل من الناس والأنعام تبارك وتعالى يذروكم فيه أي يخلقكم فيه أي في ذلك الخلق على هذه الصفة لا يزال يذروكم فيه ذكورا وإناثا خلقا من بعد خلق وجيلا بعد جيل ونسلا بعد أنفسكم أزواجا أي من جنسكم وشكلكم مئة عليكم وتفصلا جعل من جنسكم ذكرا وأنثى ومن الأنعام أزواجا أي وخلق لكم من الأنعام ثمانية أزواج وقوله وقوله جل جلاله فاطر السموات والأرض أي خالقهما وما بينهما جعل لكم من

الحاكم فيهما يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أي يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء وله الحكمة والعدل التام إنه بكل شيء عليم. 12 خزائن السماوات والأرض والمعنى على كلا القولين أن أزمنة الأمور بيده تبارك وتعالى له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. وحاصل ذلك أنه المتصرف السماوات والأرض قال مجاهد: المقاليد هي المفاتيح بالفارسية وكذا قال قتادة وابن زيد وسفيان بن عيينة وقال السدي له مقاليد السماوات والأرض أي وقوله عز وجل له مقاليد

جل جلاله الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب أي هو الذي يقدر الهداية لمن يستحقها ويكتب الضلالة على من آثرها على طريق الرشd. 13 ونهاهم عن الافتراق والاختلاف. وقوله عز وجل كبر على المشركين ما تدعوهم إليه أي شق عليهم وأنكروا ما تدعوهم إليه يا محمد من التوحيد. ثم قال منكم شرعة ومنهاجا ولهذا قال تعالى ههنا أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه أي أوصى الله تعالى جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالائتلاف والجماعة معشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد أي القدر المشترك بينهم هو عبادة الله وحده لا شريك له وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم كقوله جل جلاله لكل جعلنا الرسل كلهم هو عبادة الله وحده لا شريك له كما قال عز وجل وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون. وفي الحديث نحن آية الأحزاب عليهم في قوله تبارك وتعالى وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم الآية والدين الذي جاءت به وهو محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر من بين ذلك من أولي العزم وهو إبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وهذه الآية انتظمت ذكر الخمسة كما اشتملت يقول تعالى لهذه الأمة شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك فذكر أول الرسل بعد آدم عليه السلام وهو نوح عليه السلام وآخرهم أي ليسوا على يقين من أمرهم وإيمانهم وإنما هم مقلدون لأبائهم وأسلافهم بلا دليل ولا برهان وهم في حيرة من أمرهم وشك مريب وشقاق بعيد. 14 في الدنيا سريعا. وقوله جلت عظمتهم وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم يعني الجيل المتأخر بعد القرن الأول المكذب للحق لفي شك منه مريب عز وجل ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى أي لولا الكلمة السابقة من الله تعالى بإنظار العباد بإقامة حسابهم إلى يوم المعاد لعجل عليهم العقوبة اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم أي إنما كان مخالفتهم للحق بعد بلوغه إليهم وقيام الحجة عليهم وما حملهم على ذلك إلا البغي والعناد والمشاقة ثم قال قال تبارك وتعالى وما

أي يوم القيامة كقوله قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتح العليم وقوله جل وعلا وإليه المصير أي المرجع والمآب يوم الحساب. 15 قال مجاهد أي لا خصومة قال السدي وذلك قبل نزول آية السيف وهذا متجه لأن هذه الآية مكية وآية السيف بعد الهجرة. وقوله عز وجل الله يجمع بيننا برآء منكم كما قال سبحانه وتعالى وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون وقوله تعالى لا حجة بيننا وبينكم غيره فنحن نفر بذلك اختيارا وأنتم وإن لم تفعلوه اختيارا فله يسجد من في العالمين طوعا وإجبارا. وقوله تبارك وتعالى لنا أعمالنا ولكم أعمالكم أي نحن على الأنبياء لا نفرق بين أحد منهم. وقوله وأمرت لأعدل بينكم أي في الحكم كما أمرني الله وقوله جلت عظمتهم الله ربنا وربكم أي هو المعبود لا إله فيما اختلفوا فيه وكذبوه وافتروه من عبادة الأوثان. وقوله جل وعلا وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب أي صدقت بجميع الكتب المنزلة من السماء عز وجل واستقم كما أمرت أي واستقم أنت ومن اتبعك على عبادة الله تعالى كما أمركم الله عز وجل وقوله تعالى ولا تتبع أهواءهم يعني المشركين فادع أي فللذي أوحينا إليك من الدين الذي وصينا به جميع المرسلين قبلك أصحاب الشرائع الكبار المتبعة كأولي العزم وغيرهم فادع الناس إليه. وقوله على عشر كلمات مستقلات كل منها منفصلة عن التي قبلها حكم برأسها قالوا ولا نظير لها سوى آية الكرسي فإنها أيضا عشر فصول كهذه. وقوله فلذلك اشتملت هذه الآية الكريمة

تعود الجاهلية وقال قتادة هم اليهود والنصارى قالوا لهم ديننا خير من دينكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم وأولى بالله منكم وقد كذبوا في ذلك. 16

## تفسير ابن كثير

منه ولهم عذاب شديد أي يوم القيامة قال ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد جادلوا المؤمنين بعدما استجابوا لله ولرسوله ليصدوهم عن الهدى وطمعوا أن أي يجادلون المؤمنين المستجيبين لله ولرسوله ليصدوهم عما سلّوه من طريق الهدى حجتهم داحضة عند ربهم أي باطلة عند الله وعليهم غضب أي يقول تعالى متوعدا الذين يصدون عن سبيل الله من آمن به والذين يحاجون في الله من بعدما استجيب له

وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان. وقوله تبارك وتعالى وما يدريك لعل الساعة قريب فيه ترغيب فيها وترهيب منها وتزهيد في الدنيا. 17 وهذه كقوله تعالى لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وقوله والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا في الميزان يعني الكتب المنزلة من عنده على أنبيائه والميزان وهو العدل والإنصاف قاله مجاهد وقتادة

بين لأن الذي خلق السموات والأرض قادر على إحياء الموتى بطريق الأولى والأخرى كما قال تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه. 18 الساعة بل أمره بالاستعداد لها. وقوله تعالى ألا إن الذين يمارون في الساعة أي يجادلون في وجودها ويدفعون وقوعها لفي ضلال بعيد أي في جهل الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم أنت مع من أحببت فقوله في الحديث المرء مع من أحب هذا متواتر لا محالة والغرض أنه لم يجبه عن وقت صلى الله عليه وسلم نحو من صوته هاؤم فقال له متى الساعة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك إنها كائنة فما أعددت لها؟ فقال حب والمسانيد وفي بعض ألفاظه أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم بصوت جهوري وهو في بعض أسفاره فناداه فقال يا محمد فقال له رسول الله من وقوعها ويعلمون أنها الحق أي كائنة لا محالة فهم مستعدون لها عاملون من أجلها. وقد روي من طرق تبلغ درجة التواتر في الصحاح والحسان والسنان أي يقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين وإنما يقولون ذلك تكذيبا واستبعادا وكفرا وعنادا والذين آمنوا مشفقون منها أي خائفون وجلون

كل في كتاب مبين ولها نظائر كثيرة وقوله جل وعلا يرزق من يشاء أي يوسع على من يشاء وهو القوي العزيز أي لا يعجزه شيء. 19 رزقه إياهم عن آخرهم لا ينسى أحدا منهم سواء في رزقه البر والفاجر كقوله عز وجل وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها يقول تعالى مخبرا عن لطفه بخلقه في

الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون قال قفاف؟ فسكت فقام أبو ذر ففسر كما قال ابن عباس رضي الله عنهما وقال قاف قارعة من السماء تغشى الناس. 2 حم عسق فوثب ابن عباس رضي الله عنه فقال أنا قال حم اسم من أسماء الله تعالى قال فعين؟ قال عاين المولود عذاب يوم بدر قال فسين؟ قال سيعلم الخشني الدمشقي عن أبي معاوية قال: صعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه المنبر فقال: أيها الناس هل سمع منكم أحد رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك ولكن إسناده ضعيف جدا ومنقطع فإنه قال حدثنا أبو طالب عبد الجبار بن عاصم حدثنا أبو عبد الله الحسن بن يحيى ق يعني واقع بهاتين المدينتين وأغرب منه ما رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي في الجزء الثاني من مسند ابن عباس رضي الله عنه عن أبي ذر رضي الله عنه عن عنيدهم ثم يخسف الله بها وبهم جميعا فذلك قوله تعالى حم عسق يعني عزيمة من الله تعالى وفتنة وقضاء حم عين يعني عدلا منه سين يعني سيكون نارا ليلا فتصبح سوداء مظلمة وقد احترقت كأنها لم تكن مكانها وتصبح صاحبته متعجبة كيف أفلتت؟ فما هو إلا بياض يومها ذلك حتى يجتمع فيها كل جبار من أنهار المشرق تبني عليه مدينتان يشق النهر بينهما شقا فإذا أذن الله تبارك وتعالى في زوال ملكهم وانقطاع دولتهم ومدتهم بعث الله عز وجل على إحداها الثالثة فلم يحر إليه شيئا فقال له حذيفة رضي الله عنه أنا أنبئك بها قد عرفت لم كرهها نزلت في رجل من أهل بيته يقال له عبد الإله وعبد الله ينزل على نهر الله تعالى عنه أخبرني عن تفسير قول الله تعالى حم عسق قال فأتى ثم أعرض عنه ثم كرر مقالته فأعرض عنه فلم يجبه بشيء وكره مقالته ثم كررها الحوطي حدثنا أبو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج عن أرطاة بن المنذر قال: جاء رجل إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال له وعنده حذيفة بن اليمان رضي قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة وقد روى ابن جرير ههنا أثرا غريبا عجيبا منكرا فقال أخبرنا أحمد بن زهير حدثنا عبد الوهاب بن نعدة

صلى الله عليه وسلم بشر هذه الأمة بالسوء والرفعة والنصر والتمكين في الأرض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب. 20 كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا. وقال الثوري عن معمر عن أبي العالية عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله مدحورا ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا أنظر هذه الآية ههنا مقيدة بالآية التي في سبحان وهي قوله تبارك وتعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما والله الآخرة والدنيا إن شاء أعطاه منها وإن لم يشأ لم يحصل لا هذه ولا هذه. وفاز الساعي بهذه النية بالصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة والدليل على هذا أن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب أي ومن كان إنما سعيه ليحصل له شيء من الدنيا وليس له إلى الآخرة هم البتة بالكلية حرمة أي عمل الآخرة نذله في حرثه أي نقويه ونعينه على ما هو بصده ونكثر نماءه ونجزيه بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائه ضعف إلى ما يشاء الله ومن قال عز وجل من كان يريد حرث الآخرة

لقضي بينهم أي لعوجلوا بالعقوبة لولا ما تقدم من الإنظار إلى يوم المعاد وإن الظالمين لهم عذاب أليم أي شديد موجع في جهنم وبئس المصير. 21 هذا الرجل أحد ملوك خزاعة وهو أول من فعل هذه الأشياء وهو الذي حمل قريشا على عبادة الأصنام لعنه الله وقبحه ولهذا قال تعالى ولولا كلمة الفصل وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت عمرو بن لحي بن قمععة يجز قصبه في النار لأنه أول من سب السواحب وكان والد الم وقمار إلى نحو ذلك من الضلالات والجهالة الباطلة التي كانوا قد اخترعوها في جاهليتهم من التحليل والتحريم والعبادات الباطلة والأموال الفاسدة.